دُرَرُ العُقُودِ الفَرِيدَة

في تراجم الأعيان المُفيدة

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

٧٦٦-٨٤٥هـ (١٣٦٥- ١٤٤٢م)

المجلّد الأوّل

حققه وعلق عليه

الدكتور محمود الجليلي



دار الغرب الإسلامي

دار الغرب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

دار الغرب الإسلامي

ص. ب. 5787 - 133 بيروت

دُرَرُ العُقُودِ الفَرِيدَة

في تَراجِم الأعيَان المُفِيدة

1

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وصحبه أجمعين.

لقد كتب كثيرون عن تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي وعن كتبه، وبخاصة أنه كان مركز الاهتمام في مناسبات متعددة منها في أواسط القرن العشرين، وقد يقول قائل: هل غادر الشعراء من متردّم؟ فأقول: كم ترك الأول للآخر.

قد تكون هذه المقدمة لكتاب «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» مختلفة عما يكتبه المؤرخون والمحققون للكتب التي يتم نشرها، ولا بأس من ذلك، فالكتاب فريد كما جاء في اسمه، يتضمن تراجم من عاصرهم المؤلف فكتب عنهم وعن أخبارهم دون أن ينقل من كتب أخرى، واستغرق تأليفه سنوات عديدة من عُمر الخمسين إلى عُمر الثمانين.

فبعد وصف الكتاب وطريقة تحقيقه تم كتابة ترجمة المؤلف استنادًا إلى معلومات مستقاة مما ورد في التراجم فيه.

والمقصود من هذه المقدمة إبراز نواحي متعددة من شخصية تقي الدين المقريزي وأسرته وظروفه الاجتماعية والثقافية وأعماله المهمة لم يتناولها من كتبوا عنه بما يتناسب مع منزلته.

يتناول الكتاب فترة مهمة من تاريخ مصر وبلاد الشام والحجاز زادت على ثمانين سنة، فهو يذكر من كان حيًا سنة ٧٦٠ هـ حتى توقف المؤلف قبل وفاته بقليل، فقد توفي في رمضان سنة ٨٤٥ هـ. وأنَّ اختيار المؤلف سنة ٧٦٠ هـ كان لأنه وُلد بعد هذا التاريخ بقليل ولكن من الوجهة العملية فإنَّ الكتاب يتناول فترة أطول من ذلك. فإذا فرضنا أن من توفي بعد سنة ٧٦٠ هـ كان موجودًا في المجتمع قبل ذلك بعشرات السنين، وأن الأعمار خمسون سنة تقريبًا، فيمكن إضافة ثلاثين سنة منها هي سنوات النشاط الحيوي. ثم إنَّ الذين ترجم لهم وكانوا بسن مناسبة للترجمة مثلاً ثلاثين سنة يستمرون إلى ما بعد وفاة المؤلف بعشرين سنة، فيكون مجموع مدى الكتاب من الوجهة

العملية من سنة ٧٣٠ إلى ٨٦٠ هـ أي مئة وثلاثين سنة.

أما متى بدأ المؤلف بوضع هذا الكتاب فقد أشار إلى ذلك في مقدمته «ناهزت سني العمر الخمسين» فيكون ذلك حوالي سنة ٨١٦ هـ إذ أنَّ مولده كان سنة ٧٦٦ هـ، واستمر فيه إلى قُرب وفاته، سنة ٨٤٥ فيكون قد استغرق التأليف والإضافة ثلاثين سنة. ولكن هناك ما يدل على أنَّ الكتاب كان قد أُنجز معظمه في سنة ٨٣٩ هـ بحيث إنَّ المؤرخ ابن فهد قد كتب في تلك السنة على نسخة المؤلف: إنَّه طالعه من أوَّله إلى آخره مستفيدًا منه داعيًا لمؤلفه بالبقاء.

ولقد خَصَّص المقريزي محتوى الكتاب بتراجم «الأعيان»، فلهذا لا ترى فيه تراجم للحرفيين أو أصحاب الصناعات أو الفلاحين أو المزارعين.

وهذا الكتاب يختلف عن مؤلفات المقريزي الأخرى، إذ أنَّه يعتمد على اتصالاته وملاحظاته الشخصية عن المجتمع، وبخاصة عن رجال الحكم والسلطة، ورجال القضاء، وأصحاب العلوم الدينية خاصة رجال الحديث، فيكاد يذكر كلَّ من حَدث أو تلقى الحديث النبوي، وكذلك التفسير والفقه، وبدرجة أقل القراء. ثم يترجم لبعض التجار ويشير إلى المشاكل الاقتصادية. ثم يذكر حكام البلاد المجاورة ويعود إلى بداية الحكم أو الأسرة الحاكمة في تلك البلاد، مثلاً الخلفاء العباسيين، وحكام اليمن، وهولاكو ومن سبقه، وتيمورلنك وجماعته وبداية الدولة العثمانية، وملوك الهند المسلمين وبهذا تكون المدة التي يتناولها الكتاب أكثر بكثير من الفترة المعاصرة.

ولقد حدثت في هذه المدة نفسها خطوب وكوارث كبيرة أهمها احتلال تيمورلنك لبغداد وحلب ودمشق وتهديده للدولة المملوكية سنة ٨٠٣ هـ، بحيث أصبح يكتفي بذكر «الكائنة» ليقصد بها تدمير دمشق، ويكتفي بذكر «الجفل» ليعني الهروب من بلاد الشام إلى مصر. وهكذا نزح عدد من علماء العراق إلى بلاد الشام، ثم نزح كثيرون من أهل الشام والنازحين إليها إلى الديار المصرية. وحدث نزوح آخر إلى مصر من بلاد الأندلس بعد فقدانها، ومن المغرب والجزائر وتونس بسبب الاضطرابات فيها.

ولم يكن هناك موانع للانتقال من بلد عربي أو إسلامي إلى بلد آخر، كما أن السكنى والعمل فيها لم يجد ما يعيقه، مما أدى إلى وجود كثيرين من المثقفين في مراكز الجذب الثقافي أو الاقتصادي. ولكن من الناحية الثانية كان العسف والقهر من قبل القائمين على الحكم أمرًا كثير الحدوث كما يظهر في

التراجم، وقد ذكرها المؤلف بكل بشاعتها.

إنَّ هذا الكتاب فريد كما سماه مؤلفه «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»، فهو يتضمن رواية وقائع شهدها أو رافقها كثيرون ممن وردت تراجمهم فيه، ويعكس الظروف السياسية والإدارية والقضائية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية آنذاك.

ولنذكر الآن وصف نسخ الكتاب التي تم الاعتماد عليها لنشر الكتاب، وهي نسخة كاملة نسخت منه سنة ٨٧٨ هـ، وحرف الألف من نسخة المؤلف المقريزي بخطه تم الحصول على صورة لها. ولم نتوصّل إلى معرفة وجود نسخة أخرى في أي مكان.

١ - الكتاب الكامل:

يقع الكتاب في مجلَّدين: الأول من ١٩٣ ورقة فيها ٣٨٨ صفحة، في كل منها ٢٩ سطرًا بمعدل ١٤ كلمة في السطر، أي ما يقرب من (١٤٨٠٠٠) كلمة، وأبعاد هذا المجلد ٢٧× ١٩ سنتمترًا، وسمكه ٤,٧٥ سنتمتر، أما أبعاد الكتابة فهي ١٨,٥ × ١٢ سنتمترًا والعناوين باللون الأحمر، وقد نسخه علي ابن محمد بن عبدالله الفيومي، وفرغ منه في ٢٩ شعبان سنة ثمان وسبعين وثماني مئة (٢١/ ١/ ١٤٧٤ م). والمجلد الثاني من ٢٩٢ ورقة فيها ٥٨٤ صفحة، في كل منها ١٩ سطرًا بمعدل ١٣ كلمة في السطر، أي ما يقرب من (٢٢٠٠٠٠ كلمة)، وأبعاد هذا المجلد هي ٢٧ ×١٩ سنتمترًا وسمكه ٦ سنتمترات، والكتابة فيه ٢٠×١٢,٥ سنتمترًا، والعناوين باللون الأحمر، وهو بخط أحمد بن محمد التلواني الأزهري، وقد فرغ من نسخه في ١٧ شوال سنة ثمان وسبعين وثماني مئة (٧/ ٣/ ١٤٧٤م). والمجلدان مكتوبان على ورق يدوي ثخين مطلي ومصقول. والجلد طبيعي مزخرف بالضغط زخرفة هندسية. ويبدو أنَّ المجلدين نُسخا في الوقت نفسه، فالفرق بين إنجازهما ٤٧ يومًا فقط. ولابد من الإشارة إلى أنَّ المجلد الثاني فيه أخطاء كثيرة، وتصحيف وسقط.

وفي خط المجلدين تسهيل الهمزة بحيث تكتب ياء، ونقص في بعض النقط وهمزة الآخر. ولقد نشرنا صورًا من هذين المجلدين بحيث تعطي فكرة واضحة عنهما. ثم إنَّه قد تمت مقابلة هذه النسخة على الأصل حيث إنَّه توجد تصحيحات أو إضافة كلمات على الحواشي مع كلمة صح. وهي منسوخة من

نسخة بخط المصنف تقي الدين المقريزي، إذ يشير الناسخ إلى ذلك في أماكن متعددة، وتوجد في بعض التراجم أماكن بيضاء لتاريخ الوفاة أو لاسم أحد الأجداد أو غير ذلك. كما توجد في الحاشية إشارة إلى وجود أسطر أو أجزاء من الصفحة فارغة مثلاً «وجد في نسخة مؤلفه في هذا المحل بياض قدر ورقة» أو «وجد بياض نصف صفحة بخطه» بعد ترجمة أحد الأشخاص أو في أثنائها، وهذا يكرر عددًا من المرات.

والمجلد الأول فيه فهرس من ٤ صفحات بأسماء المترجمين كما كانوا يشتهرون بها، مثلاً إبراهيم بن زقاعة، إبراهيم الدجوي النحوي، إبراهيم القوف المحدث.

ويبدأ المجلد الأول بالمقدمة ثم حرف الألف إبراهيم بن محمد بن بهادر... ابن زُقاعة، وينتهي بحرف الظاء ظُهيرة بن حسين بن علي... المخزومي المكي. أما المجلد الثاني فمن عائشة أم الهدى بنت الخطيب تقي الدين عبدالله بن أحمد بن عبدالله الطبري إلى يونس بن حسين بن علي الرامي.

لقد تم نسخ الكتاب سنة ٨٧٨ هـ أي ما يقرب من ثلاثين سنة بعد وفاة المؤلف سنة ٨٤٥ هـ، وكان كثير من المترجمين أو أقاربهم على قيد الحياة آنذاك، وذكرهُ في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» تأليف ملاّ كاتب جلبي الجزء الأول ص ٣٧٤ فقال: «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي الشافعي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ذكر فيه من عاصر في ثلاث مجلدات». وكذلك قال في المنهل الصافي (١/ ٤١٩). أنَّه في ثلاث مجلدات. ولكن النسخة الموجودة لدينا هي في مجلدين، وهي كاملة.

وعلى المجلدين أو أحدهما أسماء الذين تملكوه، وقد حُكَّت أو طُمست أسماء البعض منهم. وأول تملك على الكتاب في المجلدين هو: أحمد محب الدين بن بهاء الدين بن أبي السعود ابن ظهيرة القرشي الشافعي. ثم: عبدالقادر ابن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي. ثم: حسن البريني في أواخر جمادى الآخرة سنة ٩٧٢ هـ. ثم: إبراهيم ابن الحاج علي ابن الطويلة بتاريخ سنة ١٠٨٥. ثم: الحاج عبدالرحمن ابن المرحوم الحاج عبدالحافظ بن عمر بن قاسم بن محمد بن علي الموصلي سنة ١٢١٨ هـ. ثم: عثمان بن سليمان باشا الجليلي الموصلي الحنفي سنة ١٢٢٥ هـ.

وتوجد معلومات كافية عن المتملك الأول والمتملك الأخير للكتاب؛ فبنو ظُهيرة أسرة كبيرة منها العلماء والقضاة في مكة (الضوء اللامع ٢/ ١٣٤ و١١/٢٥٦) ولهم صلة صداقة مع المقريزي عندما يكون في القاهرة أو يكونون في مكة أو عند مجاورته في مكة. ويذكر في ترجمة محمد جمال الدين بن عبدالله بن ظُهيرة (رقم ١٣٦٩): «قاضي مكة... وسمع بالقاهرة من شيوخنا، وكنا جميعًا نسمع في أعوام بضع وثمانين (وسبع مئة)، ومحمد المذكور ولد سنة ٧٥١ هـ وتوفي سنة ٨١٧ هـ.

ومتملك الكتاب هو أحمد محب الدين بن بهاء الدين أبو حامد أحمد بن محمد أبو السعود (٨١٦ - ٨٥٥) بن محمد القطب أبو الخير بن الجمال أبو السعود محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية... ابن ظُهيرة القرشي المخزومي الشافعي (الضوء اللامع ١١/٢٥٦)، وربما يكون هو مؤلف كتاب الفضائل الباهرة من محاسن مصر والقاهرة. ويذكر محققا ذلك الكتاب تاريخ الولادة ٨٢٥ هـ والوفاة ٨٨٥ هـ. فيكون على قيد الحياة عند نسخ المجلدين في سنة ٨٧٨ هـ.

وربما كان مؤلف الفضائل الباهرة محمد بن إبراهيم بن علي ابن ظهيرة ولد سنة ٨٥٩ هـ وتوفي سنة ٩٠٧ هـ. (ذكره في البدر الطالع ٢/ ٨٠).

ومتملك الكتاب الأخير عثمان بن سليمان باشا ابن الغازي محمد أمين باشا ابن الحاج حسين باشا بن إسماعيل باشا بن عبدالجليل، من أجداد كاتب هذه السطور، توفي سنة ١٢٤٥ هـ (رؤوف ص ٣٧٣).

وتوجد بعض الحواشي وقد كتب تحتها: مالكه محمد أمين السابقي، وقد تم الإشارة إليها في حواشي الكتاب. وفي داخل أول الكتاب أشعار وأسماء كالآتي: كتب إليَّ الشيخ العلامة عبدالرزاق بن أبي كثير الشافعي المكي نفع الله تعالى بعلمه من مكة شرفها الله:

مصر لأجلك بالثغور مقبله وجهاتها بحُلا عُلاك مُجَمَّله

عشرة أبيات.

فكتب علي من صدر كتاب ارتجالاً لا من ابن القلم

أرض بها الشيخ للأنام مقبله ولفضلها في كل قلب منزله

اثنا عشر بيتًا.

وكتب للشيخ العلامة أبي بكر بن سالم القناوي المكي من كتاب جهزه له من القاهرة:

الشـــوق نـــام والغـــرام مُجَـــدَّدُ   والقلـــب فيـــه تلهـــب وتـــوقُّـــد

تسعة أبيات

وسننشر صور صفحات من المجلدين.

وكان الناسخ يكتب أول اسم بلون أحمر، ويظهر أنَّه كان يترك أول الأمر بياضًا محل ذلك، ثم يعود فيملأ هذه الفراغات بالأحمر فيحدث في بعض الأحيان وضع اسم بدل اسم. مثلاً: الأسماء المتقاربة عبداللطيف وعبدالعزيز (الأرقام ٦٣٨ و٦٤١)، وفي آخر الكتاب في حرف النون فوضع موسى محل نصر ويحيى بدل يعقوب، وقد وُضِعَ الصواب.

٢- قسم من نسخة المؤلِّف:

ذكر كارل بروكلمان Carl Brockelmann في كتابه «تاريخ الأدب العربي» Geschichte Der Arabischen Litteratur الجزء الثاني ص ٤٩ طبع بريل في لايدن (هولندا) سنة ١٩٤٤م كتاب «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» الجزء الأول حرف الألف وقسم من حرف العين في كوتا ١٧٧١ (جوتنكن) وهي في ألمانيا، وأنها نسخة المؤلف. وقد تم الحصول على ما يكروفلم لهذا المخطوط ورقمه (Gotha Arab 270) كوتا عربي ٢٧٠ ثم طُبع على ورق التصوير المناسب، وفيها مئتا صورة كل منها صفحتان من المخطوط. وحيث إنَّ المؤلف كان يضيف أوراقًا صغيرة أو كبيرة بين حين وآخر، فإنَّ العدد الحقيقي للصفحات هو أقل من مئتي صفحة لأنَّ هذه الأوراق المضافة كانت تصور كذلك. وحرف الألف كان فيه ١٧١ صورة، ولكن عدد الصفحات أقل من ذلك إذ كانت الصفحات الكاملة وغير الكاملة ١٦٣ صورة لحرف الألف من بداية الكتاب إلى اسم «ألْطنبغا شقل»، وحرف العين بعده فيه ثلاثون صورة. إنَّ خط هذا الكتاب مشابه لخط المقفى، وكلاهما بخط المؤلِّف. إنَّ تراجم حرف العين ليست من درر العقود الفريدة إذ إنَّ المترجمين كانوا في الست مئة أو قبلها، أما كتاب درر العقود الفريدة فكان يبدأ بمن توفي بعد ٧٦٠هـ أو ولد بعدها. ويبدو أنَّ هذه التراجم من كتاب المقفى للمقريزي الذي ألفه حسب تسلسل الحروف العربية، ولهذا سماه «المُقفى». وتوجد في

هذه النسخة ٢٧ ترجمة من حرف العين منها ١٩ عمر و٤ عيسى و٢ عمارة و١ عمران و١ عمير. وترجمة واحدة من حرف الدال.

ويبدو أن هذه النسخة هي مسودة الكتاب، إذ فيها تصليحات متعددة وإضافات كثيرة بالحواشي، وقد زيدت فيها أوراق بأحجام مختلفة تتضمن تراجم أخرى، كما أنَّ خطها غير معتنى به، بينما كتاب «المقفى» مبيضة إذ خطه جيد وتصليحاته قليلة جدًا.

وجاء في الصفحة الأولى:

كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة تأليف فقير عفو الله أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبدالصمد بن أبي الحسن بن تميم الشهير والده بابن المقريزي الشافعي غفر الله ذنوبه وستر بمنه وفضله عيوبه إنَّه كريم.

ثم بخط آخر: هذا الكتاب بخط مؤلفه.

وبخط آخر: توفي جامعه الشيخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي خطه أعلاه في يوم الجمعة سابع عِشري من رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وثمان مئة. ملكه من فضل الله تعالى (كلمات غير واضحة) البارزي سنة ٩٢٤.

وعلى جانب صفحة الغلاف: الحمد لله، طالعه من أوله إلى آخره مستفيدًا منه داعيًا لمؤلفه بالبقاء ودوام الارتقاء العبد محمد المدعو عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي سنة ٨٣٩. كذا طالعه واستفاد منه محمد بن عبدالرحمن السخاوي سنة ٨٥٥.

وسنذكر ابن فهد والسخاوي مع المؤرخين المعاصرين في الملحق الثاني.

أما البارزي فتبين أنَّ هذه أسرة عريقة في حماة، تولوا قضاءها وقضاء حلب وكتابة السر فيها، ثم تولى ناصر الدين محمد بن محمد ابن البارزي كتابة السر في القاهرة وتوفي سنة ٨٢٣ هـ، وقد ترجم له المقريزي ترجمة طويلة في المقفى (الورقة ٤٠ من المخطوط رقم ٣٠٧٥) ثم تولاها ابنه كمال الدين محمد بن محمد ابن البارزي. وكان تقي الدين المقريزي قد عمل معهما في ديوان الإنشاء في القاهرة، وترجم لهما في درر العقود (رقم ١٠٠٠ و١١٥٤). أما محمد البارزي الذي كتب اسمه على غلاف الكتاب سنة ٩٢٤ هـ فهو من أولادهم. وترجم لهم في الضوء اللامع (٨/ ٥٩ و٢٣٦ و٩/ ١٣٧ و١٠/ ٢٤

و٦٩ و٣٢١). وسننشر صورة هذه الصفحة.

تحقيق الكتاب:

لقد تم تحقيق حرف الألف من الكتاب وهو في ١٩٨ صفحة ويعادل نصف المجلد الأول من النسخة المنسوخة في سنة ٨٧٨ هـ والموجودة لدينا في سنة ١٩٨٣ م، واتبعت فيه الطريقة التالية: ضبط النص، وذكر المصادر المتيسرة التي وردت فيها الترجمة اسم الكتاب والجزء والصفحة فقط، أما إذا كان هناك اختلاف في ذكر الأسماء أو أسماء الجدود أو في التواريخ فيشار إلى ذلك. وبالنظر إلى أهمية المؤلفات التي ألَّفها المترجمون فقد أضيف إلى ما ذكره المقريزي أسماء مؤلفاتهم التي وردت في مصادر أخرى، وبخاصة إن مصنف الكتاب توفي سنة ٨٤٥ هـ، وكان بعض الذين ترجمهم في أعمار ما كانت من أعمار الإنتاج، فلم يكونوا قد أنجزوا مؤلفاتهم. ولكن لم يتسنَّ طبع ما تمَّ تحقيقه في حينه، ولمرور مدة طويلة بينه وبين الوقت الحالي نُشرت أثناءها مؤلفات عديدة بحثت تلك الفترة، تم الاكتفاء في إعداد جميع الكتاب للنشر بذكر المراجع المهمة التي ذكرت المترجمين في الحاشية.

وتم الاعتماد على مسودة المقريزي بخطه وأشير إليها مرة بالمسودة ومرة بحرف (أ)، وعلى النسخة الموجودة لدينا وأشير لها بحرف (ج) وذلك في تحقيق معظم حرف الألف، حيث إنَّ المسودة كانت تتضمن الأسماء من (إبراهيم) إلى (ألطنبُغا) وليس فيها ما أتى بعد ذلك من الأسماء. أما التراجم التي بعد ذلك من حرف الألف وبقية الحروف إلى الياء فكان الاعتماد فيها على النسخة الموجودة لدينا، وأشير إليها بكلمة «الأصل». وقد تم وصف المسودة والكتاب الكامل في المقدمة قبل هذا، ولم نتوصل إلى وجود نسخة أخرى من الكتاب. وتم الرجوع إلى عدد من المصادر المهمة في تلك الفترة لأجل التأكد من بعض الأسماء أو إصلاحها، ذلك أن ناسخ المجلد الثاني كان كثير الخطأ والتصحيف والسقط. وأُعطيت عناية فائقة للنصّ بحيث يكون صحيحًا.

وكانت توجد تعليقات على المسودة وعلى النسخة كتبها عمر ابن فهد أو ابن قاضي شهبة أو محمد أمين السابقي، أشير إليها في حواشي الكتاب.

وكان الضبط بالشكل حسبما ضبطه المصنف نفسه، ولكن الكلمات التي ضبطها بالشكل كانت قليلة، وبخاصة توجد فيه أسماء كثيرة تركية أو جركسية، فاعتمدنا فيها على ضبط ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة والمنهل الصافي،

ذلك أنه أدرى من غيره في كيفية ضبط أسمائهم كونه منهم فقد كان أبوه مملوكًا روميًا، وتولى المناصب مع الحكام، وكانت بينهم صهارة. ويبدو أن كيفية كتابة أسمائهم جعلته يؤلف كتابًا عنوانه «تحريف أولاد العرب في الأسماء التركية». وكانت طريقة الكتابة تختلف عن طريقة الطباعة الحاضرة، مثل: تسهيل الهمزة ياءً، وترك الهمزة في آخر الكلمات، وكتابة الألف المقصورة ألفًا قائمة أو بالعكس، وإبقاء النون عند الإضافة مثلا ثاني عشرين شعبان وصوابها ثاني عشري شعبان، وقد تم إصلاح ذلك دون الحاجة إلى الإشارة إليه. وتم كذلك تدارك إهمال النقط مباشرةً. وكذلك وضع أرقام قبل الاسم متتالية حسب تسلسل التراجم.

اسم المؤلف ولقبه:

لقد كتب اسمه بخط يده على غلاف الكتاب:

«كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة تأليف فقير عفو الله أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبدالصمد بن أبي الحسن بن تميم الشهير والده بابن المقريزي الشافعي غفر الله ذنوبه وستر بمنه وفضله عيوبه، إنه كريم».

ويقول ابن حجر في المعجم المؤسس (الترجمة رقم ٤٠٨): تقي الدين المقريزي الأصل نسبة إلى حارة المقارزة ببعلبك، نزل بها جده الأعلى إبراهيم ابن محمد، ولكن لم يذكر من أين قدم.

ولمعرفة مدلول لقب المقريزي نذكر ما جاء في تاج العروس للزبيدي (ج ١٥ ص ٢٧٩): القَرز قبضك التراب بأطراف أصابعك، والقرص، والأكمة والغلظ من الأرض، والقُرز بالضم مُدهن الحجام، والقُرزة بالضم نحو القبضة. ومما يستدرك عليه حارة المقارزة ببعلبك كما حققه الحافظ السخاوي، وإليها نُسب الإمام المؤرخ تقي الدين المقريزي صاحب الخطط».
ويبدو أن جَد تقي الدين الشهير بالمقريزي لم يكن مقريزيًّا مهنة أو عملاً، وإنما لسكناه حارة المقارزة.

وجاء في الضوء اللامع (١١/ ٢٢٧): «المَقريزي بفتح أوله نسبة إلى حارة المقارزة ببعلبك: التقي أحمد بن علي بن عبدالقادر المؤرخ، وابن أخيه ناصر الدين محمد».

وفضلنا أن نذكره تقي الدين كما فعل معاصروه.

ولادته:

من الغريب أن يسجل تقي الدين المقريزي تواريخ ولادات معظم المترجمين، ويتردد في تاريخ ولادته هو، ولكن تم التوصل إلى أنها سنة ٧٦٦ هـ.

قال السخاوي في الضوء اللامع (٢/ ٢١): «وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين. وقال شيخنا (ابن حجر): إنَّه رأى بخطه ما يدل على تعيينه في سنة ست وستين، وذلك بالقاهرة ونشأ بها نشأة حسنة».

وقال في التبر المسبوك (ص ٢١): «قلت: حضر وهو في الثالثة على ابن الصائغ مع أبي هريرة ابن الشرف المقدسي وهو في الرابعة، وكان مولد أبي هريرة في سنة ٧٦٧ هـ» فيكون مولد المقريزي في سنة ست.

أسرته

ترجم تقي الدين لأبيه وجده لأمه ووالدته وخاله ولزوجه، وسنذكر أرقام هذه التراجم، ولكن المهم ذكر التراجم التي وردت لهم في كتب ذلك العصر.

والده علي بن عبدالقادر المقريزي:

ترجمته في درر العقود برقم (٨٢٧) وكذلك ترجمة جده عبدالقادر.

وترجمه ابن حجر في إنباء الغمر (ج ١ ص ٢٥٥) فقال: «علي بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم البعلبكي المقريزي علاء الدين، ولد بدمشق وسمع بها، واشتغل وكان حنبليًا، ثم قدم القاهرة فصاهر شمس الدين ابن الصائغ وتزوج ابنته أسماء سنة ٧٦٥ هـ، وكتب التوقيع والشهادة بالديوان عند آقتمر عبدالغني المعروف بالحنبلي النائب بديار مصر. وكان عاقلاً عفيفًا متدينًا، وهو والد العلامة تقي الدين. ومات في خامس عشري رمضان سنة ٧٧٩ هـ».

أقول لقد أخطأ ابن حجر عندما قال آقتمر عبدالغني المعروف بالحنبلي، لأنهما شخصان مختلفان، فقد ورد ذكرهما في الإنباء (ج١ ص ٢٣٠): «واستمر آقتمر الحنبلي نائب دمشق وآقتمر عبدالغني نائب السلطنة بمصر». وكان قد تولى آقتمر الحنبلي النيابة بديار مصر سنة ٧٧٧ هـ بعد منجك، وكذلك في سنة ٧٧٨ هـ وبعد وفاة الملك الأشرف. وبعدما استبد برقوق

وبركة بالحكم في ثالث جمادى الأولى سنة ٧٧٩ هـ، استقر آقتمر في نيابة الشام وتوفي في شهر رجب.

وحيث إنَّ العمل في ديوان الإنشاء كان ذا تأثير كبير في حياة تقي الدين المقريزي فمن المفيد ذكر ما يُعَرِّف بآقتمر الحنبلي. فقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١١/ ١٩١) في سنة ٧٧٩ هـ: «وتوفي الأمير الكبير سيف الدين آقتمر الصاحبي المعروف بالحنبلي، نائب السلطنة بديار مصر ثم بدمشق في ليلة الحادي عشر من شهر رجب، وكان من أجل الأمراء وأعظمهم، باشر نيابة دمشق مرتين وتولى قبلها عدة ولايات، ثم بعد النيابة الأولى لدمشق ولي نيابة السلطنة بالقاهرة، وساس الناس أحسن سياسة وشُكرت سيرته. وكان وقورًا في الدول مهابًا، وفيه عقل وحشمة وديانة. وكان سُمِّي الحنبلي لكثرة مبالغته في الطهارة والوضوء». وكان قد ذكر نيابته بالديار المصرية سنة ٧٧٨ (١١/ ١٥٢) وفي دمشق (١١/ ١٥٤). ثم ذكر في حوادث سنة ٧٨٣ وفاة آقتمر عبدالغني (١١/ ٢١٩). وقال في المنهل الصافي (٢/ ٤٩٢): «ولي نيابة السلطنة بديار مصر بعد موت الأمير منجك اليوسفي سنة ٧٧٧ هـ، واستمر في النيابة إلى أن مات بالقاهرة في سنة ٧٧٩ هـ».

أما آقتمر عبدالغني فقد توفي سنة ٧٨٣ هـ (النجوم الزاهرة ١١/ ٢١٩، والمنهل الصافي ٢/ ٤٩٣ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٩).

وذكر المقريزي في ترجمة إبراهيم الوزير الصاحب شمس الدين (رقم ٣٥): «وكان رفيقًا لأبي في مباشرة ديوان الأمير آقتمر الحنبلي نايب السلطنة في الديار المصرية. وكان لي إليه تردد، وله بي عناية. وقد أفردنا فصلاً لعمله في ديوان الإنشاء.

والدته:

ووالدته أسماء بنت محمد بن عبدالرحمن بن علي بن أبي الحسن السعودي المعروف بابن الصائغ الحنفي (ترجمة رقم ٣١٨) ذكر لها ترجمة طويلة فيها: إنَّها ولدت بالقاهرة سنة ٧٤٧ هـ وتوفيت سنة ٨٠٠ هـ. تزوجها والده سنة ٧٦٥ وتوفي سنة ٧٧٩ وكان عمر تقي الدين ١٣ سنة. وله أخوان محمد وحسن لم يذكر عنهما شيئًا. ويظهر أنَّ والدته كانت مصابة بمرض في جفنيها اقتضى قطعهما بالحديد ويصف ذلك (أقول: يظهر أنه شَتر خارجي ينتج عن مرض التراخوما المزمنة، وهي منتشرة في مصر). ولها ترجمة في

إنباء الغمر في وفيات سنة ٨٠٠ هـ (٣/ ٤١٨) قال فيها: «كانت عاقلة فاضلة دَينة».

جده لأُمِّه:

محمد بن عبدالرحمن، شمس الدين أبو عبدالله ابن الصائغ الحنفي السعودي جد تقي الدين المقريزي لأمِّه، ولد بالقاهرة سنة ٧٠٧ هـ وتوفي سنة ٧٧٦ هـ. ولي التدريس في مواضع كثيرة وخلع عليه في سنة ٧٦٥، واستقر في إفتاء دار العدل، ثم أضيف إليه قضاء العسكر. كتب له المقريزي ترجمة طويلة (رقم ١١٥٧).

ويذكر في ترجمة محمد بن علي القطان (رقم ١٣٧٣): «أخذ العربية عن جدي لأُمي شمس الدين محمد ابن الصائغ». وفي ترجمة رقم ١٣٩٩ مريم بنت أحمد الأذرعي (٧١٩ - ٨٠٥ هـ) أخت الشيخ شمس الدين محمد الخطيب بجامع شيخو بالقاهرة: «صديق أبيَ ووصي جدي لأمِّي. وتصدر أبوها شهاب الدين أحمد بالجامع الحاكمي من القاهرة».

ومن المفيد أن نذكر له ترجمة أخرى، فقال ابن حجر في إنباء الغمر (ج ١ ص ١٣٧) في وفيات سنة ٧٧٦: «محمد بن عبدالرحمن بن علي ابن أبي الحسن الزمردي، الشيخ شمس الدين ابن الصائغ الحنفي النحوي. ولد سنة ثمان وسبع مئة أو بعدها بقليل، وسمع من الحجار والدبوسي وغيرهما، واشتغل في عدة فنون ولازم أبا حيان، ومهر في العربية وغيرها، ودَرَّس بجامع ابن طولون للحنفية، وولي قضاء العسكر في سنة ثلاث وسبعين. وكان فاضلاً بارعًا، حسن النظم والنثر، كثير الاستحضار، قوي البادرة، دمث الأخلاق، وهو القائل:

لا تفخرنَّ بما أوتيت من نِعمٍ على سواك وخف من كَسر جبار
فأنت في الأصل بالفخار مُشْتَبهٌ ما أسرع الكسر في الدنيا لفخارِ

ثم يذكر تصانيفه وأنه مات في شعبان ٧٧٦ هـ. وقد سبق أن ذكر حوادث سنة ٧٧٣ هـ (١/ ١١): «وفيها استقر شمس الدين ابن الصائغ الحنفي في قضاء العسكر وفي تدريس التفسير بجامع ابن طولون عوضًا عن السراج الهندي بعد موته».

جده لأبيه:

قال في السلوك لمعرفة دول الملوك (ج ٢ القسم الثاني ص ٣٦٥ سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة: «ومات جدي الشيخ محيي الدين أبو محمد عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبدالصمد بن أبي الحسن ابن تميم المقريزي بدمشق في ثامن عشري ربيع الأول، وكان فقيهًا حنبليًا محدِّثًا جليلاً، سمع ببعلبك من زينب بنت كندي، وبدمشق من عمر ابن القواس وجماعة، وحدث. كتب بخطه كثيرًا وقرأ كثيرًا، وقدم القاهرة وعُدَّ من أعيان الفقهاء المحدثين وقال في ترجمة نصر الله بن أحمد، ناصر الدين الكناني القسطلاني (رقم ١٤٠٩) (٧١٨ - ٧٩٥ هـ): «قرأت عليه وترددت كثيرًا إليه، وكان من أصحاب أبي، وأدرك جدي والد أبي، وما برح يعترف لي ولسلفي بما يعرفه من التقدم في خير الدنيا والآخرة، ويقوم معي فيما دام نفعه».

جدته لأبيه:

ثم إن جدة تقي الدين لأبيه أي والدة علاء الدين علي بن عبدالقادر المقريزي كانت محدثة كذلك وتسمى زينب بنت الكمال (وهي زينب بنت كمال الدين أحمد بن عبدالرحيم بن عبدالواحد المقدسي، ولدت سنة ٦٤٦ هـ وتوفيت سنة ٧٤٥ هـ). فلقد ذكر في ترجمة برهان الدين إبراهيم ابن جماعة (رقم ٣١): «وقد قرأت عليه غير مرة واستفدت منه، وكان صديقًا لأبي، وسمع على جدتي لأبي زينب بنت الكمال كتاب الموطأ على ما أخبرني بذلك من لفظه». وهكذا فإنَّه كان من أسرة علمية واسعة الأطراف.

أخواله:

وذكر خاله قوي الدين محمد ابن الصائغ في ترجمة والدته أسماء رقم (٣١٩).

وخال أمه تاج الدين إسماعيل بن أحمد بن عبدالوهاب المخزومي، له ترجمة طويلة (رقم ٣٤١). ولد سنة ٧٢٥ هـ بالقاهرة، وتوفي في سنة ٨٠٣ هـ، وناب في الحسبة بالقاهرة عدة سنين، وناب في الحُكم عن قاضي القضاة الحنفي، وكان له ثراء وعنده فوائد كثيرة... ومن كلامه الذي كان يؤدبنا به... وقال لي وقد اشتريت جارية للتسرِّي: «يا ابن أختي الجارية مهر

غالٍ، وفرش خالٍ، وابن بلا خال»؟ وقال تقي الدين في ترجمة (رقم ٥٠٧): «سول المولدة، اشتريتها بكرًا سنة تسع وتسعين ثم خرجت من يدي».

ابن أخيه:

محمد بن محمد بن علي بن عبدالقادر ناصر الدين أبو عبدالله بن ناصر الدين بن العلاء المقريزي الأصل القاهري الشافعي ابن أخي التقي أحمد المقريزي، ولد في شوال سنة ٨٠١ هـ بالقاهرة، ونشأ بها فحفظ القرآن والعمدة والتبريزي، وعرضهما على جماعة كالعز ابن جماعة والشهاب الأوحدي والزين القمني وأجازوه، والبيجوري والبلالي وغيرهما ممن لم يجز، وكان عرضه للعمدة في سنة عشر وحينئذ ففي مولده نظر. وحدث، فسمع منه بعض الطلبة، أجاز لنا. وكان أحد الصوفية السعيدية، وفي كلامه تزيد. مات في يوم الجمعة سادس المحرم سنة سبع وستين، عفا الله عنه (الضوء اللامع ٩/ ٥٠) (ويقصد السخاوي أنَّه لابد وأن يكون قد ولد قبل سنة ٨٠١ هـ ليتمكن من عرض كتاب العمدة سنة ٨١٠ هـ).

زوجه أم ابنيه:

سَفْرى ابنة عمر بن عبدالعزيز، تزوجها سنة ٧٨٢ هـ وعمرها ١٢ سنة. ابناها محمد أبو المحاسن ولد سنة ٧٨٦ هـ وعلي أبو هاشم ولد سنة ٧٨٩ هـ. وتوفيت سنة ٧٩٠ هـ (ترجمتها رقم ٤٨٨). ولكنه يذكر في ترجمة محمد بن أبي بكر القباني عابر الرؤيا (رقم ١٠٢١): «ووضعت زوجي سفرى ابنة سراج الدين عمر بن عبدالسلام بن عبدالصمد البغدادي ابني أبا هاشم علي في سنة ٧٨٨ هـ». ويظهر الاختلاف في اسم الجد في الترجمتين.

أصهاره:

يذكر في ترجمة عبدالكريم بن أحمد النستراوي (رقم ٦٢٩): «كان جارنا مدة ثم صار بيننا وبينه صهارة». وفي ترجمة علاء الدين علي بن محمد الحلبي ابن القرمي (رقم ٧٧٨): «صحبناه دهرًا وكانت بيننا صهارة».

وفاته:

قال السخاوي في الضوء اللامع (٢/ ٢٥): «مات في عصر يوم الخميس سادس عشري رمضان سنة خمس وأربعين (وثمان مئة) بالقاهرة بعد مرض طويل، وذلك على ما قاله شيخنا تكملة ثمانين سنة من عمره، ودفن يوم

الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية رحمه الله وإيانا». وكذلك قال في التبر المسبوك (٢٤). وفي المنهل الصافي (١/ ٤٢٠): «توفي يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان. وكُتب على صفحة العنوان من مسودة الكتاب: «توفي جامعه الشيخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في يوم الجمعة سابع عشري من رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وثمان مئة.

إنَّ سبب الاختلاف في التاريخ أنَّه ذكر تاريخ الدفن.

صلات أبيه وجده:

أ - الصداقة:

كان يشير أثناء التراجم إلى نوع من الصداقة مع أبيه أو جده لأُمِّه نذكرها لعلاقتها بسيرة تقي الدين نفسه:

٠١ إبراهيم برهان الدين ابن جماعة (رقم ترجمة ٣١): كان صديقًا لأبي.

٠٢ إبراهيم الآمدي (٣٨): صاحبًا لأبي وتلميذًا لجدي.

٠٣ طاهر بن الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبي (٥٣١): صحبته زمانًا كما صحب أبي.

٤و٠٥ محمد بن أحمد الرفاء (٩٣٥) ومحمد بن علي الطوسي (٩٣٧): من أصحاب أبي وجدي لأُمي.

٠٦ ومحمد بن علي بن حسب الله (٩٥٠): من أصحاب جدي لأمي.

٠٧ ومحمد بن أحمد الأذرعي (٩٧٦): وكان صديق أبي وأجاز لي.

٠٨ ومحمد بن صالح بن أحمد الأسناني (١٠٣٢): ناظر الأوقاف من أصحاب أبي.

٠٩ وصالح بن أحمد (٥١٨): وكان صديقًا لأبي.

٠١٠ الحسن بن عمر بن محمد الشهرزوري (٣٨٩): نشأ في القاهرة من جملة الأجناد وخدم أبي عدة سنين.

٠١١ محمد بن أحمد الحجازي (١٠٢٩): كان يقرىء أخي ناصر الدين محمد القرآن ورافقنا إلى مكة سنة ٧٨٣.

٠١٢ محمد بن حسن البيجوري (٩١٧): مؤدبي.

ب - لهم صلة عمل:

٠١ محمد بن أحمد الأذرعي: صديق أبي ووصي جدي لأمي، ذكره ضمن ترجمة مريم بنت أحمد الأذرعي (رقم ١٣٩٩).

٠٢ محمد بن محمد بن عبدالرحمن الدجوي (٩٨٥): شاهد تركة جدي لأُمي شمس الدين ابن الصائغ وتردد إلى أبي وأجازني بجميع مروياته.

٠٣ عمر بن عبدالمحسن العامري (٧٣٣): ولي تركة أبي وما علمنا عليه إلا خيرًا.

٠٤ محمد بن محمد بن مزهر (١٣٨٢): فلقد كان معتنيًا بأمري وله علي أياد.

جيرانه:

أشار في (١٣) ترجمة إلى أنه جارنا، واختلفت الطريقة التي وصف بها هذه الجيرة ومن المفيد ذكرها حسب نوعها: (١) محمد بن محمد ابن الكويك (رقم ٩٨٩): من أخص جيراننا وأعز معارفنا وأصحابنا، سمعت عليه «الشفا». (٢) عز الدين ابن الكويك (٩٢٩) توفي سنة ٧٩٠ هـ: كان بجواري من حارة برجوان، سمعت عليه ألفية ابن مالك ومقامات الحريري والموطأ. (٣) محمد بن علي الدمياطي (١٠٩٩) توفي بجوارنا سنة ٧٨١ هـ، سمعت عليه كتاب فضائل الخيل. (٤) عبدالله بن محمد (٦٧٨): حدث وسمعت منه. (٥) محمد بن عبدالله القوصي (١١٤٥): باشر عدة أوقاف. (٦و٧) حسن بن عبدالعزيز اللخمي توفي ٧٧٤ هـ عم عبدالكريم بن عبدالعزيز وخال محمد بن عبدالعزيز (رقم ٤٠٠ و٤٠٥): من سراة وأعيان النبلاء وكلهم جيراننا ويعدون من رؤساء القاهرة (٨) محمد بن محمد بن جعفر الشريف شمس الدين الدمشقي (٩٨٢): وجاورني عدة سنين. توفي سنة ٨٠٩ هـ. (٩) أبو بكر بن عمر القمني (٦٦) صحبته ثم جاورته سنين فبلوت منه دينًا وخيرًا. (١٠) محمد ابن علي الإسكندراني (١٠٠٦): قدم علينا القاهرة قديمًا ونزل بجوارنـا. (١١) أبو بكر بن عبدالعزيز ابن جماعة (٥٦): جاورنا سنين عفا الله عنه يظهر من هذا عدم رضا المقريزي عن جيرته. وفي ترجمته في الضوء اللامع ١١/٤٧ أنه اشتغل بالعلم ثم ترك لِمَيْله للهو والبطالة. (١٢) محمد بن أبي بكر بن عبدالعزيز ابن جماعة (٩٩٢): إنَّ أباه كان يسكن جوارنا، وكان لنا درس عند

شيخنا علاء الدين علي بن صغير (١٣) محمد بن عبدالدائم سبط ابن الميلق (٩١٨): لقد جاورنا مدة كان أولاً يتزيا بزي الفقراء (الطرق الصوفية).

فيبدو الثناء على بعضهم والسكوت عن الآخرين. ويشير في إحداها إلى محل السكن في حارة برجوان، وحيث إنَّ الوفيات هي في السنوات ٧٧٤ و٧٨١ و٧٩٠ و٨٠٩، مما يدل على أنه كان في هذا السكن مدة ٣٥ سنة على الأقل، وربما يكون فيه منذ طفولته إذا كانت وفاة والده علي بن عبدالقادر المقريزي في سنة ٧٧٩ هـ.

ولكن يذكر في ترجمة يوسف بن إسماعيل الأنبابي (رقم ١٤٥٧): وكنا نسكن على النيل بخط جزيرة الفيل سنة ٧٩٥ هـ فنركب النيل من أنبابة ونأتي إلى الشيخ ابن الملقِّن.

شيوخه:

أ‌- الذين أخذ عنهم دراسة طويلة:

٠١ سراج الدين عمر بن علي بن أحمد ابن الملقِّن: وهو أجل من أخذت عنه العلم (رقم ترجمته ٧٣٩).

٠٢ سراج الدين عمر بن رسلان البُلقيني: سمعت عليه الحديث مع اختصاص به (٧٤٠).

٠٣ برهان الدين إبراهيم الآمدي: لزمته عدة سنين واستفدت منه وانتفعت به (٣٨).

٠٤ إبراهيم البرهان الشامي: سمعت عليه كثيرًا من سنة ٧٨٣ هـ إلى سنة ٧٩٧ هـ أي ١٤ سنة (٣٠).

٠٥ إبراهيم برهان الدين ابن جماعة: قرأت عليه غير مرة واستفدت منه (٣١).

٠٦ علي بن عمر بن سليمان علاء الدين الخوارزمي: أحد الثلاثة الذين نفعني الله بصحبتهم، وله عندي فوائد جمة (٧٩١).

٠٧ أبو بكر بن عبدالله بن مقبل التاجر: لزمته سنين من صغري (٥٧).

٠٨ أبو بكر العماد الحنبلي: خرج من الكتب الستة وغيرها كتابًا كبيرًا في عدة مجلدات سماه الأوامر والنواهي، وكتابًا اختصره بحذف الأسانيد قرأته بأجمعه عليه سنة ٧٩٣ هـ (٨٧).

٠٩ محمد بن محمود النيسابوري (ت ٧٩١): لزمته عدة سنين. قرأ عليه المفصل في النحو وتفسير الزمخشري والهداية في الفقه (رقم ٩٣٣).

٠١٠ محمد بن معالي الحلبي نزيل القاهرة: صحبته سنين واستفدت منه وتأدبت به، فنعم الرجل كان (١٠٧١).

٠١١ محمد بن إبراهيم صدر الدين المناوي: صنف كشف المناهج، سمعته عليه وأكثرت من الاجتماع به في داره (رقم ٩١٤).

٠١٢ ابن خلدون: كان يحضر مجلسه وقرأ عليه كتاب الجمل للخونجي (رقم ٧٢٠).

٠١٣ محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروزابادي الشيرازي، وآخر ما اجتمعت به بمكة سنة ٧٩٠هـ. (١٠٧٣) وقرأت عليه بعض مصنفاته وناولني كتاب القاموس وأجاز لي روايته وجميع ما يجوز له وعنه روايته. وأفادني عدة فوائد جمة.

٠١٤ وكان قد بدأ بالسماع من جده لأمه العلامة شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ابن الصائغ (رقم ١١٥٧).

ب - الشيوخ الذين أخذ عنهم أو سمع عليهم:

٠١ إسماعيل بن عمر بن كثير: سمعت عليه بعدما كُفَّ بصره الحديث المسلسل بالأوليات، وأجازني مسموعاته ومروياته (رقم ٣٢٨).

٠٢ إبراهيم الدجوي النحوي: حضرت دروسه مرارًا وحفظت عنه إنشادات (٢).

٠٣ أحمد بن عمر الجوهري: صحبته من سنة ٧٨٢هـ. سمعت عليه سنن ابن ماجة سنة ٧٨٥ وسنة ٨٠٨ (١٢١).

٠٤ أحمد سويداوي: سمعت عليه كثيرًا (٢٨٨).

٠٥ إسماعيل الباريني: قرأت عليه الفرائض (٣٢٨).

٠٦ سليمان بن خالد بن نعيم البساطي: حتى إني لما قرأت عليه كان جالسًا على نخ من غير فرش (٤٩٧).

٠٧ محمد بن عبدالبر بهاء الدين السبكي: حضرت عليه كتب الحديث وشيئًا من شعره. كان أجازه بالاستدعاء سنة ٧٧١هـ (رقم ١١٥٥).

٠٨ عبدالرحيم بن عبدالوهاب ابن رزين: سمع عليه صحيح البخاري (٥٦٤).

٠٩ عبدالله بن علي الباجي: روينا عنه أشياء متعدّدة ذكرها (٦٥٨).

٠١٠ عبدالوهاب بن أحمد الأخنائي: سمعت عليه موطأ مالك (٧٠٢).

٠١١ عبدالرحمن ابن الشيخة: حدث بالكثير وسمعت عليه (٧١٦).

٠١٢ عبيدالله بن أحمد بن محمد قاضي القرم: أحد من أخذت عنه العلم (٧٢١).

٠١٣ علي بن إبراهيم القضامي: أنشدني بالجامع الأزهر وذاكرني (٧٧٣).

٠١٤ علاء الدين علي ابن السبع: سمعت عليه كتاب الشفا (٨٥١).

٠١٥ قاسم بن محمد النويري: ولازم قراءة الحديث على الشيوخ، سمعت بقراءته ما شاء الله (٩٠٥).

٠١٦ محمد بن أحمد ابن شيخ البيري: وسمعت بقراءته كثيرًا (٩٦٧).

٠١٧ محمد بن علي ابن الخشاب: أجازني، ثم سمعنا عليه صحيح البخاري (١٠٩٥).

٠١٨ محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري: سمعت عليه واستفدت منه كثيرًا (١٠٧٦).

٠١٩ محمد بن علي شمس الدين ابن البيطار: صحبته من قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء عدة سنين (١٣٧٠).

٠٢٠ نصر الله بن أحمد البغدادي: نظم غريب القرآن لعزيزي، سمعته منه (١٤١٨).

جـ ٠ الشيوخ الذين أخذ عنهم في مكة:

وقد جاور أربع مرات في سنة ٧٨٣ و٧٨٧ و٨٣٤ و٨٣٩.

٠١ إبراهيم بن علي الشامي في مجاورة سنة ٧٨٧ هـ. سمع من الشفا وصحيح مسلم، وميعاده (٣٦).

٠٢ محمد بن أحمد النويري: صحبته بمكة وسمعت منه أيام مجاورتي سنة ٧٨٣ (رقم ٩١٦).

٠٣ محمد بن علي بن سكر: صحبته وقرأت عليه مسموعاته، ولزمته مدة مجاورتي سنة ٧٨٧ هـ (رقم ٩٢٠).

٠٤ حسن بن لاجين: سمعنا بقراءته صحيحي البخاري ومسلم سنة ٧٨٣ هـ (رقم ٣٩٠).

٠٥ سعدالله بن عمر بن علي الإسفراييني نزيل مكة: حدث بمكة، فسمعت عليه كتاب الشفا (٤٨٦).

٠٦ محمد بن محمد بن أسعد القاياتي: وجاورنا جميعًا بمكة سنة ٧٨٣ وحدث بالفوائد الخلعيات، فرويتها عنه، وسمع معنا على الأميوطي (٩٨٤).

٠٧ محمد بن محمد القلقشندي (ت ٨٣٠): جاورنا بمكة جميعًا ورافقنا في دروس شيخ الإسلام (٩٩٥).

٠٨ إبراهيم بن محمد جمال الدين الأميوطي: وسمعت عليه صحيح البخاري ومسلم بمكة في سنة ٧٨٣ هـ (رقم ٣٣).

٠٩ محمد بن أحمد زين الدين الطبري: صحبته في شهور سنة ٧٨٧ هـ، وقرأت عليه، وأجازني بجميع مروياته (١٣٥٣).

٠١٠ في ترجمة محمد بن علي الزراتيتي (رقم ١٣٧١): سمع معنا على النشاوري، وصحبنا في وروده وتردد إليَّ بالقاهرة.

إن مجموع عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم في البلاد المصرية ٣١ والذين أخذ عنهم في مكة ١٠ والمجموع الكلي ٤١. بينما ذكر في المنهل الصافي (١/ ٤١٥) أسماء تسعة وقال: وغيرهم. وفي التبر المسبوك ص ٢١ أسماء ١٩ شيخًا وقال: وغيرهم.

الإجازة:

الإجازات بالفتيا والتدريس والرواية وعراضات الكتب ونحوها لها أهميتها (صبح الأعشى ١٤/ ٣٢٢). أما الإجازة بالفتيا، فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرِّس، ويكتب له بذلك. وفي إجازة الرواية يكتب: أجزت له مع ذلك أن يروي عني مالي من التآليف، وأجزت له مع ذلك ما جاز لي وعني روايته بشرطه عند أهله.

وأما الإجازة بعراضة الكتب فقد جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتابًا في الفقه أو أصول الفقه أو النحو أو غير ذلك من الفنون يعرضه على مشايخ العصر فيفتح الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب ويفتح منه أبوابًا ومواضع يستقرئه إياها من أي مكان، فإذا مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم استدل بحفظه تلك المواضع على حفظه جميع الكتاب وكتب له كل من عرض عليه في ورق مربع صغير. (١٠/ ٣٢٧).

وأما الإجازة بالمرويات على الاستدعاآت (١٠/ ٣٣٢)، فمن ذلك ما يكتبه الشيخ على استدعاء كتب له به طالبُ الإجازة أجزتُ لك أن تروي هذه عني.

ولقد ذكر المقريزي في كتابه هذا في الترجمة أنه «أجازني»، وعددهم ٢٥ وكذلك أجازني باستدعاء وعددهم ٤، فيكون المجموع ٢٩ بينما ذكر في التبر المسبوك (ص ٢١) أسماء سبعة وقال: وغيرهم، وقال في المنهل الصافي (١/ ٤١٦): وله إجازة من الشيخ شهاب الدين الأذرعي والشيخ بهاء الدين أبي البقاء والشيخ جمال الدين الإسنوي وغيرهم. وفيما يلي أسماء الذين أجازوه التي وردت في درر العقود الفريدة.

الذين أجازوه:

لقد أجازه كثيرون سنة ٧٧١ هـ وكان عمره آنذاك خمس سنوات وأجازه كثيرون بعد ذلك.

٠١ إبراهيم بن إسحاق الآمدي سنة ٧٧١ هـ (رقم ٩).

٠٢ إبراهيم بن أحمد الخشاب سنة ٧٧١ هـ (رقم ١٢).

٠٣ أبو بكر عماد الدين ابن العماد ٧٧١ هـ (رقم ٦١).

٠٤ أحمد بن أحمد بن أحمد الأذرعي: أجازني وكتب خطه في جمادى الأولى سنة ٧٧١ هـ (رقم ١٦٨).

٠٥ حسن بن علي بن عمر الكتاني: أجازني وكتب خطه بذلك في جمادى الأولى سنة ٧٧١ هـ (رقم ٣٩٥).

٠٦ حمزة بن علي بن محمد السبكي: أجازني في جمادى سنة ٧٧١ هـ (رقم ٤٣١).

٠٧ عبدالرحمن بن علي ابن القارىء سنة ٧٧١ هـ (رقم ٥٨٥).

٠٨ عبدالقادر بن محمد القرشي سنة ٧٧١ هـ (رقم ٦٢١).

٠٩ عمر بن أحمد بن عوض وكتب خطه سنة ٧٧١ هـ (رقم ٧٤٦).

٠١٠ علي نور الدين الزرندي: كتب خطه بذلك سنة ٧٧١ هـ (رقم ٧٩٩).

٠١١ فاطمة بنت علي المخزومي. أجازت لنا وكتب عنها أخوها شمس الدين محمد سنة ٧٧١ هـ (رقم ٨٩١).

٠١٢ محمد بن عبدالكريم الحلبي: أجازني سنة ٧٧١ هـ وكتب خطه بذلك (رقم ١٠٩٣).

٠١٣ محمد بن عبدالله المقدسي: أجازني سنة ٧٧١ هـ وكتب بخطه (رقم ١٠٨٣).

٠١٤ عبدالرحيم بن الحسن جمال الدين الإسنوي، وكتب لي خطه سنة ٧٧٧ هـ (رقم ٥٦٢).

٠١٥ أحمد ابن عسكر. أجازه (رقم ٢٤١).

٠١٦ أحمد القوصي. أجازه (رقم ٢٧٨).

٠١٧ أحمد بن خليل كيكلدي. أجازه (رقم ٢٨٢).

٠١٨ جلال الدين بن أحمد التباني التركماني. ممن أجازني وكتب لي خطه (رقم ٤٦٣).

٠١٩ زينب بنت عز الدين ابن جماعة. أجازت لنا ما يجوز لها روايته (رقم ٤٧٠).

٠٢٠ سالم بن ياقوت عبدالله المكي. أجاز لنا جميع ما يجوز له روايته (رقم ٤٧٦).

٠٢١ فاطمة بنت أحمد القرشي. ولي منها إجازة (رقم ٨٩٠).

٠٢٢ محمد بن محمد النيسابوري الحنفي. قرأت عليه وكتب لي خطه (٩٢١).

٠٢٣ محمد بن علي بن منصور الدمشقي الحنفي. قرأت عليه وكتب لي خطه (٩٢٢).

٠٢٤ محمد بن أحمد الأسمري. لي منه إجازة (رقم ١٠٥٢).

٠٢٥ محمد بن أحمد الصالحي. وهـو ممن أجازني (رقم ١٠٧٤).

الذين أجازوه باستدعاء:

٠١ عائشة بنت أحمد بن إسماعيل.. ابن الأثير التنوخي. أجازتني... كتب بذلك خطها في استدعاء (رقم ٥٣٦).

٠٢ سراج الدين عمر بن إسحاق الهندي. أجازني في استدعاء سنة ٧٧١ هـ (رقم ٧٤١).

٠٣ سراج الدين عمر بن عبدالعزيز ابن جماعة. كتب لي خطه في الاستدعاء جمادى ٧٧١ هـ (رقم ٧٥٠).

٠٤ عمر بن الحسن بن محمد. كتب لي خطه في الاستدعاء جمادى ٧٧١ هـ (رقم ٧٥٧).

الذين أحضروا للدرس وهم أطفال:

٠١ محمد بن علي الشهير بابن قواليح: حضر في الثالثة من عمره على عمر ابن القواس وفي الرابعة على اليونيني (رقم ١٠٩٦).

٠٢ محمد بن محمد المقدسي: أحضر في الثانية أو الثالثة على أحمد بن محمد المرداوي (رقم ١١٧٢).

٣٠ محمد بن أحمد العدوي: أحضر في الثالثة على الميدومي، ولعله آخر من بقي ممن أخذ عنه (رقم ١١٩٠).

ويلاحظ أنَّ المؤلف نفسه أخذ إجازات سنة ٧٧١ هـ وعمره خمس سنوات فقط.

روايته للحديث:

لقد كان لتقي الدين اهتمام كبير بعلم الحديث، وسمع عن عدد كبير من المحدِّثين والعلماء، ولكن لم نجد له طلابًا كثيرين يأخذون عنه أو يجيزهم.

والذي توصلنا إليه من ترجمات بني ظُهيرة في الضوء اللامع في الجزء التاسع سماع محمد ولي الدين أبي عبدالله ابن ظُهيرة الشافعي على المقريزي وكان ولي الدين هذا ولد سنة ٨١٣ بمكة وتوفي فيها سنة ٨٩٠ (الضوء اللامع ٩/٢١٧)، وكذلك محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة، الجمال أبو المكارم بن النجم أبي المعالي بن

الكمال أبي البركات بن الجمال أبي السعود القرشي القاهري المولد المكي الشافعي. . . سمع من التقي المقريزي إمتاع الأسماع له. وكان محمد هذا ولد في القاهرة سنة ٨٢٤ وتوفي بمكة سنة ٨٩١.

وفي بداية الجزء الأول من كتاب التاريخ المقفى الموجود في لايدن في هولندا (رقم ١٣٦٦ أ) ولدينا نسخة مصورة منه ذكرت رواية المقريزي للحديث. ونصها: «من عوالي مرويات الفقيه المحدِّث الزاهد أبي عبدالله محمد بن القاضي أبي الحسين بن علي بن عبدالله بن قطرال، رواية العلامة جلال الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري، عنه رواية قاضي القضاة بمكة المشرفة كمال الدين أبي الفضل محمد بن أحمد النويري رواية كاتبه أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المقريزي الشافعي عنه سمع جميع هذا الجزء بقراءة كاتبه محمد بن محمد بن إدريس العلوي على مولانا الإمام المسند تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي أبقاه الله بسعده سنة تسع وثلاثين وثماني مئة وسمعه. . .».

وقال ابن تغري بردي في المنهل الصافي ١/٤١٧: وسمعت عليه (أي المقريزي) كتاب فضل الخيل للحافظ شرف الدين الدمياطي بكماله في عدة مجالس، بقراءة الحافظ قطب الدين محمد الخضيري، بسماعه من الحراوي، بسماعه من المصنف، وأخذت عنه وانتفعت به واستفدت منه.

وفي ترجمة محمد بن محمد بن أسعد القاياتي - وحدث بالفوائد الخلعيات فرويتها عنه (رقم ٩٨٤).

وفي ترجمة رضوان بن محمد بن يوسف العقبي يذكر أنه استجازني (رقم ٤٦٥). والذي يبدو من سيرة تقي الدين أنه سمع كثيرًا من الحديث النبوي وحدث قليلاً.

ويقول في المنهل الصافي (١/٤١٨): وصنف كتبًا كثيرة من ذلك إمتاع الأسماع في ما للنبي من الحفدة والمتاع، في ست مجلدات. . . وحدث به في مكة. قال لي مؤلفه: سألت الله تعالى أن تكتب من هذا الكتاب نسخة بمكة وأن أحدِّث به، فوقع ذلك في مجاورتي ولله الحمد.

ويذكر في الضوء اللامع (٢/ ٢٢) أنه تولى قراءة الحديث بالمؤيدية.

وقال ابن حجر في المجمع المؤسس (الترجمة ٤٠٨) وسمع الحديث وقرأ بنفسه. . . وأعلى من عنده (يعني من شيوخه) ناصر الدين محمد بن علي

ابن يوسف بن إدريس الدمياطي الحراوي الطبردار وسمع عليه «فضل الخيل».
وجاء في النجوم الزاهرة (١١/ ٢٠٠) في سنة ٧٨١- وتوفي الشيخ المُسند المعمَّر ناصر الدين محمد الكردي الحرازي المعروف بالطَّبردار في ثامن عشر شهر ربيع الأول، وكان سمع الكثير وتفرد بأشياء كثيرة منها «كتاب فضل الخيل» سمعه من مصنِّفه الحافظ شرف الدين عبدالمؤمن الدِّمياطي، وهو آخر من روى عنه. . . . وذكره ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٨١) ولقبه الحراوي.

وقال في ترجمة محمد بن محمد الكركي (رقم ١٣٢٦): له مراسلات يسألني عن مسائل فكتبت له عدة رسائل وفقه الله بها إلى اتِّباع السُّنة.

ويذكر في ترجمة يحيى بن أبي بكر العامري (رقم ١٤٢٨): قدم علي بمكة في يوم عيد الفطر سنة ٨٣٩ وأنا مجاور بها بقصد زيارتي وسماع الحديث عليّ والإجازة بما لي من الرواية والتصنيف.

مذهبه:

مذهب تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي كان موضع اهتمام من المؤرخين المعاصرين له. كما أنه كان يذكر دائمًا مذهب المترجمين وكذلك تحولهم من مذهب إلى آخر. ويبدو أنه لم يكن متعصِّبًا بمذهبٍ مُعين.

قال المقريزي: ومات جدي الشيخ محيي الدين أبو محمد عبدالقادر. . بدمشق في ثامن عشري ربيع الأول (٧٣٣) وكان فقيهًا حنبليًّا محدِّثًا جليلاً سمع ببعلبك من زينب بنت كندي، وبدمشق من عمر بن القواس، وجماعة، وحدث. وكتب بخطه كثيرًا وقرأ كثيرًا وقدم القاهرة وعُدَّ من أعيان الفقهاء المُحدِّثين (السلوك ج٢ /٢/ ٣٦٥). وقال ابن حجر العسقلاني (المعجم المؤسس الترجمة ٤٠٨): وكان جده لأبيه عبدالقادر بن محمد حنبليًّا، وتبعه أبوه، ومات وهو صغير (كان عمره عند وفاة والده ١٣ سنة (انظر ص ١٤ من المقدمة) فنشأ هو على مذهب جده لأمه العلامة شمس الدين ابن الصائغ الحنفي (ترجمته في العقود رقم ١١٥٧) ثم لما تيقظ ونبه تحول شافعيًا. ويقول ابن تغري بردي في المنهل الصافي ١/ ٣٩٤: وتفقه على مذهب الحنفية وهو مذهب جده لأمه العلامة شمس الدين محمد ابن الصائغ، ثم تحول شافعيًا بعد مدة طويلة لسبب من الأسباب ذكره له. . . وكان منقطعًا للعبادة والخلوة، قل أن يتردد إلى أحد إلا لضرورة، إلا أنه كان كثير التعصُّب على السادة الحنفية وغيرهم لميله إلى مذهب الظاهر. وقال الشوكاني في البدر

الطالع ١/ ٧٩: وتفقه حنفيًا على مذهب جده لأمه ثم تحول شافعيًا. قال السخاوي ولكن كان مائلاً إلى الظاهر. وكذا قال ابن حجر أنه أحب الحديث فواظب عليه حتى كان يُتهم بمذهب ابن حزم انتهى. ويقول كذلك: وصارت له فيه (أي التاريخ) جملة تصانيف كالخطط والآثار للقاهرة وهو من أحسن الكتب وأنفعها، وفيه عجائب ومواعظ، وكان فيه ينشر محاسن العبيدية ويفخِّم شأنهم ويشيد بذكر مناقبهم، وكنتُ قبل أن أعرف انتسابه إليهم أعجب من ذلك كونه على غير مذهبهم فلما وقفت على نسبه علمت أنه استروح إلى ذكر مناقب سلفه.

وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٧/ ٧٤ في ترجمة أحمد بن محمد بن إسماعيل (الظاهري): وأطنب المقريزي في الثناء عليه وأمعن وزاد لكونه ظاهريًا. ونجد أن المقريزي قال في ترجمة الشيخ أحمد المذكور ما يلي (رقم ٢١٤): وكان أبوه من أعيان العدول فصحب أحمدُ سعيدَ السحولي فأحاله إلى العمل بالحديث طريقة الفقيه أبي محمد ابن حزم في فروع الشريعة، وإلى أصول شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس ابن تيمية، فمال إلى ذلك وبرع فيه، وناظر من جادله على ما يعتقده فَنُبزَ بمذهب الظاهر، وصار يُعرف بالظاهري. وتنظر الترجمة رقم (٨٤٥).

ويقول ابن حجر في رفع الإصر (ج ٢ ص ٣٤٧): والعجب أنَّ صاحبنا المقريزي كان يفرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر وشهروا بالفاطميين إلى علي، ويخالف غيره في ذلك، ويدفع ما نقل عن الأئمة في الطعن في نسبهم ويقول: إنّما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي. وكان صاحبنا (يقصد المقريزي) ينتمي إلى الفاطميين، فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبتهم. . .

والذي يبدو من سيرة تقي الدين أنّه قرأ على الفقهاء الحنفية، وكذلك قرأ على الفقهاء الشافعية وكان أبوه وجده حنبليين، وكان يذكر ابن تيمية بإعجاب ويسهب في تراجم الظاهرية أو أتباع ابن حزم، كما كان يتردَّد على أصحاب الطرق الصوفية. ويذكر في ترجمة عبدالله بن محمد الحضرمي (رقم ٦٥٥): قرأ علي شيئًا من كتب التصوُّف وكتبت له شيئًا في كيفية السلوك. ويقول في ترجمة محمد بن ناصر الفوي (رقم ١٠٤٧): صحب جماعة من أهل طريق الله وصحبني فانتفعت به.

ويبدو أنَّ الآراء التي أبداها بعض علماء الدين في دمشق أزعجت السلطان في القاهرة إذ ذكر ابن قاضي شهبة (التاريخ حوادث ٧٨٤، ٣/ ٨٩) ما يلي: جاء مرسوم من السلطان في تاسع عشري شوال سنة ٧٨٤هـ وفيه: «وبلغنا أن بدمشق جماعة ينتحلون مذهب ابن حزم وداود الظاهري، ويدعون إليه ويظهرون مقالته منهم: القرشي وابن الجابي وابن الحُسباني والياسوفي، ومرسومنا يتقدم بطلب المذكورين، فإن ثبت عليهم في ذلك شيء عمل معهم ما يقتضيه الشرع الشريف من الضرب والنفي وقطع معاليمهم ويولاها من هو من أهل السنة والجماعة. وبلغنا أنَّ بدمشق جماعة من الشافعية والمالكية والحنابلة يظهرون البِدَع ومذهب التَّيْميين -أو نحو هذه العبارات- فقرىء المرسوم على القضاة والعلماء... وسئلوا كلهم عن أولئك المنسوب إليهم مذهب الظاهرية، فأجابوا أنَّهم لا يعرفون منهم إلاَّ خيرًا، ولا يعرفون نسبتهم إلى ما ذكر عنهم».

العلوم الأخرى:

ولقد أخذ تقي الدين المقريزي علومًا أخرى ذُكر منها في الضوء اللامع (٢/ ٢٤): الخبرة بالزايرجة والاصطرلاب والرمل والميقات، بحيث إنَّه أخذ لابن خلدون طالعًا والتمس منه تعيين وقت ولايته فيقال: إنَّه عين له يومًا فكان كذلك. وقال المقريزي في ترجمة علي بن حامد البويطي الحاسب (رقم ٨٣١): وعنه أخذت علم الميقات ومعرفة طريق الحساب بالقلم الهندي، ومعرفة حل الزيج. وفي ترجمة محمد بن محمد الدماميني (رقم ٩٥٣): فلقد صحبته مدة وبلوت منه معرفة تامة بصناعة الحساب.

علم الحَرْف:

قال في ترجمة مهنا بن حسن البغدادي (رقم ١٤٠٨): أحد شيوخ علم الحرف، صحبني سنين وكانت عنده فوائد.

حَلُّ المترجَم:

المترجم أن يكتب الكلام بطريقة لا يفهمها إلاّ من يعرفها ولقد شرح القلقشندي جَل المُتَرْجَم صبح الأعشى (٩/ ٢٣٩).

وهو ما يسمى الشفرة في الوقت الحاضر. قال في ترجمة أحمد بن علي ابن إسماعيل الظريف (رقم ١٦٤): صحبته سنين، وقد شاهدت منه في حل

المترجم ما يشبه السحر.

علاقاته الاجتماعية في القاهرة:

قضى تقي الدين المقريزي معظم حياته في القاهرة، وكان من الطبيعي أن تكون له علاقات اجتماعية مع كثير من الذين ترجمهم. وكان يصف ذلك بطريقة تظهر مدى قوتها أو صميميتها، فكان أقلها: تردد إلي سنين، أوترددت عليه كثيرًا، أو صحبته سنين، أو صحبته سفرًا وحضرًا أو صحبته واستفدت منه، أو كان بيني وبينه صداقة، وفي بعض الأحيان يقول: ولي به أنس، أو نعمَ الرجل هو. مجموعهم ٦٢. ولقد قمنا بترتيب هذه العلاقة حسب نوعيتها:

(أ) تردد إلي سنين عددهم ٢٤.

(ب) صحبته سنين عددهم ٢٣.

(جـ) صحبته سنين واستفدت منه أو نفعني الله به عددهم ٦.

(د) كانت بيني وبينه صداقة وما يشبه ذلك وعددهم ٩.

وسنذكر فيما بعد من كانت له صلة اجتماعية بهم في دمشق وفي مكة، وكذلك من كانت له صلة بهم من أصحاب السلطة والحكم.

(أ) من تردد إلي سنين، أرقام تراجمهم: ١٠١ و٣٤٠ و٤٦٢ و٤٨٧ و٥٣٣ و٧٧٤ و٧٩٧ و٨٢٩ و٨٨٠ و٨٨٢ و٩٢٤ و٩٥٧ و٩٦٦ و٩٩٦ و٩٩٧ و١٠٠٣ و١٠٢٠ و١٠٢٧ و١١١٢ و١٣٢٧ و١٣٣٠ و١٣٣١ و١٣٤٤ و١٣٥٥ و١٣٧٥ (مجموع عددهم ٢٤).

(ب) من صحبته سنين، أرقام تراجمهم: ٥٣ و٤٧٥ و٤٨٢ و٥٧٦ و٦٨٩ و٦٩٠ و٦٩١ و٧٠١ و٧٩٦ و٨١٣ و٨٨٦ و٩٢٦ و٩٢٨ و٩٥٩ و٩٨٧ و١٠١٦ و١٠٢٨ و١٠٣٥ و١٠٣٦ و١٠٣٨ و١٠٤٩ و١٢٢٧ و١٢٣٠ (مجموع عددهم ٢٣).

(جـ) من صحبته سنين واستفدت منه أو نفعني الله به وعددهم ستة:

(رقم ٩٥) أحمد بن محمد التنسي: صحبته سنين واستفدت منه.

(رقم ٩٧) أحمد بن عبدالخالق ابن الفرات: تردد إلي سنين وله علي خدمة.

(رقم ١٢٧) أحمد بن علي القصار: صحبته سنين ونفعني الله به نفعًا كثيرًا.

(رقم ٥٧٨) عبدالرحمن بن محمد بن محمد: اجتمعت به سنة ٧٨٧ هـ وأفادني.

(رقم ٩٥٥) محمد بن سلمان الصالحي: قدم القاهرة سنة ٧٨٢ هـ، لزمته مدة وكنت له محبًا ومنه مستفيدًا وكانت عنده فوائد.

(رقم ١١١١) محمد بن أحمد بن محمد: صحبته سنين وهو ممن كان لي به نفع وأنس.

(د) كانت بينهم صداقة وعددهم تسعة:

(رقم ٣٦٩) بكتمُر السعدي: صحبني سفرًا وحضرًا سنين.

(رقم ٤٦٤) رسلان بن أبي بكر البُلقيني: ابن أخي شيخنا البلقيني ورفيقنا في الاشتغال عليه.

(رقم ٥٧١) عبدالرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني: صحبته سفرًا وحضرًا عدة سنين.

(رقم ٥٧٢) زين الدين عبدالرحمن بن علي: كنت أزوره وكنت أستشيره وطالما استشارني.

(رقم ٧١٧) عبدالرحمن بن محمد الزبيدي: كان من أجلِّ معارفي وخيرهم ورعًا.

(رقم ٧١٩) عبدالرحمن بن علي الفارسكوري: كان من خير من صحبت نسكًا ودينًا وخيرًا.

(رقم ٨٠٨) علي نور الدين ابن الملقِّن: كان بيني وبينه صداقة.

(رقم ١٠٣٩) محمد بن حسن الفافوسي: صحبته سفرًا وحضرًا عدة سنين.

(رقم ١١٥٠) محمد بن أحمد المقدسي: أعز أصحابي.

ولابد من الإشارة إلى أن عدد الذين أشار في تراجمهم أنَّه كانت بينهم معاشرة وعلاقات اجتماعية في الديار المصرية، ولا يدخل في ذلك من درس عليهم أو سمع منهم وأصحاب السلطة، هو ٦٢ من مجموع ١٤٧٣ ترجمة تضمنها الكتاب أي ٤,٢ بالمئة، وهذا يؤيد ما ذكره ابن تغري بردي في المنهل الصافي (١/ ٤١٧): وكان منقطعًا في داره ملازمًا للعبادة والخلوة قل أن يتردد إلى أحد إلا لضرورة.

علاقاته الاجتماعية في دمشق:

قضى تقي الدين المقريزي خمس سنوات في دمشق من سنة ٨١٠ هـ إلى سنة ٨١٥ هـ كما ذكر في ترجمة أبي بكر العامري قاضي الزبداني (رقم ٩٠)، فماذا كان يعمل هناك؟ وهل كان يتردد أثناءها على الديار المصرية أو غيرها؟ ولنذكر أسماء الذين كانوا على صلة اجتماعية به آنذاك.

٠١ أبو بكر العامري قاضي الزبداني: لما وردت دمشق من سنة ٨١٠ إلى ٨١٥ هـ لازمني (رقم ٩٠).

٠٢ الشريف علاء الدين ابن عدنان: ولي النقابة بعد أبيه، اجتمع بي مرارًا لما قدمت دمشق وانعقدت بيننا مودة كبيرة (رقم ٨٢٨).

٠٣ محمد بن محمد الأخنائي الدمشقي: تردد إلي بدمشق مرارًا وصحبته بها (رقم ٩٣٦).

٠٤ علي بن عبدالله الغزولي البهائي (توفي سنة ٨١٥ هـ): كان يسكن دمشق وتردد إلي مرارًا.

٠٥ علي بن عبدالله بن سلام: تردد إلي بدمشق مرارًا (رقم ٨٤٦).

٠٦ يحيى بن يوسف المغربي: أقام ببلاد الشام سنين وتردد إلي كثيرًا (رقم ١٤٤٢).

٠٧ علي علاء الدين ابن المغلي: تردد إلي بدمشق وترددت إليه بالقاهرة وصحبني في سوق الكتب (رقم ٧٨٩).

٠٨ أحمد بن حسين بن إبراهيم كاتب السر بدمشق: صحبني مدة وتردد إلي بالقاهرة ودمشق (رقم ١٦٥).

٠٩ محمد بن أحمد المعروف بابن إمام المشهد: تردد إلي بدمشق مرارًا ونعم الرجل لينًا وخيرًا. توفي سنة ٨١٥ (رقم ١٠٠٩).

٠١٠ أحمد ويعرف بصارو: سيدنا تردد إلي بدمشق، وجاءني زائرًا سنة ٨١٣ هـ (رقم ١٥٩).

٠١١ حسين بن علي الأذرعي: قدم القاهرة سنة ٧٩٠ هـ واجتمعت به في مدة طويلة ثم جاءني بدمشق زائرًا. توفي سنة ٨١٤ هـ (رقم ٤٢٥).

٠١٢ محمد بن محمد ابن المغربي: صحبته بدمشق مدة. توفي سنة ٨١١ هـ (رقم ١٠٢٦).

٠١٣ محمد بن أحمد الفيشي الخياط: كان في دمشق سنة ٨١٣ هـ (رقم ١٠٢٥).

٠١٤ محمد بن علي ابن عدنان الحسيني: قدم القاهرة في كائنة تمرلنك واصطحبنا. مات بدمشق سنة ٨١٤ هـ (رقم ٩٧٥).

٠١٥ محمد بن علي ابن خطيب زرع الدمشقي: ورافقني في سفري إلى دمشق سنة ٨١٠ هـ، وتوفي بعد عودنا ٦ ذي القعدة ٨١١ هـ.

كما أنه قضى مدة في غزة، إذ قال في ترجمة محمد بن خليل العُرضي: تردد إلي بغزة سنة ٨١٢ هـ (رقم ١٠٢٣).

ويقول في الضوء اللامع (٢/ ٢٢): وكان قد اتصل بالظاهر برقوق، ودخل دمشق مع ولده الناصر في سنة عشر، وعاد معه وعُرض عليه قضاؤها مرارًا فأبى... دخل دمشق مرارًا وتولى بها نظر وقف القلانسي والبيمارستان النوري مع كون شرط نظره لقاضيها الشافعي وتدريس الأشرفية والإقبالية وغيرها، ثم أعرض عن ذلك وأقام ببلده (يعني القاهرة) عاكفًا على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبعد فيه صيته...

علاقاته الاجتماعية في مكة:

حج تقي الدين المقريزي موسم ٧٩٠ وموسم ٨٢٥ هـ، وجاور أربع مرات في سنة ٧٨٣ و٧٨٧ و٨٣٤ و٨٣٩ هـ. وأخذ العلم عن عدد من شيوخها ذكرناهم سابقًا (ص ٢٣ من هذه المقدمة). والآن نذكر أسماء من كان يجتمع بهم في مكة حسبما جاء في تراجمهم:

٠١ عبدالوهاب بن عبدالله اليافعي: اجتمعت به في موسم ٧٩٠، ونعم الرجل (رقم ٦٥٥).

٠٢ أحمد بن عبدالمعطي: لقيته بمكة وأخذت عنه (رقم ٢٥٦).

٠٣ أحمد الجوكندار: حج سنة ٧٨٣ هـ وكنت فيها (رقم ١١٨).

٠٤ نور الدين علي بن أحمد النويري: لقيته في مجاورتي سنة ٧٨٣ هـ ونعم الرجل (رقم ٧٨٤).

٠٥ محمد بن رجب ابن كلفت: جاور في مكة سنة ٧٨٣ هـ فصحبته فيها.

٠٦ محمد بن أحمد بن نجم المصري الصوفي: لقيته بمكة سنة ٧٨٣ هـ وسنة ٧٨٧ في مجاورتي (رقم ١٣٨٦).

٠٧ إبراهيم الأخنائي بمجاورتي سنة ٧٨٧ هـ (رقم ١٦).

٠٨ أحمد بن ظُهيرة: في مجاورتي سنة ٧٨٧. تردد إلي (رقم ١٠٢).

٠٩ أحمد بن عبدالله بن بدر الغزي: عرفته بمكة سنة ٧٨٧ ثم في دمشق، يتردد إلي ويهاديني (رقم ١٦١).

٠١٠ علي بن نجم الكيلاني: سكن الحرمين فلقيته بمكة في مجاورتي سنة ٧٨٧ (رقم ٧٨٦).

٠١١ محمد بن علي بن نجم الكيلاني: رأيت له بمكة في مجاورتي لها سنة ٧٨٧ حالاً جليلة (رقم ٩٩٣).

٠١٢ محمد بن محمد الهندي صحبني إلى مكة سنة ٧٨٧ (رقم ١٠٦٦).

٠١٣ محمد بن محمد الدامرجي الهندي: صحبته أثناء مجاورتي سنة ٧٨٧ (رقم ١٠٦٨).

٠١٤ يوسف بن محمد الحميدي: صحبته بمجاورتي سنة ٧٨٧ ونعم الرجل (رقم ١٤٩٣).

٠١٥ عبدالرحمن بن أحمد المقرىء: صحبني أيام مجاورتي بمكة سنة ٨٣٤ هـ ومنه استفدت ترجمة والده (رقم ٥٨١).

٠١٦ محمد بن عبدالله قطب الدين المكي: قدم علي بمكة عندما حجيت سنة ٨٢٥ هـ ولازمني بمجاورتي سنة ٨٣٤ (رقم ١٣٤٦).

٠١٧ شمس الدين البساطي جاور بمكة سنة ٨٣٤ وأنا بها.

٠١٨ محمد بن علي الشيبي: صحبته أثناء مجاورتي بمكة سنة ٨٣٤ (رقم ١٠١٧).

٠١٩ محمد بن إسحاق قاضي مدينة لامو: قدم حاجا وأنا بها في أخريات سنة ٨٣٩، عرف منه غرائب عن بلاد الزنج (رقم ١٢٨١).

٠٢٠ محمد بن إبراهيم المرشدي: توفي وأنا بمكة سنة ٨٣٩ (رقم ١٣٥٨).

٠٢١ صاحبنا نجم الدين بن أبي البركات بن أبي السعود ابن ظهيرة (في ترجمة حسن بن عجلان رقم ٤٠٧).

٢٢• محمد بن حسين بن علي. . . ابن ظهيرة أبو السعود: توفي بمكة سنة ٨٠٢، وتولى ابناه أبو البركات وأبو السعادات قضاء مكة (رقم ٩٦٣).

٢٣• الشيخ عبيد الحرفوش: رأيته بمجاوراتي بمكة وأنس بي ودعا لي (رقم ٦٨١).

٢٤• علي بن أحمد بن محمد السلمي: صحبني مدى أعوام بالقاهرة ومكة وصار مسند الحجاز (رقم ٨٢٢).

٢٥• محمد بن أحمد الفاسي: تردد إلي بمكة والقاهرة (رقم ١٠١٠).

٢٦• محمد بن أحمد الطبري: صحبته بمكة (رقم ١٠١٩).

٢٧• محمد بن أبي بكر ابن الخياط: مع الحديث عن شيخنا مجد الدين الشيرازي (يقصد صاحب القاموس المحيط) رقم ١٣٥٢.

ويبدو من هذا أنَّ الذين كان يجتمع بهم أو لهم علاقة اجتماعية معه في مكة أكثر نسبيًا مما في دمشق والقاهرة، آخذين بنظر الاعتبار أنَّ المجاورة هي لأشهر في كل مرة إذ أنه ذكرها حسب السنوات ٧٨٣ و٧٨٧هـ بينهما أربع سنوات، و٨٣٤ و٨٣٩هـ بينهما خمس سنوات. أما الفاصلة بين المجاورتين الثالثة والرابعة فطويلة مقدارها خمسون سنة حج في أثنائها مرتين سنة ٧٩٠ و٨٢٥هـ.

صلته بكبار الموظفين:

أ• لقد ترجم المقريزي لأصحاب السلطة من الترك والجركس ولكنه في حالات قليلة فقط قال صحبته وهم:

١• سودون الفخري الشيخوني نائب السلطنة: ولقد صحبت الأمير سودون فما كان وجوده إلا رحمة من الله تعالى (عهد الظاهر برقوق) (رقم ٤٩٠).

٢• سودون الظاهري: ولقد صحبته مدة وأطاعه الله لي وأوصل إلي بواسطته نعمة ورياسة (توفي سنة ٨٠٣ رقم ٤٩١).

٣• يلبغا السالمي: صحبته سفرًا وحضرًا وكان لي مُجلاًّ ومعظِّمًا (رقم ١٤٤٦).

٤• جانبك الأشرفي الدَّوادار: صحبته في حجتي سنة ٨٢٥هـ ووعظته مرارًا. . . فلم تمل نفسي إلى صحبته. . . فحماني الله ووقاني (توفي سنة

٨٣١، رقم ٣٨١).

ب٠ أما أصحاب السلطة والوظائف الآخرين فيبدو أنّه كان على صلة مع التالين:

٠١ الرئيس فتح الله فتح الدين كاتب السر (رقم ٨٩٩): لا يسافر إلا وأنا معه. وكانت له فضائل جمة غطاها شحُه، واختلق عليه أعداؤه معايب قد برأه الله منها... فإني صحبته زيادة على ثلاثين سنة... فما علمت إلا ما قلت عنه. ويقول في ترجمة عبدالرحمن بن محمود القرشي (رقم ٥٧٩): أوصلته إلى كاتب السر فتح الدين واستكتبه في الإنشاء. ويقول في ترجمة محمد بن علي ابن خطيب زرع (رقم ١٣٧٤): أوصلته إلى فتح الله كاتب السر.

٠٢ محمد بن محمد بن الشحنة: انتمى إلى فتح الله كاتب السر، وولاه وظائف بالقاهرة، فمرت لنا به ليالٍ وأيام.

٠٣ محمد بن علي ابن فضل الله كاتب السر: باشرت بالتوقيع في أيامه (رقم ٩٤٣).

٠٤ حمزة بن علي ابن فضل الله كاتب السر: ترددت إليه وإلى أخيه وكتبت في ديوان الإنشاء بين يديهما.

٠٥ نجم الدين عمر ابن حجي السعدي (رقم ٨٨١): طالما تردد إلي عند قدومه إلى القاهرة وعند قدومي دمشق وحمل إلي أنواع الهدايا وساعدته في ولاياته بدمشق في الأيام الناصرية فرج.

٠٦ محمد بن محمد البارزي (أصبح كاتب السر): صحبته سنين ونالني منه نفع كثير (توفي سنة ٨٢٣ - رقم ١٠٠٠).

٠٧ يوسف بن أحمد البيري، جمال الدين الأستادار (رقم ١٤٥٩): وكانت بيني وبينه صحبة مدة سنين، ولنا اجتماعات في المسامرة أول الليل بالمدرسة السابقية، حيث كان شيخنا سراج الدين عمر بن المُلقِّن، فإنا كنا نأتي كل ليلة بعد المغرب ونتحادث عنده حتى يمضي كثير من الليل، ومن غاب عتب عليه. وكان جمال الدين من الجماعة الذين يحضرون. ثم لما صار إلى ما صار إليه أكثر من الإفضال علي بماله وجاهه، عفى الله عنه. (ترجمة يوسف ابن أحمد جمال الدين البيري الحلبي رقم ١٤٥٩).

٠٨ سعد الدين إبراهيم بن عبدالرزاق ابن غراب (رقم ٣١): أصبح ناظر الخاص وناظر الجيش في مصر، ثم خلع عليه بالأستادارية كذلك، ثم قبض

عليه وعلى أخيه ماجد، وتقلبت به الأحوال وكانت تربطه بالمؤلف صحبة قوية، ومات ولم يبلغ الثلاثين من العمر.

٠٩ ماجد فخر الدين بن عبدالرزاق ابن غراب (رقم ٩١٢): رافقته وأنا ألي الحسبة، وترددت إليه بعد تركي لها عدة سنين لما كان بيني وبين أخيه (سعد الدين إبراهيم) من الصحبة. استقر في الوزارة ونظر الخاص، ثم سجن وتوفي سنة ٨١١.

٠١٠ محمد بن محمد بن مزهر (رقم ١٣٨٢) له علي أيادي.

٠١١ عمر بن إبراهيم كمال الدين ابن العديم (رقم ٧٣٨): وقد كانت بيني وبينه صحبه أكيدة، وكان لي معظِّمًا يبادر إلى قضاء حوائجي ولا يرد لي قولاً (ولكنـه يصفه بالسوء ويقول: إلا أن الحقَّ أحقُّ أن يتَّبع).

مكوِّنات الترجمة:

تتكون الترجمة عادة من المعلومات المهمة حسب تسلسل اعتيادي:

٠١ الاسم واللقب والكنية، يذكر عددًا من الجدود.

٠٢ وُلد في (يذكر التاريخ بالسنة والشهر واليوم، فإذا لم يكن معروفًا لديه في حينه يترك بياضًا مناسبًا).

٠٣ محل الولادة.

٠٤ وسمع من، ويذكر أسماء الشيوخ الذين سمع منهم والكتب بخاصة الحديث. وعني بالعلم فبرع في الفنون ما بين (تفسير، أصول، فقه، منطق، عربية، فرائض وحساب).

٠٥ درس في....

٠٦ كتب على (الكتب عادة الفقهية).

٠٧ قال الشعر.

٠٨ صفاته: النسك يحتل منزلة خاصة، الحزم، الدعابة.

٠٩ المال، كثرة ماله، اتسعت دنياه.

٠١٠ الوظيفة، كتب في الإنشاء، أو خدم بالتوقيع، أو ناب في الحكم، أو ناب في الحسبة في سنه، أو ولي إمارة كذا، أو جلس بحوانيت الشهود.

١١٠ في تراجم الحكَّام أو من بمقامهم تذكر حوادث التمرد والسجن والقتل والمصادرة، وانشغال بعضهم بقتال الآخرين.
١٢٠ تكرار التعيين والعزل.
١٣٠ مات بكذا (مدينة) في: اسم اليوم وتاريخه والشهر والسنة، وأحيانًا يبقى بعض ذلك بياضًا، والملاحظ أن البياض في الولادة أكثر من الوفاة ذلك أنها قريبة عهد بالتأليف فتكون معروفة.

ولكن كثيرًا من التراجم لا تتضمن كل هذه المعلومات، وإنما يكتفي بما له علاقة بصاحب الترجمة حسب توفر المعلومات أو حسب أهمية المترجم.

أسلوبه في كتابة الترجمة:

أسلوبه هادىء يسرد الترجمة بدقة، فإذا لم تتوفر له المعلومات خاصة تاريخ الولادة والوفاة يتركها بياضًا، ويذكر ما يراه مهمًا، كان لا يذكر الذين يترجمهم بسوء إلا ما ندر، مثلاً بعض الذين أشغلوا مناصب مهمة مثل كاتب السر وإبراهيم سعد الدين ابن غراب (رقم ٣١) وأخيه ماجد (رقم ٩١٢) وكذلك في المقفى ذكره بسوء.

قال في ترجمة القاضي علي نور الدين بن خليل الحكري (رقم ٧٨١): سمت نفسه إلى ولاية القضاء، فسعى إليه بمال... ولم تشكر أيامه ولا حُمدت سيرته. ولي سنة ٨٠٢ هـ وصُرف بعد ما يقرب من سبعة أشهر، وأقام خاملاً حتى مات سنة ٨٠٦ هـ. وكذلك يصف القاضي عمر بن إبراهيم بن محمد كمال الدين ابن العديم (رقم ٧٣٨) بسوء. ويذكر بالسوء عمر ابن حجي نجم الدين السعدي (رقم ٨٨١) كاتب السر بدمشق، وقد قتل سنة ٨٣٠. ويذكر عمر بن عبدالله الأسواني الشاعر بالسوء (رقم ٨٨٠).

ولكن عندما ذكر جيرانه ظهر من الصيغة التي ذكر بها أحدهم وهو أبو بكر بن عبدالعزيز ابن جماعة عدم الرضا، ولدى الاطلاع على ترجمته في الضوء اللامع (٤٧/١١) نجد أنَّه اشتغل بالعلم ثم ترك ومال إلى اللهو والبطالة.

ذكر الخوارق في الترجمات:

يذكر في بعض التراجم أنه هو (المؤلِّف) أو المترجم يرى في المنام (الرؤى والأحلام) أنه قد قرىء عليه أبيات من الشعر أو الدعاء فيستيقظ قد حفظها (رقم ٥٧٦ و٩٥٥ و٩٨٧ و١٠٣٠). وكذلك يذكر الخوارق والكرامات والغيبيّات التي تنسب إلى بعض المترجمين وعددهم عشرون. ونكتفي بذكر أرقام هذه الترجمات: ١٢١ و١٢٧ و٣٥٩ و٣٦١ و٣٦٢ و٣٩٢ و٥٧٦ و٦١٠ و٦٨٩ و٧٢٦ و٧٨٢ و٨١٢ و٨٩٩ و٩٢٠ و٩٣٣ و٩٤٠ و٩٨١ و ١١٠٧ و١١٠٩ و١٢٣٣ و١٣٧٦ و١٣٧٨ و١٤٣٧ و١٤٤٢.

وذكر خوارق كثيرة نقلاً عن ابن خلدون رقم (٧٢٠).

التوازن في التراجم:

كانت معظم التراجم معتدلة تضمنت تاريخ الولادة والوفاة، وأسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم، والكتب التي درسها المترجم، وبعض الأحيان الكتب التي ألفها، وكثير منها شروح. وكانت بعض التراجم لا تتجاوز الثلاثة أسطر، بينما هناك تراجم أطنب المؤلف فيها إطنابًا كثيرًا مثل ابن حجر العسقلاني (رقم ١٢٣)، وأحمد بن محمد ابن البرهان (رقم ٢١٣) وأثنى عليه كثيرًا، وترجمة إسماعيل البلبيسي (رقم ٣٣٩).

ولقد أشار المؤرخون المعاصرون له إلى ذلك، بأنهم كانوا من الذين يتبعون آراء ابن حزم، (ترجمة محمد بن علي ابن النقاش رقم ١٣٢٥) ولهذا فكانوا يعتبرون المقريزي مائلاً إلى أهل الظاهر ولقد أفردنا لمذهبه فصلاً (ص ٢٩).

ولقد أطنب كذلك في تراجم بعض أهل التصوف مثل محمد الفوي (رقم ١٠٤٧) ثم إنه كان يثني على الذين لا يحابون (رقم ٥٨٩).

واختصر بعض التراجم اختصارًا مخِلاًّ خاصة المؤلفين في التاريخ مثل القلقشندي وسماه القرقشندي بالراء بدل اللام ووصفه بأنه مكثار مهذار، مع أنه كان آنذاك قد انتهى من تأليف كتابه صبح الأعشى، وهو موسوعة مهمة لا يستغني الباحثون في الوقت الحاضر عن الرجوع إليها، ولم تتجاوز ترجمته الفعلية بضعة أسطر (رقم ٢٢٢). وكذلك اختصر ترجمة أبي بكر ابن قاضي شهبة (رقم ٦٨) ولم يشر إلى كتابه في التاريخ. أما محمد بن عبدالرحيم ابن

الفرات فترجم له ترجمة مختصرة لا بأس بها في العقود (رقم ١١٣٦) وكذلك في المقفى (ورقة ٢٨ مخطوطة ١٣٦٦ ب).

أما الملوك والحكام فكان يستطرد، فيذكر بداية تكوين تلك الدولة أو الأسرة، وتاريخها حتى يصل إلى الشخص الذي يترجمه مثل العباسيين (رقم ٥٤٤) بني مرين، بني رسول في اليمن، بني بَهْمَن في الهند، وآل جنكيزخان والتيموريين. وأطنب كثيرًا في استقبال أحمد بن أويس في مصر (رقم ١٥٦) وكذلك وصف حفلات أحمد شاه أحد ملوك الهند (رقم ١٩٤).

ولقد أطنب في ترجمة برسباي ومساوئه (رقم ٣٦٤) وأطنب في ترجمة شيخ المحمودي (رقم ٥١٥) بحيث ذكر التفاصيل اليومية.

أما الملك الظاهر برقوق فلم يكتب غير اسمه (رقم ٣٦٢). وترجمة الملك الناصر فرج بن برقوق (رقم ٩٠٠) مختصرة جدًا. ولا تعليل لعدم ترجمة برقوق إلا أن يكون قد كتبها على أوراق منفصلة كما كان يفعل في حالات كثيرة ثم يضيفها إلى الكتاب ففقدت من النسخة التي وصلت إلينا، أو أنه أراد الابتعاد عن الترجمة له.

وكذلك أطنب في ترجمة بعض الملوك في تلك الفترة مثل أحمد بن أويس (رقم ١٥٦) وتيمورلنك (رقم ٣٧٧) وبايزيد ويسميه «أبو يزيد» (رقم ٣٥٨) وأحمد شاه (رقم ١٩٥).

أصحاب التراجم:

لقد حدَّد المؤلف صفة الذين يتضمن الكتاب تراجمهم وهم «الأعيان» كما جاء في عنوان الكتاب، فإذا نظرنا إلى عدد الملوك والأمراء المترجمين وهم (٤٠) وإلى كبار الموظفين مثل كتاب السر (١٥)، والأطباء (٧)، وأصحاب علم الحساب والزيج (٥) مجموعهم ٦٧ يؤلفون ٤,٥ بالمئة من مجموع المترجمين، تبقى الغالبية العظمى من أهل الحديث والعلوم الدينية الأخرى بمن فيهم القضاة ونواب القضاة والشهود.

المؤلفون:

ذكر مؤلَّفات الذين ترجم لهم سواء كانت توليفًا أو شرحًا أو اختصارًا، ولكن هناك حالات كان التأليف فيها بعد ما أنهى المقريزي كتابه فلم يذكرها بطبيعة الحال. وذكر بعض المؤلفين بطريقة تدل على اهتمامه بهم نذكرهم هنا:

٠١ عبدالله بن أحمد البشبيشي (رقم ٦٨٩): صحبته سنين، ألف كتابًا فيه أخبار قضاة مصر لم يصنف مثله. برع في معرفة الوراقة.

٠٢ محمد بن عبدالرحمن (رقم ١٢٧٤): جمع له صاحبنا عمر بن فهد مشيخة.

٠٣ محمد بن عبدالرحيم ناصر الدين ابن الفرات (رقم ١١٣٦): كتب في التاريخ مسودة وتوجد له ترجمة في المقفى (ورقة ٢٨ المجلد رقم ١٣٦٦ ب) قال فيها: وكتب تاريخًا كبيرًا بدأ فيه من الهجرة وقطع على سنة ٨٠٣، توفي سنة ٨٠٧.

٤ • ناصر أحمد البسكري (توفي سنة ٨٢٣) رقم ١٤١٧ تردد إلي زمانا.. وجمع مسودات «تاريخ الرواة» لو بيض لكان مئة سفر... وتلفت مسوداته فلم ينتفع بها.

الأطباء:

ترجم لعدد من الأطباء ولكن هؤلاء هم الذين كانت لهم الرئاسة ويذكر لهم أمورًا غريبة:

٠١ علي بن عبدالواحد ابن الصغير الطبيب (رقم ٧٨٨): يذكر معالجته للمؤلف من ألم في الجنب والصدر.

٠٢ محمد بن أحمد شمس الدين الصغير الطبيب (رقم ١٣٧٥).

٠٣ عمر بن منصور الهادري (٧٦٢ - ٨٣٤هـ): طبيب صحبني وتردد إلي سنين (رقم ٧٤٥).

٠٤ محمد بن عبدالله العمري (رقم ١٠٣٨): غرائب المرض حول حمى الربع.

٠٥ محمود بن قطلوشا السرائي: كان إمامًا من أئمة الحنفية، عارفًا بالطب (رقم ١٣٩٥).

٠٦ يحيى بن محمد تقي الدين ابن الكرماني البغدادي (رقم ١٤٣١): ولد ببغداد سنة ٧٦٣هـ، قدم القاهرة قبيل سنة ٨٠٠هـ، ولاه شيخ نظر المارستان، وله مصنف بالطب.

٠٧ يوسف بن إبراهيم الداودي (رقم ١٤٥٨): الطبيب بن الطبيب.

وكان معظم الأطباء آنذاك لهم دراسات دينية في عين الوقت، ومن الطبيعي أن يكون هناك أطباء غيرهم فقد ذكروا في إنباء الغمر لابن حجر في الجزء الأول في الصفحات ٩٤ و١٠١ و٢٢٩ و٥١٤.

التقنيات:

وذكر عددًا قليلاً من الذين أتقنوا علم الهيئة والهندسة والحساب وحل الزيج، ووصف «آلة رصدية» أنشأها أحدهم في داره وهو علي بن إبراهيم بن محمد الشيخ علاء الدين ابن الشاطر (ترجمة رقم ٨٤٢) وكان قد أتقن هذه العلوم في القاهرة والإسكندرية. قال: كانت له بدمشق دار حسنة الوضع ورصد الكواكب، وانفرد في زيجه بمسائل، ووضع آلة رصدية بديعة صور فيها الأفلاك والكواكب وهي سابحة فيها، ترى حركاتها في هذه الآلة وهي طالعة وغاربة ومتوسطة، إلى غير ذلك من أحوالها، وكان يخرج منها زمرًا ينطق بكلام بالسريانية. حدثني عنه وعن مشاهدة رصده ورؤية هذه الآلة صاحبنا الفاضل علي السكندري الحاسب (ترجمته رقم ٨٣١). ولم يزل بدمشق حتى مات بها في شهر ربيع الأول سنة ٧٧٧ هـ، وعلى زيجه معول جماعة بالقاهرة ودمشق.

قال في ترجمة عبدالله بن محمد (رقم ٦٧٣): إنه يصنع الأشياء الدقيقة. وقال في ترجمة محمد بن عبدالله الصفوي الهندي ثم الدمشقي (رقم ١٢١٦): ومهر في عمل البناكيم (نوع من الساعات). وقال عن الطبيب ابن الصغير (رقم ٧٨٨): عمل بالقاهرة طاحونًا يطحن القمح يديرها الهواء، فكانت شيئًا عجبًا.

ويبدو أنه للطواحين الجديدة أهمية، فقد ذكر ابن قاضي شهبة (٣/ ٨٥) في حوادث ٧٨٤ هـ وعمل الأمير جركس الخليلي طاحونة في مركب تدور بالماء وأثبتها بحبال ثابتة وهرعت الناس يتفرجون عليها.

وقال في ترجمة محمد الكركي (رقم ١٠١٨): لديه غرائب تحضير الكيمياء.

وجاء في تاريخ ابن قاضي شهبة (٣/ ١٨١ سنة ٧٨٨): وفي شهر ربيع الأول أُديرت الساعات بباب القيمرية بعدما أصلحت بعد فسادها، وجُليت بعد اسودادها، وكان لها مدة طويلة قد هُجرت وتركت، ولكن لم ينقص من آلاتها شيء، وهي في غاية ما يكون من الحسن صنعة البديع الساعاتي المتوفى سنة ٦٨٦ هـ. ويقال غرم عليها أربعين ألف درهم، فأصلحت على يد المعلم أبي

بكر بن الجُندي، وذلك بمرسوم قاضي القضاة.

وقال (٣ / ٢٠٩) في حوادث سنة ٧٨٨هـ عن محمد الرئيس شمس الدين المصري ويعرف بابن الغزولي الميقاتي: كان إمام عصره في علم الميقات، ووضع الآلات الميقاتية. وفي (٣/ ٢١٠): محمد الأستاذ ناصر الدين المصري المعروف بالخطائي الجندي كان إمام عصره في الزيجات والتقاويم، وكان هو وابن الغزولي شيخا (كذا) عصرهما في علم المواقيت، لكل منهما طائفة تتعصب لها.

مصادر الكتاب:

٠١ الاطلاع المباشر والملاحظات الشخصية للمؤلف، ويظهر ذلك في معظم التراجم.

٠٢ الاطلاع بواسطة أشخاص يثق بهم فيقول أخبرنا أو حدثني أو أثنى عليه فلان... وبخاصة محمد بن علي ابن سكر (رقم ٩٢٠) ومحمد بن عبدالله قطب الدين المكي (١٣٤٦) فيما يختص بأخبار الحجاز، وبعض الأشخاص فيما يختص بالبلاد البعيدة كالهند أو ما وراء النهر أو بلاد بني عثمان. ونذكر فيما يلي من ذكرهم بصفة خاصة: عبدالرحيم بن نجيب البغدادي (رقم ٥٦٥): قصد زيارتي بمنزلي وحدثني عن قدوم تمرلنك إلى بغداد، وعبدالله بن محمد الحضرمي (رقم ٦٥٥) قدم علي مكة وأنا مجاور سنة ٨٣٩ ولي عنه فوائد ضمنتها جزءً في أخبار وادي حضر موت، فيها غرائب، وعبدالله بن شديد (رقم ٦٨٦) جال في بلاد الهند سنين عديدة، صحبته سنين وحدثنا بعجائب عن الهند ومحمد بن إسحاق قاضي مدينة لامو (١٢٨١) بمكة غرائب عن بلاد الزنج.

٠٣ بعض المعلومات كانت تأتيه برسائل من أشخاص جوابًا على طلب معلومات منهم، وقال في ترجمة نصر الله الأنصاري رقم (١٤٢١) وله المصنفات البديعة على ما كتب به إلي ويذكرها.

وقال: كتب إلي جمال الدين أبو المحاسن محمد المرشدي (رقم ١٣٥٨) فقيه ومن أتباع الطرق الصوفية (٧٧٠ - ٨٣٩). وقال في ترجمة خليل ابن محمد بن خليل الأشقر (رقم ٤٥٥): صحبني مدة وكتب إلي من دمشق فوائد ما تجدد به مدة إقامته بها. وفي ترجمة محمد بن عمر الحموي (رقم ٩٦٤) وكتب إلي من شعره. أحمد بن حسين بن حسن الرملي (رقم ١٦٧):

كتب إلي وكتبت إليه ولم يقدر لقاؤنا.

٠٤ يبدو أن بعض معلوماته تأتي من أشخاص قريبين من السلطة، إذ نجد معلومات تفصيلية جدًا في بعض التراجم وبخاصة ما يتعلق منها بالاحتفالات التي تقام لاستقبال أو توديع بعض الحكام أو الشخصيات الزائرة مثل أحمد بن أويس، والمواقع التي يجلس فيها الحاضرون خاصة الأمراء المماليك ومراتبهم في الجلوس أو الوقوف.

٠٥ تفاصيل عن تقديم التقادم (الهدايا) التي يظهر أنها لها أهمية كبيرة مادية ومعنوية.

٠٦ تفاصيل عن العقوبات التي أصابت بعض كبار الموظفين يدل على أن القائمين بها كانوا يتحدثون بها مثل فتح الله كاتب السر (رقم ٨٩٩).

٠٧ لا نجد بين مصادر الكتاب معلومات منقولة عن كتب سابقة إلا ما ندر، بينما كتب التراجم الاعتيادية تشير إلى هكذا مراجع.

المناصب التي تقلدها:

عدا تقلد الحسبة سنة ٨٠١ و٨٠٢ و٨٠٧ هـ، وكان قد ناب عنه غيره، وُلِّي المناصب التالية ويذكر كذلك من ناب عنه فيها:

قال في ترجمة نور الدين الأدمي (رقم ٨٢٣ ويعيدها برقم ٨٦٦): ولما توليت خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر في سنة ٨٠٥ ناب عني في إمامة الخمس به (أي إمامة الصلوات الخمس).

وقال في ترجمة محمد بن محمد بن أبي بكر المقدسي (رقم ٩٧٢): وكان يكتب لنا الإثباتات، واستنبته في الخطابة بجامع عمرو بن العاص بمصر. وقال في ترجمة أحمد بن محمد الوجيزي (رقم ١٠٣): ناب عني في بعض تعلقاتي وصحبني مدة إلى أن مات سنة ٨١٨ هـ.

ويبدو أن تقي الدين ووالده كانت لهما مباشرة في الأوقاف، بحيث قال في ترجمة محمد بن عبدالله الرومي (رقم ١٣٦٣): رافق أبي ثم رافقني مباشرة بعض النواحي الأوقاف نحو ثلاثين سنة حتى مات قبل سنة ٨٠٠. وقال في ترجمة عبدالواحد تاج الدين الصردي (رقم ٦٩٩) كان رفيقنا في الخانكاه الركنية بَيْبَرس عدة سنين، بضع عشرة وسبع مئة.

نظر المارستان النوري:

قال في ترجمة علي بن إبراهيم المعروف بابن الجزري (رقم ٨٥٤): ولما باشرت نظر المارستان النوري كان أحد شهود أوقافه، ونعم هو. توفي المذكور في سنة ٨١٣ هـ فتكون مباشرة تقي الدين نظر المارستان بدمشق قبل ذلك. وكان قد ذكر أنه قضى في دمشق ما بين سنة ٨١٠ و٨١٥.

تولي الحِسْبة:

الحِسبة وظيفة مهمة جدًا، ويبدو ذلك من أسماء الذين تقلدوها. ومن مهمات المحتسب، ومنزلته بعد قضاة القضاة، ويحضر إلى قصر السلطان بالمناسبات (ترجمة رقم ١٤٥٩).

فلقد جاء في السلوك ٣/ ٩٣٠: وفي حادي عشره (شهر رجب ٨٠١) استقر كاتبه أحمد بن علي المقريزي في حسبة القاهرة والوجه البحري عوضًا عن شمس الدين محمد المخانسي. قال في ترجمة محمد بن إبراهيم صدر الدين المناوي قاضي القضاة (رقم ٩١٤): فنزل من قلعة الجبل ١٥ رجب ٨٠١ وأنا يومئذ أتقلد حسبة القاهرة والوجه البحري. وجاء في إنباء الغمر ٤/ ٣٣: وفي مستهل ذي القعدة ٨٠١ صرف الشيخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي عن وظيفة الحسبة بالقاهرة وتولاها العيني) وفي ٤/ ١١٤: وفي ثامن عشر جمادى الأولى (٨٠٢) صرف بدر الدين العيني عن الحسبة واستقر بها تقي الدين المقريزي. ويذكر في ترجمة أحمد بن داود الدلاصي (١١٩): ناب عني في حسبة القاهرة لما وليتها في سنة ٨٠١ فشكر فيها.

وقال في المنهل الصافي ١/ ٣٩٤: ولي حسبة القاهرة غير مرة؛ أول ولايته من قبل الملك الظاهر برقوق في حادي عشري رجب سنة إحدى وثمان مئة عوضًا عن شمس الدين محمد النجانسي، ثم عزل بالقاضي بدر الدين العينتابي (العيني) في سادس عشري ذي الحجة من السنة، ثم وليها عنه أيضًا. وولي عدة وظائف دينية وعرض عليه قضاء دمشق في أوائل دولة الناصر فرج فأبى أن يقبل ذلك.

وقال في (الترجمة المرقمة ١٠٢١) قام الأمير يلبغا السالمي رحمه الله مع السلطان الملك الناصر فرج فوليت وظيفة الحسبة كرهًا في شوال سنة ٨٠٧ هـ

فتوقفت في أحوال الناس وعز وجود الخبز بالأسواق، وما زلت أسعى إلى أن أعفيت منها بعد أيام لم تبلغ شهرًا. ولكنه ذكر في ترجمة أحمد بن محمد بن صلاح (رقم ١٤٠): وناب عني في الحسبة، فحكم على بابي أيام ولايتي سنة ٨٠٧ هـ، ثم ناب في الحكم بجامع الصالح. ويذكر ابن حجر في الإنباء (ج ٦ ص ١٦): ووقع في هذه السنة (٨٠٩) والتي بعدها والتي قبلها من تلاعب الجهلة بمنصب الحسبة ما يتعجَّب من سماعه، حتى أنه في الشهر الواحد يليه ثلاثة أو أربعة. وسبب ذلك أنهم فرضوا على المنصب مالاً مقررًا، فكان من قام في نفسه أن يليه أن يزن المبلغ المذكور ويُخْلَع عليه ثم يقوم آخر فيزن ويصرف الذي قبله، واستمر هذا الأمر في أكثر دولة الناصر فرج. ويقول في (ج ٧ ص ٧٥) سنة ٨١٥ هـ: وفي أواخر ذي الحجة صرف ابن العجمي من الحسبة وألزم بمالٍ يحمله. واستقر محمد بن شعبان على بذل خمس مئة دينار دفعة واحدة معجلة في كل شهر مئة دينار.

تأليف الكتب:

إنَّ أهم إنجازات تقي الدين المقريزي هي الكتب التي ألفها، ونحن لسنا في صدد ذكر عناوينها أو مواضيعها بل نكتفي بأن نذكر أنها ٢٥ كتابًا، ذكر ابن تغري بردي في المنهل الصافي (١/ ٤١٨ و٤١٩) ٢٣ كتابًا وأضاف السخاوي في التبر المسبوك (ص ٢٢ و٢٣) كتابين. وأن هذه الكتب تتألف من أعداد مختلفة من المجلدات: منها ١٧ كتابًا ذو مجلد واحد، وكتاب واحد بثلاثة مجلدات، وكتاب بخمسة مجلدات وكتاب بستة مجلدات، وكتاب السلوك في معرفة دول الملوك في عدة مجلدات، وكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار في عدة مجلدات، والتاريخ الكبير المقفى في ١٦ مجلدًا لو كمل كما اختاره لجاوز الثمانين، وكتاب مجمع الفرائد ومنبع الفوائد كمل منه نحو الثمانين مجلدًا كالتذكرة.

وهذا يؤيد ما وصفه به ابن تغري بردي في المنهل الصافي بأنه كان كثير الكتابة والتصنيف.

تختص معظم كتبه بموضوع معين محدد (مونوكراف)، ومعظمها يخص مواضيع متفرقة لا يربط بينها شيء، إلا أن مادة موضوعها قد تجمعت لديه، أو أن ظروفًا خاصة استوجبت جمع مادتها أو كتابتها، أو وجود مصدر يعتمد عليه هيأ له مادة الكتاب مثل حضرموت والحبشة وبلاد الزنج. أما الكتب الكبيرة

فيبدو أن المؤلف كان جمع مادة كثيرة أي تراجم وأخبارًا كثيرة واستقصاءات ثم صنفها حسب المواضيع فجعل منها كتب التاريخ المختلفة.

ومما يؤيد ذلك قوله في كتابه المواعظ والاعتبار (ص ٣): فقيدت بخطِّي في الأعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب، إلاّ أنها ليست بمرتَّبة على مثال، ولا مهذّبة بطريقة ما نسج على منوال، فأردت أن ألَخِص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية. . .

وكذلك قوله في آخر كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمّة: «تيسّر لي ترتيب هذه المقالة وتهذيبها في ليلة واحدة من ليالي المحرم سنة ثمان وثمان مئة. والكتاب المذكور يقع في ٨٦ صفحة من المطبوع سنة ١٩٤٠ م، منها ٢٥ صفحة (من ٤٧ إلى ٧٢) تبحث عن النقود. فقوله ترتيب هذه المقالة وتهذيبها في ليلة واحدة يدل على أن محتوى هذا الكتاب كان موجودًا لديه فأقدم على ترتيبه وتهذيبه عندما أراد جعله كتابًا بذاته.

ولكن هذا لا ينفي وجود خطة عامة لديه لتأليف الكتب التاريخية، أدت إلى الإعداد لها.

والملاحظ أنَّ الإشارة إلى درر العقود كان قليلاً في الخطط والسلوك، لأنهما أُلِّفا قبل درر العقود، وإن كان هناك ما يفيد باستمراره بالتأليف إلى سنة ٨٤٣ هـ (الخطط ٢/ ٣١٣). فلقد وردت في الخطط عند ذكر بعض الدور الإشارة إلى تراجم أصحابها في درر العقود الفريدة، مثل دار البلقيني (٢/ ٥٢) فقال وقد ذكرت الأخوين وأبيهما في كتابي المنعوت بدرر العقود الفريدة. . . ودار ابن رجب (٢/ ٧٥) في ترجمة محمد بن رجب: وقد ذكرته في كتاب درر العقود. . . ودار فتح الله (٢/ ٦٢) فقال: وقد ذكرته بأبسط من هذا في كتابي درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، وفي كتابي خلاصة التِّبر في أخبار كتاب السِّر.

أقول: لم نجد ذكرًا لكتاب خلاصة التِّبر في أخبار كتاب السرّ بين مؤلَّفات المقريزي التي أوردها من ترجموا له.

ثم إنَّ عددًا من كتبه انتهى منها في أوقات متقاربة، مما يدل على أن مادتها كانت مهيَّأة مسبقًا بحيث تم إعطاء الكتاب هيئته بسرعة.

ويمكن وصف تقي الدين المقريزي بأنه مؤلف بطبعه وقابلياته وتنظيم عمله ووقته وغزارة إنتاجه مثل المؤلفين المحترفين.

ولقد تبين من تحليل أسماء وأعداد الذين أشار إلى أن بينه وبينهم معاشرة أو علاقة اجتماعية أنه كان قليل الاختلاط (انظر ص ٣٣ من هذه المقدمة) وأن هذا ليس بسبب الانطوائية بل بسبب الاستفادة من الوقت في التأليف وجمع المادة له.

ويبدو أن ظروفه العائلية ساهمت في ذلك، فلا نعرف أنه كان لديه زوجات بعد وفاة زوجته أم ولديه في أوائل حياته (ترجمتها رقم ٤٨٨) مما يوجب عليه القيام بواجبات تجاههن ولا أولاد كثيرون يسعى لتربيتهم.

أما مصادره المالية فيبدو أنها كانت كافية؛ فقد امتنع عن قبول القضاء وقبول الحسبة (ص ٤٧ من هذه المقدمة)، بينما نجد محمد بن عبدالرحيم ابن الفرات مؤلف كتاب تاريخ الدول والملوك يجلس في حوانيت الشهود لكسب رزقه (ترجمته في العقود رقم ١١٣٦) وورقة ٢٨ مخطوطة ١٣٦٦ ب في المقفى).

التاريخ الكبير المقفَّى:

وبالنظر إلى وجود كتاب «درر العقود الفريدة» لدينا، فقد وجدنا من المفيد الحصول على كتاب المقريزي الآخر في التراجم الذي يسميه «التاريخ الكبير المقفي»، وقد وردت فيه التراجم حسب تسلسل الحروف العربية بانتظام فسمي المقفَّى، وقد تم الحصول على مصورات نسخة باريس ونسخة لايدن في هولندا وهي في ثلاثة أقسام. والكتب بخط المقريزي وهو مشابه لمسودة «درر العقود الفريدة» نسخة كوتا في ألمانيا التي سبق أن وصفناها (ص ١٠ من هذه المقدمة).

ونسخة باريس موجودة في المكتبة الوطنية فيها رقم ٦٧٥ وعدد أوراقها ٢٦٢ ورقة أما نسخة هولندا ففي مكتبة جامعة لايدن فيها، وهي في ثلاثة أقسام عليها الأرقام التالية شرقي ١٣٦٦ أ و١٣٦٦ ب و٣٠٧٥ عدد أوراقها على التوالي ٢٨٩ و٢٢٧ و٢٥٢ ورقة. وفي بداية المخطوطة رقم ١٣٦٦ أ إجازة برواية الحديث للمقريزي ذكرناها في ترجمته في ص ٢٧ من هذه المقدمة.

ولقد تم نشر كتاب المقفى الكبير للمقريزي بتحقيق الدكتور محمد

اليعلاوي من قبل دار الغرب الإسلامي ببيروت في ثمانية أجزاء وطبع سنة ١٩٩١ م.

وبالنظر إلى أهمية معرفة أحوال الحكم والمجتمع آنذاك وإلى وجود مؤرخين مهمين معاصرين لهذه الفترة، ولعمل المقريزي في ديوان الإنشاء في القاهرة سنين عديدة، فقد كتبنا فصولاً عن تلك المواضيع ألحقناها بالكتاب وهي:

١ - الملحق الأول: أحوال الحكم والمجتمع.

٢ - الملحق الثاني : المؤرخون المعاصرون للمقريزي والناقلون منه.

٣ - الملحق الثالث: ديوان الإنشاء وعمل المقريزي فيه.

ومن الواجب أن أبين شكري الجزيل للأستاذ الدكتور بشار عواد معروف لاهتمامه الكبير بإعداد هذا الكتاب للنشر بهذه الصفة الممتازة.

والله أسأل أن يوفق الجميع لما فيه الخير والفلاح

بغداد والموصل
في المحرم ١٤٢٣ هـ
نيسان ٢٠٠٢ م

الدكتور محمود الجليلي

بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر واعن يا الله

الحمد لله الذي خلق الخلايق وعدهم عدا، وضرب لسايرهم آجالا مقدرة
ومددا، وجعل لهم السمع والابصار والافيدة لعلهم يشكرون، واستخلفهم في ارضه
لينظر كيف يعملون، اقامهم جيلا بعد جيل، واستعمرهم قبيلا في اثر قبيل، ليبقى الاول
للثاني قصصه مواعظ وعبرا، ويجئ الاخر للمتقدم ذكرا وينشر خبرا، كي يرعوي الفطن
عن فعل ما يذم ويستقبح، ويقتدي الاريب بما هو الاحسن من الاخلاق والاصلح، حتى اذا
انقضت امد الحياة الدنيا وزالت، واقتربت من الخلايق الساعة وحانت، حشرهم جميعا
اليه، واقامهم كافة بين يديه، ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
احمده حمدا لا يبلغ الحامد وان استقصى اقصاه، ولا يدرك الحاسب وان دقق
منتهاه، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مثيل، ولا معاند له تعالى عن المعاند
والعديل، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه المصطفى وخليله، صلى الله عليه وعلى
اله وصحابته، وازواجه وساير اهل طاعته، وسلم وشرف وكرم، وبعد
فاني لما ناهزت من سني العمر الخمسين، حتى فقدت معظم الاصحاب والاقربين، فاشتد حزني
لفقدهم وتنغص عيشي من بعدهم، تعززت النفس عن لقايهم بتذكارهم، وعوضتها عن مشاهدتهم
باستماع اخبارهم، وامليت ما حضرني من انبايهم في هذا الكتاب، وسميته درر العقود الفريدة
في تراجم الاعيان المفيدة، وهو في الحقيقة ذكرى معاهد الاحباب، وتذكر عهد الشبيبة والاصحاب
والله اسال ان يبرد في مقر البلى مضجعهم، ويقر ليوم التنادي مجمعهم، ويجمعني وهم بدار كرامته
في نعمته، ويمتعني واياهم بالخلود مع الابرار في جنته، بمنه وكرمه، وفي ذلك اقول

فقدت لعمري كل ما كان لي يحلو، واوحشني قوم بهم كان لي شغل
فلا غايب في الناس ارجو قدومه، ولا زاير همي بسرورته يجلو
ولا صاحب ارجو لدفع كريهة، اذا احن الايام ما خطبها سهل
ولا مسعف بالراي في هو مرشد، ولا منجد بالجاه قدري به يعلو
ولا فارج عني الهموم بانسه، يطارحني ما يخف به الثكل
ولم تبق لي من صبوة وصبابة، تلذ بها نفسي ويجتمع الشمل
وقد اعرضت نفسي عن اللهو جملة، وملت لقا الناس حتى وان جلوا
وصار بحمد الله شغلي وشاغلي، فوايد علم لست من شغلها اخلو
نظرا يراعي كاتب لفوايد، بصحتها قد جانا العقل والنقل
واوعيه للعلم صدري جامع، فتزكوا به نفسي وعن همها تسلو

ثم اني رايت
بعد ذلك ان اجمع اخبار من ادركته سوا غاب عني او رايته من اهل مصري كان او غيرها

من البلدان

المقدمة من المجلد الأول من النسخة ج

تملك المجلد الأول من النسخة ج

تم الجزء الأول من تاريخ المقريزي بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تحرير العبد الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد بن عبد الله الفيومي حامدًا الله ومتوسلًا برسول
الله داعيًا لمالكه زاده الله من السعادة والسيادة وجعله من الذين أحسنوا الحسنى وزيادة
وجميع المسلمين آمين تاريخ التاسع والعشرون من شهر شعبان المكرم سنة ثمان وسبعين وثمانمائة

أحسن الله عاقبتها

الصفحة الأخيرة من المجلد الأول من النسخة ج

صفحة عنوان المجلد الثاني من النسخة ج

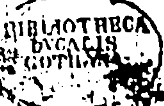
خمس وستين وسبع مائة واشتغل بالفقه على مذهب الشافعي وسمع من
الحجاوي وغيره وحدث عنه وكان يتكسب بالجلوس في حوانيت
الشهود وينكر المنكر كثيرا وشدّ تردّد إليّ مرارًا ونعم الرجل كان توفي ليلة
الخميس رابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وثماني مائة أخبرني
رحمه الله قال سمعت الشيخ عبد الله بن خليل اليمني رحمه الله ۝
يقول سبحان المتفضل بالنعم على مستحق النقم سبحان الحليم مع تمكن
القدرة ۝ تم الجزء المبارك الثاني من كتاب التاريخ للشيخ الإمام
العالم العلامة البحر الفهامة شهاب الدين أحمد
ابن نور الدين علي المقريزي الشافعي تغمده
الله برحمته وأسكنه فسيح جنته ۝
وذلك على يد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد
التلواني الأزهري غفر الله له ولوالديه
ولمن قرأ في هذا الكتاب ودعا له
بالتوبة والمغفرة ولجميع المسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم
والحمد لله
وحده

وكان الفراغ من كتابته يوم الاثنين سابع عشر شهر شوال المبارك سنة ثمان وأربعين وثمانمائة

الصفحة الأخيرة من المجلد الثاني من النسخة ج

كتاب
درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة
تأليف فقير عفو الله أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن
تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن تميم الشهير والده بابن المقريزي الشافعي
عفا الله ذنوبه وستر عيوبه وفضله ... انه كريم

هذا الكتاب
بخط مؤلفه



صفحة العنوان من مسودة المقريزي وعليها قراءات

قلت وقد وقع منا ما لم يقع لم نجد لذلك مثلا ووجدنا لذلك من شدة جوعنا وعظم شهوتنا لما أكلنا إليه لا نقدر على شيء منها وقد قدر الله سبحانه خلاصنا من هذا السجن وتنقلت بنا الأحوال وملك السلطان برقوق الديار المصرية وأنعم علي بإمرة طبلخاناه فجلست ليلة معه على العشاء أنا والأمير جركس الخليلي أمير آخور وكان أحد رفاقنا في سجن الكرك فناولني السلطان لقمة من طعام مأمونية وقال يا أقبغا وهو بجنبه فلم أفهم ما قاله السلطان ثم ناولني لقمة أخرى وقال وهو يبتسم فدهشت وقلت للأمير جركس ما يقول السلطان فلم يدر أيضا مراده فسألنا السلطان عن هذا القول فقال أنسيتم ما تذكرون يوم كنا في سجن الكرك وأردنا أكل طعام من رمان وعملنا هذا فقمنا إلا من ذكر ذلك وقلنا يا مولانا السلطان بالصبر على ذلك ولزوم خدمة السلطان وسعادته صرنا إلى ما نحن فيه قال فتحول إلى القبلة وسجد لله شكرا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ۞

٢ أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان شهاب الدين الأوحدي المقرئ المؤرخ الأديب أحد رجال الحلقة من الجند ولد بالقاهرة في النصف من المحرم سنة إحدى وستين وسبعمائة وقرأ القرآن العظيم بالروايات السبع وقرأ القراءات العشر على الشيخ فخر الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن البلبيسي الضرير شيخ القراءات وإمام الجامع الأزهر ولازمه نحوا من اثنتي عشرة سنة وقرأ أيضا على المسند تقي الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن علي الواسطي المعروف بابن البغدادي أحد أصحاب الشيخ الصائغ وسمع على جماعة منهم المسند المعمر ناصر الدين محمد بن يوسف الكردي سبط الطبردار وجويرية ابنة أحمد الهكارية والعز زين الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن الشيخة وعز الدين محمد بن الكويك والشهاب أحمد بن حسن السويداوي وغيرهم وقرأ العربية والعروض وحفظ في الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وكان ضابطا متقنا مفيدا ذاكرا لكثير من القراءات وتوجيهها وعللها حافظا للكثير من التاريخ لا سيما أخبار مصر فإنه لا يكاد يشذ عنه من أخبار ملوكها وخلفائها وأمرائها ووقائع حروبها وخطط دورها وتراجم أعيانها إلا اليسير مع معرفة النحو والعروض وقرض الشعر الجيد وكان رحمه الله كثير التعصب للدولة التركية محبا للطريقة الله علقة عنده

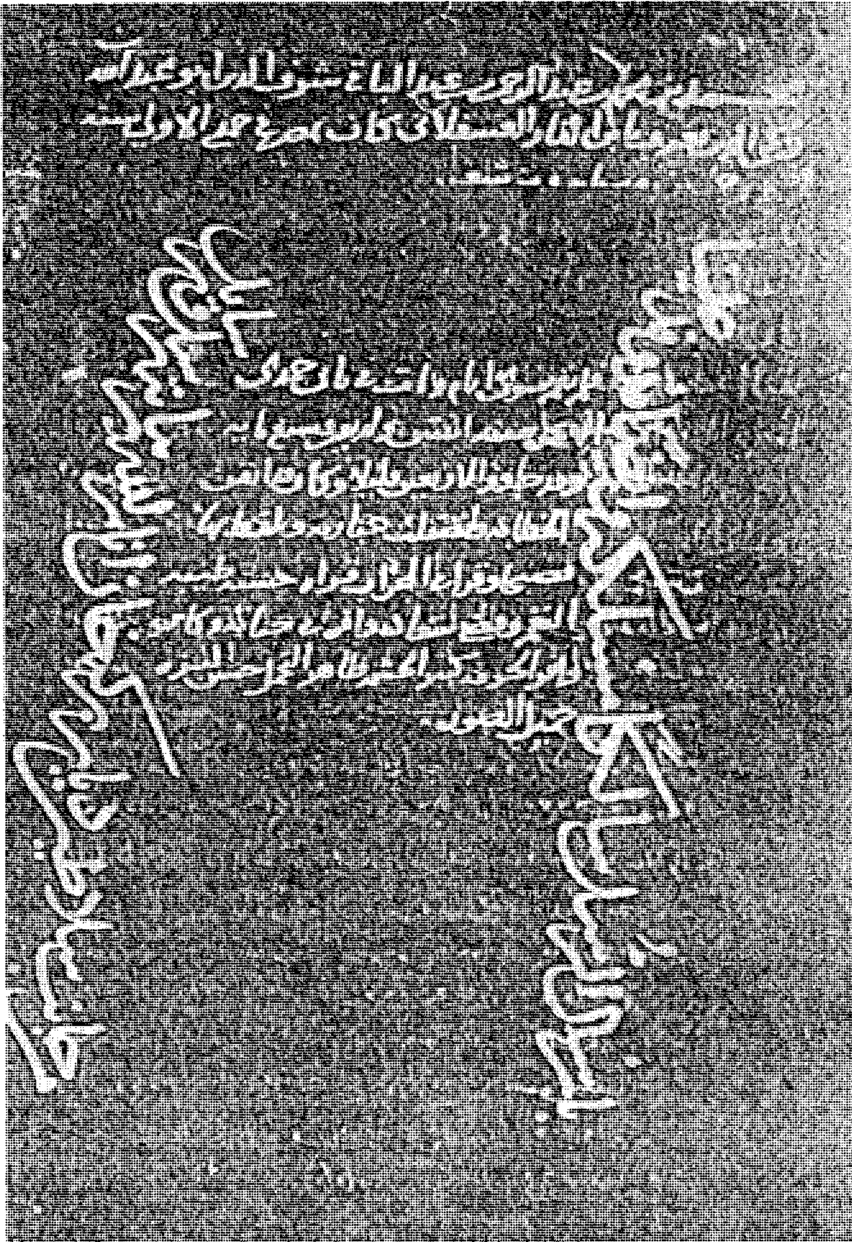
أجناد

ترجمة الأوحدي من المسودة حول كتاب الخطط

(الملحق الثاني)

اخبارا واستفدت منه كثيرا في التاريخ واعانني اسه مسودات من خطه في خطط القا
ضمنها كتابه الشبيه المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار
وناولني ديوان شعره وهو في مجلد لطيف بخطه ومن شعره المشهور ديوانه
لا تكثرن من الشكوى في الجهد فذاك عيب على الاحرار منتقد
وان دفعت لامر لا مرد له فاصبر على الرزايا مثلما [illegible] وقال
كم صبورا الحر على عظيم من خطوب الزمان تكشف [illegible]
واذا امارت كآبة بهم وافت لكل واسع لها منك صدرا وقال
تعفف وكن قانعا بالكثير ودع عنك يا صاح ذل الطلب
وداوم على كيميا التقى وايامك تبغي بغير ذهب وقال
الى اذا ما بي امر في تلازي واشتد مني جوى وهمي [illegible] للذي
وقال ورب ضاقت في ايام الكرى واعترتني هموم في عسرا
فاجري منزل الهموم وهب لي باب من عند امور يسرا ولتب الي
فاخر تقي الدين [illegible] في الناصر النسب الشريف الفاطمي
واذا [illegible] عنهم ورايته [illegible] فانتفع [illegible]
وكتب اليها فلذا الملك الظاهر برقوق وطيف بحسبه ما العادة المعزية
ابشر تقي الدين بالسعد الذي وافاك معتذرا اليك بما يكسب
في رتبة كم قد اتاها طامع بخطائها لكنها [illegible] المحتسب . وكتب الي
تهنى بك العليا يا واحد الورى ويا من جود فاق في الفضل جعفرا
سموت الى على الكواكب رفعة وانا النرجو فوق ذلك مظهرا وكتب الي
شرفت قدري اذ اتيت لمنزلي وملكتني بالبر والمعروف
يا ابن النبي بنفس عاضد عصره لا بدع ان نعت بالتشريف
اخبرني الفقيه المؤرخ الاديب شهاب الدين احمد بن عبد الله الاوحدي قال
اخبرنا الشيخ الفقيه الحنفي شهاب الدين احمد بن محمد بن الركن فارس المصري بالجامع
الازهر وتوفي بالفيوم في صفر سنة ثمان وسبعين وسبعمائة انه توجه مع ابنه
خادم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما سافر الى الصعيد فرحة في
بلاد البهنسا وبلقاه الامير بهادر [illegible] والي البهنسا للخدمة على العادة
فاحضر بهو امن عتاق الخيل وجيادها برسم التقدمة للسلطان [illegible]

تتمة ترجمة الأوحدي من المسودة حول كتاب الخطط
(الملحق الثاني)



كتابة أحد مؤلفات المقريزي على ورق ديوان الإنشاء المستعمل
(الملحق الثالث)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربِّ يسر وأعن يالله[1]

الحمدُ لله الذي خلقَ الخَلائقَ وعَدَّهُم عَدَدًا، وضَرَب لسائِرهم آجالاً مُقَدَّرة ومُدَدًا، وجَعَل لهم السَّمْعَ والأبْصارَ والأفئدة لَعَلَّهم يَشكرون، واستخْلَفهم في أرضه لينظرَ كيفَ يَعْمَلون. أقامهم جيلاً بعدَ جيل، واستَعْمَرهم قَبيلاً في إثْر قَبيل، ليُبْقِيَ الأوَّلُ للثاني من[2] قَصَصِه مَوَاعِظ وعِبَرًا، ويُحيِي الآخِرُ للمُتَقَدّم ذِكرًا ويَنْشُرَ خَبَرًا، كَيْ يرعَوي الفَطِنُ عن فِعْلِ ما يُذمُّ ويستَقْبَح، ويقتدي الأريبُ بما هُو الأحْسَنُ من الأخلاقِ والأصْلَحُ، حتَّى إذا انْقَضت آمادُ الحياة الدُّنيا وزالت، واقتربت من الخلائقِ الساعَةُ وحانَت، حَشَرَهم جَميعًا إليه، وأقامَهم كَافةً بين يَديه، ليَجْزيَ الذين أساؤوا بما عَملوا، ويَجْزِي الذين أحْسَنوا بالحُسنى.

أحمَدُه حَمْدًا لا يَبْلغُ العَادُّ وإن استَقْصَى أقْصاه، ولا يُدْرِك الحاسِبُ وإنْ دَقَّقَ مُنْتهاه. وأشْهدُ أن لا إلَه إلا الله وحْدَهُ لا شريكَ له ولا مَثيل، ولا مُعانِدَ له، تَعَالى عن المُعانِدِ والعَدِيل. وأشْهَدُ أنَّ مُحَمدًا عبدهُ ورسولهُ، ونبيُّه المصطفى وخليلُه صلَّى الله عليه وعَلَى آله وصحابَتِه، وأزواجه وسائرِ أهْلِ طاعته، وسَلَّم وشرَّفَ وكرَّم.

وبعدُ: فإني ما ناهَزْتُ من سِنيِّ العُمُرِ الخمسين حتى فَقَدْتُ مُعْظَم الأصْحاب والأقْربين، فاشْتَدَّ حُزْني لِفَقْدِهم، وتَنَغَصَ عَيْشي من بَعْدِهم، فَعَزَّيتُ النَّفْس عن لِقائهم بتَذْكَارهم، وعَوَّضْتُها عن مُشاهدَتِهم باسْتماع أخبارِهم، وأملَيْتُ ما حَضَرَني من أنبائِهم في هذا الكتاب ومن ذكرهم فطاب[3]، وسَمَّيْتُهُ «دُرَرَ العقُودِ الفَرِيدَةِ في تَراجم الأعْيان المُفيدة». وهو في الحقيقة ذكري مَعَاهد الأحباب وتذكر عَهْد الشيخة والأصحاب.

---

(١) في أ: «رب زدني علمًا».

(٢) ليست في أ.

(٣) قوله: «ومن ذكرهم فطاب» استدركها المصنف في حاشية نسخته.

والله أسألُ أن يُبرِّدَ في مَقَرِّ البِلَى مَضْجَعَهُم، ويُقرَّ ليوم التَّناد مَهْجَعَهم، ويَجْمعَني وهُم بدار كَرَامَته في نعمته، ويُنعِمَني وإيَّاهم بالخُلود مَعَ الأبْرار في جَنَّتِه، بمنِّه وكَرَمِه. وفي ذلك أقول:

فَقَدْتُ لَعَمْري كُلَّ مَا كانَ لي يَحْلُو   وأوْحَشَني قَوْمٌ بهم كان لي شُغْلُ
فلا غائبٌ في النَّاسِ أرْجُو قُدُومَهُ   ولا زائـرٌ هَمِّـي بـزَوْرَتِـه يَجْلـو
ولا صـاحِـبٌ أرْجُـو لِـدَفـع كَـرِيهـةٍ   إذا مِحَـنُ الأيَّـام ما خَطْبُهـا سَهْـلُ
ولا مُسْعِفٌ بـالـرَّأي لـي هُـو مُـرْشِـدٌ   ولا مُنْجِدٌ بالجَاهِ قَدْري به يَعْلو
ولا فـارجٌ عنـي الهُمـومَ بـأنْسـهِ   يطـارِحُني هَمًّـا يَخِـفُّ بـه الثكـلُ
ولـم تَبْـقَ لـي مـن صَبْـوةٍ وصَبَـابَـةٍ   تَلَـذ بهـا نَفْسـي ويَجْتمـعُ الشَّمْـلُ
وقد أعْرَضَتْ نَفسي عن اللهو جُمْلَةً   ومَلَّتْ لِقاءَ الناسِ حتى وإنْ جَلّوا
وصـارَ بحمـد الله شُغْلـي وشـاغلـي   فوائدَ عِلْمٍ لستُ من شُغْلِها أخلو
فَطَـوْرًا يـراعـي كـاتِـبٌ لفَـوائـد   بصحَّتها قد جاءنا العَقْلُ والنَّقْلُ
وآونَــةً للعلــم صَــدْري جــامِــعٌ   فتزْكُو به نَفْسي وعن هَمِّها تَسْلو

ثم إني رأيتُ بعدَ ذلك أن أجمع أخبار مَنْ أدركتُه، سواءٌ غابَ عنِّي أو رأيتُه، من أهل مِصري كان، أو غيرها من البُلدان، فأقيِّدَ أخبارَ المُلوكِ والأُمراء، وأعيانِ الكُتاب والوُزراء، وأذكر رُواةَ الحَديثِ والفُقهاء، وحَمَلَة سائِر العُلُوم والشُّعراء، ومَن لَهُ ذِكرٌ شهيرٌ، أو قَدْرٌ[1] نَبيهٌ خَطِير، إمَّا من رجال الدُّنيا، أو طُلَّاب الأخرَى من ابتداءِ سَنَةِ ستين وسبع مئة.

وأُوردُ في اسم كُلِّ مَلِكٍ أوَّليَّة دَوْلَته، ومَنْ سَلَفَ من مُلوكِ مملَكَتِه، كي يُحيطَ الناظِرُ فيه عِلمًا بدُوَل الزَّمان، ومُلُوكِ العَصْر والأوان، فكأن قد وَمَضوا، وزالت دُوَلُهم[2] وانقضوا ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب]. وحسبي الله وكَفَى بالله وكيلاً.

---

(١) في ج: «ذكر»، وما أثبتناه من أ.
(٢) في جـ: «دولتهم»، وما أثبتناه من أ.

١- إبراهيم بن محمد بن بَهادُر بن عبدالله[١]، الشيخُ بُرهان الدين ابن زُقَّاعة[٢].

وُلِد سنةَ خمسٍ وأربعين وسبع مئة، وعانَى صِناعةَ الخِياطة، وأخذَ القراءات عن الشيخ شمس الدين الحُكْري، والفقهَ على مذهب الإمام الشَّافعي عن بَدْر الدين القُونَوي، والتَّصَوُّف عن الشيخ عُمَر حفيد الشيخ عبدالقادر. وسمعَ الحديثَ من نُور الدين علي الفُوِّي. وقال الشعر، ونظرَ في النُّجُوم وعلم الحَرْف، وبَرَعَ في معرفةِ الأعشاب. وساحَ في الأرْض، وتَجرَّد وتزَهَّد، فاشْتُهر في بلاد غَزَّة، وعُرف بالصَّلاح والخَيْر، فرغبَ السلطانُ الملكُ الظاهرُ برقوق في لِقائه، واسْتَدْعاه إليه، فقَدِمَ لأوائل سَلْطنته وبالغَ في تعظيمه، فهُرِعَ الناسُ إلى زيارَته، وتداولوا مَدْحَه والثناءَ عليه، وعَفَّ عن تناوُلِ مالِ السلطان وغيره، فقويَت الرغبةُ في اعتقادة. وعادَ إلى غَزَّة، وكان السلطانُ يستدعيه في كلِّ سنة لحضور المَولِد النَّبوي في شهر ربيع الأول بقَلْعة الجبل. والناسُ فيه فريقان: فريقٌ يعتقدُ أنه وليُّ الله ويَحْكِي عنه خَوارق، وفريقٌ يزعمون أنه مُشَعْبِذ. ثم انحلَّ السلطانُ عنه، واختصَّ بعد السلطانِ بابنه الملك الناصِر فَرَج، ولا كاختصاص أبيه به. فلما زالت دولَتُه بالمؤيَّد شَيْخ تنكَّرَ على البُرهان هذا، وأهانَه، فلزِمَ بيتَه بالقاهرة حتى مات في ثامن عِشري ذي الحِجّة سنةَ ستَّ عَشْرة وثمان مئة.

واجتمعتُ به غيرَ مرَّة فرأيتُ شيخًا مِهْذارًا مِكْثارًا، أكثرُ كلامه في الأعشاب مع استحضارِهِ عدَّةَ فنون، وإنشادِهِ لأشعاره لا سيَّما قصيدةً ذكرَ لي أنها سبعةُ آلافٍ وسبع مئة وسبعة وسبعون بيتًا، تشتملُ على صِفَة الأرض وما فيها.

---

(١) في الضوء اللامع: «بهادر بن أحمد بن عبدالله».

(٢) ترجمته في: غاية النهاية ١/ ١٥، والسلوك ٤/ ٢٧٨، وإنباء الغمر ٧/ ١١٩، والدليل الشافي ١/ ٢٨، والضوء اللامع ١/ ١٣٠، ووجيز الكلام ٢/ ٤٣١، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٥، وشذرات الذهب ٧/ ١١٥.

زُقّاعَة: بضم الزاي، وتشديد القافَ، وفتح العَيْن المهملة، ثم هاء ساكنة.

ومن شعرهِ يمدحُ قاضي القضاة بُرهانَ الدين إبراهيم بن جَمَاعة:

لِملـة أحمـد بُـرْهـانُ دِيـنٍ يقومُ بحفْظها في كُلِّ ساعَهْ
فَمُتْ في حُبِّه إن شِئْت تَحْيا فَذَا البُرْهانُ قد أحيا جَمَاعهْ

وقال:

وحَـقِّ الطـاء مـن طـه وفَتْـح ألفَـا مـن الفَتْـح
وقـافِ القُـربِ مـن قَـافٍ علـى صَـادٍ مـن الصَّفْـح
وزَرْع الحُـبِّ فـي قَلبـي كـزَرْع الحَـبِّ والقَمْـحِ
لقـد زادت صَبَـابَـاتـي وطـالَ الشَّرْحُ من شَرْحي
وكـم أرْعَـى ثُـرَيَّـاهـا وجَـوْزَاهـا ولـم تضـح
بلَيْـلٍ بـتُّ ألبُسُـه جَعَلْـتُ سـوادَهُ مِسحـي
فَنَـوْمـي لا يَـرَى عَينـي وعينـي لا تَـرَى صُبْحـي
فَيـا مَـن يَعْـذلُ العُشَّـا قِ دَعْ لَـومي ودَعْ نُصْحـي
إذا مـا البَـارِقُ النجـدي يَلُـوحُ بجـانـبِ السَّفْـحِ
تُهَيِّـجُ نـارُهُ قَلبـي وتَقْـدحُ أيَّمـا قَـدْحِ
وإن هَبَّـت نُسَيمـاتٌ مَـعَ الأسْحـارِ بـالنَّفْـحِ
تَـرَى الإنسـانَ مـن عينـي يسيـلُ كَـذَائـبِ المِلْـح
ألا يـا سـادَةً هَجَـروا بـلا ذَنْـبٍ ولا جَـرْحِ
تَقضَّـى فـي الجَفـا عُمـري فهَـلْ للصَّـبِّ مـن صُلْـح
لكُـم منـي إشـاراتٌ يُتـرَجـمُ رَمْـزَهـا مَـدْحـي
فَـرأسُ المـال لـي أنتـم وتَـذكـاري لكُـم رِبْحـي
ولَمَّـا أن تـلاقينـا بـذاتِ الشِّيـحِ والطلْـحِ
جَعَلْـت النَّـوم والسلـوا نَ قُـربـانَيْـنِ للـذبْـحِ

وسَـــاق لَحظُـــهُ يَسبـــي بــــلا قَـــوْسٍ ولا رُمْـــحِ
يُحَيِّـــرُ كـــأسُـــهُ وَصفـــي كمـــا بَلْقيـسُ فـــي الصَّـرحِ
أعـــوِّذُ بـــاسمـــه قَـــدَحـــي وأجعَــلُ حُبـــهُ قِـــدحـــي
إذا مـــا قـــالَ لـــي غَنـــي طَـربـتُ وقلـتُ بـالسَّمْـح
سَـــلامُ الخـــالَـــقِ البـــاري عليكُـــم يـــا بنـــي فَتْـــح

٢- إبراهيم بن محمد بن عُثمان، الشَّيخ بُرهان الدين الدَّجَويُّ النَّحْويُّ[(١)].

أخذ النَّحْوَ عن الشيخ جمال الدين بن هِشام، وبَرَع فيه، وأقرأه عدةَ سِنين فانتفَع به جَمَاعة، وكان جُلُّ ما عندَه حلَّ «ألْفية ابن مَالِك». وكان يتكسَّب بتحمُّل الشهادات في حوانيت الشهود، وفيه دُعَابة. حضرتُ دروسه[(٢)] مِرارًا، وحفظتُ عنه إنشاداتٍ.

وتوفي بعدما شاخَ في يوم الجُمُعة ثامن عشري شهر ربيع الأوَّل سنة اثنتين وثمان مئة، رحمة الله.

٣-إبراهِيم بن محمد بن خليل، الشَّيخ بُرهان الدِّين القُوف[(٣)] المحدِّث الحَلَبيُّ.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ١٤٤، والضوء اللامع ١/ ١٥٣، وبغية الوعاة ١/ ٤٢٧، وشذرات الذهب ٧/ ١٣.

(٢) في جـ: «درسه».

(٣) جاء في حاشية جـ تعليق لأحدهم نصه: «القوفي نسبة إلى بيت قوفى وهي قرية بدمشق على ما في القاموس، فافهم». قلت: وهذا خطأ، نعم ذكر صاحب القاموس في «قوف» بيت قوفى، وقال: «كطوبى: ة بدمشق» لكنه لم يزد على ذلك، ولم ينسب المترجم إليها، وقد ذكرالسخاوي في «الضوء اللامع» أن «القوف» لقب لقبه به بعض أعدائه وكان يغضب منه. وقال الحافظ ابن حجر في نزهة الألباب في الألقاب ٢/ ١٠٤: «القوف: هو الشيخ برهان الدين سبط ابن العجمي محدث حلب في زماننا».

أصله من طرابُلُس، وجَدُّه لأمِّه من بني العَجَمي رُؤساءِ حَلَب.

وُلِدَ في رجب سنةَ ثلاثٍ وخمسين وسبع مئة، وطلبَ الحديثَ بعدما كَبِرَ، فسمعَ بحلبَ ودمشق، وقدمَ القاهرة هو ورفيقه عز الدين محمد بن خليل بن هلال الحاضري في نحو سنة ثمانين، فسَمعا من شُيوخنا بالقاهرة ومصر والإسكندريةِ ودِمياط فأكثرا، ثم عادا إلى حلب.

وجمعَ البُرهانُ وصَنَّف، وصارَ شيخَ البلاد الحَلَبيّة غير مُدافَع. وكتبَ على «صحيح البُخاري»، وعلى «السِّيرَة النَّبوية» لابن سيِّد الناس، وعلى «كتاب الشِّفا» للقاضي عِياض. وصَنَّف «نهايَة السُّول في زَوائد السِّتة الأصول». وشرحَ «سنن ابن ماجة»، وذيَّل على كتاب «الميزان» للذهبي. مع جَميل السِّيرة، وحُسن السَّريرة، والتخلُّق بالجَمِيل من الأخلاق، والعفة عن التَّرْداد[1] إلى ذوي الجَاهات، مع الإملاق. ولم يزل على ذلك حتى تُوفي بحلب في سادس عشر شوال سنة إحدى وأربعين وثمان مئة.

٤- إبراهيم بن يحيى بن محمد بن حَمُّو[2] بن أبي بكر بن مكي، بُرهان الدين، أبو إسحاق الصِّنْهاجيُّ[3].

سمع على الزَّيْن أيوب بن نعمة الكَحَّال، والمجد محمد بن عُمر ابن محمد الأصبهاني، وأحمد بن هبة الله بن المقداد القيسي، وأبي العباس الحَجَّار، وجماعة. وحَدَّث وأقام بمكة دهرًا حتى ماتَ بها ليلةَ التاسِع من ذي الحِجَّة سنةَ تسع وسبعين وسبع مئة عن نحو تسعين سنة. وكان رجُلاً صالحًا خيِّرًا.

---

(١) في جـ: «التردد»، وما أثبتناه من خط المصنف.

(٢) في العقد الفريد والدرر الكامنة: «حمود».

(٣) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ٢٧٠، وذيل التقييد ١/ ٤٥٨، والدرر الكامنة ١/ ٨٠. وجاء في حاشية جـ تعليق نصه: «نسبة إلى صنهاجة وهي طائفة بالمغرب من ولد صنهاجة الحميري».

٥- إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن عبدالله بن عبدالمنعم بن محمد بن هبة الله الحَلَبي الحنفيُّ، أبو إسحاق كمالُ الدين ابن الكمال، المعروفُ بابن أمين الدَّولة[١].

ولدَ بحلب في شهرِ ربيع الآخر سنة خمسٍ وتسعين وست مئة، وأُسْمِع[٢] بها من سُنْقُر «صحيح البخاري» وغيرَه، وسمعَ من إبراهيم ابن الشِّيرازي، وأبي بكرٍ أحمد بن محمد بن عبدالرحمن ابن العَجَمي وغيرَه. ووُلي وكالةَ بيتِ المالِ بحلب. وكان رئيسًا نَبيلاً. وحَدَّث بحلب ودمشق. ومات في حلب[٣] ليلة الأحد ثامن جُمادى الأولى سنةَ ستٍّ وسبعين وسبع مئة.

٦- إبراهيم بن خليل بن عبدالله بن محمود بن يوسُفَ بن تَمَّام البعلْي، أبو إسحاق، صارِم الدين الشَّرائحي المعروف بابن سَمَوَّل[٤] **بفتح السين المهملة والميم وتشديد الواو المفتوحة.**

سَمِعَ من القُطْب اليُونيني. وحدَّث ببعلبَكَّ ودمشق، سمعَ منه المحدِّثون. وتوفي في نصف المحرَّم سنةَ خمسٍ وتسعين وسبع مئة.

٧- إبراهيم بن أحمد بن ناصر بن خَليفَةَ بن فَرَج بن عبدالله بن عبدالرحمن، برهانُ الدين ابن قاضي القُضاة شِهابُ الدين الباعُونيُّ الشَّافعي[٥].

---

(١) ترجمته: ذيل التقييد ١/ ٤١١، والدر المنتخب، الترجمة ١، والدرر الكامنة ١/ ٦، وإنباء الغمر ١/ ١٠١، والطبقات السنية ١/ ١٩٨، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣٩.

(٢) في ج: «وسمع» خطأ بين.

(٣) في أ: «ومات بحلب في ليلة».

(٤) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٤٨٠، والدرر الكامنة ١/ ٢٦، وإنباء الغمر ٣/ ١٦٧.

(٥) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٢٦، ووجيز الكلام ٢/ ٧٧٤، والدليل الشافي ١/ ٧، والمنهل الصافي ١/ ٢٦، ونظم العقيان ١٣، وشذرات الذهب ٧/ ٣٠٩، والبدر الطالع ١/ ٨.

ولدَ بدمشق في سابع عِشْري رمضان سنةَ ستٍّ أو سبع وسبعين وسبع مئة. وبَرَع في عدَّة فنون من فقهٍ وعربيةٍ وأدب، وقال الشِّعر الجيِّد، وله رسالةٌ عاطِلة من النَّقْط، أبدعَ فيها ما شاء لانسِجامها وعَدَم التكلُّف فيها. وخطب بالمسجد الجامع الأُموي بدمشق، ووَلي مَشْيخة الخَانِكاه الباسطيّة وغيرها. واجتمع بي مع والدِهِ بدمشقَ مِرارًا، ونِعمَ الرجلُ هو[1].

٨- إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن فَلاح بن محمد الجُذاميُّ الإسكَنْدريُّ الأصل الدِّمشقيُّ المولد والدَّار، أبوإسحاق بُرهان الدين ابنُ الضِّياء ابن الإمام شيخ القُرَّاء بُرهان الدين[2].

وُلد بدمشق في ذي القعدة سنةَ خمسٍ وتسعين وست مئة. وحَضَرَ على عُمر بن القوَّاس، وسَمِعَ من الخطيب شرف الدين الفَزاري، وابن مُشرِّف، وأبي جعفر ابن المَوازيني وغيرهم. وكان ساكِنًا مُنْجمعًا عن النَّاس، وحدَّث، سَمِعَ منه الفُضَلاء. توفي يومَ الثلاثاء تاسع عشر ذي الحجة سنة ثمانٍ وسَبْعين وسبع مئة بدمشق.

٩- إبراهيم بن إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل، الآمديُّ الأصل الدِّمشقي الحَنَفيُّ، أبو إسحاق بن أبي محمد، فخرُ الدين ابنُ الإمام المُسْنِد عفيف الدين[3].

---

(١) لم يذكر المصنف وفاته، وذكرها السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٢٨ ووجيز الكلام ٢/ ٧٧٤، فقال في الضوء: «مات في يوم الخميس رابع عشري ربيع الأول سنة سبعين» يعني وثماني مئة.

(٢) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٤١٢، وغاية النهاية ١/ ٥، والدرر الكامنة ١/ ٧، وإنباء الغمر ١/ ١٩٩، والمنهل الصافي ١/ ٣١.

(٣) ترجمته في: الدر المنتخب، الترجمة ٩، والدرر الكامنة ١/ ١٨، وإنباء الغمر ١/ ٢٠٠، والمنهل الصافي ١/ ٣٤، والدليل الشافي١/ ٩، والطبقات السنية ١/ ٢١١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٥٥.

وُلِدَ بدمشق ليلةَ عاشوراء سنة خمس وتسعين وست مئة، وسَمِعَ من أبيه، وابن مُشَرِّف، وابن المَوازيني، والقاضي سُليمان وسَنْجر الدَّواداري وشُهْدَة بنت ابن العديم. ووَلِيَ نظر الجيش بدمشق، والحِسْبة وغيرَ ذلك. وخَرَّج له المحدِّثُ صدر الدين ابن إمام المَشْهد «مشيخةً» حَدَّث بها، وسَمِعَ منه الفُضلاء. توفي بعدما ثَقُلَ صممُه يومَ الأحد ثاني رَبيع الأول سنةَ ثمان وسبعين وسبع مئة. وقد أجازنا وكتبَ بخطه أن نروي عنه جميعَ ما يجوزُ له روايتُه، وذلك في سنة إحدى وسبعين وسبع مئة.

١٠- إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان بن الحسن بن بَشائر بن معالي بن عقيل[1]، الشريفُ الحُسينيُّ، أبو إسحاق، بُرهان الدين نقيبُ الأشراف بدمشق ابنُ الشريف النقيب بدمشق شرفُ الدين ابن النَّقيب أمين الدين أبي الفضل[2].

ولدَ بها في يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الأول سنةَ سبع عشرة وسبع مئة، وسَمِعَ بها من أبي بكر بن عَنْتر «جزء الذُّهلي» وغيره، وحدَّث.

وكان رئيسًا نبيلاً حَشِمًا فَخْرًا من بيت سُؤدَدٍ ورئاسة. ووَلِيَ حِسْبةَ دمشق فحُمِدَت سيرته فيها، وقَدِمَ القاهرة.

وتوفي بدمشق ليلةَ السبت ثاني ذي الحجة سنةَ سبعٍ وتسعين وسبع مئة.

وهو والدُ السيد علاء الدين عليّ كاتب السرِّ بدمشق، وجدُّ السيدين

(١) في حاشية المسودة تتمة النسب: «بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن الحسن ابن عليّ بن محمد بن إسماعيل المنقذي بن جعفر بن عبدالله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب».

(٢) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٥٧، والدرر الكامنة ١/ ٤٢، وإنباء الغمر ٣/ ٢٥٥.

ناصر الدين محمد، وشهاب الدين أحمد كاتِب السرِّ.

١١- إبراهيم بن أحمد[١] بن حُسين، الشيخ بُرهان الدين المَوْصليُّ المالكيُّ[٢].

كان يُؤدِّبُ الأطفال بالقاهرة، ثم جَاوَرَ بمكةَ نَحْوًا من ثلاثين سنةً حتى ماتَ بها.

صَحبتُهُ في مجاوَرَتي بمكة سنةَ سبع وثمانين، فشاهدتُ منه ورَعًا ونُسْكًا. وكان يَتَقوَّت من النَّسْخ للناس بالأجرة. ثم أَهْلَلْت أنا وإياه بالحج جميعًا من المسجد الحَرام في ثامن ذي الحجة سنة تسعين، وخَرَجنا مُشاة إلى مِنى، ونَزَلنا مسجد الخَيْف، وسرنا من مِنى مُشاة حتى نَزَلنا مسجد إبراهيم من نَمِرَة، وصلينا وراءَ الإمام الظُّهر والعصر، ومشينا إلى عَرَفة، ووقفنا[٣] حتى أفَضنا، وبتنا بمُزْدَلفة حتى وقفنا بعدَ صلاةِ الصُّبح بالمَشْعر الحرام، ثم أفَضنا إلى مِنى مُشاةً، فحال بيني وبينه ازدحام الناس بمنى، وكان هذا آخر عَهْدي به، فرحمه الله من رجلٍ ما كان أكثرَ تحرِّيه في الوَرَع وأشدَّه في ذاتِ الله تعالى.

توفي في العَشر الأُخر من جُمادى الآخرة سنةَ خمسَ عشرة وثماني[٤] مئة، وهو من أبناء السبعين.

---

(١) هكذا سمى أباه، وكذلك صنع الحافظ ابن حجر في الإنباء، وذكره هكذا السخاوي في الضوء اللامع ١/ ١٣، لكنه قال: «كذا ذكره شيخنا والمقريزي» ثم أعاده في: «إبراهيم بن محمد بن حسين» ١/ ١٣٧.

(٢) ترجمته في: العقد الثمين ٢/ ٢٤٩، وإنباء الغمر ٧/ ٢٩ و٧٨، والضوء اللامع ١/ ١٣ و١٣٧، ووجيز الكلام ٢/ ٤٢٣، وشذرات الذهب ٧/ ١٠٨.

(٣) في أ: «فوقفنا».

(٤) ترجمه ابن حجر في الإنباء مرتين، الأولى في وفيات سنة ٨١٤ (٧/ ٢٩)، والثانية في وفيات سنة ٨١٥ (٧/ ٧٨).

١٢- إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن عُمر بن خالد بن عبدالمُحسن[١] القُرَشيُّ المخزوميُّ، القاضي بدرُ الدين أبو إسحاق ابنُ صدْر الدين أبي البركات ابن مَجْدِ الدين أبي الرَّوحِ ابن الخشابِ الشافعي[٢].

بَرَعَ في الفقه وغيره. وكان فصيحًا بَصيرًا بالأحكام، عارفًا بالمكاتيب، وأفتى ودَرَّس عِدَّة سنين، ونابَ في الحُكم بالقاهرة المَحْروسة[٣]، ثم وَلِيَ قضاءَ حَلَب، وآخر ما وَلِيَ قضاءَ المدينة النبوية، ثم خرجَ منها لمرضٍ أصابَهُ فأدركهُ أجَلُه بجزيرة عَيْنونة[٤] في جُمادى الأولى سنة خمسٍ وسبعين وسبع مئة عن نحو الثمانين سنة.

ومولده في يوم السبت رابع عشر ربيع الأوَّل سنة ثمانٍ وتسعين

---

(١) جاء في حاشية أ زيادة في نسب هذه الترجمة ونصه: «ابن نشوان بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالمحسن بن عطاء بن خالد بن عمر بن خالد ابن عبدالله بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم، هكذا عندهم لكن خالدًا لم يُعقب وإنما العقب في أخيه الوليد بن الوليد».

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢٢٧، وذيل العبر للعراقي٢/ ٣٧٠، وذيل التقييد ١/ ٤١٧، وغاية النهاية ١/ ٨، والدر المنتخب، الترجمة ٦، والدرر الكامنة ١/ ١٣، وإنباء الغمر ١/ ٨٣، ولحظ الألحاظ ١٥٩، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٢٦، والدليل الشافي ١/ ٨، والمنهل الصافي ١/ ٣٢، ووجيز الكلام ١/ ٢٠٠، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣٧.

(٣) لفظة: «المحروسة» ليست في أ.

(٤) هكذا مجودة التقييد في النسختين، وذكر العراقي أنه قصد القاهرة في البحر فتوفي به ودفن ببعض جزائره. وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر أنه دفن بجزيرة قريبًا من عيون القصب. فالظاهر أن هذه الجزيرة التي دفن فيها هي جزيرة عينونة.

وست مئة، وقد سمعَ من جدِّه الإمام مَجْدِ الدين عيسى، ومن عليّ بن عيسى بن القَيِّم، ومن الشريف عز الدين موسى، ومن وزيرة، والحَجَّار. وله تصنيفٌ في المناسك، ونظمٌ وخُطَبٌ.

وأجازَني وكتب لي خَطَّه أن أروي عنه ما يجوزُ له وعنه روايته من تصنيفٍ ونَظْم ونَثْر، وذلك في جمادى[1] سنة إحدى وسبعين وسبع مئة، وذكر مولده كما هو هنا. وحدثنا بكتاب «الجواهر واللآلي في المواساة والمصافحات والأبدال والموافقات العوالي» و«جزء في فضل يوم عرفة» و«جزء في فَضْل يوم عاشوراء» بسماعه على جده عيسى بسماعه من المُنْذري.

١٣- إبراهيم بن محمد بن عبدالله السِّهربائي[2] الشَّافعي، أبو إسحاق بن أبي عبدالله، عز الدين ابن تقي الدين ابن الوجيه[3].

ولدَ سنةَ ثلاثٍ وتسعين وست مئة، وسمعَ من الحافظ أبي أحمد الدِّمياطي، وأبي الحسن ابن الصَّوَّاف، والجمال السَّقَطي، وأحمد ابن نِعْمَة الحَجَّار، ووزيره، ومن زينبَ بنت الإسْعَردي.

وحَدَّث، وكانت وفاتُه بمكة في سنة تسعٍ وستين وسبع مئة، ودُفِنَ بالمَعْلاَة، ووَلِيَ أمانة الحُكْم بالقاهرة.

١٤- إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عَسْكر بن مُظَفَّر بن نَجْم ابن شادي[4] بن هلال، الشيخ بُرهان الدين أبو إسحاق بنُ أبي محمد،

---

(١) هكذا في أ و جـ من غير تحديد.

(٢) هكذا مجودة في النسختين، وفي العقد الثمين والدرر: «السمربائي». بالميم بدل الهاء.

(٣) ترجمته في: ذيل العبر للحسيني ٢٧٢، وذيل التقييد ١/ ٤٤٤، والعقد الثمين ٣/ ٢٥٧، والدرر الكامنة ١/ ٦٣.

(٤) في جـ: «شاح»، محرف، وما أثبتناه من خط المصنف في المسودة، وهو الموافق لما جاء في مصادر ترجمته كافة.

شرف الدين القِيراطيُّ الطَّائيُّ الشافعيُّ[1].

ولدَ ليلةَ الأحد الحادي والعشرين من شهر صَفر سنةَ ستٍّ وعشرين وسبع مئة، وسمع «صحيحَ البخاري» على ابن شَاهِد الجَيْش، ومن الحسن ابن السَّديد، ومن أحمد بن علوي المَشْتولي، ومن الشيخ شمس الدين ابن السَّرَّاج الكاتب في آخرين. واشتغل فحصَّل فُنونًا من العلم، وبَرَعَ في الأدب حتى كان واحدَ عصره.

وله «ديوان» شعر. وحدَّث ودَرَّس، وانقطعَ في آخر عُمره بمكةَ[2] مدَّة حتى تُوفي بها ليلة الجُمعة العشرين من شهر ربيع الآخر سنةَ إحدى وثمانين وسبع مئة، ودُفن بالمَعْلاَة، ومن شعره:

وبي مُغَنٍّ ذُو فَمٍ مِيمُهُ تَصُدُّ عن صَادٍ إلى الرَّشفِ
قد فَتَنَ العاشِقَ حتى غَدا يقولُ بالصَّوْتِ وبالحَرْفِ

وقال:

تبَسَّمَ لمَّا أنْ حَكى الغُصْنَ قَدُّهُ ونَابَ عن الصَّهْباء في الفِعْل ريقُهُ

وقال:

وقد نَزَّهْتُ في الخَدِّ ناظِري: أخدِّي هو البُسْتَان، قلتُ: شقيقُه

وقال:

سِر كي أريك مدامعي وأضالِعي يا قُرب ما بين العَقِيق إلى الغَضَا
وانْظُرْ إلى لَوْني وشَيْبِ مَفَارقي فالهَجْرُ ذَهَّب ذا وهَذا فَضَّضَا

١٥- إبراهيم بنُ محمد بن صِدِّيق، ويُدعَى أبا بكر بن إبراهيم

---

(١) السلوك ٣/ ٣٧٤، والعقد الثمين ٣/ ٢١٧، وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ١٢، والدرر الكامنة ١/ ٣٢، وإنباء الغمر ١/ ٣١٢، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٩٦، والمنهل الصافي ١/ ٧٠، وحسن المحاضرة ١/ ٥٧٢، وشذرات الذهب ٦/ ٢٦٩.

(٢) هذه اللفظة من أ.

ابن يوسُف، بُرهان الدين أبو إسحاق المعروفُ بابن صِديق[1] الدِّمشقيُّ الحَريريُّ المعروف بالرَّسَّام. وهي شُهرةُ أبيه لأنَّه كان رَسَّامًا، الصُّوفيُّ المؤذنُ، مُسندُ الحجاز[2].

ولدَ بدمشقَ سنةَ عشرين وسبع مئة تَخْمينًا، وسمعَ بها على أبي العباس الحَجَّار «صحيح البُخاري» وعدَّة كتب، وعلى العَدْل مجد الدين محمد بن محمد بن عُمر الأصفهاني[3] حفيدِ العماد الكاتب، وعلى العَفيف إسحاق بن يحيى الآمدي، وعلى شيخ الإسلام تَقيِّ الدين أحمد ابن تيمية، وجماعةٍ.

وحدَّث بمسموعاته في دمشق، والحَرَمين، وحَلَب، وطرابُلُس دَهْرًا، وعُمِّر وتفرَّد حتى ألحقَ الأحفاد بالأجداد، وصار بقيَّة المُسندين وخاتمةَ المُعَمَّرين. وكان أسنَدَ مَن بقِيٍ في الدُّنيا مع حُسن الفَهْم لما يُقرأ عليه، وإلمامٍ بشيءٍ من الفقه، مع حظٍّ وافر من العبادة.

توفي ليلةَ الأحد سابعَ عشر شوَّال سنةَ ستٍّ وثمان مئة بعد إقامته بمكة سنين، ودُفن بالمَعْلاَة.

١٦- إبراهيم بن مُحمد بن عليّ الصِّنهاجيُّ المالكيُّ، أبو سالم بُرهان الدين[4].

---

(١) قيده السخاوي في الضوء فقال: «بكسر الصاد المهملة وتشديد الدال المهملة وآخره قاف».

(٢) ترجمته في العقد الثمين ٣/ ٢٥٠، وذيل التقييد للفاسي ١/ ٤٤١، وإنباء الغمر ٥/ ١٥٧، والضوء اللامع ١/ ١٤٧ وقال: «وذكره المقريزي في عقوده باختصار رحمه الله»، وشذرات الذهب ٧/ ٥٤.

(٣) هكذا في أ و جـ، وهو وهم صوابه: محمد بن عمر بن محمد الأصفهاني، كما تقدم في الترجمة (٤) من هذا الكتاب.

(٤) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٢٤، وإنباء الغمر ٣/ ٢١٨، والدرر الكامنة ١/ ٣١، ووجيز الكلام ١/ ٣١٢، وبغية الوعاة ١/ ٤١٦، وشذرات الذهب ٦/ ٣٤٥.

ولدَ بدمشقَ سنةَ ثمان عشرة وسبع مئة، وحَفِظ «الموطأ»، وعَرَضَه وسَمِعَهُ من الوَادِياشي، وحَدَّث به. وتفقه على الشَّيْخ صدر الدين المالكي، ولازَمَه وتخرَّج به، وتزوَّج بابنته بعد موته.

وكان عالمًا بالفقه والأصلين والعربية، فَصِيحَ العبارة، حسنَ المحاضرة.

اجتمع بي لما قَدِمتُ مكةَ في سنة سَبْع وثمانين وسبع مئة في منزلي بها، وقد جاءَ للسلام عليَّ فصحبتهُ من حينئذ.

وقد وَلِيَ قضاءَ المالكيَّة بدمَشق مَرَّتين؛ مَرَّةً في سنة ثمانٍ وسبعين[1] عِوَضًا عن زين الدين أبي بكر المازُوني مدَّةَ أربعة أشهر، ثم نُقِلَ إلى قَضاء حَلَب.

وتوفي يومَ السَّبْت تاسع عَشَر شهر ربيع الأوَّل سنةَ ستٍّ وتسعين وسبع مئة فُجاءةً بعد خُروجِه من الحمَّام وهو مَعْزُول عن القَضاء.

١٧- إبراهيم بن عليّ بن محمد بن أبي القاسم فَرْحُون بن محمد بن فَرْحُون اليَعْمُريُّ المدنيُّ المالكيُّ، أبو الوفاء بنُ أبي الحسن، برهانُ الدين ابنُ الإمام المحدِّث نُورِ الدين[2].

وُلِدَ بالمدينة النبوية ونشأ بها، وسَمِعَ من الجَمَال المَطَرِي، والزُّبير ابن عليّ الأُسْوَاني، والمحدِّث أبي عبدالله الواديَاشي. وتفقه وبَرَع وصَنَّف وجَمَعَ وحدَّث، وقَدِمَ القاهرة، وبها عرفتُهُ، وقد وَلِيَ قضاءَ

---

(١) يذكر المصنف أنه إنما ولي قضاء المالكية في دمشق مرتين: مرة في سنة ٧٧٨ ولم يذكر المرة الثانية: ويبدو من تعليق على المسودة كتبه أبو بكر ابن قاضي شهبة أنه عزل سنة ٧٧٩ وبعد نحو عشرين يومًا أعيد، ولكن في صفر سنة ثمانين عزل مرة أخرى عن قضاء دمشق وتولى قضاء حلب. ثم في شعبان سنة ٧٨٠ أعيد إلى قضاء دمشق، وفي سنة ٧٨٣ ولي برهان الدين النعماني قضاء دمشق.

(٢) ترجمته في: ١/ ٤٣٥، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٢٣، والدرر الكامنة ١/ ٤٩، وإنباء الغمر ٣/ ٣٣٨، ووجيز الكلام ١/ ٣٢٦، وشذرات الذهب ٦/ ٣٥٧.

المالكية بالمدينة حتى ماتَ بها في ذي الحجة سنةَ تسع وتسعين وسبع مئة، ودُفن بالبقيع.

١٨- إبراهيم بن محمد بن عُمر بن عبدالعزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زُهير بن هارون بن مُوسى بن عيسى بن عبدالله بن محمد بن أبي جَرَادَةَ العُقَيْليُّ الحَلَبيُّ الحَنَفيُّ، أبو إسحاق بنُ أبي عبدالله بن أبي القاسم، قاضي القُضاة جمالُ الدين ابن القاضي ناصِر الدين ابن القاضي كمالِ الدين، الشهير بابن العَدِيم(١).

ولد بحلبَ في سادس ذي الحجة سنةَ إحدى عشرة وسبع مئة، وأُسمِعَ بها على العز إبراهيم ابن العَجَمي وغيره، وسَمِعَ بحماةَ من أحمد ابن نِعْمة الحَجَّار، والكمال محمد بن نَصْر الله بن إسماعيل ابن النَّحَّاس. وَلِيَ قَضَاء حلب كآبائه، وحَدَّث «بالصحيح» عن ابن الشِّحنة. وسمعَ منه الفُضلاء. وكانت وفاتُه يوم الخميس سادسَ عشر المحرم سنة سبع وثمانين وسبع مئة(٢).

١٩- إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بَدْران بن إبراهيم بن رَحْمَة السَّعْديُّ الإخْنائيُّ المالكيُّ، أبو إسحاق بن أبي عبدالله، قاضي القُضاة، برهانُ الدين ابن قاضي القُضاة علم الدين(٣).

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٥٣٨، وذيل التقييد ١/ ٤٥٠، والدر المنتخب، الترجمة ٥٨، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/١٦٦، والدرر الكامنة ١/ ٦٦ وإنباء الغمر ٢/ ١٩٢، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٥، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ١٢٤، والمنهل الصافي ١/ ١٥٧، ووجيز الكلام ١/ ٢٧٣، والطبقات السنية ١/ ٢٧١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٩٥.

(٢) في حاشية المسودة إضافة نصها: «وكان صيناً ديناً عفيفًا صدوقًا كثير العبادة والتلاوة للقرآن. ناب في الحكم بحلب عن أبيه سنين، ثم استقل بعد وفاته حتى مات».

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢٥٧، وذيل العبر للحسيني ٤١٣، والدرر الكامنة ١/ ٦٠، وإنباء الغمر ١/ ١٥٩، ورفع الإصر ١/ ٤٠، والنجوم الزاهرة =

وُلِدَ بالقاهرة، وسَمِعَ بدمشق في أيام ولاية أبيه قَضَاءها من أحمد ابن الشِّحْنَة، وإبراهيم الواني، وعبدالغالب الماكْسِني. ووَلِيَ قضاءَ القُضاة المالكية بديار مصرَ عوضًا عن أخيه تاجِ الدين أبي عبدالله محمد، وقد مات، وذلك في حادي عِشْري صَفَر سَنَةَ ثلاثٍ وستين وسبع مئة. وكان أوَّلاً يخلفُ أخاه في الحُكْم. ووَلي نَظَر الخِزانة، وحِسْبَةَ القاهرة، ونَظَر المارِستان المَنْصوري، وكانَ مَسْعُودًا في مُباشراته.

وكان أوَّلاً شافِعيَّ المذهَب، ثم انتقل إلى مَذْهب مالك بعدما حَفِظ كتاب «التنْبيه» في الفقه. فلما تَقَلَّد قَضاء المالكية باشر بعفةٍ ونَزَاهة نَفْس وحُرْمةٍ وافِرة.

وحدَّث، سَمِعَ منه الفُضلاء مع المروءة الغَزِيرة والإفضال الجزيل، سيَّما لأهْلِ مذْهبه وأصحابه. وكانَ لا يقبَلُ رسائلَ أهل الدَّولة ولا شَفَاعاتِهم، بل يُوَلِّي كلَّ أحدٍ ما يليقُ به ويراهُ له أهلاً من قضاء وغيره. وكان كثيرَ السِّتْر والحِلْم، وعاداه جماعةٌ فما نَجَحوا ولا أفلَحوا. وبالجُملة فلقد كان للوَقْت به جَمالٌ، ولَهُ في قَلْب كلِّ أحد مَهابةٌ، ولم يزل على ذلك حتى نزلَ به ما لا بُدَّ منه. وكانت وفاتُه يوم الثلاثاء الثاني من شهر رَجَب سنة سبع وسبعين وسبع مئة، ودُفن بالقَرافة، ووَلِي بعدَه شيخُنا بَدْرُ الدين عبدُالوهاب الإخْنَائي.

٢٠- إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مُطَيْر بن عليّ بن عُثمان الحَكَميُّ اليَمَنيُّ الشّافعيُّ، أبـو إسحاق بن أبي عبدالله، ضياءُ الدين

= ١١/ ١٣٦، والدليل الشافي ١/ ٢٦، والمنهل الصافي ١/ ١٣٠، ونيل الابتهاج ٤٦، ووجيز الكلام ١/ ٢١٧، وحسن المحاضرة ١/ ٤٦١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٥٠.

ابنُ جَمَال الدين ابن عِماد الدين، الفَقيه المفتي بأبياتِ حُسين[1] من بلادِ اليَمَن[2].

سَمِعَ من والده الكثيرَ، ومن الفَقيه الصَّالح أبي عبدالله محمد بن عُثمان بن هاشم الحِجْري وغيره. وكان عالمًا صالحًا درَّس وأفتَى وحدّث، ومات ببلَدِه في سَنَةِ أربع وسبعين وسبع مئة.

٢١- إبراهيم بن أبي بكر بن عُمر بن أبيِ بكر بن إسماعيل بن عُمر بن بَخْتيار الدِّمشقيُّ الصَّالحيُّ، أبو إسحاقَ ناصرُ الدين المعروفُ بابن السَّلاَّر[3].

وُلِدَ في سنة أربع وسبع مئة، وسَمِعَ من عبدالله بن تَمَّام، ومحمد ابن الزَّرَّاد، وزَيْنب بنتِ النَّجْم إسماعيل، وستِّ الفُقهاء بنت الواسطي.

وهو آخر من حَدَّث عن الشَّرَفِ الدِّمياطي بالإجازة في دمشق. وله شِعْرٌ حَسَنٌ، وحدَّث.

توفي في شعبان سنةَ أربع وتسعين، وسبع مئة.

٢٢- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد الأردُبيليُّ[4].

وُلِدَ بها في سنة سَبع وثمانين وست مئة، وقَدِمَ مكة فذكر أنه سمعَ بها «جامعَ الأصول» على النَّجم الطَّبَري، وأنه قرأ «المصابيح» على شارحه تقي الدين الزَّعْفراني، وسمع بمكة كتاب «الشفا» على الجمال المَطَري. وكان عارفًا بالطِّب وغيره، ويعمل المَواعيد.

توفي في . . .[5].

---

(١) مدينة من أعمال سرود.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٦٧، وإنباء الغمر ١/ ٤٢، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣٠.

(٣) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٤٢٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٤٣٤، والدرر الكامنة ١/ ٢٢، وإنباء الغمر ٣/ ١٢٤، وشذرات الذهب ٦/ ٣٣٢.

(٤) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ٢٠٠، والدرر الكامنة ١/ ١٤.

(٥) بَيَّض المصنف، ولم يعد إليه، وقد ذكر الفاسي في العقد الثمين بأن والده =

٢٣- إبراهيم بن موسى بن أيوب، الشيخُ بُرهانُ الدين الأبْناسي الشافعيُّ[(١)].

وُلِدَ سنةَ خمسٍ وعشرين وسبع مئة تَخْمينًا، وبَرَع في الفقه، وتصدَّى للإفتاء والتَّدريس عِدَّة سنين، فانتَفَعَ به كثيرٌ من النَّاس، وحدَّث عن الوادياشي «بالموطأ» رواية يحيى بن يحيى، وبكتاب «التَّيْسير» في القِراءات للدَّاني، وحَدَّث عن أبي نُعيم الإسْعِرْدي، وأبي الفَتْح المَيْدومي، وأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن المُلُوك، وعلى العُرْضي، وابن أُمَيْلَة، ومحمد بن إسماعيل المأموني.

وأخذ الفقه عن الشيخ عبدالرحيم الإسنائي، والشيخ وَلي الدين المَلَوي. وبَنَى له زاويةً بالمَقْس خارجَ القاهرة، وانقطع إليه فيها جَمَاعةٌ من أهل الرِّيف طُلاب العلم فكان يعودُ عليهم بالبِرِّ.

وكان رفيقًا ليِّن الجانب، بَشُوشًا، مُتَواضعًا، تُرْجَى بَرَكتُه؛ وكان يُكْثِرُ من الحج، وعُرِض عليه قضاءُ القُضاة فامتنع وتَغَيَّب مُدَّة. وكان من خَبَرِ ذلك أن الأمير الكبير برقوق لما أراد عَزْلَ البُرْهان إبراهيم بن جماعة عن القضاء لأنه تَخيَّلَ منه أنَّه لا يُوافِقه على خَلْع الصالح حَاجِي واسْتبدَادِهِ بالسَّلْطَنة، طَلبَ من يَصْلُح للقُضاء، فذُكِرَ له جماعةٌ منهم الأبْناسي، فبَعَثَ إليه مُوَقِّعَهُ أوْحدَ الدين عبدالواحِد بن ياسين فعرَّفه السَّبب في طَلَبه، فوعَدَهُ وقتًا يأتيه فيه، ثم دخَلَ بعد تَوَجُّه الأوْحدِ إلى خَلْوَته وفتح

= أخبره أنه توفي في سنة إحدى وسبعين وسبع مئة بالقاهرة، ودفن بمقابر الصوفية.

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٢٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات سنة ٨٠٢)، وإنباء الغمر ٤/ ١٤٤، والمجمع المؤسس، الترجمة ١١، وذيل الدرر، الترجمة ٥٧، والدليل الشافي ١/ ٢٩، والمنهل الصافي ١/ ١٦٤، والضوء اللامع ١/ ١٧٢، ووجيز الكلام ١/ ٣٤٥، وحسن المحاضرة ١/ ٤٣٧، وشذرات الذهب٧/ ١٣.

المُصحف لأخذ الفَأل منه، فأوّل ما ظهر له قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف ٣٣]، فتوجَّه من فَوْره إلى منيَة الشِّيرج، واختفى بها حتى وَلِيَ البدرُ محمد بن أبي البَقَاء في تاسع عِشْري صفر سنة ٧٨٤[١]. ووَلِيَ مشيخةَ الخانكَاه النَّاصريّة سعيد السُّعداء.

وماتَ بطريق الحجاز وهو عائدٌ من الحج والمجاوَرَة في يوم الأربعاء ثامنِ محرَّم سنة اثنتين وثماني مئة بمنزِلَة كَفافة[٢]، فحُمل إلى المُوَيْلِحة وغُسِّل وكُفِّن وصُلِّي عليه يوم تاسُوعاء، وحُمِلَ إلى عُيُونِ القَصَب، فدُفن على ممرِّ الحاج في يوم الجمعة. رحمه الله.

وقد صنَّف وجَمَع ودَرَّس وأفتى وتَصدَّى للإقراء، فانتفع به خَلْق كثير. وكان حَسَنَ الأخلاق، جميلَ المُعاشرة، طارحًا للتكلُّف، متواضعًا، متودِّدًا إلى النَّاس، قَلَّ أن تَرَى العُيونُ في مَعناه مثلَه.

٢٤- إبراهيم بن أسْعَد بن المظَفَّر بن أسْعَد بن حَمْزة بن أسد ابن عليِّ بن محمد، الفَقيه المُقرىء مَجْدُ الدين، أبو إسحاق ابن مُؤيَّد الدين أبي المَعَالي ابن عِزِّ الدين أبي غَالِب ابن الوَزير مُؤَيَّد الدِّين أبي المَعَالي ابن القَلانسي التَّميميُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ[٣].

تُوفي يومَ الثلاثاء أوّل المحرم سنة خمس وستين وسبع مئة. وكان مُلازِمًا لتِلاوةِ كتاب الله الكَريم، كثيرَ البرِّ والإحسان.

قال أبو الحسن عليّ بن محمد بن سُليمان اليُونيني في «مشيخته»: قال شيخنا مَجْدُ الدِّين- يعني ابن القَلانسي هذا: سمعتُ شيخَ الإسلام تقيَّ الدِّين بن تَيميَّة رحمه الله يقول:

مـن لـي بمثـل سَيْـرِك المُـذَلَّـلِ تَمْشي رُويدًا وتَجي في الأوَّلِ

٢٥- إبراهيم بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن بَدْران، بُرهان

---

(١) قوله: «في تاسع عشري صفر سنة ٧٨٤» إضافة من أ.

(٢) موضع معروف في طريق الحج من سواد باهلة (صفة جزيرة العرب ٢٩٣).

(٣) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ١٨، والمنهل الصافي ١/ ٣٦، والدليل الشافي ١/ ٩.

الدين النَّابلسي، أبو إسحاق المعروف بالزَّيْتاوي[1].

سَمِعَ على عَبْدالحافظ بن بَدْران «كتاب التوابين» لابن قُدامة بسَماعِهِ منه، و«سُنن ابن ماجة».

توفي في رَجَب سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة، وقد حدَّث، وكانت وفاته بنَابُلُس.

٢٦- إبراهيم بن عبدالرحمن بن سُليمان، المعروف بإبراهيم شيخ، السَّرائيُّ الشَّافعيُّ[2].

بَرَعَ في الفِقه والنَّحو، وقَـدِم القاهرة فأخذَ علمَ الحديثِ عن الحافظ زَيْن الدين عبدالرَّحيم العِراقي، وعُني بالحَديث وضَبَط كتبه أحسنَ ضَبْط. وكان فاضِلاً في فُنون عَديدة، ويُتقن عملَ عِدَّة صنائعَ بيده، مع الثِّقَة والضَّبْط والأمانة والدِّيانة. ووَليَ مشيخةَ رِباط الخَانكاه البَيْبَرَسيَّة حتى ماتَ يومَ الاثنين رابع عِشْري شهر ربيع الأول سَنَةَ اثنتين وثمان مئة.

سألتهُ عن أخبار تَمرلَنك فقالَ لي: كان ابتداءُ ظُهوره في سنة عَذَاب، يريدُ سنةَ ثلاثٍ وسبعين وسبع مئة. فإن العَيْن عددُها سبعون، والذَّال سبع مئة، والألفُ واحد، والباءُ اثنان. وهذا من غريب الاتفاق فإنَّه كانَ عذابًا على أهلِ الأرْض بأجمَعهم. وله شِعْر.

٢٧- إبراهيم بن ناصر بن جَرْوان المالكيُّ، من بني مالِك، القُرَشيُّ الشِّيعيُّ، مَلِك الأحْساء[3].

---

(١) ترجمته في: الوفيات للسلامي ٢/ ٣٧٦، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٢٧، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات سنة ٧٧٢)، والدرر الكامنة ١/ ٣٠، ولحظ الألحاظ ١٥٤.

(٢) ترجمته في: الدر المنتخب، الترجمة ٣٥، وإنباء الغمر ٤/ ١٤٣، وذيل الدرر، الترجمة ٥٩، والضوء اللامع ١/ ٥٨، ووجيز الكلام ١/ ٣٤٦، وشذرات الذهب ١٧/ ١٣.

(٣) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٧٥.

وَرِثَ المُلْك عن آبائه، وأوَّل دَوْلَتِهم في سنةِ خمسين وسبع مئة أخذها جدُّه جَرْوان من سعيد بن مغامِس بن سُليمان بن رُمَيْثة القِرْمِطي. وجميع أهل الأحْساء، والقَطِيف، والبَحْرين، وتاروت رَفَضَةٌ. وقام بعد جَرْوان بالأحْساءِ ابنهُ ناصِر، ثم قام إبراهيمُ بعد أبيه ناصر قُبَيْل سنة عشرين وثمان مئة.

٢٨- إبراهيم بن مُحمد بن يُونُس بن مَنْصور القَوَّاس[١].

وُلد سنةَ سبع وسبعين وست مئة، وسَمِعَ على الفَخْر ابن البُخاري «سُنن أبي داود» بفَوْتٍ، وسَمِعَ على زَيْنَبَ بنت مكي، وحدَّث.

قال ابنُ رافع[٢]: وكان جَيِّدًا مُحبًّا للخير، مُلازمًا لصَنْعَتِه. ماتَ بكَفْرسُوسِيَّة من غُوطَةِ دِمَشْق في شَعْبان سَنَةَ إحدى وستين وسبع مئة.

٢٩- إبراهيم ابن العلاَّمَة جَمَال الدِّين أبي المُظَفَّر يُوسُف بن محمد بن مَسْعُود السُّرَّمَرِّيُّ ثم الدِّمَشْقيُّ الحَنْبَليُّ العَطَّار[٣].

وُلِدَ في حُدود الخمسين وسبع مئة، وأُسْمع على مُحمد ابن الخَبَّاز شيئًا من «مُسْنَد الإمام أحمد»، ومن القاضي بَشير بن إبراهيم بن بَشير[٤] البَعْلَبَكيِّ.

وتوفي في شَهْر رَمَضان سنة ثلاث وثماني مئة.

٣٠- إبراهيم بن أحمد بنِ عبدالواحِد بن عبدالمُؤمن بن كامل ابن سَعِيد بن عُلوان التَّنوخيُّ البَعْلَبكيُّ الأصل، ثم الدِّمشقيُّ، البرهان

---

(١) ترجمته في: ذيل العبر للحسيني ٣٣٦، ووفيات السلامي ٢/ ٢٣٣، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات سنة ٧٦١)، والدرر الكامنة ١/ ٧٢.

(٢) الوفيات ٢/ ٢٣٣- ٢٣٤.

(٣) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ١٨٢.

(٤) هكذا في أ وجـ، والمحفوظ في مصادر ترجمته أنه بشر بن إبراهيم ابن بشر، توفي سنة ٧٦١، كما في وفيات ابن رافع ٢/ ٢٢٨- ٢٢٩، والدرر ٢/ ١٢ وغيرهما.

الشاميُّ، الضَّرير، نزيل القاهرة، المعروفُ قَدِيمًا بابن القاضي الحَرِيري، وحديثًا بالبُرْهان الشَّاميُّ، أبو الفِداءِ، وأبو إسحاق، بُرْهان الدين ابن شهاب الدين، الشافعي[1].

وُلِدَ بدمَشق سَنَة تسع أوْ في أوائل سنة عَشر وسبع مئة، وأجازَ له في سنة ستَّ عَشرة وسبع مئة جماعةٌ من المُسندين، تَفَرَّدَ بالرِّواية عن أكثرهم، منهم أبو نَصْر محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ابن الشِّيرازي، وأبو زكريا يَحيى بن محمَّد بن سَعْد، وأبو الفَتح محمد بن عبدالرَّحيم بن النَّشو، وأبو مُحَمَّد القَاسِم بن مُظَفَّر ابن عَسَاكر ونحوهم. وسمع الكثيرَ في سنة ثمان وعشرين وبعدها، فأكثرعن أبي العَبَّاس الحَجَّار، والحافظ أبي الحَجَّاج المِزِّي[2]، والحافظ أبي محمد البِرْزَالي، وأبي محمد عبدالله بن الحُسين ابن أبي التَّائب، وزينب بنت الكمال ونحوهم. وارتحل إلى حَمَاة فأخَذَ عن القاضي شرف الدين البارزي ولازمه، وحصل إجازته بالإفتاء في المَذْهب، ثم ارتحلَ إلى حَلَب فأخذ عن القاضي شمس الدين ابن النقيب وأجازه بالإفتاء أيضًا. ثم ارتحل إلى القاهرة فأكثر عن أبي حَيَّان وأجازه بالقراءات، وكتبَ له خطه بذلك في عدة أوراق، وكذا أخَذَ القراءات عن أبي عَبْدالله محمَّد بن جابر الواداياشي وأجازه، وارتحل إلى الإسكندرية فأخذَ عن أبي العَبَّاس المُرادي، وأجاز له بالقراءات السبع. وأخذَ بالقاهرة عن قاضي القضاة بَدْر الدِّين ابن جَمَاعة، وسمع عليه «الشَّاطِبية» بسماعه على ابن الأزرق بسَماعه على ناظِمها، وعن القَاضي شَمْس الدين ابن القَمَّاح وبحث عليه «المنهاج» للنَّووي- رحمه

---

(١) ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٧، والدر المنتخب، الترجمة ٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٦٧، والدرر الكامنة ١/ ١١، وإنباء الغمر ٣/ ٣٩٨، ووجيز الكلام ١/ ٣٣٠، وشذرات الذهب ٦/ ٣٦٣.

(٢) في جـ: «المزني» خطأ بين، وهو صاحب «تهذيب الكمال» و«تحفة الأشراف» المتوفى سنة ٧٤٢هـ، وهو منسوب إلى المِزة من دمشق «تنظر مقدمة تهذيب الكمال، للدكتور بشار عواد معر وف».

الله- وأجازه بالإفتاء، وقرأ «تلخيص المفتاح» على مؤلفه الجلال القزويني.

ثم عادَ إلى دِمَشق، واشتهرت فضائله، ولازمَ الحافظ أبا عَبْدالله الذَّهبي، وسَمِعَ عليه كثيرًا من تَصانيفه، وسَمِعَ الذَّهبي عليه جُزْءًا يشتمل علـى «الأربعين حديثًا المُتَباينة» من مرويات عز الدين ابن جماعة، تخريج محمد بن أيبك السَّرُوجي بقراءَةِ قاضي القضاة بُرْهان الدين ابن جَماعة، وكَتَبَ طَبَقَة السَّماع بخطِّه. ثم تحوَّل إلى القاهرة فنزلها عند قاضي القُضاة عِزِّ الدين ابن جماعة،وتولى عدَّة مدارسَ في الفِقْه والقراءات، وكان حَسَنَ المحاضرة، قويَّ الفهْم، جَيِّدَ الذِّهن، كثيرَ الاسْتِحضار، وكُفَّ بَصَرُهُ، وثقُلَ لسانه لمرضٍ عرَض له؛ ومع ذلك فكان ذهنُه صحيحًا ولسانه لا يَفترُ عن ذكر الله. وكان صابرًا على الأذى، سليمَ الباطن، محبًا في الحديث وأهْله بعدما كان نَفُورًا عندما لازمه أخونا في الله محدِّث الوقت وحافظ العَصْر شهابُ الدين أبو الفَضْل أحمد بن حَجَر- أمتع الله ببقائه- وخَرَّج له «المئة العشاريَّة»، ثم خرَّج له مُعجمًا في أربعةٍ وعشرين جُزءا عن نحو خمسِ مئة شَيْخ من شُيوخه بالسَّماع والإجازَة، وكانت وفاته ثامن جُمادى الأُولى سنة ثمان مئة بالقاهرة، رحمه الله.

سمعتُ عليه كثيرًا من سنة ثلاثٍ وثمانين وسبع مئة إلى سنةٍ سبع وتسعين وسبع مئة.

أخبرنا الشيخ المعمَّر الرُّحْلة الإمام العَلامة مُسْندُ العصر أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البَعْلَبَكِّيُّ الأصل، الشاميُّ الضَّرير سَماعًا عليه بالجامع الأقمر من القاهرة المعزِّية بجميع «المُنَتخب من مُسنَد» الإمام الحافظ أبي محمد عبد بن حُمَيْد بن نَصْر الكِسِّي، رحمه الله، بقراءة الإمام العالم العَلاّمة الحافِظ أبي الفَضْل أحمد بن حَجَر العَسْقلاني في أربعة مجالسَ آخرها الخامس والعشرون من جُمادى الأولى سنة سَبْع وتسعين وسبع مئة، بحق سماعه لجَمِيعه على شَيْخه المُعَمَّر الرُّحْلَة أعجوبة الزَّمان، مُسْنِد الدنيا أبي العَبَّاس أحمد بن أبي طالب بن أبي النِّعمة نِعْمَة بن حسن

ابن الحَجَّار الصَّالحي، رحمه الله، قال: أخبرنا بجَميعه سَمَاعًا خَلاَ من قوله فيه: حديث عبدالرَّحمن التَّيْمي إلى حديث مَتنه: «مَن شَهِدَ إملاكَ أمرِ مُسْلم» في أواخر مُسْند ابن عُمر. فهذا الفَوْتُ أجازَه الشَّيْخُ الجليلُ المسنِدُ أبـو المُنجَّى عبدالله بن عُمَرَ بن عليّ بن زَيْد البَغْداديُّ، ابن اللَّتّي، قال: أخبرنا بجميعه أبو الوَقْت عبدالأوّل بن عيسى بن شُعَيب السِّجْزي الصُّوفي، قال: أخبرنا أبو الحَسَن عبدالرَّحمن بن المُظَفَّر البُوشَنْجي، قال: أخبرنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حَمُّويه السَّرْخَسي، قال: أخبرنا إبراهيم بن خُزَيمة الشَّاشي، قال: أخبرنا الحافظ عَبْد بن حُمَيْد.

ومما رَوَيْناه عنهُ من شِعْره:

رَبِّ هَب لي منك عَفْوًا … وخُشوعًا وزَهَادَه

واجْعَلَنْ قُرَّة عيني … في صَلاةٍ وعِبادَه

واكْفِنِّي أنتَ حَسبي … كَيْدَ رِجْسٍ وعِنادَهُ

واجْبُرَنْ كسرًا بقَلبي … مِن شَقاءٍ لسعادة

واجْعَلَنْ أُنْسِي بلَحْدي … واسْتُرَنِّي في الإعادَهْ

أنتَ رَبي أنتَ حَسْبي … حَسْبُنا منكَ الشهادة

٣١- إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جَمَاعة بن عليّ بن جَمَاعة بن حازم بن صَخْر بن جامع بن جَمَاعة ابن عبدالله بن عامر بن الحارث بن رافع بن عبد بن عليّ بن وَقْد بن عُمر بن عَبْد بن عَبَّاد بن غَنْم بن مَلْكان بن كِنانة، أبو إسحاق برهان الدين ابن زين الدين ابن قاضي القُضاة بَدْر الدين بن جَمَاعة الكِنانيُّ الحَمَويُّ الأصل، ثم المقدسيُّ المنشأ الدِّمشقيُّ الوفاة[(١)].

(١) ترجمته في: ذيل العبر للحسيني ٣٦٢، ووفيات السلامي ٢/ ٢٨٠، وذيل العبر للعراقي ١/ ١٤٣، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٤٨، ورفع الإصر ١/ ٢٩، والدرر الكامنة ١/ ٣٩، وإنباء الغمر ٢/ ٢٩٢، والمنهل الصافي ١/ =

ولد بالقاهرة في نصف ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة، وسمع بمصر على الشَّيخ المُسْند أبي المحاسِن يوسُف بن محمد بن محمد بن أبي الفُتوح القُرشيُّ المؤذن بجامع عَمرو بن العاص المعروف بالدِّلاصي[1] كتاب «الشفا» للقاضي عياض رحمه الله. وسمع ببلاده الشام من أحمد بن عليّ الجَزَري، ومن زينب بنت الكمَال، وأحمد بن عُبيد الإسعردي، وإسماعيل بن إبراهيم بن أبي بكر التفليسي، وسعيد بن فلاح ابن أبي الوحش، وعُمر بن بَلَبان بن عبدالله الجَوْزي، ومحمد بن أحمد ابن عليّ الرَّقي الحنفي، ومحمد بن محمد بن إبراهيم الميْدُومي، ويحيى ابن فضل الله ابن المُجَلِّي[2] العُمَري، ويَحيى بن يوسُف بن أبي محمد ابن أبي الفتوح ابن المِصْري، ويوسُف الحافظ المزي[3]، ويونس بن إبراهيم بن عبدالقوي الدَّبُّوسي[4].

وولي خطابة المسجد الأقصى عوضًا عن[5] ... في[6] ثم أضيف إليه تدريس المدرسة الصلاحية بعد وفاة الشيخ صلاح الدين ابن العلاء[7]

= ٧٨، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣١٤، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ١٧٤، ووجيز الكلام ١/ ٢٩٦، والتحفة اللطيفة ١/ ١٣٦، والأنس الجليل ٢/ ١٠٧، وشذرات الذهب ٦/ ٣١١.

(١) منسوب إلى «دلاص» بكسر الدال المهملة قرية من صعيد مصر.

(٢) قيده ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه، كما قيدناه بالجيم وتشديد اللام (٨/ ٦١).

(٣) في المسودة والأصل: «يوسف ابن الحافظ المزي» وهو غلط بين كأنه سبق قلم من المصنف، وهو صاحب «تهذيب الكمال» المتوفى سنة ٧٤٢هـ.

(٤) في جـ «الدوسي»، خطأ، وما أثبتناه من مسودة المصنف، وهو الصواب، فقد نسبه ابن حجر في الدرر ٥/ ٢٥٩: «الدبابيسي».

(٥) بيَّض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه.

(٦) كذلك.

(٧) هكذا في الأصل، وهي مطموسة في المسودة، والمحفوظ أنه خليل بن كيكلدي العلائي المتوفى سنة ٧٦١هـ. (الوفيات لابن رافع ٢/ ٢٢٦، وذيل العبر ٣٣٥، وطبقات السبكي ٦/ ١٠٤- ١٠٥ وغيرها).

في محرم سنة إحدى وستين إلى أن صَرَف الملكُ الأشرف شعبانُ بن حُسين قاضي القُضاة بهاء الدين أبا البَقَاء عن القضاء، فبعث إليه واستدعاه من القُدس إلى حَضْرَته بالديار المصرية، وكان قد سار إلى دمشق لزيارة أهله، فأقام بها نحو خمسين يومًا. وخلع عليه في يوم الاثنين سادس عِشْري ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة بنظر القدس والخَليل، وأن لا يقطع أمرًا دونه. وسار من دمشق يوم الاثنين خامس عشر جمادى الأولى يريد القدس، فاختلف هو والبريدي الذي قَدِمَ في طلبه، فبات بالكسوة[1] وأصبح وقد طُلب من دمشق، فعاد إليها يوم الثلاثاء، ورُسم له بخيل البريد، فسار إلى القُدس، وقَضَى أمورَهُ وخطبَ بها يوم الجُمُعة السادس والعشرين منه خطبةً بليغةً كَثُر فيها البُكاء تأسفًا على فراقه. ثم سار إلى مصر في عشرة سُروج، فنزل ظاهر القاهرة يوم الأحد خامس جُمادى الآخرة، وخـرجَ أكابر البَلَد للقائه، فدخل في أبَّهَة عظيمة، وصعد القَلْعة فتلقاه الملكُ الأشرف وأجلَسَهُ معه، وولاَّه القضاءَ فامتنع من ذلك مِرَارًا، والسُّلطان يلح عليه وهو يأبى، حتى أقسمَ عليه ليقبلن، فسكت وأطرق، فأمر السلطان بإحضار الخِلْعة فأُفِيضت عليه، واشترطَ شُروطًا كثيرة يعود نفعها علـى النَّاس، فالتزم السُّلطان بهـا. ثم خرج ومعه أعيان الدَّولة، وركب الحُجَّاب معه، وأوقدت له الشُّموع من باب القَلْعة إلى المدرسة الصَّالحية بين القَصْرين، وأتاه النَّاسُ للهناء، وجاء إليه قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء فتلقاه تلقيًا حَسَنًا وبالغَ في إكرامه. ولم يُسْمَع في هذه الأعصار بولايةٍ أكمل من ولايته، ولا أبعد من تُهمة الرِّشوة منها. وذُكر أنه قيل للسلطان: إن عليه دينًا كثيرًا فالتزمَ بقضائه. فغض منه بعض فقهاء البلد وشَنَّع عليه بأنه قليل العلم حَسَدًا منه، ومال معه جماعة من الطَّلَبة، فبلغ ذلك البُرْهان عنهم، فشَمَخ عليهم وتَرَفَّعَ، وأوقَعَ ببعضهم لأمرٍ شافهه به ونكَّل بآخر

(١) قرية بجنوب دمشق.

وآخر، فهابَهُ الناسُ. وكان يلي نظر الجيش إذ ذاك محب الدين، وقد تمكنت رياسته فعارض البُرْهان في قضية أنف منها وامتنع من الحُكْم، فلما بلغ ذلك الأشرف أرسل إليه يترضاه فلم يرض، فما زال يبعث إليه حتى أذعن للاجتماع به بعد جهد، فنزل إلى داره أميرٌ وسارَ به وعليه عِمامةٌ صغيرة ومَلُّوطة[1] إشارة إلى تركه زِيَّ القُضاة، فلما أقبل على الأشرف تَرَضَّاهُ ولاواه وهو يأبى أن يعودَ إلى وظيفة القضاء. ثم إنه أذعن بعد اللتيا والتي فأفاضَ عليه التَّشريف اللائق به وعاد إلى منزله.

فلما خرج الأشرف إلى الحجاز يريدُ الحجَ في شوال سنة ثمان وسبعين وسبع مئة سار معه البُرهان ورفقته القضاة الثلاثة، فكان من واقعة العقبة ما كان، وفَرَّ الأشرف، وكان رأس تلك الفتنة الأمير طاشْتَمُر الدوادار[2]، فقال له يومئذ البُرهان: «يا طَشْتَمُر، هذه كلها فتنتك يا عدو الله، والله إن مكنني الله منكَ لأضْرِبَنَّ عُنقك» فبُهتَ طَشْتَمُر ولم يفه بكلمة لما كان له في نفوس أهل الدولة من الإجلال والوقار، فقال له قاضي القضاة بدر الدين عبدالوهاب بن أحمد الإخنائي المالكي: يا مولانا قاضي القضاة، ما هذا الكلام في هذا المكان؟ نُقتل جميعًا. فكهره[3]، ومضى الأمراء إلى القاهرة وأقاموا عليّ ابن الأشرف في دَسْت المملكة ولقبوه بالملك المنصور، وفي نَفْس طَشْتَمُر أحقاد على البُرهان لقوله له ما قاله في العَقَبة، فأخذ يُغْري به الأمراء ويقول: هذا كان يستقل أستاذكم، يعني الأشرف، فكيف يراكم في عينه شيئًا؟ وصادف ذلك سَعي البدر محمد بن أبي البَقَاء، فَصُرِفَ يوم الاثنين ثامن عشر شعبان سنة تسع وسبعين وله ست سنين وثلاثة عشر يومًا بالبدر محمد بن أبي البَقَاء، فسار إلى القُدس، وباشرَ الخطابة على عادته إلى أن كثرت

---

(١) الملوطة: هي اللباس الفوقاني الواسع الذي كان يلبس فوق الفرجية (دوزي ١٠/ ١٠٨).

(٢) ينظر في هذه الواقعة وجيز الكلام للسخاوي ١/ ٢٢٢ فما بعد.

(٣) كهره: شتمه، أو انتهره.

الشَّنَاعات على أبي البَقَاء، فاتفق الأميران بَرَكة وبَرْقوق على إحضار البُرهان من القُدس، فأنفذا إليه وأحْضَراه، فكان لدخوله مشهدٌ عظيمٌ، وقاد الأمراء بغلتَهُ آخذين بلجامها وهم مُشاةٌ، وبين يديه من الخَلْق مالا يحصيهم إلا الذي خَلَقَهُم سبحانه وتعالى. فنزل بصهريج مَنْجَك تحت القَلْعة، وكان ذلك يوم الأربعاء، ثم استُدْعِيَ من الغَدِ يوم الخميس ثالث عِشْري شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين، فخُلِعَ عليه ونزل ومعه عظماء الدولة فكان يومًا مشهودًا، فقال وهو بتشريف الولاية: كل من فارقناه على شيء فهو عليه، يشير بحسن تأتٍّ إلى عزل من استجدَّه ابن أبي البَقَاء بعده، وعَظُمت في هذه الولاية منزلته، وقويت مهابته، واشتد على أهل الدَّولة، وعاملهم بمر الحق، فلم يجدوا بُدًا من الانقياد إليه، بحيث إنه كان يومئذ من أعظم الأُمراء آق بُغا الكوكائي يلي رُتبة حاجب الحُجَّاب، وهو منصب يلي رُتبة نيابة السَّلْطنة، فأُقْطِعَ بَلَدًا كانت من جُمْلَة ما حُبِسَ ووُقفَ، فبعث إليه البُرهان مُوَقِّعين يُعَرِّفانه أن البَلَد وقفٌ فاسأل السلطان عِوَضًا منها، فأجابهما: هذا شيء ما أعرفه، السلطانُ أعطاني هذا؛ فلما كان من الغَدِ حَضَر البُرهَانُ الموكب بالقَلْعة، ودَخَل الكُوكائي على عادته مع الأُمراء فأعرضَ عنه البُرْهان، فجاء إليه وقال: يا مَوْلانا قاضي القضاة، ما ذَنبي؟ فرفَعَ البُرْهانُ صوتَه، وكان صَيِّتًا وقال له: ثَبتَ عندي فسْقُك، فإنك أخذتَ أرضًا وَقْفًا، وعَرَّفتُك أن تسأل السُّلطان عوضها لترجعَ إلى من يستحقها فأجبت بما[1] لا يليق ففَرق الكُوكائي منه وقال: يا مَولانا قاضي القضاة، أنا أستغفر الله. فلما انفضَّ الموكب رَكِبَ الكُوكائي إلى مجلس البُرهان ومعه مَنْشور إقطاعه، وناوله البُرهان وقال: هذا إقطاعي بكماله يأخُذُه مولانا قاضِي القُضاة ويتصرَّف فيه كما يختار. فقال له: يا أمير، هذا محال، الذي أُريده قد عرفته. فلم يسعِ الكوكائي إلا تركُ البلد لمستحقيها، إلى غير ذلك.

---

(١) في جـ: «إلى»، وما أثبتناه من خط المصنف، وهو الأحسن.

وفي هذه الولاية تنجَّزَ مرسومَ السلطان أنَّ القاضي الشافعي[1] لا يستخلف غيرَ أربعة نُوَّاب، وكلّ من القُضاة الثلاثة يستخلف نائبين فقط، وذلك أنَّ القضاة قد كانوا أكثرَ من النَّواب. هذا وأحوالُ الدولة بعد قَتْل الأشْرف قد تغيَّرت وحدثت أمور لم تكن تُعْهَد، فثَقُل ذلك على البُرهان، وصارت الكلمة مفرَّقة، والأغراضُ مختلفة، والأهواءُ مُتَباينة؛ وكلُّ واحد من أمراء الدولة يسوم البُرهان أمرًا وهو لا ينقاد لهم، فتقلق وعزمَ على عَزْل نفسه، فاتَّفق أنَّ شخصًا كان يُعرف بابن نهار أراد أن يبيع رَبْعًا مما وُقِفَ عليه، فمنعه البرهان من بَيعه، فطلب من الأمير الكَبير بَرقُوق أن يَعْقِد مَجْلسًا للنظر في ذلك؛ فلما حَضَر القُضاة والفُقهاء بسط لسانه بالإساءة على البُرهان، فقامَ من فَوره وعَزَل نفسه، ونَزَلَ بظاهر البلد، وأخذَ يتجهَّز إلى القُدس، فبعثَ إليه الأمير بَرْقُوق يَضْرَع إليه فلم يُجب، وألح عليه بأكابر الأمراء حتى حَضَر إليه فَتَرضَّاه وأفاضَ عليه تَشْريفًا يليق به، وأمَرَ بابن نهار فَضُرِبَ وشُهِرَ بالبلد، وهو يُنادَى عليه: هذا جَزاءُ من يسيء على قُضاةِ القُضاة. واستمر البرهان، وقد ثَقُل على الأمير بَرقوق مكانُه لكثرة ما يبادرُ لعَزلِ نفسه حتى حَلَّفه أنه لا يعزلُ نفسَه إلا بمراجعته، وأخذَ بَرْقوق في أسباب جُلوسه على تَخْت المُلك، وخافَ من معارضةِ البُرهان وإبائه من خَلْع ابن الأشرف، ففَطِن البَدْرُ ابنُ أبي البَقاء بشيء من ذلك، فَسَعى في القَضاء بمال، وصادف سعيه تَبَرّمَ البُرْهان، فصرَفه بَرْقوق يوم الخميس آخر صفر سنة أربع وثمانين وسبع مئة، وولَّى البَدْر محمد بن أبي البَقاء، فتجهَّز البرهان وسار يريد بيتَ المقدس، فباشرَ الخطابة على عادته، وذكرَ بعضُ الأمراء يومًا لبرقوق بعدما تَسَلْطَن وتلقب بالملك الظاهر أمرَ ابن جماعة وقال: يا مولانا السلطان يكون ابنُ أبي البَقاء قاضي المُسلمين وابنُ جماعةَ معزولاً، والله حيف. فقال السلطان: صدقتَ، لكن ابنَ جماعة لا يوافقني ولا يوافقك

---

(١) سقطت من جـ.

ولا يوافقُ أحدًا على مَصلَحة، فإن سَكَتنا تعبنا، وإن عزلناه قام علينا من الناس الصياح بسببه. فقال: يا مولانا السُّلطان، والله، ليسَ لي غَرَض في هذا الكلام؟ إنما قَصدي جَمال مَمْلكة السلطان. فأسَرَّها السلطان في نفسه، وبعد قليل مات ولي الدين عبدالله بن أبي البقاء قاضي دمشق، فكتب السلطان إلى البُرهان بولاية قضاءِ[1] دمشق، فامتنع، وتَعلَّل بشيخوخته وعَجزه، فتخيَّل الظَّاهر أنَّه لا يرى صحَّة الولاية عنه، وغَضِبَ، فبعث بعضُ أعين ابن جماعة إليه بذلك، وتحذره من الامتناع، وتخوفهُ عاقبة ذلك، فبعثَ إليه السُّلطان يعزمُ عليه إلا قَبِلَ، فأجابَ على كُرهٍ منه؛ وتوجه إلى دمشق، وأحوالها في غاية الخلَل، وليسَ بمودَع الحكم للأيتام مال البتة. فباشر على عادته إلى أن مات بها يوم الجمعة ثامن عشر شعبان سنة تسعين وسبع مئة، وتَرك بالمودع ما ينيف على ألفي ألف درهم فضة ثمنُها فوق المئة ألف مثقال من الذهب، رَحِمه الله، فلقد كان إمامًا عالمًا بالفِقه والحديث والتفسير وأخبار الناس والعربية، خطيبًا بلغيًا، حَسَن الصوت في القراءة بالمحراب، مُهابًا شديدًا على الملوك والأكابر، عفيفًا عن كُل ما يَشين، تاركًا للأغراض الدُّنيوية، جليلاً مليحَ الوجه، جميلَ المُحَيَّا، زائد الوقار، بَهِجَ الزي، كثيرَ الإفضال، عالي الهمة، ملوكي النَّفْس، وَهَّابًا، مِفْضالاً، ماجدًا، حَشِمًا، فَخُورًا، عديمَ النَّظِير، عَزوفًا عن الضَّيْم، مُتَرفِّعًا على العُظماء، متواضعًا مع الفُقراء، صارمًا لا يراجَع في مَجْلسه ولا يختلف عليه.

وبالجُملة فلقد كان مفخرًا تتجمَّل به الدُّول، وتتزين بوجوده الملوك والخول، وتتشرف به الرُّتب العَلِيَّةِ، وتختال به عجبًا المناصب الدِّينية.

وقد قرأت عليه غير مرة واستفدتُ منه، وكان صديقًا لأبي، وسَمِع على جدَّتي لأبي زينب بنت الكمال كتاب «الموطأ» على ما أخبرني بذلك من لفظه رحمه الله وغَفَر له. وسيرد من مناقبه في هذا الكتاب طَرَف في تَرَاجم من رَوَيتُها عنه إن شاء الله تعالى.

---

(١) سقطت من جـ، وهي ثابتة بخط المصنف.

وللشيخ برهان الدين إبراهيم بن زُقاعة يمدحه:

لِمِلَّـةِ أحمـد بُـرهـان دِيـنٍ ... يَقومُ بحفظها في كُلِّ ساعه
فمُت في حُبِّه إن شئتَ تَحيا ... فذا البُرهانُ قد أحْيا جَمَاعَهْ

٣٢- إبراهيم بن عبدالرَّزَّاق بن غُراب، القاضي الأمير الرَّئيس سَعْدُ الدين ابن عَلَم الدِّين ابن شمس الدين[١].

أصْلُه من الإسكندرية، وأوَّل من أسلم من سَلَفهِ جَدُّه، وباشر أبوه نظرَ الإسكندرية، واتهم جَدُّه أنه مالأ الفِرَنْج في واقعة الإسكندرية سنة سبع وستين وسبع مئة، فأخذَه الأميرُ صَلاح الدِّين خَليل بن أحمد[٢] بن عَرَّام متولي الثَّغر وقتلَه بالسيف عَلَى ذلك، ومات أبوه عبدالرزاق وتَرَكَ وَلدين هُما: ماجِد الذي يُسَمَّى فخر الدين، وإبراهيم، فلما تَحكَّم الأميرُ جمال الدين محمُود الأُستادار في الأموال السُّلطانية أوى إليه إبراهيم هذا وهو يكتب في عَرْضَة الإسكندرية تحت كَنَف أخيه فخر الدين، وكان غُلامًا وسيمًا تلوحُ في وجهه أمارتُ السَّعادة، وعليه علامات القَبُول ظَاهِرة، فلقَّبه بسَعْد الدين، ودَرَّبه في الكِتابة حتى شَدا شيئًا من الحِساب وصناعة الدَّيْوَنَة[٣]، اسْتكتبه في خاص ماله وقد ناهَزَ العِشرين سنةً، فأحصى أموالَه، واستقصى أموره بحيثُ تمكَّن منه وصار بحال مَحْمُود وأعرف منه، فكأنه أَحَسَّ من محمود بتنكر لشيء كان منه في ماله، فلم يتوان ولا غفل بل شَمَّر لمحمود ذيلَ الغَدْر، وحَسَر عن ساعِد المكائد، وكشَفَ ساقَ الجِد، وترامى على الأمير علاء الدين عَلِي ابن الطَّبلاوي

---

(١) ترجمته في: الخطط ٢/ ٤١٩، وإنباء الغمر ٥/ ٣١١، والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٥٦، والدليل الشافي ١/ ٢١، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ١٦٤ و١٦٨ و١٨٢ و٢١٠ و٢٢١، والضوء اللامع ١/ ٦٥، ووجيز الكلام ١/ ٣٨٧.

(٢) هكذا في المسودة والأصل، ولعله وهم، ففي تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٤٤ وإنباء الغمر لابن حجر ٢/ ٢٦: «خليل بن عليّ بن عرام» وهو المحفوظ في اسم أبيه.

(٣) نسبة إلى العمل في «الديوان».

فأوصله بالملك الظاهر بَرقوق، وأغْراه بمحمود حتى أوقع به واسْتصفى أمواله، وحازَ منه ما ينيف عن مئة قنطار مِصْرية من الذَّهب المختوم، وسَجَنه حتى ماتَ بسجن أرباب الجرائم، واستقرَّ ابنُ غُراب في نَظَر الدِّيوان المفرد في حادي عشر صَفَر سنة ثمان وتسعين وسبع مئة، وهي أول وظيفة سلطانية تولاها، ولازم ابنَ الطبلاوي وتحوَّل إلى جواره. ثم ترقى من نَظر الديوان المُفْرد بعد قليل إلى وظيفة نظر الخاص في تاسع عشر ذي القعدة عوضًا عن سعد الدين أبي الفرج ابن تاج الدين موسى كاتب السَّعْدي، وأخرج عنه نَظَرَ الدِّيوان المُفْرَد في خامس عِشري شوال، فباشرها مُدَيْدة، وأضيف إليه نظر الجَيْش في سابع ذي القَعْدة سنة ثمان مئة عِوضًا عن شرف الدين محمد الدماميني، فعفَّ عن تَناول الرسوم التي كان يتناوَلُها غيره، وظَهَر منه زَهْوٌ وإعجابٌ وتَحلٍّ برياسة نَفْس ومَكارم، إلا أنه لما خلا جَوُّه بموت أستاذه محمود تطاوَل لِنطاح ابن الطَّبْلاوي، ووثبَ عليه وثبة أسْخَطَ بها السُّلْطان حتى قَبَضَ عليه وعلى جميع أسبابه وحواشيه في شعبان سنة ثمان مئة بمكائد ابن غُراب وتدبيره، وما زال في العُقوبة حتى حُمِلَ إلى السلطان من قِبَلِهِ ومن جهات حواشيه مئة ألف دِينار ذَهَبًا وخمس مئة ألف درهم فضة، ونَفَاه. ثم آل أمره إلى أن قَتَله ابن غُراب بعد ذلك. فلما قَضَى الظَّاهر نهمَته من مَحْمود وابن الطَّبلاوي فتل وجهه إلى نحو ابن غُراب، يريد أن يمكن براثِنه من شِلْوه، ففاجأته المَنَايا، وغافصه[1] ريب المنون، وقد ذُكِرَ أنَّ ابن غراب دَسَّ إليه سُمًّا بيد بعض سُقاته كان سبب مَنِيَّته، ولست من هذا على ثِقَةٍ. ولما أشْفَى الظاهر على الموت جعل ابن غراب أحد أوصيائه، وكان قد تخصَّص بالأمير يَشْبُك الخازندار، فلما مات الظاهر وقام من بعده الأمير أيْتَمُش بتدبير أمور الناصر فرج بن بَرْقوق وواحَشه الأمير يَشْبُك وسودُن طاز[2] ومن مال إليهما أخذ ابنُ غراب في الإفساد بين يَشبك

---

(١) المغافصة: الأخذ على غرة.

(٢) هكذا في أ وجـ، ويكتب في بعض المصادر بزيادة واو بعد الدال: «سودون»، =

وأيْتَمش، وما زال حتى حَسَّن لِيَشْبُك وأشياعه أن يُرَشَّد النَّاصر فَرَج ويُمَكَّن من الاستبداد ليحصل الغرض من أيْتَمش ومن معه من الأمراء، فقام الأمير يَشْبك بمن اجتمع إليه وهم فحول الشَّوْل، وجَمَعوا الأمراء والقُضاة وأقاموا بَيِّنَةً من الخُدَّام السُّلطانية بأن السلطان بلغ رشيدًا، فحكَم القضاة بفَك الحجر عن الناصر، وكان أولُ ما بدأ به أن أنزل أيتمُش من الإصطبل السُّلطاني، وقامت الحرب بين يَشْبُك وأيتَمش حتى انهزم أيتَمش بالأمراء الظَّاهرية إلى الشام، وصار تدبير أمور الدولة ليَشْبُك، فاشتدت أوافي ابنِ غراب، وامتدَّ باعُه، وطلب أخاه فخر الدين ماجد من الإسكندرية، وتقلَّد الوزارة، فبينا هو يَظُن أنْ قد خَلاَ ذَرْعه إذ تقلد يَلْبغا السَّالمي وظيفة الأستادارية، فأبدى له صَفْحة وجهه وقلَبَ ظهر المِجَن، وأغرى به الأمير يَشْبُك حتى قبض عليه وأذاقَهُ من العذاب أشَدَّه وأنكاه، وتولَّى ابنُ غُراب أستادارية السُّلطان، ولم يُغَيِّر زي الكُتَّاب، فصار يُخَاطَب بالأمير بعدما كان يُدعى القاضي، وضُرِبَت على بابه الطُّبول، وصار له ديوان، إلا أنه شَكْلٌ ممتَزِجٌ من قاضٍ وأمير، فشكلُه في زي الثياب هَيئة الكُتَّاب، وكلامُه بلسانِ التُّرك، وعملُه الذي يتقلَّدُه بعضه وهو نظر الخَاص ونظر الجيش وظيفتا كتابة يخاطَب مُتَولِّيهما بالقاضي، وبعض عمله وهو الأستدارية إنما يتقلَّدها الأمراءُ، فلو أُعطيتِ الألقابُ حقها لكان يقال له: «القَضَاميري» لأنه قاضٍ وأمير. فلما تنازع الأمير جَكَم وسودون طَاز زعامةَ الدولة مع يَشْبُك كان لابن غُراب في تلك الحروب الكثيرة أعظمُ سعي وأقوى فِعْل. ثم لم يكفِهِ ذلك حتى فرمن داره إلى ناحية تَروجَة[1] يريد الثورة على أهل الدولة، فجمع العُرْبان أهل البُحَيرة، ولما لم يتم مرادُه من ذلك عاد إلى القاهرة على حين غَفْلة، واختفى عند صَديقه جمال الدين يوسُف الأستادار، وأصلحَ أمورَهُ مع الأمراء وعاد أوفر ما كان وأبسط يدًا، فشَرِه إلى الزيادة في الرِّياسة،

= وكما سيأتي أيضًا بعد قليل.

(١) قرية من كورة البحيرة، كما في معجم البلدان.

وظاهَرَ على الناصر مع يَشْبُك وأمدَّه بالمال، حتى كان من محاربة يَشْبُك للناصر في سنة سبع وثمان مئة ولحاقه بمن معه إلى الشام وفيهم ابنُ غراب ما كان، فأمدَّ يَشْبُك ومن معه من العساكر المنهزمة بأنواع من المال طولَ سفرهم إلى الشام؛ فلما وصلوا إلى الأمير شيخ نائب الشام استنفر ابن غُرابٍ عساكرَ البلاد الشامية لحرب الناصر، وشن عليه الغارات، وقدم مع الأمير شَيْخ نائب الشام بالأمير يَشْبُك وأصحابه، والأمير جَكَم وأصحابه، وقرا يُوسُف التُّركماني، وجمائعِ العَساكر فخَرَج النَّاصر إليهم وانهزم منهم في منزلة السَّعيدية ظاهر بِلْبيس، وكان من اتّباع العساكر له ومحاربته إياه ظاهر القاهرة وَثَبات الناصر في قَلْعة الجَبَل وبعثه الجُيوش إلى أن انهزم عَسْكر الشام ما كان، وصار العَسْكر الشامي فرقتين: فرقة خَلُصت إلى الشام، وهم الأمير شَيخ والأمير جَكَم وقَرا يُوسُف التُّركماني في آخرين، وفرقة اختفت في دُور البَلَد وهم الأمير يَشْبُك، وقُطْلُوبُغا الكَرَكِي، وجَرْكَس المُصارع، وتمراز، ويَلْبُغا الناصري، وابن غُراب ومن يَهْوَى هَوَاهم، فترامى ابنُ غراب ليلاً على شمس الدين محمد ابن الصاحب مُوَقِّع الأمير إينال بَاي بن قَجْماس وهو يومئذ أمير آخور وإليه تَدْبير الدَّولة مع النَّاصر فَرَج حتى ألحقه بأستاذه الأمير إينال بَاي المذكور، ومَلأ عينَه بكثرة المال، فأخذَ له إينال بَاي أمانًا من الناصر، وأصبحَ في داره بارزًا للنَّاس، وقد أقْبَلوا نحوَه من كل أوْب يُهنئونه، فقلَّده النَّاصر وظيفة نَظَر الجيش. وكان فتح الدين فتح الله كاتب السر قد خَلاَ له وَجْهُ سُلطانه بغيبة يَشْبُك وابن غُراب، وعَلَت مَرْتبته، وتميزت مكانته، وكان قد نَفِس عليه ابن غُراب أنه استدعى منه مالاً ليَشْبُك في نَوْبَةِ محاربتهم النَّاصر، فلم يسْعِفْهم بشيء جَريًا على عادته في الإمساك، وأخرى وهو أن ضَرُورةَ الوقت اقتضت مكاتبةَ أهل البلاد الشامية لمحاربة يَشْبُك ومن معه، فكان من لازم ذلك الغضُّ منهم والإزراء عليهم، ومنهم ابن غُراب؛ فأسَرَّها في نفسه لفتح الله. وأخرى، وهي أن فَتْح الله كان خَصِيصًا بالظاهر أثيرًا عنده، فكان ابن غراب يترامَى

إذ ذاك عليه، وربَّما قبَّل يومًا رِجْله ليجدَ به سبيلاً إلى نَيْل مقاصدِه عند الظاهر. فلما مـات الظَّاهر وآل أَمر ابنِ غُراب إلى ما ذُكِرَ أحبَّ أن يستريح من فَتْح الله، فما زال يَفْتِل في الذروة والغارب حتى أصلح أمرَ يَشْبُك والأمراء المختفين في القاهرة مع الناصر، وأخرجهم من خَباياهم، وأعادهم النَّاصرُ إلى أمرياتِهم، فاستعان حينئذٍ بيَشْبُك وقبض على فَتْح الله، وتَقَلَّد كتابةَ السرِّ، وألزم فَتْح الله بمال بعد الحَبْس والعقوبة؛ ولم يكفه ذلك حتى تَحوَّل إلى صَوْبِ إينال بَاي فإنه ثَقُلَت عليه وطأته ووطأة الأمير بيْبرس ابن أُخت الظاهر وبقية الأمراء الذين ناصَحُوا الناصر وحاربوا معه يَشْبُك وحِزْبَه، فأسرَّ حَسْوًا في ارْتِغاء حتى أوقع بين الأمراء فتنةً آلت إلى تنكُّرهم من الناصر ومخالفتهم عليه، فوجَدَ حينئذٍ السبيلَ إلى المقال، فأوهمه وأخافه منهم القَتل حتى خامرَ الخَوْفُ قلبَهُ فجعل يحسِّنُ له الفِرار، وواعده على المَصير إليه، وأعدَّ له ثلاثةَ أفراس بظاهر القَلْعة مما يَلي الجَبَل، فترك الناصر مُلْكَهُ ومالَهُ وخَرَج عند القائلة لَيْس معه سوى مملوك له يقال له بَيْغُوت، فركب الفرس التي أعدها له ابن غُراب مع مملوكه بكْتَمَر السَّعْدي، وسار معه هو وبَيغُوت إلى نحو دَيْر الطِّين خارج بركة الحبش، فنزلوا عن الخيول وتركوها سائبة إلى بعض المَراكِب التي في النِّيل، وأووا إلى جزيرة الصابـوني التي تجاه رباط الآثار حتى أَجَنَّهم الليل، فصاروا في المَرْكب إلى الخَليج من ظاهر القاهرة، وصعدوا من المركب إلى بيت شخص من معارف بَكْتُمر مَمْلُوك ابن غُراب، فأقاموا عنده، وبعثوا إلى ابن غُراب فأعدَّ من مَنْزله مكانًا للنَّاصر، وحَمَله إليه في الليلة الثانية، وأقامَ له مُدَّة إقامته عنده بما يليق به.

وأما أمرُ الدَّولَة فإنَّه لما فَرَّ الناصر لم يوقف له على خَبَرٍ، ووقعَ الصَّارخُ في القَلْعة والبَلَد باختِفاء السلطان، فركبَ الأُمراء وبقيّةُ العَسْكر وقد لبسوا أسلحتهم، فلم يَدْرُوا مكان الناصر؛ هذا وابن غُراب معهم لا يُطْلِعهُم من خبر الناصر على شيء، فأقيم عَبْدُالعَزيز ابن الظاهر في السَّلْطنة عند أذان العشاء الآخرة، وتَلَقَّب بالمَلِك المَنْصور، وقام ابنُ

غُراب بأعباء دَوْلته، إذ هو جُذَيْلُها المُحَكك وعُذَيْقُها المَرجَّب، واطَّلَع يَشْبُك على أمر الناصر فسرَّ بذلك، ورأوا من الرَّأي إبقاءَ الناصر ليتم لهم الغَرَض من الأمراء، ويخرجُوه لهم. فلما قويَ شأنُ أُمَراء المَنْصور عبدالعزيز خاف ابن غُرَاب، فجعل يرفو ما خَرَق ويَبْني ما هَدَم بعدما استدعى يومًا إيْنال بَاي وهو عَظيم الدولة إلى منزله وهمَّ بالقَبْض عليه، ثم تَلَكأ فأسْرَع إينال بَاي القِيام، فعند ذلك أظهر الناصرَ فرج في ليلة دبَّر له فيها أمرَه وجَمَعَ عليه الأمراء في بيت الأمير سُودُون الحَمْزاوي، فلم يشعر الناس سَحَرًا إلا والصارخ بأنَّ الملك الناصِرَ قد ظهر بعد أن كان الكثيرُ من الأمراء وغيرهم لا يشكُّون في أن سُودُون تلي المحمَّدي أمير آخور قَتَلَ الناصِر وأخذ ما كان معه من الجَوَاهر. وزَحَف بمن معه من الأُمراء والمَماليك وقد تلاحقوا به من كل مكان إلى القَلْعة ومعه ابن غُراب إلى جانبه وهو لابس السِّلاح. فما ارتفعت الشمس حتى انهزم بيْبَرس وإيْنال بَاي، واستولَى الناصِرُ على القلعة وجَلَس على تَخْتِ مُلكه، فألقى مقاليد مُلْكه إلى ابن غُراب، وفوَّض إليه ما وَرَاء سَريره، ونَظَمه في خاصَّةِ أكابر الأمراء، وأناط به جميعَ أمورِ المملكة، فغدا مَوْلَى نعمة كلٍّ من السلطان والأمراء يَمُن عليهم بأنه أبْقَى لهم مُهَجَهم وأعاد إليهم ما سُلِبوه من مُلكهم، وأمدَّهم بماله عند احتياجهم وفاقتهم، ويَتكثرُ بأنه أزالَ دولَةً وأقامَ أُخرى، ثم أعاد ما أزاله من غير حاجة إليه، ويُصَرِّح بأن أخذه المُلْك لنفسه لو شاءه أسهلُ عليه من دخول الخَلاء. ثم تَرَفَّع عن وظيفة كتابة السِّرِّ وولاها كاتبه فخر الدين ابن المزوِّق، وانخلع من زيِّ الكُتَّاب، ولَبِسَ القِباءَ والكَلَفْتة[1]، وتقلَّد بالسيف كهيئة الأمراء، وتحوَّل من داره إلى دارِ بعض الأمراء.

فعندما تمَّ أمرُه بدا النَّقْص ونَزَل به المرض الذي ما زال عنه حتى أزاله، وشاهَدَ الناسُ من تعظيم الأمراءِ له في مُدَّة مَرَضِهِ وترددهم إليه كل يومٍ، وقيامهم على أرجُلهم بين يديه، وتصرُّفهم فيما يأمر به وينهى عنه

---

(١) وهي الكليتة، وهي غطاء للرأس معروف عند المماليك.

ما لم يُعهَد مثله إلا لملك مُستَبدٍّ إلى أن مات ضَحْوَة نهارِ الخَمْيس تاسِع عَشر رمضان سنة ثمان وثمان مئة، ولم يُكمل ثلاثين سنة من العمر. فشهد الأُمراء بأجمعَهم جنازَته مُشاةً من داره ببِرْكَةِ الفِيل إلى مُصَلى المُؤمني تحت القَلْعة، وهي مسافةٌ بعيدة، وعايَنَ الناس عجبًا من تجمُّع النَّاس من كُلِّ جهَةٍ لمشاهدَة نَعشه مع كَثرة تأسُّف الخَاصّة والعامَّة، وانْطلاق الألسن بالتَّرَحُّم عليه والدُّعاء له وكَثرة البكاء. ونزل الناصر حتى صَلَّى عليه وحمَل تابُوتَه عندما رُفِع من المُصَلى، وعَزَم على المُضِيِّ إلى تُربَته لَولا دخول الأُمراء عليه وإلحافُهُم في السُّؤال له أن يَصْعَدَ إلى قَلعَته، فتناوبَ الأُمراء حَمْلَ تابوته إلى حيث دُفِنَ بظاهر باب المَحْرُوق، وأُدِرَّت الأرزاق على أولاده من بعده.

وكان، رحمه الله، مَليح الشكل، ممشوق الزِّي، كثيرَ الزَّهو، شديدَ الإعجاب، مُفَضِلاً مُهَابًا، وافرَ الحُرمة، قائمًا في حَظِّ نَفْسه إلى الغاية، لا يحب أن يشاركه في الرياسة أحدٌ، ولا يرضى لمن يناوئه بدون الهلاك، مبسوط اليَدِ بالعطاء، باذلاً للمعروف والصدقات، قام في أيام المحن بمواراة الآلاف من الناس، فتزايَدَ حُبُّ الناس له.

إلا أنَّه على الحقيقة أحدُ الاثنين اللذين قاما بتخريب الدُّنيا وطَي بساط نِعمة أهل مِصر وزوال بهجتهم بما اعتمده من غَلاء سِعْر الذهب حتى بلغَ الدينار بعْدَ أن كانَ بخَمسة وعِشرين دِرهمًا إلى مئتين وخمسين درهمًا، فأقْفَرَ جَوُّ المسرات وانحطت رُتَب النَّاس، وصاروا إلى بُؤس وقِلَّةٍ وفقرٍ ومَسْكنة. وقد أفردْتُ في هذه المحنِ مقالةً بيَّنتُ فيها الأسباب التي نشأت عنها، فالله يخفف عنه فلقد هلَك بفِعلَتِه هذه من إقليم مصر أمم لا يحصي عَدَّها إلا خالقُها، كلُّ ذلك لغرضِه في تكثير ماله.

أخبرني ناصر الدين محمد بن محمد بن عبدالعزيز، قال: أخبرني شرف الدين محمد ابن الدماميني السِّكَنْدري مُحْتَسِب القاهرة ونَاظِر الجيش أنه نالَه من مال مَحْمُود الأستادار أيام كان يُباشِر عندَه خمسُون ألف دينار، ونال ابن غُراب هذا سبع مئة ألف دينار. وهذا المال هو

الذي أوجب قيامَه على محمود عند الظاهر لخوفه منه، وبه تَسَوّر لمراقي العِز كما تَقَدَّم؛ واتفق لي في مرضه عَجَبٌ وهُوَ أنّه لما أَهَلَّ شهر رمضان سنة ثمان وثمان مئة حَضر إليَّ قَوم للهَناء بشهر الصوم، فجُلنا في فنون من الحديث، إلى أن دارَ بيننا حديثُ ابن غُراب، وكان إذ ذاك مَريضًا قد طَال مرضُه وأُرجف بمَوْته غير مَرَّة، فقلتُ: عندي أن هذا الرَّجُلَ لا يَموت إلا في ليلة جُمُعة أو في ليلة قَدْرٍ، فإنَّه وقع لَه من الحظِّ ما لم يُرَ مثلَه لأحَدٍ، بحيثُ أخبَرَني مرة وأنا عنده في دَاره أنه سَقطَت منه في الفُسْقِية التي كُنْتُ معه بجانبها شمعةٌ وهي تَقِدُ، فتناولها من الماء ولم تَنْطَفِ، فخشيتُ أن يكونَ هذا نهايةَ سَعْده وغايةَ حظه؛ فوالله لقد عظُم أمرُه بعد إخباره لي بذلك أضعافَ ما كان. ومن تَمَام سَعْد هذا الرجل أن تكونَ منيَّتُه سليمةً وفي يوم شريفٍ من شهر رمضان ليحوز سعادة المحيا والممات. فقال آخر، وكان عنده علمٌ من الطِّب: أما أنا فالذي أَراه أنَّه لا يَزَالُ مريضًا حتى يفرغَ فصل الشتاء، واستدلَ لذلك من جهة صناعتِه الطبية. فقال آخر، وكان ينظر في النجوم: أنا آخُذُ طالعَ هذه المسألة وأنظرُ له فعمل ما يقتضيه نظره وقال: هذا الرَّجلُ يموتُ من هذا المرض عند احتراق المُشتري. ومضى اليوم وما بعده فمات في أول فَصْل الربيع عند احتراق المُشْتري في يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان، وصحَّ حَدْسُ الثلاثة. وقد ورَد: «من ماتَ يَوْمَ الجُمُعَةِ أو لَيْلَةَ الجُمُعَةِ لم يُعْرَضْ ولم يُحاسَبْ» خرَّجه ابنُ عَدِي[1]، وأَحَدُ ما قيل في ليلة القَدْر أنها ليلة التَّاسِعَ عَشَر من رَمَضان.

فلقد كان شأنُه، رحمه الله، كُلُّه عَجَبًا. أخبَرَني عزيزُ مِصر،

---

(١) الكامل في ضعفاء المحدثين ٧/ ٢٥٥٤ من حديث أنس ولفظه عنده: «من مات يوم الجمعة وقي عذاب القبر». أما هذا اللفظ الذي ذكره فلم نجده في «الكامل». وهو حديث ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ فكل طرقه ضعيفة، كما قال الإمام الترمذي حينما أورد مثله من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص في جامعه الكبير (١٠٧٤)، وينظر تعليق الدكتور بشار عواد معروف عليه.

القاضي الأميرُ غَلَّابُ الدول، وكَبْشُ النِّطاحِ، وفَحْلُ الشَّوْلِ، بَغْلُ طاحُونَةِ الغَدْر، وأحدُ القائِمين بتخريب إقليم مصر، سَعْدُ الدين إبراهيمُ ابن غُراب أنَّ الذي خَلَّفه الملك الظاهر بَرْقُوق ألف ألف وأربع مئة ألف دينار ذَهَبًا، ومن الغلال القَمْح، والشَّعير والفُول وغيره، ومن الثياب الحرير والقطن، ومن الفَرْو، والقَنْد والسُّكَّر ما قيمته ألف ألف وأربع مئة ألف دينار ذهبًا ومن الخيل سِتَّة آلاف فرس، ومن الجمال أربعة عشر ألف أو خمسة عشر ألف جَمَل على الشَّكِّ منه. وأن نفقة المماليك بلغت ألف ألف ومئة ألف درهم في كل شهر، وعليق الخيل في كلِّ شهر سبعة عشر ألف إرْدَب من الشعير سوى ما على الوزير من العَليق، وهو في كل شهر أربعة آلاف إرْدَب من الشعير، وألف إرْدَب من الفُول لتتمة جملة العليق السُّلطاني، في كل شهر اثنان وعشرون ألف إرْدَب. وأن راتِب اللحم السُّلطاني في كل يوم ستة وأربعون ألف رطل.

فَتًى كانَ فيهِ ما يَسُرُّ صَديقَهُ عَلَى أنَّ فيهِ ما يَسُوءُ الأعادِيا

رحمه الله وغَفَرَ له.

٣٣- إبراهيم بن مُحمد بن عبدالرَّحيم بن إبراهيم بن يحيى بن أبي المَجْد اللَّخْميُّ المِصْريُّ، جمال الدين أبوإسحاق ابن شمس الدين أبي عبدالله الأمْيُوطيُّ الشافعيُّ[(١)].

ولد بالقاهرة في شَوّال سنةَ خَمْس عشرة وسبع مئة، وسمع بها «صحيح البُخاري» على أحمد بن أبي طَالب الحَجَّار، و«صحيح مسلم» على عليّ بن عُمر الوَاني، وسمع عليه أيضًا «الأربعين البُلْدانية» للسِّلَفي. وسمع على قاضي القُضاة بَدْر الدين محمد ابن جَمَاعة «صحيح البُخاري»

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٤٩٦، والعقد الثمين ٣/ ٢٥٨، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٥١، والدرر الكامنة ١/ ٦٢، وإنباء الغمر ٢/ ٢٩٤، والدليل الشافي ١/ ٩٧، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣١٥، والمنهل الصافي ١/ ١٤٤، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ١٧٩، ووجيز الكلام ١/ ٢٨٦، وبغية الوعاة ١/ ٤٢٧، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٢.

و«سُنن ابن ماجة» و«جامع الأصول» لابن الأثير. وسمع على يونس بن إبراهيم الدَّبوسي الأول من «القناعة» لابن أبي الدُّنيا، وأحاديث أبي أحمد الفَرَضي، و«أناشيد شُجاع الذُّهْلي». و«مشيخة يونس» المذكور تخريج ابن أيْبَك الدِّمياطي. وسمع على عِدّة من شيوخ مصر. وسمع بدمشق سنة إحدى وأربعين من الحافظين المِزي والذَّهَبي، وبلغت شيوخه مئة شيخ.

وأخذ الفقه عن المجد الزَّنْكَلُوني، والتَّاج التِّبريزي، والكمال النَّشَّائي، والجمال الإسْنَاني، ولازمَهُ كثيرًا، وأخذَ عنه مصنفاته بقراءته عليه. وأخذ الأصول عن الشهاب ابن المَيْلق، وصَحِبَهُ وانتفعَ به. وقرأ العربيةَ، وبرعَ فيها وفي الفقه. وناب في الحكم عن العِزِّ ابن جَمَاعة، والبهاء أبي البَقاء.

ثم رحل إلى مَكَّة، شرفها الله، في سنة سبعين، واستوطنها وتردد إلى المدينة النَّبوية، صلى الله وسلم على صاحبها، وتولَّى بمكة تدريسَ الحديث للملك الأشرف شَعْبان بن حُسين، وانتصب للتدريس احتسابًا بمكة والمدينة، وأفتى، وحَدَّث بالحَرَمين بأكثر مروياته، وانتفعَ النَّاسُ بدروسه، وخَرَّجَ له ابن العِرَاقي «مشيخة» عن أحد وأربعين شيخًا، وبه تخرّج الجَمَال الدَّميري.

وسمعت عليه «صحيح البُخاري» و«مسلم» بمكة في سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة، ومات بمكة يوم الثلاثاء الثاني من شهر رجب سنة تسعين وسبع مئة، ودفن بالمَعْلَى، رحمه الله.

وكان إمامًا في الفقه، ماهرًا في النَّحو، عارفًا بالأصول، فصيحًا، ذكيًا، كريمًا، يكتب الخط المليح كثيرًا. وشرحَ «بانت سعاد» وجمع بين «الرافعي» و«الروضة» و«المهمات» بَيَّض نصفه في تسع مجلدات. وجمع بين منهاج البيضاوي وزوائده.

٣٤- إبراهيم بن محمد بن أيْدَمُر بن دُقْمَاق، صارم الدين[1].

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ١٦، والمنهل الصافي ١/ ١٢١، والضوء اللامع ١/ ١٤٥، ووجيز الكلام ١/ ٣٩١، والطبقات السنية ١/ ٢٦٠، وشذرات الذهب ٧/ ٨٠.

كان جدُّه دُقْماق أحد الأمراء في أيام الناصر محمد بن قَلاوون، ونشأ هو سالكًا طريقة الجُنْدِ، وتَعَلَّق بأذيال الأدب، ومال إلى فن التاريخ فأكبَّ عليه حتى كتب نحو المئتي سفر من تأليفه وغير ذلك. وكتب «تاريخًا» كبيرًا على السنين، و«تاريخًا» آخر على الحروف.

وكتب «أخبار الدولة التركية» في مجلدين. وأفرد «سيرة الملك الظاهر بَرْقوق». وكتب «طبقات الحَنَفية» في أربع مجلدات، وامتُحِنَ بسببه، فإنَّه تعرض في أوله إلى ذكر مناقب أبي حَنِيفة، رحمه الله، فذكر ما لا يجملُ من الطَّعن في حَق غيره، فلما اطَّلع بعضُ فُقهاء الشافعية على ذلك من خَطِّه امتعض وطلَبَهُ إلى مجلس القاضي، وادَّعى عليه بما كتبه من الطّعن في حَقِّ بعض الأئمة، فاعترفَ أنه كتب ذلك، وأنه خَطُّه. فكُشِفَت رأسه، وقِيْدَ إلى السِّجْن ماشيًا حاسِرًا، وكان القصدُ قتلَه لولا عناية الله به، فأُطلقَ ، وما كان، والله، بمتَّهم في عقده بسوء، ولا عندَه فُحش في كلامه ولا في خطِّه، إلا أنه كان قليل الفِقه، حَسْبُه نَقْلُ ما يقفُ عليه حتى ربما ينسبه مَن عَلِم حقيقة أمره إلى الغَفلة؛ فمن ذلك أنه كان يستعير مجاميعي التي بخطي، فلما مات وقفت على أخبار الطاغية تيمورلنك من خطه، فإذا هو قد كتب فصلاً في أخذ تيمور لحلب من خَطي قد قلت فيه: «أخبرني مَنْ لا أتَّهِم أنَّه شاهد»، فكتبَ هو كما رَأى «أخبرني من لا أتَّهم» فصار يوهم النَّاظر أنه هو الراوي للجزء، ولا والله وقف على ذلك الجـزء إلا من خَطي. ثم بعد ذلك شاهدت في الغفلة أعجب من ذلك، وهو أن ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفُرات الشاهد كتب تاريخًا كبيرًا، وكان صديقًا للصَّارم ابن دُقماق هذا، وينقل عنه في تاريخه كثيرًا، فلما مات وقفت على قطعة من تاريخه بخطه، فمر بـي منه هذا الموضع بعَيْنه، وقـد كتبه إما من خَطِّ ابن دُقماق، أو وقف على خطي عنده فقال هو أيضًا: «أخبرني من لا أتهم» فصار الناظر في خط ابن الفُرات يحسب أنَّه هو راوي الجزء أيضًا؛ وما ذاك إلا غَفْلَة.

وكان الصَّارم، رحمه الله، عارِفًا بأمُور الدولة التُّركية، مُذَاكرًا

بجملة أخبارها، مستحضرًا لتراجم أُمرائها، ويُشارك في أخبار غيرها مشاركة جَيِّدة. وكان جميل العِشْرة، فَكِهَ المحادثة، كثير التودُّد، حافظًا للسانه من الوقيعة في الناس، لا تراه يذمُّ أحدًا من معارفه، بل يتجاوز عن ذكر ما هو مشهور عنهم مما يُرْمَى به أحدهم، ويعتذر عنه بكلِّ طريق.

صحبتُه مدَّة، وجاورني عدَّة سنين، وتردد إليَّ كثيرًا. وفي آخر عمره وَلِيَ ولاية ثَغْر دِمياط فلم يُهَنَّ بها وغَرِم مالاً، وعُزل عنها، فمات ولده ثم مات بعَقِبه عن نحو الستين سنة في ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من ذي الحجة سنة تسع وثمان مئة بالقاهرة. ولد في ليلة الأربعاء تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مئة.

أخبرني صديقُنا صَارمُ الدين إبراهيم بن محمد بن دُقماق مؤرِّخ الديار المصرية، قال: أخبرني أبي[1] أنَّ النِّيل لما توَقف في سنة تسع وسبع مئة كانت العامَّة تقول من هَزْلها: «سلطانُنا رُكين، ونائبنا دُقَيْن، الماء يجي من أين، أخرِجوا لنا الأعرج، يجي الماء يدَّحرج»، يريدون برُكَيْن الملك المظفر رُكن الدين بيْبَرس الجَاشِنْكير، وهو يومئذ سلطان الديار المصرية، ونائب السَّلطنة الأمير سَلاَر، وكان شعرُ ذَقْنه قليلاً، ويريدون بالأعرج الملك الناصر محمد بن قَلاوُون، وكان قد خُلِعَ من المُلك وأرسل إلى الكَرَك.

وأنشدني، قال: رأيتُ مكتوبًا بأعلى رَفْرَف الطَّواشي شِبْل الدَّولة كافُور الهِنْدي أحد خُدَّام الملك النَّاصر محمد بن قلاوون هذين البيتين:

خَدَمْنا بأبواب السَّلاطين قَبْلَكُم ... وكانت لنا أهلُ الممالك تَخدُمُ
فما أبْطَرَتنا، يَعْلَمُ الله، نِعْمَة ... ولا نِيلَ منا بالأذِيَّة مُسْلِمُ

وأنشدني، رحمه الله، قال: أنشدنا الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن مَخْلوف الأعرج السَّعدي، وهو من غريب ما وقع له في الأمير أُلْجاي اليُوسُفي أحد أمراء الملك الأشرف شعبان بن حُسين لما ماتت

(١) سقطت هذه اللفظة من جـ.

امرأته خَوَنْد بَرَكة أم السُّلطان الأشرف شعبان بن حُسين:

في مُسْتَهَل العَشْر من ذِي حِجَةٍ كـانـت صَبِيحَـةُ مَـوْت أمِّ الأشْـرَفِ
فـالله يَـرْحَمُهـا ويُعْظِـمُ أجْـرَهُ ويكونُ في عاشُور مَوْتُ اليُوسفُي

فكان كذلك غَرِقَ الأمير أُلْجَاي اليُوسُفي يومَ عاشوراء. وقد ذكرتُ أُلْجاي وكافُور الهِندي في كتاب «المواعِظ والاعتبار في ذِكر الخِطَط والآثار» عند ذكر مدرسة أُلْجاي[1] وتربة كافور.

٣٥- إبراهيم (بن عبدالله)[2] الوَزِير الصَّاحب، شَمْس الدين، كاتِب أرْلاَن، أحَدُ مُسْلِمة القِبْطِ[3].

تنقَّل في الخِدَم الدِّيوانية، وتَصَرَّفَ في الكِتابة عِنْد الأمير أرْلان، واستكتَبَهُ الأمير بَرْقُوق في ديوانه، فعُرِفَ بالضَّبط والأمانة، وعَظُمَتْ شُهْرَته فخافه الوزير الصَّاحب كَرِيم الدين ابن مَكانِس، وأراد إبْعاد مكانه من الدَّولة فعيَّنه لوزارة الشام، فقُلِّد وزارة دمشق، ثم أُعفي من مباشَرَتها عند سَعْيه في الإعفاء، واستمرَّ على مُباشرته. فلما تقلّد الأمير برقوق السَّلْطَنة طَلَبَه وفوَّض إليه الوِزارة، وأحضرت الخِلَع التي عادتُها أن تُفاضَ على الوزراء، فامتنع من لبس القُبْع المذهَّب المُطَرَّز ومن العَنْبَرينيَّة والمِنْديل والخُفِّ الحرير المسمى بالدَّلكش، ولَبس خِلْعَةً من صُوف نظير خِلَع القُضاة وحَمَلَةِ العِلْم، وذلك في سابِع عشر المحرم سنة خمس وثمانين وسبع مئة، فوَجَد الأمور مختَلَّةً، والأحْوال غير مستقيمة، وحواصل الأموال خالية، وبلاد الدَّوْلة مستأجرة بأيْدي الأُمراء، وقد تعجَّل الوزراء أجرها، فشمّر عن ساعد الجد، واستفْرَغ وُسْعَه، وبذَل في النَّهْضة والكفاية جهده، ورفع أيدي الأُمراء عن بلاد الدَّولة، وساسَ

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٩٩.

(٢) ما بين الحاصرتين بياض، وما أثبتناه من الإنباء والدرر.

(٣) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٢٤، والدرر الكامنة ١/ ٣٤، وإنباء الغمر ٢/ ٢٦٢، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣١٢، والمنهل الصافي ١/ ٥٧، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٦٠ و٧٨ و١٤٣ و١٦٠، ووجيز الكلام ١/ ٢٨٤.

الأمور، وبالَغَ في الضَّبْط، واتَّبَعَ القَواعد القديمة، وأجْرى البلادَ والنَّواحي على القوانين السَّالفة، وكانَ الأمير جَرْكَس الخَليلي قد أقيمَ مشيرَ الدَّولة ترجعُ الوُزراء إلى رأيه، ولا تُبْرِمُ أمرًا إلا بعدَ مُراجعته، فلم يعبأ به، ولا التَفَتَ إليه، بل عارضَه ومَنَعه من التَّحدُّث في شيء من أمر الدولة. فهابه الكافة، وعَظُم قدرُه عند الخاصَّة والعامَّة، وتمكن من سُلطانه وصار صاحبَ رأيه وعمدةَ تدبيره ومصدرَ أمره ونَهْيه. فزادت هيبتُه، واتَّسَعَ نطاق قوته، حتى أنَّ السُّلطان، فيما يُذكر، أمَرَه يومًا فوضعَ يَدَه فوق يده وقد حضر الأُمراء بأسرهم وقال لهم: كما أنَّ يدَ الوَزير فوقَ يدي كذلك كلمتُه فوق كلمتي. فلم يبق في الدَّولة عَظيمٌ من عُظمائها حتى خَنَع له وتصرَّف بأمره. وكان مع ذلك مقتْصِدًا في مَلْبَسِه ومَرْكبه وزِيِّه ودَسْتِه، لم يغير شيئًا من حاله التي كـان عليها قبل الوِزارة، ولا تحوَّل عن دارِه إلى أكبر منها، ولا جَدَّدَ خَدَمًا ولا حَشَمًا، ومنعَ الناسَ من الركوب معه والمسير بين يديه كما هي عادة الوزراء. فكان يمرُّ في الطُرقات، ويسيرُ إلى الخدمة السُّلْطانية على فَرَسه كآحاد الناس المتوسطين من الكُتَّاب، ومن ورائه الغُلامُ على بَغْل، ورديفُه عَبْد يَحمِلُ دواتَه تَحْتَ إبطه لا يَزيد على ذلـك شيئًا البتة طول مدته في الوِزارة. وكان إذا جلس في دَسْتِ وزارته يكون على لُبَّاد أحمر قد فُرِش على صُفَّةٍ رقيقة على باب داره فيقعدُ عليها ورجلاه تخطُّ الأرْضَ، ويأتيه أربابُ الحوائج بغير إذن ولا مشاورة، سواء أعلاهم وأدناهم، فيتناول قِصَصَهم بيده ويكلمهم بغير واسِطَة. وإذا ركب أغلقَ بابه على من في دارِه من الجَواري ورَفَع المفتاح معه، ولم يتناول مَعْلومَ الوِزارة المقررة من تقادُم السنين.

وكان يحضرُ بنفسه لذبح الأغنام، وتفرِقَة الرَّواتب السُّلطانية من اللحم على أرباب المُرَتَّبات. وأمرَ بفتح مَطْبَخ السُّكَّر المتعلق بالدولة، وكان قد تعطَّل منذُ أعوام، وأدار الدَّواليب لاعتصار الأقْصاب في الوجه القِبلي. ولم يَعْسف أحدًا في طَلَب، ولا جَدَّد مَظْلَمة، ولا أحْدَث سوءًا بل استوفَى الأموال السُّلطانية، ولم يُفرِّط في شيء منها. وكانت العادةُ

بأنَّ مَنْ ظَفِر به أعوان المَكْس من التجار ومعه شيء من القُماش أو غيره لم يُعط ما عليه من المَكْس أُخذ منه ذلك ويُغرَّم شيئًا آخر، فمنعَ من هذا وقال: لا يؤخذ ممن وُجد معه شيء لم يُمكِّسْهُ سوى ما يلزمه فقط.

ومع ذلك كله أخبرني من كان له اطلاع على أمورِه بأنه كان في باطن أمرِه نَصْرانيًا يَدينُ بدين النَّصْرانية.

وكانَ رَفِيقًا لأبي في مُباشَرةِ ديوان الأمير آقْتَمُر الحَنْبلي نائب السلطنة بالديار المصرية، وكان لي إليه تَرَدُّد، وله بي عناية. ومات وهو على وِزارته بعد أن مَرِضَ أيَّامًا، وعادَه الملكُ الظاهرُ سِرًّا في الليل، ودفع إليه أوراقًا بالحواصل التي تَحْتَ يَدِه، وهي من الدَّراهم أَلْفُ ألفِ دِرهم فِضَّة، ومن الغلال ثلاث مئة ألفٍ وستونَ ألفَ إردَب من سائر الحُبُوب، ومن الغنم ستة وثلاثون ألف رأس، ومن الإوَزِّ والدَّجاج مئة ألف طائر، ومن الزيت ألفَا قِنطار، ومن ماء الورد أربع مئة قِنْطار، وكانت الأوراق بما فيها مـن النقد تشتمل على خمس مئة ألف دينار ذَهَبًا.

وكانت وفاتُه ليلة الثلاثاء السادسِ والعِشرين من شَعْبان سنة تسع وثمانين وسبع مئة، ولم نَرَ بَعْدَه وَزيرًا مثلَه، خَفَّفَ الله عنه.

٣٦- إبراهيم بن عليّ بن إبراهيم الشَّاميُّ، بُرهان الدين، ابن الحَلْوانيِّ، الواعظُ[(١)].

كان أبوه من أهل الشَّام يَبيعُ الحَلْواء بالقاهرة، ووُلِدَ له إبراهيم هذا فَحفَّظه القُرآن الكَريم، ومالَ إلى طريقة الوَعْظ، فتَصدَّى لذلك سنين يقرأ بالجامع الأزهر المواعيدَ من الكُتُب على كُرسي. وكان في الناس بقايَا من خَيْر، فيجتمعُ لقراءاته طوائفُ من النَّاسِ، ويناله منهم صِلاتٌ ومَبارَ، فاشتُهِرَ بذلك، وأكثر من الحج والمجاورة بمكة، شرفها الله تعالى، وعَمِلَ بها الميعاد.

وسَمِعْتُ بقراءَته في مكَّةَ، شَرْفها الله وكرَّمها، أيام مجاورتي بها

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٤٣، وإنباء الغمر ٢/ ٣٥٦، والمنهل الصافي ١/ ١٠٣، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٢٧٥.

في عام ثلاثة وثمانين وسبع مئة جميع كتاب «الشِّفا بتعريف حُقوق المصطفى» ﷺ من تأليف القَاضِي أبي الفضلِ عياض رحمه الله على أبي السَّعادات سَعْد الدين سَعْدالله بن عُمر الإسْفَراييني - عفا الله عنه - وجميع الكتاب «الصَّحيح» من تخريج الإمام أبي الحُسين مُسْلِم بن الحجاج، رحمة الله عليه، على الفقيه العالم جمال الدين إبراهيم بن محمد الأمْيُوطي، غفر الله لـه. وسمعتُ ميعاده غيرَ مرة فلم أسمع ميعادًا مثلَه جودةَ قراءةٍ وحُسْنَ أداء وطِيبَ نَغْمة وشَجَا صَوتٍ، مع الطَّلاوة والقَبول ومُلاحَة الوجه.

وامتُحِنَ، رَحِمَهُ الله، في سنةِ إحدى وثمانين وسبع مئة، وكان لمحنته سببان: أحدهما باطن، والآخر ظاهر.

أما السَّببُ الباطِنُ: وهو الأصْلُ، فإنَّه لما كان يومُ الاثنين الثامن من جُمادى الأولى لَبِسَ قاضِي القضاة الحَنَفيَّة جَلَالُ الدين جارُ الله النَّيْسابوري تشريفًا من عند الأمير بَرْقوق. وكُتب له توقيع بأن يَلْبسَ الطَّرْحَة، ويولي عنه النواب للحُكْم في أرياف مِصْر ونواحيها بالوجهين القِبلي والبَحري. ويجعل له مُودَعًا لأيتام الحَنَفيَّة لا يُخْرِجُ منه زكاةً لأموالهم. وقد كان قاضي القضاة الحنفية سِراج الدين عُمَر الهِنْدي تَنَجَّزَ أيام تقلُّده القضاءَ توقيعًا بذلك في سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة في أيام السُّلْطان الملك الأشرف شعبان بن حُسين بن محمد بن قَلاوون، وقاضي القُضاة يومئذ بَهَاء الدِّين أبو البَقَاء الشَّافعي، فعُوجِلَ السِّرَاجُ الهِنْدي ومرضَ ومات، فبطل ذلك، ثم تَحَرَّكت فُقهاء العَجَم وقد كانت لهم يومئذٍ بديار مصر دولة منذ أيام الأميرين شيخو وطَاز، وسعَتْ في إعادة ذلك، وقاضي القضاة يومئذ بدرُ الدين محمد بن أبي البَقَاء الشافعي، فلم يتم مرادُهم. فلما كان في هذا الوقت، وقاضي القُضاة حينئذٍ قاضي القُضاة بُرْهان الدين إبراهيم بن جَمَاعة الشافعي وقع لُبْس الجَلالِ جار الله وكتابة التَّوقيع له بذلك بعدما أفتى الفقهاء من العَجَم للأتراك بأنه لا تَجب الزَّكاة في مال اليتيم، وكان مُودَع الحُكْم إذ ذاك غاصًا بأموال الأيتام،

ويُخْرِجُ منه قاضي القضاة في كل سَنَةٍ مبلغًا كبيرًا من زكاة أموال الأيتام يَرْتَفِق بها الفقراء، ويستعين بها أهل السِّتْر والطلبةُ المحتاجون. وفي ذلك يقول صاحبنا الأديب شهابُ الدين أحمدُ ابنُ العَطَّار الدُّنَيْسِري، رحمه الله:

أمرتْ تُركُنا بمودَعِ حُكم حَنَفِيٍّ لأجل مَنْع الزَّكاة
رَبِّ خُذهم فإنهم إنْ أقاموا نختشي يأمروا بترك الصَّلاة

فلما كانَ يومُ الاثنين النصف من جمادى المذكور عُقد مجلسٌ عند الأمير الكبير بَرْقوق في أمر المُوْدَع الذي قام الحنفيَّةُ في تجديده، حضر القضاة الأربعة والشيخ أكمل الدين محمد بن محمود شيخ خانقَاه شيخو وهو يومئذ كبيرالحنفية وعظيمها، ولم يحضر شيخ الإسلام سِراج الدين عُمر بن رَسْلان البُلْقيني كبير الشافعية إذ ذاك، فقام الشيخ أكمل الدين في ذلك المجلس قيامًا كبيرًا في منع مُودَع الحنفية، وتخاصم هو وجلال الدين جار الله قاضي القُضاة الحنفية، وتفاحشا في المقال، وانقضى المجلسُ وقد جَارَ الأمير بَرْقُوق من الغَضِّ من الشافعية، وكان قد اجتمع به الشيخ المُعتَقَدُ خَلَف الطُّوخي، وكان مُعَظِّمًا له، معتقدًا فيه الخَيْر، وخاشَنه في الكلام بسبب ذلك، وآخر ما قال له: يا أميرُ إن لم ترجع وإلا فَبَيْننا وبينَكَ سِهَامُ الليل. وقيل للأمير بَرْقُوق أيضًا إن سبب قتلة الأمير يَلْبُغا الخَاصِّكي أنه هَمَّ بعمل ذلك لقاضي القُضاة الحنفية، وكان يومئذ جمال الدين عبدالله ابن التُّركماني، فرأى بعضُ الصالحين في منامه الإمام الشافعيَّ، رضي الله عنه، وبيده فأسٌ فقال له: يا إمام أين تقصد؟ فقال له: أهْدِم الكَبْش، يعني سكن الأمير يَلْبُغا، وأن الأمير يَلْبُغا لم يُقِمْ به هذه الرؤيا سوى أحد وخمسين يومًا وقُتِل، وما زال الكَبْشُ خرابًا إلى الآن. فخاف الأمير بَرْقُوق وطلب قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة في يوم الاثنين الثاني والعشرين من جمادى المذكور وألبسه تَشْريفًا باستقراره على عادته، وأن لا يَخْرُج شيء عن حُكْمه على قاعدةِ من تَقَدَّمه من قُضاة الشافعية. فانتكى العَجَم لذلك نِكاية بالغَةً، وساءهم هذا لكثرةِ ما شَنَّع

الناسُ عليهم بأنهم قد سَعَوا في منع الزَّكاة، فقال الأديب شهاب الدين أحمد ابنُ العطار:

ظَهَـرَ البُـرهـان لَمَّـا لَعِبَـتْ عُجْـمٌ بتُـرك
واستقـامَ الـدَّسـتُ حتَّـى ضُـرِبَ الجـارُ بِيَـك

وعند ذلك اتفق أن شخصًا قُدْسيًّا من أهل القُدس أحضركتابًا في مناقب الإمام الشافعي، رحمة الله عليه، وأعطاه لإبراهيم ابن الحَلْواني هذا، وقال له: قاضي القُضاة برهان الدين ابن جماعة أرسل لك هذا لتقرأه بالميعاد على الناس فشرع يقرؤه في الميعاد، والقومُ له بمرصادٍ حتى إذا ذكر فيه عن شخص أنه رأى النبيَّ ﷺ في منامه وعِنْدَهُ الإمام الشافعي وغيره من الأئمة رضوان الله عليهم والنبي ﷺ يقرأ قول الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام ٨٩] ويشير إلى الشَّافعي وأصحابه، ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام] ويشير إلى بعض الأئمة وأصحابه، فثارَ به عند ذلك جماعةٌ وطُلِبَ إلى قاضي القُضاة جلال الدين جار الله، فأمر بإحضار الكتاب المقروء وإحضار الرجُلِ القُدْسي وقال لَهُ: أقالَ لكَ قاضي القُضاة بُرهان الدِّين قل لإبراهيم الحَلْواني يقرأ هذا الكِتاب على النَّاس؟ فكانَ من لُطفِ الله أن قالَ الرجُلُ القدسِيُّ: أنا كَذَبتُ عليه. فعزَّرهُ حينئذٍ جارُ الله وجَرَّسهُ القاهرة وعَزَّرَ إبراهيم الحَلْواني وساقَهُ إلى السِّجن. فامتعضَ لذلك الشيخُ سِراجُ الدِّين عُمَرُ البُلقيني، وما زالَ بابنِ الحَلْواني حتى أخرجهُ من السِّجن وأعادهُ يتكلمُ على عادته في المواعيد، فاستمرَ على ذلك حتى ماتَ بالقاهرة في يوم الأحدِ التاسع من صَفَرسنةَ إحدى وتِسعين وسبع مئة، رَحِمَهُ الله وغَفَرَ لَهُ.

٣٧- إبراهيم بن عُمر بن عليّ المَحَليُّ الأصل المصريُّ التَّاجر، برهان الدين[1].

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات سنة ٨٠٦)، وذيل الدرر، الترجمة ١٩٤، وإنباء الغمر ٥/ ١٥٥، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٣٥، ونزهة النفوس =

كان يَذكر أنه من ذُرِّية طَلْحَة بن عُبيدالله، وأنه ولد في سنة خمس وأربعين وسبع مئة، فسمَّاه جده لأمه العَلاَّمة شمس الدين محمد ابن اللَّبَّان، ودعا له، وقال لأبيه، زَوْج ابنته: ابنك هذا يجيء ناخوذة. ثم سمع هو هذه البُشْرى من الشيخ وعقل ذلك منه وعمره أربع سنين، وكان ذكيًا عارفًا بأمور الدنيا، قد مارس وأكثر من الأسفار، ابتدأ أولاً بالتجارة إلى الشام، فأكثر من ذلك إلى أن عرف به. ثم بدا له فسافر إلى اليمن وخالط محمد بن سَلاَّم التاجر الإسكندراني، وسافر له، فلما مات ابن سَلاَّم ضم إليه ابنه الأكبر صاحبنا ناصر الدين محمد وزوَّجه ابنته. وتردد إلى اليمن مرات فلم تُصَبْ قطُّ مركب كان فيها، ولا نُكِبَتْ قافلةٌ سار معها. فلما مات زكي الدين أبو بكر الخَروبي، وكان قد انتهت إليه رياسة التجار بديار مصر تفرَّد بالرياسة، وابتدأ في إنشاء داره بشاطىء النِّيل المبارك من مدينة مصر في سنة اثنتين وثمانين وسبع مئة، فأنفق عليها إلى دُون القُرْب من فراغها نحوًا من خمسين ألف دينار، ثم أضاف إليها مدرسةً مَلِيحةً، ومكتبَ سبيلٍ لكنه لم يجعل بالمدرسة المذكورة دَرْسًا ولا طَلَبة، فأُحْرِقت هذه الدار جميعها سنة ست وثلاثين وسَلِمَت المدرسة. وقامَ في تجديد عمارة الجامع العتيق بمصرَ الفُسطاط في سَنَةِ أرْبعٍ وثمان مِئة، وبذَل في ذلك مالاً جزيلاً، ونهضَ فيه بنفسه وذَوِيه أتم نَهْضَة، فشكر الله مَسْعاه، وبَيَّض في عَرصات القيامة مُحَيَّاه، فإنَّه كان قد وَهَى وتداعى للسُّقوط. وكان يقول: أنجب ابنُ مُسْلم[1] في عبيده وأنا أنجبت في ولدي أحمد؛ وكان قد أرسله إلى البلاد اليمنية فأنجب وتموَّلَ وسادَ، وكان شابًّا فَطِنًا عاقلاً خَيِّرًا دَيِّنًا، ذُكِرَ أنه لم يَشْرَب مُسكرًا قطُّ مع ما كان أبوه فيه. وكان يناقض أباه في أمور كثيرة من فعل الخَيْر والإحسان إلى الناس، فمات بمكة في ذي القَعْدة سنة ستٍّ وثمان مئة

= والأبدان ١/ ٣٨٦ و٢/ ١٩٣، والضوء اللامع ١/ ١١٢، ووجيز الكلام ١/ ٣٧٤.

(١) هكذا في أ وجـ، ولعله يريد ابن سلام التاجر المذكور قبل قليل.

بعد موت أبيه بمصر بسبعة أشهر، وكانت وفاته يوم الأربعاء ثاني عشر[1] شهر ربيع الأول منها، وذهب ماله ذهابًا قَبِيحًا، أخذ منه صاحب اليَمَن وصاحِبُ مكة، وأخـذ الملك الناصر فَـرَج منه مئة ألف دينار وألف دينار. وكان غير مَشْكور السِّيرة مع شحٍّ مُطاع وحِرْصٍ كبيرٍ على النَّزْر واليَسير. وهو آخرمن أدْركناه مـن رؤساء التُّجار، وكان من أصحاب أبي، وصحبتُه مدَّة، وأضافني بمنزله، وهو أحد دُورِ الدُّنيا المشهورة، رحمه الله وغفر له.

٣٨- إبراهيم بن داود بن عبدالله، برهان الدين الآمديُّ مولدًا، الدِّمشقيُّ منشأً، المصريُّ وفاةً، الشافعيُّ[2].

ولد بمدينة آمد في سنة أربع عشرة وسبع مئة بين أبوين نصرانيين، وقدم إلى دمشق فأسلم على يد شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله،وله من العمر نحو السبع سنين، وخدمه، وصحب من بعده ابن القيِّم، وأخذ عنه. ثم قَدِمَ إلى القاهرة واستوطنها سنين حتى مات بها في يوم الأحد الثاني عشر من شوال سنة سبع وتسعين وسبع مئة وحدَّث في القاهرة بكتاب «السنن» لأبي داود عن ابن أبي الذر البَغْدادي و«بمسند» الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن أحمد بن مُحمَّد بن عُمر الحَلَبي، وبكتاب «الحِلْيَة» لأبي نعيم عن إبراهيم بن عليّ القُطْبي، وبكتاب «الشفا» للقاضي عياض، عن الدِّلاصي عن ابن تامتيت عن ابن الصائغ عن القاضي عياض، وبكتاب «علوم الحديث» عن أبي الفتح المَيْدومي و«سنن ابن ماجة» عن عبدالرحمن ابن الحافظ أبي الحجاج المِزي والمحدث زين الدين أبي بكر بن قاسم الرَّحبي سَمَاعًا.

وكان، رحمه الله، شيخًا من شيوخ السُّنَّة، شديدًا في ذات الله،

(١) في أ: «عشري»، وما أثبتناه من جـ، وهو الموافق لما نقله السخاوي في الضوء اللامع من هذا الكتاب تصريحًا.

(٢) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٥٨، والدرر الكامنة ١/ ٢٧، وإنباء الغمر ٣/ ٢٥٤، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٤١٦، وشذرات الذهب ٦/ ٣٤٧.

قويًا على أهل البِدَع، أحد أعيان المُسلمين المستحضرين لعظمة الله جل جلاله، شديد التعصب لابن تَيْمِيَّة، جَمَّاعًا لكتبه ومُصَنَّفاته، عارفًا بأقواله. وكان صاحبًا لأبي، وتلميذًا لجدي عبدالقادر بن محمد المقريزي. ولزمته عدة سنين، واستفدت منه، وانتفعت به. وكان مُبَجَّلاً عند الناس، صاحب سمت وزَيٍّ مأنوس، سمعته يقول: لعن الله اليهود والنصارى وإن كان أبواي منهم.

٣٩- إبراهيم بن علي بن عُثمان بن يَعْقوب بن عبدالحق بن مَحْيُوْ بن أبي بكْر بن حَمَامَةَ بن محمد بن وَرْصِيْص بن فَكَّوس بن كُوْمَاط بن مَرِين، السلطان أبو سالم ابن السلطان أبي الحَسَنِ ابن السلطان أبي سعيد ابن السلطان أبي يعقوب المَريني، مَلِكُ فَاس والمغرب الأقصى[(١)].

اعلم أن بني مَرِيْن من شعوب بني وَاسِّيْن من زَنَاتَة، كانوا يَسْكنون القَفْر من فِنكيْك إلى سِجِلْماسَة إلى مَلْويَة، وهم ثمانية بُطون: بنو حَمامَة، وبنو عَسْكر، وبنو بِيْعِين، وبنو تَنَالُفْت، وبنو وَنْكاسَنْ، وبنو وَرْتَاجَّن، وبنو وَاطَّاس، وكانت الرياسة فيهم لمحمد بن وَرْصيص بن فَكُّوس بن كُوماط بن مَرِين، فقام من بعده ابنه حَمَامَة بن محمد بأمر قومه، وقام بعد حَمَامَة بأمر مَرِيْن أخوه عَسْكر بن محمد، ثم من بعده ابنه بُوْيَكْنَى المخَضَّب بن عَسْكر، وفي أيامه أوقع عَبْدالمؤمن بن عليّ القائم بدَولة الموحِّدين بزنَاتَة، واستلحم أكثرهم فلحق بنو مَرِيْن بالقَفْر، ثم قُتِلَ المخضَّب في سنة أربعين وخمس مئة في حروبه مع الموَحِّدين، وانهزم بَنو مَرِيْن. فقامَ من بعده بأمرهم ابنُ عمه أبو بكر بن حَمَامة بن محمد حتى مات فقام بعده ابنه مَحْيُوْ بن أبي بكر، ومات سنة إحدى وتسعين وخمس مئة، فقام برياستهم ابنه عبدالحق بن مَحْيُو إلى أن مات الناصِرُ

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٧٢، والدرر الكامنة ١/ ٤٦، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٢، ووجيز الكلام ١/ ١٢٨، واللمحة البدرية ١١٧، وتاريخ ابن خلدون ٧/ ٣٤٧.

رابعُ ملوك المُوَحِّدين سنة عشر وست مئة، وقام بعده ابنه المُسْتَنْصر يُوسُف، ضعُفَت دولتهم في أيامه فدخل بنو مَرِين من القَفْر ونهبوا الأموال من الأعمال، فحاربتهم عساكر الموحدين فانهزموا وغَنِمت مَرِيْن أثقالَهم فقَوُوا، ثم واقعهم الموحِّدون مرة ثانية فهلك عبدالحقِّ سنة أربع عشرة وست مئة، فقام من بعده بأمر مَرِين ابنه عثمان بنُ عبدالحقِّ، وبه عظم أمر مَرِين واتَّضَعَت دولة الموحِّدين، وفسدت منهم البلاد لغَلَبة بني مَرِين على الرِّيف وتغريمهم أهْله حتى دَخَل في طاعته أكثرهم، وبايَعَهُ منهم الشّاوِيَّة والقبائل الآهِلَة مثل هَوَّارة وغيرها، ففرض عليهم الخَرَاج، وفَرَّقَ فيهم العُمَّال. ثم فَرَض على أمصار المغرب مثل فاس وتازَى ومِكْناسة وقصر كُتَامَة ضرائب يؤدونها إليه كل سنة. وأوقع بعدة قبائل فقتله غِيلَةً بيده عِلْجه في سنة سبع وثلاثين وست مئة. فقام بعده أخوه محمد بن عبدالحَقِّ وسلك مسلك أخيه في تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضَّريبة والمغارم، فحاربته عساكر الرشيد بن المأمون ملك الموحِّدين حتى مات سنة أربعين، وقام بعده بأمر المَوحِّدين أخوه السَّعيد فجمع لحرب بني مَرِيْن عشرين ألفًا وقاتلهم في سنة ثنتين وأربعين، فهلك الأمير محمد بن عبدالحَقِّ في الجَولة، وانهزم بنو مَرِيْن، وأقاموا عليهم أبا يَحْيى بن عبدالحَق ففتح الأمصار وأقام رُسُوم المملكة، وقسمَ بلاد المغرب وقبائل جِبايته بين عشائر بني مَرِين، وأنزل كلاًّ منهم في ناحية، فكثرت عَسَاكرهم لكثرة من لحق بهم من الناس، فامتدَّت أيدي مَرِيْن بعد تملُّكهم الأعمال إلى أخذ الأمصار، وأخذوا مِكْناسَة، وأظهروا فيها دعوة أبي زكريا يحيى بن عبدالواحد بن أبي حَفْص القائم بتونس، فخرج إليهم السَّعْيد خليفة الموحِّدين من مَرَّاكُش واسترد مِكْنَاسَة، ونَزَل تَازَى في طلب بني مَرِين، فمات وتفرقت جموعه.

وأُقيم بعده ابنهُ عبدالله، فأوقع بنو مَرِيْن بهم وهزموهم وغنموا ما مامعهم، فأقام حينئذٍ الأمير أبو يَحيى رسوم المُلْك بما صار إليه من غنائم الموحِّدين واتَّخذ المَواكِب السُّلطانية.

فمات عبدُالله بن السَّعِيد، فأخذ الأمير أبو يحيى عِدَّة أعمال وملك فاس في أوَّل المحرم سنة ست وأربعين، ثم ملك تازَى وجُدِّدت له البيعة فصار بيده أربعة أمصار: فاس، ومِكْناسة، وسَلا، ورِباط الفتح، وعامة المغرب الأقصى، وهو على دعوة أبي زكريا الحَفْصي حتى مات في رجب سنة ست وخمسين وست مئة.

فقام بعده ابنهُ عُمر بن أبي يحيى، فنازعه عمُّه أبو يوسف يَعْقوب ابن عبدالحقِّ بن مَحْيُوْ وغلبه وملكَ فاس في سنة سبع وخمسين، ودعي بالسُّلطان، وأجاز عساكره البحر لغزو الفِرَنج فغنمت، وأخذ مَرَّاكش دار خلافة الموحِّدين عَنْوَةَ في أول سنة ثمان وستين وست مئة، وورث ملك آل عَبْدالمؤمن، وفتح السُّوس، وملك طَنْجة، وسَبْتَة، وسِجِلْماسة وجميع بلاد المغرب.

ثم ركب البحر في سنة أربع وسبعين وأوقع بالفِرَنج فقتلَ طاغيتهم في ستة آلاف منهم، ولم يُقْتل من المُسلمين سوى ثلاثين رجلاً، وغنم من البَقَر مئة ألف وأربعة وعشرين ألف رأس، وأسر سبعة آلاف رجل وثمان مئة رجل وثلاثين رجلاً، وبلغ الكُرَاع أربعة عشر ألفًا وست مئة، وعاد مظفرًا بعد ستة أشهر، وقد أعَزَّ الله به الإسلام والمسلمين.

وأوقع في سنة أربع وسبعين ببقايا الموحِّدين، فضُربت أعناقهم وأُخِذَت أموالُهم ونُبِشَت قبور خلفائهم من بني عبدالمؤمن بن عليّ، وأُخرج عبدالمؤمن وابنه يعقوب المنصور من قبريهما وقُطِّتْ رأساهما، فتمهد للسُّلطان أبي يوسف مُلْكه، واستفحلَ سُلطانهُ، واتسع نطاقُ دولته، وعَظُمت غاشِيَتُه، وبنى فاس الجديد، ونزلها بحاشيته وذويه.

ثم ركب البحر ثانيًا في سنة ست وسبعين فقتل، وأسر، وغَنِمَ، وعاد وقد اهتزَّت الدُّنيا لقدومه.

ثم ركب البحر ثالث مرة في سنة اثنتين وثمانين، فدوَّخ أرض الكُفْر وعاد عزيزًا منيعًا.

ثم ركبه رابع مرة في سنة أربع وثمانين فخَرَّب وحَرَّق وغَنِمَ وعادَ،

فمات في رجوعه بالجزيرة آخر المحرم سنة خمس وثمانين وست مئة، فبويع ابنه أبو يعقوب يوسُف بن يعقوب، وركب البحر غازيًا في سنة تسعين وست مئة، وعاد ظافرًا غانمًا، وجهَّزَ رَكب الحاج، وكانَ قد انقطع عدة سنين من بلاد المغرب. ثم مات في يوم الأربعاء سابع ذي القعدة سنة ست وسبع مئة.

فأقيم بعده أبو ثابت عامر ابن الأمير أبي عامر ابن السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبدالحق. ومات في ثامن صفر سنة ثمان وسبع مئة.

فقام بعده أبو الرَّبيع بن أبي عامر ابن السلطان أبي يعقوب يوسف. وفي أيامه تنافس النَّاسُ في البناء، وتفننوا في الملابس، وركبوا الفارِه، وأكلوا الطَّيِّبات، واقتنوا الحُليَّ، وأظهروا الزِّينَةَ، وانهمكوا في الترف حتى مات في آخر جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة.

فبويع أبو سَعِيد عثمان بن يعقوب بن عبدالحق، فخرج عليه ابنه الأمير أبو عليّ عُمر وليُّ عهده وحاربه، فانهزم منه جريحًا، وملكَ فاس، فاعْتَلَّ عن قريب، وتَسَلَّلَ الناسُ عنه إلى أبيه وهو بتَازَى فسار بهم وأخذَ فاس، وخرج أبو علي في سنة خمس عشرة إلى سِجِلْماسَة، فقام الأمير أبو الحسن ابن السلطان بأمر أبيه وخرج إلى أخيه وقد انتقض على أبيه في سنة عشرين، ثم عاد فسار السلطان في سنة ثنتين وعشرين وقد ملك ابنه أبو علي مَرَّاكُش، فخرج وبَيَّت أباه، فانهزم وأبوه في إثره. ثم عاد السُّلطان إلى فاس ومات بتازَى في ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين.

فقام من بعده ابنه أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب ابن عبدالحقِّ، وأخذَ أخاه أبا علي وسَجَنَهُ، وفتحَ أمصارَ الشَّرْق وملك تِلِمْسان وصار مَلك زِنَاتَة بعد ما كان مَلِكَ بني مَرِيْن وسلطانَ العَدْوَتَين بعد أن كان سلطان المَغْرب.

وركب البحر في آخر سنة أربعين وسبع مئة ونزل على طريف فهزمه الفرنج.

ثم سار إلى تونُس وملكها في سنة ثمان وأربعين، فمرَّت به هناك

خطوبٌ حتى أُرْجِفَ بموته، فقام ابنه أبو عِنان بفَاس ودعا لنفسه وانتقضت الأطراف، وكثر الثُوَّار. فركب أبو الحسن البَحْرَ في شوال سنة خمسين وأقلع من مَرْسى تُونُس، فانكسرت السَّفِينة ونجا أبو الحسن وقد ألقته الأمواج إلى جزيرةٍ، وَفَرَّ إلى الجزائر خَوْفًا من القَتْل، وجمع عليه وسَارَ فأوقعوا به وأخذوا ما معه فَفَرَّ بحُشاشَتِه إلى سِجلْماسَة. فخرج إليه ابنه أبو عِنان ليأخذه، ففر إلى مَرَّاكُش وقصد جبل المَصَامِدة، وجمع الناس، فأتاه أبو عِنان وحاربه وهزمه وأبو عِنان في إثره، فمات في ثالث عِشْري ربيع الآخر سنة ثنتين وخمسين وسبع مئة.

وقام بعده ابنه أبو عِنان فارس فملك تِلِمْسان وسائر المَغْرب الأوسط، وبِجَاية، وقُسَنْطينة، وتَوْزَر، ونَفْطَة، وتونس، وجميع بلاد إفريقية. ومات بعدما مرض وغمَّه وزيره الحسن بن عُمر وهو يجود بنفسه حتى هلك ليلة السبت سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وخمسين وسبع مئة. وأقيم بعده ابنه السَّعيد، فانتقَضت الأعمال وكثر الثوار.

وكان الأمير أبو سالم، صاحب الترجمة، بالأندَلس، وقد طمع في الأمر بعد موت أخيه أبي عِنان، واستدعاه عدة من أهل المغرب، فصار إلى مَرَّاكُش ثم إلى بلاد غُمارة، وملك سَبْتَةَ وطَنجَة. وقام أهل الثُّغور الأندلسية بدَعوته، فبعث إليه الثائر على البلد الجديد مَنْصور بن سُليمان ابن أبي مالك بن يعقوب بن عبدالحَقِّ عَسْكرًا. وكان بنو مَرِيْن قد تَغيَّروا على الوزير الحسن بن عُمر لاستبداده عليهم وحَجْره على السُّلطان السَّعِيد، واتفقوا على بَيْعَةِ يَعِيش بن عليّ بن أبي زيَّان ابن السُّلطان أبي يعقوب، وبايَعُوه خارج تِلِمْسان، فقام مسعود بن رُحُوْ وبايع منصور بن سُليمان ابن أبي مالك، ففر يَعِيش بن أبي زيَّان وركب البَحْر إلى الأنْدلس، وانعقدَ الأمرُ لمنصور بن سُليمان، واجتمعَ عليه بنو مَرِيْن وساروا به من تِلِمْسان، وكانوا قد خَرَجوا لاستنقاذها من أبي حَمُّو موسى ابن يوسف وقد ملكها بعد موت أبي عِنَان. فأوقعوا في طريقهم بالعَرَب، فلقيهم السُّلطان السَّعيد خارج فَاس، فمضى عنه الناس إلى منصور بن

سُليمان، فعاد السَّعيد إلى قَصْره، وحصر منصور البلد من ثاني عشري جمادى إلى أوَّل شعبان، وبعثَ عسكرًا إلى أبي سالم، فبعث الوزير الحَسَن بن عُمر بطاعته إلى أبي سالم سِرًّا ووعده أن يُمَكِّنه من دار مُلْكه، ولَحِقَ به أيضًا مسعود بن رُحُو بن ماسَاي وزير منصور بن سُليمان، فانفَضَّ النَّاسُ عن منصور، وخذله بنو مَرِين، ومَضَوا بأجْمَعِهم إلى أبي سالم، فسار بهم يريد فاس، فخلع الحسن بن عُمر سلطانه السَّعيد وأسلمه إلى عَمِّه، وخرج إليه فبايعه. ودخل السُّلطان أبو سالم إلى فاس الجديد دار المُلْك يوم الجُمُعة منتصف شعبان سنة ستين وسبع مئة، واستولى على ملْك المَغْرب، وأتته الوفود من النواحي بالبَيْعات. فعَقَد للحسن بن عُمر على مَرَّاكُش وبعثه على العساكر، فإنه كان قد تَخَيَّل منه. واستوزَرَ عِوَضَه مسعود بن رُحُو، وجعل كاتب سره شيخنا الأستاذ أبا زَيْد عبدالرحمن بن خَلْدُون، وعنه أخذت هذه الترجمة وغيرها من أخبار بني مَرِين.

ثم قَتَلَ أبو سالم مَنْصور بن سُليمان الثائر وابنه عَلِيًّا في آخر شعبان، وجمعَ الأبناءَ والقَرَابة من وَلَد أبيه وعَمِّه وحملهم إلى رُنْدة من ثُغُور الأنْدلس، ووكَّل بهم من يَحْرُسُهم، ففر محمد ابن أخيه أبي عبدالرحمن إلى غَرْناطة ولحق بطاغية الفرنج وأقامَ عنده حتى ملك كما ذكر في تَرْجمته. وهلك القَرَابة غرقًا في البَحْر بأمر أبي سالم.

وكان سلطانُ الأندلس أبو الحَجَّاج قد مات في سنة خمس وخمسين، وأقيم بعده ابنه أبو عبدالله محمَّد ابنُ الأحمر، فاستَبَدَّ عليه رُضوان مولى أبيه فدعا محمد بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد لابن السلطان الأصغر لما أمكنته الفرصة بخروج السُّلطان من غَرْناطة إلى مُتَنَزَّه له، فصعد سور الحَمراء ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ستين في أوشاب[1] جَمَعهم واقتحم على الحاجب رُضوان دارَه وقتَلَهُ وأعلن

(١) الأوشاب: الأخلاط والأوباش.

بيعة إسماعيل ابن السُّلطان، ففر أبو عبدالله إلى وَادِي آش، واستَبَدَّ محمد ابن إسماعيل بأمر إسماعيل ثم قَتَلَهُ.

فلما بُلِّغ السُّلطان أبو سالم ذلك بعث أبا القاسم الشَّريف إلى الأندلس فأخرج أبا عبدالله محمد ابنَ الخطيب من الاعتقال لأنَّهُ كان قد اعتُقل، وأجازَ السُّلْطان أبا عبدالله ابن الأحمر المَخْلوع البحر من وَادي آش إلى المغرب، فقدمَ على السُّلطان بفاس في ذي القَعْدة منها، فأجَلَّ قدومه وركب إلى لقائه، ودخل به إلى مجلس مُلْكه، وقد احتفل بترتيبه وغُصَّ بالمَشْيخة والعُلْيَة، ووقف الوزير أبو عبدالله محمد ابنُ الخطيب الأندلسي فأنشد السلطان أبا سالم قصيدة يَسْتَصْرخهُ لسُلطانه، ويستحثُّه على مظاهرته، واستعطف واسْتَرْحم بما أبْكى الناس شَفَقَةً لهم ورحمة، وهي:

سَلا هَلْ لَدَيْها من مُخَبِّرةٍ ذِكْرُ ... وهَلْ أعْشَبَ الوَادي ونَمَّ به الزَّهر
وهَلَ باكَرَ الوَسْمِيُّ دارًا على اللِّوى ... عفَتْ آيُها إلا التَّوَهُّمُ والذِّكْرُ
بلادي التي عاطَيْتُ مَشْمولة الهَوَى ... بأكنافها والعَيْش فَيْنانُ مُخْضَرُ
وجَوِّي الذي رَبَّى جَناحيَّ وَكْرُهُ ... فها أنا ذا مالي جَناحٌ ولا وَكْرُ
نَبَتْ بيَ لا عَنْ جَفْوةٍ ومَلالَةٍ ... ولا نَسَخَ الوَصْل الهَنيَّ بها هَجْرُ
ولكنَّها الدُّنيا قَليلٌ مَتَاعُها ... ولَذَّاتها دأبًا تَزُورُ وتَزْوَرُّ
فمَن لي بنَيْل القُرْب منها ودُونَنا ... مَدًى طالَ حتى يَومهُ عندنا شَهْرُ
ولله عَيْنًا من رَآنا ولِلأسَى ... ضِرَامٌ لَهُ في كُلِّ جانِحَةٍ جَمْرُ
وقد بَدَّدَتْ دُرَّ الدُّموع يَدُ النَّوى ... وللبَيْن أشْجانٌ يَضيقُ بها الصَّدْرُ
بَكَيْنا على النَّهر الشَّرُوب عَشِيةً ... فعَادَ أُجَاجًا بَعْدَنا ذلك النَّهر
أقولُ لأظْعاني وقد غالَها السُّرى ... وآنسها الحَادي وأوْحَشَها الزَّجْرُ
رُوَيْدك بعد العُسْرِ يُسْران فابْشِري ... بإنْجاز وَعْدِ الله قد ذَهَب العُسْرُ
ولله فينا سِرُّ غَيْبٍ ورُبَّما ... أتَى النَّفْعُ من حَالٍ أُرِيْدَ بها الضَّرُّ
فإن تَخُنِ الأيامُ لم تَخُنِ النُّهَى ... وإن تَخْذُلِ الأقوامُ لم يَخْذُلِ الصَّبْرُ
وإن عَرَكَتْ مني الخُطُوبُ مُجَرِّبًا ... نِقابًا تَساوَى عِنْدَهُ الحُلْوُ والمُرُّ

فقد عَجَمَتْ عُودًا صَلِيبًا على النَّوَى وعَـزْمًـا كَمـا تَمْضِـي المُهَنَّـدَةُ البُتْـرُ
زَجَـرْنـا بـإبـراهيـم بُـرْءَ هُمُـومِنـا فلمَّـا رأينـا وَجْهَـهُ صَـدَقَ الـزَّجْـرُ
بمُنْتَخَـبٍ مـن آل يَعْقُـوب كُلَّمـا دَجَا الخَطْبُ لم يَكْذِب لعَزْمته فجرُ
تَنـاقَلَـتِ الـرُّكْبـانُ طِيـبَ حَـديثـه فَلَمَّـا رَأتـه صَـدَّقَ الخَبَـرَ الخُبْـرُ
نَـدًى لـو حَـواهُ البَحْـرُ لَـذَّ مَـذاقُـهُ ولـم يَتَعَقَّـبْ مَـدَّهُ أبـدًا جَـزْرُ
وبأسٌ نَدًى يَرْتَاعُ من خَوْفه الرَّدَى وتَـرْفُـلُ فـي أذْيـالِـه الفَتْكَـةُ البِكْـرُ
أطاعَتْه حتَّى العُصْمُ في قُنَنِ الرُّبى وهَشَّـتْ إلى تـأمِيله الأنجُـمُ الـزُّهـرُ
قَصَدْناكَ يا مَوْلَى المُلوكِ على النَّوى لتُنْصِفَنـا ممـا جَنَـى عَبْـدُكَ الـدَّهْـرُ
كَفَفْنـا بِـكَ الأيـامَ عـن غُلْـوائِهـا وقـد رابنـا منهـا التَّعَسُّـفُ والكِبْـرُ
وعُذْنا بذاكَ المَجْد فانْصَرَفَ الرَّدى ولُـذْنَـا بـذاكَ العَـزْم فـانْهَـزَمَ الـذُّعرُ
ولمـا أتَيْنـا البَحْـرَ يُـرْهَـبُ مَـوْجُـهُ ذَكَـرْنـا نَـدَاكَ الغَمْـرَ فـاحتُقِـرَ البَحْـرُ
خِلافَتُكَ العُظْمَى ومَن لَمْ يُدِنْ بها فـإيمـانُـهُ لَغْـوٌ وعِـرفـانُـهُ نُكْـرُ
ووَصْفُكَ يُهْدَى المَدْحُ قَصْدَ ثوابه إذا ضَلَّ في أوصَافٍ من دُونَكَ الشِّعْرُ
دَعَتْكَ قُلُوبُ المُسلِمين وأخْلَصَتْ وقـد طَـابَ منهـا السِّـرُّ لله والجَهْـرُ
ومُـدَّتْ إلـى الله الأكُـفُّ ضَـرَاعَـةً فقـالَ لَهُـنَّ الله قـد قُضِـي الأمْـرُ
وألْبَسَهـا النُّعْمَـى ببَيْعَتِـكَ التـي لهـا الطَّـائرُ المَيْمُـونُ والمحتـدُ الحُرُ
فأصْبَحَ ثَغْرُ الثَّغْرِ يَبْسِمُ ضاحِكًا وقـد كـانَ ممـا نَـابَـهُ ليـسَ يَفْتَـرُّ
وأمَّنْـتَ بـالسَّلْـمِ البِـلادَ وأهلَهـا فـلا ظَبْيَـةٌ تَعْـرَى ولا رَوْعَـةٌ تَعْـرُو
وقـد كـانَ مَـولانـا أبـوكَ مُصَـرِّحًـا بـأنَّـكَ فـي أولاده الـوَلَـدُ البَـرُّ
وكُنـتَ حَقيقًـا بـالخِـلافـة بَعْـدَهُ على الفَوْرِ لكن كُلُّ شيءٍ لَهُ قَدْرُ
فأوْحَشْتَ من دار الخِلاَفَةِ هَالَةً أقـامَـتْ زَمـانًـا لا يَلُـوحُ لَهَـا البَـدْرُ
ورَدَّ عَلَيْـكَ الله حَقَّـكَ إذ قَضَـى بـأنْ تَشْمَـلَ النُّعْمَـى ويَنْسَـدِلَ السِّتْـرُ

وقـادَ إليـكَ المُلْـكَ رِفْقًـا بخَلْقِـه وقد عَدِمُوا رُكنَ الإمامةِ واضْطُرُّوا
وزَادَكَ بـالتَّمحِيـصِ عِـزًّا ورفْعَـةً وأجرًا ولولا السَّبْكُ ما عُرِفَ التِّبْرُ
وأنتَ الذي يُدْعَى إذا دَهَمَ الرَّدى وأنتَ الذي يُرْجَى إذا أخْلفَ القَطْرُ
وأنـتَ إذا جَـارَ الـزَّمـانُ بحُكْمِـه لَـكَ النَّقْـضُ والإبرامُ والنَّهْيُ والأمـرُ
وهذا ابنُ نَصْرٍ قد أتَى وجَنَاحُهُ كَسِيـرٌ ومـن عَلْيـاكَ يُلْتَمَـسُ الجَبْـرُ
غَرِيبٌ يُرَجِّي منكَ ما أنتَ أهْلُهُ فإن كُنْتَ تَبْغي الفَخْرَ قد جَاءَكَ الفَخْرُ
ومِثْلُكَ من يَرْعَى الدَّخِيلَ ومن دَعا بـآلِ مَـرِيـنٍ جـاءَهُ العِـزُّ والنَّصْـرُ
وخُـذ يـا إمـامَ الحَـقِّ للحَـقِّ ثـأرَهُ ففي ضِمْنِ ما تأتي به العِزُّ والأجرُ
وأنتَ لَهَا يا ناصِرَ الحَقِّ فلتَقُم بحَـقٍّ فمـا زَيْـدٌ يُـرَجَّـى ولا عَمْـرو
فإن قيلَ مَالٌ مالُكَ الدَّثْرُ وافرٌ وإن قِيلَ جَيْشٌ جَيْشُكَ العَسْكَرُ المَجْرُ
يُفَكُّ بِكَ العَاني ويُهْدي بكَ الهُدى ويَبْنـي بـك الإسـلامُ مـا هَـدَّمَ الكُفْـرُ
أعِـدْهُ إلـى أوطـانـه عنـكَ نـائبًـا وقَلِّـدْهُ نُعمـاكَ التـي مـا لَهَـا حَصْـرُ
وعَاجِلْ قُلُوبَ النَّاس فيه بِجَبْرها فقـد صَـدَّهُـم عنـه التَّغَلُّـبُ والقَهْـرُ
وهم يَرْقُبُونَ الفِعْلَ منكَ وصفْقَةً تُحـاولُهـا يُمنـاكَ مـا بَعْـدَهـا خُسْـرُ
مَـرامُـكَ سَهْـلٌ لا تـؤودُكَ كُلْفَـةٌ سِوَى عَرَضٍ ما إن لَهُ في العُلَى خَطْرُ
ومـا العُمْـرُ إلا زِينَـةٌ مُسْتَعـارةٌ تُـرَدُّ ولكـنَّ الثَّنـاءَ هـو العُمْـرُ
ومـن بـاع مـا يَفْنـي ببَـاقٍ مُخَلَّـدٍ فقد أُنجِحَ المَسْعَى وقد رَبِحَ التَّجْرُ
ومن دُون ما تَبْغِيه يا مَلِكَ العُلَى جِيـادُ المَـذاكـي والمُحَجَّلَـةُ الغُـرُّ
وزادٌ وشُقْـرٌ واضِحَـاتٌ شِيَـاتُهـا فـأجسـادهـا تبْـرٌ وأرْجُلُهـا دُرُّ
وشُهْبٌ إذا ما ضمِّرتْ يوم غارَةٍ مُطَهَّمَـةٌ غـارَتْ لهـا الأنجـمُ الـزُّهْـرُ
وأُسْـدُ رِجَـالٍ مـن مَـريـن أعِـزَّةٌ عَمَـائِمُهـا بيـضٌ وآسـالُهـا سُمْـرُ
عليهـا مـن المَـاذِيِّ كُـلُّ مُفَـاضَـةٍ تَـدَافَـعُ فـي أعْطَـافِهـا اللُّجَجُ الخُضْرُ
هُـمُ القَـوْمُ إنْ هَبُّوا لِكَشْف مُلِمَّةٍ فَلا المُلْتقى صَعْبٌ ولا المُرْتَقى وَعْرُ

إذا سُئلُوا أعْطَوا وإن نُوزِعُوا سَطَوْا وإن وَعَدُوا أوفَوا وإن عَاهَدوا بَرُّوا
وإن سَمِعُوا الغَوْرَاء كَرُّوا بأنْفُسٍ حَرَامٌ على هِمَّاتِها في الوَغَى الفَرُّ
وإن مُدِحُوا اهتَزُّوا ارتياحًا كأنهم نَشَاوَى تَمَشَّت في مَعَاطِفِهم خَمْرُ
وتَبْسِمُ ما بينَ الوَشِيج ثُغُورُهم وبينَ قَضِيبِ الدَّوْحِ يَبْتَسِمُ الزَّهْرُ
أمَولاي غاضَتْ فِكْرتي وتَبَلَّدت طِباعي فلا طَبعٌ يُعينُ ولا فِكْرُ
ولولا حَنانٌ مِنكَ دارَكتني به وأحيَيْتني لم يبقَ عَينٌ ولا أثْرُ
فأوْجَدْتَ مني فائتًا أيَّ فَائِتٍ وأنْشَرتَ مَيْتًا ضَمَّ أشلاءَهُ قَبْرُ
بَدَأتَ بفَضْلٍ لم أكُن لعظِيمِهِ بأهْلٍ فَجَلَّ اللطفُ وانشرحَ الصَّدْرُ
وطَوَّقْتَني النُّعْمَى المُضَاعَفَةَ التي يَقلُّ عليها مني الحَمْدُ والشُّكْرُ
وأنتَ بتَتْميم الصَّنائع كَافِلٌ إلى أن يَعُودَ العِزُّ والجَاهُ والوَفْرُ
جَزَاكَ الذي يُسني مَقَامَكَ رَحْمَةً يُفَكُّ بها العَاني ويُنْعَشُ مُضطَرُّ
إذا نَحنُ أثْنَيْنَا عليكَ بمدحةٍ فَهَيْهَاتَ يُحصَى الرَّمْلُ أو يُحْصَرُ القَطْرُ
ولكننا نأتي بما نَسْتَطِيعُهُ ومنْ بَذَلَ المَجْهُودَ حُقَّ لَهُ العُذْرُ

أملى عليَّ هذا القَصيدَ كما أوردته شيخُنا أستاذ الزمان صاحب القلم الأعلى ببلاد المغرب وقاضي القُضاة بديار مصر وَلِيُّ الدِّين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خُلْدُون الحَضْرمي الإشبيلي المالكي رحمه الله في يوم الخميس منتصف صفر سنة أربع وتسعين وسبع مئة، ثم قال: وكنتُ يومئذٍ في المجلس، فلما أتى ابن الخطيب على قوله:

وهذا ابنُ نَصرٍ قد أتَى وجَنَاحُهُ كَسِيرٌ. . . . . البيتَ.

انتحبَ أهلُ المَجْلس بالبُكاء، وضجُّوا بالعَويل، وكان يومًا مَشْهودًا. ثم انصرف ابنُ الأحمر من مجلس السُّلطان أبي سالم إلى منزل قد أعَدَّه له وقُرِّبت له الجياد بالمراكب الذهبية، وبُعثَ إليه بالكُسَى الفاخرة، ورتِّبتْ له الجرايات ولمواليه، واستقر في جُملة السلطان إلى أن لحق بالأندلس وارتَجعَ مُلْكه، كما ذُكِرَ في ترجمته.

وأما الحسن بن عُمر فإنه لما استقر بمَرَّاكُش وتأثَّلَ له بها سُلطان سُعِيَ به إلى السلطان أبي سالم حتى تَنَكَّر له، فخاف وفر في صفر سنة إحدى وستين إلى تادَلاَ وجمع عليه بني جابر، فبعث السلطان إليه عَسْكرًا فأُخذ وحُمِلَ إلى مَرَّاكُش، فدُخل به على جَمَل ثم أُمِرَ به فسُحب على وجهه ونتفت لحيته وضُرب بالعصيِ، ثم حُبِس وقُتِل خارج البَلَد بالرماح في جمادى منها، وصُلِب بسور البلَد.

ثم سار السلطان في جمادى منها إلى تِلْمسان ففر عنها أبو حَمُّو ودخلها السُّلطان ثالث شهر رجب، فعاث أبو حَمُّو ببلاد المَغْرب، فولى السُّلطان بتلِمْسان أبا زيَّان محمد بن عثمان القُبِّي، وخَرَج يريد فاس، فقدمها في شعبان. وعاد أبو حمُّو وغَلَب على تِلِمْسان، وخرج أبو زيَّان إلى السُّلطان، فواعد عُمر ابن الوزير عبدالله بن عليّ وهو من عظماء الدولة قائد الجُنْد غَرْسِيَه بن أنطون النَّصراني على الثورة بالسلطان. ونصب تاشَفين ابن السلطان أبي الحسن، وكان مُخبَّل العَقْل، وأكره شيخ الحامية والناشِبَة عيسى بن محمد بن الزرقاء على البيعة له، وقَرَعوا الطبول، وفتحوا بيت المال، وأفاضوا العطاء جُزافًا، وذلك في ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي القعدة سنة ثنتين وستين، فماجَ أهل البَلد الجديد من الجُنْد ونهبوا المخازن الخارجة التي فيها العُدَّة والسِّلع، وأضرموا النار في بيوتها، وأصبح السُّلطان بالقَصَبة مكانه، فركب وقد اجتمع إليه من حضر من الأولياء والقَبَائل، وغدا على البَلَد الجديد فلم يقدر عليه، فعسكر بكُدْيَةِ العرائس لحصارها، ونادى في الناس بالاجتماع إليه. ونزل بفُسطاطِهِ وقتَ القائِلَة، فتسلل الناس عنه إلى البلد الجديد زُمَرًا زُمَرًا حتى سارَ عنه أهل مَجْلِسه وخاصَّته، وهو يراهم. فنجا بنفسه في طائفةٍ ومعه وزيرُه مسعودُ بن رُحُو بن مَاسَاي. فلما جَنَّهُمُ اللَّيلُ رَجَعَ الوزيرُ عنه ومعه رفيقُه سُليمان بن داود إلى دار المُلْك، فقُبض عليهما واعتُقِلا، وخرج الطَّلَبُ في أثر أبي سالم، فأُدْرِك بوادي وَرْغَةَ وقد نزلَ ونامَ، فقُبض عليه وحُمِل

على بغلٍ، فقُتِل بيد النَصارى ذَبْحًا عند كُدْيَة العرائس، وحُمِلَ رأسه في مِخْلاة.

واستقلَّ عُمرُ ابنُ الوزير بمُلْك أبي عُمر تاشفين، فكانت مُدَّة أبي سالم سنتين وثلاثة أشهر.

٤٠- إبراهيم بن أحمد بن مُحمد بن سَلْمان، أمينُ الدين ابنُ شِهابِ الدين ابن غانِم(١).

وُلد سنةَ سبعٍ وتسعينَ وست مئة تقريبًا، وعانَى الأدبَ، وقال الشِّعْرَ الجَيِّدَ، وكَتَبَ في الإنشاء بدمشقَ من سنةٍ تسع وعشرينَ وسبع مئة، وتَرَدَّدَ إلى أبيه بالقاهرة مِرارًا، وكان عند الفخر ناظِر الجَيْش. وعاد إلى دمشقَ على البَرِيد حتى مات بها في يوم الاثنين ثالثِ جُمادى الآخرة سَنَةَ إحدى وستين وسبع مئة.

وهو من بيتِ رياسةٍ وكتابةِ إنشاءٍ. وكان خفيفَ الرُّوح مَزَّاحًا، وله قُدْرَةٌ على التَّوَصُّل إلى أغراضِه بحُسنِ التَّلَطُّفِ، وعنده استحالةٌ وتَلَوُّنٌ مع جُوْدٍ وكَرَم وتَواضُع.

٤١- إبراهيم بن مُحمد بن ناهِض، تقيُّ الدين أبو إسحاق، المعروف بابن الضُّرَيِّر- تصغير ضَرِير- أديبُ حلب(٢).

توفي في عاشرِ ربيعِ الآخر سنةَ إحدى وستينَ وسبع مئة. وكان مأوى للأُدباء، وكَتَبَ بخطِهِ كَثيرًا من كُتب الأدب وغيره، وكانَ يحفظُ شعرًا كثيرًا ويقوله.

٤٢- إبراهيم بن محمود بن سَلْمان بن فَهْد، القاضي الرئيسُ جمالُ الدين، أبو إسحاق ابنُ العلامة الشِّهاب محمود الحلبيِّ، كاتب السِّرِّ بحلب(٣).

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ١٤.

(٢) ترجمته في: الدر المنتخب، الترجمة ٦٠، والدرر الكامنة ١/ ٧٠.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٤٨، والوافي بالوفيات ٦/ ١٣٢، وذيل العبر للحسيني ٣٣٠، ووفيات السلامي ٢/ ٢٢٣، والدر المنتخب، الترجمة =

ولد في شعبان سَنَة ستٍّ وسبعينَ وست مئة، وقَدِمَ مع والده إلى القاهرة وباشَرَ بها في ديوان الإنشاء، وسَمِعَ على الأبْرَقُوهي وغَيْره، واختصَّ بالقاضي علاءِ الدين عليّ ابن الأثير كاتب السِّرِّ، ثم ولاه كتابةَ السِّرِّ بحلبَ عِوَضًا عن عماد الدين إسماعيلَ بن محمد ابن القَيْسَراني، فأقامَ نحو سِتَّ عَشْرَةَ سنةً وعُزِلَ بتاجِ الدين محمد ابن الزَّيْنِ خَضِر في واقعةِ لُؤلؤ مع الحلبيين في سنة ثلاثٍ وثلاثينَ، وطُلِبَ إلى القاهرة، ورُسِّمَ عليه في دار الوِزارة مُدَّةً. ثم أُفْرِجَ عنه ورُتِّبَ بعد إلى ذلك في جُمْلَةِ كُتَّاب الإنشاء بدمشق. وقد سأل فيه الأميرُ تَنْكِزُ السُّلطانَ فباشَرَ تحت يد ابن أخيه شرفِ الدين أبي بكر بن محمدِ بن محمود حتى عُزِلَ شَرَفُ الدين عن كتابةِ السِّر بدمشق، فعُزِل بعَزْله ولَزِمَ دارَهُ. ثم طَلَبَهُ السُّلطانُ فأقامَ بالقاهرة بَطَّالاً حتى رُتِّبَ في ديوان الإنشاء عِوَضًا عن صلاح الدين يُوسُفَ بن عُبيدالله فسلَّم إليه القاضي علاءُ الدين عليُّ بن فضل الله كاتبُ السِّرِّ ديوانَ الإنشاء فكانَ ينوبُ عنه في ذلك، ورُتِّب في توقيع الدَّست قُدَّامَ السلطان وقُدَّامَ النائب، ثم نُقِلَ لكتابةِ السِّرِّ بحلب في سنةِ ستٍ وأربعين فباشَرَها مَرَّةً ثانيةً، وعُزِلَ بزَيْن الدين عُمَرَ بن أبي السَّفَّاح في جُمادى الأولى سَنَةَ تِسْعٍ وأربعين ورُتِّبَ له ما يكفيهِ، فَعُزِلَ ابنُ السَّفَّاح بالشريفِ شهاب الدين فلم تطل أيامه، وأعيد الجمالُ ابن الشهاب محمود في جمادى الأولى سنةَ اثنتين وخمسينَ فباشَرَ ثالِثَ مَرَّةٍ وصارَ ابنه كمالُ الدين محمودٌ مُشِدَّ الوظيفة معه، ثم طُلِبَ هو ووَلَدُهُ وابنُ أخيه بدر الدين محمد[1] ناظر الجيش بحلب إلى القاهرة في ربيع الأول سنة تسع وخمسين، فَوَلِيَ الصلاحُ خليلُ بن أيْبَك الصَّفديُّ عِوَضَهُ

= ٦٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ١٤٩، والدرر الكامنة ١/ ٧٣، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٣٣، والمنهل الصافي ١/ ١٥٨، والدليل الشافي ١/ ٢٨، ووجيز الكلام ١/ ١٠٥.

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن سَلْمان ناظر الجيش. وقد ترك المصنف في المسودة فراغًا بعد محمد، وبقي على حاله.

في كتابة السِّرِّ بحلب، ورُتِّبَ له في كُلِّ شهرٍ مبلغ خمس مئة درهم، فَلزِمَ بَيْتَهُ على راتبه حتى مات يومَ عَرَفةَ سَنَةَ ستين وسبع مئة.

وكان غايةً في كتابةِ الخَطِّ المنسوب، ونَسيجَ وَحْدِه في لَطَافةِ الأخلاقِ، وإمامًا في الأدب، وله النَّظْمُ الرائقُ والنَّثْرُ الفائق.

٤٣- إبراهيم بن محمد بن مُفلح بن عبدالله، تَقيُّ الدين ابنُ العَلاَّمةِ شمس الدين الحنبليِّ[(١)].

وُلد سنةَ إحدى وخمسين وسبع مئة بدمشقَ، وسَمِعَ على أبي محمد ابن القَيِّمَ، والعُرْضي، وابن الجُوْخي، وأحمد بن أبي الزَّهْر. ورَحَلَ بعدَ سنةِ ستينَ فسمعَ بالقاهرة على القَلانسي، والخِلاطي، وناصرِ الدين الفارِقي، وتفقَّه على أبيه فَمَهَر في الفقه حتى انتهت إليه المعرفة بمذهبِ الإمام أحمدَ. وجلسَ للوَعْظ بدمشقَ فأجادَ، ودرَّس فأفادَ، ووَلِيَ قضاءَ الحنابلة بدمشق في[(٢)] فقَدم تيمورُ وهو قاضٍ فقامَ بأمرِ المدينة، وتوسَّطَ بين الناسِ وبينه فلم يَنْجَحْ، وهَلَكَ في الكائنة لأيامٍ من شعبانَ سنةَ ثلاثٍ وثمان مئةَ، ولم يُخَلِّفْ بَعْدَهُ في الفِقْه مثله.

٤٤- إبراهيم بن أحمد بن عبدالهادي بن عبدالحميدِ بن عبدالهادي بن يوسفَ المَقْدسيُّ ثم الصالِحيُّ، المعروفُ بالقاضي، برهانُ الدين ابنُ عماد الدِّين[(٣)].

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٧٥، وذيل التقييد ١/ ٤٥٣، وإنباء الغمر ٤/٢٤٧، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥، والدليل الشافي ١/ ٢٧، والمنهل الصافي ١/١٥١، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ١٢٥، والضوء اللامع ١/١٦٧، ووجيز الكلام ١/ ٣٥٧، وقضاة دمشق لابن طولون ٢٨٨، وشذرات الذهب ٧/ ٢٢. والدارس ٢/٤٨، والثغر البسّام ٢٨٨.

(٢) ترك المصنف بياضًا بعد هذا في المسودة قدر سطر، ولم يعد إليه، فكأنه أراد أن يثبت تاريخه ولايته، وهو في رجب من سنة إحدى وثمان مئة، كما في تاريخ ابن قاضي شهبة.

(٣) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٤١٥، والدرر الكامنة ١/ ١١، وإنباء الغمر ٣/٣٩٨، وشذرات الذهب ٦/ ٣٦٣.

سمع على الحَجَّار كتاب «ذم الكلام» للهَرَوي بفَوتٍ حُضورًا، وعلى القاضي شَرَف الدين عبدالله بن الحسن بن عبدالله ابن الحافظ عبدالغنيِّ المقدسي «السيرة النبويةَ» لابن هشام، وعلى زَيْنب بنت الكَمَال في آخرين كتابَ «الشمائل» للتِّرمِذيِّ، وعلى عائشةَ بنتِ محمد بن مُسَلَّم الحَرَّاني، وأحمدَ بن عليٍّ الحريري «كتاب الذِّكْر» لأبي جَعْفر الفِرْيابي بفَوْتٍ. وحدَّث.

توفي في شوالَ سنة ثمانِ مئةٍ بصالِحيَّةِ دِمَشْق، وله أَخٌ اسمُهُ إبراهيم.

٤٥- إبراهيم بن نَصْر الله بن أحمد بن مُحمد بن أبي الفَتْح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد، قاضي القُضاةِ، بُرْهان الدين، أبو إسحاقَ ابنُ قاضي القُضاة، ناصِر الدين، العَسْقلانيُّ الحنبليُّ[1].

وُلِدَ آخر شَهر رَجَب سنة ثمانٍ وستينَ، وسبع مئة بالقاهرة، ونَشأ على أجْمَل طريقةٍ، وتَفَقَّه بجماعةٍ، نابَ في الحُكْم بالقاهرة عن أبيه. فلما ماتَ أبوهُ فُوِّضَ إليه قضاءُ الحَنابِلَة بديار مصْرَ في يوم الخميس ثاني عِشْري شعبانَ سَنَةَ خمسٍ وتسعين وسبع مئة، وعُمُرُهُ سبعٌ وعشرونَ سنةً، فسلَكَ في العِفَّةِ والصِّيانةِ والقُوَّةِ والشَّهامةِ طَريقةَ أبيه، وأرْبَى عليه بلين الجانب وبَشَاشةِ الوجه والتواضُع والتَّوَدُّدِ، حتى تُوفي وهو قاضٍ في يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمان مئةٍ، ودُفِن خارجَ باب النَّصْر من القاهرة بحَوْش الحَنابلَة، ووَليَ بعده أخوه مُوَفَّقُ الدين أحمدُ

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٢٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات سنة ٨٠٢)، وإنباء الغمر ٤/ ١٤٨، وذيل الدرر، الترجمة ٦٠، ورفع الإصر ١/ ٤٢، والدليل الشافي ١/ ٣٠، والمنهل الصافي ١/ ١٦٧، والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٧، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ٦٩، والضوء اللامع ١/ ١٧٩، ووجيز الكلام ١/ ٣٤٨، وحسن المحاضرة ١/ ٤٨١، وشذرات الذهب ٧/ ١٤.

ابن نصرِ الله، وكان من خير قُضاةِ زماننا، رحمه الله.

٤٦- إبراهيم بن عليّ بن مُحمد بن داود بن شَمْس بن عبدالله، بُرهان الدين الزَّمْزَميُّ البَيْضاويُّ، ثم المَكِّيُّ الشافعيُّ[(١)].

ولدَ سنةَ سبعٍ وسبعينَ وسبع مئة بمكةَ شَرَّفها الله تعالى، وسمع على ابن صُدَيْق وغيرِه، وأجاز له النَّشاوري وجماعةٌ، وشاركَ في فنونٍ، وقال الشعرَ، وعرفَ الفقهَ والفرائضَ والحسابَ والميقاتَ، ووَلِيَ سِقايَةَ زَمْزَم بعد أبيه وأخيه.

رأيتُه بمكة على طريقةٍ جميلةٍ، واجتمعتُ به مِرارًا، ونِعْمَ الرجلُ هو في دينه وعِلْمه، وقد انفردَ بمكة في قَسْم التَّرِكات، وفي علمِ المِيْقاتِ ويُذاكِرُ بفقهٍ وغيره.

٤٧-إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن عُمر بن مُسلم الصالحيُّ، المعروف بالمُزَرْكل[(٢)].

ولد سنة خمس وثلاثين وسبع مئة. حدث عن محمد بن يوسف بن دوالة، قال: أخبرنا النجيب[(٣)]، فذكر الحديثَ المسلسل بالأوَّلية، وحَدَّث عن زينب بنت الكمال، وماتَ في كائِنَةِ تيمور بدمشق سنة ثلاثٍ وثمان مئة.

٤٨- إبراهيم بن محمد بن مُحمد بن أحمد بن عبدالرَّحمن الدِّمشقيُّ العَدْلُ، المعروفُ بالقُرَشيِّ[(٤)].

ولد سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة، وسمعَ من أبي العباس المَرْدَاوي

---

(١) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٨٦، ووجيز الكلام ٢/ ٧٣٠، وشذرات الذهب ٧/ ٣٠٣.

(٢) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٨، والضوء اللامع ١/ ١٣٦.

(٣) هو عبداللطيف بن عبدالمنعم الحراني المتوفى سنة ٦٧٢هـ صاحب «المشيخة» المشهورة (تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٧٢، أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٤) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ١٠، والضوء اللامع ١/ ١٥٨.

وغيره، ولَبِسَ خِرْقَةَ التصوف من عبدالكريم بن عبدالكريم البَعْليِّ عن الفَارُوثي.

توفي في رجب سنةَ ستٍ وعشرين وثمانِ مئةٍ.

٤٩- إبراهيم شيخ الدَّرْبَنْدي، صاحب ممالك شِرْوان[١].

يقال: إنه من ذُرية كِسرى أنو شِرْوان ملك فارس، لم يزل على مملكة شِرْوان حتى أخذَ الأمير تَيْمُورلنك عراقَ العَجَم، فاستشار إبراهيم قاضيه أبا يَزيد في أمر تَيْمور أيطيعه أم يعصيه، أم يمتنع منه بالفرار عنه، أم يقابله؟ فأشار عليه بالفرار والامتناع في الجبال الشواهق، فقال: ليس هذا برأي، أيسعني في ديني أن أنجو وأترك رعيتي إذا سُئلت عنهم، وقد استرعاني الله تعالى أمورَهم ثم ضيعتهم؟ لكنني أتوجه إلى تَيْمُور، فإن رَدَّني إلى مكاني وأقَرَّني على ولايتي فلله الحمد، وإن عَزَلني أو حَبَسني أو قتلني أكون قد كَفَيْت الرعية البلاء، وسلموا من القتل والأسر والسبي والنهب، فإنه يولي عليهم من يختاره. ثم جمع التَّقَادِم التي تليق بتَيْمُور وخطب باسمه على منابر أعماله، وضرب السِّكَّة باسمه، وخرجَ إليه بتقادمَ جليلةِ الوصفِ والقَدْر حتى قَدِمَ عليه، وعبأ تَقادِمَه؛ ومن عادَةِ الجَقْتاي في تقادمهم وخِدَمهم أن يجعلوا من كُلِّ صَفٍّ تسعةً يسمونها الطُّقُزات، فعبأها إبراهيم كذلك إلا المماليك فإنهم ثمانية؛ فلما مثل بتَقَادمه بين يدَي تَيْمور قيل له: لِمَ جَعَلْتَ المماليك ثمانيةً؟ فقالَ: أنا التاسع، فأعْجَب ذلك تيمور، ووقع منه بمَوْقع حَسَن، وقال له: بل أنت ولدي وخليفتي على هذه البلاد، وخلعَ عليه وأقَرَّه على أعماله. واتفق أنه لما فرَّق تَيْمور ما كان في هذه التَّقادم من أنواع المأكولات فَضَل من الفواكه وغيرها بعد تَكْفِيةِ ذلك العَسْكر العظيم أمثال الجبال تركه تيمور

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٤٥٠. وتنظر مادة «شيروان» و«شيروان شاه» في دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية ١٤/ ٣٣ و«حيدر» ٨/ ١٥٧.

وسار وهو مُغْتبِط بإبراهيم وثانٍ عليه[1].

٥٠- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، برهان الدين أبو إسحاق[2]، ابن الشيخ جلال الدين الخُجَنْدِيُّ المَدَنيُّ الحَنَفيُّ الأديب[3].

وله:

كُنْ جَوابي إذا قَرأتَ كِتابي لا تَـــرُدَّنَّ للكتــــاب جـــوابـــا
واعفني من نَعَم وسوفَ وَلي شُغْـ ـــلٌ وكُــنْ خَيْــرَ مــن دُعِــي فـأجـابـا

٥١- إبراهيم بن بَلَبَان بن عبدالله، صَارِم الدين الحَلَبي[4].

ولد سنة عشر وسبع مئة، وسمع من العِز إبراهيم بن صالح ابن العَجَمي، وحدَّث.

توفي في ذي القَعْدة سنة سَبْع وسبعين وسبع مئة.

٥٢-إبراهيم بن محمد بن عبدالمُحْسِن بن خَوْلان الدِّمَشقيُّ[5].

سمع الحديث بالقاهرة، وولي وكَالَة بيت المال بدمشق، وكانت له فضائل، وحدَّث عن أبي جعفر الغَرْناطي بكثير من شعره.

مات في كائنة دمشق سنة ثلاث وثمان مئة.

---

(١) ذكر في السلوك أنه توفي سنة ٨٢١هـ.

(٢) هكذا قال المصنف، وسماه السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٢٤- ٢٥: «إبراهيم ابن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد» وكناه أبا محمد، وقال: «وهو عند المقريزي في عقوده باختصار، وغلط فسمى جده أحمد، وكناه أبا إسحاق. وذكر أنه ولد سنة ٧٧٩ بالمدينة المنورة، وتوفي فيها سنة ٨٥١.

(٣) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٢٤، والتبر المسبوك ١٨٨، ووجيز الكلام ٦١٨/٢، ونظم العقيان ١٥، والطبقات السنية ١/ ٢٠٣، وكشف الظنون ٥٩/١، وشذرات الذهب ٧/ ٢٦٩، والبدر الطالع ١/ ٢٤.

(٤) ترجمته في: ذيل العبر للعراقي ٢/ ٤١٧، والدر المنتخب، الترجمة ١٣، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات سنة ٧٧٧)، والدرر الكامنة ١/ ٢٠.

(٥) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ١٥٣، والطبقات السنية ١/ ٢٦٩.

٥٣- أبو بكر بن حُسَين بن عُمر بن مُحمد بن يونُس بن أبي الفَخْر بن عبدالرَّحمن بن نَجْم بن طُوْلُو، زينُ الدين ابنُ حسين المراغيُّ الشافعيُّ[١].

وُلد سنةَ سبع وعشرين وسبع مئة، واشتغلَ كثيرًا ومَهَرَ فأخذَ عن فخرِ الدين بن مِسْكين كتابَ «التَّنْقيح» للشهاب القَرافي عن مصنِّفه، وسمع من الشيخ جمال الدين عبدالرحيم الإسنائي، ولازَمَه وتَخَرَّجَ به في الفقهِ، وأذِنَ له في الإفتاءِ، وقرأ عليه رواية كتابَ «المِنْهاج» في الأصول، وحضرَ دروسَ الشيخ شمس الدين محمدِ ابن اللَّبَّانِ. وأوَّلُ سماعه الحديثَ سنةَ اثنتين وثلاثين، وأخذَ عن الحافظ مُغْلَطاي، وأجازَ له الحَجَّارُ سنةَ تسع وعشرين، وأجازَ له أحمدُ بن إدريسَ بن مُزَيْز[٢]، والحافظُ جمالُ الدِّين المِزي، وابنُ أبي التَّائب، وأيوبُ الكَحَّالُ في آخرين. وقد خَرَّجَ له محمدُ بنُ موسى المَرَّاكشيُّ «مَشْيَخَةً». وشرحَ كتاب «المنهاج» في الفقه للنَّووي، وجمع تاريخًا للمدينة النَّبويَّة، وتوجَّه من القاهرة إلى الحجاز فجَاوَرَ بالمدينة النبوية دَهْرًا طويلاً، وتردَّدَ إلى القاهرة، وحَدَّث بالمُسَلْسَل عن المَيْدُوْمي، وبـ«سنن النسائي» من طريق ابن حَيُّويه عن عبدالقادر بن عبدالعزيز ابن المُلُوك بسماعهِ له عليه. قال: أخبرنا محمدُ بن إسماعيلَ الخطيبُ، قال: أخبرنا أبو القاسم البوصيريُّ، قال: أخبرنا أبو صادق مُرْشدُ بن يحيى، قال: أخبرنا أبو الحَسَن محمدُ بن الحسين الطَّفَّالُ، قال: أخبرنا أبو الحَسَن بن حَيْوَةَ، قال: أخبرنا النَّسائيُّ. وحدَّث بـ«تاريخ المدينة» لابن النَّجَّارِ عن الحَجَّار عن ابن

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٢٧٧، وإنباء الغمر ٧/ ١٢٨، وذيل الدرر، الترجمة ٤١٥، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٥، والدليل الشافي ٢/ ٨١٤، والضوء اللامع ١١/ ٢٨، ووجيز الكلام ٢/ ٤٢٧، وشذرات الذهب ٧/ ١٢٠.

(٢) بزايين، قيده الذهبي في المشتبه ٥٨٦ والعلامة ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ٨/ ١٣٧.

النَّجّار. وانفرد في الدنيا بإجازة الحَجَّار. وعُنيَ بالعلم عنايةً جيِّدةً، وحَصَّلَ من الفقه جانبًا كبيرًا. ووَلِيَ قضاءَ المدينة النبوية وخطابَتَها وإمامتها في سنةِ تسع وثمان مئةٍ عِوَضًا عن سِبْطِهِ البهاء محمد بن محمد الزَّرَنْديِّ، ثم عُزِلَ بعد سَنَةٍ ونصفٍ، بزوج ابنته رضيِّ الدين أبي حامدٍ المَطَرِيِّ، وتُوفي بالمدينةِ في يوم الأربعاء أول يومٍ من ذي الحِجَّة سَنَةَ ستَّ عَشْرَة وثمانِ مِئَةٍ. وقد صَحِبْتُهُ سِنين، رحمه الله وعفا عنه.

٥٤- أبو بكر بن عُثمان بن محمد، تَقِيُّ الدِّين الجِيْتيُّ[١] الحَمويُّ، الحَنَفيُّ[٢].

وُلِدَ في حدودِ سنةِ سِتينَ وسبع مئة بحَمَاةَ. ومَهَرَ في الفِقه والعربية. وقَدِمَ القاهرةَ في الأيام المؤيَّدِيَّة شيخ، وناب في الحُكْم، ووَلِيَ إفتاءَ دارِ العدل، وقضاء العَسْكر في سنة ثمان عشرة، ونوَّه بولاية القضاء، فعاجلته منيته في الطاعون. ومات في يوم الثُلاثاء ثاني عشري شهر ربيع الأول سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وثمان مئةٍ.

جَمَعَني وإيّاه مَجْلِسُ كاتِبِ السِّر ناصِر الدين محمد ابن البارِزي مِرارًا فكان ذكيًا ماهرًا في فنونٍ، تَغْلِبُ عليه الأدَبيات.

٥٥-أبو بكر بن قاسِم بن عبدالمُعْطي بن أحمد بن عبدالمُعطي الخَزْرَجيُّ المَكيُّ المالِكيُّ، المعروف بالحِجازيِّ[٣].

سمع بمكةَ من عُمر بن الصَّفِيِّ الطَّبَري، وسافرَ إلى بلادِ التَّكْرور، وعَظُمَ بينهم حتى إنَّهم اسْتَسْقَوا به فسُقُوا.

---

(١) قيده السخاوي بكسر الجيم ثم تحتانية ساكنة بعدها مثناة (الضوء اللامع ١١/ ٥٠).

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٢٣١، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٤٢، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ٣٧٦، والضوء اللامع ١١/ ٥٠.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ١٦٧، وذيل الدرر، الترجمة ٢٠٠، والضوء اللامع ١١/ ٦٦.

لَقِيتُه بمكة، وكان حسَنَ المُذاكرة، كثير الاستحضار للتاريخ. ماتَ بمصرَ سنةَ ستٍّ وثمان مئةٍ عن سبعٍ وسبعين سنةً.

٥٦- أبو بكر بن عبدالعَزيزِ بن محمد، شَرَفُ الدِّين ابن قاضي القُضاة عِزِّ الدين ابن قاضي القُضاة بدر الدين ابن جَمَاعة[١].

وُلد ثالث ذي القَعْدة سنة ثمانٍ وعشرينَ وسبع مئة. وروى عن جَدِّه، وعن يحيى ابن المِصْري، ويحيى بن فَضْل الله، ولم يَنْجُبْ فأنجب ولدُه الشيخ عز الدين محمد ابن جَماعة.

وتوفي في رابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمان مئة. جاورَنا سنين، عفا الله عنه.

٥٧- أبو بكر بن عبدالله بن (مقبل)[٢]**، الشيخُ زيْنُ الدِّين التاجرُ الحنَفيُّ**[٣].

كان سمسارًا في البَزِّ، وله معرفةٌ بالفِقه والعربية. ثم ترك السَّمْسرة وأقبلَ بكُلِّيته على الاشتغال بالعلم حتى صارَ من شُيوخ البَلَد، وأفتى، ودَرَّس، ونابَ في الحُكْم بالقاهرة عِدَّةَ سِنين حتى ماتَ يومَ الأحدِ ثالثَ ذي الحِجَّة سَنَةَ خمسٍ وثمان مئةٍ عن نحو الثمانين سَنَةً.

وكان مُطَّرِحًا للتكَلُّفِ في مَلْبَسِهِ وهَيْئَتِه، يمشي على قدميه في الأسواق. وكان مُهابًا، قليلَ الكلام، موصوفًا بالخَيْر. لَزِمْتُهُ سنين، وكُنْتُ في صِغَري وبدايةِ طَلَبي إذا أَرَدْتُ أن أتكلمَ في دَرْسِه يأخذُني الحياءُ فأسْكُتُ؛ وكان دَرْسُه بالمدرسة الظاهرية بِيْبَرْس يحضرُه جمعٌ كبيرٌ، فقال لي: تكَّلم، من لا يخْبِط ما يَعْرِف يَعُوم، يُريدُ أن أجْسُرَ على الكلام مع الطلبة في حَلْقَتِهِ.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ٢٦٩، والضوء اللامع ١١/ ٤٧، وشذرات الذهب ٧/ ٢٧.

(٢) بَيَّض المصنف في أ وجـ، ولم يعد إليه، فأضفنا ما بين الحاصرتين من الضوء اللامع.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ٩٧، والضوء اللامع ١١/ ٧٩.

٥٨- أبو بكْر بن سُنْقُر، الأميرُ سيفُ الدين ابنُ الأمير شَمْس الدِّين الجَمَالي، ويُعْرَفُ بسِيْدِي أبو بكر، أميرُ الحاج[١].

ومات ليلةَ الجمعةِ ثالثَ عَشَرَ جُمادى الآخرة سَنَةَ ثلاثٍ وثمان مئةٍ، ودُفن بالقَرافَةِ.

ووَلِيَ إمرةَ الحاجِّ مرارًا في سنةِ ستٍّ وثمانين وسبع مئةٍ، وكانت ولايتُهُ لذلك من مَكَّةَ عندما ماتَ خالُه الأميرُ بهادُر الجَمالِي أميرُ الرَّكْبِ بعُيونِ القَصَبِ، فولاه الملك الظَّاهر إمرة الرَّكبِ، وأنفذه إلى مكةَ. وولي أيضًا في سنة سبع وثمانين، وفي سنة إحدى وتسعين، وفي سنة اثنتين وتسعين، وفي سنة ثلاث وتسعين، وسنة أربع وتسعين.

وكان ليِّنًا غيرَ مُهاب، إلا أنه كان يَسُوسُ العُربان بالرغبة والرَّهبة والإحسان فتمشي بهذا أحوالُه معهم، وتُشْكَرُ إمارته على الحاج بقِلَّة تَعَدي العُربان عليهم.

٥٩- أبو بكر بن غَازِ بن يحيى بن الكَاس، وزير بني مَرِين ملوك فاس بالمغرب[٢].

أصله من بني الكَاس، إحدى بطون بني وَرْتاجَن، وكان بنو عبدالحق عندما مَلَكوا يستعملون منهم في الوِزارة. ونشأ غَاز بن يحيى في أيام السُّلطان أبي سعيد وابنه أبي الحَسَن، وتَهَذَّب، ثم استوْزَرَه السُّلْطان أبو الحسن أعوامًا، وحضرَ معه واقعة طريف سنة إحدى وأربعين وسبع مئة[٣]، واستُشْهِدَ فيها، ونشأ ابنه أبو بكر في ظِلِّ الدَّولة مُمَتَّعًا

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ٢٦٨، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٣٣٢، والضوء اللامع ١١/ ٣٦، ووجيز الكلام ١/ ٣٦٠، واللمحة البدرية ٩٥ و١٠٥. وقد ترك المصنف بعد الاسم بياضًا في المسودة، ولم يعد إليه.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ١/ ٢٤٨.

(٣) وقعة مشهورة في الأندلس بين بني مرين والإسبان (كما في الشذرات ٦/ ١٢٧)، وتاريخ ابن خلدون ٧/ ٣٩٥.

بسَعَةِ الرزق، وكفلَهُ ابن عَمِّه محمد بن عثمان، وقد تزوج أمَّهُ.

وتَرَقَّى في الخِدَم إلى أن كانت أيام السُّلطان عبدالعزيز ابن السلطان أبي الحسن وقَتْله الوزير عُمر بن عبدالله في ذي القَعْدَة سنة ثمان وستين وسبع مئة، فعَقَدَ على وِزارته لأبي بَكر هذا لِمَا كان فيه من مَخَايِل الرياسة والكِفاية، ورفعَ محله وبعثَهُ على العَساكر لمحاربة مخالفيه غير مَرَّة، فكانت له فيها آثار محمودة، حتى مات السلطان فقام ببيعة ولده محمد السَّعيد وهو صَبِيٌّ، واستبَدَّ وحَجَرَه عن التَّصرُّف، ولم يكن في سن التصرُّف، واستعملَ على الجهات، وجلس لمجلس الفَضْل، واستقل بأمرِ المَغْرب إبرامًا ونَقْضًا إلى أن قامَ السُّلطان أبو العباس أحمد ابن السُّلطان أبي سالم إبراهيم ونازل البَلَد الجديد في ذي القَعْدة سنة خمس وسبعين، فبرَزَ إليه الوزير أبو بكر بعساكره، فدارت الحرب، وحَمِيَ الوَطِيسُ، واشتد القتال، ثم زحفوا إليه فاختل مَصَافُّه، وانهزمت جُمُوعه، وأحيطَ به، فخلص إلى البَلَد الجديد وهم على حِصاره وقتاله إلى أن فنيت أموالُه. وأهَلَّت سنة ست وسبعين فدخلَ ابنُ عَمِّه محمد بن عثمان بينه وبين أبي العبَّاس حتى نزل عن البَلَد وبايعه وخرجَ إليه فآمنه وخلَّى سبيله. وملك أبو العباس البلد، واستقل بملك المغرب.

وقد أقامَ أبو بكر بداره والخاصة يُبَاركونه، فغص به أهلُ الدولة ووُشِي به فقُبِضَ عليه وأُخرج إلى عَساسة، وركب منها البحر إلى مَيُورْقَة، فأقام بها قليلاً وهو يكاتب ابنَ عَمِّه الوزير محمد بن عثمان ابن الكَاس في عوده إلى المَغْرب حتى عاد إلى عَساسة أول سنة سبع وسبعين واستبد بإمارتها وبعثَ إلى السلطان ابن الأحمر بتحف وَهَدايا، ورغب منه في مُخاطبة السلطان في عوده إلى الوِزارة، فكتب إلى ابن عَمِّه في عوده إلى مكانه، فأبى من ذلك، وحملَ السلطان أبا العباس على نبذ العهد إلى أبي بكر فتَنَكَّر له وأجمع على المسير إليه بعَسَاكره، وخرجَ من فاس في سنة تسع وسبعين، فاستجاش أبو بكر بالعَرَب فوصل إليه الأحلاف من المعْقِل، فبذل لهم الأموال، وخرجَ وألقى نفسَهُ بينهم،

وعمد إلى بعض الغُرباء فنصبه يوهم أنه من أبناء السُّلطان أبي الحسن، فنزل السلطان بتَازَى، ففرت العُرْبان عن أبي بكر، وقدم به ونزار بن عَرِيف على السُّلطان، فبعث به إلى فاس وسجنه بها، ثم قدمها وأمر به فقُتِلَ طَعْنًا بالخناجر، وذهب مثلاً للغابرين.

٦٠- أبو بكر بن يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن يَمْلُول، الأمير أبو يَحيى ابن الأمير أبي زكريا صاحب تَوْزَر[1].

يقال: إنهم من تَنُوخ. نزل أوَّلهم بهذا الصُّقْع من زمن الفَتْح، وكانت لهم أحوال مَذْكورة إلى أن نشأ أحمد بن محمد بن يَمْلُول مُتَرامِيًا إلى الرئاسة ببلده، فنُكِبَ في أيام السُّلطان أبي حفص عُمر بن يحيى بن عبدالواحد وصُودِرَ، فقَدِمَ تونس وسكنها، وولي ديوان البَحْر، ثم صودر مرة ثانية في أيام السُّلطان أبي يحيى زكريا اللِّحْياني، وعاد إلى بلده فَشُغِلَت الدولة بما دهمها عن بلاد الجَرِيد حتى صار أمرها إلى الشُّورى، فاستبد أحمد بمشيخة تَوْزَر حتى هلك في أعوام ثمان عشرة وسبع مئة، فخلفه ابنه يحيى بن أحمد بن محمد بن يَمْلُول، واستقل بأمر البَلَد خمس سنين ومات، فقام من بعده أخوه محمد بن أحمد فبعُد صيته وعظم استيلاؤه، وامتدَّتْ أيامه حتى مات سنة أربع وأربعين. فقام بعده ابنه عبدالله بن محمد بن أحمد، فوثب عليه عَمُّه أبو زيد بن أحمد بن محمد بن يَمْلُول وقتله على قَبْر أبيه صبيحة موته، فثار به الناس في الحال وقتلوه. فقام بالأمر أخوه يَمْلُول بن أحمد بن محمد بن يَمْلُول أربعة أشهر كانت شرَّ مدَّةٍ لكثرة سَفْكِهِ الدِّماء واستباحة الحُرَم واغتصابه الأموال حتى كان ينسب إلى الجُنون مرة، وإلى الكُفْر أخرى. وكان أخوه أبو بكر ابن أحمد معتقلاً بتونُس فأُفْرِجَ عنه، وسُيِّرَ إلى تَوْزَر، فحشد أهل القُرى وبَيَّت أخاه، وأخذَهُ فقتَلَهُ.

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات سنة ٨٠٢)، وإنباء الغمر ٤/ ١٦٠، وذيل الدرر، الترجمة ٦٦، والضوء اللامع ١١/ ٩٧، وتاريخ ابن خلدون ٦/ ٩٢٨.

ثم نهضَ السُّلطان أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبدالواحد من تونس في سنة خمس وأربعين إلى تَوْزَر، ففَرَّ أبو بكر بن يَمْلُول إلى بَسْكَرة[١]، ومات سنة ستٍّ وأربعين.

فلما مات السُّلطان في سنةِ سَبْع وأربعين قَدِمَ يحيى بنُ محمد بن أحمد بن محمد بن يَمْلُول من بَسْكَرة إلى تَوْزَرَ، وكان مع عمه، وأقامه أتباع أبيه، وقاموا بأمره فرجع أمر تَوْزَر إلى رياسته، وأخذ يتشبه بالملوك في زِيِّه، وجعل له حُجَّابًا وآلةً مُلُوكية ومقصورة بالجامع لصلاته فيها، وعكف على اللذات، وعاقرَ النُّدماء، وجار على الرعية، وقتل عدةً من النَّاس، حتى نزل عليه السُّلطان أبو العباس أحمد بن محمد ابن السلطان أبي بكر في سنة سبع وسبعين وسبع مئة ففر عن تَوْزَر بأهله، ونزل على أحياء مِرْداس، وبذلَ لهم الأموالَ فرحلوا معه إلى الزَّاب[٢]، ولحق بعسكره واتصل بأحمد بن يوسف بن مزني فمات بعد سنة.

هذا وقد ملك السُّلطان تَوْزَر وعقد عليها لابنه المنتَصر، فاستولى على ذخيرة ابن يَمْلُول، ونزل بقصورهِ فوجدَ بها من المتاع والسِّلاح وآنية الذهب والفضة ما لايوجد إلا عند أعظم ملك من ملوك الدنيا. وأحضر إليه الناس ودَائع من كانت عندهم من نفيس الجواهر والحُلِي والثياب. وكان يحيى لما مات ببَسْكَرَة ترك صَبِيًا اسمه أبو يحيى، فثار به العرب ونزلوا على تَوْزَر في سنة اثنتين وثمانين وقاتلوا المنتصر فهزمهم، ثم عاد إلى حصار تَوْزر في سنة ثلاث وثمانين وقاتل المُنْتصر حتى اقتحم البلد وفر المنتصر إلى قَفْصَة، واستولى أبو يحيى على تَوْزَر، فبعث السلطان بأخيه الأمير أبي يحيى مع ابنه المنتصر فنازلا تَوْزَر، ثم لحق بهما وقاتلوا ابن يَمْلُول يومًا إلى المساء فخذله أصحابُه وتخلوا عنه فنجا بنفسه إلى خَلل العرب، ودخل السلطان البَلَد، وأعاد ابنه إلى إمارتها، ورجع إلى تُونُس.

---

(١) مدينة معروفة إلى اليوم بالجزائر.

(٢) منطقة بالجزائر منها بسكرة المذكورة قبل قليل، كما في معجم البلدان.

فكرَّ ابن يَمْلُول على تَوْزَر في السنة القابلة، فخرج إليه السلطان فعاد إلى الزَّاب. وسار إليه السلطان في سنة ست وثمانين، ففر عن تَوْزَر ثم عاد إليها، وما زال يخرج عنها ويعود إليها حتى كانت آخر عوداته إليها سنة ست وتسعين، فأقام بها حتى نزل عليه السلطان أبو فارس عبدالعزيز وحَصَرَه مدة شهرين، ثم أخذه وقتله بالحجارة رَجْمًا في أثناء شهر رجب سنة اثنتين وثمان مئة، فانقرضت بمَهْلِكه دولةُ بني يَمْلُول.

وكان أبوه حسنَ السيرة، كثير الإفضال، فساءت سيرةُ ابنه أبي بكر ابن يحيى وكثرت مَقَابِحُهُ وسَفْكُه للدماء وأخذُه الأموال بغير حقٍّ، فلا جَرَمَ أن قَطَعَ الله دابره.

٦١- أبو بكر بن أحمد بن عبدالهادي بن يوسف بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسيُّ ثم الصالحيُّ، عمادُ الدين، ابنُ العِماد[(١)] .

ولد بسَفْح قاسيون في سنة سبع عَشْرَةَ وسبع مئة، وحضر على عيسى المُطَعِّم، وعلى يحيى بن محمد بن سَعْد، وسِتِّ الفُقهاء بنتِ الوَاسطي. وسمع من الحَجَّار، وإسحاق الآمدي، وحدَّث.

توفي بعدما ثَقُل سمعهُ في سادس المحرم سنة تسع وتسعين وسبع مئة.

وأجازني في سنة إحدى وسبعين وسبع مئة وكتب به خطَّه.

٦٢- أبو بكر بن الحَسَن بن أحمد بن الحَسَن بن أَنُو شِروان الرَّازيُّ، فخرُ الدين ابنُ قاضي القُضاة حُسام الدين الحَنَفيُّ[(٢)] .

ولد بدمشق، وسمع بها من ابن مُشَرِّف، وأجاز له جماعة كثيرة، وحَدَّث.

توفي في سنة سِتٍّ وسبعين وسبع مئة بدمشق.

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٢٥، والدرر الكامنة ١/ ٤٦٨، وإنباء الغمر ٣/ ٣٤٣، وشذرات الذهب ٦/ ٣٥٨.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٤٧٢، وإنباء الغمر ١/ ١١٤.

٦٣- أبوِ بكر بن محمد بن أحمد بن أبي غانم بن أبي الفَتْح الأنصاريُّ الحَلَبيُّ الأصل، الدمشقيُّ ثم الصالحيُّ الحنبليُّ، عِمادُ الدين ابنُ الشيخِ ناصر الدين ابن الحَبَّال[(١)].

ولد أوائلَ سنة سبعٍ وسبع مئة، وحضر على هَدِيَّة بنت عَسْكر، وسمع من القاضي سُليمانَ، ويحيى بن محمد بن سَعْد، وأبي نصر ابن الشِّيرازي، وحَدَّث.

توفي ليلة الاثنين ثالثِ شهر ربيع الأول سنةَ إحدى وثمانينَ وسبع مئة بدمشق.

٦٤- أبو بكر بنِ محمد[(٢)] بن عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالملك القُضاعيُّ الحَلَبيُّ الأصل، ثم الدمشقيُّ المِزِّيُّ، تَقِيُّ الدِّينِ ابنُ الشيخ المُسْنِد شمس الدين ابن الزَّكي[(٣)].

ولد بدمشق سنةَ إحدى وعشرين وسبع مئة، وسمع بها من الحَجَّار، ومن عَمِّه الحافظ أبي الحَجَّاج وغيره، وحَدَّث.

تُوفي في المحرم سنةَ ستٍّ وتسعين وسبع مئة.

٦٥- أبو بكر بن يُوسف بن عبدالقادر بن سَعْد الله بن مَسْعُود، الخَلِيْليّ الأصل، ثم الدمَشْقيُّ الصالحيُّ الحنبليُّ، عمادُ الدِّين[(٤)].

سمع بدمشق من أبي نصر ابن الشيرازي، والحَجَّار، وأبي الحسن عليِّ بن هِلال. وطلبَ الحديثَ بنفسه، وكَتَبَ الطِّباق والأجزاء. ذكره

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٣، وإنباء الغمر ١/ ٣١٥، وشذرات الذهب ٦/ ٢٧١. وسيعيده المصنف برقم (٨٣).

(٢) سقط هذا الاسم من جـ.

(٣) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٢٥، والدرر الكامنة ١/ ٤٩١، وإنباء الغمر ٣/ ٢٢٤، وشذرات الذهب ٦/ ٣٤٦.

(٤) ترجمته في: المعجم المختص ٣٠٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٦، وإنباء الغمر ٢/ ٦٨، ووجيز الكلام ١/ ٢٥٧، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨٠.

الذَّهبي في مُعْجَمِهِ المُخْتص بالمحدِّثين[1].

توفي يومَ الثلاثاء سابع جُمادى الأولى سنة ثلاثٍ وثمانين وسبع مئة.

٦٦- أبو بكر بن عُمر بن عرفات بن عوض، زينُ الدين القِمَنِيُّ الشافعيُّ[2].

ولد بناحية قِمَن[3]، وقَدِمَ إلى القاهرة، وأخذَ بها الفِقْه وغيرَه، واتصلَ ببعض أمراء الدولة لقراءة مماليكه القُرآن، فحسنت حالُه بعد بُؤسٍ وفَقْرٍ مُدْقع. وأمَّ ببعضِ التُّرَب، وسكنها دَهْرًا، ثم تَعَلَّقَ بأميرٍ بعدَ أميرٍ حتى صار يُعَدُّ من الأَعْيان. ووَلِيَ تدريسَ الصَّلاحيَّة بالقُدْس بعد فِرارِ شمس الدين محمد ابن الجَزَري. ودَرَّس بالمنصورية، والمدرسة الشَّريفيَّة، وكتب على الفَتْوى. وحَدَّث ووَعَظَ حتى ماتَ وقد أناف على الثمانين في الطاعون يومَ الجمعة ثالثَ عشر شهرِ رجبَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وثمان مئة.

وقد صَحِبْتُهُ، ثم جَاوَرَني سنين فبَلَوْتُ منه دِيْنًا وخَيْرًا وقُوَّةً في إنكار المُنْكَر، رحمه الله.

٦٧- أبو بكر بن أحمد، تاجُ الدين المَقْدسيُّ، المعروفُ بالمُعيدِ، الشافعيُّ[4].

تَفَقَّهَ وأعادَ، ثم وَلِيَ قضاء القُدْس، ودَرَّس، وحَدَّث عن الحَجَّار وزَيْنَب بنت شُكْر.

---

(١) المعجم المختص ٣٠٩.

(٢) ترجمته في: السلوك ٤/ ٨٤٨، وإنباء الغمر ٨/ ٢٠٩، والنجوم الزاهرة ١٥/ ١٦٧، والدليل الشافي ٢/ ٨١٩، ونزهة النفوس والأبدان ٣/ ٢١٣، والضوء اللامع ١١/ ٦٣، ووجيز الكلام ٢/ ٥٠٨، والأنس الجليل ٢/ ١١٠، وشذرات الذهب ٧/ ٢٠٦، وبدائع الزهور ٢/ ١٣١.

(٣) بكسر القاف وفتح الميم، قرية من قرى مصر نحو الصعيد، كما في معجم البلدان.

(٤) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٤٧٠.

مات بالقُدْس في رمضان سنةَ تسعٍ وستينَ. وسبع مئة.

٦٨- أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عُمَرَ بن محمد بن عبدالوهاب بن ذُؤَيب، تَقيُّ الدِّين ابنُ شهاب الدين ابن شمس الدين ابن القاضي نَجْم الدين، المعروفُ بابن قاضي شُهْبة الأسَديُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ[١].

وُلِدَ في شهر ربيع الأول سَنَةَ تسعٍ وثمانين[٢] وسبع مئة، وبَرَعَ في الفِقه، وصار فقيهَ الشام ومُفْتِيها[٣].

٦٩- أبو بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالقاهِر بن هِبة الله بن عبدالقاهِر بن عبدالواحد بن هِبَة الله بن طاهر بن يُوسُف، شَرَفُ الدين ابنُ تاج الدين أبي المكارم ابن كمال الدين أبي العَبَّاسِ ابن النَّصِيبيِّ الحَلَبيُّ[٤].

سمع الحديثَ، وكتب الخَطَّ المليح، وباشرَ كتابةَ الإنشاء بحَلَبَ وعِدَّةَ وظائفَ، ثم تزَهَّدَ ولازَم بَيْتَه حتى ماتَ بها عن سبعٍ وستين سنةً في سنة ثلاثٍ وسبعينَ وسبع مئة.

---

(١) ترجمته في: الضوء اللامع ١١/ ٢١، والتبر المسبوك ١٨٩، ووجيز الكلام ٢/ ٦١٦، ونظم العقيان ٩٤، وشذرات الذهب ٧/ ٢٦٩، والبدر الطالع ١/ ١٦٤، وقضاة الشافعية ١٦٨.

(٢) هكذا بخط المصنف، لكن كتب ابن قاضي شهبة بخطه في حاشية أ: «صوابه وسبعين»، ونقلها ناسخ جـ، وهو الصواب، فتاريخ مولده سنة تسع وسبعين وسبع مئة.

(٣) ترك المصنف بعد هذا فراغًا قدر سبعة أسطر، لكنه لم يعد إليه، فبقيت الترجمة هكذا مقتضبة، وتوفي أبو بكر سنة ٨٥١ هـ. (الضوء اللامع ١١/ ٢١ وفيه ترجمة مفصلة، والبدر الطالع ١/ ١٦٤).

(٤) ترجمته في: وفيات السلامي ٢/ ٣٩٤، والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٣٤١، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٤٠٩، والدرر الكامنة ١/ ٤٨٨، وإنباء الغمر ١/ ٢٥.

٧٠- **أبو بكر بن علي بن[1]، كمالُ الدين ابنُ نور الدين، خَطِيبُ إخْمِيْم[2].**

يقال إنهم من حِمْير، وأبوه نورُ الدين من أقْفَهْس، وسكنَ إخميم، ووَلِيَ خطابتها، فوُلِدَ له أبو بكر بإخْميم، ونشأ بها، وكَثُرَ مالُه حتى خَرَجَ عن الحدِّ في الكثرة الزائدة، واشتُهر أنَّه ظَفِرَ بشيء من كُنُوز الأوائل.

٧١- **أبو بكر بن عُمَرَ بن مُظَفَّر بنِ عُمَرَ، شَرَفُ الدين ابنُ زين الدِّين، الشهيرُ بابن الوَرْدي المَعَريُّ الحَلبيُّ الشافعيُّ[3].**

فقيهٌ، فاضلٌ، أديبٌ، له نَظْمٌ ونَثْرٌ. وكان دَؤُوبًا في تحصيل دُنياه، كثير التَّعلُّقات، وله وظائفُ بين الفقهاء، ونابَ في الحُكْم ببعض أعمالِ حَلَبَ حتى مات وقد تجاوز سبعينَ سَنة في سنةِ سبعٍ وثمانينَ وسبعِ مئة.

٧٢- **أبو بكر بن عبدالبرِّ بن محمد المَوْصِليُّ، الشيخُ المُعتَقَد[4].**

وُلِدَ بالمَوْصل، واشتغل بها قليلاً، ثم قَدِمَ دِمَشْق شابًا، وعانَى حياكَةَ الثياب وتَكَسَّبَ بها، وهو يلازمُ الاشتغال بالعِلْم، وصَحِبَ الشيخَ قُطْبَ الدين، وسُلِّك على يديه، وأكثرَ من حضورِ مجالس الحديث حتى حَفِظَ منه شيئًا كثيرًا لذكائه. ثم جلسَ للوعظ فأبدى من الفوائد والنُّكَتِ ما تَعَجَّبَ منه الفضلاءُ . وكان يَحْضُر مِيعادَهُ العلماءُ وغيرُهم، فاشْتُهِرَ وكَثُرَتْ أتباعُهُ، ثم انقطع وتخلَّى للعبادة فانْثَال الناسُ عليه، وتردَّدَ إليه

---

(١) بَيَّضَ المصنف في المسودة، ولم يعد إليه.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع ١١/ ٦٢، وقال: «ذكره المقريزي في عقوده ولم يؤرخه، فذكرته هنا حدسًا فيحرر».

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٥٤٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٦٨، والدرر الكامنة ١/ ٤٨٥، وإنباء الغمر ٢/ ١٩٧، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ١٢٦.

(٤) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٥٩، والدرر الكامنة ١/ ٤٧٦، وإنباء الغمر ٣/ ٢٥٩، وشذرات الذهب ٦/ ٣٤٨.

الأكابرُ والأعيانُ، وحَجَّ غير مَرَّةٍ، وأقام بالقُدْسِ زمانًا فزارَهُ السلطانُ الملكُ الظاهرُ بَرْقُوقُ به، ووَصَلَهُ بمال جَزِيلٍ فلَم يَقْبَلْه تَعَفُّفًا وزَهادَةً، وكانت شَفاعاتُهُ مقبولةً، ورسائله لا تُرَدُّ حتى تُوفي بالقُدْس في شوال سنةَ سبعٍ وتسعين وسبع مئةٍ.

٧٣- أبو بكر بن مُحمد بن[1] الحِصْنيُّ الدِّمشقيُّ، تقيُّ الدين الفقيهُ الشافعي[2].

وُلد سنةَ اثنتين وخمسين وسبع مئة، وتفَقَّه ومَهَرَ حتى صار شيخَ الشافعية بدمشق في آخر عُمُره. وكتب تعليقةً على «التنبيه»[3] في الفقه، واختصر «المُهِمَّات»[4]، وتزَهَّدَ وتَقَشَّفَ وصارت له أتباع يبالغون في اعتقاده. وكان مُتَسَرِّعًا إلى إزالة المُنْكَرات، كثيرَ الإزْرَاءِ على من يُخالطُ أهلَ الدولة من الفُقَهاءِ، يَجْبَهُ من لقيه منهم بمُر القول وخُشونةِ الكلام.

وكان شديدَ التعصُّب للأشاعِرَة، منحرفًا عن الحنابلة انحرافًا يَخْرُجُ فيه عن الحَدِّ، فكانت له معهم بدمشق أمورٌ عَديدةٌ. وكان يُفْحِشُ في حَقِّ ابن تَيْمِيَّة، ويَجْهَرُ بتكْفيره من غير احتِشام، بل يَصْرُخُ في الجوامع والمجامع بأنَّ ابن تَيْمية كافرٌ، فتلَقى عنه ذلكَ أتباعُه واقتدوا به فيه جَرْيًا علىعادةِ أهل زَمانِنا في تَقليد من اعتقدُوه. وسَيُعْرضان جميعًا على الله الذي يعلمُ المُفْسدَ من المُصْلح. ولـم يَزَل على ذلك حتى ماتَ بدمشقَ فـي رابع عَشَرَ جُمادى الآخرة سنةَ تسعٍ وعشرين وثمان مئةٍ. عفا الله عنه.

---

(١) بيَّض المصنف بعد هذا قدر كلمتين ليعود إليه، فما عاد، وهو: ابن عبدالمؤمن ابن حريز، كما في الإنباء والشذرات.

(٢) ترجمته في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٠٣، وإنباء الغمر ٨/ ١١٠، والضوء اللامع ١١/ ٨١، والأنس الجليل ٢/ ١٧٤، وشذرات الذهب ٧/ ١٨٨، والبدر الطالع ١/ ١٦٦.

(٣) لأبي إسحاق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ.

(٤) لجمال الدين الإسنوي المتوفى سنة ٧٧٢هـ.

٧٤- أبو بكر بن عُمر بن مُحمد الطُّرَيْنيُّ الفقيه المالكيُّ المُعْتَقَد[١].

كان أبوه عُمَرُ بن محمدٍ من الفقهاء الزُّهَّاد الوَرِعين. وله كتابٌ في تعبير الرُّؤيا، وكانت وفاتُه في ثامن عشر ذي الحِجَّة سَنَة اثنتين وثمان مئة. ونشأ وَلده أبو بكر بالمحلَّة، وتزَهَّدَ حتى أنه ترَكَ أكلَ اللحم تَورُّعًا عِدَّة سنين عندما حدثت المِحَنُ وكَثُرَ النَّهْبُ والغاراتُ في النَّواحي، وصارَ يُقيمُ أوَدَهُ بشيءٍ يزرعهُ ويقتصرُ في قوْتِه ومَلْبَسِهِ على ما لايُطيقُهُ غيرُه. ولو قَبِلَ من الناس شيئًا لعَظُمَ ثَراؤه لمحبَّتهم له واعتقادهم الخيرَ فيه؛ لكنَّه أعْرَضَ عن زِيْنَةِ الدُّنيا ولَذَّاتها جُملةً حتى ماتَ ليلةَ الجمعة حادي عشرَ ذي الحِجَّةِ سنةَ سبع وعشرين وثمان مئة بمدينة المَحلَّة، وكانت شَفاعاتُه لا تُرَدُّ، وكَتَبَ بخطِّهِ المليح عِدَّةَ كُتُبٍ، وكان يتمثل كثيرًا:

وما حَمَّلُوني الضَّيْمَ إلا حَمَلْتُهُ   لأنـي مُحِـبٌّ والمُحـبُّ حَمُـولُ

ويَتَمَثَّلُ أيضًا:

لـي سَـادَةٌ مـن عِـزِّهـم   أقـدامُهُـم فَـوقَ الجبـاهْ
إن لَـم أكُـن منهـمُ فَلِـيْ   فـي ذِكْـرِهـم عِـزٌّ وجَـاه

٧٥- أبو بكر بن إبراهيم بن العِز محمد بن العِز إبراهيم ابن أبي عُمَرَ مُحمد بن أحمد بن قُدَامَةَ، عمادُ الدين ابنُ ناصِر الدين ابن عِزِّ الدين المَقْدِسيُّ، المعروفُ بالفَرائضيُّ، مُسْنِدُ الصَّالحية[٢].

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٦٧٦، وذيل الدرر، الترجمة ٥٩٢، وإنباء الغمر ٨/ ٥١، والنجوم الزاهرة ١٥/ ١٢٤، والدليل الشافي ٢/ ٨٢٠، والضوء اللامع ١١/ ٦٤، ووجيز الكلام ٢/ ٤٨١، وشذرات الذهب ٧/ ١٧٨.

(٢) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات سنة ٨٠٣)، وإنباء الغمر ٤/ ٢٦٦، والضوء اللامع ١١/ ١٢، وشذرات الذهب ٧/ ٢٧.

وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وعِشرينَ وسبع مئة، وسَمِعَ على الحَجَّار، وأجاز له القاسم ابنُ عساكر، وأبو نصر ابنُ الشِّيرازي وآخرون. وكان عَسِيرًا في التَّحْديث.

توفي أيام حِصَار تَيْمور لدمشق سَنَةَ ثلاث وثمان مئة.

٧٦- أبو بكر بن عبدالله بن أبي بكْر بنِ أحمد بنِ عبدالحميد بن عبدالهادي بن محمد بن يُوسُف بن قُدامَةَ المَقْدِسيُّ الحَنْبَليُّ الصَّالِحيُّ، عِمادُ الدِّين ابن تَقيِّ الدِّينِ[1].

وُلِد سَنَةَ إحدى وثلاثين وسبع مئة، وسَمِعَ من أحمد بن عبدالله بن جُبارَة وغيره؛ وحدَّثَ.

توفي في كائنة دمشق سنةَ ثلاثٍ وثمان مئة.

٧٧- أبو بكر بن عُثمان بن خليل بن محمود بن عبدالواحد، تقيُّ الدِّين الحواري[2] **الحَنَفيُّ**[3].

وُلد بعد سنة أربعين وسبع مئة. سمع على المَيْدومي، وتفقه، ونابَ في الحُكْم، وحَدَّثَ.

توفي في أواخر سنة أربع وثمان مئة بالقُدْس.

٧٨- أبو بكر بن مُحمد بن عُمَر، شَرَفُ الدين العَجْلُوني ثم الحَلَبيُّ الشافعيُّ، نزيلُ مكَّةَ، شرَّفها الله تعالى[4].

وكان يقال له محمد. سمع من أبي الهول وغيره من الدِّمشقيين، وسمع من أبي عبدالله بن جابر الهَوَّاري قصيدته البديعة المُسَمَّاة «الحُلَّة السِّيَرا في مَدْحِ خير الوَرَى» ﷺ. وكان دَيِّنًا متعبدًا خطيبًا فصيحًا واعظًا.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ٢٦٨، والضوء اللامع ١١/ ٣٨.

(٢) هكذا في المسودة والأصل، وفي إنباء الغمر، والضوء اللامع: «الحوراني».

(٣) ترجمته في: ذيل الدرر، الترجمة ١٥١، وإنباء الغمر ٥/ ٣٢، والضوء اللامع ١١/ ٤٩، وشذرات الذهب ٧/ ٤٢.

(٤) ترجمته في: العقد الثمين ٨/ ٧، وذيل الدرر، الترجمة ٣٤، وإنباء الغمر ٤/ ٨٠، والضوء اللامع ٧/ ٣٣، وشذرات الذهب ٧/ ١٠.

مات بمكة في سادس عشري صفر سنة إحدى وثمان مئة.

٧٩- أبو بكر بن أبي المَعالي بن عبدالله النَّاشِريُّ، رَضِيُّ الدين الزَّبِيْديُّ اليَمانيُّ[١].

قَدِمَ القاهرة صُحْبَةَ الطَّواشي فاخر رسول الأشرف إسماعيل ابن الأفضل متَمَلِّك اليمن وعاد. وله شِعْرٌ، ومذاكراتُه حَسَنةٌ، بادِرَتُه سريعةٌ، وعنده فضيلةٌ، ولديه فوائد، وبيتهُ مشهورٌ باليمن[٢].

٨٠- أبو بكر بن مُحمد بن عليٍّ الجِبْليُّ- بكسر الجيم وسكون الباء الموحَّدة- ثم التَّعِزِّيُّ اليَمَنيُّ، المعروفُ بابنِ الخَيَّاطِ، الفقيه الشافعيُّ[٣].

مَهَرَ في الفقه، وشارك في فنونٍ، ودَرَّسَ بالمدرسة الأشْرَفية وغيرها من مدارس تَعِز. وكان يورد كلامُ الرَّافعي بنصه، وله أجوبةٌ عن مسائل شَتَّى. ووَلِيَ القضاءَ قليلاً ثم استعفَى فأُعفي.

ومات في شهرِ رمضان سنةَ إحدى عَشْرَةَ وثمان مئةٍ.

٨١- أبو بكر بن عبدالرحمن بن مُحمد بن أحمد ابن التقيِّ سُليمان بن حَمْزَةَ المعروفُ بابن زُرَيْقٍ الحَنْبَلِيُّ، عمادُ الدين، أخو الحافظ ناصر الدين[٤].

سمع من الصَّلاحِ ابن أبي عُمر وغيره.

---

(١) ترجمته في: المجمع المؤسس، الورقة ١٩٢، والضوء اللامع ١١/ ٩٥.

(٢) قال السخاوي في الضوء اللامع ١١/ ٩٦: «مات سنة إحدى وعشرين- يعني وثماني مئة- ... قلت: وقد ذكره المقريزي في عقوده باختصار ولم يؤرخ وفاته، ويحرر قول شيخنا أنه حي في سنة أربعين».

(٣) ترجمته في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٤٠، وإنباء الغمر ٦/ ١١٧، والضوء اللامع ١١/ ٧٨، ووجيز الكلام ١/ ٣٩٧، وشذرات الذهب ٧/ ٩١.

(٤) ترجمته في: الضوء اللامع ١١/ ٤٤.

توفي بعد سنة تسع وعشرين وثمان مئة.

٨٢- أبو بكْر بن يُوسُف بن أبي الفَتْح، رَضِيُّ الدين ابنُ المُسْتأذِنِ العَدَنيُّ اليَمَانيُّ الخَطيبُ الشافعيُّ[١].

تَفَقَّهَ ووَعَظ بجامع عَدَن، ونَظَمَ الشِّعْرَ، وقَدِمَ القاهرةَ مرارًا، وأخذ عن عُلمائها.

توفي وقد جاوزَ السبعينَ في سنةِ ستَّ عَشْرَة وثمان مئةٍ.

٨٣- أبو بكر بن محمد بن أحمد، المعروفُ بابن الحَبَّال[٢].

وُلِدَ سنةَ سبعٍ وسبع مئة، وأُحضر على هَديَّة بنتِ عَسْكر، وسمع من التقيِّ سُليمانَ، ومن أبي نصر ابن الشِّيرازي وابن سَعْد وجَمَاعةٍ، وحَدَّث.

توفي في ثالث عشرَ ربيعِ الأول سنةَ إحدى وثمانين وسبع مئة.

٨٤- أبو بكر بنُ محمدِ بن يوسُفَ الحَرَّانيُّ ثم الحَلَبيُّ[٣].

وُلِدَ سنة خمس عشرة وسبع مئة، وسَمِعَ على العِزِّ إبراهيم بن صالح ابن العَجَمي، وحَدَّثَ.

توفي في أوائل ذي الحجة سنةَ اثنتين وتسعينَ وسبع مئة.

٨٥- أبو بكر بن محمد بن إسحاق، شرف الدين ابنُ تاج الدين المُنَاوي[٤].

---

(١) ترجمته في: ذيل الدرر، الترجمة ٤١٢، وإنباء الغمر ٧/ ١٢٩، والضوء اللامع ١١/ ٩٨، وشذرات الذهب ٧/ ١٢٠.

(٢) تقدمت ترجمته برقم (٦٣)، وقد كتب ابن قاضي شهبة بخطه قبالة الترجمة من المسودة: «مكرر».

(٣) ترجمته قي: الدرر الكامنة ١/ ٤٩٨.

(٤) ترجمته في: السلوك ٤/ ٤٨، وذيل الدرر، الترجمة ٢٧٥، وإنباء الغمر ٦/ ٢٤، والضوء اللامع ١١/ ٦٩.

نابَ في الحُكم بالقاهرة والأعمال القَليوبية، وخطب بالجامع الحاكمي، ودَرَّس بعدة أماكن. وكان حَشِمًا رئيسًا قليلَ العلم.

توفي للنصف من جُمادى الآخرة سنة تسع وثمان مئة عن نحو الخمسين سنة[١].

٨٦- أبو بكر بن عليّ بن أحمد[٢] بن مُحمد بن عليٍّ، زكيُّ الدين الخَروبيُّ، التاجرُ[٣].

كان أبوه مُتَخَلِّيًا عن الدنيا دون أهله، فإنهم كانوا تُجَّارًا، وانقطعَ في زاويةٍ بالجيزة، وصارَ أخوه بدر الدين[٤] محمد بن محمد بن عليّ الخَروبي يقومُ به حتى مات؛ ثم ماتَ البدرُ بعده وترك أولادَ أولادٍ صغارًا ماتوا أيضًا بعده بقليل فحاز مالَهم بالإرث ابنُ عَمِّهم زكيُّ الدين هذا، ونَمَا معه بالتجارة، وداخلَ الأمراءَ والسلاطينَ، وتَشَبَّه بعُظماء الناس، وتوسَّع في النَّفَقات والهبات بحيثُ أخبرني الطبيبُ الفاضلُ شمسُ الدين محمدُ ابنُ الصُّغَيِّر[٥] أنَه حَجَّ معه وجاور بمكةَ سنةً، فأنعمَ عليه دفعةً واحدةً بألفِ مثقالِ ذَهبٍ مِصْريٍّ سوى جميع كُلَفِه. وأخبرني الشيخُ محمدُ ابنُ المؤذن أنه أنعم عليه في مكة بخمس مئة مِثْقال ذهبٍ مصْرِيَّة

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في «إنباء الغمر» أنه مات وقد قارب الستين.

(٢) هذا الاسم أضافه المصنف إلى المسودة فيما بعد فكتبه في الحاشية، ونقله صاحب الأصل، ولعلها إضافة غير موفقة، فإن الحافظ ابن حجر، وهو على صلة قوية بالخروبي، لم يذكره في عمود نسبه، كما لم يذكره المصنف فيما بعد حينما ذكر عمه بدر الدين محمد بن محمد.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٥٣٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٦٧، والدرر الكامنة ١/ ٤٨١، وإنباء الغمر ٢/ ١٩٦، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٥، والدليل الشافي ٢/ ٨١٩، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ١٢٤، ووجيز الكلام ١/ ٢٧٤.

(٤) بدر الدين هذا هو عم المترجم.

(٥) جَوَّد المصنف تقييده كما قيدناه.

دفعةً واحدة، وكتب له على وكلائه بعَدَن من بلاد اليمن بخمس مئة مثقال، لأنه كان متوجهًا إليها، فقبضها منهم. وله مثلُ هذا كثير. وآخر ما عُدْتُهُ وهو مريضٌ وقد نزل بالجِيزَةِ في خَيْمَةٍ كبيرةٍ جميعها من الجوخ القص، وهو على سريرٍ في حالٍ كهيئة السُّلطان. ومات من مرضه هذا يومَ الخميس تاسعَ عَشَرَ شهرِ الله المحرَّم سنةً سبع وثمانينَ وسبع مئة، ووصى للسُّلطان بثلاثينَ ألف دينارٍ مصريةً، وللفقهاء بأربعةِ آلاف دينار، ولعِدَّةِ جهاتٍ من البِرِّ بمالٍ كثير؛ وكان قد جَرَّد القرآن الكريم بمكة في آخر عُمُرِه على الشيخ شمس الدين محمد الرَّفَّاء.

وهو أحدُ الأفراد في التجار الذين أدركتُهم لكثرة مُرُوْءَتِهِ وسؤدُدِه ونُبْلِهِ. وسُمِعَ منه مرة أنه قال: كان مكسَبُنا في هذه السنة خمس مئة ألف درهمٍ، وجاء مصروفُنا خمس مئة ألفِ درهم. وهذه الخمس مئة ألف درهم التي ذكرها كان عنها حينئذ نحوُ خَمْسَةٍ وعشرين ألف دينارٍ مصرية. ومثل هذا إذا اعتبر في ذلك الوقت كان مصروفًا كبيرًا إلى الغاية.

٨٧- أبو بكر بنُ أبي المجد بن ماجد بن أبي المجد بن بدرِ بن سالِم، الشيخُ عمادُ الدين المَقْدِسِيُّ ثم الصالِحيُّ الدمشقيُّ الشهيرُ بالعِمادِ الحَنْبليّ[١].

أصلُه من بني سَعْد. ولد بصالحية دمشق سنة ثلاثين وسبع مئة في شهر ربيع الأول تخمينًا، وسَمِع من عامة أصحاب شيخِ الإسلام تقي الدين أحمد بن تَيْمِيَّة كابن عبدالهادي، وابن القيِّم، والذَّهبي. وسمع على الحافظ جمال الدين المزِّي، وعلى أصحاب الشيخ مُحيي الدين النَّوويِّ. وبَرَعَ في الحديثِ، وكان ثقةً مُتَضَلِّعًا في سُنة رسول الله ﷺ،

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٨٠٤)، وإنباء الغمر ٥/ ٣٢، وذيل الدرر، الترجمة ١٥٠، والضوء اللامع ١١/ ٦٦، ووجيز الكلام ١/ ٣٦٤، وحسن المحاضرة ١/ ٤٨٢، وشذرات الذهب ٧/ ٤٢.

حافظًا لكثيرٍ من مُتون الأحاديث، مُتَحرِّيًا لاتِّباع السُّنَّةِ، دَأْبُهُ النظرُ في كُتُب الحديثِ، وتخريجُ الأحاديث، والعملُ بها في أنواع القُرَبِ والطاعات، مع كَثْرةِ الاطلاع على أقاويل السَّلَفِ والخَلَفِ من الفقهاء، عارفًا بالحديث وطُرُقه وتَوْثيقِ رُوَاتِهِ وجَرْحِهم، كثيرَ الميلِ إلى اتباع الحديثِ، منجمعًا عن الناس لا يُخالِطهم في شيءٍ من أمر دُنياهم، شديدَ التحمُّس في العبادة، بَعيدًا عن الهَزْلِ، دائمَ الخُشوع إذا قام إلى الصلاةِ كأنما تُعاينُ السَّلَف الأوَّلَ من حُسْنِ سَمْتِهِ وهَدْيِهِ، لا يَبْرَحُ في عبادةٍ: إما تخريجُ أحاديثَ ليعمل بها، أو أداءُ ما أُمر به من فرائض العبادات ونُدِبَ إليه من نوافلها.

خَرَّجَ من الكُتُبِ السِتَّةِ وغيرِها كتابًا كبيرًا في عِدَّةِ مُجلداتٍ سَمَّاه «الأوامر والنواهي» يشتمل على ما وَرَدَ في القرآن الكريم، وما في هذه الكُتبِ من الأحاديث الصحيحةِ التي لم يُنْسَبْ أحدٌ من رواتها إلى شيءٍ من الجَرْح بصيْغَةِ الأمر والنهي وما في معناهما. وخَرَّج كتابًا آخر ضَمَّنَه ما في ذلك ما قلنا، وفي رُواته مَنْ نُسِبَ إلى شيءٍ من الجَرْح؛ ثم اختصرهما بحذف الأسانيد فجاءَ شيئًا عَجَبًا في الحُسْن، على ترتيبِ أبواب الفقه، كتبته بخطي، وقرأته بأجمَعِهِ عليه، وهو مُمْسِكٌ أصْلَهُ الذي بخطه في سنة ثلاثٍ وتسعين وسبع مئة؛ واختصرَ كتاب «تهذيب الكمال»، وكتبَ الكثيرَ بخطه.

وكان يبالغ في تعظيم أبي مُحمد بن حَزْم ويعتني بكلامه. وكان يَحْمِلُ نَفْسَه من العبادة على ما لا يَثْبُتُ له غيرُه، وذلك أنَّه أخذ نفسه بالعملِ بكلِّ ما أمر الله تعالى به في كتابه أو على لسان نَبِيِّه ﷺ ومما قد صَحَّ عنه، سواءٌ كان ذلك مما قال الفُقهاء فيه أنه يقتضي الوجوب أو النَّدْب، وثَبَتَ على العملِ به طُوْلَ عُمُرِهِ طاعةً لله ورسوله، وكذلك اجتنبَ كلَّ ما نهى الله تعالى عنه في القرآن والسُّنَّة الصحيحة فقامَ لذلك من العبادة بما يَجِلُّ وَصْفُه، وانفرد بأشياء منها وجوبُ الصلاةِ على النبي ﷺ في دُعاء الاستفتاح، وأن يقول «لا إله إلا الله» في أذانه مَرَّتين، ويقولُ

في الإقامة: «قد قامت الصلاةُ» مَرَّة، ويَنتفَ شَعْرَ شاربه لقوله عليه السلام: «وانْهَكُوا الشارِب»[1]، قال: ومعنى «انْهَكوا» اسْتأصلُوا، ولا يكونُ الاستئصالُ إلا بالنَّتْفِ. ويستَدِلُّ لتثنية «لا إله إلا الله» في الأذان، وإفراد الإقامة بقوله: «أُمِر بلال أن يَشْفَع الأذان ويوتِر الإقامة»[2]، ويرى أنه لا تَجوز قراءةُ القرآن بجماعةٍ من النَّاس، بل الواجبُ إذا قرأ الواحدُ أن يَسْتَمِعَهُ الباقون لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الأعراف ٢٠٤] وأشياء من هذا. ولذلك كان العبدُ الصالحُ أحمدُ ابنُ البرهان يقول: صاحِبُنا الشيخُ العمادُ ليس بفقيهِ النفسِ، إلا أنه رحمه الله كان مجتهدًا لنفسه، غيرَ متعرضٍ لأحدٍ، فلعمري، ما وَقَعَتْ عيني على أتْبعَ لِسُنَّة رسولِ الله ﷺ منه في قوله وعمله وعَقْدِهِ.

وكان قدومه إلى مصر في سنةِ ثمانٍ وخمسين وسبع مئة فصار أحدَ الطلبة بدَرْسِ الحنابلةِ في خانِقاه شَيْخُو، وأضيف إليه مسجدٌ كان يُصَلِّي به إمامًا، وله عليه جار فكانَ يَجدُ ما يكفيه ويكفي أهله مع القناعةِ والتَّخَشُّنِ في المَلْبس ولُزُوم العمل الصالح، ومجانَبَةِ الناس جُمْلَةً إلا من ذَاكَرَهُ في شيء من السُّنَّةِ، حتى ماتَ يوم الخميس آخِر جُمادى الأولى سنةَ أربع وثمان مئة رحمه الله.

أخبرني الحافظُ شيخُ السُّنةِ عمادُ الدين أبو بكر بن أبي المجد الحنبلي رحمه الله، قال: أخبرني عمادُ الدينِ بن كثيرٍ، قال: سمعتُ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة يقول: لَيَنْزِلَنَّ عيسى بن مَرْيَمَ على هذه المَنارة. ويشير إلى منارةِ جامع بني أُمَيَّةَ الشَّرقية، وتكون يومئذ بيضاءَ. قال: وكانَتْ حينئذ غيرَ بيضاءَ فاحترقت بعدَ موتِ الشيخ، وأُعيدَتْ وبُيِّضَتْ. قال

---

(١) من حديث نافع عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «انهكوا الشوارب واعفوا اللحى» البخاري ٧/ ٢٠٦ حديث رقم (٥٨٩٣).

(٢) هو في الصحيحين من حديث أنس بن مالك: البخاري ١/ ١٥٧ و١٥٨ و٤/ ٢٠٦، ومسلم ٢/ ٢- ٣. وينظر تمام تخريجه في تعليق الدكتور بشار عواد معروف على جامع الترمذي (١٩٣).

كاتبه: وهي باقيةٌ إلى اليوم لم تحترق عند حريقِ الجامع في نوبة الطَّاغية تَيْمُورْلَنْك في سنة ثلاثٍ وثمان مئة عند دخوله إلى دمشق وتَحْريقها.

قال العماد ابن كثير في تاريخه[1]: «وتكاملَ عِمارةُ المنارة الشرقية بالجامع الأموي في العَشْر الأخير من هذا الشهر، يعني رمضان سنة إحدى وأربعين وسبع مئة- واستحسن الناس بناءها وإتقانها، وذكر بعضهم أنه لم تُبْنَ منارةٌ في الإسلام مثلها. ووقع لكثير من النَّاس في غالب ظُنونهم أنها المنارة البيضاء الشرقية التي ذُكرت في حديث النَّواس ابن سمعان في نزول عيسى بن مريم على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فلعل لفظ الحديث انقلب على بعض الرواة. وإنما كان على المنارة الشرقية بدمشق، وهذه المنارة مشهورة بالشرقية لمقابلتها أختها الغربية، والله أعلم».

٨٨- أبو بكر بن عثمان بن أبي بكر، زين الدين ابن العَجَمي، الأديب المشهور[2].

سمعَ الحديثَ على بدر الدين جَنْكَلي بن محمد بن البابا، والقاضي عز الدين ابن جماعة، وعانى الأدب فمهرَ وطارحَ الصَّلاح خليل الصَّفَدي قديمًا، وكتب عنه الصَّفَديُّ في «ألحان السواجع»، ولازمَ الجلوسَ بحوانيت الشُّهود لتحمل الشَّهادات، ثم تَخَصَّصَ بالبدر محمد بن فَضْل الله كاتب السِّر فولاه تَوْقيع الدُّرْج بعد سنة تسع وسبعين وسبع مئة، فلما عزل ابن فَضْل الله بأوْحد الدين عبدالواحد بن ياسين في سنة أربع وثمانين وسبع مئة انجمعَ عنه رعايةً لابن فَضْل الله، وما زالَ على حاله من الانجماع حتى ماتَ يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة سنة خمس وتسعين وسبع مئة وقد أناف على السَّبعين.

وكان لي به اجتماع. قال لي مرة: مَثَل الشِّعْر كالذَّهب يُجْلب من

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ١٨٩.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٧٩٢، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٤٨٤، والدرر الكامنة ١/ ٤٧٩، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٣٥، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٣٦٨.

مَعْدنه إلى الأمصار تِبْرًا فينوِّعُهُ الصَّائغُ ما بين مَضْروُب ومَصُوغ أواني مختلفة، ويُطَرِّز به الألوان المُفَنَّنة، وهكذا الشعر إنما عُرِفَ عن العرب جَزْلَ الألفاظ فحلَ المقاطع والمبادي، بديعَ الأسلوب، فلما بَرَع المُحْدَثون تأنَّقوا فيه وتَنَاغَوا بعَجِيب البَدِيع من الجناس وغيره من الأنواع، فنَمَّقُوا الشِّعْرَ وهَذَّبوه، واخترعوا المعـاني البَديعة وأتوا بالمُرْقِص والمُطْرِب، ثم استحدثوا فنونًا أُخَر من الشِّعْر كأنها أجنبية أو غربية عنه كالدُّوبيت، والمواليا، والزَّجَل، والمُوَشَّح، والقُوما، وكان وكان، فجاؤوا في كُلّ فن من هذه الفنون بالسِّحْر المُبين والعَجَب العُجاب.

وكان له شعرٌ كثيرٌ لم يُقَدَّر لي أن أكتب عنه شيئًا، ثم رأيتُ بخطه مختارًا من شعره فعَلَّقت منه:

مَنْ لِي بماضي زَمَانٍ قد قَطَعْتُ بهِ على الغَضَا غَضَّ عَيْشٍ كانَ وانقرَضا
حَلاَ فَمَرَّ كَضِيْفِ الطَّيْفِ حين سَرَى مُسْتَـوفِـزًا أو كَبَـرْقٍ خَـاطِـفٍ ومَضَـا

ومنه:

قد عَاوَدَ الحُبُّ قَلْبي بَعْدَ سَلْوَتِهِ واسْتَعْذَبَ الضَّيْمَ والتَّعْذِيب والنَّصْبَا
وكـانَ أقْسَـمَ لا يَصْبُـوا لظبـي نَقًـا ممـا رَأى فـي هَـوَى غِـزْلانِـهِ وصَبَـا

٨٩- أبو بكر بن علي بن حجَّة[١] الحَمَويُّ، تقيُّ الدين[٢].

ولد بحَمَاة على ما أخبرني في سنة سبع وستين وسبع مئة تخمينًا.
لَقِيْتُه مرارًا أوَّلها بدمشق في صفر سنة ثِنْتي عَشْرَةَ وثمان مئةٍ فأنشدني لنفسه:

---

(١) قيده السخاوي في الضوء اللامع ١١/ ٥٣ فقال: «بالكسر، باسم الشهر».
(٢) ترجمته في: السلوك ٤/ ٩٣٣، والدر المنتخب، الترجمة ٤٠٧، وإنباء الغمر ٨/ ٣١٠، والنجوم الزاهرة ١٥/ ١٨٩، والدليل الشافي ٢/ ٨١٨، والضوء اللامع ١١/ ٥٣، ووجيز الكلام ٢/ ٥٣٢، وحسن المحاضرة ١/ ٥٧٣، وشذرات الذهب ٧/ ٢١٩، والبدر الطالع ١/ ١٦٤.

قُلْتُ للخَالِ إذْ بَدَا فِي نَقَى جِيدِه السَّعِيد
فُزْتَ يا عَبْدُ قالَ لي: أنا عَبْدٌ لكُلِّ جِيدِ

وأنشدني لنفسه:

هَوِيتُهُ عَجَمِيًا فَوْقَ وَجْنَتِهِ لامِيَّةٌ عَوَّذَتْها أحْرُف القَسَمِ
في وَصفها ألْسُنُ الأقْلامِ قد خَرِسَتْ وظل شَرْحي في لاميَّة العَجَم

وأنشدني لنفسه:

تُحاضِرُني بأبياتٍ ولكن تغايرني لأجل اجتماعي
فأُنْشِدُها لأشعارِ السَّلامي وتُنْشِدُني لأشْعارِ الوداعي

وأنشدني لنفسه:

عَزَمْتُ على السُّلُوِّ لِطُول هَجْري فجاءتني عَوارِضُهُ بعارضْ
وكانَ العُذْرُ يُقْبَلُ في سُلُوي ولكن ما سَلِمْتُ من العَوَارِضْ

وأنشدني لنفسه:

كَتَمْتُ طَيْفَكَ لما زَارَني فَبَدا لرُؤيَتي من عَبِير الخَال تَعْبيرُ
وحُمْرَةُ الخَدِّ أبْدَتْ خَيْطَ عارِضِهِ فَخِلْتُ كأسَ مُدَام وهوَ مَشْعُورُ

وبلغنا بدمشق أن بمدينة حماة وباءً فأخبرني أنه ابتدأ في فصل الربيع، وأنه أحصى في مدة ثلاثة أشهر من مات بها من الصِّبْيان خاصَّةً بالطَّاعون فكانوا سبعة آلاف صبي.

وأنشدني في طاسة:

أنا طَاسَةٌ بَيَّضْتُ وَجْهي عِندَكُم وَصَفا لكُم قَلْبي بمَاءٍ رَائِقِ
عَذُبَتْ مُشَارِبُهُ ببَارِقِ مُهْجَتِي فتَنَزَهُوا بين العَذِيب وبَارِق

وفيها:

أنا طَاسَةٌ قَدْرِي سَمَا وبرَوضَتي نَهْرُ المَجَرَّة للنُّجوم مَوَارِدُ
وتَسَادَحَ القَمَرُ المُنِيرُ بحُسْنِه فقَمَرْتُهُ وعليه نَقْشِي قَاعِدُ

ولما قُتل الملكُ الناصرُ فَرَج، واستولى على مُلْك الديار المصرية

الأميرُ شيخ وتلقب بالملك المؤيَّد، قَدِمَ عليه ابن حِجَّة في شوالِ سنة خمس عشرة وثماني مئة، وكان قد قُبِض على فَتْح الدين فتح الله كاتب السِّر ووَلِي مكانه ناصر الدين محمد البارِزي الحَمَوي، وكان هو وابن حَجَّة ممن يجالس المُؤيَّد في خَلواته ومجالس لَذَّاته منذ كان في البلاد الشامية، فأكرمَ السُّلطان مثواه، وَرتَّبَ له ما يقوم به، وصار أحد مُوقعي الدَّست.

ونوه كاتبُ السِّر بذكره فرسم أن يتولَّى إنشاء ما يُحتاج إليه في الدِّيوان فاشتهر وبعدَ صيتُه، وباشرَ عدة أنظار فأثرى وصار يُعَدُّ من الأعيان، فلما مات ابن البارزي والمؤيَّد باشرَ في أيام عَلَم الدين داود بن الكُوَيز الإنشاءَ ولم تتمشَّ أحوالُهُ كما كانت فتَقَلَّق من إقامته بالقاهرة لفقد ما أَلِفَ، وعاد إلى حَمَاة في سنة ثلاثين وثماني مئة وتوفي بها في خامس عِشْري شعبان سنة سبع وثلاثين وثماني مئة، وهو أحد أُدباء العصر المُكْثرين المُجيدين، وله مصنفات في الأدب منها «شرح بديعية» نظمها أبدع فيه ما شاء وسمعته عليه، رحمه الله.

٩٠- أبو بكر بن عليّ بن سالم بن أحمد الكِنَانيُّ العامريُّ، تَقِي الدين المعروف بقاضي الزَّبَداني(١).

ولد في أول ذي الحجة سنة خمسين وسبع مئة، واشتغل فبرع في الحِسَاب، وشاركَ في الفقه على مذهب الشافعي رحمه الله، ووَلِيَ قضاءَ بَيْروت وبَعْلَبَك، وقَدِمَ إلى مِصْر فأوَّل ما لقيته بها في سنة أربع وثماني مئة، واجتمعتُ به كثيرًا. ولما وردتُ دمشق من سنة عشر وثماني مئة وإلى سنة خمس عشرة لازَمَني، فإذا رجل معرفة ومروءةٍ ودراية بالفقه والأصول، ويَدٍ طُولَى في الفرائض والحِساب ومُشاركة في عدة فنون.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/١٥٣- ١٥٤، والدليل الشافي ٢/ ٤١٩، والضوء اللامع ١١/ ٥٢، وشذرات الذهب ٧/ ١٢٤.

ومات بدمشق يوم الأربعاء أوَّل جُمادى الأولى سنة خمس عشرة وثماني مئة[1].

أخبرنا القاضي الفقيه تقي الدين أبو بكر بن علي العَامِري عند قدومه إلى مصر في الجَفْلَة لورود الطاغية تيمُورلنك بجموع العساكر إلى دمشق أنه لما وقع في أسر التَّمُرِية كان مما قال له الذي أسره: يا أهل دِمشق أما علِمْتُم أنا قادمون عليكم؟ قال: فقلت: ومن أين لنا علمُ ذلك؟ فقال: أما كنتم تسمعون الأطفال في الليل تُكْثِر من البكاء؟ أما كنتم تسمعون الدِّيَكَة وقد كَثُر صياحُها في أول الليل؟ أما كنتم تسمعون الكلابَ وقد كَثُر نُبَاحها؟ قال: فقلت: وإذا كان كما قلت فما يكون؟ قال: ذلك دليلُ الفِتَن.

قال كاتبه: وأذكر في هذا الخبر أنه لما كان في سنة إحدى وتسعين وسبع مئة قال بعض من حَضَرني ليلةً: قد كثر تتابُعُ صِياحُ الدِّيَكة، وقد جُرِّبَ أنه إذا كثر صياحُها أوَّل الليل عِشاءً، فإنه تكونُ فِتْنَةٌ وحَرْبٌ، فجعلتُ من حينئذٍ أتتَبَّعُ ذلكَ وهي على حالها، كثيرةُ الصيَّاح عِشاءً، فلم يكن غير قليل حتى كانت فتنة الأمير يَلْبغا الناصري وخَلْعُ الملكِ الظَّاهر بَرْقوق، فاستَقْرَيْتُ ذلك مدةً فقلَّ ما سمعتُ صياح الديكة يتتابع عشاء مدة أيام إلا وحدثت في البَلَد حربٌ وفِتْنة.

ولقد أخبرني من لا أتَّهِمُ من أهل الرِّيف أن عجائز الرِّيف إذا تكاثر صِياحُ الدِّيَكَةِ عندها في أول الليل تَرَقبَتْ عَزْلَ الشَّادِّ بتلك القرية.

أنشدني تَقِيُّ الدين أبو بكر بن علي العَامِري:

أموتُ جَوًى دَهْرِي وما زُرتُ بابَهُ جُفُوني هَمَتْ وبلاً إلى بَائِنٍ دَاني

قال: وتَعْلَم من هذا البيت أوائلَ الشهور العربية بالرُّؤية، وذلك أن تعرف بأيِّ يومٍ تهلُّ السَّنة العربية، ثم تنظر الشَّهْرَ الذي تريدُ معرفةَ أوَّله كم هو من شُهور السنة، ثم تجعل لكلِّ كَلِمة من البيت شَهْرًا من أشهر

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر ٧/ ١٥٤ في ذي الحجة من سنة ٨١٧.

السَّنَة حتى تفرغ ما معك، فإذا انتهى العَدَدُ إلى كلمة من البَيْت انظر ما أوَّلُ حرفٍ منها فخذ ماله من عدد حروف الجُمَّل، وعُدَّ به من اليوم الذي أَهَلَّت به السنة، فحيث انتهى العدد فإنه أول الشَّهْر المطلوب. مثال ذلك: أهلَّتِ السنةُ بيوم الثلاثاء، وأردت معرفة أول شعبان منها بالرؤية ما هو من أيام الأسبوع، فإذا شعبان هو الشهر الثامن من السنة والكلمة الثامنة من البيت «همت» أولها حرف الهاء، والهاء عددها في حساب الجُمَّل خمسة، فإذا عَدَدْتَ من يوم الثلاثاء الذي هو أول السنة بالرؤية خمسة أيام كان أول شعبان منها يوم السبت بالرؤية، وعلى ذلك فقس. وهذا من أجلِّ الفوائد. قال: وإذا كان أول السنة مُخْتَلَفٌ فيه كان الشهر الذي تستخرج أوله مُخْتَلَفٌ فيه أيضًا، بخلاف ما إذا رؤي هلال المحرم من غير اختلاف فإنه يخرج الشهر المطلوب بغير خلاف.

ومن غريب ما شاهدته من تقيِّ الدين العَامِري أنه أمر سبعة أنفس هو أحدهم فقعدوا ثلاثة تجاه ثلاثة، وجلس هو بصَدْر الصَّفَّين، وأمر آخر فاستلقى على قفاه ووضع إصبعه السبابة تحت رأس الرجل المستلقي وأمر الستة الأخر فوضع كل منهم سبابته تحت جنبه المستلقي، وابتدأ فقال في أُذُن الرجل الذي بحذائه من الستة سرًّا بحيث لا يسمعه الذي بجانبه: «أيش الخبر» فقالها ذلك الرجل كما قيلت له في أذن الرجل بحذائه، وقالها ذلك للآخر وقالها الآخر للآخر حتى انتهى القول للسابع وهو الذي ابتدأ بالقول، فقال ثانيًا للذي إلى جانبه، وابتدأه أولاً بما تقدم: «شاع الخبر» فأدارها الجماعة كما أداروا القول الأول، فلما انتهت إليه قال ثالثًا للذي إلى جنبه: «مات الحَجَر» فسارَّ بعضهم بعضًا بها حتى وصلت إليه، فقال للذي يليه مرة رابعة: «بأي شيء ندفنه» فأقرها ذلك في أذن من يليه، واستداروها حتى وصلت إليه، فقال مرة خامسة لمن يليه: «بالصفير» فقالها البعض للبعض حتى انتهت إليه فصفَّر وصفَّر بتصفيره الستة الأخر دُفعة واحدة، ورفعوا الرجُلَ المستلقي بينهم على أصابعهم، وقاموا قيامًا على أرجلهم، وعلوا بالرجل فوق أرؤسهم وهو

محمول على أصابعهم ولا يجدُون له ثقلاً البتة. وكنت أنا أحد الستة، فلما ارتفع حططناه إلى الأرض وقضينا العجب مما رأيناه، وأحببنا الازدياد من ذلك. وأردنا رفع ذلك الرجل من غير أن ندير بيننا الكلام المذكور، فو الله لم نطق تحريكه بأصابعنا فضلاً عن حَمْله، فضلاً عن رفعه بأيدينا حتى علا على رؤوسنا، فأعدنا الكلامَ كما تقدم فارتفع معنا كما ارتفع أول مرة، فأخذنا نكرر هذا العمل حتى ما بقي منا أحد إلاورفعناه بهذه الطريقة، وكنا فوق العشرة.

قال: والشرطُ في صِحَّةِ هذا العمل أن لا يضحك أحد من الجماعة، فإن ضَحِك أحد في المجلس لا يمكن أن يُرفع المحمول، ومتى ما ضحك أحد بعد ارتفاعة عن الأرض فإنه يسقط في الحال، فأردنا تجربة هذا أيضًا فعملنا ما تقدم وصَفَّرنا ونهضنا وقد ارتفع معنا فضحك بعضُنا فإذا بالرجل المحمول قد انحط منا إلى الأرض فلولا قرب المسافة وإلا تألَّم.

قال: وتحمل بهذا العملِ ما شئتَ من الأحجار الثِّقال وغيرِها بالغةً ما بَلَغتْ.

ثم أخبرني بصحة ذلك غيرُ واحدٍ، ولكني أنا عايَنْتُ صحةَ ذلك، وليس الخبرُ كالمعاينة.

وأخبرني تقي الدين الخطيب العَامِري، قال: أخبرني ثقةٌ أنه جَرَّب إذا عُلِفَت سبعُ دجاجات تبيض نخالاً قد لُتَّ بـدم تَيْس مدة أسبوعٍ لا تطعم غير ذلك، ولا يتعرض لشيء من بيضها فإنه لا ينفع، ثم تُعْلَف أسبوعًا ثانيًا فإنه يجتمع عنده في هذا الأسبوع الثاني سبع بيضات فتأخذ صَفَارها فقط وتجعله في قارورة من زجاج وتسد فاها وتتركها أسبوعًا، ثم تنظرها بعد الأسبوع فإذا صفار البيض قد دَوَّد فتعلفُ ذلك الدود من النخال الذي قد لُتَّ بدم التَّيْس مدة أسبوع آخر، فإذا انقضى الأسبوع الذي عُلِفَ فيه الدُّود تركته أسبوعًا آخر، فإن الدود في الأسبوع الثاني يأكل بعضُه بعضًا ويبقى منه دودة واحدة كبيرة، فتخرجها من القارورة وتتركها حتى

تموت، ثم تسحقها على صلايَة بفهْر[1] سحقًا بالغًا، وتتركها حتى تجفَّ، ثم تعيد السَّحق وتجففها، تتعاهد ذلك مدة أسبوع، في كل يوم تسحقها وتجففها في الشمس. وليكن ذلك والشمس في برج السَّرَطان لشدة الحر إذ ذاك. فإذا أردتَ تَصْفِير الفِضَّة فخذ جزءًا من هذا المسحوق بعد أن تُذيب الفِضَّة ثم ألْقِه عليها فإنها تَصْفيرَة عجيبة. وهذا موكول إلى التَّجْربة.

٩١- أبو بكر بن علي بن يوسف الهاشميُّ الحُسَيْنيُّ[2].

من أهلِ المَوْصل، قَدِمَ إلى مِصْرَ واتخذها وَطَنًا، ومال إلى مُطالعة كتب الحديث والعَمَل بالظَّاهر؛ طريقة أبي محمد بن حَزْم. وكان يستحضرُ الكثيرَ من أحاديث البخاري بأسانيدها، مُذَاكرًا بطائفة من كلام شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة وغيره، متابعًا لسنة رسول الله ﷺ، مقاسيًا لآلام الفَقْر وثقلِ الجناح بالعِيال، يحترفُ لهم ويَتكَسَّب ما يسد رَمَقَهُم به، ثم صَفِرَت كَفُّهُ من المال في مُدَّة الحوادث والمحن بعد سنة ست وثماني مئة، وساءت حالُه، وتعالت سِنُّه، وهو مع ذلك متوجه إلى طاعةِ رَبِّه فقيَّضَ الله له من رحمته فتحَ الدين فتح الله كاتب السِّرِّ، فأنعشَهُ باليسير من ماله، وقَرَّرَ له وظيفةً يجد منها ما يسد به بعضَ الرَّمَق إلى أن ماتَ وقد تبين فيه الهرم بظاهر القاهرة في يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى سنة خمس عشرة وثماني مئة.

أخبرني الشيخُ الشريفُ الثقةُ السُّنيُّ أبو بكر بن علي بن يوسف الحُسَيْنيُّ، قال: أخبرني الثقة العَفِيف المتدين عُمر بن سُليمان أنه رأى ببلد كَرْنَغ من قُرى المَوْصل أخوين كانا متشابهين تشابهًا لا يُمَيِّز الحاذقُ

---

(١) الصلاية: حجر عريض، والفهر: حجر يكون بقدر قبضة اليد.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٨٢ والمجمع المؤسس، الورقة ١٩٢، وذيل الدرر، الترجمة ٣٩٩، والضوء اللامع ١١/ ٦١. وهكذا وقع نسبهُ في المسودة والأصل، وفي جميع موارد ترجمته: «الحَسَني».

الفَطِنُ عند التأمل أحدَهما من الآخر، وكانا جيرانه، وتحت كلٍّ منهما امرأةٌ لا تعرف زَوْجها من أخيه إذا دخل إليها إلا بما تَثِقُ به من قوله أنه زوجها.

قال: وكان عُمَر هذا عفيفًا بلغ من عِفَّتِهِ أنَّ ابنَ عَمِّه كانت تحته امرأةٌ تهوى عُمر هذا، وكان رجلاًجميلاً، فبلغ بها حُبُّه أنْ كانت إذا دخل إلى منزل ابن عَمِّه تقومُ إليه وتُلقي نفسها عليه، وتعرض نفسها له من غير احتشام فيمتنعُ عنها، فإذا كَثُر إلحاحها وعِيْلَ صَبْرُه لكثرة الغُلْمَةِ ألقى نفسه إلى الأرض وخَارَ كما يَخُور الثورُ من شدَّة ألم الشهوة، وما زال على طريقته في العفةِ عنها مع كثرة تَعرُّضها إليه وعَرْضِها نفسها عليه حتى مات ابن عَمِّه وتزوَّجها من بعده وتمتع كل منهما بصاحبه، والعاقبة للمتقين.

وأخبرني الشيخ الشَّريف أبو بكر أنه تزوج بامرأة كانت قبله تحت رجل من ديار بكر العليا في قرية منها يقال لها الدُّنَين، وأن بعض جاراتها من الفُقراء خرجت لتلتقط من وراء الحَصَّادين ما لعله يسقطُ منهم عند الحصاد، فتركت ابنها، وكان مُرْضَعًا، بمكان من الأرض، وغَدَتْ تَلْتَقِطُ، فلما رجعت إليه إذا بحيةٍ عظيمةٍ قد ركبت صدر الصبيِّ، وأدْلَعَتْ لسانَها تَلْحَسُ شَفَتَيْهِ، فصرخت المرأةُ لهَوْل ما عايَنَت، واجتمعَ الناسُ إليها لا يَدْرونَ ما يعملون، فانتبه الصبيُّ، وكان راقدًا، وتحرَّك حتى خرجت إحدى يديه من قُمْطِه، وقبضَ بها على الحيةِ، فصادفت يَدُه مخانِقَها، وفَحَصَ برجليه وبَكَى، وزاد اضطرابه وظَغْطُه للحية، والناس ذاهلونَ قد تَحيَّروا في أمرهم، إن ضربوا الحية ماتَ الصبيُّ من ضربتها، أو تركوها لا يأمنوا أن تَلْسَعَهُ. وبينا هُم في ذلك إذ انساب ذَنَبُ الحيةِ وارْتَخَتْ، فقال بعضُهم: قد كفى الله أمر الحية، إنها ماتت وأمر أمَّ الصبيِّ فأتته وأخرجت ثديها ووَضَعَتْهُ عند فم الصبيِّ ففَرَّجَ أصابعَهُ عن مخانق الحية وتناول الثديَ وارتضَعَهُ، وضرب القومُ الحيةَ حتى هَلَكَتْ، فعُدَّ هذا من عجيب صُنع الله بعباده، وخَفِيِّ لُطفه كيف ألهمَ الطفلَ

الصغيرَ العاجزَ من كل وَجْهٍ أن يُحيطَ بأصابعه على مجاري نَفَس الحية حتى انحلَّت إما بالموت أو بانقطاع نفسها وبُطلان حركتها، فسبحانَه من إلهٍ لطيف لما يشاء، إنه هو العليمُ الحكيم.

٩٢- أبو بكر بن يوسُفَ بن محمدٍ، زينُ الدين أبو محمد ابنُ جمالِ الدين ابن ناصر الدين الصوفيُّ المعروفُ بالنَّشَائيِّ الأعرج(١).

سمع الحديث، ووَلِيَ مَشْيَخَة الرِّباط بخَانكَاهِ بَيْبَرس. قرأ «صحيح البخاري» على زين الدين أبي محمد عبدالرحمن بن علي بن محمد بن هارون التَّغْلبي بسماعه من أبيه ومحمد بن أبي الحَرَم مَكِّي بن أبي الذِّكْر الصِّقلي.

مات يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول سنة أربع وتسعين وسبع مئة، وكان من خَيْر أصحابي، فرأيته بعد موته في منامي، وسألتُه عما فعل الله به فقال: رأيتُ من الخَيْر ما لا أقْدِرُ أُعَبِّر عنه بأنه يشبه كذا. فقلت له: أيُّ الأعمال وَجَدْتَها عندَ الله أحْظَى؟ فقال: الذهب الذي أنفَقْتُه بمكَّة، والدراهمُ التي أنفقتُها بالإسكندرية. رحمه الله، فإنه كانَ خيِّرًا.

٩٣- أبو بكر البِجائيُّ المَغْربيُّ(٢).

حصلَ له اختلاطُ عَقْلٍ فاتخذه الناس جنانًا وعكفوا عليه، واعتقدوا فيه من التصرف في الأكوانِ ما ينفردُ الله، جَلَّت قدرتُه، به، وزعموا فيه مزاعِمَ لم يَبْلُغها بَشرٌ قَطُّ، مع كونه يتظاهَرُ بالأكلِ في نهارِ رمضانَ، ولا يتوجَّهُ لصلاةٍ قَطُّ. وبلغَ من غُلوِّهم فيه أنه لما ماتَ يومَ السبتِ خامس جُمادى الآخرة سنةَ سبعٍ وتسعينَ وسبع مئة غَسَلَ شَخْصٌ رِجْلَيْه بعد موته وشَرِبَ غِسالَتَهما تَبَرُّكًا بها. وندب السُّلطانُ بعضَ خَواصِّه للقيام

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٥٠٣، وإنباء الغمر ٣/ ١٢٨.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٨٤٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٦٠، والدرر الكامنة ١/ ٤٧٥، وإنباء الغمر ٣/ ٢٥٩، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٤٣، والدليل الشافي ٢/ ٨٢٤. ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٤١٥، وفي الدرر والإنباء اسم أبيه عبدالله.

بمُواراتِهِ، ودفعَ إليه مِئتي دينارٍ ذَهَبًا. فكانت جنازتُه تخرجُ عن الحَدِّ لِكَثْرَةِ من اجتمعَ فيها من الناس، ودُفن خارجَ بابِ النَّصْرِ، عفا الله عنه.

٩٤- أحمد بن إبراهيم بن إسحاق الغَزَّاوي، شهابُ الدين[١].

كان أبوه أحد نُوَّاب القُضاة الشافعية، ونشأ فتعلَّقَ بالمُباشَرات، ووَلِيَ خطابة المدرسة الصَّالِحية النَّجْمِية، وشَهادة الإصْطَبْل السُّلْطاني.

وكان لطيفَ العشرة، كثير الدُّعابة، صَحِبْتُه مُدَّةً، ومات يومَ الاثنين آخر صَفَر سنة تسع وثمانين وسبع مئة، ودُفن بحُوشِ الصُّوفية.

٩٥- أحمدُ بن محمد بن محمد بن محمد بن عَطَاء الله بن عَوَّاض بن نَجَا بن حَمُّود بن نَهار بن مؤنس بن حَاتِم، من ولد الزُّبَيْر ابن العَوام رضي الله عنه، أبو العَباس، قاضي القضاة ناصر الدين ابن قاضي القضاة جمال الدين ابن قاضي القضاة شمس الدين، التَّنسِيُّ[٢].

وَلِيَ أبوه وجدُّه قضاءَ الإسكندرية، وشُهِرا بالعِلْم. ووُلِد بالإسكندرية، وبرعَ في أنواع العلوم. ووَلِيَ قضاءَ الإسكندرية في شهور سنة إحدى وثمانين وسبع مئة. وتردد فيه غيرَ مرَّة يتعاقب هو وابنُ الرَّبَعي الولاية، وقَدِمَ إلى القاهرة مِرارًا، ودَرَّس بها، ثم وَلَاه الملك الظاهر بَرْقوق قضاءَ القضاة المالكية بالدِّيار المصرية بعد الشهاب أحمد

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٥٧٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٢٥، والدرر الكامنة ١/ ٨٦، وإنباء الغمر ٢/ ٢٦٣، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ١٦١.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٩٧٦، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٨٠١)، وذيل الدرر، الترجمة ٧، وإنباء الغمر ٤/ ٤٦، ورفع الإصر ١/ ١٠٧، والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٠، والدليل الشافي ١/ ٨٢، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ٢٩، والضوء اللامع ٢/ ١٩٢. وبغية الوعاة ١/ ٣٨٢، وحسن المحاضرة ١/ ٤٦١، وشذرات الذهب ٧/ ٥. وسيعيده المصنف برقم (٢٦٤). ونسبته: التَّنسي بفتح المثناة والنون نسبة إلى «تَنَس» بلدة بآخر إفريقية مما يلي المغرب، قاله السخاوي وغيره.

النَّحريري في يوم الأربعاء رابعَ عِشري ذي القَعْدة سنةَ أربع وتسعين وسبع مئة، فباشر القضاءَ حتى مات ليلةَ الخميس أولَ شهر رمضان سنة إحدى وثماني مئة.

وكانَ فقيهًا، نحويًا، أصوليًّا، لغويًّا، منطقيًّا،جدليًّا، كتب على «تَسْهيل» ابن مالك شَرْحًا لم يكمله، وشرحَ «مُخْتَصَري ابن الحاجب» في الفقه والأصول،وشرح «كافيةَ ابن الحاجب» وغير ذلك. وكان من الأمْلِياء الأغنياء يُكْثِرُ من مُعاملةِ الناس ومن المَتْجَر فعَفَّ في ولايته عن الأموال، وعاشرَ النَّاس بسلامة صَدْرٍ وطهارةِ ذَيْلٍ وعِفَّةِ فَرجٍ، وكَفَّ اللسان عن القَذْع والفُحْش فلم يُعرف له تنكيلٌ بأحدٍ ولا مكروهٌ لَمْخلوقٍ، ولم يُرْمَ بسوء، رحمه الله،فلقد صَحِبْتُهُ مدةً واستفدتُ منه، وكان أحدَ أعيانِ قُضاةِ مصر.

٩٦- أحمد بن عيسى بن مُوسى بن عيسى بن سَلِيم بن سالم[1] ابن جَمِيل بن رَاجِح بن كَثِير بن مُظَفَّر بن علي بن عَامِر، أبو عيسى عِماد الدين الأزْرَقيُّ العَامِريُّ الكَرَكيُّ الشافعيُّ[2].

ولدَ بكَرك الشَّوْبَك من أرض البَلْقاء في ثالث عِشْري شعبانَ سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، ونشأ بها في إيَالةِ أبيه قاضي الكَرَك حتى مات في خامس ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وسبع مئة. وكان فقيهًا اشتغل على قاضي القضاة تقي الدين السُّبْكي، وقد أقرأه بعد القرآن العظيم كتاب «المِنْهاج» في الفقه للنَّوَوي، وكتاب «جامع المختصرات» وغير

---

(١) في الضوء اللامع ٢/ ٦٠: «عيسى بن سليم أو سالم»، وفي الإنباء: «موسى بن سليم بن جميل» وجمع المقريزي بينهما، فقال: سليم بن سالم بن جميل».

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٩٧٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٨٠١)، وذيل الدرر، الترجمة ٥، وإنباء الغمر ٤/ ٤١، ورفع الإصر ١/ ٩٢، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٣، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٢٤٩ و٣٠٥ و٣٠٦ و٣٥٠ و٣٥٦، ووجيز الكلام ١/ ٣٣٧، والضوء اللامع ٢/ ٦٠، والأنس الجليل ٢/ ١٠٩، وشذرات الذهب ٧/ ٤.

ذلك، وسمع بالقاهرة من أبي نُعَيْم ابن الإسعردي وابن شاهد الجَيْش، ويُوسُف الدِّلاصي، وأجازه جماعةٌ. وسمع بالقدس من محمَّدِ بن إبراهيم الشافعي سنة اثنتين وستين، وحَدَّث بالكَرَك، وخرَّج له بعض أهل مصر «مشيخة» وقفتُ عليها، وأعلى ما عنده المَيْدومي، بل عنده أبو نُعَيْم الإسعردي، سمع عليه سنة أربع وخمسين، وأحمد بن عُبيد الإسْعَردي سمع عليه سنة خمس وأربعين، وإسماعيل بن إبراهيم التفليسي سمع عليه سنة ست وأربعين، وعبدالرحيم ابن شاهِد الجيش سمع عليه فيها، والدِّلاصي، والواداشي سمع عليه سنة تسع وأربعين، وابن المِزِّي سمع عليه فيها، وعبدالعزيز بن أبي الذر سمع عليه سنة ثمان وأربعين، وناصر الدين ابن المُلُوك في سنة ست وخمسين. وبالإجازة الذهبي وابن عَدْلان؛ هذه عواليه.

فولي قضاء الكَرَك بعد أبيه، ونما ماله الذي اكتسَبَه من رِبَاعِهِ وعَقاره الموروث عن أبيه، وعَظُمَ قَدْرُه بحيث صار أهل مدينة الكَرَك وما حولها من القُرَى لا يَرِدون ولا يَصْدُرون إلا عن رأيهِ ومَشُورَتِهِ، فكان إذا رضي نائبًا من نواب السَّلْطنة بالكَرَك مَشَتْ أحوالُه مع الرَّعية واستقامَ أمره وإن كَرِه نائبًا ثَوَّرَ العامَّة عليه وأغْراهُم به فيفْسُدُ سلطانه، وتأتى هذا له بما شُهِرَ به من الدِّيانة والصَّرامة، ولما لَهُ من قوم أبيه، وأهْلِ عصَبيته الذين هم طائفة قَيْسٍ أهل الشَّوْكَة والعدد فلم يزل على هذا إلى سَجْن الملك الظَّاهِر بَرْقوق بسِجن الكَرَكِ من قَلْعَتها في سنة إحدى وتسعين وسبع مئة، وثارَ عَوَامُّ البَلَد وأخرجوه، قامَ علاءُ الدين علي بن عيسى المُقَيْري أخُو القاضي، وهو حينئذٍ كاتبُ سِرِّ الكَرَك. بخدمة الظَّاهِر ومعاونته هو وأخوه القاضي. فلما عادَ الظاهرُ إلى تَخْتِ مُلْكه بقلعة الجبل استدعى العَلاءَ المُقَيْري وأقرَّه في كتابة السِّرّ بديار مصر. ثم حضرَ العمادُ فلم يتأخر أحدٌ عن لقائه من الأعيان، وأجلَّ السلطانُ مَقْدَمه، ثم استدعاه وفَوَّض إليه قضاءَ القُضاة بالدِّيار المصرية عِوَضًا عن البَدْر محمد بن أبي البَقاء في يوم الاثنين ثالث شهر رجب سنة اثنتين وتسعين، فكُتِبَ له عن السُّلطان

«الجَنَاب العالي» ولم يُكْتب لقاضٍ قبله، وإنما كان يكتب للقضاة «المجلس العالي» فاستمر ذلك من بعده للقضاة. وباشر القضاء بعفة وصيانة ومهابةٍ كبيرةٍ، وحُرْمة وافرةٍ، إلا أنه نُقِمَ عليه كَثْرَةُ ترفُّعه وشدَّةُ حِجابه وقلَّة دُرْبته بحالِ البَلَد، وقام بمعاداته أبو عبدالله المَغْربي، وكان فقيرًا قد سكن الكَرَك، وأوَى إلى ظِلِّ القاضي فكَنَفَه وأفْضَلَ عليه، فاتصل بالظاهر لما ثار به أهل الكَرَك، ثم قَدِمَ عليه بقلعةِ الجبل، فجَنَفَ على العِمَاد وكافأه على إحسانه إليه بكلِّ سُوء، وشَنَّع عليه عند السُّلطان، وأثبت في ذِهْنه أنَّ العمادَ كان بالكَرَك لما خرجَ السُّلطانُ من القلعة يُحَسِّن لأهل البلد القَبْضَ على السُّلطان، ويخوفهم عاقبة فعلهم ونحو ذلك، وأعانَه على قَصْدِه الأميرُ بو يزيد الدَّوادار لِرَدِّ العِمادِ رسائله، وكان هذا دأبَه لايُوَلِّي أحدًا برسالة ولا بشفاعة، بل الولاية عندهُ بالاستحقاق على ما يراه، أو بالسَّبْق لطلب الوظيفة إذا شَغَرت، فإذا رُفعت له قِصَّة كتب عليها «سبـق»، فلو تكلم معه أهلُ الدولة كلُّهم في ولاية غير السَّابق لا يجيب بوجْـهٍ، وعُرِفَ بذلك فتَوَصَّل الضعيفُ والعاجزُ إلى ما يُريدُ بحسب سَبْقه، وحُرِم القَوِيُّ صاحبُ الجاه ولم يُغْنِهِ سلطانُه. واتفق مع ذلك أن السُّلطانَ لما عَزم على السَّفَر إلى الشَّام التمسَ منه قرضَ أموالِ اليَتامى، فصعد إليه ومعه مُصْحفٌ شريف وقال له: سألْتك الله مُنْزِلَ هذا القرآن لا تَتَعرَّض لأموال اليتامى. وذَكَّره بما مَنَّ الله به عليه من خلاصِه وعَودِه إلى مُلْكه ونحو ذلك، فلم يعجبه ذلك وكَتَمَهُ في نفسه وحَقَد عليه. وكذا كان الظاهرُ لا يَحْتملُ معارضَته فيما يريد، لكنه لا يُبدي ذلك، ويتربَّصُ بمـن عارَضَه الدَّوائر، فأمسـكَ عن طلب المال، وسافر ثم عادَ، فأصغى لما يقوله أبو عبدالله وبـو يَزيد الدَّوادار في حقِّ العِماد من أنه غيرُ عالمٍ ولا عارفٍ بأحوال الناس ونحو ذلك، فصرفَه بالصدر محمد المناوي في يوم الاثنين رابع المحرم سنة خمس وتسعين، وأُقِرَّ معه بنظر وقَفِ الملك الصالح إسماعيل بقُبَّـةِ المَنْصورية وتَدْريس الشافعية به، وتدريسِ الفقه بالجامع الطُّولوني إعانةً له. فلزِمَ دارَهُ وباشرَ

هذه الوظائف، وصار يتردَّدُ إلى حَضْرِة السُّلطان فيجلُّه ويبالغُ في كَرامِته. وكان هذا أيضًا من أفعال الظَّاهر أنه يُبالغ في إكرام من يعزلُه عن منصبٍ إذا لقيه، ولا يدعُه بغير رزقٍ يجري عليه، فإما يُعطيه وظيفةً أو يجعل له راتبًا سُلْطانيًا.

ولم يزل العمادُ بعدَ صَرْفه عن القضاء مَرْعيَّ الجانب، محترم الجَنَاب، مُقبلاً على تلاوة القُرآن والصِّيام وقيام الليل، مع كثرة الحاشية وإظهار التجمُّل وتردادِ الأعيان لبابه، حتى شغرتْ خِطَابَةُ المسجد الأقصى وتدريسُ المدرسة الصَّلاَحية بالقُدس، فسألَ السُّلطان في ذلك فقلَّده إيَّاه، وسافرَ في ثاني عشري جُمَادى الآخرة سنةَ تسع وتسعين وسبع مئة من القاهرة، فنزل القدسَ، وباشرَ الخطابة والتدريس، وأكثرَ من النُّسك وازداد انجماعًا عن النَّاس وشُغْلاً بالله في نِعْمةٍ وعافيةٍ وقرَّةِ عينٍ بالأهل والمالِ والوَلَد، حتى قَبَضَه الله إليه بالقُـدْس في يوم الجُمُعة سادسِ عشري شهر ربيع الأول سنة إحدى وثماني مئة فدُفن هناك، رحمَه الله فلقَد كان ثَبْتًا في أحكامه، صادِقًا في مقاله، كثيرَ الصدقة، ملازِمًا لتلاوةِ القرآن والتهجُّد في الليل والصِّيام، بعيدًا من الرِّيَب، منزَّهًا عما يُشان به غيره، مستحضرًا لكتاب «المنهاج» في الفِقه وغيره من محفوظاته. وسمع الحديث قديمًا بالقاهرة ودمشقَ.

ولقد أقسَمَ لي بالله غيرَ مرة أنه منذ تقلَّدَ القضاء بالكَرَك ومصرَ لم يَرْتَشِ في حُكم، ولا أكَل مالَ يتيم، ولا مال وَقف، ولا تعمَّد حُكْمًا بباطل، وتالله إنَّه لصادقٌ فلقد خَبِرْتُه وبلوتُه فلم أرَ ولم أسمع عنه ما يُشينُه ولا يُريبه. وغايةُ عائِبه من حُسَّادِه أو المتعنِّتين أن يرموه بكثافَةِ الحِجَّاب في أيام تقلُّده القضاء ومحبَّته للإجلال والتعظيم، وما كان فيه من الترفع في مجلسه وكثرة البأو. ولقد اعتذر لي رحمه الله عن ذلك بما يُقْبَلُ عذرُه فيه، وهو أنه حُذِّرَ من أهلِ مِصْرَ وما عندهم من كثرةِ الانتقاد، وفي طباعِهِم من تَتَبعِ وُلاتهم وإحصاءِ معايبهم وفَرْطِ حذلَقَتِهم سِيَّما على من

قَدِمَ إليهم من غير المُدُنِ الكبار. وما كان يرحمه الله إلا ممَّن تَرْبو محاسنُه على معايبه.

وسألتُه مرَّةً ولاية شَخْصٍ عَملاً فلم يَرْضَه، فقلت: ما ضَرَّ لو اختبرتُموهُ فإن صَلح وإلا صرفتموه، فقال: يا سيدي، الدَّفْعُ أسهلُ من الرَّفع.

وحَدَّثني محمد بن عبدالواحد شرف الدين السنقاري، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المَنَام سنة سبعٍ وثماني مئة، وكأنَّ العمادَ الكَرَكيَّ يُقَبِّل يدَه، ويُقسم أنك يا رسولَ الله لو أمرتني بذبحِ أولادي لذبحتُهم في محبتك، قال: فبشَّرَهُ رسولُ الله ﷺ بالجَنَّةِ، وأمَرَه بالمُضيِّ إليها». قال: فسألتُ رجلاً أعرفُه ممن قد ماتَ وكان بين يدَي النبي ﷺ- عن الصَّدرِ المَناوي ما فعل الله به؟ فقال: أوْبَقَتْهُ مسألَة.

وسَلِيم جَدُّ أبي العماد؛ بفَتْح السِّين المهملة وكَسْر اللام على وزْنِ قَرِيب. وجَميل أبوه: بفَتْح الجيم وكَسْرِ الميم، والمُقَيْر بضم الميم وفتْح القاف ثم ياء آخر الحروف ساكنة بعدها راء مهملة: قريَةٌ من قرى الكَرَك.

٩٧- أحمد بن عبدالخالق بن عليّ بن الحَسَن بن عبدالعزيز بن محمد بن الفُرَات، شهابُ الدين ابن صَدْرِ الدين ابن نُورِ الدين ابن بدرِ الدين[(١)].

تفقه على مَذْهَبِ المالكية، وقرأ النَّحوَ والأصول، واشتغلَ بالطِّبِّ، ونظمَ الشعرَ، وتردَّدَ إليَّ سنين، فكان لي به أُنْسٌ، وله عليَّ خِدمة، أنشدني لنفسه:

إذا شِئْتَ أن تَحْيا حَيَاةً سَعِيدَةً ويَسْتَحْسِنَ الأقوامُ مِنكَ المُقبَّحا
تَزيَّ بزيِّ التُّرْكِ واحْفَظ لُغاتِهم وإلا فَجَانِبْهُم وكُن مُتَصَوْلِحا

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ٢٨، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٩٦، وذيل الدرر، الترجمة ١٤٥، ونيل الابتهاج ٧٦، والضوء اللامع ١/ ٣٢٣، ووجيز الكلام ١/ ٣٦٣، وشذرات الذهب ٧/ ٤١.

مات شابًا يومَ الثلاثاء العشرينَ من شهرِ شوَّال سنة أربع وثماني مئة.

وكانَ إذا كُتِبَ له البيتُ من الشعرِ أو نحوه في وَرَقَة من غير أن يراها ودُفعتْ إليه ويدُه من تحتِ ذيله قرأها وثوبُه يحولُ بين بصره وبينَ رؤيتها، إلا أنَّه يُمِرُّ يده على المكتوب من غير أن يراه فيقرأ ما كُتِبَ في الورقة؛ امتحنَّاه بذلك غير مرةٍ، وقد شاهدتُ غيرَه أيضًا يفعلُ مثل هذا. رحمه الله.

٩٨- أحمد بن عبدالخالق بن محمد بن خَلَفِ الله المَجَاصِيُّ المَغْرِبيُّ[١].

طافَ البلادَ شرقًا وغَربًا وجَنوبًا وشمالاً، وتكسَّبَ بالشِّعْرِ، وعُمِّر حتى بلغ سنَّ الهرم، وماتَ بالقاهرة يومَ الجمعةِ العشرينَ من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثماني مئة. وشِعرُه كثيرٌ طالما أنشَدني، وقال لي: ما برِحْتُ منذُ تجاوزتُ السنةَ الأربعين من مَولِدي أجدُ في كل سنةٍ نقصًا في بدَنِي وقوَّتي وعَزْمي.

٩٩-أحمدُ بن عبدالله بن[٢]شهابُ الدين النِّحْرِيريّ المالكيُّ[٣].

قَدِمَ من الريف إلى القاهرة، وتفقَّه على مذهب الإمام مالك رحمه

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٧١، وإنباء الغمر ٤/ ١٥٢، وذيل الدرر، الترجمة ٥٢، والدليل الشافي ١/ ٥٥، والضوء اللامع ١/ ٣٢٤، وشذرات الذهب ١٥/٧، وفيها أنه ناهز الثمانين. وقال السخاوي في تقييد المجاصي: «بفتح الميم والجيم مخففًا قرية في المغرب».

(٢) بيَّض المصنف بعد هذا، ولم يعد إليه، ولم يذكر أحد ممن ترجم له اسم جده.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٧١، وإنباء الغمر ٤/ ٢٥٥، وذيل الدرر، الترجمة ٩٥، ورفع الإصر ١/ ٧٦، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٢١، والمنهل الصافي ١/ ٣٣١، ونيل الابتهاج ٧٦، والضوء اللامع ١/ ٣٧٢، ووجيز الكلام ١/ ٣٥٧، وشذرات الذهب ٧/ ٢٥.

الله حتى برعَ فيه، وشارَكَ في علم النحو، وأقرأ النَّاس مدَّةً، فلما كان في سنة[1] . . . التمسَ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق من القُضاة تَعْيينَ من يصلحُ من الفُقهاء ليوليه القضاءَ بالممالك الشامية فَعُيِّن جماعةٌ منهم النِّحْريري هذا، فولاه السُّلطانُ قضاءَ المالكيَّة بمدينة طَرَابُلُس الشام، فسارَ وأقام بها مدَّةً حتى تَغَلَّب مِنْطَاش على الأمرِ بقَلْعَةِ الجبَل، وخرج إلى محارَبَةِ الظَّاهر بَرْقوق، وكان من هزيمته إلى دمشقَ ما كانَ، فأقام بدمشق وأحضر النِّحْريري هذا من طَرَابُلس لقيامِهِ في نُصْرةِ الظَّاهر، وضربَه بالمقارع وسَجنه، فلم يزلْ في سِجن دمشقَ حتى فَرَّ مِنْطَاشُ من دمشق، وخرج مَن كان في سجونِه بها، فحضرَ النِّحْريري إلى القاهرة وقد ظهرت نعمة الله عليه، وصار مُتجمِّلَ اللبسة بعدما (كان)[2] ظاهر الفاقة، فلما[3] سَعَى في وظيفةِ قَضَاءِ المالكية بمال، فوُلِّيَ وخُلِعَ عليه في يوم الاثنين سابع عشري المحرم سنة أربع وتسعين وسبع مئة بعد موتِ شمسِ الدين محمد الرَّكْراكي، فباشرَ القضاءَ أسوأ مباشرةٍ، وكان كما قيل:

لَقَدْ كَشَفَ الإثْـراءُ عنـهُ خَـلائقًـا ... من اللُّؤم كانت تحتَ ثَوْبٍ من الفَقْرِ

فلم يَزل على سوء السيرة حتى صُرفَ في يوم العشرين من ذي القَعْدة فلم تكمُل له سنة، فاستمرَّ حتى سار العِماد أحمد الكَرَكي إلى خطابة القُدس، فسعى في نظر وَقفِ الظاهر، فولاه الظاهِرُ نَظَرَه بسِفارةِ الأمير تاني بكْ في يوم الجُمُعة ثامن عشري شهر رجب سنةَ تسع وتسعين وسبع مئة، فساءَت سيرتُه في مباشرته، وقَبُحَتْ أحدوثته بما أظهرَ من خِسَّةِ النَّفْس وضَعَةِ القَدْرِ وخُبْثِ العُنْصُر ولؤم الطباع، إلى أن أخذه الله بالموت في يوم الخميس ثاني عشر[4] شهر رجب سنةَ ثلاث وثماني مئة

(١) بياض في المسودة، وكذا نقله ناسخ الأصل.
(٢) إضافة منا يقتضيها السياق.
(٣) ترك المصنف في المسودة بعد هذا فراغًا قدر نصف سطر.
(٤) سقطت لفظة «عشر» من جـ، وهي ثابتة في المسودة، وفيما نقله السخاوي في الضوء اللامع عن المصنف. =

غَفر الله له، فلقد رافَقْتُه في مباشَرَةِ وقفِ الصَّالح فكان من أقبحِ ما رأيتُ سيرةً وأسوأ من عرفت سريرةً.

١٠٠- أحمدُ بن عبدالهادي بن أحمد، شهابُ الدين، المعروفُ بابن الشيخ أبي العَبَّاس، الشَّاطِر الدَّمَنْهوريُّ[١].

مولده ليلةَ الأحدِ السابع والعشرين من شَوَّال سنةَ ثلاث وثلاثين وسبع مئة، ونشأ بديار مصرَ، وبرع في معرفةِ حلِّ المُتَرْجَم[٢]، وفكِّ المُعَمَّى، وقال الشعرَ المليحَ، فمن شعره في ابنِ فضْلِ الله كاتِب السِّر:

وأنتَ ابنُ فَضْلِ الله أكْرَمُ من را ... ح روح الله يا صَاحِ وانتشى
فَلا تَعْجَبُوا إذ حَازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... فذلِكَ فَضْلُ الله يُؤتيه مَن يشا

ومنه:

قَالُوا هِلاَلُ الصَّوْم عنا اختَفَى ... عليه أبْوَابُ السَّماءِ مُغْلَقَهْ
قلتُ السَّما فيها غَدا رِزْقُنا ... وهي عَلينا دائِمًا مُشْفِقَهْ

وكانت فيه أُعْجوبَةٌ لم أرَها من غيره، وهو أنَّه إذا أنشدتَه شِعرًا أو حكيتَ له حكايةً، أو رَوَيْتَ له خبرًا، أو حَدَّثْته بشيء فإنَّه يخبرُك بعددِ حروفه فلا يُخطِئُ حرفًا. ومات رحمه الله بعَقَبَةِ أيْلة، وهو سائرٌ إلى الحَج في أولِ ذي القَعْدة سنةَ سبع وثمانين وسبع مئة، رحمه الله.

نقلت من خط قاضي القضاة تاج الدين عبدالوَهَّاب ابن السُّبكي ما نصه: قلتُ: هذا الشَّاطر كانَ عظيمَ القدْرِ بين الأولياء، معروفًا بقضاءِ الحَوائج، إذا كان للإنسان حاجةٌ جاءَ إليه فيشتريها منه يقولُ: كم تُعْطي؟

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٨٢٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٦٩، والدرر الكامنة ١/ ٢٠٧، وإنباء الغمر ٢/ ١٩٣، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٦، والمنهل الصافي ١/ ٣٥٦، والدليل الشافي ١/ ٥٧، وشذرات الذهب ٦/ ٢٩٦.

(٢) أي: فك الرموز في النظم والنثر.

فيقولُ: كذا، فإذا اتَّفق معه قال: قُضِيَتْ في الوَقْت الفلاني، وغالبًا تُقْضَى في الوَقْتِ الحاضِر. ولم يُحْفظْ عنه أنه عَيَّنَ وقتًا فتقدَّمت عليه الحاجةُ ولا تأخرت. والحكايات عنه في هذا الباب شهيرَةٌ كثيرة، وكان قد اجتمع بالشيخ أبي العَباس المُرْسي.

١٠١- أحمد بنُ طُوغَان، شهابُ الدين الدَّوادار[1].

كان أبوه من جُملة مماليك الأمير شَيْخُو العُمري، فلما مات رَبَّاه الأمير سيف الدين سُوْدُون الشَّيْخوني، وأدَّبه وألزمه الرُّكوب في خدمته. فلما استقلّ الملكُ الظَّاهرُ بَرْقوق بمملكة مصرَ والشام في شهر رمضان سنة أربعٍ وثمانين وسبع مئة نَقَل الأميرَ سودون من الحجوبية إلى رتبة نِيابةِ السَّلْطَنة بديار مصر، فجعل صِهْرَه زوجَ ابنته دواداره إلى أن مات، فجعلَ أحمد المذكور في دَواداريته عوضًا عنه، فباشر ذلك عدَّة سنين، وأثْرَى من مباشرة ذلك، وحَصَّلَ مالاً جَزيلاً، وكان يحبُّ أهلَ العِلْم والصلاح، ويختَصُّ بهم، ويؤثِرُ مجالستَهم. ثم مال إلى أهل الحديث، وتَرَامى على صُحبتي، وتردَّد إليَّ كثيرًا، وتردَّدْتُ إليه، وكانَ لي به أنسٌ إلى أن سافرَ إلى ثغر الإسكندرية، فمات بها عشيَّة نهار الثلاثاء ثامنَ عَشَر جُمادى الأولى سنةَ ثمانٍ وثماني مئة، ودُفِنَ بها. رحمه الله.

أخبرني أخونا في الله الأميرُ الأجَلُّ شهابُ الدين أحمدُ بن طُوغان، قال: سِرْتُ مع الأميرِ سودون وهو يومئذٍ أميرٌ حاجبٌ في سنةِ ثمانين أو بعدها بيسير إلى رباطِ الآثار النَّبَويَّة خارجَ مصر، وكان الماءُ إذ ذاكَ لا ينقطعُ من تحت رباطِ الآثار صَيْفًا ولا شتاءً، وكان الوقتُ في زمنِ زيادَةِ ماءِ النيل؛ فلما قَضَيْنَا زيارةَ الآثارِ النبوية ركبنا النيلَ إلى جزيرة الصَّابوني تجاه رباط الآثار، وعُمنا في النيل، فغرِقَ شخصٌ كان معنا ممن يَتزيَّا بزيِّ أهل التصوُّف، وكان يسكنُ يومئذٍ في منزلٍ كان بحريَّ قَنَاطِرِ الإوَز من البَر الشرقي من الخليج تجاهَ أرْضِ البَعْل. واتَّفَق مجيئُه معنا ومجيء

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ٣١٢، وذيل الدرر، الترجمة ٢٤٩، والضوء اللامع ١/ ٣٢٠.

زوجته وأولاده إلى منزلي، وكان من أصحابي، وعادتُهُ يزورني ويزورُ أهله أهلي. فشقَّ علي غرَقُهُ، لا سيما وأهلُه وأولاده في منزلي، فأمَرَ الأميرُ سُودُون بالغَطَّاسين وألزَمَهُم بإخراجه من الماء، وكانوا عدَّةً، فتكرَّر نزولهم في الماء غيرَ مرَّةٍ حتى أعياهم وجودُه فرجعنا شَرَّ رجوع. وأعلمتُ أهله فأقاموا عزاءَه ومَضوا إلى منزلهم. فلمَّا كان بعدَ ثلاثةِ أيَّام حَضَرت إليَّ زوجته وأعلمتني أنه لما كانَ في الليلِ كَثُرَ طَرْقُ باب مَنْزِلهمُ الذي يُفضي إلى الخليج حتى ظَنُّوا أحدًا يريدهم بسوءٍ، فنزلوا لينظروا من يطرقُ البابَ، فإذا بزوجها قد طفَّ بعد غرَقِه واحتمله الموجُ من جزيرة الصابوني إلى أن حاذَى فم الخليج من البَحر، فدَخل مع تيَّار الماء وأوَى إلى باب منزله وصارَ الموْجُ يحركه كلما جَرى ماءُ الخليج فيصيبُ رأسُه البابَ حتى سَمِعَ أهله طرق الباب. قال: فقمْتُ في الحال إلى الأمير سُودون وأعلمْتُه فسارَ وأنا معه حتى شاهدْناه في الماء ورأسُه في بابِ منزِله، فأخرجناه وغسَّلْناه وشَهِدْنا جنازَتَه. وهذا من أعجَبِ الأخبار، لاسيما من عَرَفَ هذه المسافة في ماء النيل.

١٠٢- أحمد بن ظُهَيْرة[1] بن أحمد بن عَطِيَّة بن ظُهَيْرَةَ بن مَرْزوقِ بن محمد بن عليّ بن عليان بن هاشم بن حزام بن عليّ بن راجحِ بن سُليمان بن عبدالرحمن بن حرْب بن إدْريس بن سالم بن جَعْفَر بن قاسِم بن الوليد بن جُنْدَبِ بن عبدالله بن الحارث بن عبدالله ابن الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر[2] بن مَخْزُوم القُرَشيُّ المخزوميُّ، شهابُ الدين أبو العبَّاس المَكِّيُّ الشافعيُّ[3].

---

(١) هكذا قيّده المصنف بخطه بصيغة التصغير، والمحفوظ بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء، قال السيد الزبيدي في «ظهر» من تاج العروس: «وبنو ظهيرة، كسفينة، قبيلة بمكة، منهم حفاظ وعلماء ومحدثون، وقد تكفّل ببيان أحوالهم كتاب: البدور المنيرة في السادة بني ظهيرة».

(٢) في جـ: «عمرو»، خطأ.

(٣) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ٥٢، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٣٥١، والدرر =

وُلِدَ بمكَّة شرَّفها الله تعالى في سنةِ ثماني عشرةَ وسبع مئة، ونشأ بها، فسمعَ على قاضي مكَّة نجم الدين الطَّبري «ذخائر العُقْبَى» و«السِّمْط الثَّمين» من تأليف المحب الطَّبري عنه، وسَمِعَ على عيسى الحِجّي «صحيح البخاري»، وعلى أبي طَيْبَة محمدِ بن أحمدَ بن أمين الأقْشَهري، وأبي عبدالله محمدِ بن جابر الوَادياشي كتابَ «التَّيْسير» للدَّاني، وغير ذلك على جَماعةٍ. وتفقَّه بالنَّجم الأصفوني، وأخذَ عنه الفَرائِضَ والجَبْرَ والمقابلة. وتفقَّه أيضًا على الشَّيْخ صَلاح الدين العَلائي وأذِنَ له في الإفتاء والتدريس. وأخذَ القراءات السَّبْع عن البُرْهان المسْرُوري مُقرىء مكة، وأذِنَ له في الإقراء. فأقْرأ ودَرَّس وأفتَى وانتفعَ الناسُ به في ذلك، وحَدَّثَ، وقَدِمَ مصرَ وسار منها إلى بلاد المغرب، ثم عاد إلى مكَّة وباشر الحَرَم، وناب في خطابة المسجد الحَرام عن القاضي تقي الدين الحَرَازي وعن أبي الفَضْل النُّوَيري. ثمَ وَلِيَ قضاء مكَّة والخِطابَة بعد موت أبي الفَضْل، فباشر ذلك سنةً وتسعة أشهر، كَثُرَ عليه فيها تشنيعُ أهلِ مكَّة من أجل لينه وتقديمه أقاربه، وكنتُ إذ ذاكَ مجاورًا بمكَّة، ثم صُرِفَ عن ذلك بمُحِبِّ الدين النُّويري في جُمادى الأولى سنة ثمان وثمانين، وأقام بمكَّة إلى أن ماتَ بها ليلةَ السَّبتِ ثالث عشري ربيع الأوَّل سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة.

وكان كثيرَ المحاسِن، مُعَظَّمًا عند النَّاس، تردَّدَ إليَّ أيامَ مجاوَرَتي بمكةَ عام سبعٍ وثمانينَ وسبع مئة فبَلَوت منه فَضْلاً وعِلْمًا كثيرًا.

١٠٣- أحمد بن محمد بن أحمد بن عَرَنْدَةَ، شهابُ الدين المحلِّيُّ، المعروف بالوَجِيزيِّ[(١)].

وُلِدَ بالمحلَّة من قُرَى أرضِ مصرَ الغَرْبيَّة في سنةِ اثنتين وأربعين

= الكامنة ١/ ١٥٣، وإنباء الغمر ٣/ ٣٥، والمنهل الصافي ١/ ٣٠٥، ووجيز الكلام ١/ ٢٩٥، وشذرات الذهب ٦/ ٣٢٢.

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ١٩٣، وذيل الدرر، الترجمة ٤٤٢، والضوء اللامع ٢/ ٧٧.

وسبع مئة، واشتغل بها، ثم قَدِم القاهرة وحَفِظ كتاب «الوجيز» في الفقه على مذَهْب الإمام الشافعي، فعُرِف به وقيل له: الوجيزي من أجل ذلك. وكتَبَ الخطَ المليح، وعرف الحِسابَ، ولازم النَّسخ بالأجرة فكتب من كُتب الفقه والتفسير والحديث وغيره ما يَجلُّ عن الوَصْف. وناب عَني في بَعْض تعلُّقاتي، وصَحِبَني مدَّة إلى أن مات بالقاهرة في ليلة السبت السادس والعشرين من جُمادى الأولى سنةَ ثماني عشرة وثماني مئة.

أَخبرني شهابُ الدين أحمدُ بن محمد الوجيزي رحمه الله، قال: رافقَني في مَرْكب سرتُ فيه على النيل إلى بعضِ النَّواحي بالصَّعيد أحدُ المماليك الأتراك، وجَمْعٌ فيهم شخصٌ من الفُقَراء المعتقدين، فكان يتورَّع عن الأكلِ معنا، وأقامَ بغيرِ غذاء عدَّةَ أيام. فبينا نحنُ ذاتَ يوم في مسيرنا إذ هَبَّ ريحٌ عاصفٌ اضطَربَ منه النيل وعَظُمَت أمواجُه، وإذا بحوتٍ من الماء وثَبَ وَثْبَةً وسقَطَ بينَ يَدي ذلك الفقيرِ فأخذَه وجعله غذاءَه أيامًا.

١٠٤- أحمد بن مُحمد بن أحمد بن عُمَرَ بن رضوان، شهابُ الدين المعروف بابن الحَريريِّ السَّلاويُّ الدِّمشقيُّ الشافعيُّ[1].

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ[2] وثلاثين وسبع مئة تخمينًا. كان أبوه حَريريًا من أهلِ دمشق، فتزوَّج امرأة من ذريَّةِ الشيخِ محمَّد بن عمرَ السَّلاوي، فولدتْ له أحمد هذا، وماتَ عنه فَرُبِّي يتيمًا. واشتغل بالفقه على الشيخ علاءِ الدين حِجي، وعلى التقي الفَارقي، وعَرَفَ مع الفِقْه الأصولَ. وطلَب الحديثَ، وقرأ بنفسه «الصحيح» غيرَ مرَّةٍ على العامَّةِ بصوتٍ حسن قراءةً جيدة، وأفتى ودرس ببَعْلَبَك، ووَلِيَ قضاءها سنة ثمانين. وتنقَّلَ في الولايات، فوَلِيَ قضاءَ المدينة النبويَّةِ من القاهرة في أيام الأمير مِنْطاش

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ٢٤٤، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٢٨، والضوء اللامع ٢/ ٨١، ووجيز الكلام ١/ ٤٠٨، وشذرات الذهب ٧/ ١٠٠.

(٢) في جـ «ثلاث»، خطأ، وما هنا من المسودة، ويعضده ما جاء في الضوء اللامع والشذرات.

سنةَ إحدى وتسعين بعد الحافظ زين الدين عبدالرَّحيم العِراقي، ثم صُرِفَ منها بعد مدَّة، ووَلِيَ قضاء طرابُلس، وغَزَّة، وصَفَد، والقُدْس غيرَ مرة، ونابَ في دمشقَ عن قُضاتها زَمانًا، ودَرَّس بها في عدَّة أماكن. وكان فقيرًا ذا عِيالٍ لا يزالُ يَكْدَحُ في طَلَبِ الرِّزق. وتردَّدَ إليَّ بدمشقَ أيامَ إقامتي بها، وكانَ لي به أُنس.

وحدَّث عن ابن كَثِير، وابن رَافع، والشيخ محمد بن عُمَرَ السَّلَاوي صاحِب ابن عبدالدَّائم. وتُوفي بدمشق عن أربعٍ وسَبْعين سنةً في يوم الأربعاء تاسع عِشْري صفر سنة ثلاثَ عشرة وثمانيَ مئة. رحمه الله.

١٠٥- أحمد بن إبراهيم بن محمد اليَمَانيُّ، المعروفُ بابنِ عَرَب، زاهِدُ الوَقْت[(١)].

قَدِمَ أبوه إبراهيم من بلادِ اليَمَن إلى بلادِ الرُّوم، وسكن مدينة بُرْصا فوُلد له أحمدُ هذا. ونشأ بمدينةِ بُرْصَا، وعُرِفَ فيها بابنِ عَرَب. ثم سارَ منها إلى القاهرة وهو شابٌّ فنزلَ بخانكاه شَيْخُو، وقرأ على إمام الخَمْس بها خيرِ الدِّين سُليمان بن عبدالله، وهو حينئذ فقيرٌ مُمْلِقٌ يُتَصَدَّقُ عليه بما يُمسكُ رَمَقَه ويسدُّ بعض خَلَّته. وكانَ مع ذلك ينسخُ بالأُجرة لمن عساه يَسْتَكْتِبُهُ، ثم نزلَ بعد مدَّةٍ في جملةِ صوفيَّةِ الخانكاه بالقاعة المستجدَّة بها بمبلغ ثلاثين دِرْهمًا في كل شهر، فتعفَّفَ عن أخذ صدقات الناس واعتزلَهم جُمْلَةً، وانقطع في بيتٍ بالخانكاه، وأعرض عن كلِّ أحدٍ، واقتصرَ على مَلْبَسٍ خَشِنٍ حقير جدًا، ويقْنَع بيسير القُوت، وصار لا ينزلُ من بيته إلا ليلاً لشراءِ قوته ثم يطلعُ إليه، فإن حاباه أحد من الباعة فيما يشتريه من قُوته تركه وما حاباه به حتى عُرِفَ بذلك، فترك الباعة محاباتَه وتبرَّكوا بوقوفه عليهم، ووقفوا عندما يشير لهم به من غير أن يكلمهم. ثم صار لا ينزل من بيته إلا كلَّ ثلاثِ لَيالٍ مرة بعد عِشَاءِ الآخرة فيشتري قوته

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٧٥٦، وذيل الدرر، الترجمة ٦٠٦، وإنباء الغمر ٨/ ١٢٢، والدليل الشافي ١/ ٣٦، والمنهل الصافي ١/ ٢٠٣، والضوء اللامع ١/ ٢٠٠، وحسن المحاضرة ١/ ٥٢٩، والطبقات السنية ١/ ٣٠٣.

ويعود إلى بيته سريعًا، ولا يقبل من أحد شيئًا حتى أنَّ رجلاً دَسَّ في قُفَّتِه قليل مَوْزٍ وهو لا يشعر به، فلما عاد إلى منزله ورأى المَوْز نَزَلَ وما زال حتى عرف من دَسَّه عليه، فألقاه إليه ولم يكلمه ومَضى. وكان يغتسلُ بالماءِ البارِد في كل يومِ جُمُعة شتاءً وصيفًا ويمضي إلى صلاةِ الجُمُعة من أوائل النهار. ويظلُّ يصلي حتى يخرجَ الخطيبُ، فيكون قيامُه في تركُّعه هذا بنحو رُبْع القرآن من غير أن تُسْمَعَ لَهُ فيه قِراءَةٌ، ويُطيْلُ قيامَهُ حتى يكونَ بقدرِ ما يقرأ حِزْبَيْن. وكانَ مع محبَّةِ الناسِ له وكثرة تعظيمهم إياه قد صانه الله من إقبالهم إليه، فيمرُّ إلى الجُمُعة وهم يُشيرُونَ بأصابعهم إليه، ولا يَدْنُونَ منه، وكانَ لا يُرى مارًّا في النَّهار إلا يوم الجُمُعَةِ، أو إذا مات أحدٌ من أهل الخانكاه فكأنما يقال له: مات فلان، فيشهد جنازته، ولا يُرى ليلاً إلا كل ثلاثٍ إذا نَزَلَ لشراءِ قُوته، ولا يجسرُ أحدٌ أن يدنوَ منه، فإن دنا منه أحدٌ وكلَّمَه لا يُجيبُه أبدًا. أقامَ على ذلك نحوَ الثلاثين سنة؛ وفي أثناء ذلك ترك النَّسْخَ بالأجرة، واقتصرَ على الثلاثين الدِّرهم فلوسًا في كل شهر، وأفْضَلَ منها ما وُجد بعد موته. وكان يُرى في الليل بسَطح الخَانكاه قائمًا على قَدَميه حتى يقرأ ربع القرآن، وكان يعرفُ القراءاتِ السَّبْع. ورُئي مرةً بهذا السطح ويدُه ممدودةٌ وفي كفه فتاتُ الخبزِ والطيرُ تأكل منه. وكان إذا احتاجَ إلى خياطةِ شيءٍ من الخَيْش الذي يلبسه دفعه إلى من يتخيَّره وأعطاه أجرتَه من الفلوس المرتبة له، وإن أعانه أحدٌ وحمل معه جَرَّةَ الماء التي يصعد بها إلى بيته أعطاه أُجرةً عن ذلك. وكانت تمرُّ به الأعوام الكثيرة لا يتلفظ بكلمة سوى قراءة القرآن وذكر الله لا غير، وكان خادِمُ الخَانكَاه يحملُ له في كل شهرٍ الثلاثين الدِّرهم الفُلوس، فلا يأخذُها إلا عددًا عن كلِّ درهم أربعة وعشرين فلسًا كما عَهِده بها قبل اعتزاله.

ولم يزل على هذا القَدَم من الزُّهد في الدُّنيا، والتَّقَلُّلِ في المأكلِ والاقتصادِ في المَلْبَس حتى توفي ليلةَ الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول سنة

ثلاثين وثماني مئة، فحُمِلَ من الخانكاه بعدما غُسِّل وكفِّن حتى صَلَّى عليه بمصلى المؤمني قاضِي القضاة بَدْرُ الدين محمود العَيْنتابي، وشهد السُّلطان والأمراءُ جنازَتَه، وكان جَمْعًا موفورًا. ثم أعيدَ إلى الخانكاه فدُفِن فيها. ووُجد له مبلغ ألفي دِرهم وسبع مئة درهم فلوسًا، تنافسَ الناسُ في شراء هذه الفلوسِ وفي ما كان يلبَسُه وما وُجِدَ له من كتبٍ حتى بيعَ ما قيمتُه درهم بمئة، وأُخِذَ ذلك لوقف الخانكاه، فاستردُّوا ما تناوَله منهم في حياته أو قريبًا منه. ولم يُخَلِّف بعدَه مثلَه فيما نعلمه.

١٠٦- أحمد بن أحمد بن أبي بكْر بن طرخان بن محمود الأسَديُّ، السُّوَيْديُّ الأصل الدِّمشقيُّ، أبو بكْرٍ شهاب الدين[١].

سمعَ بدمشق عَلِيَّ بن يحيى بن سعيد، والقَاسم ابن عَساكر، وحدَّث. توفي بها آخر يَوم من شَعبان سنة تسع وثمانين وسبع مئة.

١٠٧- أحمد بن إسماعيل بن أحمدَ بن عُمَرَ ابن الشيخ أبي عُمَر المَقْدسي، أبو العبَّاس نجم الدين ابن النَّجْم[٢].

ولدَ سنةَ اثنتين وثمانين وست مئة، وحضرَ على الفَخْرِ ابن البخاري، وعلى التَّقِي الوَاسطي، وسَمِعَ من أبي الفَضْل ابن عساكر، ومن العِز ابن الفُرات. وحدَّث؛ سمعَ منه الفُضلاء، وتوفي في يوم الجمعة ثالثِ جُمادى الآخرة سنةَ ثلاثٍ وسبعين وسبع مئة.

١٠٨- أحمد بن مُوسى بن إبراهيم، القاضي شهابُ الدين الحَلَبيُّ الحَنَفيُّ[٣].

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ١٠٥، وإنباء الغمر ٢/ ٢٦٤.

(٢) ترجمته في: وفيات السلامي ٢/ ٣٨٧، والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٣٣٢، وغاية النهاية ١/ ٣٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٣)، والدرر الكامنة ١/ ١١٢، وإنباء الغمر ١/ ٢١، والقلائد الجوهرية ٢/ ٣٠١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٢٦. وسيعيده المصنف برقم (١٧٧).

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٨٧٩، وغاية النهاية ١/٣٩، وإنباء الغمر ٤/ ٤٨، وذيل الدرر، الترجمة ٨، والضوء اللامع ٢/ ٢٢٨ و٢٣١.

قَدِمَ إلى القاهرة، وأخذَ الفِقْه بها عن السِّراج عُمر الهِندي، وترقى إلى أن نابَ عن القُضاة الحَنفية في الحُكْم بالقاهرة، وجَلس لذلك بحوانيتِ الشُّهود، ثم بالمدرسة الصَّالحية بين القَصْرين. وكان مقْتصِدًا في زِيِّه، مشهورًا بالخيْر، فلما جَدَّدَ الأمير يَلْبُغا السَّالمي الجامعَ الأقمر، ونَصَبَ به منبرًا ولاَّه الخِطابة به، وكان يُرْتَج عليه كثيرًا، وما زال على وِلاية الحُكْم والخطابة إلى أن ماتَ بالقاهرة يومَ السبت سابع عِشري ربيع الأول سنة إحْدى وثماني مئة.

١٠٩- أحمد بن مَكِّي، الأميرُ شِهابُ الدين ابنُ الأمير سَيْفِ الدين المعروف بقَبْجَق.

أحدُ أمراء الطَّبْلخانَاه بدمشق، وأحَدُ الفُرسانِ الأبطال، لم يُرَ عَلَى ظَهْر الفرس أخفُّ من حَركاته، ولا أسرعُ من انتقالاته، كان يُصَف له ثلاثة أجمال مُحَمَّلة تبنًا، فيقفُ من جانبٍ ويثِبَ في الهَواء فيتعداها إلى الجانب الآخر، وكان يَسُوقُ الفرس فإذا كانَ في وسط جَرْيه وثَبَ قائمًا على السَّرْج ثم سَلَّ سيفَه وضربَ به في الهواء يمينا وشمالاً وخلفًا وأمامًا، ثم يمسكه بين إصبعيه ويأخذ القوس ويُوتِرُه ويرمي به عِدَّةَ سِهام؛ قالَ الصَّلاح الصفدي: حكاه لي غيرُ واحد وهذا أمر خارقٌ باهر.

توفي يومَ الأَحد تاسعَ عشر ذي الحجة سنةَ ثلاثٍ وستين وسبع مئة.

١١٠- أحمد بن محمد بن عليّ الخَرُّوبيُّ، صلاحُ الدين، أخو بَدْرِ الدين محمد بن محمد بن عليّ الـخَرّوبيِّ الآتي ذكره.

كانَ أَسَنَّ من أخيه، وعاشَ بعدَه، وأنجبَ في أولاده، وعاشَ إلى أن رأى أولادهم قد أنجبوا وسادُوا ومات يوم[1] سنةَ تسعٍ وستين وسبع مئة، وله تُربَةٌ جليلة قِبليَّ قُبَّة الشافعي من القَرَافة، جددهَا حفيدُه نورُ الدين عليّ ابنُ عز الدين محمد ابن صلاحِ الدين، وأضافَ إليها مَطْهَرَةً حسنةً.

وبيتُ بني الخَرُّوبي مشهورٌ بمصر، ما منهم إلا مَنْ عُرِفَ بالسعادةِ

---

(١) بيَّض المصنف بعد هذا، ولم يعد إليه، وقد حذف ناسخ جـ لفظة «يوم».

الجزيلة والحظ الوافر من فوائدِ التِّجارة، بهم يُضرَبُ في زماننا المَثَلُ.

١١١- أحمد بن محمد بن الخَضِر بن مُسَلَّم الدِّمشقيُّ الحَنَفيُّ، أبو العباس شهابُ الدين، الإمامُ الفَقِيه المفتي(١).

وُلِدَ بدمشقَ في سنةِ ست وسبع مئة، وسمعَ بها من أبي بَكْر بن عبدِالدَّائم، وعيسى المُطَعِّم، وهدية بنتِ عَسْكر. ودَرَّس وأفتى وحدَّث، وكان إماما عالمًا بالفِقْه والأصول.

توفي بدمشقَ يومَ الأربعاء رابعَ عشري شهرِ رَجَب سنةَ خمس وثمانين وسبع مئة.

١١٢- أحمد بن أحمد بن محمد، الأمير شهابُ الدين ابنُ المُعَلِّم شهابِ الدِّين ابن المُعَلِّم شمسِ الدين الطَّيْلونيُّ، كذا شُهرَتُه، وصوابُه الطُّولُوني(٢).

كان أبوه وجَدُّه مُهنْدِسين، وإليهما تَقْدمة الحجارين والبُناة بديارِ مِصْر، وعليهما المُعَوَّل في العمائر السُّلطانية، وتَقَدَّمَ أبوهُ في الأيام الظَّاهرية بَرْقوق تَقَدُّمًا كبيرًا، وتزوَّج السُّلطان ابنته، وتزيَّى أحمدُ هذا- أعني صاحب الترجمة- بزيِّ الأتراك، وحَظِيَ عندَ الظَّاهر أيضًا، فطلَّق أخته وزوَّجها بالأمير نوروز الحافظي أمير آخور، وتزوَّج بابنته، وجعلَه أحدَ أمراءِ العشراوات الخاصكيَّة إلى أن ماتَ ليلةَ الخميس خامسِ عشري شهرِ رجب سنةَ إحدى وثماني مئة، فدُفن بتربتهم من القَرَافة، وكانت جنازتُه حَفِلَة، رحمه الله.

---

(١) ترجمته في: غاية النهاية ١/ ١١٣، والدرر الكامنة ١/ ٢٧٩، وإنباء الغمر ٢/ ١٤٢، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨٦.

(٢) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٨٠١)، وذيل الدرر، الترجمة ٥٦، وإنباء الغمر ٤/ ٣٧، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ٢٧، والضوء اللامع ١/ ٢٢١.

١١٣- أحمد بن أحمد الزُّهوريُّ العَجَميُّ، الشيخُ المجذوبُ صاحبُ المكاشَفات العَجيبة[١].

كانَ ذاهبَ العَقْل يهذي في حديثه، ويُخَلِّطُ في كَلامه، وَلَهُ من الملكِ الظَّاهر بَرْقُوق مكانةٌ مَكِينةٌ، وله به اختصاصٌ زائد، واعتقادٌ مُفْرِط، بحيثُ إنَّه يبْصُق في وَجْهِ السلطان ويسبُّه بحضرةِ الأمراء وغيرهم فيحتملُ منه ذلك، ويدخلُ على حُرَمِهِ فلا يَحْتَجِبْنَ منه، وكان تُسْمَعُ منه كلماتٌ يقولُها إما حَنَقًا أو من غير قَصْد فيقع كما يقول. وما بَرِحَ على هذا حتى ماتَ يومَ الأحدِ أول صَفَر سنة إحدى وثماني مئة، فشَهِدَ جنازتَه الأمراء والأكابر، ودُفن خَارِجَ باب النَّصْر. وهو أحدُ من أوصَى الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق أن يُدْفَن تحتَ رجليه من الفُقراء.

وقد تواتَرَ أن سببَ اختصاصِ الظاهر به واعتقاده له أنه كانَ بدمشقَ في حالِ فَقْره وخُمولِهِ إثرَ خروجه من سِجْن الكَرَك رأى في منامه كأنَّه ابتلعَ القَمَرَ وقد صار هيئة رغيفِ خُبْز، فلما أصبحَ مَرَّ تحتَ قَلْعَة دمشق فرأى الزُّهوريَّ هذا وهو يمشي بلا عَقْل، فنظرَ إليه وصاحَ به: يا بَرْقُوق أكلتَ الرَّغيف، أنت تَملِكُ مِصرَ. فدارَ به واشتملَ عليه وأقدَمَه إلى مِصْر، وصَيَّره من أهلِ حَضْرَتِه منذ كان أميرًا، وكأنَّه كان عنوانَ سعادةِ بَرْقوق فإنَّه ماتَ بعدَه بأشهرٍ من عامه.

١١٤-أحمد بن محمد ابن المُعَلِّم، شهابُ الدين الطَّيْلُوني[٢].

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٩٧٦، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٨٠١)، وإنباء الغمر ٤/ ٣٦، وذيل الدرر، الترجمة ٣، والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٠، والضوء اللامع ١/ ٢١٥، وحسن المحاضرة ١/٥٢٧. وسماه السخاوي: «أحمد بن أحمد بن عبدالله»، وقال: «ذكره المقريزي في عقوده، ولكن بدون اسم جده، بل اقتصر على أحمد بن أحمد».

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٢٤، وإنباء الغمر ٤/ ١٥٦، والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٧، والضوء اللامع ١/ ٢٢١.

تمكَّنَ في الدَّولة، وتزوَّج السُّلطان بابنته، وصارَ ابنهُ الأميرُ شهابُ الدين أحمدُ من جُملَةِ الأُمراء، وتُوفي بعُسفان يومَ الجمعةِ عاشرِ صَفَر سنة اثنتين وثماني مئة فَحُمل إلى مكَّة ودُفِنَ بالمَعْلاة، رحمه الله.

١١٥- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عليّ بن محمد ابن مُحمد بن سَليم أبي الفرج ابن حَسْنا، بدرُ الدين أبو العباس ابنُ شَرَفِ الدين ابن الصَّاحِب زَيْن الدين ابن الوَزير الصَّاحِبِ فخرِ الدين ابن الوزير الصَّاحِب بهاء الدين(١).

وُلِدَ سنةَ سَبْعَ عشرة وسبع مئة، وسمعَ من أبيه الإمام شَرَف الدين محمد، ومنِ الحافظ أبي الفتح اليَعْمَري. وتفقه للشافعي وبرعَ في الأدَب، والطِّبِّ، وصارَ عاليةً في لَعِبِ الشِّطرنج. وحَدَّث عن ابنِ سَيِّد النَّاس، ودَرَّسَ، وعَلَّق على «الحاوي» في الفِقْه، وجمعَ شعرَه وسمَّاه «شاد الدواوين» وأفردَ مالَه في النِّيل وسمَّاه «مُقَطَّعات النِّيل». وله نوادرُ حادَّة، مع لُطْفِ المحاورَةِ وحُسْنِ المعاشرَةِ، وكثرةِ التندير حتى على نَفْسه.

توفي بمدينة مِصْرَ يومَ الجُمُعة تاسع عشر جُمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وسبع مئة.

ومن شعره:

لَعِبْتُ بالشَّطْرَنج في غايةٍ يُقَصِّرُ الواصِفُ عَن حَدِّها
إنْ صَاح في الأقْرانِ في بَيْدَقٍ تَموتُ منهُ الشاةُ في جِلْدِها

وقال:

أميلُ لِشِطْرَنج أهلِ النُّهَى وأسلوه من نَاقِلِ الباطِل
وكَم رُمْتُ تَهْذيبَ لُعَّابِها وتَأبَى الطِّباعُ عَلَى النَّاقِلِ

وقال يمدحُ كتابَ «التمهيد» للجمال عبدالرحيم الإسنوي:

أبْدَى جَمالُ الدين تَمهيدًا رَسَا أصْلاً وطَالَ في السَّماءِ نَضِيدُهُ

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٩٥، والدرر الكامنة ١/ ٢٦٣، وإنباء الغمر ٢/ ٢٢٩، وشذرات الذهب ٧/ ٣٠١.

عَمَـلٌ يَـدُومُ إلـى القيـامـة نَفْعُـه فليَهـنِ مَضْجَـعَ جَنْبِـه تَمْهيـدُهُ

١١٦- أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد ابن عدنان[١]، السَّيِّد شهاب الدين ابن السَّيِّد علاء الدين ابن السَّيِّد برهان الدين ابن أبي الجن الحُسَيْنيُّ الشريف، قاضي القضاة وكاتب السِّر وناظر الجَيْش بدمشق[٢].

وُلِدَ في سابِع شَوَّال سنة أربع وسبعين وسبع مئة بدمشق، ونشأ بها في عِزٍّ وسعادة ورَفاهية إلى أن وَلِيَ كتابة السِّرِّ بدمشقَ في رابع عشر شعبان سنة ثماني عشرةَ بعد مُحْيي الدين أحمد المُدَني، ثم صُرِفَ عنها. ثم وَلِي في ربيع الأول سنة عشرين، وعُزِلَ في جُمادَى الأولى سنة خمسٍ وعشرين. واستقرَّ في قضاء القضاة بدمشق في جُمادى الآخِرة سنةَ سَبْع وعشرين عوضًا عن ابن حِجي، ثم صُرِفَ عنها أوَّل سنةِ ثلاثين، واستقرَّ في نَظَر الجَيْش عوَضًا عن حُسين في شعبانَ سنةَ إحدى وثلاثين، ثم صُرِفَ بالجمال يوسُف ابن الصَّفي في جمادَى الآخرة سنةَ اثنتين وثلاثين، وطُلِبَ إلى القاهرة، فقَـدِمَ وهو موعوك البَدَن في ليلةِ الثامن من

---

(١) كتب المصنف حاشية قبالة اسم عدنان في المسودة عَرَّفَ ببعض أجداد المترجم أقحمها ناسخ جـ في نص الترجمة، فاضطرب ترتيب الترجمة عنده، ونص الحاشية: «ولد أمين الدين جعفر بن محيى الدين محمد بن عدنان أول رجب سنة خمس وخمسين وست مئة، وولي نقابة الأشراف بعد أبيه، ثم نظر الدواوين بدمشق في سابع عشري ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ومات ثالث عشر صفر سنة أربع عشرة وسبع مئة. وله أخ اسمه زين الدين حُسين خدم بكرك الشوبك مدة ثم نُقل إلى دمشق، وولي نظر حلب، ثم نقابة الأشراف بدمشق في ربيع الآخر سنة إحدى وسبع مئة، وولي نظر الديوان أيضًا، ودخل مع غازان لما قدم دمشق في جباية الأموال، فَضُرب وصودر هو وأخوه أمين الدين وحُملا إلى القاهرة. ثم خلصا بعد شدة، وولي نظر ديوان الأخرم، ونظر جامع بني أمية حتى مات سادس ذي القعدة سنة ثمان وسبع مئة».

(٢) ترجمته في: السلوك ٤/ ٨٤٥، وإنباء الغمر ٨/ ٢٠٦، والدليل الشافي ١/ ٦٢، والمنهل الصافي ١/ ٣٨٣، والضوء اللامع ٢/ ٥. وقضاة مصر ١٥١، وشذرات الذهب ٧/ ٢٠١.

ذي الحجة وخُلِع عليه في يوم الخميس النصف منه، واستقرَّ في كتابةِ السِّرِّ عوَضًا عن جلال الدينِ محمد بن البَدر محمد بن مُزْهِر، وكانت الطَّرحةُ خَضْراءَ برَقماتٍ من ذَهَب، ونَزَل في موكبٍ عظيم، وبين يديه الأمراءُ وعامَّةُ أعيان الدَّولة والقضاة، فكانَ يومًا مشهودًا. وباشر ذلكَ أجملَ مباشرةٍ من عَدَم الحجاب، والانتصابِ لقضاء حوائج النَّاس ليلاً ونهارًا، مع العِفَّةِ عن أموالهم وفَطْم أتباعه عنها، وكَثرةِ الآداب، ولينِ الجانب، وحُسْنِ الوساطة، وبَذْل المعروف، حتى لقد كنتُ أستكثرُه على الزَّمان، إلا أنَ الأيـام لم تُسْعِده، والأقدارَ لـم تساعدْه فلم يتمكَّن من السُّلطان حتى فَجَأَهُ أمرُ الله ومات بالطَّاعونِ موتًا وحيًّا لم يتمكَّن فيه حتى ولا من الكلام في ليلةِ الخميس ثامن عشري جُمَادى الآخرة سنة ثلاثٍ وثلاثين وثماني مئة، وعندَ الله نحتَسِبُه، ثم نسألُه أن يُلْحِقَه بسلَفِه الكِرام.

١١٧- أحمد بن إسماعيل بن عبدالله الملقَّبُ شهابَ الدين، الحَريريُّ(١).

كان عارِفًا بالنَّحو والعَرُوض وعِلْمَي المعاني والبَيَان، فاضِلاً في الطبِّ والمَنْطق والطبيعيات، قاسَى من الفَقْرِ آلامًا مدَّةَ سنين، ثم أوصلَه الرئيسُ فتحُ الدينِ فتحُ الله الدَّاوودي وهو يومئذ يتولَّى وظيفة رياسةِ الأطباء بالمَلِك الظَّاهر بَرْقوق، وقد عرِضَ له وَعْكٌ في سنةِ ثماني مئة وأثنى عليه عنده، فنجع فيه علاجُه وبرأ فأنعم عليه بما أزالَ به بعضَ شَعَثِه، ثم ماتَ العلاء الأقفهسي، وكانت بيده وظائفُ منها مشيخة خانقاه بَشْتاك وتدريسُ الجامع الخَطِيري ببولاق، وتدريسُ الجامع الحاكمي، وغير ذلك، فأمر السلطانُ بتوليته وظائفَ المَذْكور، فاستقَرَّت له بعد منازعاتٍ، فأخذ حينئذ ينظرُ في كُتُب الفقه، وتَزَوَّج وسَلَك طريقًا حميدةً حتى مات في خامس عِشري ذي القَعْدة سنة تسعٍ وثماني مئة.

وأنشدني غيرَ مرة من شعره، ولم يتَّفق ليَ أن أكتبَ شيئًا منه. ومن

---

(١) ترجمته في: ذيل الدرر، الترجمة ٢٧٠، وإنباء الغمر ٦/ ١٧، والضوء اللامع ١/ ٢٤٠.

غريبِ أمرِه أن صاحبنا القاضي الرئيسَ شمس الدين محمدًا العُمَري كاتبَ الدَّسْتِ الشريف حجَّ في سنة تسع وثماني مئة من مصر، فكانَ سفرُه مع الرَّكْب على العادةِ في شوّال وشهاب الدين الحريري في عافية، وكان من أصحابه، فلما قَدِم المبشرون بسلامةِ الحاجِّ في آخر ذي الحجة ورد صحبتهم كتابُه إلى الرئيس فتح الدِّين فتح الله، وهو يومئذٍ كاتبُ السِّر، وفيه أنه اجتمعَ بولي الله العَارِفِ الشيخ موسى المناوي بمكة، وأنه سأله عن غير واحدٍ من أهل مِصْر منهم شهابُ الدين الحريري فأخبره عنه أنه طيب، فقال: لا إله إلا الله. له مدَّةٌ يُذكر عندنا بعرفةَ في كل سنة، وهذه السنة لم يُذْكَر فيها. هذا قوله في كتابه أو ما هو معناه، وكان شهابُ الدينِ قد توفي قبلَ الموسم ولم يَبْلغْ العُمري، فوقع العجبُ من ذلك وحصَلَت البُشرى لشهاب الدين بهذا. رحمه الله وغفر له.

١١٨- أحمدُ بنُ أل مَلك، الأميرُ شهابُ الدين ابنُ الأميرِ الكبير سَيْف الدين أل مَلِك الجُوكَنْدار[١].

أعطاهُ السُّلطانُ الملِك الناصرُ محمد بن قلاوون إمرة طَبْلخاناه في حياة أبيه، فاستمرَّ عليها إلى أيام الملكِ الناصر حَسَن بن محمد بن قلاوون، فأعطاه إمرة مئةَ تَقْدِمَةَ ألف، فما زالَ أَحَدَ أمراءِ الألوف إلى شَهْرِ ربيع الآخر سنة خمسٍ وسبعين وسبع مئة، فأخرجه الملكُ الأشْرَفُ شعبانُ بن حسين بن محمد بن قلاوون إلى نيابة غَزَّة عِوَضًا عن الأمير طَشْبُغا المظَفَّري، وذلك أنَّ بلادَه التي كانت في إقطاعه بمصر شَرَّقت[٢]. ووقع الغلاءُ، فسأل السلطانَ أن يأذنَ له في التوجُّه إلى القُدْس بَطَّالاً وتَرْكِ الإمرة، فأنعمَ عليه بنيابَةِ السَّلْطَنَةِ بغزَّةَ، فسارَ إليها، ثم أعيدَ إلى مصر وأنعمَ عليه الملكُ الأشْرفُ بإمرة أربعين. واستقرَّ أحدَ حُجَّاب السُّلطان إلى شهرِ ربيع الأوَّل

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٧٥٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٣٩٢، والدرر الكامنة ١/ ١١٥، وإنباء الغمر ٣/ ٨٤، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٢٣، والدليل الشافي ١/ ٤١، والمنهل الصافي ١/ ٢٣١، ونـزهة النفوس والأبدان ١/ ٣٣٩.

(٢) شرقت: أي أصابها الجفاف والعطش.

سنةَ تسعٍ وسَبْعين وسبع مئة، وكان قد قُتِلَ الأشرفُ وتَغلَّبَ المماليكُ على الأمرِ، فَاستعفَى من الإمرةِ وخَلَعَ القباءَ وجميعَ زيِّ الأُمراء والأجناد، ولبسَ زِيَّ الفُقراء الصُّوفية: عباءةً وبِشْتًا وعمامةَ صوفٍ صَغيرة، وركبَ الحِمارَ بعد الخُيول المسَوَّمة، وَمَشى في الأسواق والشَّوارع على قَدَميه بعد العَسَاكر والمَوَاكب والحِجابِ الكثيف والبأوِ العظيم، وقَنِعَ في النَّفقة عليه وعلى عياله بما يتحصَّل له من أوقاف أبيه، وأعرضَ عن غَضارَةِ العَيْش والتأنق في الرَّفَه. وحَجَّ في سنةِ ثلاثٍ وثمانين وسبع مئة مع الرَّجَبيَّة، وكنتُ فيها فكان يكثِرُ من الطَّوافِ بعباءةٍ خَشِنَةٍ ولزوم الصَّمْت والسكونِ، فتخشَعُ لرؤيته القُلُوب، وتقشعرُّ من مهابته الجُلُود.

وما زال على ذلك حتى ماتَ في يوم الأحد ثاني عِشْري جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وتسعين وسبع مئة وقد أنافَ على السبعين، رحمه الله فلقد كان أحدَ المحاسنِ التي أدْرَكْناها والملحَ التي شاهدناه، شكرَ الله سعيه.

١١٩- أحمد بن داودَ بن محمد الدِّلاصي، شهابُ الدين، شاهدُ الطَّرْحي[1].

كان يُعَدُّ من رؤساء النَّاس، باشرَ عندَ جماعةٍ من الأُمراء في شهادةِ دواوينهم، ونابَ عنِّي في حِسْبَةِ القاهرة لما وَلِيتُها في سنةِ إحدَى وثماني مئة، فشُكِرَ فيها، وكان لي به أُنسٌ. ماتَ وقد نَيَّفَ على الستين في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثماني مئة، رحمه الله.

حدَّثنا الرئيسُ شهابُ الدين أحمد بن داودَ الدِّلاصي رحمه الله، قال: أخبرني الأميرُ آقبُغا الماردَاني كاشِفُ الوَجْه القِبلي وأميرُ الحاج وحاجبُ الحُجَّاب في الأيام الظاهريَّة بَرْقوق، قال: كنتُ رفيقًا للملكِ الظاهر بَرْقوق في سِجن الكَرَك أيامَ نُفي إليها وهو مملوكٌ بعد قَتْلِ الأمير يلبُغا الخاصَّكي فسُجنًا، وكنا خمسةً من المماليك اليَلْبُغاوية في قلعةِ الكرَك مُدَّةً، فاشتهينا يومًا أن نأكل طعامَ حبِّ رُمَّان، وليسَ لنا إلى أكلهِ

(١) ترجمته في: ذيل الدرر، الترجمة ٤٩، وإنباء الغمر ٤/ ١٥١، والضوء اللامع ١/ ٢٩٨.

سبيل، لسوء حالِنا، وشدَّةِ فَقْرنا، وعَدَم الزَّائر لنا، فأخذنا نُفضِلُ من الزَّيت الذي يرْخَى لنا في القِنْديل الذي نستضيءُ به حتى اجتمع لنا في مدَّةِ أيام منه قَدْرٌ جيد، ثم سألنا الحَرس الموكَّلين بنا أن يتصدَّقوا علينا بيسيرٍ من حَبِّ الرُّمان، فطَرَحُوا لنا منه شيئًا، فعمدنا إليه وصَلَقْناه حتى تَهَرَّأَ وألقينا فيه كِسَرًا يابسَةً جمعناها من حوانيت السِّجن قد تقادَمَ عهدُها، فلما انحلَّتْ صَبَبْنا فوقَها الزَّيْتَ وأكلنا وقد وقع منا بموقع لم نجد قَطُّ لذَّةً لمأكلٍ غيْره مثلما وجدنا لَذَّتَه، من شدَّةِ جوعِنا وعِظَم شهواتنا للمآكل التي لا نَقْدِرُ على شيء منها. وقدَّرَ الله سبحانَه بخلاصِنا من هذا السجن، وتنقَّلَتْ بنا الأحوال، ومَلَكَ السلطانُ بَرْقوق الدِّيارَ المصرية، وأنعمَ عليَّ بإمْرَةِ طَبْلَخاناه، فجلستُ ليلةً معه على العَشاء، أنا والأميرُ جَرْكَس الخَلِيلي أمير آخور، وكان أحدَ رفاقنا في سِجْن الكَرَك، فناولني السُّلطانُ لُقمةً من طعام مأمونيَّة. وقال: آقبغا، وهو بحبِّه، فلم أفهم ما قالَه السلطان، ثم ناوَلني لقمةَ أخرى وقال: «وهو بزَيْت» فدُهِشْتُ وقلتُ للأمير جركَس: ما يقولُ السلطان؟ فلم يَدْرِ أيضًا مُرادَه، فسألنا السُّلطانَ عن هذا القول فقال: أنسيتُم؟ ما تذكرونَ يومَ كُنَّا بسجْنِ الكَرَك وأردنا أكل طعام حَبِّ رُمَّان وعملنا كذا؟ فما منَّا إلا من ذكرَ ذلك وقُلْنا: يا مولانا السُّلطان، بالصَّبْر على ذلكَ، ولزوم خِدْمَةِ السُّلطان وسعادَتِه صِرْنا إلى ما نحن فيه. قال: فتحوَّلَ إلى القِبْلَةِ وسَجَدَ لله شكرًا ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة ٥٤].

١٢٠ - أحمدُ بن عبدالله بن الحَسَن بن طُوْغان، شِهابُ الدين، الأوحديُّ المُقرىء المؤرِّخ الأديب، أحدُ رجال البَحْريَّة من الجُنْد[1].

وُلِدَ بالقاهرة في النِّصفِ من المحرَّم سنةَ إحدى وستين وسبع مئة، وقرأ القرآن العظيمَ بالرِّوايات السَّبْع، وقَرأ القراءات العَشْر على الشَّيخ فَخْرِ الدين أبي عَمْرو عثمانَ بن عبدالرحمن البِلْبيسي الضَّرير، شيخ

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ١١٢، وذيل الدرر، الترجمة ٣١٦، والضوء اللامع ١/ ٣٥٨، وحسن المحاضرة ١/ ٥٥٦، وشذرات الذهب ٧/ ٨٩.

القراءاتِ وإمامِ الجامع الأزهر، ولازَمَه نحوًا من اثنتي عشرةَ سنةً. وقرأ أيضًا على المُسْنِد تقيِّ الدينِ أبي الفَضْل عبدالرحمن بن أحمد بن عليّ الواسِطي المعروف بابن البَغْدادي، أحد أصحاب التَّقِي الصَّائغ. وسَمِعَ على جماعةٍ، منهم المُسْنِدُ المُعَمَّرُ ناصرُ الدين محمَّدُ بن يوسُف الكُرْدي الطَّبَردار، وجُويْرِيةُ بنتُ أحمدَ بن الحُسين الهَكَّاري، والمُعَمَّر زينُ الدين عبدُالرحمن بن أحمدَ ابن الشَّيْخَة، وعزُّ الدين محمد ابن الكُوَيْك، والشهابُ أحمدُ بنُ حَسَن السُّوَيْداوي وغيرُهم. وقرأ العربيةَ والعَروضَ، وحَفِظَ في الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه.

وكانَ ضابطًا مُتْقِنًا مفيدًا، ذاكرًا لكثير من القراءاتِ وتوجيهها وعِلَلِها، حافِظًا للكثير من التَّاريخ، لا سيما أخبار مصر، فإنه لا يكاد يشذ عنه من أخبار ملوكها وخُلفائها وأُمرائها، ووقائِع حُرُوبها، وخِطَط دُورها، وتراجم أعيانها إلا اليَسير، مع معرفَةِ النَّحْو والعَروض وقَرْضِ الشعر الحَسَن. وكان رحمه الله كثيرَ التعصُّب للدَّولة التركية، محبًا لطريق الله، عَلَّقْتُ عنه جملةَ أخبارٍ، واستفدتُ منه كثيرًا في التَّاريخ، وأعانني الله بمسَوَّداتٍ من خَطِّه في خِطَطِ القَاهرة ضَمَّنتُها كتابي الكبيرَ المسمى بكتاب «المواعِظ والاعتبار في ذكر الخِطَطِ والآثار»، وناولني ديوانَ شعرِه، وهو في مجلَّدةٍ لَطيفةٍ بخطِّه، فمن شعره المنتقى من ديوانه:

لاتُكْثِرَنَّ من الشَّكْوى إلى أحدٍ ... فذاكَ عَيْبٌ على الأحْرارِ يُنْتَقَدُ
وإن دُفِعْتَ لأمرٍ لا مَرَدَّ لَهُ ... فاضْرَع إلى الله تُكْفَى شَرَّ ما تَجِدُ

وقال:

كُنْ صَبُورًا لِحَمْلِ كُلِّ عظيمٍ ... من خُطوبِ الزّمان إن كنتَ حُرًّا
وإذا ما رَكائبُ الهَمِّ وافَتْ ... لَكَ تَسْعَى أَوْسِعْ لَها منكَ صَدْرا

وقال:

تَعَفَّفْ وكن قانِعًا باليَسير ... ودَعْ عَنْكَ يا صَاحِ ذُلَّ الطَّلَبْ
ودَاوِم على كيمياء التُّقَى ... وإياكَ تَشْقَى بعُمْرٍ ذَهَبْ

وقال:

إنـــي إذا مـــا نَـــابَنـــي أمـــــرٌ نَفَـــى تَلَـــذُّذِي
واشتـــد منـــي جَـــزَعـــي وجَّهـــتُ وَجْهـــي للـــذي

وقال:

رَبِّ ضاقَتْ بيَ المَسَالِكُ طُرًّا واعْتَـراني هَمٌّ بَراني ضُرَّا
فأجِرْني من الهُمُومِ وهَب لي يا إلهي من عُسْرِ أمريَ يُسْرا

وكتب إليَّ:

فاخِرْ تَقِيَّ الدين كُلَّ مُفاخِرٍ في النَّاس بالنَّسَبِ الشَّريفِ الفاطمي
وإذا رَوَيْتَ حَديث جُودٍ عَنْهُم ورأيتَ خَصْمًا فارتَفِعْ للحَاكِمي

وكتب إليَّ لما قلَّدني الملكُ الظاهرُ بَرْقوق وظيفةَ الحِسْبَةِ بالقاهرة المُعِزِّية:

أبْشِر تَقِيَّ الدين بالسَّعد الذي وافَاك مُعْتـذِرًا لبابِكَ يَنْتَسِبْ
هي رُتْبَةٌ كم قد أتاها طامِعٌ يحظَى بها لَكِنَّ أنتَ المحتَسِب

وكتب إلي:

تهنا بكَ العَلْيَاءُ يا واحِدَ الوَرَى ويا بَحْرَ جُودٍ فاقَ في الفَضْل جَعْفَرا
سَمَوْتَ إلى أعلى الكَواكِبِ رِفْعَةً وإنـا لَنَرجُوا فوقَ ذلك مَظْهَرا

وكتب إليَّ:

شَرَّفْتَ قَدْري إذ أتيتَ لمنزلي ومَلَكْتنـي بالبِـرِّ والمَعْـروفِ
يابن الخَلائفِ أنتَ عاضِدُ عَصْرِنا لا بِـدْعَ إن أنْعَمْـتَ بالتَّشْـريفِ

أخبرني المقرىء المؤرخ الأديبُ شهابُ الدين أحمد بن عبدالله الأوحدي، قال: أخبرنا الشيخُ المقرىء الجُندي شهابُ الدين أحمد بن محمَّد ابن الرُّكن قارىء المصحف بالجامع الأزهر، وتوفي بالفيوم في صفر سنة ثمانٍ وتسعين وسبع مئة، أنّه توجه مع أبيه في خِدمة السُّلطان الملكِ الناصر محمَّد بن قلاوون لما سافرَ إلى الصَّعيد، فمرَّ حتى نَزَلَ ببلادِ البَهْنَسا وتلقَّاه الأميرُ بَهادُرُ الجمالي والي البَهْنَسا للخِدْمة على العَادة، فأحْضَر مُهْرًا من عِتاقِ الخَيْل وجيادها برَسْم التَّقدِمَةِ للسُّلطان،

وحَلَف بالله أنه ما أخذَ هذا الفرسَ من أحدٍ، وإنما هو متولِّدٌ عنده من فَرَس، فأمرَ السلطانُ بإيداعه عنده حتى يرجعَ من سَفَره. فلما عادَ السلطانُ أحْضَر الوالي المُهْرَ إليه، وفي ظَنّه أنه سيَقْبَلُه، فلما مَثُلَ بين يديه أمرَ الأمير آقبُغا عبدالواحد أن يأخذَ بَهادُر المذكور ويضربَه أربع مئة ضَرْبة بالعِصي، ويربطَ الفرسَ في عُنُقه ويُنادى عليه في العَسْكر: هذا جزاءُ من يُجَرِّىء الملوكَ على أخذ البِرطيل. قال: فوقعَ الأمراء إلى الأرض يقبِّلونها ويسألونَ السُّلطان العفوَ عنه فلم يجبهم. فعادوا إلى سُؤاله فأجاب بعد جُهْدٍ أن يُعْفَى من الإشهارِ فقط، فمضى به الأمير آقبغا وضرَبَه. ثم إنّ السُّلطان طلبَ بهادُرَ المذكورَ وهَشَّ له وأنعم عليه وحَذَّرَه من العَوْدِ إلى مثل ذلك، وأقرَّه على ولايته.

حدَّثنا المقرىء شهابُ الدين أحمد بن عبدالله بن الحَسَن بن طُوغان الأوحدي عن أبيه أنه كانَ يَعملُ للملك الناصرِ محمَّدِ بن قلاوون كلَّ يوم رُمسان تُطَجَّن بدُهْن اللَّوْز يأكلُ منها ما عَسى أن يأكُلَ ويأخذُ الغلمانُ ما يَبْقَى فتبيعُه للنَّاس، فكنتُ أشتري الرُّميسَ من ذلك بثلاثةِ دراهم، فلما ماتَ المَلِكُ الناصِرُ لم أرَ شيئًا منه بَعْدَه.

حدَثنا المقرىءُ المؤرخ شهابُ الدين أحمد بن عبدالله الأوحدي، قال: حدثنا العَدْل المؤرخ ناصِرُ الدين محمدُ بن عبدالرَّحيم بن علي بن الفُرات، قال: حدثنا العَلَّامة شمسُ الدين مُحمد بن عبدالرحمن ابنُ الصَّائغ الحَنَفي أنه أدرَكَ بجامِع عَمرو بن العاص خمسين حَلْقَة للإشغالِ[1] بالعِلْم لا تَزالُ موجودةً فيه دائمًا.

حَدَّثني صاحبنا المُقرىء المُؤرِّخ الأديبُ شهابُ الدين أحمد بنُ عبدالله بن الحَسَن بن طُوغان الأوحدي الجُنْديُّ الشافعي إملاءً بمنزلي من القاهرة في يوم السَّبت لسبع ليالٍ بقينَ من شَهْر رجب سنةَ عَشْرٍ وثماني مئة، قال: أخبرنا شيخُنا المَقرىء الحَنَفي الجُنْدي شهابُ الدين أحمد بن محمَّد بن بَيْبَرس البَيْسَري عُرِفَ بابن الرُّكْن، قال: أخبرنا شيخُنا المقرىء

(١) الإشغال: التدريس، والاشتغال: طلب العلم.

الكاتبُ شمسُ الدين محمدُ بن مُحمد بن نُمَيْر الشهير بابن السَّرَّاج، قالَ: رحَلْتُ إلى ثَغْرِ إسكندريَّة لأخذِ القِراءاتِ عن شَيْخِنا مَكين الدين عبدالله ابن مَنْصور السِّمْسار في البَر، عُرِفَ بالمَكِين الأسمر، فلزمْتُه مدَّةً أقرأُ عليه في خَلْوَتِه بجامع العَطَّارين من الثَّغْر، وبَكَّرْتُ إليه ذاتَ يوم على عادتي، وجلستُ ببابِ الخَلْوَة لأستأذِنَ عليه، فسمعتُ قراءةَ شَخْصٍ يقرأ عليه، فأمسكتُ عن الاستئذان حتى فَرغَ من القراءَةِ وأنا أظنُّه بعضَ الطلبة، فتنحنحتُ لما فرغ كي يعلم الشيخُ مكاني. فقال لي الشيخُ عند ذلك: أحضَرْتَ؟ قلت: نعم. قال: سمعتَ الصَّوتَ؟ قلت: بَلى. قال: ذاك رجلٌ من الجانِّ يقرأ عليَّ القُرآن، ثم أذِنَ لي فقرأتُ حِزْبي، ثم سارَ إلى السُّوقِ وأنا معه، فأتى بعضَ التجَّارِ، وجلَس على حانوته، وقال له: هل بِعْتَ بالأمسِ ثَوْبًا صِفَتُه كذا؟ فقال التاجر: قد كان ذلك. قال: وأخبرتَ الذي اشتراهُ بأنَّ شِراءَه عليك بزيادةٍ عما اشتريته به عشرين درهمًا؟ قال: فبُهِت عند ذلك التاجرُ وقال له الشيخ: أين ثمنه؟ فمدَّ التاجرُ يده وأخرجَ ورقةً حمراء من داخلِ حانوته فيها دراهمُ، فأمره الشيخُ بوزنها، فوزنَها فإذا هي قد نَقَصَتْ عشرينَ درهمًا مما كان يعهَدُه بالأمس. قال: فأخرجَ الشيخُ من جَيْبه ورقةً حمراءَ فيها دراهمُ فرمى بها إلى التاجر وقال: زِن هذه، فوزنها فجاءَتْ عشرين درهمًا سَوَاء، فقال له: خُذْها فإنها دراهمُكَ بعينها، وإياك والعودَ لما صنعتَ. ثم أقبلَ عليَّ وقال لي: يا محمد، إن الجِنِّي الذي سمعتَ قراءتَه علي أحضرَ إليَّ هذه الورَقَة وفيها ما رأيتَ من الفِضَّة، وأخبرني أنَّ هذا التاجر باعَ ثوبًا لرجلٍ، وأنَّه أخبرَه ثمنه بزيادةِ عشرينَ درهمًا عما اشتراهُ به، وأنَّه أخَذَ العشرين الزَّائِدَة، وجعلها في قطعةٍ من الورقةِ التي صَرَّ فيها التاجرُ الدراهم، وأحضرها إلي، وذكرَ لي أن الله عزَّ وجلَّ أباحَ لهم أن يأخذوا ما كانَ مثل ذلك من أموال الإنس التي لا يَحلُّ لهم أخْذُها. قال: وأخذَ التاجرُ يتأمَّلُ الورَقَةَ التي صرَّ بها الدراهمَ بالأمسِ، فإذا هي قد قُطِعَ منها قَدْرُ الصُّرَّة

التي دَفَعها إليه الشيخُ سواء[1].

١٢١- أحمدُ بن عُمَرَ بن عليّ بن عبدالصَّمد بن أبي البَدْرِ البَغْداديُّ الجَوْهريُّ، شهابُ الدين أبو العباس، نزيلُ مِصْر[2].

ولد ببغداد في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة، وقَدِمَ مع أخيه عبدالصَّمَدِ عُمر البَغْدادي الجَوْهري إلى القاهرة في شهر رَمضان سنة خمسٍ وأربعين وسبع مئة، وتوفي بالقَاهرةِ يوم الثُّلاثاء من شهرِ ربيع الأول سنة تسعٍ وثماني مئة، وقد تَغيَّر واختلَطَ.

سمعَ بدمشق على الحافظ أبي الحجَّاج يوسُف المزي، وداودَ بن إبراهيم العَطَّار، ومحمَّد بن إسماعيل الخَبَّاز «سنن ابن ماجة» سنةَ إحدى وأربعين، وحدَّث به وبقطعة من «تاريخ بغداد» للخطيب أبي بكر البَغْدادي بإجازته من المِزي بسماعِه من يُوسُف بن يَعْقوب ابن المُجاور، قال: أخبرنا الكِندي أبو اليُمن زيد ، قال: أخبرنا أبو منصور عبدالرَّحمن محمد بن عبدالواحد القَزَّاز سماعًا عن الخطيب.

سمعتُ عليه «سُنن» الحافِظِ أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القَزْويني بكمالِه في خمسةَ عشرَ مجلسًا آخِرُها يومَ السبت سادس عشْري شعبانَ سنةَ خمسٍ وثمانين وسبع مئة؛ وقرأتُه عليه بأجمَعِه مرةً ثانيةً في شعبانَ سنة[3] ثمانٍ وثماني مئة بسماعه لجميع الكتابِ على المشايخ

---

(١) في حاشية المسودة تعليق لابن قاضي شهبة نصه: «انشغل المصنف رحمه الله يذكر حكاياته عن ذكر وفاته، وقد توفي سنة إحدى عشرة وثماني مئة في جمادى الأولى كما ذكر الحافظ قاضي القضاة أبو الفضل ابن حجر في معجمه أمتع الله ببقائه. وقد أهمل المصنف ترجمة المذكور في تاريخه المرتب على الحوادث، ذكره لي حافظ العصر، فكنا في حيرة من وقت وفاته. نبه على ذلك أبو بكر ابن قاضي شهبة».

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ١٨، وذيل الدرر، الترجمة ٢٧٣، والضوء اللامع ٢/ ٥٥، وشذرات الذهب ٧/ ٨١.

(٣) قوله: «سنة خمس وثمانين وسبع مئة، وقرأته عليه بأجمعه مرة ثانية في شعبان»، سقط كله من جـ. =

الثلاثة: الحافِظ جمالِ الدين أبي الحَجَّاج يوسُف بن عبدالرحمن المِزِّي، والإمام جمال الدين داودَ بن إبراهيمَ العَطَّار، والمسنِد شَمْس الدين محمَّد بن إسماعيل الخَبَّاز البَعْلَبكي في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة بمدينة دمشق؛ قالوا: أخبرنا الشيخُ عِمادُ الدين إسماعيل بن جُوسِكين الحَنْبلي البَعْلَبَكي، وبسماع المِزِّي أيضًا من القاضي تاج الدين عبدالخَالِق ابن عبدالسلام بن عُلوان البَعْلَبكي، والإمام أبي الفَرَج عبدالرَّحمن بن أبي بكر محمد بن قُدامَةَ المَقْدِسي. قال ابن جوسكين وعبدالخالِق وأبو الفَرَج: أخبرنا شيخُ الإسلام موفَّقُ الدين عبدالله بن أحمد بن قُدامةَ المقدسي. وقال المِزي: أخبرنا بالجزء الأوَّل فقط عِزُّ الدين أبو حَفْص عُمر بن محمد الأسَدي، قال: أخبرنا مُوفَّق الدين عبداللَّطيف بن يوسُف البَغْدادي. قال الموفقان: أخبرنا أبو زُرعةَ طاهِرُ بن محمد بن طاهر المَقدِسي، قال: أخبرنا أبو منصور محمد بنُ الحسين المُقَوِّمي، قال: أخبرنا أبو طَلْحة القاسمُ بن المُنْذِر الخَطيب، قال: أخبرنا أبو الحَسَن عليّ بن إبراهيم بن سَلَمة بن بَحْرٍ القَطَّان، قال: أخبرنا الحافِظ أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القَزويني، رحمه الله.

صحبتُه من سنة ثِنْتين وثمانين وسبع مئة، ورافقته في المجاوَرَةِ سنةَ ثلاث وثمانين وسبع مئة بمكَّة المشرَّفة، وكان جميلَ المحاضرة، حَسَن المعاشَرَة، كثير التأله، محبًّا لأهلِ الصَّلاح، معتقدًا الخَيْرَ في الفُقراء، يرجو بصحبتهم البَرَكة، ويعتقدُ في محبَّتهم الأجر، مَشْغُوفًا بالسَّماع على طريقِ القَوم من المتصوِّفَةِ، متواجدًا، بعيدًا عن الخَنَا والرِّيَب والمعايب، سامي النَّفْس، مقبول الطَّلْعةِ، مذاكرًا بأخبارٍ ومعارفَ، مشارًا إليه بمعرفة قيم الجَوْهَر، معاينًا للمتجرِ فيه، معتقدًا فيه الخَير، رحمه الله.

حدثنا شيخنا المسنِدُ المُعَمَّرُ شهابُ الدين أحمدُ بنُ عُمرَ البَغْدادي الجَوهري، قال: أخبرنا القاضي الفقيه شَرَف الدين محمدُ ابنُ الشَّيخ الإمام العالِم شهابِ الدين محمدِ بن عبدالرَّحمن بن عَسْكَر المالكيُّ البَغْداديُّ،

قال: لما قَدِمْتُ مع أبي من بَغْداد إلى دمشقَ وقفَ بي على قَبْر محيي الدِّين بن العَرَبي، وقال: يا بُنيَّ هذا قبرُ مُحيي الدين محمد بن عليّ بن عرَبي الصُّوفي الطائي، إياكَ والوقيعةَ فيه فإنَّ العلمَ أوسَعُ والوقت أضيَق.

أخبرنا شهابُ الدِّين البَغْداديُّ، قال: من المجرَّب عندنا ببغدادَ أنه ما قَطَعَ أحدٌ نخلةً إلا وأُصيبَ من عامِهِ، إما في نَفسه أو لَحقَتْه رَزِيَّةٌ عظيمة.

قال كاتبه: كان بحذاء داري من القاهِرَة دارٌ بها نخلةٌ قطَعَها رجلٌ صارت إليه الدارُ في شَوَّال سنةَ تسع وثماني مئة، فلما كان في ذي القَعْدة منها احترقَت دارُه حتى صارَت كَوْمَ تُراب.

أخبرنا شهابُ الدين البَغْدادي، قال: أخبرني شرفُ الدين ابن عَسْكر عن أبيه، وكان قد حضَرَ واقعةَ بغدادَ على يَدِ هولاكو وأُسِرَ فيها: أنَّ الناسَ في بغدادَ أقاموا مدَّةً لا يقرأ قارِىءٌ في محراب، ولا تالٍ في مُصْحَف، ولا مُمْلٍ على صغير في مَكْتَبٍ قولَ الله عزَّ وجل: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة ١٤] إلا جَرَى على لسانه: «قاتِلوهُمْ يُعَذِّبْكمُ الله بأيديهم»، وما زالَ ذلك يجري على الألسنة لا ينطقونَ بالتِّلاوة إلا هكَذا، حتى كان من واقعةِ هولاكو ما كان.

١٢٢- أحمد بن عُمر بن مُسَلَّم بن سعيد بن عُمر بن بَدْر بن مُسَلَّم، شهابُ الدين ابن زين الدين القُرَشيُّ الدِّمشقيُّ الشافعي الواعظ ابنُ الواعظ[(١)].

كان أبوه أحدَ أعلام الوعَّاظ بدمشق، ومن جملة أكابِر المحدثين يقال: إنه ما تصدَّى للوَعْظِ حتى حَفِظَ أربعين مجلسًا، وقَدِمَ إلى القاهرة في سنةِ ثمانين أو نحوها، وامتُحِنَ لولا قيامُ قاضي القضاة بُرْهان الدين ابن جماعة معه لأتَى على نَفْسه، ونزلَ بجوارِ منزلي، ولم يتَّفق لي أن

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٧٥٧، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٣٩١، والدرر الكامنة ١/ ٢٤٥، وإنباء الغمر ٣/ ٨٥، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٢٣، والدليل الشافي ١/ ٦٦، ووجيز الكلام ١/ ٢٩٩، وقضاة الشافعية ١١٦، والدارس ١/ ٤٠.

آخذ عنه شيئًا. ونشأ ابنه أحمد هذا واعظًا، لكن دون أبيه، ووَرَدَ إلى القاهرة، وعقد مجالسَ للوعظ. حضرته وسمعتُ من مجالسه، فكان يُلقي من صدره الكلامَ على الآياتِ الكريمة، ويوردُ الأحاديث والآثار ونحوها، وحصلَ له القبولُ الكثير، فلما ثارَ الأميرُ يَلْبُغا النَّاصري وسارَ من حَلَب حتى انتزعَ الملكَ الظَّاهرَ بَرْقوق من المُلْك، واستبدَّ بتدبير دولة المَلِك الصالح المَنْصور حاجي بن الأشرف، قَلَّد أحمدَ قضاءَ القُضاةِ الشافعية بدمشق، فسارَ إليها من القاهرة، فلما كان من قيام مِنْطاش على النَّاصري وسَجنه وخروج بَرْقوق من سِجْن الكَرك، وتوجَّه بأهل الكَرَك إلى دمشق، كان أحمدُ بها متقلد القضاء بها ، فقام بحربِ برقوقَ وألب عليه، ودَعا الناس إلى قتالهم، فلما عادَ بَرْقوقُ إلى مصرَ واستولى على كُرسي المملكة وفَرَّ منطاشُ من دمشقَ، قبضَ الأمراء بها على أحمد؛ ويقالُ: بل قبض عليه مِنْطاش قبلَ خروجه وسَجَنه، فحُمل إلى السُّلطان بقَلْعَةِ الجَبَل في عدَّةٍ من أمراءِ دمشق وأعيانها الذين شاقوا السلطان أيامَ منازلته لدمشق، فلما مَثُلَ بين يدي السُّلطان قال له: ﴿ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يوسف] فأمر به فسُجن في بُرج بالقلعةِ إلى يوم الأحدِ النصف من جُمادى الآخرة سنةَ ثلاث وتسعين.

وقَفَ رجلٌ شامِي وشكا أحمدَ أنه أخذ له قُماشًا، فأُحْضرَ إلى مَجْلِسِ الحكم بالإسطَبْل السُّلطاني وادَّعى عليه غريمُه فأنكرَ، فأُمرَ به فضُربَ بالمقارع بِضْعًا وستين شَيْبًا، وأُسْلِمَ للأمير عَلاء الدين عليّ ابن الطَّبْلاوي والي القاهرة فضرَبه غيرَ مرَّة بالعِصي وبالمقارع، وسُجِنَ في خزانة شمائل سِجْنَ أربابِ الجَرائم إلى أن خُنِقَ في ليلة الأربعاء تاسع شهر رَجَب سنةَ ثلاثٍ وتسعين وسبع مئة فدُفن خارجَ باب النصر.

ويقالُ: القَرْشي، بفتحِ القاف، نسبةً إلى قَرْيَة يقالُ لها قَرْشَة.

١٢٣- أحمد بن عليّ بن محمد بن محمد بن عليّ بن محمود ابن أحمد بن أحمديل[١]، أبو الفَضْل ابنُ حَجَر الكِنَانيُّ العَسْقلانيُّ الأصلِ، المِصْريُّ المولِد والدّار والمنشأ، الشافعيُّ المَذْهب[٢].

ولد في ثاني عِشْري شعبانَ سنةَ ثلاثٍ وسَبْعين وسبع مئة. وماتَ أبوهُ وهو طِفْلٌ في رَجَب سنةَ سبع وسبعين، فرُزِقَ في الصِّبا سُرعةَ الحِفْظِ بحيث كان يحفظُ في أكثر الأيام الصفحة من كتاب «الحاوي الصغير» في الفِقه من مَرَّتين لا غير، وحَفِظَ سورة مريمَ في يوم واحد. واشتغلَ بالعِلْم بعدَ أن أكملَ سبعَ عشرة سنة، ثم أقبل على الاشتغال بالحديث النَّبويِّ بعد أن أكملَ ثلاثًا وعشرين سنة.

وكان قد سمعَ اتفاقًا قبل ذلك «صحيح البخاري» بمكَّة على النَّشاوَري في سنةِ خمسٍ وثمانين وسبع مئة، وحضَرَ مجلِسَ الخَتْم الشيخُ جمالُ الدين الأميوطي. وفي هذه السَّنة صلَّى التَّراويحَ بالنَّاس بالقرآن المجيدِ في المسجدِ الحرام، ثـم سَمِعَ «صحيح البخاري» في سنة سِتٍّ وثمانين بمصرَ على نَجْم الدين ابن رَزِين، وسمعه أيضًا هو و«مُسْند الشافعي» على صلاح الدِّين الزفتاوي، وسمع على أبي الفَرَج ابن الشَّيْخة وغيره. وفي أثناء ذلكَ اشتغلَ في عِدَّةِ علوم على عدَّةِ مشايخ من أهل العَصْر، وقال الشعرَ، وطارَحَ الأدباء. ثم طلَب بنفسه على الأوضاع المعتبَرَة المتعارَفَةِ بين أهلِ الحديث، فسمعَ الكثير بقراءته وقراءةِ غيره من

---

(١) لا يوجد «أحمديل» بل أحمد في لحظ الألحاظ ٣٢٦، وذيل طبقات الحفاظ ٣٨٠.

(٢) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٥٢، والدر المنتخب، الترجمة ١٧٦، ورفع الإصر ١/ ٨٥، والنجوم الزاهرة ١٥/ ٥٣٢، والدليل الشافي ١/ ٦٤، وحوادث الدهور ١/ ١٩٦، ولحظ الألحاظ ٣٢٦، والضوء اللامع ٢/ ٣٦، ووجيز الكلام ٢/ ٦٢٢، والتبر المسبوك ٢٣٠، وذيل رفع الإصر ٧٥، وحسن المحاضرة ١/ ٣٦٣، وذيل طبقات الحفاظ ٣٨٠، ونظم العقيان ٤٥، وبدائع الزهور ٢/ ٢٦٩، والقلائد الجوهرية ٢/ ٤٥٤، ومفتاح السعادة ١/ ٢٥٧، ودرة الحجال ١/ ٦٤، وشذرات الذهب ٧/ ٢٧٠، والبدر الطالع ١/ ٨٧.

مُسْنِدي الدّيارِ المِصْريَّةِ كالشيخ أبـي إسحاقَ برهان الدين الشَّامي التَّنُوخي وأبي عَلِي محمد بن أحمد بن علي المَهْدوي: حدَّثَه عن الوَاني وغيره، وعلى أبي الفَرَج ابن الشَّيْخة، وهو آخر من بقيَ ممَّن حدَّث عن السِّلَفي بالسماع المتصل. ثم قَدِم أبو الحسن علي بن محمد بن أبي المجد ابن الصائغ الدِّمشقي، فحدَّث بالسماع عن سِت الوزراء والقاسم ابن عساكر وغيرهما، بالإجازَةِ عن أبي بكرِ الدَّشْتي، ومحمد بن عُمر بن داود، وسُليمان بن حمزةَ القاضي، وأمثالهم. وخرَّج له عن المشايخ الذين تفرَّد بالرّواية عنهم جزءًا كبيرًا، ومن المسموع له عليهم عنهم «تاريخ أصبهان» لأبي نعيم، و«مقامات الحريريّ» و«مُسند الشافعي» وغير ذلك. وسمعَ الكثيرَ أيضًا من الحافِظ زين الدين العِراقي، وبحثَ عليه شرحَه للألْفِيَّة في عُلوم الحديث و«النُكت» على كتاب ابنِ الصّلاح. وقرأ على شيخِ الإسلام أبي حَفْصٍ سراجِ الدين عمر البُلْقيني كثيرًا من مَرْوياته الفقهية، وبحثَ عليه في حواشيه على «الرَّوْضَة» قطعةً كبيرة، وخَرَّج لمشايخه أشياء منها «ستُّون حَدِيثاً عشارية» أكمل بها «الأربعون العُشارية» التي خرَّجها شيخه العِراقي لنفسه فصارت مئة و«الأربعون حديثاً» عن أربعين شَيْخًا من مَشايخ شيخ الإسلام البُلْقيني رحمه الله، وقرئتْ عليه مرارًا، و«المئة العشارية» للشيخ برهان الدين الشَّامي المُبْدأ بذكره. ثم خرَّج له «معجمًا» حافلاً يشتمل على ست مئة شيخ أو ما يقرُب من ذلك.

ثم ارتحلَ إلى الإسكندرية فلقي بها تقيَّ الدين بن مُوسى الشافعي، وكان مُسْنِدَها إذ ذاك، وهو آخرُ من حَدَّث عن عُمر بن يحيى العُتْبي ووجيهةَ بنت علي الصَّعيدي، وهو أحدُ شيوخ العِراقي. ولقيَ بها جماعةً ممَّن يَرْوي حديث الرَّازي بالسَّماع المتَّصل.

ثم ارتحلَ إلى البلادِ الشَّامية، فسَمِعَ بغزَّة، والقُدْسَ، والخليل، ونابُلس، والرَّملة، ودمشقَ وغيرها من البلاد من عدَّة مشايخ. وأقامَ بدمشق مئة يوم سواءً، حَصَل فيها له من المسمُوعات ألفَ جزءٍ حديثيَّةٍ، منها «معجم الطَّبراني الأوسط» في أربع مجلدات، و«ذم الكلام» في

مجلَّد، و«معرِفَة الصَّحابة» لابن مندة في خمسة، و«الأحاديث المختارة» للضياء في خمسة، و«صَحيح ابن خُزَيمة» في مجلد، و«مُسْنَد مُسَدَّد».

وأسرَعُ ما وقعَ له فيها من القِراءةِ في الرِّحلةِ أنه قرأ «مُعْجَم الطبراني الصغير» في مَجْلِسٍ واحد بين صلاتي الظُّهْر والعَصْر، والمُعْجَم المذكور في مجَلَّدٍ يشتملُ على نحوٍ من ألفٍ وخمس مئة حديث بأسانيدها، لأنه خَرَّج فيه عن ألف شيخ عن كلِّ شيخٍ حديثاً أو حديثين، وكانَ ذلكَ بإعانةِ الله عزَّ وجلَّ إياه وتأييدِه له.

فمن المشايخ الذين لقيَهُم بدمشقَ العمادُ أبو بَكْر بن إبراهيمَ بن محمد ابن العز المَقْدسي، حدَّثه عن ابن الزَّرَّاد وابن الشِّحْنة وغيرهما، وتقيُّ الدِّين عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالله الصالحي؛ حدَّثَه عن ابن الشِّحْنَةِ وغيره، وأحمد ابن بُلْعاقَ الكُنْجكي؛ حدَّثه عن إسحاق بن يحيى الآمدي صاحب يُوسُف بن خليل، وبَدْر الدِّين محمد بنُ محمد بن محمد بن قِوام البالِسي؛ حَدَّثه عن علي بن هلال وغيره «بموطأ أبي مُصْعب»[1] بالسَّماع المُتَّصل، وفاطِمَةُ بنتُ محمد بن أحمد بن المنَجَّى؛ رَوتْ له عن القَاضي تقيِّ الدين سُليمان بن حَمْزة وطَبَقته بالإجازة، وهي آخرُ من حَدَّث عنهم، وخديجة بنتُ الشيخ أبي إسحاقَ بن سُلطان آخرُ من حدَّث في الدُّنيا عن القاسمِ ابنِ عساكر بالسَّماع، وغير هؤلاء.

وخرَّج تعاليقَ البُخاري موصولةَ الأسانيدِ إلى من عَلَّق عنه في مجلَّدين[2]، وكتبَ عليه علماءُ الزَّمان: البُلْقيني، والعراقي، والمجدُ الشِّيرازي وغيرهم من الأعلام، ولم يُسبق إلى ذلك، فقد ذكر الحافظ أبو عبدالبَر ابنُ رشيد السبتي أحدُ تلامِذَةِ العلاَّمةِ ابن دقيق العيد في كتاب «ترجمان التراجم» له ما نَصُّه: «والتَّعاليق المذكورة في صحيح البُخاري مفتقرةٌ إلى أن يُصَنَّف فيها كتاب يخصُّها تُسْنَد فيه الأحاديث المرفوعةُ والموقوفَةُ كلُّها مع تَبيين دَرَجاتها من الصِّحَّة والحُسن، وما عَلِمْتُ أحدًا

---

(١) حققه ونشره الدكتور بشار عواد معروف في مجلدين (بيروت ١٩٩٢).

(٢) سماه «تغليق التعليق» طبع في أربع مجلدات.

تعرَّض لتصنيفٍ في ذلك وإنه لمهمٌّ لا سيما لمن له عنايةٌ بكتاب «البُخاري». انتهى.

ثم اختصرَ «تهذيب الكمال»[1] في نحوٍ من ثلثِ حَجْمِه مع التزامه باستيفاء مَقَاصده المتعلِّقةِ بالتَّعريف بأحوالِ من ذُكر فيه من الرجال، وزادَ فيه نحوًا من ثُلُث الثُّلُث مما يلزمه ذكره، ويتعيَّن عليه عَدَمُ إهماله. ثم لخَّص جميعَ ذلك في مجلد لطيف[2]. وجمعَ أيضًا ذيلاً على «الميزان» للذهبي يشتملِ على أكثرَ من ألف اسمٍ ممن لم يذكر فيه سَمَّاه «لسان الميزان». وهَذَّب «المُدْرَج» للخَطيب مع الزيادة عليه. وكتبَ «النُّكَتَ الحديثيَّة على كتاب ابن الصَّلاح» مُضَافًا للنكتِ التي جَمَعها شيخهُ العِراقي. ولعلَّ ما جَمَعهُ في الحَجْم ضعفي ما جَمَعَ شيخهُ. ثم انتَخَبَ من ابنِ الصَّلاح ومن الكتابين المذكورين في التَّنكيت عليه مقدِّمةً في غاية الاختصار والإيضاح سماها «نُخْبَةَ الفِكَرِ في مُصْطَلح أهلِ الأثر» في نحو من سبع أوراقٍ لا غير، وفيها من الأنواع زيادةٌ على ما في كتاب ابن الصَّلاح نحو النِّصف منه، ثم شرحها في مجلَّدةٍ لطيفةٍ أدمج جميعها في شَرْحها، بحيث صارَ يُظنُّ كتابًا واحدًا في غايةِ الإيضاح.

وخرَّج لنفسه مُعْجمًا لشيوخه ذكرَ فيه في تَرْجمةِ كلِّ شيخ ما أخذ عنه، فهو معجم وفهرست[3]. وخرَّج لنفسه «الأربعينَ المتباينةَ بشرطِ السَّماع المتصل» لا يتكرَّر فيها أحدٌ من رُواتها من أوَّلها إلى آخرها. وغير ذلك من التخاريج الحديثيَّة، والمجاميع المفيدة العجيبة، والتعاليقِ المحتوية على فُنون الآداب وأنواع العلوم.

ووَلِيَ تَدريسَ الحديثِ بالمدرَسَةِ الشَّيْخُونية في سنةِ ثمانٍ وثمان مئة، ثم وَلِيَ تدريسَ الفقه بها على مذهَبِ الشافعي في سنة إحدى عشرة، فكتب على «المنهاج» للنَّووي رحمه الله دُروسًا كالشَّرْحِ مَشَى فيها

(١) سماه «تهذيب التهذيب» وهو مطبوع مشهور.
(٢) سماه «تقريب التهذيب»، وهو مطبوع مشهور أيضًا.
(٣) هو المعجم المؤسس، طبع أخيرًا.

على «الحج» كله وعلى قطعةٍ كبيرة من «البيع». وفي أيام تدريسه للحديث بالشَّيْخونيَّة كتب على «جامع التِّرمذي» قطعةً من شرحه. ثم شرع في شرحٍ حافلٍ على «البخاري» فكتبَ منه المقدِّمة الشامِلَةَ لجميع مقاصِدِه في مُجَلَّد، وهو الآن في الكلام على الأصل، أعانه الله على إتمامه[1].

وحجَّ أربع حجَّات جاوَرَ في أحد سَفَراتها، وركبَ البَحْرَ المالح إلى اليمن ولقي بها جماعَةً من الأئمةِ منهمُ العلاَّمة مَجْدُ الدين الشِّيرازي[2]، وتناولَ منه كتابه المسمى «بالقاموس» في اللُّغة، وسمعَ عليه أجزاءَ من مَرْوِيَّاته وأناشيده.

وهَذَّب أيضًا «المُشتَبَه» للذَّهبي وضَبَطَه بالأحرُفِ لأنه كان في الأصل مَضبوطًا بالقَلَم، فكان لا يُوْثَقُ بكثيرٍ من نُسَخِه، وزادَ عليه نحوَ النصفِ مما فاته ذكره فجاء في مجلد واحد[3].

وجمع في أسماء الصَّحابة كتابًا سماه «الإصابة في تمييز الصحابة» في أربع مجلدات، وكل حرف منه ينقسم إلى خمسة أقسام:

الأول: من جاءَ من طريقٍ مقبُولة.

الثاني: من جاءَ من طريقٍ ضعيفة.

الثالث: من لَهُ رؤية[4] فقط.

الرابع: من أدرَكَ حياةَ رسولِ الله- ﷺ- ولم يَسْمَع ولم يَرَ.

---

(١) كتب ابن قاضي شهبة بخطه حاشية نصها: «تنبيه: أكمل شرح البخاري في ثمانية عشر سفرًا وسماه بفتح الباري في شرح البخاري وقرىء عليه قبل وفاته». وقد نقل ناسخ جـ هذه العبارة وأدمجها في النص، وهي بلا شك ليست من كلام المصنف، لأن المصنف توفي قبل ابن حجر بسبع سنوات.

(٢) هو مؤلف القاموس المحيط ويعرف بالفيروزابادي، وقد ذكره المصنّف في أماكن أخرى من الكتاب «الشيرازي»، فيبدو أنه كان يعرف بذلك آنذاك.

(٣) هو المعروف «بتبصير المنتبه بتحرير المشتبه» طبع في أربع مجلدات.

(٤) في جـ: «رواية»، وما أثبتناه من المسودة، وهو الصواب.

الخامس: من ذكِرَ في الكُتب المؤلَّفة في هذا الفَن على سبيل الوَهم والغَلَط مع بيانه والاستدلال عليه وكيفيَّة مأخَذِ من غَلِطَ في ذلك. وهذا القسمُ الأخير هو غُرَّة الكتاب[1].

وله شِعْرٌ أعذَبُ من الماء الزُّلال، وأعْجَبُ من السِّحر إلا أنه حَلال، وقد اختارَ منه مجلدةً سماها «النيرات السبعة» جعلَه سبعةَ أنواع، فافتتحه بالنَّبويات، ثم بالمُلوكيات، ثم بالقاضويات، ثم بالغَزَليَّات، ثم بالأغراض المختلفة، ثم بالموشَّحات، ثم بالمقَاطيع. وقال في أوَّله:

يا سَيِّدًا طَالِعْه إن راقَ مَعْناه فَعُدْ
وافتح لَهُ باب الرِّضَى وإن تَجد عيبًا فَسُد

وقد اخترتُ منه، وإن كان كلُّه مختارًا، قوله مما يُقرأُ على قافيتين:

نَسيمُكُم يُنْعِشُني والدُّجَى طالَ فمن لي بمجيء الصَّباح
ويا صِباحَ الوَجْه فارَقْتُكم فَشِبْتُ هَمًّا إذ فقَدتُ الصِّباح

وقال:

ضَنِيْتُ جَوًى فَوَاصَلَني حبيبي وعادَ إلى الجفاءِ فعادَ مَا بي

---

(١) هكذا نقل المصنف، وكأنه وقف على المسودة الأولى منه، وإلا فإن الحافظ ابن حجر حينما بَيَّضه جعله في أربعة أقسام:

الأول: فيمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره، سواء كانت الطريق صحيحة أو حسنة أو ضعيفة، أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأي طريق كان.

الثاني: فيمن ذكر في الصحابة من الأطفال الذين ولدوا في عهد النبي ﷺ لبعض الصحابة من النساء والرجال ممن مات ﷺ وهو في دون سن التمييز.

الثالث: فيمن ذكر في كتب الصحابة من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ ولا رأوه.

القسم الرابع: فيمن ذكر في الكتب المذكورة على سبيل الوهم والغلط، وهو القسم الخامس الذي ذكره المصنف المقريزي.

ويتبين مما ذكرنا أنه أدمج القسمين الأول والثاني من التقسيم القديم في قسم واحد.

فقلتُ أعِد وِصالي قال كلا فهَا أنا ذُبْت من رَدِّ الجَوى بي الجوابِ

وقال:

تَولَّعتْ بعتابٍ لمُستهام بحبه
وقد عَصَى كُلَّ لاَحٍ فمَالها وَلِعَتْ به ولعَتْبه

وقال:

دَع الذَّمَّ للدُّنيا فَكم من مُوَفَّقٍ يقولُ وقد لاقَى نَعيمًا بجَنَّةِ
حيَاتي لو مُدّت لَزَادَتْ سَعَادتي فيا ليتَ أيامي أطيلت ومُدَّتِ ومُدَّتي

وقال:

أقولُ وقد وافَتْ فأوفَتْ بوعْدِها قد انْفَرَدَت مَحبوبَتي بالفُتُوَّتي
فيا كَبِدَ اللاحِي اشْعِلي وتوقَّدي فإنَّ التي أهْوى وَفَت وتَفَتَّتِ وتفتّتي

وقال:

يا مُبْدعًا في حُسْنه واصِل أخا همٍّ لَهُ عامٌ وما وصَلْتا
فقال: هل صَيَّفَ في مسَاءَةٍ قلتُ: نعم وفي هُمُومٍ شَتَّا شَتى

وقال:

بَان ستري من دُمُوعي حينَ بانوا وافْتِضاحي
كم جِهاتٍ مُلِئَت من فَرطِ حَرِّي ونَواح ونواحي

وقال:

بأبي وأُمي من إذا خَافَت أذى واشٍ تَولَّت عن دِياري رائِحَهْ
وتَفُوحُ حينَ تَرُوحُ نسْمَةُ طِيبها فأقولُ ما شَوقي لتلكَ الرائحهْ

وقال:

يا مَهَاةً رَاحتْ وخَلَّت فُؤادي يَتَلَظَّــى بِــلاعِــجِ التَّبْــريــحِ
لا تُخَلِّي جِسْمي المُعَذَّبَ فَرْدًا بل خُذي إن رَحَلْتِ جسمي ورُوحي
وروحِ

وقال:

أرعَى النُّجُومَ كأنِّي رُحْتُ أحْصُرها بالعَدِّ إذ طالَ بعدَ البَدْر تسهيدي
وكم أُعَدِّدُ إذ أبْكي عَلَى قَمَري حتَّى مَلَلْتُ على الحَالَيْن تعديدي

وقال:

بــالله سِــر يــا رســولَ حبيبــي إليــه إذْ ظَــلَّ لــي مُبــاعِــدْ
فــإنْ جَــرَى عِنْــدَهُ حــديثــي أعِــن وكُــن لــي يــدًا وسَــاعِــد

وقال وهو يُقرأ على وَزْنَيْن:

يا أيها الشَّيْخُ المُطِيعُ هَواهُ دَعْ هذي الدَّعابة قد أتى داعي الرَّدَى
وخُيُوطُ هذا الشَّيب لا تَنْسُج بها ثَوْبَ الصَّبَابَةِ فهي ما خُلِقتْ سُدَى

وقال:

قُلْ للمَلْيح وقد تَجَنَّى يَرْعَوي إنَّ المَـلاحَـةَ لـم يَـدُمْ فيهـا أحَـدْ
مــا ضَــرَّهُ مـعَ صَـدِّه لـو أنَّـهُ سَلَكَ الطَّريقَ المستقيمةَ واقتصَدْ
وَقْــتَ صَـد

وقال:

يا عَاذِلي في حبيبي قد رَضِيتُ بما ألقــاهُ منــه فَــدَعْ عَــذْلــي إذا زارا
أحينَ وَافَى تُوافي بالمَلامِ لَقَدْ رَكِبْـتَ جَهْـلاً بهـذا اللَّـوْمِ أوعـارا

وقال:

خَلِيلَيَّ ولى العُمْرُ منا ولم نَتُبْ ونَنْـوي فِعـالَ الصَّـالِحـاتِ ولكنـا
فحتـى متى نَبْنـي بُيُـوتًا مَشِيدةً وأعْمــارُنــا منــا تُهَــدُّ ومــا تُبْنــا
(تُبْنـــى)[1]

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة منا ليحصل المقصود.

وقال:

لقد آن نَتَّقي خالِقًا إليه المآبُ ومنه النُّشُورُ
فنحنُ لصرْفِ الرَّدَى مَالَنا جميعًا من المَوْتِ رَاقٍ نَصيرُ

وقال:

قامةُ ذا الشيخ ما حناها إلا لمعنى أراه أليقْ
كأنَّه فَكَّرَ المُعنَّى في سُوء أفعالِهِ فأطْرَق

وقال:

تيهُ فُلان الدين مع فَقْرِهِ أقوى دَليلٍ أنَّه جَاهلُ
لثوبه بالصَّقْل من فَوْقِه قَعْقَعَةٌ ما تَحتَها طائلُ

وقال:

لا تيأسَنْ واحْذَر بأن تَغْتَرَّ إن حَسُنَ العَمَلْ
بَلْ كُن معَ الظنِّ[1] الجَميـ ـلِ من الإلهِ عَلاَ وجَلْ
على وَجَل

وقال:

فَدَيْتُكَ كَمْ هذا التَّجَنُّبُ والقِلَى خَفِ الله في رُوحِ المُحِبِّ ومالِهِ
ببابِكَ صَبٌّ والِهٌ يَطْلُبُ اللِّقا فَوَاصِلْهُ تغْنَم أجرَ صَبٍّ ووالِهِ[2]

---

(١) في جـ: «اللطيف».

(٢) كتب أحدهم في حاشية أ وفاة الحافظ ابن حجر ونقلها ناسخ جـ في المتن فما أصاب، إذ لا شك أنَّ هذه الإضافة ليست للمصنف الذي توفي قبل الحافظ ابن حجر بسبع سنين، وهذا نصها: «توفي الحافظ شهاب الدين شيخ الإسلام أحمد بن حَجَر العسقلاني صاحب الترجمة المذكورة ليلة السبت المسفرة عن يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة اثنتين وخمسين وثماني مئة، وصُلي عليه بكرة يوم السبت بمصلى المؤمني بالرملة (هي الرُّميلة)، وكانت جنازته لم يُر أولها من أوسطها فضلاً عن آخرها. ونزل السلطان الملك الظاهر جقمق للمصلى وصَلَّى عليه من جملة من صلى، ومشى في جنازته كثير من العلماء والصالحين وطلبة العلم والأمراء مقدمي الألوف من بيته إلى =

١٢٤- أحمد[١] . . . ، شهابُ الدِّين القَبَّانيُّ البيَانيُّ المِصْريُّ.

كانَ يُعاني الوزنَ بالقبَّان في خَطِّ السُّيوفيين من القَاهرة. ثم تَعَلَّق بأذيال الطَّلَب، وجَلس في حوانيت الشُّهود، وباشرَ نظر الطَّواحين السّلطانية، ولم يكن مشكورَ السيرة، توفي في سنة تسعين وسبع مئة.

حَضَرَ مرَّةً في مجلسِ بعض القُضاة فخرَجَتْ منه ريحٌ بها صوتٌ، فابتدرَ قائلاً وقد تغيَّر القاضي: قد أفتَى العُلماءُ رضي الله عنهم بأن من كتم هذا حتى ماتَ فإنَّه يموتُ عاصيًا، وَلي عنه فائدةٌ ذُكِرت في هذا الكتاب.

١٢٥- أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن سُليمان ابن خَيْر، وَليُّ الدين ابنُ قاضي القُضاة جمال الدين الإسكَنْدريُّ المالكيُّ[٢].

وَلِيَ أبوه قضاءَ القُضاة المالِكيَّة بالديار المصريَّة بعد صرفِ العلَم سُليمان البِساطي في النِّصفِ من جُمادى الأولى سنةَ ثلاثٍ وثمانين وسبع مئة باستدعائهِ من الإسكندرية، وكانَ من خيار قُضاة مصرَ.

وصَحِبْتُ ابنه هذا من مجلسِ شيخنا عَلاءِ الدين عليّ المُكَتِّب إلى أن ماتَ شابًا، وقد برعَ في الفقهِ والأُصول والنحو والأدَب، يومَ الأحد ثاني عِشْري جُمادَى الآخرة سنةَ ثلاثٍ وتسعين وسبع مئة بالقاهرة. ودُفن عند أبيه بحُوش الصُّوفية خارجَ باب النَّصْر، وكانت وفاةُ أبيه في شهرِ رمضانَ سنة إحدى وتسعين وسبع مئة.

١٢٦- أحمدُ بن محمد بن عليّ، شهابُ الدين ابنُ العَطَّار الدُّنَيْسرِيُّ المِصْريُّ الأديبُ الشَّاعر[٣].

= مدفنه بالقرافة بين أكز وبين تربة زكي الدين الخرنوبي (الخروبي) تجاه الجامع الذي هناك، ومات علم الحديث بموته، وفقد الناس بموته بحرًا من العلم لا ساحل له، ولم يخلُفه غيره من علماء عصره، فعليه رحمة الله».

(١) ترك المصنف بعد الاسم بياضًا قدر كلمتين، ولم يعد إليه.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٧٥٥، والدرر الكامنة ١/ ١٧٨، وإنباء الغمر ٣/ ٨٥.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٧٧٦، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٤٣٤، والدرر =

قرأ القراءات، وأخذَ طرَفًا من الفِقه على مذهب الشافعي رحمه الله، وغلبَ عليه الأدبُ، وأكثرَ منه بحيث لم تكن واقعةٌ ولا حادِثةٌ من جَدٍّ أو هَزْلٍ إلا وينظمُ فيها. وكانَ لطيفَ العشرة، حَسَنَ الصُّحْبَة، حاضرَ النَّادرة، وقال الشعر وهو ابنُ ثلاثَ عَشْرَةَ سنة.

وصنف كتابَ «لطائفِ الظرفاء»، وكتاب «نَزْهةِ الناظر في المثل السائر»، وكتاب «عُنوانِ السَّعادة» في مدائح النبي ﷺ، وكتاب «فوائِدِ الأعصار في مَدَائِحِ النَّبي المختار» ﷺ، وكتاب «السِّلك الفاخر» موشحات نبوية، وكتاب «صَدَقة السر»، وكتاب «صِلَة المُستحق»، وكتاب «فُتوح مكة» مدائح نبوية، وكتاب «العُهود العُمَريَّة» موجز في أمر النَّصارى واليهود، وكتاب «بَدِيع المَعاني في أنواع التَّهاني»، وكتاب «الدُّر الثمين في حُسن التضمين»، وكتاب «زكاة نَتائِج الأفكار»، وكتاب «زهر الربيع في التشابيه»، وكتاب «حُسْن الاقتراح في وَصْفِ المِلاح» ذكر فيه ألْفَ مليح وصفاتهم، وكتاب «نقل العقار» في الخمريات، وكتاب «مُرْقِص المُطْرب» في الغَزَل وكتاب «منشأ الخلاعة» في المجون، وكتاب «قَطْع المُناظِر بالبُرهان الحاضر» في مَدْح البُرهان إبراهيم بن جَمَاعة، وكتاب «المائِس في هجاءِ بني مكانس»، وكتاب «جامِع شَمْل المحاسن» وفيه سائر شعره.

وله طريقةٌ لطيفةٌ في شعره، وقد مَرَّ منه في هذا الكتاب، ومن لطيف شعره:

يا مانِعَ وَرْدِ وَجْنَتْيه ... في وَقت قِطافِهِ وخَيْرِهْ
ذُقْ مَوْتَكَ من طُلُوعِ ذَقْنٍ ... المؤمِنُ من كُفِي بغيره

قال:

هَجَرْتَني بعد وَصْلٍ ... فَمَدْمَعُ الصِّبِّ صَبُّ
ولستُ أشكُو ولكن ... قَطْعُ العَوائِدِ صَعْبُ

= الكامنة ١/ ٣٠٦، وإنباء الغمر ٣/ ١٢٥، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٢٨، وحسن المحاضرة ١/ ٥٢٧، وشذرات الذهب ٦/ ٣٣٣.

وقال:

يا سَالِبًا بسَوادِ اللَّحظِ مُصْطَبَري سَكَنْتَ بالخَالِ قَلْبًا زَائِدَ الفِكَرِ
تومي بلحظ وخال ثم تهجرني أتلفت روحي بعد العين بالأثر

وقال:

ما زالَ يَظْلُمُ في زَمان جَمَالهِ ويَجُودُ بالهِجْران والإبعادِ
حتَّى تَسَوَّدَ وَجْهُهُ وسَلَوْتُهُ فكأنَّما كُنَّا عَلَى مِيعاد

وقال:

أفْدِي التي أقْبَلَتْ كَغُصْنٍ والتَفَتَتْ لَفْتَةَ الظِّبَا
تَخْتالُ في أزْرَقٍ بوَجْهٍ كأنَّه البَدْرُ في السَّما

وقال:

قالت: عَهِدْتُكَ عاشِقًا لا تُسْتَمالُ لِسَلْوتي
قلت: الإساءَةُ منكِ لي قَلَعَتْ أُصُولَ مَحَبَّتي

وقال لما احتاج في كِبَرِهِ أن ينظر في الكُتُب من مرآة زجاج[1]:

أتَى بَعْدَ الصِّبا شَيْبي ودَهْري رَمَى بَعْدَ اعتدالي باعْوِجاجِ[2]
كَفَى أن كانَ لي بَصَرٌ حَديدٌ وقد صارَت عُيوني من زُجَاجِ

وقال:

مَدَحْتكَ لم يَظْهر لمَدْحي نَتِيْجَةٌ كأنَّكَ ما تُسْدِي بمَدْحٍ صَنَائِعا
وما أنتَ من يُرْجى الدُّعا في صَلاته ولا أنتَ من نَرْجُوكَ في الحَشْر شافِعا

وقال:

غنينا بالعلوم إذا اقتنعنا وما سَاءت لنا بالفَقْرِ حَالُ
رضينا قسمة الجَبَّار فينا لنا عِلْمٌ وللجُهّالِ مالُ

وقال:

---

(١) هذا نص يدل على شيوع استعمال النَّظارة الطبية في تلك الأعصر.

(٢) ورد البيت في شذرات الذهب ٦/ ٣٣٣ هكذا وهو الأرجح:

أتى بعد الصبا شيبي، وظهري رمي بعد اعتدالٍ باعوجاج

لُحُومُ أهلِ العِلمِ مَسْمُومَةٌ ومن يعادِيهم سريعُ الهَلاكْ
فكُن لأهلِ العلمِ طَوْعًا وإن خالَفْتَهُم يومًا فخُذْ ما أتاكْ

وقال:

قالوا: تَرَى الأقباطَ قد رُزِقُوا حَظًّا وأضْحَوُا كالسَّلاطِين
وتَمَلَّكُوا الأتْراكَ، قلتُ لهم: رِزْقُ الكِلابِ على المَجانين

وقال بيتًا مَواليا ينحلُّ منه بيتان، فالبيت:

مَنْ حَلَّ في مُهْجَتي عَقْدَ الكَرَى قَدْ حَل
ما حَل أن نَصْطَلِح طُولُ الغَضَب ما حَل

والبيتان:

من حَلَّ في مُهْجَتي في مُهجَتِي حلَ
قد حَلَّ عَقْد الكَرَى عَقْدَ الكَرَى قد حَل
ما حَلَّ أن نَصْطَلِحْ أنْ نَصْطَلِح ما حَل
ما حَلَّ طُولُ الغَضَبْ طُولُ الغَضَب ما حَل

وكان ينظمُ الفنونَ السَّبعة، وصَحِبْتُه سنينَ عَديدةً، وأنشدني كثيرًا:

وكان مولدَه في سنة ستٍّ وأربعين وسبع مئة، وتوُفي يومَ الخميس سادِس عِشري شهر ربيع الآخر سنةَ أربعٍ وتسعين وسبع مئة، رحمه الله وغفر له.

١٢٧- أحمد بن علي بن عبدالله التَّميميُّ القَصَّار.

وُلِدَ سنة ثمان عَشْرَة وسبع مئة، وسَمِعَ من شيوخ عَصْره، وبرعَ في علم التصوُّف، ومالَ إلى مَذْهَب أهل الظاهر لصحبته الشيخ أبي الحسن بن مُعاذ حتى عُرِفَ به، وصَحِبَ أكابَر الناس من الفُقهاء وأهل التصوف، ولم يترك صناعة قِصارة الثِّياب بيده، ولا غيَّر زيَّ العامَّة. وكان من لم يعرفه يَظُنَّه من أطرافِ العامَّة، لاقتصاده في مَلْبَسه، وقلَّةِ اكتراثِه بتَحْسين زِيِّه وهيئته، حتى إذا تكَلَّم سُمِعَ لقوله، وأُعجبَ بفوائده، مع الثراء وكَثْرَةِ المال.

صحبته سنينَ، ونفعني الله به نفعًا كثيرًا، وأوَّلَ ما سمعتُه يقول: ثلاثةُ

أنفُسٍ حُرِمَ النـاسُ بالتعصُّب عليهم فوائدَ كثيرة من كلامهم وهم: أبو مُحمد بن حَزْم، ومُحيي الدين بن عَرَبي الصُّوفي، وتقي الدين ابن تيمية.

وأخبرني أنه كانَ يزور أحمدَ الرَّقَّام بخَانَقاه سعيد السَّعداء، فإذا جلس عنده في خَلْوتِهِ مع جماعَةٍ وأخذَ يحادثهم ارتفعَ من موضع جلوسِهِ حتى يصيرَ عند سَقْف الخَلْوة ويقولُ لهم وهو على تلك الحالة: لَيسَ هذا عن صَلاحٍ إنما هو عن علم.

وحفِظْتُ عنه أن القُطْبَ يدعُو في كلِّ يوم: اللهم ارْحم ما خلَقْتَ، واغفر ما قَدَرْت، وطَيِّبْ ما رزقت، ولا تَهْتِكْ ما سَتَرت، وتقَبَّل ما يَسَّرْتَ، بفضلِكَ ورَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحمين.

تُوفِّي بمدينة مصرَ في سادس صفَر سنةَ ثماني مئة، رحمه الله.

وذكر مرةً جماعةً من أعيانِ القُضاة والمُفتين فقال: القَوْمُ قُطاعُ الطَّريق. فسألته عن ذلك، فقالَ: هُم قُطَّاعُ الطَّريقِ عن الله تعالى وكذا كان دائمًا يقولُ: فُقهاءُ زماننا قُطَّاعُ الطَّريقِ عن الله تعالى فلما رأيتُ بعد ذلك الإنجيل إذا فيه: «الوَيْلُ لكم يا مُرائينَ، إنكم تُغْلِقونَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ قُدَّامَ النَّاس، فلا أنتُم تَدْخُلونَ، ولا تَتْركونَ الناسَ يَدْخُلون. فعلمتُ أنَّ هذا معنى قولِ الشيخ رحمه الله، وهذا إنما هوَ خِطابٌ من المسيح عليه السلام لعُلَماءِ اليهود.

ورَوى ابنُ عَساكِر في ترجمة داوُدَ عليه السَّلام من «تاريخ دمشق» عن بِشْر بن الحارث، قال: أوْحَى الله إلى داوُدَ عليه السَّلامُ: يا داوُدُ، لا تجعلْ بيني وبينكَ عالِمًا مَفْتُونًا فيَصُدَّك بتكبُّرِه عن طَرِيق مَحَبَّتي، أُولئك قُطَّاعُ الطريق على عبادي.

١٢٨- أحمد بن[١] ... القاضي بُرهان الدين أبو العَبَّاس، حاكم قَيْصرِيَّة وتُوقَات وسِيْواس[٢].

---

(١) ترك المصنف بعد هذا بياضًا وجاء اسمه أحمد بن عبدالله في الإنباء والشذرات.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٩٠٦، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٧٢، وإنباء الغمر ٤/ ٤٠، والدرر الكامنة ١/ ٣٦٦، والنجوم الزاهـرة ١٢/ ٥٩، والدليل =

اعلمْ أنَّ مملكَةَ الرُّوم كانَت أخيرًا لبني قَلِيج أرْسَلان الذين أقاموا بها دينَ الإسلامِ لما انتزعوها من يَدِ مَلِكِ القُسْطَنْطينيَّةِ، وكان كرسيُّهم قُوْنِيَة، وأعمالهم كثيرة جدًا حتى بعث مَنْكوقَان أخو هُولاكو في سنةِ أربع وخمسين وست مئة عسكرًا عليه بَيْكُو إلى بلاد الرُّوم، فمَلَك أرْزَن الرُّوم، وعاشَ في بلادِ الرُّوم حتى هَلَك، ووَلِيَ الرومَ بعدَه صِمْغار[1]، وغَلَبتِ التُّركمانُ على الجبال والثُّغور والسَّواحل، فولاهم هُولاكو ما غَلَبوا عليه، وماتَ صِمْغار، فبعث الملك أبغا بن هولاكو عوضه تدوان وتوقو في سنة خمس وسبعين فقتلهما الملك الظاهر بَيْبَرس في محارَبَته لهما، وملك قَيْصَرية، فأقام الملكَ أبْغا على الرُّوم قَنْغَرطاي وتداوَلَ بعدَه عدَّةُ أمراء حتى قامَ دَمِرْدَاش بن جُوبان سنةَ ثلاثٍ وعشرين وسبع مئة. فعظُم مُلْكه، ثم قدِمَ إلى مصر، واستخَلفَ أرَتْنا أحدَ أمرائه على بلاد الرُّوم، فنَزلَ بسيواس وجعلها كُرسيَّ مُلْكِهِ، وقد وَلاَّه القانُ بوسعيد بن محمد بن خَرْبَنْدَه بن أبْغا بن هُولاكُو بلادَ الرُّوم فاستفحل مُلْكه حتى ماتَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين، وملك بعدَه أولادُه، فأخَذَ أولاده ودُلغادِر التركماني بلاد سِيس، وماتَ محمد بن أرَتنا في حدود سنة ثَمانين، وأقيمَ بعدَه صَبِيٌّ من أولاده، وقامَ بأمره الأميرُ قليج أرْسلان، فغَدَرَ به قاضي سِيواس، وقامَ بأمرِ الصبيِّ حتى مات، وهو والدُ برهان الدين صاحِبِ التَّرْجمة.

وكانَ برهانُ الدين هذا قد طَلَبَ العِلْم في صِباه، وقَدِم إلى القاهرة، وأخذَ بها عن شُيوخِ زمانه، فعُرِفَ بالذَّكاء حتى حَصَّلَ على طرفٍ من العلم، فبَشَّره بعضُ الفُقراء بأنه سيملِكُ بلادَ الرُّوم، وأشارَ له بعوْدِه إليها، فمضى إلى سِيْواسَ ودَرَّس بها، وصَنَّف، ونظَم الشعرَ، وهو يَتَزَيَّى

= الشافي ١/ ٩٠، والضوء اللامع ١/ ٣٧٠، والطبقات السنية ١/ ٤٣١، وشذرات الذهب ٧/ ٥٧، ودائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ٣/ ٣٢٨ و٦٠٥ و٦/ ٢٤ و٩/ ٣٩٩ و١٣/ ٢٥، وفي الطبعة الجديدة النص الإنكليزي ١/ ١٣٢٧.

(١) في جـ: «صمغان» آخره نون، وما أثبتناه من خط المصنف في المسودة، وسيأتي على الوجه بعد قليل.

بزيِّ الأجْناد، ويَسْلكُ طريقَ الأمراءِ فيركَبُ بالجوارح والكِلابِ إلى الصَّيْد، ويلازمُ الخدْمةَ السُّلطانية إلى أن مات السلطان ابن أرَتْنا عن ولدٍ صَغير اسمه مُحمد فأقيمَ بعدَه، وقام الأمراء بأمرِه وهم غَضَنْفَر بن مُظَفَّر، وفْرِيدون، وابن المؤيد، وجَيْ كَلْدي، وحاجي إبراهيم، وأكبرهم الذي يرجعونَ إليه في الرأي والتدبير قاضي سِيواس والد البرهان هذا. فدبَّرَ الأمراءُ المذكورون أمرَ الدولة مُدَّة حياةِ القَاضي، فلما ماتَ وَلِيَ ابنُه بُرهانُ الدين أبو العباس أحمدُ مكانَه، فسدَّ مسدَّهُ وأرْبَى عليه بكثرةِ عِلْمِهِ، وحُسْنِ سياسته، وجَوْدَةِ تدبيره، وأخَذَ في إحكام أمْرِه، فأوَّلُ ما بدأ به بعد تمهيد قواعِدِه أن فرَّق ولايةَ أعمالِ المملكة على الأُمراء، فأخرجَ إليها ابنَ المؤيَّد وجَي كَلْدي، وحاجي إبراهيم، وبقي حَوْلَ السلطان منهم فْريدُون وغَضَنْفَر فثقُلا عليه، وأحبَّ أن ينفرد بالأمر دونهما فتمارضَ ليقَعا في قَبْضَتِه، فكان كذلك، ودخَلا عليه يعودانه، فما استقرَّ بهما القرارُ حتى خَرَجَ عليهما من رجالِهِ جماعةٌ قد أعَدَّها في مَخْدَع، فقبضوا عليهما وخَرَج من فوره فملكَ الأمرَ من غير مُنازِع، وتلقَّبَ بالسُّلطان، فلم يَرْضَ بذلك شيخُ نَجيب متولي تُوقات، ولا جَي كلدي نائبُ أماسية، فخرجَ القاضي بُرهانُ الدين واستولى على مَملكة قَرَمان وقاتلَ من عَصَى عليه، ونَزَع تُوقاتَ من شيخ نَجيب، واستمالَ إليه تتَارَ الرُّوم وهُم جموعٌ كثيرة لهم بأسٌ ونجدةٌ وشَجاعةٌ، واستضافَ إليه الأميرَ عُثمان قَرَايلوك بتراكمينه فعزَّ جانبه. ثم إنَّ قَرَايلوك خالَفَ عليه ومنع تَقادِمَه التي كان يحملُها إليه، فلم يكْتَرِث به القاضي بُرهان الدين احتقارًا له، فصارَ قَرَايلوك يتردَّدَ إلى أماسِيةَ وأرْزَنْجان إلى أن قصدَ ذاتَ يوم مَصيفًا بالقُربِ من سِيواس، ومَرَّ بظاهِر المدينة وبها القاضي، فشقَّ عليه كَونُه لم يعبأ به، وركبَ عَجلاً بغير أُهْبَةٍ ولا جماعةٍ وساقَ في أثره ليُوقعَ به، حتى أقبلَ الليلُ فكرَّ عليه قَرَايلوك بجماعته فأخذَه قَبْضًا باليد، فتفرَّقَت عساكرُه شَذَرَ مَذر. وكان قَرَايلوك قد عَزَمَ على أن يعيدَه إلى

مملكته، فنزل عليه شَيخٌ نَجيب وهو في ذلك فما زالَ به حتى قتلَه في ذي القَعْدة سنة ثمان مئة.

وكانَ رحمه الله فقيهًا حنفيًا، فاضلاً، كريمًا، جوادًا، قريبًا من الناس شديدَ البأس، أديبًا، شاعرًا، ظَريفًا، لبيبًا، مِقْدامًا، يحبُّ العلمَ والعُلماء، ويُدني إليه أهلَ الخَيْر والفُقراء. وكانَ دائمًا يتخِذُ يومَ الخميس والجُمُعة والاثنين لأهل العلم خاصّةً، لا يُدْخِلُ عليه سواهُم، وأقْلَعَ قبلَ موتِه وتابَ ورجع إلى الله تعالى وأناب.

ومن مُصَنَّفاتِه كتابُ «التَّرْجيح على التَّلويح»، وكان للأدَب وأهلِهِ عندَه سوقٌ نافقٌ، فوفَدَ إليه جماعةٌ من الشُّعراءِ، واختصَّ به كثيرٌ من الأُدَباء، فبذَلَ لهم الرَّغائب، ووَهبهم الآلاف. وكان له نديمٌ يُعْرَف بعبدالعَزيز البَغْدادي، له باعٌ طويلٌ في الأدب، وطبقتُه عاليةٌ في النَّظْم والنَّثْر باللغتين العربية والفارسية، استدعاه لمنادَمَته من بغداد، ولهُ عند السُّلطانِ غياث الدِّين أحمد بن أُويس مكانة مَكينة، فما زالَ يَعْمَلُ الحيلَةَ حتى خلص منه، وخَرَج مختفيًا من بغدادَ حتى قَدِمَ سِيواس، فبالغَ القاضي برهانُ الدين في إكرامه، وَوَسَّع عليه في مَوَاهِبه وحِبائِه، وما زالَ من أجلِّ جُلسائه وأخصِّ نُدمائِهِ حتى قُتِلَ. وقد صَنَّف له سيرةً في أربع مُجَلَّدات على أُسْلُوب العُتْبي في تَرْجمةِ السُّلطان مَحْمُود بن سَبُكتكين لم أقِف عليها[١] وبَلَغني أنها ببلادِ قَرَمان، فلما قُتِل القاضي بُرهانُ الدين سارَ عبدالعزيز إلى القاهرة فاستوْطَنها حتى تَردَّى من سَطْحِ دارٍ وهو غَيْرُ واعٍ فماتَ.

وكان قَرايْلوك بعد قَتْلِهِ القاضي بُرهان الدين قد رَكِبَ لأخذِ سِيواس، فقاتَلَه أهلُها أشدَّ قتال ومنعوهُ منها، فمضَى إلى تيْمورلنك وهو نازِلٌ على أذربيجان وحَرَّضَه على أخذ سِيواس، وكانَ أهلُها قد بَعثُوا إلى أبي يَزيد إيْلْدَريم بن عُثمان صاحب بُرْصا يرغبون إليه في الاستيلاء عليهم، فسارَ سريعًا على عسْكَر عظيم حتى مَلَك سيواسَ واستخلفَ

---

(١) طبع كتاب العتبي بشرح المنيني، وهو كتاب في تاريخ السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين كُتب بأسلوب أدبي أغرقه بأنواع السجع والبديع والجناس.

عليها ابنه سَلْمان، وأنزَل معه من أمرائه خمسة نفر هم يعقوبُ بن أوْرانِيْس، وحَمْزة بن بَجار، وقُوج علي ومُصْطَفى ودوَادار، وسار إلى أرزَنجان ففرَّ منه طَهَرْتَن ولحِقَ بتَيْمورلنك، فملكَ ابنُ عُثْمان أرْزَنْجان واستولى على أموال طَهَرْتَن وأوقف حُرمَه للبغاء بهنّ، وأمكَن سُوَّاسَ خَيْلِهِ مِنْهُنَّ، وسار إلى محاربَةِ أهلِ إسْتَنْبول. فما زالَ قَرَايلوك وطَهَرْتَن بتَيْمورٍ يَحُثَّانِهِ على العُبُور إلى بلادِ الشَّام حتى كانَ من ذلك ما كان، ولا قُوَّةَ إلا بالله.

١٢٩- أحمد بنُ إبراهيم بن أيوب، شهابُ الدين، أبو العَبَّاس العِنْتَابيُّ الحَلَبي[١].

برَعَ في الفِقْه، وأفتى ودَرَّس، وشرحَ «مجمع البَحرين» في الفِقْه، و«المُغني» في الأصول، وأقامَ بحلبَ مدَّةً، ثم استوطَنَ دمشقَ، ووَلِي قضاءَ العَسْكر بها حتى ماتَ وقد أنافَ على الستين في سنة سَبْعٍ وستين وسبع مئة. وكان جميلَ الوجه، حسنَ الأخْلاقِ، له بَراعةٌ ولَسَن.

١٣٠- أحمد بن مَحْمود بن صدَقَة الحَلَبي[٢].

بَرَع في الأدب، وكان يَتَزَّيا بزي الأجناد، وله ذكاءٌ ونَظْمٌ جيدٌ ونَثْرٌ بديعٌ، إلا أنَّه كان بذيء اللِّسان، ينتَقِص الأكابرَ ويقَعُ في السَّلَف، فاتُّهم بالزَّنْدَقة، وأقيمت عليه البيِّنةُ لمقالاتٍ رَدِيَّة، فضُرِبَ عنُقُه بحلب سنةَ سبعٍ وستين وسبع مئة بحكم قاضي المالِكِيَّة صَدْرِ الدين أحمد الدَّمِيري وقدْ جاوزَ خمسينَ سنة.

ومن شعره:

إذا نِلْتَ المُنَى بصَدِيقِ صِدْقٍ وكانَ وفَاقُهُ وفْقَ المُرادِ

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٢٤، ووفيات السلامي ٢/ ٣٠٢، والذيل على العبر للعراقي ١/ ١٩٣، والدر المنتخب، الترجمة ٧٤، والدرر الكامنة ١/ ٨٧، والنجوم الزاهرة ١١/ ٩٠، والمنهل الصافي ١/ ١٩٧، والدليل الشافي ١/ ٣٥، وتاج التراجم ١١، ووجيز الكلام ١/ ١٥٠، وبدائع الزهور ١/ ٤١، والطبقات السنية ١/ ٢٩٧، والفوائد البهية ١٣.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٣٢٥، والدليل الشافي ١/ ٨٨.

فحـــاذِرْ أن تُعـــامِلَـــهُ بقَـــرْضٍ   فـــإنَّ القَـرْضَ مِقْـراضُ الـــوِداد

وله:

ولَـرُبَّ قَـوْمٍ أدْبَـرُوا مُـذْ أقْبَلَـتْ   دُنياهُـمُ عـن كُـلِّ نَـدْبٍ فاضِـلِ

جَـاءُوا وقـدْ رأسُـوا بكُـلِّ نَقِيصَـةٍ   فاقْتصَّ منهم دَهْرُهُم بالكَامِلِ

وفيه يقول بعضهم:

مَضَـى مُسْتَبِيـحُ الـرِّبـا والـزِّنـا   إلـى خـازِنِ المَهْلَـكِ الحَـالِـكِ

وفـــازَ الـــدَّمِيـــري بتَـــدْمِيـــره   فمــن مَـالكـيٍّ إلـى مَـالِـكِ

١٣١- أحمدُ بن محمد بن هاشِم بن عبدالواحد، شهابُ الدين أبو العَبَّاسِ ابنُ شرف الدين أبي عَبْدالله، ابن عَشَائر الحَلَبيُّ[(١)].

كتبَ السِّجلات الحُكْمية مدَّةً، ثم انقطعَ بمنزله تَزَهُّدًا وحدَّث عن[(٢)]... حتى ماتَ بحلبَ عن ثمان وسبعين سنةً في[(٣)]... سنةَ ثلاثٍ وسبعين وسبع مئة، وكان رَيِّض الخُلُق، وافرَ الحرمة، ساعِيًا في مَصَالِح الطَّلَبةِ وقضاءِ حَوائجهم، رحمه الله.

١٣٢- أحمد بن راشد بن طَرْخان، العَلاَّمة شهابُ الدين المَلْكاويُّ الدِّمشقيُّ الشافِعيُّ، فَقِيهُ الشام[(٤)].

نَشَأَ بدمشق، واشتغلَ بالفقه والأصول، وشاركَ في عدّةِ فنون، وأفتى، ودَرَّسَ، ونابَ في الحكم، وكانَ يحبُّ الحديثَ وأهله، ويقومُ في نَصْر أهل السنة. وكانَ رفيقُه القاضي شهابُ الدين الزُّهري يقول:

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٧٩٤، ووفيات السلامي ٢/ ٣٩١، والذيل على العبر للعراقي ٢/٣٣٣، والدر المنتخب، الترجمة ٢٣٢، والدرر الكامنة ١/ ٣٢٥، وإنباء الغمر ١/ ٢٣.

(٢) بيض المصنف قدر أربع كلمات، ثم لم يعد إليها.

(٣) كذلك.

(٤) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٧١، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٨٠٣)، وإنباء الغمر ٤/ ٢٥٣، والضوء اللامع ١/ ٢٩٩، والدارس ١/ ٢٤١، وشذرات الذهب ٧/ ٢٤.

ليس بدمشق من حَمَل العلمَ على وجهه إلا المَلْكاوي. وله سماعٌ على الحسن بن هَبَل صاحِب الفَخر ابن البخاري، وسماعٌ على التاج عبدالوهَّاب ابن السُّبكي وغيره. توفي بعد كائنةِ تَيْمور في شَهْر رمضانَ سنة ثلاثٍ وثماني مئة.

١٣٣- أحمد بن رَجَب، ويقالُ لرَجَب عبدالرَّحمن بن الحَسَن ابن محمد بن أبي البَرَكات مَسْعود البَغْداديُّ المقرىءُ الحَنْبَليُّ، شهابُ الدين أبو العباس، والدُ الشيخِ الحافِظ زَيْن الدين أبي الفَرَج عبدالرَّحمن بن أحمد بن رَجَب[1].

وُلِـدَ يومَ السَّبت خامسَ عشَرَ ربيـع الأوَّل سنةَ سِتٍّ وسبع مئة. وقرأ القُرآن العَظيم بالرِّوايات، وسمعَ الكَثِير، وخَرَّج لنفسه «مشيخةً» مفيدةً[2].

١٣٤- أحمدُ بن صَالح بن أحمد بن خَطَّاب بن رَزِين بن كَرَامة ابن حَامِد البقَاعيُّ الدِّمشقيُّ، قاضي القُضاة شهابُ الدين، أبو العَبَّاس الزُّهْرِيُّ الشافعيُّ[3].

وُلِدَ سنةَ إحدى وعِشرين وسبع مئة، وقَدِمَ دمشق سنةَ اثنتين

---

(١) ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٥٣، والدرر الكامنة ١/ ١٤٠، وإنباء الغمر ١/ ٤٢، ووجيز الكلام ١/ ١٩٥، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣٠.

(٢) لم يذكر المصنف وفاته، وذكره ابن حجر في وفيات سنة ٧٧٤ من كتابه «إنباء الغمر» وقال: ومات في هذه السنة أو التي قبلها. وكذلك قال السخاوي في «وجيز الكلام». على أنَّ الحافظ ابن حجر قال في «الدرر»: «ومات سنة ٤ أو ٧٧٥ كذا رأيته بخطي، وأظنني تلقيته من بعض الحلبيين».

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٧٩٣، والدر المنتخب، الترجمة ١٢٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٤٨١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٩٥، والدرر الكامنة ١/ ١٥٠، وإنباء الغمر ٣/ ١٦٨، ووجيز الكلام ١/ ٣٠٧، والضوء اللامع ١/ ١٥٠، والدارس ١/ ٣٧٠، وقضاة دمشق ١١٩، وشذرات الذهب ٦/ ٣٣٨.

وثَلاثين، وسمعَ من عبدالله ابن أبي التَّائب، والحافظ أبي الحَجَّاج المِزِّي، والقاسم[1] ابن البِرْزَالي، في آخرين. وبرَعَ في الفِقْه، وأفتى ودَرَّس، وتخرَّج به جماعةٌ، ووَلِيَ القَضاءَ نيابةً مدّةً طويلةً، وصارَ أكبرَ نوّاب الحكم بدمشقَ، وعليه مدارُ أكثرِ الأمور، وانتهتْ إليه الرياسةُ في مَذْهَب الشافعي بدمشقَ لوفاةِ أقرانه، وهو الذي عَزَّرَ الشيخَ شمس الدين الحَريري الحَنَفي بسبب فتواهُ بمسألةِ الطَّلاق على رأي ابن تَيْمِية فضرَبه وشَهَره؛ وتوفي في ثامِن المحرَّم سنةَ خَمْس وتسعين وسبع مئة بدمشق.

١٣٥- أحمد بن مُحمد بن محمد بن المُسَلَّم بن عَلاَّن القَيْسيُّ الدِّمشقيُّ، شهابُ الدّين أبو العَبَّاس ابنُ عماد الدين أبي عبدالله[2].

كَتَبَ الخَطَّ المليحَ، وتنقَّلَ في الرُّتبِ بحلب إلى أن وَلِيَ كتابةَ السِّرِّ بها عوضًا عن عَلاء الدين أبي الحَسَن عَلِيّ بن إبراهيم بن حَسَن بن تَمِيم الحَلَبي في سنةِ ثلاثٍ وسبعين، فلم تَطُلْ أيامُه، وماتَ بعد سنةٍ ونصفٍ في سنةِ أربعٍ وسبعين وسبع مئة وقد أناف على الخَمْسين، فولِّي عوضَه شمسُ الدينِ محمدُ بن أحمدَ بن مُهاجر.

وكانت له معرفةٌ وخبرةٌ ورياسةٌ وفَضيلة.

١٣٦- أحمد بن بكْتُوت بن عبدالله الحَلَبي، الصَّاحب شهابُ الدين أبو العبَّاس ابنُ بَدْر الدين[3].

كَتَبَ الخطَّ المليحَ، وشدَا شيئًا من النَّحو، وتَوَجَّه من بَلَده حَلَب

---

(١) شطح قلم المصنف فكتب «وأبي القاسم»، وهو خطأ بيِّن، فهو أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩ (ينظر: ذيل العبر ٢٠٩، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ١٨- ٢١، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ١٨٥ وغيرها).

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢٠٨، والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٣٦٢، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٤)، والدرر الكامنة ١/ ٢٩٩ و٣١٩، وإنباء الغمر ١/ ٤٤، والضوء اللامع ١/ ٢٩٩، وبدائع الزهور ١/ ١١٦.

(٣) ترجمته في: الدر المنتخب، الترجمة ١٠٢، والدرر الكامنة ١/ ١٢٣.

إلى طرابُلس، فباشر بها التَّوْقيع والنَّظَرَ في مالِ السُّلطان، ثم عادَ إلى حَلَب، ووَلِيَ النظرَ بها واستقَرَّ بعده في ديوان الإنشاء إلى أن ماتَ بها وقد أنافَ على الستين في سنة أربع وسَبْعين وسبع مئة.

كان جميلَ الخُلُق، كثيرَ الوِداد، لَيِّن الجانب.

١٣٧- أحمد بن صالح بن الحَسن بن الحسن اللَّخْميُّ الإسكَندرانيُّ[(١)].

وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وسبع مئة، وحدَّث عن العُرْضِي، تُوفي بعدَ سنة ثماني مئة[(٢)].

١٣٨- أحمد بن حُسين[(٣)] بن عبدالله، شهابُ الدين البَطَائحيُّ خادِمُ خَانكاه بيَبَرْس[(٤)].

وُلِدَ سنةَ ثلاثين وسبع مئة تَخْمينًا، وسمعَ على العِز ابن جَمَاعة، ولازم شيخنا سِراجَ الدين عُمَر ابن الملقِّن. تُوفي سنة[(٥)]... عَشْرَة وثماني مئة.

١٣٩- أحمد بن عليّ، الشيخ، أبو العباس ابنُ الرئيس أبي الحَسَن القَبَائليُّ[(٦)].

---

(١) ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٦١، والمجمع المؤسس، الترجمة ٢٥، والضوء اللامع ١/ ٣١٥.

(٢) ذكر السخاوي اسمه أحمد بن صالح بن الحسن بن إبراهيم وأنه كان حيًا سنة سبع وثماني مئة (الضوء اللامع ١/ ٣١٥).

(٣) هكذا في أ وجـ، وقال السخاوي بعد أن ذكره في «أحمد بن حسن»: «وقال المقريزي في عقوده... وسمَّى والده حُسَيْنا (في المطبوع: حسناً، محرف)، وجوزت كونه من الناسخ إن لم يكن أحاشيه عن هذا».

(٤) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٢٧٧.

(٥) بيَّضَ المصنف بعد هذا في المسودة ليكتب رقمًا قبل «العشرة»، فلم يكتبه، وقال السخاوي في الضوء ١/ ٢٧٧: «وتحرر وفاته فإنه أجاز في استدعاء لابن فهد مؤرخ بذي الحجة سنة اثنتي عشرة».

(٦) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/٢٥٨، والضوء اللامع ٢/٤٧، تاريخ ابن خلدون =

كان سلفُه من خواصِّ بني عبدالمؤمن بن عليّ خُلْفاء الموحِّدين بمدينة مَرَّاكش، خَرجَ جَدُّه عندَ مَقْتَلِ آخر ملوكهم وهو أبو دَبُّوس إدريسُ ابن محمد بن عُمر بن عبدالمؤمن بن علي في سنةِ ثمانٍ وستين وست مئة فيمن خرج، ولَحِقَ في من لَحِقَ بجبل تِيْنَمل، وقد بايعوا إسحاق[1]، وقاموا معه حتى غَلَبهم بنو مَرِين سنةَ أربع وسبعين، وقُبض عليه وعلى جماعته ومنهم كاتبُهم القَبَائلي وأولاده، فقتلهم السلطانُ يَعْقُوبُ بن عبدالحق، وبقي أعقابُ القبائلي بفاسٍ يتصرّفون عند بَني مَرِين في دَواوين الجبايةِ وأرزاقِ الجُنْد حتى ظهر أَبو الحسن عليّ والد هذا الشيخ الرئيس، وبرَزَ على أهلِ صِناعته بكفايته واضْطِلاعه، وباشَر خدمةَ السُّلطانِ أبي الحَسَن، فشُكِرتْ مباشرَتُه، ووَلاَّه وظيفةَ العَلامةِ إلى أن اختلَّ أمرُه وزال مُلكه، فقُتِلَ أبو الحَسَن القبائلي فيمن قُتِلَ من رجال دولته، وترك أولادًا تصرَّفوا بعده في مباشرةِ الأعمال السُّلطانية.

وشبَّ أحمدُ صاحبُ التَّرجمة قارئًا كاتبًا عارفًا بالحِساب وصناعةِ الدِّيوان، فنبغَ فيها وباشر خدمة السُّلطان فنهضَ بها إلى أن اختصَّه الوزيرُ مَسعودُ بن رَحُّو بن ماساي في أيام موسَى بن أبي عنان، وقرَّبه من السلطان ومباشرة الأعمال في بابه، حتى ظهر السُّلطان أبو العَبَّاس بن أبي سالم ونكبَ الوزير المذكور، فجرَتْ على أبي العباس مِحْنةٌ صُودِرَ فيها، ولَزِمَ الخِدْمة وتقلَّد سائرَ الأعمالِ حتى ماتَ السلطانُ أبو العباس بتازَى، فقامَ أبو العبَّاس بالأمر، وجمع الناسَ على بَيْعَةِ ابن السلطان وهو الأمير أبو فَارِس عبدالعزيز، وبعث إليه حتى جاءَ من تِلِمْسان، ففوَّض إليه أبو العباس الأمر، وسارَ به إلى فاس تختِ المُلك وأجلسه على سرير السَّلْطَنة، فقَلَّده السلطانُ أبو فارس أمورَ المملكة بأسرها، وأناطَ به الأمور جميعها، فقامَ بها أحسنَ قيام.

= ٧/ ٣٧٤.

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن يوسف بن عبدالمؤمن.

فلما ماتَ أبو فارسٍ سنةَ ثمانٍ وتسعين وسبع مئة عقد الأمر لأخيه أبي عامرٍ عبدالله بن أبي العَبَّاس وقامَ بأمره وكفالةِ دولَته حتى مات سنة تسع وتسعين في يوم الفِطْر، فأخذ البيعة لأخيه أبي سَعيدٍ عثمان بن أبي العَبَّاس، وجَرَى على عادته في القيام بالدَّولة إلى أن دَبَّت عقاربُ السِّعاية به عند سُلطانه أبي سعيدٍ ووَشَى به عُداتُه أنه يُريد خَلْعَه من المُلك وإقامةَ بعضِ الإخوة، ففَطِن بذلك، ورام أن يَتَخَلَّى عن الأمر، ويترك ما هو فيه، ويخرج عن مُلابسة الدَّولة، ومخالَطَةِ السُّلطان، فلم يُمْهله عُداتُه، وبادَرَه السلطانُ أبو سعيدٍ بأنْ بعثَ إليه وإلى ولدِهِ أبي زَيْدٍ عبدالرَّحمن يستدعيهما على عادته، فلما صارَا إليه قَبَضَ عليهما وسَجَنهما وطَلَبَ منهما المال، فحملا إليه حتى (إذا)[1] لم يَقْدِر منهما على شيءٍ أمَرَ بهما فذُبحا ذَبْحًا في يوم الأحد ثامن شوال سنةَ ثلاثٍ وثماني مئة، وأقامَ بعدَهما في الحِجابَةِ القائد فارح بن مهدي.

وكان أبو العَباس رحمه الله حَسَنَ السياسة، مُجتهدًا في العِمارة، ناهضًا بأعباءِ الدَّولة، فكانت الأوطانُ في أيَّامه عامرةً، وجباياتُها دارَّةً، والرَّعايا في نِعْمَةٍ غامرة، والملوكُ الدَّانية والقَاصِيَةُ تَخْشَى بأسَهُ وترغَبُ في إحسانِه. وبلغ من جميل سيرَتهِ وبديع سياسته أنه اجتمع على مائدة واحدة بين يدي سلطانه رسولُ ملك مصر، ورسولُ ملكِ الحبشة ورسولُ صاحب إفريقية، ورسولُ متملِّك تِلِمْسان، ورسولُ ابنِ الأحمرِ صاحب غَرْناطة من الأندلس، وعِدَّةُ رُسلٍ من مِلوك الفرنج، وجماعةٌ من أمراء السُّوس ومَزاوِرَة[2] جبال مرَّاكش، وكانَ له ولولده أبي زيدٍ عبدالرحمن في الجُود والإفْضال أخبارٌ لولا شُهْرَتُها لما صُدِّقَت، لغرابتها وبُعْدها عن سير ملوك زمانه، فمنها أنه أنشدَ يومًا في مجلسه وابنه معه فيه رجلٌ قولَ حَمَّاد بن عَجْرَد[3]:

---

(١) إضافة منا لا بد منها.

(٢) بنو مزوارات بطن من صنهاجة.

(٣) هكذا في المسودة والأصل «حماد بن عجرد»، وهو خطأ بيّن، فعجرد لقب =

شيئان لو بَكَتِ الدِّماءَ عليْهما عَيْنــاي حتَّــى يــأذَنَــا بــذَهــابِ
لم يَبْلُغا المِعْشارَ من حَقَّيْهِما فقــدُ الشَّبــابِ وفُــرْقَــةُ الأحبــابِ

فقال أبو العباس: تُرَى يمكنُ أن يكونَ لهذين البيتين ثالث؟ فقال بعضُ الحاضِرين: نعم يمكن، وأخذَ رقعةً وكتب البيتين وزاد عليهما:

والثَّالــثُ المَنْسيُّ أعظَـمُ منهمـا ذُلُّ السُّـــؤال ووَقْفَـــةُ الأبـــواب

ودفعها إليه، فأطرَقَ هو وابنه ساعةً إلى الأرضِ خَجلَين، وقد ظَنَّ كلُّ واحدٍ منهما أنَّ هذا الرَّجل وقفَ بباب أحدهما متعرِّضًا لنوالهما فلم يظفر بشيء، ثم استحسنا بَيْته المذكور. فلما انفضَّ المجلسُ ما وصلَ الرجلُ إلى داره إلا وَصِلةُ كلٍّ من الأبِ والابنِ قد وصلَتْه مع الاعتذار إليه، ووالَيَا الإنعامَ إليه من بعد تلكَ الصِّلَةِ حتى كان الذي نالَه منهما ما يُنيفُ على ألفي دينارٍ ذَهَبًا سوى التُّحفِ والثياب وغير ذلك.

وجلَسَ ابنه أبو زَيدٍ يومًا في متنزَّه له على حالة أنسٍ ولذةٍ مع نُدمائه وقد تزايدتْ لذاته فاستأذن بعضُ خَدَمه على رجلٍ من غلمانه كان في بعضِ جهاته لجبايَةِ مالها، فأذِنَ له، فدَخَلَ ومعه جرابٌ قد مُلِىء ذَهَبًا وجـرابٌ مملوءٌ فضةً فقالَ للساقي «أدِر علينا كأسَكَ مُتْرَعَةً من هذا الذَّهَبِ والفِضَّة» فأفرغَهما وملأ الكأسَ منهما ودارَ به علي النَّدامى حتى نَفدَ الجميعُ، وصارَ بأيدي الحاضرين، فكان حَظُّه منه حظَّ واحدٍ منهم.

واتَّفقَ أيضًا أن رجلاً أتلَفَ[1] مالَه في الانهماكِ في اللذات والخَلاعات حتى لم يبقَ بيدِه سوى جاريةٍ له كانت منه محلَّ روحِهِ من جَسَدِه، ودارِ سُكناها لا غير، فرَهنَ الدَّارَ لسوءِ حالِه وقلَّة ذاتِ يده، وأنفقَ مالَ الرَّهْن حتى أصبحَ بأسوإ حال، فقالت له الجاريةُ: لو بِعْتني

= لحماد، كما هو معروف مشهور في ترجمته (تاريخ الخطيب ٩/ ٥، ومعجم الأدباء ٣/ ١١٩٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٦).

(١) في جـ: «أنفق».

وتوسَّعْت بثمني، واسترجعتَ دارَك التي هي سِترٌ عليك، وقَدَّرتَ أني قد مِتُّ لكان أولى بكَ مما أنتَ فيه. فشَقَّ ذلك من قولها عليه، ولم تسمحْ نفسه بمفارقتها لشدة حبِّها وتَملُّكها قلبه، وكابدَ مُقاساةَ الفَقْر إلى أن ضَيَّق عليه ربُّ المال وألجأه إلى بيع الجارية، فابتاعها منه رجلٌ بخمس مئة دينارٍ لجَمَالها وآدابها وبَرَاعتهاَ، ثم أهداها لأبي زَيدٍ عبدالرَّحمن ابن الشيخِ بن أبي الحسن علي القبائلي، فولَعَ بها وهامَ بحُبِّها كوُلوع سَيِّدها الذيَ باعها أو أشد، وأفاضَ عليها من إحسانه ما غَمَرها به فبينا هو ذاتَ يوم مُختلٍ بها وقد أخذت بمجامع عَقْله ولُبِّهِ، وهما يتجاذبان أطراف الحديث إذ سألها عن أصلها ومن عُني بتربيتها وأدبها، فعرَّفتهُ قصَّتها وما نَزَل بمولاها حتى باعها، فأمرَ في الحالِ بطلبِ سيِّدِها، وسأله عن سبب بَيعها، فقصَّ عليه مثل ما قَصَّت عليه الجارية، فأمرَ بها فأُخرجَت وسُلِّمت إليه بجميع ما أنْعمَ به عليها، وطلب الذي رَهَنَ عنده الدَّار، وأمرَه حتى رَدَّ إليه المالَ وعوَّضَه هو نظيره، فمضى الرجُلُ بالجارية ومَتاعها، وكان له قَدْرٌ خطير، إلى داره، وصارَ بعدَ ذلك من جُلسائه وغمرَه بإحسانه.

١٤٠- أحمد بن محمد بن صلاح، شهابُ الدين، ابن المُحَمَّرة الشافعيُّ[١].

كان أبوه وعَمُّه من سَماسِرة الغِلال بساحلِ بُولاق خارجَ القاهرة، ووِلِدَ هو بالمَقْسِ في الخامسِ والعشرين من صَفَر سنةَ سبعٍ وستين[٢]

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ١٠١٤، وإنباء الغمر ٨/ ٤٣٢، والنجوم الزاهرة ٢٠٦/١٥، والدليل الشافي ١/ ٨١، ونزهة النفوس والأبدان ٣/ ٣٨٨، والضوء اللامع ٢/ ١٨٦، ووجيز الكلام ٢/ ٥٤٨،وحسن المحاضرة ١/ ٤٤٠، والأنس الجليل ٢/ ١١٢، وقضاة دمشق ١٦٠، وشذرات الذهب ٧/ ٢٣٤.

(٢) في جـ: «وخمسين»، وما أثبتناه من المسودة، وهو الموافق لما في مصادر ترجمته.

وسبع مئة، وقرأ في صِغَره القرآن الكريم وعِدَّةَ كتبٍ ما بين فِقْهٍ وأُصولٍ وعربيةٍ، وبيانٍ، وحديثٍ. واشتغلَ على المجد إسماعيل البَرْماوي مدَّةً، ثم لازَمَ دروسَ شيخ الإسلام سراج الدين عُمر البُلقيني، والحافظ زين الدين عبدالرَّحيم العراقي، وسمعَ الحديثَ، وتخرَّج فمهر في الفِقْه والعربيَّة وشارك في غيرهما، وتكَسَّب بالجُلوس في حانوت الشهود سنين، فَبرَعَ في الوِراقة. وصَحِبَ ناصر الدين محمد ابن الطبلاوي الوزير ثم الأمير يَلْبُغا السَّالمي فتمكنَ منهما لبشاشة وجهه وبِشْره، وتَملُّقه وتَوَدُّده، وحُسن صورَته وجميل محاضرته، فتنبه حظُّه، وناب عنِّي في الحِسْبَة فحكمَ على بابي أيام ولايتي في سنة سبع وثماني مئة، ثم نابَ في الحُكْم بجامع الصالح عن قاضي القُضاة جَلال الدين البُلقيني عدَّة سنين فدَرَبَ القضاء دُرْبَةً جيدة، وأثرى منه بعد قِلَّة، واشتُهِرَ بحُسن السِّياسة وفَصْلِ القضاء بينَ المُتَداعين إلى أن مات شيخُ الشيوخ شمسُ الدين محمدُ بن أحمدَ بن محمدٍ البيري في رابع عِشْري ذي الحجة سنةَ ثمانٍ وعشرين وثماني مئة، فوَلي عوَضه مشيخةَ خانكاه سعيد السُّعداء، ودَرَّس أيضًا بخَانكاه شِيخو، ثم وَلِيَ قضاءَ القُضاة بدمشقَ في أوَّلِ جُمادى الآخرة سنةَ اثنتين وثلاثين عِوَضًا عن بهاء الدين محمد ابن نجم الدِّين عُمر ابنِ حِجي بغير مالٍ ولا طَلَب، بل استدعاه السُّلطان وعرَضَ عليه ذلك فقَبِله وخَلَع عليه فتوجه إليها في تجمُّلٍ حَسَن، وباشرَ أحسنَ مباشرةٍ إلى أن صُرِف بالقاضي كمال الدين محمد ابن البارزي كاتِبِ السِّرِّ في أوَّلِ شَعْبان سنةَ خمسٍ وثلاثين، فأعيد إلى القاهرة وأعيدت إليه مَشْيخَة سعيد السُّعداء وتدريس الشيخونية فأقامَ على ذلك إلى أن أُخرج إلى القُدس مُدَرِّس الصَّلاحية من أجلِ أنه لم يَبْذُل من المالِ ما طُلِب منه، فلم يَزَلْ بالقُدْس حتى ماتَ ليلةَ السَّبتِ سادِسَ عِشْري ربيع الآخر سنةَ أربعين وثماني مئة فدُفِنَ بها؛ فنعمَ الرَّجُل كانَ سياسةً وصَرامةً ومعرفةً وفضيلةً. رحمه الله.

١٤١- أحمد بن صالح بن غازي بن قَرا أرْسلان بن غَازي بن أرتُق بن رَسْلان بن إيلْغازي بن ألبي بن تَمُرتْاش بن إيلغازي بن أرتُق، الملكُ المنصور ابنُ المَلِك الصَّالح ابن الملك المَنْصور ابن المظفَّر ابن السَّعيد، صاحبُ ماردين[١].

قامَ في المُلْك بعد موتِ أبيه في سَنَةِ ست وستين وسبع مئة فلم تَطُلْ أيامه، وماتَ بعد نحوٍ من ثلاثِ سنين وقد جاوَزَ ستين سنة في سنة تسع وستين وسبع مئة.

١٤٢- أحمد بن محمد بن عبدالكريم، شِهابُ الدين التِّزْمَنْتيُّ الشافعيُّ[٢].

سَمِعَ على القَلانسي، وفَضُلَ في الفِقْه، وأقامَ بالقُدس مُدَّةً، وحدَّث به، وابنه وَليُّ الدِّين مُحمدٌ لَه فضيلةٌ أيضًا.

توفي هو سنة بضع وثمان مئة.

١٤٣- أحمدُ بن محمد، ابن قُماقِم[٣]، شهابُ الدين، القَباقِبيُّ[٤] الدِّمشقيُّ الشَّافعيُّ[٥].

برعَ في الفِقْهِ والحديث، وقرأ القِراءات. توفي لأيامٍ في جُمادى الآخرة سنة تسعٍ وثماني مئة.

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٦٢، والذيل على العبر للعراقي ١/ ٢٣٦، والدرر الكامنة ١/ ١٥١، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٠٣، والمنهل الصافي ١/ ٣٠٠، والدليل الشافي ١/ ٤٩، ووجيز الكلام ١/ ١٦٨، وبدائع الزهور ١/ ٧٣.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع ٢/ ١٢٥.

(٣) ذكر السخاوي في الضوء اللامع ٢/ ١٦٧ أن هذا لقب أبيه.

(٤) قال السخاوي: «ويعرف أيضًا بالفقّاعي وهي حرفة أبيه، ورأيته بخطي من معجم شيخنا (ابن حجر): القباقبي، والأول الصواب».

(٥) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ٢٠، والضوء اللامع ٢/ ١٦٧، والدارس ١/ ١٧٣، وشذرات الذهب ٧/ ٨٢.

١٤٤- أحمد بنُ مُحمد بن أحمد بن عليّ بن عبدالرحمن، شِهابُ الدين، ابنُ القُرْداح[١]، المُنْشِد[٢].

وُلِدَ في حُدود سنةِ ثَماني وسبع مئة، وبَرَعَ في عِلم المُوسيقى، وصارَ يُنشِدُ في المَجَامع[٣]، ثم اشتغلَ على صاحِبنا عز الدين ابن جَمَاعة، وعلى الشهاب أحمد ابن المجدي، ولَزِمَني مدَّةً، وكان لي به أُنس، وكان ينظمُ الشعر.

تُوفي في شوال سنةَ إحدى وأربعين وثماني مئة. ولم يخلُفه بعدَه في الإنشاد مثله.

١٤٥- أحمدُ بن عُمر بن هِلال، شهابُ الدين، أبو العباس الحَلَبيُّ الصُّوفيُّ الفقيرُ المُعْتَقَد[٤].

اشتغلَ بحلَبَ، وقَدِمَ القاهرةَ، وصَحِبَ الشيخ شَمْسَ الدين محمد البلالي مدة، ثم عاد إلى حَلَب فكثرت أتباعه ومعتقدوه، وحُفِظتْ عنه[٥] شَطَحات، فمقَتَه فقهاء بَلدِه لإظهاره طريقَةَ ابن عَرَبِي، فلم يزدْ ذلك أتباعَه إلا محبةً فيه وتعظيمًا حتى أنهم كانوا يسمُّونه نُقْطَةَ الدَّائرة. وتوفي سنة أربع وعشرين وثماني مئة.

١٤٦- أحمدُ بن عبدالعَالِ المَحلِّيُّ الحَريريُّ[٦].

لهُ ديوانُ شِعْرٍ اسمُه «الجَوْهَرُ الثمين في مَدْح سيد المرسلين» ﷺ.

---

(١) في حاشية مسودة المصنف: «وهو لقب أبيه».

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٩/ ١٥، والدليل الشافي ١/ ٧٢، والضوء اللامع ٢/ ١٤٢، ووجيز الكلام ٢/ ٥٥٩، وبدائع الزهور ٢/ ١٩٣، وشذرات الذهب ٧/ ٢٣٨.

(٣) في جـ: «الجامع»، وما أثبتناه من مسودة المؤلف، وهو الأصح.

(٤) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٤٣٤، والضوء اللامع ٢/ ٥٨ نقلاً من هذا الكتاب، وشذرات الذهب ٧/ ١٦٤.

(٥) في جـ: «عنها»، وما هنا من أ.

(٦) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٣٤٧.

تُوفي[1] . . . وعِشرين وثماني مئة[2].

أُنْشِدْتُ له:

يا مَن يقولُ الشِّعْرَ غيرَ مُهَذَّبٍ ويَسُومُني تَهْذِيب ما يَهْذي بهِ
لو أن أهلَ الأرْضِ فيكَ مُساعدي لعَجَزْتُ عن تَهْذيبِ ما تَهذي بهِ

١٤٧- أحمد بن عبدالله بن رَشيد الحِجازيُّ السُّلَميُّ الحَنَفيُّ[3].

مَهَر في الفقهِ، وأضَرَّ لما أسنَّ، وحَدَّث عن أبي الحَرَم[4] القَلانسي، وعزِّ الدين ابن جَمَاعة. توفِّي في شهرِ ربيعٍ الآخِر سنةَ تسعٍ وتسعين وسبع مئة.

١٤٨- أحمدُ بن عُثمان بن عيسى بن الحَسَن بن عبدالمَجيد الياسُوفيُّ الأصلِ الدِّمشقيُّ، نجمُ الدين ابنُ الجَابي، الشافعيُّ[5].

وُلِدَ سنةَ ستٍّ وثلاثين وسبع مئة، واشتغلَ بعدَ سنةِ سَبْعين وقد كَبِرَ، فطلبَ بنفسهِ، وقرأ الحديثَ، وكتبَ الطِّباق. وتفقَّهَ بالعِمادِ الحُسباني وغيره، فمهرَ في الفِقْه والأصول، وسمعَ من أصحاب الفَخْر ابن البُخاري، ونسخَ كُتُبًا كثيرةً، وكان يُوصَفُ بسرعةِ الإدراكِ وقوَّةِ

---

(١) ترك المصنف بعد هذا فراغًا، أما صاحب نسخة الأصل فكتب: «توفي سنة عشرين وثماني مئة».

(٢) قال السخاوي: «ولقيه ابن فهد والبقاعي وغيرهما في سنة ثمان وثلاثين بالمحلة فكتبا عنه. . . وأنشد له المقريزي في عقوده. . . وقال: توفي سنة عشرين، وهذا غلط».

(٣) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٢٦، والطبقات السنية ١/ ٤٢١.

(٤) في جـ: «الحزم» بالزاي، خطأ، وهو فتح الدين أبو الحرم محمد بن محمد بن أبي الحرم بن أبي طالب القلانسي المتوفى سنة ٧٦٥هـ (وفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٢٨٤، والدرر الكامنة ٤/ ٣٥٣، وشذرات الذهب ٦/ ٢٠٦).

(٥) ترجمته في: السلوك ٣/ ٥٤٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٦٩، والدرر الكامنة ١/ ٢١٣، وإنباء الغمر ٢/ ١٩٤، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٦، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ١٢٥، ووجيز الكلام ١/ ٢٧٣، والدارس ١/ ٢٤١، وشذرات الذهب ١/ ٢٩٦.

المُناظَرَةِ، ودَرَّس بالدِّماغيَّة[1] بدمشق.

توفي في جُمادى الأولى سنةَ سبعٍ وثَمانين وسبع مئة.

١٤٩- أحمدُ بن أبي بكر بن عليّ بن محمد بن أبي بكْر بن عبدالله بن عُمَرَ بن عبدالرحمن بن عبدالله بن يَعقوب، شهابُ الدين اليَمَنيُّ الزَّبِيديُّ النَّاشريُّ الشَّافعيُّ[2].

بَرَعَ في الفقه، فانتهت إليه الرياسة فيه، مع الدِّيانة والأمانة، ووَلِيَ قضاءَ الأقضية ثم عُزِلَ. وكانت له وقائعُ مع أصحابِ الشَيخِ إسماعيل الجَبَرتي، وجمع كتابًا حافلاً بيَّن فسادَ عقيدةِ ابن العَرَبي الصُّوفي ومَن ينتمي إليه، فكان ذلك سببَ عزله.

توفي في المحرَّم سنةَ خمسَ عشرةَ وثماني مئة.

١٥٠- أحمدُ بن عبدالله بن... شهابُ الدين البُوصيريُّ، المِصريُّ الشافعيُّ[3].

لزمَ الشيخَ وليّ الدين المَلَوي وتفَقَّه به، وتفنَّنَ في عِدَّة عُلوم، وتصوَّفَ، وخَدَمَ الشيخَ عبدالله الحَجَّاجي المجْذُوب.

توفي في جُمادى الأولى سنةَ خمسٍ وثماني مئة.

١٥١- أحمد بن حسن بن عبدالله[4]، شهاب الدين الجوجريُّ، أحدُ عُدولِ القاهرة[5].

---

(١) في جـ: «الدباغية»، وما أثبتناه من خط المصنف، وهو الصواب، والمدرسة الدماغية من مدارس الشافعية والحنفية بدمشق (الدارس للنعيمي ١/ ٢٣٦).

(٢) ترجمته في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٤١، وإنباء الغمر ٧/ ٨٠، وذيل الدرر، الترجمة ٣٩٧، والضوء اللامع ١/ ٢٥٧، وشذرات الذهب ٧/ ١٠٩.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ٩٣، وذيل الدرر، الترجمة ١٦٨، والضوء اللامع ١/ ٣٥٩، وشذرات الذهب ٧/ ٤٨، وسيعيده المصنف برقم (٢٢٤).

(٤) قال السخاوي بعد أن سَمَّى جده عليًا: «وذكره المقريزي في عقودة باختصار، ولم يعين وفاته أيضًا، وسمى جده عبدالله غلطًا».

(٥) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٣٨٩، والضوء اللامع ١/ ٢٧٧.

وُلِدَ سنةَ أربعٍ وستين وسبع مئة، وتفقَّه على الشيخ عَلاءِ الدين عليٍّ الأقْفَاصي، ونَظَمَ الشعرَ، وتكسَّبَ بالجُلُوسِ لتحمُّلِ الشهادَةِ وتوفي[1] ....

ومن شعره في القاضي شَمْسِ الدّين محمد الحَلاَوي:

إنَّ الحَلاَويَّ ما قومٌ يخالِطُهم إلا مَحَا شؤمُه عنهم محاسنَهُمْ
السَّعْدُ والفخرُ والطُّوخيُّ صاحبهم فأصبحوا لا تُرى إلا مَساكنُهمْ

يشيرُ إلى سَعْد الدِّين إبراهيم ابن غُراب وأخيه الوَزيرِ فَخْرِ الدِّين ماجدِ ابن غُراب والوَزير بَدْرِ الدِّين محمَّد ابن الطُّوخي.

ثم لما قُتِلَ نجمُ الدين عُمرُ بن حِجي قاضي دمشق بعد موتِ ابني الكُوَيْز شَفَعهما بثالث وهو:

وابنُ الكُوَيزِ وعن قرب أخوه قضى والبَدْرُ والنَّجْمُ رَبِّ اجعلْه ثامِنَهُم

يريدُ الأميرَ بَدْر الدين حسن ابن مُحبِّ الدين، فإنّ الحَلاَويَّ كان يلازمُ هؤلاءِ السَّبْعَةَ أشدَّ ملازَمَةٍ، وله بهم اختصاصٌ زائد.

١٥٢- أحمد بن عبدالله، شهابُ الدين ابنُ كمالِ الدين القُوصِي[2].

وُلِدَ بعدَ سنةِ سَبْعين وسبع مئة، وتفقَّه للشافعي، وبرعَ في صناعَةِ الوراقة، وتكسَّب بتحمُّل الشهادة، وقالَ الشعر. توفي في ثامن عِشْري[3] رمضان سنة عشرٍ وثماني مئة.

١٥٣- أحمدُ بن صَالح بن أحمدَ بن عُمَرَ[4]، شهاب الدِّين،

---

(١) ترك المصنف في المسودة فراغًا لتاريخ وفاته ولم يعد إليه، وأشار إلى ذلك السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٢٧٧.

(٢) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٣٩٤، والضوء اللامع ١/ ٣٧١.

(٣) في المسودة: «ثاني عشري»، وفي المجمع المؤسس لابن حجر: «ثاني عشر»، وما أثبتناه من أو هو مماثل لما في «الضوء اللامع» عن المصنف.

(٤) اسمه في الإنباء أحمد بن صالح بن محمد بن محمد بن أبي السَّفّاح.

ابن السَّفَّاح الحَلَبيُّ[١].

وُلِدَ في حلب سنةَ اثنتين وسبعين، وسمعَ على كمالِ الدِّين ابن حبيب، وشهاب الدين ابنِ المُرَحِّل، ووُلِّي عدَّةَ وظائف بحلبَ منها توقيع الدَّسْتِ، ثم نَظَرَ الجيش وكتابة السر، وانتهت إليه رياسةُ حلَب. وقَدِمَ القاهرةَ فكتبَ في ديوان الإنشاء، ووَلِيَ بها أيضًا كتابةَ السِّرِّ بعدَ الشريف شهاب الدِّين أحمد حتى مات في تاسع عشر[٢] رمضان سنةَ خمسٍ وثلاثين وثماني مئة.

١٥٤ - أحمدُ بن إسكَنْدر بن صَالح بن غازي بن قَرا أرْسَلان بن أرْتُقِ بن أرْسلان بن إيلغازي بن ألبي بن تَمُرْتَاش بن إيلغازي بن أرتق ابن أكْسَك، السُّلْطانُ الملكُ الصَّالح شهابُ الدِّين الأرْتُقيُّ صاحِبُ مارِدِين[٣].

نشأ في دولةِ ابن عَمِّه الملكِ الظَّاهر مَجْدِ الدِّين عيسى بن المظفَّر فخرِ الدِّين داوُد ابن الملك الصَّالح شمس الدِّين صَالح ابنِ الملك المَنْصور غازي، وزوَّجه بابنته شاه زادَه، وأمُّها الخاتُون فاطِمةُ بنت الأمير ناصِر الدِّين محمد ابن الصَّالحِ شمس الدِّين صَالح، واستخْلَفَه على ماردِين لما توجَّه إلى الأمير تَيْمور فخلَفَه عليها مُدَّةَ غيبته سنتين وسبعةَ أشهرٍ حتى قَدم، ثم استخلَفَه ثانيًا لما خرَجَ إلى لقاءِ العادِل جَكَم الثائر بحلبَ حتى يحاربا الأميرَ عثمانَ المعروف بقرايلك صاحب آمِدَ، فلما

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٨٧٧، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٩١، وإنباء الغمر ٨/ ٢٦١، والدر المنتخب، الترجمة ١٢٨، والدليل الشافي ١/ ١٧٠، والمنهل الصافي ١/ ٣٠٢، والضوء اللامع ١/ ٣١٤ و٣١٦، ووجيز الكلام ٢/ ٥٢٢.

(٢) أرخ السخاوي وفاته في ليلة الأربعاء رابع عشر رمضان، ثم نقل قول المقريزي هذا.

(٣) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٢٣١، والمنهل الصافي ١/ ٢٢١، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٤٦١.

قُتِلَ الظاهرُ هو وجَكَم استبدَّ الصالحُ بالسَّلْطَنة عِوَضَه في ذي الحجة سنةَ تسع وثماني مئة مُدَّةَ سنةٍ ونصف، وقَرَايلك يحاربهُ، فبعثَ إلى قرا يُوسُف ابن قرا محمد صاحب توريز يستنجد به عليه فلم يُنجِدْهُ، وما زالَ يراسلُه ويُرغِّبه في ترك مملكةِ ماردين له حتى ابتاعَها منه بعشرةِ آلاف دينار وألْفِ فَرسٍ وعشرة آلاف رأس من الغَنَم، وزوَّجه بابنته، وأعطاه المَوْصِلَ فنزل من قلعةِ ماردين وتسلمها أصحابُ قرا يوسف، وأخرجوا مَن كان بها من نِساء الأُرْتُقية وأتباعهم، وأخلَوْا قصورَهم الزاهرة وديارهم الآنسةَ ورياضَهم النَّضِرة، وامتهنوها بعد الاحترام، فابتُذلت بعد الصَّونِ والكرامةِ حتى لقد صارت مخادعُ القُصور وأواوينها مرابطَ للكلاب بعدما كانت مغاني المخدَّرات الأتراب، ووُجِدَ بتلك القُصور من شبابيكِ الحديد ومن الحُصْرِ خاصَّةً ما بلغتْ قيمتهُ المقدارَ الذي بذلَه قرا يوسف للصَّالح، وأقامَ الصَّالحُ بالمدينة بعد نزوله من القَلْعَةِ عشرةَ أيام وطُبُولُه تَدقُّ في وقتِ النَّوْبَة على أتون حَمَّام، ثم صارَ منها يريدُ المَوْصِل وبها أخو قرا يوسُف واسمُه فير علي بن قَرا محمد، فسلَّمها له وخرجَ عنها إلى أخيه، فنزلها الصَّالحُ ولم يُقِمْ بها سِوَى ثلاثة أيام، وماتَ هو وزوجتُهُ ابنةَ قرا يوسف، فذُكر أنَّ قَرا يوسُفَ سَمَّه، وتركَ أربعةَ أولادٍ، هم: محمد، وأحمد، ومحمود، وعليّ فأخرجهم قرا يوسُف من الموصِل ومعهم جدَّتُهم الخاتون فاطِمة، وقد ماتت زوجة الظَّاهر عيسى ابنتها أم البنين الأربعة شاه زادَه قبل ذلك وعوَّضهم عن المَوْصِل بسِنْجار فأقام البَنُون الأرْبعة مع جَدَّتهم بها ثلاث سنين، وماتُوا في وَباء، فنقَل شاه محمدُ بن قرا يوسف صاحِبُ بغداد الخاتون المذكورة من سِنْجار إلى بغداد، واستولَى على سِنجار، فأقامَت الخاتون ببغداد تجري عليها مرتباتُ شاه محمد عشر سنين، وماتت بعدما حَجَّت، فانقرضَ بموتها عَقِبُ بني أرْتُق، كما انقطعَ مُلكهم بماردِين بعد خُروج الصَّالح منها، ولم يَقم بعده قائم منهم، بل لم يَبْقَ منهم من له ذكر، وخَرِبتْ ماردين وأعمالُها باستيلاء التراكِمين أتباع قرا يوسف، ثم أتباع قَرَا يلُك وبَقي منها بقية الله أعلم بمصائر أمرها.

١٥٥- أحمدُ بن مُحمد بن أحمد بن عليٍّ بن محمد بن عليّ بن محمد بن عبدالله بن جَعْفَر بن زَيْد بن جَعْفر بن إبراهيم المَمْدوح، الشريفُ النَّقيب شِهابُ الدين أبو العباس ابن شمْس الدين أبي المَجْدِ ابن شهاب الدِّين أبي العَبَّاس ابنِ عَلاءِ الدِّين أبي الحَسَن ابن شَمْس الدِّين أبي عبدالله ابن زَيْن الدِّين أبي الحسن ابنِ شَمْسِ الدِّين الحُسَيْنيُّ الحَرَّانيُّ ثم الحَلَبيُّ، نقيبُ الأشراف بحَلَب[١].

باشر كتابةَ الإنشاء ونِقابةَ الأشراف بحلبَ حتى تُوفي في سنة ثمانٍ وسَبْعين وسبع مئة. وكان سيدًا جَليلاً له أخلاقٌ رَضيَّة، وفيه رِقَّة قَلْب ورأفة ورِفق، وصِدقُ لهجة، ووفاءٌ بالعَهْد، وكثرةُ إنصاف، وتواضُعٌ وكَرَم زائد، لا تزالُ موائدُه ممدودةً، وأبوابه للواردين مقصودةً، فيلقَى النَّاسَ بوجهٍ طَلْق، ويثابر على عَمَل الخَيْر دائمًا، رحمه الله.

١٥٦- أحمدُ بن أُوَيس ابن الشَّيْخ حَسن الكَبير بن حُسَين بن آقبغا بن أيْلُكان بن أوبوقانوين الجَلائريُّ، السُّلطانُ غياثُ الدِّين ابنُ القَان، صاحب عِراقي العَرَب والعَجَم ومالك كُرْسِي بَغْدادَ وتبريز[٢].

اعلم أنَّ جَنْكِز خان عَهِدَ بالتَّخْت، وهو كرسيُّ المُلْكِ بقَرا قُروم لابنه أُوكْداي، فقامَ به من بعدِه، ثم وَرِثَه كَبوك بن أوكْداي، فتغيَّر ما بينه وبين باطو بن دُوشي خان بن جَنْكِيز خان صاحِب التَّخْتِ بسراي من بلادِ

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢٩٥، والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٤٥٧، والدرر المنتخب، الترجمة ١٩٦، والدرر الكامنة ١/ ٢٥٩، وإنباء الغمر ١/ ٢٠٢، والدليل الشافي ١/ ٧٦، وبدائع الزهور ١/ ١٩٦.

(٢) ترجمته في: السلوك ٤/ ٨٧٦، وإنباء الغمر ٦/ ٢٣٨، والدليل الشافي ١/ ٤١، والضوء اللامع ١/ ٢٤٤، ووجيز الكلام ١/ ٤١٠، وشذرات الذهب ٧/ ١٠١، والبدر الطالع ١/ ٤٢، والمنهل الصافي ١/ ١٨٥، والنجوم الزاهرة ١٢/ ٤٣ و١٤/ ١٦٣ و١٣/ ١٨١، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٦٢ و٢/ ٥٥، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ١١١٧ و١١٤٨ و١١٧١، ودائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية ١/ ٣٤٨ و٤٧٣ و٣/ ١٦٢ و٢٥٤ و٥٦٤ و٧/ ٣، دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة النص الانكليزي ٢/ ٤١٠ الجلائريون.

الشمال، وسارَ ليُحاربَه، فمات في طريقهِ، فأجمع المُغْلُ على ولاية باطُو بعده، فامتنَع وبعثَ أخاه مَنْكُوقان، وبعث مَعَه بالعساكر صحبةَ إخوتِهِ قَبلاي وهولاَوُو وبرَكة فأجلَسوه على التَّخْت بقرا قُروم سنة خمسين وست مئة بعد كَبُوك بن أوكْداي، فولَّى أولادَ جَقْطاي بن جَنكِز خان على ما وراء النهر، وبعثَ أخاه هُولاَوُو لفتحِ عِرَاق العَجَم وقلاع الإسماعيلية، فسارَ في سنةِ ثنتين وخمسين، وفتحَ الكثيرَ من قلاع الإسماعيلية، وقد قامَ في المُلْكِ بسَراي بَرَكة بنُ باطو بن دُوشي خانَ، فحدثَتْ بينَه وبين هُولاوُو فتنةٌ سارَ من أجلها بركةُ لحربه ومعه تُوغاي بنُ طَطَر بن مُغْل بن دُوشي خان فانهزم هُولاوو، وهلكَ عامَّةُ عَسْكره وعاد إلى قلاع الإسماعيلية يريدُ قلعة ألَموت، فأتته رسالةُ ابن الصَّلايا صاحب إربل عنَ ابن العَلْقَمي وزير الخَليفة المُسْتَعْصم يستحثه على أخذِ بَغْداد، فسارَ إليها وقَتَلَ الخليفةَ في محرَّم سَنَةَ ست وخمسين، ووضعَ السيفَ في الناس، فأُحْصِي من وُجدَ من القَتْلى فكانَ ألْفَي ألف وثلاث مئة ألف، وبعثَ العساكرَ إلى مَيَّافارقين، فحصرتْها سنتين حتى أخذتها وقتلت أهلها، وبعثَ عسكرًا إلى إرْبل فحاصَروها ستةَ أشهُر، فلما تم لهولاوو الاستيلاء على الجَزيرة، وديار بكر، ودِيار ربيعة عَبَرَ الفُرات سنةَ ثمان وخمسين، وملَكَ البيرة، وحاصرَ حلبَ حتى أخذها واستباحَها سبعةَ أيام، وبعثَ العساكرَ إلى دمشقَ، وكتبَ إلى مصرَ بالدُّخولِ في طاعَتِه فبلَغه موتُ القانِ الأعظم مَنْكُوقان، فرجعَ طمعًا في الوِلاية بعده، وتركَ بلادَ الشام ومصر، فوجدَ قَبْلاي قد استقرَّ عِوَضَهُ فرجعَ إلى بلاده، وقَنِعَ بها حتى ماتَ في سنةِ ثنتين وستين وست مئة، وبيدِه من الأقاليم: خُراسان بما فيها من نَيْسابور، وطُوس، وهَراة، وتِرْمِذ، وبَلْخ، وهَمَذان، ونَهاوَنْد، وكَنْجة. وعراقُ العجم بما فيه من أصبهان، وقَزْوين، وقُم، وقاشان، وشَهرزور، وسجستان، وطَبَرِستان، وكِيلان، وقلاع الإسماعيلية. وعراقُ العرب بما فيه من بغداد، وواسط، والدِّيْنَوَر، والكوفة، والبَصْرة. وإقليم أذرَبَيْجان بما فيه من توريز، وخُواي، وسَلَماس، ونَقْجوان. وخوزستان بما فيها من

شُشْتَر، والأهواز، وغيرها. وإقليم فارس بما فيه من شِيراز، وكيش، ونُعمان، وكازَرون والبَحْرين. وديار بكر بما فيها من المَوْصل، ومَيافارقين، ونَصِيبين، وسِنْجار، وإسْعِرد، ودُنَيْسر، وحَرَّان، والرُّها، وجَزيرة ابن عمر. وبلاد الروم: بما فيها من قُونية، ومَلَطْية، وأقْصر، وأرزنكان، وسِيواس، وأنطاكية، والعَلايا.

فقام بعد هولاوو ابنه أبغا، وسارَ لمحاربةِ بَرَكة، فبعثَ إليه بَرَكة بنو غاي بن طَطَر بن مُغْل بن دُوشي خان ومعه بسَنْتو بن مَلْكوقان بن جَقْطاي بن جَنْكز خَان، فرجع بَسَنْتو عن اللقاء مُنْهزمًا، وأقدمَ تُوغاي فَهَزَم أبْغا وأثْخَنَ في عَسَاكره. ثم بعث أبْغا عساكِرَه في سنةِ إحدَى وسبعين وست مئة إلى البِيرَة مع دَرْباي من أمراء المُغْلِ فعبرَ السُّلطانُ الملكُ الظاهِرُ بَيْبَرس الفُرات، وهَزَمهم فزحَفَ في سنة ثِنتين وسبعين إلى حَرْبِ تكْدار بن مُوجي بن جَقْطاي صاحِب خُستان، فاستنجد بابنِ عمه بُراق بن بَسَنْتو بن مَلْكوقان بن جَقْطاي، فجاء إليه والتَقَى الجَمْعَان ببلادِ الكُرْج، فانهزمَ تكْدار، فلما سارَ السُّلطان الملكُ الظَّاهر بيبَرس إلى بلاد الرُّوم بعثَ أبْغا لمحاربَته بعسكرٍ مع تَداون وتُوقو، ثم خرجَ بنفسه في سنة خَمْسٍ وسبعين فالتَقَى الظاهِرُ مع الطَّطَر[1] على أبلُسْتَيْن، فانهزمَ الطَّطَرُ وقُتل أكثرهم وأُسِرَ، ومَلَك الظاهِرُ قَيْسارية، فجاء أبْغا بعد عَوْدِ الظاهر ففاته وعاد إلى بلاده ثم عبر الفُراتَ سنةَ ثمانين ونازلَ الرَّحْبَةَ ومعه صاحِبُ ماردِين، وبعثَ بملك سَراي منكوتمر بن آجي بركة، وقد قَدِمَ لنجدته، فمرَّ بقَيْساريَّة وأبلُسْتين، وعَبَر الدَّرْبَنْد حتى نزلَ على حماةَ وحَصَرها ومعه مَنْكُوتَمُر بن هُولاوو، فلَقِيهُم الملكُ الظَّاهرُ وهزَمهم بعدما أكثرَ من القتل، فسارَ أبغا لما بَلَغه ذلك عن الرَّحْبَة، فماتَ أخُوه مَنْكوتَمُر في عَودِه منهزمًا، ثم هَلَكَ أبْغا في سنةِ إحدى وثمانين، فملك بعدَه أخوهُ تكدار بـن هولاوُو فأسلَمَ وتسمَّى أحمدَ، وبعثَ إلى مِصْر يُخْبِر بذلك، فسار إليه أخوه قُنْغُرطاي من بلادِ الرُّوم ليحاربَه فظَفَرَ به

(١) أي: التتر.

وقتله، ثم بعثَ العساكر لقتالِ أرغو ابن أخيه أبْغا وهو بخراسانَ، فهزمهم، فخرجَ إليه تكدار فهزمَه، فثارَ الأمراءُ به وقتلوه في سنةِ ثِنتين وثمانين وبعثوا إلى أرغُو بن أبْغا، فقدِمَ وملك بَعْدَ تكدار، وولَّى ابنيه غَازَان وخَرَبَنْدا على خُرَاسان، وأظهرَ دينَ البَراهِمةَ، وتديَّن به حتى ماتَ سنةَ تسعين.

فقامَ بعدَه أخوه كِيخاتو بن أبْغا فساءت سيرتُه وفسقُه، فثار به بيدو ويقال ينجو بن طراي بن هُولاَوو وقتله سنةَ ثلاثٍ وتسعين وملك بعده. فسارَ إليه غازَان ابن أرْغُو من خُراسان فوقع الصُّلْحُ بينهما ورجعَ غازان، وأقام نَيْروز الأتابك مع بيدو، فدعا إلى طاعة غَازَان واستقدمَه حتى هُزِم بيدو وقُتِلَ سنةَ خمس وتسعين، وملكَ غازَان بن أرغو بعدَه فأقرَّ أخاه خَرَبَنْدا على ولاية خُراسان، وجعل نَيْروز الأتابَك مُدَبِّرَ مملكته، ثم قتله وسارَ إلى الشام سنةَ تِسعٍ وتسعين، وهَزَم السُّلطان الملك الناصرَ محمد ابن قَلاوون[1] وأخذ دمشْقَ، وسارَ فملكَ حلبَ وعادَ إلى بلاده وتركَ من أمرائه قُطْلو شَاه على عَسْكر، فعادَ الملكُ الناصِرُ وقد عَبَر غَازَان الفُرات في سنةِ ثنتين وسبع مئة وهَزَم قُطْلو شَاه بعد حَربٍ شديدة[2]، فقدِم المنهزمونَ على غَازان وقد رجعَ إلى الرَّي فمات في ذي الحجة منها.

ومَلَكَ بعده أخوه خُذابَنْدا بن أرغو، ودخل في دين الإسلام وتسمَّى محمَّدًا وتلقب غياثَ الدين، واستنابَ جُوبان بن تَدوان، وأنشأ مدينةَ السلطانية فيما بينَ قَزْوين وهَمَذان، فنزلها وسارَ إلى الشَّام سنةَ ثلاثَ عشرة، وعَبَر الفراتَ ونازلَ الرَّحبة، ثم عادَ وماتَ سنةَ ستَّ عشرة.

فأُقيمَ بعدَه ابنه بو سَعيد بن خدَابَنْدا وعمرُه ثلاثَ عشرةَ سنة. وكانَ أزبَك صاحبُ بلاد الشمالِ قد أغرى يَسُول بن بُراق بن بَسَنْتو بن مانِيقان بن جَقْطاي صاحبَ خُوارزم بخراسان وخرَجَ جُوبان لقتاله وقد مال إليه، وكتَبَ يَسُول إلى أُمراء المُغل يُرَغِّبهم في طاعِته، فنُمِيَ ذلك إلى بوسعيد، فقتَلَ منهم أربعين أميرًا، ومَلَّكَ يَسُول خراسان، ثم أُخِذت منه ومات. فعقد

(١) في وقعة الخزندار المشهورة.

(٢) في وقعة شقحب (تاريخ ابن خلدون ٥/ ٨٩٧).

بوسعيد الصلح مع السُّلطان الملكِ النَّاصر محمد بن قلاوون في سنةِ ثلاثٍ وعشرين. وحَجَّ أكابرُ المُغْل، ثم زحَفَ في سنةِ خمسٍ وعشرين كَبك بن يَسُول إلى خُراسان وهَزَم جُوبان مرتين، وملكَ تلكَ البلادَ، ثم أُخِذَت منه، وماتَ بُوسعيد في سنةٍ ست[1] وثلاثين ولم يُعْقِب. فانقرَض مُلْكُ بَني هُولاوُو بموته. واختلَفَ أهلُ الدَّولة، وافترَقَت الأعمالُ، فملكَ طائفةٌ خراسان، وملكَ عراق العجم قومٌ، وملك بلادَ فارس آخرون، وقام في أذربيجان قائم، وفي عراق العَرب آخر، وملكَ بلادَ الرُّوم قومٌ أُخر، ونصبَ أمراءُ المُغْل شخصًا اسمه أُرَيْخان، ثم خُلِعَ وأقيم عِوَضه موسَى خان.

وكان الشيخُ حسن بنُ حُسَيْن بن آقبغا أُمُّه بنت أرْغُو بن أبغا، وهو ابن عَمَّةِ بو سَعيد، وكان قد تزوَّج بَغْدادَ خاتون بنتَ النَّوين جُوبان، فأحبَّها القانُ بو سعيد وأخذَها منه وأبعده عنه، وأنزله في قَلْعة كامِخ من بلادِ الروم ووكَّل به، فلما ماتَ بو سَعيد أُفْرِجَ عنه ومَضَى إلى توريز ومَلَكها، وسارَ إلى بغدادَ في جَمْع، وحاربَ علي باشا القائمَ بالدَّولة، وعزل مُوسى خان ونَصَبَ مكانه محمد بن طَشْتَمُر بن أشَنْتَمُر بن عَنْبَرجي، واستولى على بَغدادَ وتوريز. فسارَ إليه حَسنُ بنُ دَمِرْداش بن جُوبان من بلاد الروم وحارَبه وملَكَ منه توريز، وقَتَل سلطانَه محمدًا. فاستقرَّ الشيخُ حَسَن ببغداد، وحَسَن بنُ دَمِرداش بتوريز، ونصب صاتبيك خاتون أختَ بو سعيد في المُلك، وزوَّجها من سُليمان خانَ، فتغلَّبَ التُّركمانُ على بلادِ الجزيرة، ومَلَكَ المظفر اليَزْدي عِراقَ العَجم وفارس، وقامَ الملكُ حُسَيْن بخُراسان وقد استولى على أكثرها أزْبك مَلِك سراي، فاستوحَشَ الشيخُ حَسَنُ الصَّغيرُ بن دَمِرداش من سلطانه سُليمان خان فقتلَه واستبدَّ حتى مات بتوريز سنةَ أربع وأربعين؛ وملكَ بعدَه أخوه الأشْرفُ.

وجَرَتْ للشيخ حَسَن الكبيرِ صاحبِ بغداد حروبٌ وخطوبٌ مع طَغَاي بن سُوتاي الطَّطَري، ثم مع إبراهيم شاه بن بارَنباي بن سُوتاي،

---

(١) في جـ: «ثلاث»، خطأ بَيِّن، وقد ذكر ابن حجر في الدرر ٢/ ٣٥ أنه توفي في ربيع الآخر سنة ٧٣٧، وينظر تاريخ ابن خلدون ٥/ ٩٤٤.

ومع أولاد دَمِرْداش بن جُوبان كانت العاقبةُ له، وتَزَّوج بالخاتُون دلشاد ابنةُ دمشق خواجا بن جُوبان، وهي ابنةُ أخي بغداد التي تَزوَّجها أوَّلاً، فحظِيتْ عنده وتَحَكَّمت في المملكة، وكانت تكاتِبُ ملوك مصرَ وتهاديهم حتى انتظمتِ الكلمة، وترددت بينهم وبينَه الرُّسل إلى أن مات سنةَ سَبْع وخمسين وسبع مئة.

فوَلِيَ بعده ابنه الشيخُ أُوَيس ابنُ الشيخ حَسَن وزحفَ جانِيبَك بن أزبَك ملكُ الشمال في سنة ثمانٍ وخمسين، ومَلَكَ توريزَ من يدِ الأشْرَفِ ابن دَمِرداش، وولاها ابنه بَرْدي بك بن جَانِيبك وعادَ إلى خُراسان، فمَرِضَ في طريقه، فكتبَ أمراؤُه إلى بَرْدِي بك يحثُّونَه على أن يسيرَ إليهم، فخرجَ من توريز واستنابَ عليها أخَيْجُوج، فوثب أُويس من بغداد مُجدًّا وغلبه عليها، فارتَجعها منه أخَيْجُوج وأقام بها، فزحَفَ إليه شاه شجاع بن محمَّد بن المُظَفّر صاحبُ أصبهان وحارَبه وقتَله ومَلَكَها. فسارَ أُوَيْس وغَلَب ابن المظفَّر عليها، واستقرَّت بيده وعَظُمَ أمرُه حتى مات سنة ستٍّ وسَبْعين، وتركَ خمسةَ أولاد: الشَّيْخ حَسَن، وحُسَيْنًا، والشيخ عليًّا، وأبا يَزيد، وأحمدَ، فأُقيم منهم حُسَيْن بن أُويس وقيل حسن، وقامَ بدَوْلَتِه زكريا وزيرُ أبيه، وأقامَ بتوريز، فسارَ إليه شجاعُ في عساكره، ففرَّ منه حسينٌ إلى بغدادَ وملكها شُجاع، فجمع حُسين وخَرج إليه وهَزمَه وأقامَ بها، فثار ببغداد مُبَارك شاه وقَنْبَر وقَرا محمد وقتلوا إسماعيل ابنَ الوَزير زكريا في سنةِ إحدى وثمانين واستدعوا فيرعلي بادَك من تُسْتُر، وكان على نيابَةِ السَّلْطنة بها، فأقاموه بدَلَ إسماعيل واستبدَّ على الشيخ علي بن أُويس ببغداد. فسار إليهم الشيخُ حُسين من تُوريز ففرُّوا بالشيخ علي إلى تُسْتَر، فخرجَ عادِل وحَصَرهم حتى تَصَالحوا.

وفي أثناءِ ذلك أقْطَعَ حُسين أخاه أحمد صاحبَ الترجمة مدينةَ واسِط وأنزله بها، فأتاهُ أخوهُ الشيخ علي من تُسْتَر، وجمعَ العرب، وسارَ أحمد إلى بغدادَ وتبعه الشيخُ علي، ففرَّ حُسَيْن إلى توريز، وملك الشيخُ علي بغداد، وأقبل حسين بتوريزَ على اللَّهو، فسارَ أحمدُ إلى أرْدُبيل،

وجمعَ العساكرَ وسارَ إلى توريز فملكها وقبضَ على أخيه حُسين، وقد اختفى، وقتَلَهُ، وذلك في صَفَرَ سنة أربع وثمانين. فثار الأمير عادلُ متولي السلطانية، وأقامَ أبا يزيد بن أُوَيْس وسارَ به إلى شُجاع بن المُظَفَّر اليَزْدي صاحب فارِس مُسْتَصْرِخًا به على أحمد، فأمَدَّه بعَسْكر وسار به فخرج إليه أحمدُ واتفقوا على أن يَلي أبو يَزيد السُّلطانية ويُخرجَ الأمير عادِل فيقيم عند شُجاع، فسار كلٌّ إلى ما عُيِّن له؛ ثم تنكَّرَ أحمدُ على أخِيه أبي يَزيد وسار إليه وقَبَضَ عليه وكَحَّله، فماتَ بعد ذلك ببغداد؛ وقبضَ أحمدُ على أمراءِ الدَّوْلَةِ وقتلهم، وأقامَ أولادَهم في رُتَبِهِم، فنَفَرت منه قلوبُ الأمراء ببغدادَ، وأقاموا الشيخَ علي شاه زاده بنَ أُوَيْس واستَدْعَوا الأميرَ قرا محمد بنَ بَيْرَم خواجا صاحب المَوْصل، وكانت ابنتُه تحتَ أحمدَ، فلم يجبهم وصار إلى أحمدَ وخرجوا من بغدادَ في جمع كبير حتى قاربوا توريز، فسارَ أحمد منها إلى أرْدُبيل، فتقدَّمَ الأميرُ خَضِر شاه ابن سُلَيْمان شَاه الأُبيلاتي وهو أكبرُ الأُمراءِ في طائِفَةٍ من العَسْكر، فلقيه قَرا مُحمد وهزَمه، فانهزَم بهزيمته جميعُ البَغادِدَة، وأصيبَ الشيخُ عليّ شاه زادَه بسَهْمٍ، فحُمل إلى أخيه أحمدَ وبه رَمَقٌ فمات، وأُسِرَ فيرعليّ بادَك وقُتِلَ.

وعاد أحمدُ إلى تَوريز وقَدِ استبدَّ بالسلطَنَة، فنهضَ إليه عادلٌ من السُّلْطانيّة فهزمه أحمد؛ وثارَ ببغدادَ خواجا عبدالملِك طاعةً لأحمد، ودعا عادِلٌ في السُّلطانية لأبي يزيد بن أُوَيس، وبعثَ أميرًا إلى بَغْداد يقال له ترسن فمكَّنه عبدُالمَلِك منها، فلما دخلَ قتل عبدالملك واضْطَرَبَتْ بغدادُ شهرًا، فسار أحمدُ من توريز، فخرج إليه ترسن وقاتَلَه، فانهزَمَ وقُبضَ عليه فقُتل، ثم قُتِلَ عادِلٌ بعد ذلك.

واستوسَقَ لأحمد مُلْكُ بغدادَ وتوريز وتُسْتر والسُّلطانية، وصارَ مَلِك العراقَين إلى أن انتقضَ عليه أمراؤه في سَنةِ ستٍّ وثَمانين، وفر بعضُهم إلى تَيْمور كُوركان وحثَّه على أخذ توريز، فبعثَ معه عَسْكرًا، ففرَّ منها أحمد إلى بغداد، ورجع تمر من خُراسان إلى بلاده. ثم عادَ في سنةِ سبع وثمانين ونزل أصفهان، وبعث عسكرًا إلى توريز فاستباحها وخرَّبها

وأخذَ تُسْتَر والسُّلطانية، فجاء الخبر إلى تَيْمور بأن طُقْطَمِش خان أمدَّ قَمَر الدين بعَسْكر، فرجع من أصبهان وغَلَب قَمَر الدين ومَلك كُرسي سراي من طُقْطَمِش خان. ثم سار في سنةِ خمسٍ وتسعين وملك أصبهان، وعراقَ العَجَم والرَّي، وفارِس، وكِرْمان بعد حُروب هلك فيها عَوالِمُ لا يُحصيها إلا الله، فأخذَ أحمد يستعدُّ له ببغدادَ ويصانِعُه ويُهاديه فلم يُغْنِ ذلك عنه، وأخذ تَيْمور يخادِعُه ويلاطِفُه ويراسله حتى فتَر عزمُه وتفرَّقَت جموعُه، فنهضَ تَيْمور وجَدَّ في المسير على حين غَفْلَةٍ حتى وصل إلى الدَّربند وهو نحو يَومين من بغدادَ، وقد بعث إليه أحمد بالشيخ نورِالدِّين عبدالرحمن الخُراساني رَسُولاً، فأكرمَه تيمورُ وأجَلَّ قدومَه وقال له: أنا أترك بغدادَ لك. ورحل يوهمُه أنه راجعٌ عن بغدادَ، فبعثَ نورُ الدين بشيرًا إلى أحمد برحيلِ تيمور وتبعه، فعادَ تيمورَ وسَلَكَ طريقًا غيرَ التي سارَ فيها نورُ الدين، فلم يَشْعُرِ الناسُ إلا وقد نَزلَ تيمورَ بالجانب الغربيِّ قبل أن يصلَ إليهم نورُ الدين فركبَ أحمدُ وأخذَ أولادَه وحُرمَه وما خَفَّ من ماله وخرجَ من بغدادَ سَحَر ليلة السبت الحادي والعشرين من شوَّال سنةَ خمسٍ وتسعين، وقطعَ الجَسْر بدجلةَ ومضَى إلى مَشْهَدِ عليٍّ، ونزلَ تيمورُ على دجلةَ في يوم السَّبت المذكورُ، وخاضَ بأصحابه حتى دَخَلُوا بغدادَ، وبعثَ في طَلَب أحمد فأدركوه بالحِلَّة وأخذوا أثقاله وأموالَ مَن معه، فقاتَلَهم، ونَجا إلى الرَّحبة، فنهب التيموريَّةُ الحِلَّة وسَبُوا نساءها وقتلوا وأسَرُوا، فلم يفلت منهم إلا من فر عاريًا بادي العَوْرَة، وتلاحَقَ الناسُ بأحمد، وكان أحمدُ قد بالغَ في قَتْلِ أمرائه بحيث إنه قتل في يوم واحد مئة من الأعيان، وتَعَدَّى الحَدَّ في الظُّلم للرعية وانهمك في الفجور والتهتك بقبائح المعاصي أشدَّ انهماك، فكاتَبَ أهلُ بغدادَ تَيْمور يحثونه على أخذِ بغداد، وكانَ قد أخذَ تِبْريز، وبعث برأس شاه منصور متملك شيراز إلى بغداد، ومع الرأس خِلْعَةٌ إلى أحمد بن أُويس وصِكَّة الذهب والفضة ليضرب الدَّنانير والدراهم باسمه على سِكَّتِه فلبسَ خِلْعَتَه وضربَ السِّكَّة باسمه، فلما قَدِمَ تيمورُ إلى بغداد صادَر أهلها ثلاثَ مرات، يأخذُ

في كلِّ مرَّةٍ ألفًا وخمس مئة تُوْمان عن كلِّ تومان مبلغُ ثلاينَ ألفَ دينارٍ عراقية، والدِّينار العراقي دِرْهَم نَقْرَة[1]، فيكون جملة ما أخذَ من أهلِ بغدادَ مئة ألف ألفِ درهم وخمسةً وثلاثين ألف ألف درهم ، عنها من الذهب المِصـري نحوُ خمسةِ آلاف ألف مثقال ونيف، فافتَقَر جميعُ الناس ببغداد، وبقي مَن لم يَمُتْ منهم في العقوبة عُراةً لا يواريهم شيء، ومات في العقوبَةِ نحوُ ثلاثةِ آلاف ما بَيْن رجُلٍ وامرأة، ونَزَلَ أحمدُ بنُ أُوَيْس الرَّحبة في نحو ثلاث مئة فـارِس، وكتَبَ إلى السُّلطان الملك الظَّاهر بَرْقوق يخبرهُ بما أصابه ويترامى عليه، وكتبَ الأميرُ نُعَير بن حِيار بن مُهَنا أمير الملأ بذلك، فأجيبَ أحمدُ بما طيَّبَ خاطِرَه، وكُتِب إلى نواب الشام بإكرامه والقيام في خدمته، وكانَ قد قدِم إليه الأميرُ نُعَيْر، وقبَّل له الأرض، وسارَ به إلى بُيوته وحُلله، وقـامَ له مـن الضِّيافة والتقادم بما يليق به، ثم سَيَّره إلى حَلَبَ، فقَدِمها ومعه أحمد ونحو الألفي فارس، فتلقَّاهُ الأمير جُلْبان نائب حَلَب، وأنزلَه وعمل ما يليقُ به من الاحتفالِ في التَّقادم ونحوها، وكتبَ إلى السلطانِ بذلك وكتبَ أحمدُ بن أُوَيْس أيضًا بقدومِهِ حَلَب، فجهَّز إليه الأميرَ عِز الدين أزْدَمُر ومعه ثـلاث مئة ألف درهم فضة، عنها نحو خمسةَ عشر ألف دينار وألف دينار ذهبًا في سادس عشري ذي القَعْدة، ثم بعث بالمَطابِخ السُّلطانية إلى لقاءِ القَان أحمدَ بن أوَيس في رابع عشري صفر سنة ست وتسعين، وقد دخلَ أرضَ مصر، فنُصِبَتْ له الموائد اللائقة به، ثم خَرج كثيرٌ من الأمراء في ثالثِ عشر من ربيع الأول سنةَ ست وتسعين لملاقاته، وركب السُّلطان بعساكره في يوم الثلاثاء سابع عشره من قلعة الجَبَل وجلَسَ بمَسْطَبةِ مَطْعَم طُيور الصيد من الرَّيدانية خارج القَاهرة تحتَ الجَبَل الأحمر. فلما قَرُب ابن أُوَيْس منه نزلَ عن فَرَسه، فمشى إليه الأميرُ بدَخاصٍ حاجب الحُجَّاب، ومن ورائِهِ الأُمراء، فقبَّل الأميرُ بدخاص يده وعَرَّفه بالأُمراء واحدًا بعدَ واحدٍ، وهم يُسَلِّمون عليه ويقبِّلون يَدَه حتى جاء الأمير أحمدُ بن يَلْبُغا، فقال الأمير بدخاص:

---

(١) النقرة: الفضة الخالصة.

هذا ابنُ أستاذِ السُّلطان، فعانَقَه أحمدُ بن أُوَيس ولم يمكنه من تقبيل يده، وجاءَ بعدَه الأمير بَكْلَمُش أميرُ سلاح فعانَقَه أيضًا، ثم جاءَ الأمير الكبير أيْتَمُش رأس نَوْبة فعانَقَه، ثم جاءَ الأميرُ سُودُن نائب السَّلْطنة فعانقَه، ثم جاءَ الأمير الكبيرُ أتابَك العَساكر كمُشْبُغا الحَمَوي فعانقه، وانقَضَى سَلامُ الأمراء، فقامَ السلطانُ عند ذلك ونزلَ عن المَسْطَبَةِ ومَشى عشرين خُطوة، وقد هَرول أحمد بن أُوَيْس حتى التقيا، فأهْوَى أحمدُ ليقبل يدَ السُّلطان فلم يوافق على ذلك، وعانَقَه وبكيا ساعةً والأمراء تَبْكي لبكائهما، ثم مَشَيا والسُّلطان يُطَيِّب خاطرَهُ ويَعِدُهُ بعوْدِه إلى مُلْكِه، وقد أخذَ يدَه بيده إلى أن صَعِدا المَسْطَبَةَ وجَلَسا معًا على البِسَاط من غير كرسي، وتحادثا طَويلاً، ثم أحْضَر قباءَ حرير بنفسجيَّ اللون بفَرْو قاقم[1] وطراز ذهب عريض فألبسَه ابنَ أُويس، وقُدِّمَ له فَرَس من الخَيْل الخاص بقُماشِ ذهبٍ ما بين سَرْج وكَنْبوش وسِلْسِلةٍ، فركبَه من حيثُ ركبَ السلطان، وركبَ السلطانُ بعدَه وسارا يتحادثان والأمراء والعساكرُ ميمنةً ومَيْسَرةً على مراتبها. وتقدَّم السلطان مرارًا في المسير وصار يحجب أحمدَ بن أُوَيس تأنيسًا له وجبرًا لخاطره حتى قَرُبا من القَلْعة. وقد اجتمعَ من العالم ما لايدخل تحتَ حصر، وكان يومًا مشهودًا، وعندما ترجَّلَت العساكر على العادَةِ بقي أحمدَ بن أويس مواكبًا للسلطان حتى وَصلا ما يحاذي الطَّبْلخاناه من القَلْعة أومأ إليه السلطان بأن يتوجَّه إلى البَيْت الذي أُعِدَّ له على بِرْكة الفِيل وقد جُدِّدَت عمارَتُه وزُخْرِفَ ومليءَ بالفُرشِ المُلوكية والآلات اللائقة به، فسار إليه وفي خدمته جميعُ الأمراء وصَعِد السلطانُ إلى القَلْعة، فما دخل القانُ أحمدُ بن أويَس منزلَه ومعه الأمراء مَدَّ الأميرُ جمالُ الدين محمودُ ابن عليّ أستادارُ السلطان بين يديه سماطًا جليلاً اعتنى به عناية تامة، فأكل وأكل معهُ الأمراءُ وشَربوا السُّكَّر المُذاب، ثم انصرفوا، فبعثَ السُّلطان إليه بمئتي ألف درهم فضةً، عنها نحو عشرة آلافِ دينارٍ مصريّة، وبمئة قطعة قُماش سَكَنْدري وثلاثةِ أرْؤُس من الخَيْلِ بقُماش ذهب

(١) حيوان معروف بتركيا له فرو ثمين.

كامل، وعِشرين مملوكًا جَميلي الصُّور، وعشرين جاريةً رائعات الحُسن. فلما كان الليلُ قَدِمَ حريمُ أحمدَ بن أُوَيْس وثِقْلُه، ثم صَعِد في يوم الخميسِ تاسع عشره إلى قَلْعَةِ الجَبل في موكبٍ جليل، وعَبَر من باب الجَسْرِ الذي يقال له بابُ السِّرِّ وجلَس تجاه الإيوان، حتى خَرَج إليه رأسُ نَوْبة، ودخَلَ به إلى القَصْر، فأخذَه السلطانُ وخَرَج به معه إلى الإيوان دَار العَدْل، وأجلَسه رأسَ المَيْمَنةِ فوقَ الأمير الكَبير كمُشْبُغا الأتابَك. فلما قامَ قضاةُ القُضاةِ ومُدَّ السِّماط قام الأمراء على عادَتِهم، فهمَّ ابنُ أُوَيْس بالقِيام معهم ووقفَ، فأشارَ إليه السُّلطان أن يجلسَ، فجلسَ حتى انقَضَى الموكبُ من الإيوان، فدخَل مع السُّلطانِ، وحَضَر أيضًا الخِدْمةَ الثانية بالقَصْر، ثم خرجَ والأمراءُ بينَ يديه وفي خدمته حتى ركبَ وقُدَّامَه الجاويشية تَصيحُ. ونقيبُ جَيْشه، فنزل والأمراء تحجُبُه في موكبٍ مُلُوكي إلى مَنْزِله، وعَلَّق السلطانُ جَاليش[1] السَّفَر ثم رَكِبَ في حادِي عِشْرينه ومعه ابنُ أُوَيْس إلى مَدينةِ مصرَ، وعَدَّيا النيلَ في الحرَّاقة الذَّهَبيَّة إلى برِّ الجيزة، ونزلا بالمُخَيَّمات للصَّيد والقَنْص، وكان الزَّمانُ أوانَ ارتباطِ الخُيُول على البَراسِيم لرَبيعها. وقَدِما في رابع عشرينه، ثمَّ عَقَدَ السلطانُ نِكاحَ الخاتون تَنْدى بنتِ حُسينِ بن أُوَيْس علَى صداقٍ مبلَغُه ثلاثةُ آلاف دينار مصرية، وبَنَى عليها في لَيلةِ الخميس عاشرِ شهرِ ربيع الآخر سنة ست وتسعين، ونزلَ من الغَدِ يومَ الخميس من القَلْعَة وقد وقف أحمد بن أُوَيْس وجميعُ الأمراء والعساكر بالرُّمَيْلة وعليهم السِّلاح، ومعهم أطْلابُهم يريد التوجُّه إلى قِتال تَيْمورلَنْك وعليه قَرْقَلٌ بغير أكمام، وعلى رَأسِه كَلَفتا، وقد ركبَ فرسًا بسَرْج وعرقية، فرتب بنفسه أطلابَ الأُمراء، ودار على صفوفهم حتى ترتَّبت، ومَضَى فزار قبر الإمام الشافعي ومَشْهَد السَّيدة نَفِيسة، وتَصدَّق بمالٍ جزيل، ثم عادَ إلى الرّميلة تحتَ القَلْعة، وأشارَ إلى الطُّلْبِ السُّلطاني، فسارَ في تجمُّلٍ عظيم وقُوَّةٍ زائدة، وجرَّ فيه

(١) الجاليش: راية عظيمة في رأسها خصلة من شعر تحمل في مواكب السلطان.

مئتي فرس برسم رُكوبه، عليها من قماشِ الذَّهب ما يَعْظُم وَصْفُه، ومن أحْمالِ السِّلاح وخَزَائن الذَّهب والفضة ما بَهَرَ الناس، وقد اجتمعَ من الخلائقِ ما لا يُحصيهم إلا خالِقُهم تعالى، وتبع الطُّلْب في موكب تهتزُّ له الأرض، وأحمدُ بن أُوَيْس إلى جانبه على فَرَسٍ بقماشِ ذهب، وبجانب ابن أُوَيْس الأميرُ الكبيرُ كمُشْبغا، وتَبِعَ العساكرَ من ورائها أطلابُ الأُمراء على مَرَاتبهم حتى نزلوا بالمُخيَّمات من الريدانية خارجَ القاهرة، فقدِمَ وَلدُ الأمير نُعَيْر بن حيار بن مُهَنا في حادي عشرينه ومعه مَحْضَر بأنَّ الأميرَ نُعَيْر أخذَ بغداد، وخَطَب بها للسُّلطان، فأُنْعِمَ عليه؛ ورحلَ السلطانُ في ثالث عِشرينه ومعه أحمد بن أُوَيْس، فدخل دمشقَ في العشرين من جُمادَى الأولى سنة ست وتسعين وسبع مئة وجهز أحمدَ بن أُوَيْس منها في أول يوم من شعبان سنة ست وتسعين وقد قامَ له بجميع ما يحتاج إليه، وخلعَ عليه عندَ وَداعِهِ أطْلَسَيْن بشاش نُتَمَّر، وقَلَّده سيفًا بسَقَط ذَهَب ثقيلٍ، وأعطاه تقليدًا بنيابة السَّلْطنة ببغداد، فأرادَ أن يُقبِّل الأرضَ فلم يُمكِّنْهُ من ذلك إجلالاً له. فكان ما حملَه إليه من النقدِ خمس مئة ألفِ درهم، ثمنها قريبٌ من خَمْسةٍ وعشرين ألف دينار ذهبًا سِوَى الخيل والجمال والسِّلاح والثياب وغير ذلك، وهي بأضعافِ ذلك. فأقام خارجَ دمشقَ حتى رحلَ يريد بغدادَ في ثالث عَشره، فدخَلها في شهرِ رَمَضان سنة ستٍّ وتسعين وبها مَسْعودٌ الخُراساني من أصحاب تَيْمور، وكتبَ إلى السُّلطانِ بأنَّه لما وصلَ إليها قاتَلَ التَّمُرِيَّة، ففرَّ مَسْعودٌ واستولى على بغدادَ، واستخدمَ من التُّركمان والعرب جماعةً. فوقعَ ببغدادَ في سنةِ سَبْع وتسعين ووباء كبير فَنِيَ فيه خَلْق، وخرجَ أحمدُ بنُ أُوَيْس عنها إلى الحِلَّة، وجَرَى على عادتِهِ في سَفْكِ الدِّماء، وقَتَلَ كثيرًا من الأمراء. وتجاوزَ الحَدَّ في أخذِ أموالِ الرَّعِيَّة.

فلما تحرَّكَ تَيْمُورلنك على البلادِ بعدَ موتِ الظَّاهر بَرْقوق كاتَبَ أهلُ بغدادَ متملِّك شيراز ليقدُم عليهم، ففرَّ أحمد بن أُوَيْس في ثامِن عشر من رجب سنةَ اثنتين وثماني مئة إلى قَرَا يوسُف بن قَرا محمد بالمَوْصل.

هذا وقد خَرَج تيمور من بلاد الكُرْج يريد بغدادَ، فتمهَّلَ في مسيره ولم يُعَجِّل، فعادَ ابن أُوَيْس وقَرَا يوسف إلى بغدادَ وحارَبا أهلَ بغداد فانكسَر منهم، وانهزمَ بأحمدَ وسارَا على الفُرات، وكتبا يستأذِنان الأميرَ دَمِرْداش نائب حَلَب ويطلبانِ منه أن يستأذن السُّلْطان بمصرَ وهو يومئذٍ الناصر فَرَج ابنُ الظَّاهر بَرْقوق، في نُزولهما بالشام، فطلَبَ الأمير دُقْماق نائب حَماة وخَرَج به في عَسْكرٍ نحو الألف، وكَبَس ابنَ أويس وقرا يُوسُف وهما في نحو سبعة آلافٍ، فاقتتلوا في يوم الجُمُعة رابع عشري شوَّال سنة اثنتين وثماني مئة قتالاً شَديدًا، قُتِلَ فيه الأميرُ جانِبَك اليَحْياوي أتابَك حَلَب، وأُسِرَ الأميرُ دُقْماق نائبُ حماة، وانهزمَ الأميرُ دَمِرداش إلى حَلَب، ثم خَلَّوْا عن الأميرِ دُقْماق بمئة ألفِ درهم وعَدَهُم بها، فحُملت إليهما، وكَتبا: بأنَّا لم نأتِ مُحاربين، وإنَّما جئنا مُسْتَجيرينَ ومستنجدين بالسُّلطان، فطَرَقَنا الحلبيونَ وقاتلونا فدَفَعْنا عن أنفُسِنا. فكتبَ إلى الأمير نائبِ الشَّام بتوَجُّه عساكِر الشام لأخذِ أحمد بن أُوَيْس وقَرا يُوسُفَ وحَمْلِهما، فاجتمَعَ على نائِب بَهَسْنا[1] جمعٌ كبيرٌ من التُّركمان وقاتلَ أحمدَ ابنَ أُوَيْس، وقد فارقَه قَرَا يُوسف، ونَهبوا ما مَعه وكَسَرُوه وبعثوا بسيفهِ إلى السُّلطانِ، فقَدِم في ثالثَ عَشَر ذي الحجَّة منها.

وقَدِمَ تَيْمُور إلى سِيواس، فمضى ابنُ أُوَيْس إلى جِهَةِ بلادِ الرُّوم، فكانَتْ كائنةُ حَلَب وحَمَاة ودمشقَ وتخريبُ تيمور لها، ثم رحيلُه عنها وإرسالُه من ماردين عسكرًا إلى بَغْداد، فقاتلهم أهلُها، وبها من جهَةِ ابنِ أُوَيْس أميرٌ يقالُ له بابا فَرَج، فنزلَ عليها تيمورُ من شرقِها، وحَصَرَها تسعةً وخمسين يومًا وهـم يقاتلونَه، ثم أخَذَها عَنْوَةً في يوم عيدِ النَّحْر سنة ثلاث وثماني مئة، ووضَعَ السَّيْفَ في أهْلِها، فغرقَ بدجلةَ منهم خلائق، وهلكَ بالسيف خلائق، وأُسِرَ من بَقِي من الرِّجال والنِّساء والأطفال، وقُتِلُوا وعمِلَت من رؤوسهم مئتان وخمسون مَسْطَبة، في كلِّ

---

(١) قلعة بشمالي حلب.

مَسْطَبة ألفُ رأس، وخَربَت المدارسُ والجوامع ودورُ السُّلطان والأسوار، ورَحَل تَمر وهي خَراب يباب، ونزلَ قَرا باغ، ثم مَضَى لحربِ ابنِ عُثمان.

فقَدِمَ أحمدُ بن أُوَيْس بغدادَ من بلادِ الرُّوم، فلم تَطُل إقامته بها حتى ثارَ عليه ابنُه طاهِر، ففَرَّ منه إلى المَوْصل واستنجد قرا يوسُف عليه، فسار معه لحربه وقاتلا طاهِرًا على الحِلَّة، فانهزَمَ وغرِقَ في بعض أنهارِ الفُرات، ودخلَ أحمد بغدادَ، فبلَغَه مسيرُ تَيْمور إلى بلادِ الرُّوم في سنةِ خمسٍ وثماني مئة، فواعَدَ قَرا يُوسفَ على الفِرار، وأبْطأ عن ذلك، فبعث إليه قَرا يوسُف بخمسين فارسًا من أعيانِ دَوْلَته يستعْجله في اللَّحاق به قبل أن يَطْرُقَهم تيمور، فقتَلَ أحمد الخمسين، فتنكَّر له قرا يوسُف، وسارَ لمحاربته، ففرَّ أحمدُ واختفَى في بئرٍ ببغداد، فأخذها قَرا يوسُف وأمرَ بطَمِّ البِئْر على أحمد بالحِجارة فَطُمَّتْ، وظنَّ قرا يوسُف أنه قد هَلَك فاتَّفَق أنه كانَ بالبئر فُرْجَةٌ فخرجَ منها أحمدُ ومضى إلى تَكْريت وتوصَّل منها إلى حَلَب وقد قاسَى شدائدَ، فكتبَ من حَلَب في شهرِ ربيع الأول سنةَ ستٍّ وثماني مئة إلى السُّلطان يعتذِرُ إليه عما كان منه، وأنه متى لم يَقْبَل عذرَه مَضَى إلى بلادِ الروم.

هذا وقد بعَثَ تيمور عَسْكرًا إلى بغدادَ عليه مِرْزا أبي بكر بن ميران شاه ابن ابن تيمور ففرَّ قَرَا يوسُف بأهله ومن قدر عليه فنهبه العرب بالرَّحْبة، فقَدِمَ دمشقَ في شهرِ ربيعِ الآخر منها، فأنزله الأميرُ شيخٌ المحمودي نائبُ الشام بدار السَّعادة. ثم قَدِمَ أحمدُ بنُ أُوَيْسٍ دمشقَ في سادس جُمادى الأولى منها، فتلقاه الأميرُ شيخ وأنْزَلَهُ ثم قبضَ عليه وعلى قَرا يوسُف في سابع عشر جُمادى الآخرة وقُيِّدا وسُجنا ثم أفرجَ عن قَرا يوسف في سابعِ عشر رجب سنة سبع وثماني مئة وخلَعَ عليه ومالأه على مسيره صُحْبَةَ من قَدِمَ عليه من الأمراء إلى مصرَ وأنعم عليه بموجودِ الأمير جَرْكَس الحاجب وقد قُبض عليه، ثم أفرجَ الأميرُ شيخ أيضًا عن أحمدَ بن أُوَيْس في رابعِ عِشري شوال، وأنعم عليه بمئة ألفِ

درهم فِضة وثلاث مئة فرس، وأنعمَ على قَرا يوسُف بنظير ذلك، وخرجَ بمن معه إلى مصر، فشهدَ وقعةَ السَّعيدية مع الملكِ الناصر، ثم محاربته بقلعة الجبَل، وعاد مع الأميرِ شَيْخ إلى دمشق كما ذكر في ترجمته. وقد فَرَّ أحمدُ بن أُوَيْس من دمشق في ليلة الأحَدِ سادس عشر ذي الحجة منها، ولَحِقَ ببغداد فملكها وجمعَ جَمْعًا كبيرًا لقتالِ مِرْزَا أبي بَكْر، وخرجَ إليه من بغدادَ يريدُه بالسُّلطانية وقد فارقَ قرا يوسُف الأميرَ شيخ نائبَ الشام من دمشقَ في صفر سنةَ ثمانٍ وثماني مئة، ومضى إلى الشَّرْق، فنزلَ المَوْصل وكتب إلى أحمد بن أُوَيْس يسألُه الأمان فآمنه، وسار إليه فلقيه بتبريز وصار من جماعته، وتوجَّه في خدمته إلى السُّلطانية حتى قَرُبوا من عَسْكرِ مرزا أبي بكر، فتخيَّلَ أحمد بنُ أُوَيس ممن معه وخافهم على نَفْسه، فجعلَ قرا يوسُف مُقَدَّمَ العَسَاكر، ورجعَ في طائفةٍ إلى بغدادَ، فواقعَ قَرَا يوسُف مِرزا أبي بكر وقَتَلَهُ في آخر سنةِ ثمان، وملِكَ تِبْريز وبَعَثَ إلى أحمد بن أويس يَسْتَدْعيه، أو إن لم يحضر فَلْيُقِم أحدَ أولاده في السَّلْطنة بتبريز، فأبى أن يَحضُر أو يقيم أحدًا من أولاده، وأشار بإقامة بُذَق بن قرا يوسُف في السَّلْطنة وبعث إليه بصناجِق ونحوها. فأقامَ قَرا يوسُف ابنهُ بُذَق في السَّلْطنة بتِبْريز في سنة إحدى عشرةَ وثماني مئة، فقدِمَ ميران شاه بن تَيْمور في طَلَب ثأرِ وَلَدِه مرزا أبي بكر، فقاتَلَه قَرا يوسُف وقتلَه أيضًا وغَنِمَ ما معه وكانَ شيئًا كثيرًا.

هذا وأحمد قائمٌ بعِمارَةِ سُور بغداد ورمِّ ما تشَعَّث من الدُّور ونحوها، فلما كَمُلَت عِمارةُ السُّور جمعَ وسارَ إلى تَبْريز فملكَها، وقد مَضى قَرا يوسف وابنه بُذق إلى أرْزَن جان، فأخَذَ أصحابُ أحمدَ في نهبِ أموالِه، فرجعَ إلى تِبْريز، وقاتَلَ أحمدَ، وقد انضمَّ إلى أحمد ابن الشيخ إبراهيم الدَّرْبَندي وجماعات كثيرة، قتالاً شديدًا في يوم الجُمُعة ثامن عِشري شهر ربيع الآخر سنةَ ثلاثَ عشرة وثماني مئة، فانهزَمَ أحمدُ ونُهِبت أموالُه وأموالُ من معه، وقُتِلَ منهم وأُسِرَ جماعةٌ، وطُلِبَ أحمدُ ابن أُوَيْس حتى وُجِدَ مُختَفِيًا، فأُحضِرَ إلى قَرا يوسفَ فأكرمَه وأجَلَّه

وسَجَنَهُ ثم قَتَلَهُ خَنْقًا في ليلة الأحد آخر شهرِ ربيعِ الآخر المَذْكور، واستبدَّ بعدَه قرا يوسف بمُلك تِبْريزَ وبغداد وزالت دولةُ بني أُوَيْس.

وكان أحمدُ سَفَّاكًا أفَّاكًا مُتَجاهرًا بقبائح المَعَاصي، أفنى بالقَتْل أممًا لا تُحْصَى، ومَرَّت به محنٌ وخُطوبٌ كثيرةٌ، وهو أحدُ مشائيم الدولة، إلا أنَّه كان يُشاركُ في عُلوم، ويَعرف علم النِّجامة معرفةً جيدة، ويُتقِن علمَ الموسيقى، ويقولُ الشعرَ باللُّغات الثلاث: العربية، والفارسية، والتركية، فيجيء من ذلك بالنَّظْم المَليح، ويكتبُ الخطَّ الفائقَ في الحُسْنِ، مع الشَّجاعَةِ والفُروسية، وله حِيَلٌ ودهاءٌ ومحبةٌ في العلم وأهله.

١٥٧- أحمدُ بن أبي بكْر بن عليّ بن عبدالله بن بوَافي[(١)] بن يحيى بن مُحمد بن صَالح، الشيخُ الصَّالح المتَسَلِّك شهابُ الدين ابنُ فَخْر الدين ابن الشيخ الصَّالح العابد الناسِك وَليِّ الله نورِ الدِّين أبي الحَسَن الشهير بالطَّواشِيِّ، الأَسَديُّ الشافعيُّ[(٢)].

حَضَرَ في الثالثةِ من عُمُره على العِزِّ بن جماعة، وسَمِعَ بمكَّةَ على جَمَاعةٍ منهم الضِّياء الهِنْدي، وأجازَ له الكمالُ ابنُ حَبِيب وغيرُه. وكان ديِّنًا خيِّرًا منقطِعًا عن الناس.

توفِّي بمكَّة يومَ الجُمُعة سابعَ عَشَر شعبانَ سنةَ سبعٍ وعشرين وثماني مئة[(٣)]، ودُفن بالشُّبَيْكة أسفلَ مكَّة، وكانت جنازته عظيمَة.

---

(١) قيده السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٢٥٦، فقال: «بفتح الموحدة والواو وكسر الفاء».

(٢) ترجمته في: العقد الثمين للفاسي ٣/ ٢٠، وإنباء الغمر ٨/ ٨٠، والضوء اللامع ١/ ٢٥٦، وشذرات الذهب ٧/ ١٨٤.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في وفيات سنة ٨٢٨ من الإنباء وذكر وفاته في يوم الجمعة السابع عشر من شعبان أيضًا. أما السخاوي فذكر وفاته يوم الجمعة المذكور، لكن وقع فيه «تسع وعشرين» بدلاً من «سبع وعشرين»، ولعله من غلط الطبع، فقد ذكر التقي الفاسي وفاته كما عند المقريزي.

١٥٨- أحمدُ بن مُحمد بن أبي بكْر بن يحيي بن إبراهيم بن يحيى بن عبدالوَاحدِ بن عُمَر بن يحيى بن عُمَرَ بن وَنُودين، السُّلطانُ أبو العَبَّاس ابنِ الأمير أبي عَبدالله ابن السُّلطان أبي بكْر ابن الأمير أبي زكريا ابن السّلطان أبي إسحاقَ ابنِ السُّلطان السَّعيد أبي زكريا ابن الأمير أبي محمدٍ عبدالواحد ابنِ الأمير أبي حَفْص ابن أبي زكريا ابن الشيخ الأجل أبي حَفْص، الهِنْتَاتِيُّ المَصْمُوديُّ الحَفْصيُّ، صاحبُ مملكَةِ إفريقية ومَلِك تُونس(١) .

أُمّه أمُّ ولدٍ سوداءُ تُدعى نَشوان.

وُلد بقُسَنْطِينة سنةَ خمسٍ وعشرين وسبع مئة، ونشأ في حِجر أبيه حتى ماتَ سنةَ خمسٍ وأربعين، فكفلَه أخوه الأميرُ أبو زَيْدٍ عبدُالرَّحمن متولي قُسَنْطينة من قِبَل جَدِّه السُّلطان أبي بكر، ونَقَله إليه، فما زال بقَسنطينة حتى قَدِمَها السُّلطانُ أبو عِنان فارس ابن السلطان أبي الحَسن المَريني من فَاس يريد تملُّكَ إفريقية من الحَفْصيين، ونزلَ قُسَنْطِينة في سنةِ خَمْس وخمسين، ففرَّ منه واليها أبو زَيْد ولحق بتُونس دار مُلْكهم، فقبَضَ أبو عِنَانٍ على أبي العَبَّاس وعلى أخيه زكريا وحَمَلهما إلى فَاس، وسجنهما بمدينة سَبْتَة مدَّةَ سبع سنين. فلما ماتَ أبو عِنان وقامَ من بعده بمُلْكِ مَرِين في فاسٍ أخوه أبو سالم أفْرج عنِ أبي العَبَّاس وعن أخيه زكريا، وأقدَمهما علَيه بفاسَ، فبادرا إلى طَلَب الإذْن بتوجُّههما إلى بلادهما، فأذِنَ لهما، فسارا مُجدَّيْن وسَلَكا على البَرِّيَّة، ونكَّبا عن طريق الجادَّة خوفَ الطلب، فبَدا لأبي سالِم في عَوْدِهما، وبعثَ في طَلَبِهما ففاتاه وقَدِما قُسَنْطينة وعليها يومئذٍ أخوهُما الأمير أبو زَيد عبدالرَّحمن،

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٨٢٣، وتاريخ ابن خلدون ٦/ ٥٧٧، والدرر الكامنة ١/ ٢٧٣، وإنباء الغمر ٣/ ٢٢٣، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٤٢، والدليل الشافي ١/ ٧٦، ووجيز الكلام ١/ ٣١٣، وشذرات الذهب ٦/ ٣٤٥، دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ٧/ ٤٧٤، والطبعة الجديدة النص الانكليزي ٣/ ٦٦ (الحفصيون).

فملكها منه أبو العَبَّاس، واختفَى أبو زَيد يومًا وليلة، ثم ظهَر ليلاً، وطرقَ أبا العَبَّاس وقبضَ عليه وأدْلاه إلى الجُبِّ، ثم رفعه من ساعته وعَرَّفَهُ قُدْرَتَه عليه، ثم سَلَّمه البلدَ وخرجَ عنها سحرَ ليلته إلى تُونس، فملك أبو العَبَّاس قُسَنْطِينة في سنة اثنتين وستين وأضاف إليها بعد ذلك بجايَة. ثم قَتَل ابنَ عمِّه أبا عبدالله محمد بن أبي زكريا يَحيى بن أبي بَكْرٍ، وتَنَكَّر على عمِّه السُّلطانِ أبي إسْحاقَ إبراهيم بن أبي بكر، وخرَجَ عليه، وجمعَ لحرْبه وسار إلى تونُس، فلم يظفر بطائلٍ وعاد إلى قُسَنْطِينَة وأقام بها حتى مات عَمُّه وقامَ من بعده ابنُه السلطانُ أبو البقاء خالِدُ بن أبي إسحاقَ إبراهيم بن أبي بكر، فنابذه أبو العَبَّاس وحشَدَ لمحاربته، ونزل على تونس في يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخِر سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة وحَصَرها، فمال إليه العامة وأمكنوه من المدينة حتى دخلها من يومه، فنهبتها عساكره ثلاثة أيام واستبدَّ بالمُلْك من غير مُنازع مدَّة أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصف، حتى مات وله من العُمر سبعون سنةً في ليلةِ الخميس الرابع من شعبانَ سنةَ ست وتسعين وسبع مئة.

وكان مَلِكًا حازِمًا عارفًا بأمور المملكة، له عناية بذَوي الأحْساب وأرباب البيوتات، لا يزال يكرمهم ويراعي أحوالَهم. وكان صاحبَ شارَةٍ وفَخامة وضبطٍ وإمساكٍ عن العطاء إلا فيما لا بُدَّ منه، مع العبادة والنُّسْك. وكان يحافِظُ على المفروضات، ويصومُ مع شهر رمضانَ شهري رَجَب وشعبان، ويقومُ من آخرِ الليل دائمًا فيصلي ما كُتِبَ له، ويقرأ القرآن ظاهرًا، ويبالغُ في إكرام آل البيتِ النَّبوي، ويحبُّهم ويعتني بهم. وكان شجاعًا بَطَلاً مِقْدامًا صاحِبَ جدٍّ بعيدٍ من الهَزْل، كثيرَ الفِكْر، شديدَ الحذر. وله معرفةٌ بالحِيَلِ والمكائد، وفيه سكونٌ ودَعَة وتُؤدة، ورِفْقٌ من غيرِ عَجَلة. وكان يكره سفكَ الدماء، ويعاقِبُ على الجرائم بطول السِّجْن. ومَلَكَ عدَّةَ بلادٍ قاصية، وأخذَ جماعاتٍ من الأعيان وسجنهم، فملك قَسْطيلَة التي تعرَفُ بأرضِ الجَريد، وعدَّة ممالك بعد حروب مُبيرة؛ فخرج في سنة ستٍّ وسبعين، وحاربَ الأمير منصورَ بن

حمزة بن عمرَ بن أبي الليل الكَعْبي، من كَعْبِ سُلَيْم، فانهزمَتْ عساكرُه وثبت هو في خاصَّته حتى اجتمعَ المنهزمونَ إليه، وعاد إلى حضرةِ تُونُس بغير طائلٍ، فأخذ يدبِّر على الأمير مَنْصور حتى قُتِل وكُفِيَ أمره.

ثم سارَ من تونُس في سنة سبع وسبعين، وغزا مَرَنْجيْزَة ومَرَنْسيةَ وهما طائفتان من طوائف البربر، ومَرَنْجيزَة منها في نيفٍ على سبع مئة دَوَّار[1]، ومَرَنْسية في نحو ثلاث مئة دَوَّار، فأوقع بالطائفتين وسَبَى نساءهما وذَراريهما وانتهب أموالهما، وكانوا لا يدينون لملوك تونُس ولا يَزالون في الخِلاف عليهم، ويُغيرون على ضَواحي المدينةِ، وينهبون الضِّياعَ فكانَتْ هذه الواقعةُ أوَّلَ ظَفَرِهِ في سَلْطَنَتِهِ، وبها خافَتْهُ العُربان.

ثم في سنةِ سبعٍ وسبعين سارَ إلى مدينةِ تَبِسَّةَ من إفريقية، وحارب بني عَبْدُون حتى أخَذَهم وسَجَنهم بتُونس، ومَلَك تبِسَّة بعدما كانت ممتنعةً على أعمامه الذين ملكوا قبله.

ثم سارَ في سنةِ ثمانين وسبع مئة إلى أرض قَسْطِيلية، وحَصَر مدينة قَفْصَة وبها بنُو العابِد الشَّريدي حتى أخذهم وسجنَهم بتونُس؛ وقد كان بنو العابِدِ هؤلاء مُمْتَنِعين على ملوك تونُس مدَّةَ خمسين سنة لا يَقْدر عليهم مَلِك.

ثم سار إلى مدينة تَوْزَر وبها الأميرُ أبو زكريا يحيى بن يَمْلُول وقد ملك تَوْزَر والحامة الغربية ووادي نَقْيُوس وجبالَ تامَغْزا نحوًا من ثلاث وثلاثين سنة، ولم يدخلْ في طاعةِ الحَفْصِيين، وصار له إفضالٌ، وقصده الناسُ ففرَّ من السُّلطان إلى بَسْكَرَة فمات بها، فملك السلطانُ مدينةَ تَوْزَر وبقيَّة الأعمال بغير مانع، وتوجَّه منها إلى مدينة نَفْطَة وبها بنو الخَلَف الغَسَّانيون فأخَذَهم وسجَنَهم، ونزلَ على مدائنِ نَفْزَاوَة وأخذها من بَني مُدافع وكبيرُهم يومئذ يحيى المعروف بحَيُّون، وعادَ إلى تُونس، وقد عَظُم أمرُه، واتسعت مملكته، واشتدت مهابتُه، وثقلت على عِداه وطأتُهُ.

---

(١) الدوار: هو في الأصل مخيم للأعراب يكون على شكل دائري، ثم صار يعني ما يشبه القرية.

ثم سارَ في سنةِ إحدى وثمانين إلى مدينةِ قابس وملَكها من يد أبي مَرْوان عبدالملك بن مكي اللَّوَاتي، وكان لَهُ ولآبائِهِ بها نحو مئة سنةٍ وخمسين سنة، ولهم فضائلُ ومكارم فزالت به دولتهم، ولم يزل يدوِّخُ مملكَةَ إفريقيةَ وأرضَ الجَريد حتى استقامت له عامَّتُها، وتوطَّدَ بها سلطانُه. وكان يُخْطَبُ له بأطرابُلُس، وتُضْرَبُ السِّكَّةُ باسمه، ويحملُ له خراجها وهي بيد بني ثابت الزُّجُوجي من زُجُوْجَةِ البَرْبَر من نحو سبعين سنة، والقائم بها منهم يومئذ الشيخ أبو يحيى أبو بكر ابن الشيخ أبي عبدالله محمد بن ثابت بن عَمَّار.

١٥٩- أحمدُ، ويعرَفُ بصَارُو سيدنا، ومعنى صارُو: الأشْقَر بالتُّركية[1].

كان من الأتْراكِ المتزيِّين بزيِّ الفقراء المُتصوِّفة، يداخلُ أمراءَ الدَّوْلةِ بالقاهرة مداخلَةً مستمرةً، ويلازمهم ملازمةً دائمة. وأوَّلُ من شُهِرَ بصحبته الأميرُ شيخُ الصَّفَوي أميرُ مَجْلِس في الأيام الظَّاهِرِيَّة بَرْقوق. ومن هذا الأمير عرفْته، وتَعَرَّف هو من الأمير شَيْخ المذكور بشَيْخ المَحْمودي، ورحلَ إليه لما وَلِيَ نيابةَ الشام في الأيَّام الناصريَّة فَرَج بن بَرْقوق، واستوطنَ دمشقَ، وتردَّدَ إليَّ لما قَدِمْتُها، ولم يزلْ مصاحِبًا للأمير شيخ، أثيرًا عندَه، مَكِينًا لديه حتى ماتَ بحلبَ وهو في عَشْرِ الستين يوم الأربعاء تاسِع عِشْري شعبانَ سنة أربع عشرة وثماني مئة.

وكانَ حسنَ الاعتقاد، كثيرَ الإنكار على أهلِ البِدَع، محبًّا للسنَّةِ وأهلها، يصدَعُ أمراءَ الدولةِ بالنَّكِير عليهم، ويَجْبَهُهُم بالغضِّ منهم والتَّبْكِيت لهم، فيحتملون منه ما لا يتجرأ سواهُ على التفوُّه به.

قال لي، وقد جاءني بدمشق زائرًا في سنةِ ثلاث عشرةَ وثماني مئة، والناسُ إذ ذاكَ من الظُّلْمِ في أخذ الأموال والعُقُوبة على أخذ أجرِ

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٣١، وذيل الدرر، الترجمة ٣٧٤، والضوء اللامع ١/ ٣٧٣.

مساكنهم بحالٍ شديدة، وأخذنا نتذاكرُ ذلكَ فقال لي: ما السببُ في تأخُّر إجابةِ دعاءِ النَّاس في هذا الزَّمان، وهم قد ظُلِمُوا غايَةَ الظُّلم، بحيث إنَّ امرأةً شريفةً عوقبت لعَجْزها عن القيام بما أُلزمت به من أجرة سكنِها الذي هو ملكُها مع قوله عليه السلام: «اتَّقِ دَعْوةَ المظلوم، فإنَّه ليسَ بينَها وبينَ الله حِجَاب»[1]. وها نحن نراهُم منذُ سنين يَدْعونَ على من ظَلَمَهم ولا يُستجابُ لهم؟ فأفضنا في ذلك حتى قالَ: سَبَبُ ذلك أن كلَّ أحدٍ في هذا الوَقْتِ صار موصُوفًا بأنه ظالِم، لكثرةِ ما فَشا من ظُلْمِ الرَّاعي والرعية، فكأنَّه لم يَبْقَ مظلومٌ في الحقيقةِ، لأنا نجدُ عندَ التأمُّلِ كلَّ أحدٍ من النَّاس في زَمننا، وإن قلَّ، يظلمُ في المعنى الذي هو فيه من قَدَرَ على ظُلْمه، ولا نجد أحدًا يتركُ الظلْمَ إلا لعَجْزه عنه، فإذا قَدَرَ عليه ظَلَمَ، فبانَ أنَّهم لا يتركون ظُلْمَ مَن دونَهم إلا عَجْزًا لا عِفَّة. ولعمري لقد صَدَق رحمه الله، وقد قيل قديمًا:

والظُّلْمُ من شِيَم النُّفوسِ فإن تَجدْ ذا عِفَّةٍ فلعِلَّةٍ لا يظلِمُ

وقال لي مرَّةً عن الأمير شَيْخ الصَّفَوي أنه قال له: ذكر لي السُّلطانُ الملكُ الظاهرُ بَرْقوق عن رجلٍ من العَجَم الذين كانوا في زَمَنِه، وسماه لي، أنه قال له: لا تلْتَفِت إلى ما في «البخاري» و«مسلم» فإنَّ أكثرَ ما فيها كَذِبٌ. قال السلطان: فقلتُ له: يا شيخُ كان البُخاري ومُسلم في زمانٍ لو كذَبَ أحدٌ على النبي عليه السلام لقتلوه.

١٦٠- أحمدُ بن ثَقَبَة[2] بن رُمَيْثَة بن أبي نُمَي محمد بن أبي سَعْدٍ حسنِ بن عليّ بن قَتَادة الحَسَنيُّ المكيُّ[3].

---

(١) حديث صحيح؛ فهو في الصحيحين من حديث ابن عباس؛ البخاري ٢/ ١٣٠ و١٥٨ و٣/ ١٦٩ و٢٠٥ و٩/ ١٤٠، ومسلم ١/ ٣٨.

(٢) قيده السخاوي في الضوء فقال: «بمثلثة وفتحات».

(٣) ترجمته في: السلوك ٤/ ١٣٠، والعقد الثمين ٣/ ٢٢، والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٧٧، والدليل الشافي ١/ ٤٢، والمنهل الصافي ١/ ٢٤١، والضوء اللامع ١ / ٢٦٦.

أميرُ مَكَّة، وَلِيها شريكًا لعَنانِ بن مُغامس في ولايَته الأولى بتفويض من عَنان إليه ليَقْوَى به على آل عجلان، وشَرَكَهُ معه في الدُّعاء له على المِنْبر، وهو مع ذلك ضريرٌ لا يُبْصر، لأنَّ ابنَ عَمِّه أحمدَ بنَ عَجْلان اعتقَلَه مع ابنه علي وأخيه حَسَن بن ثَقَبَة وابن عَمِّهم عَنان ومحمد بن عَجْلان في أوَّل سنةِ سَبْعٍ وثمانين وسبع مئة، فلما مات كُحِّلوا كلُّهم غيرَ عَنان فإنَّه هرب في تاسع عشري شعبان سنة ثمان وثمانين.

وكان أحمدُ هذا أجملَ بني حَسَن حالاً، وأكثرَهم سِلاحًا وخَيْلاً وإبلاً وعقارًا وغَلَّة.

وتوفي في آخر المحرَّم سنةَ اثنتي عشرةَ وثماني مئة بمكَّة، ودُفن بالمعلاة عن نحو سبعين سنة.

١٦١- أحمدُ بن عبدالله بن بَدْر بن مُفَرِّج بن بدر بن عُثمان بن جَابر، القاضي شهاب الدين الغزِّي العامريُّ الدِّمشقيُّ الشافعيُّ[(١)].

وُلِدَ سنةَ ستين وسبع مئة بغزَّة، ونشأ بها، ثم استوطنَ دمشق، وأخذ بها الفِقه والأصولَ حتى مَهَرَ فيهما، وشاركَ في غيرهما، وشَرَحَ كتاب «الحاوي» في الفِقْه، وكتابَ «جمع الجوامع» وعَلَّق على «صحيح البخاري»، ونابَ في الحُكْم، واشتُهِرَ ذكرُه، ووَلِيَ نظرَ المارستان النُّوري وغيره بقوَّةٍ وعِفَّةٍ مع دينٍ وعبادةٍ ومروءةٍ وحِدَّة خُلُق.

توفي بمكَّة يومَ الخميس سادسِ شوَّال سنة اثنتين وعشرين وثماني مئة، ودُفن بالمَعْلاة.

وأوَّل ما عرفتُه بمكَّة لما جاوَرْتُ بها في سنة سَبْع وثمانين وسبع

---

(١) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ٥٥، وإنباء الغمر ٧/ ٣٦٣، والمنهل الصافي ١/ ٣٢٩، والدليل الشافي ١/ ٥٥، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ٤٦٠، والضوء اللامع ١/ ٣٥٦، ووجيز الكلام ٢/ ٤٥٦، وشذرات الذهب ٧/١٥٣، والبدر الطالع ١/ ٧٥، وقال السخاوي: «وهو في عقود المقريزي باختصار».

مئة، دخلَ عليَّ مُسَلِّمًا في خدمةِ قاضي المالكيَّة بدمشق البرهان الصِّنْهاجي، ثم تَعَرَّف إليَّ لما دخلتُ دمشقَ حتى عرفتُه، وصارَ يتردَّدُ إليَّ ويهاديني، فنفعَهُ الله على يدي ببلوغه مآربَ. رحمه الله.

١٦٢ - أحمدُ بن عليّ بن عبدالكافي بن عليّ بن تَمَّام بن يُوسُف ابن مُوسى بنِ تَمَّام بن حامِدِ بن يحيى بن عُمر بن عُثمانَ بنَ مسوار بن سَوَّار بن سُلَيْم بنَ أسْلَم، أبو حامِد بَهاء الدِّين ابنُ الشيخ الإمام أبي الحَسَن تَقيِّ الدِّين الأنصاري الخَزْرَجي السُّبكي، الفَقيه الشافعي، المُفَسِّر المحدِّثُ الأصولي الأديبُ، وكان أبوه سَمَّاه أولاً تَمَّامًا، وكذا يوجَدُ في الطِّباق القَدِيمة، ثم غَيَّره(١).

وُلِدَ بالقاهرة في ليلةِ الأربعاء العِشْرينَ من جُمادى الآخرة سنةَ تسعَ عشرة وسبع مئة، واستجازَ له أبوه مشايخَ عصرِه بديارِ مصرَ وبلادِ الشام، ثم أحضَره مجالسَ الحديث وسَمَّعه الكثيرَ، وسَمِعَ بنفسه. ولما قدم المُسْنِد أحمدُ بن أبي طالب الحَجَّار إلى القاهرة سمع عليه في الخامسة من عُمُره «صحيح البخاري» كاملاً عن ابن الزَّبيدي. وسمع من أبي الحَسَن الواني، وأبي الفتح الدَّبوسي والنَّجم ابن خَلِّكان والجَلال الدِّلاصي والقاضي بَدْر الدين ابن جماعة والشهاب ابن غانم ويوسُف بن

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢٠٠، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٤٦ والبداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٢٩٦، والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٣٣٤، ووفيات السلامي ٢/ ٣٨٨، والعقد الثمين ٣/ ٣٨٣، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٣)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٣٠، وإنباء الغمر ١/ ٢١، والدرر الكامنة ١/ ٢٢٤، والمنهل الصافي ١/ ٣٨٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٢١، ووجيز الكلام ١/ ١٨٦، وحسن المحاضرة ١/ ٤٣٥، وبغية الوعاة ١/ ٣٤٢، والدارس ١/ ٣٦٦ و٤٢٤ و٤٦٣، وبدائع الزهور ١/ ١٠٩، وقضاة دمشق ١٠٨، ودرة الحجال ١/ ١٠٠، وكشف الظنون ١/ ٤٧٧ و٦٢٥ و٢/ ١٨٤٥ و١٨٥٥ و١٨٧٣، وشذرات الذهب ٦/ ٢٢٦، والبدر الطالع ١/ ٨١.

محمدِ بن إبراهيم الكُردي، ومحمد بن غالي في آخرين، فسمعَ من الكُتُب والأجزاء شيئًا كثيرًا، وحَفِظَ القُرآن الكريمَ وصلَّى به القيام سنةَ ثمانٍ وعشرين.

ثم اشتغل بالفِقه والنَّحوِ والأُصول وغير ذلك على أبيه وعلى الشَّيخ أثير الدِّين أبي حَيَّان وغيرهما، ولم يبلغ الحُلُم إلا وقد حَصَّل من ذلك طرفًا جيدًا، ونظمَ الشعر. وسمعَ على التَّقي الصَّائغ بقراءةِ أبيه وغيره نحوًا من ستِّ قراءاتٍ في بعض أجزاء القرآن. وصَنَّف مجلدةً ضَخْمَةً في تناقُضِ كلامِ الرَّافعي والنَّووي، وكان عمرُه إذ ذاك سِتَّ عشرةَ سنةً، وأُذِنَ له بالإفتاء وعمرُه عشرون سنة؛ فلما وَلِيَ أبوه قضاءَ دمشقَ سنةَ تسع وثلاثين ولأَّه السلطان الملكُ الناصِرُ محمدُ بن قَلاوون وظائفَ أبيهً وهي: تدريسُ المنصورية، وتدريس السَّيفية، وتدريس الكهارية، ومشيخةُ الحديث بالجامع الطُّولوني والجامِع الظَّاهري، فقامَ بها أحسنَ قيامٍ، فكتبَ إليه أبوه من دمشق:

دُروسُ أحمدَ خيرٌ من دُروس عَلي ... وذاكَ عِنْد عليٍّ غايةُ الأملِ

فأجازَه الصَّلاحُ خليلُ بن أَيْبَك الصَّفَدي بقوله:

لأنَّ في الفَرْعِ ما في أصْلِه ولَه ... زِيادةٌ ودَليلُ النَّاسِ فيه جَلِي

وقال فيه أيضًا:

أبو حَامِدٍ في العِلْمِ أمثالُ أنْجُمٍ ... وفي النَّقْدِ كالإبريز أُخْلِصَ بالسَّبْكِ
فأوَّلُهُم من أسْفَرايينَ نَشْؤهُ ... وثانيهُمُ الطُّوسِيُّ والثالثُ السُّبْكي

واقترحَ عليه أبوه وعمرهُ سِتَّ عَشْرة سنة أن يَنْظمَ على قَوْلِ ابن المعتز:

عَلِّموني كيفَ أسْلُو وإلا ... فاحْجُبوا عن مُقْلَتيَّ المِلاحا

فقالَ، وهو أولُ شيءٍ نَظَمَه:

بي ظِباءٌ قد تبدَّت صِباحًا ... نُورُها أصبَحَ يَحْكي الصَّبَاحا
قُلْتُ للعُذَّالِ لما تَغالَوا ... في مَلامي بَعْدَما العُذْرُ لاَحا
عَلِّموني كَيْفَ أسلُو وإلا ... فاحْجُبُوا عن مُقْلَتيَّ المِلاحا

ومدحَ الأثير أبا حَيَّان بقصيدةٍ أولها:

فـداكُـم فُـؤادٌ حـانَ للبُعْـدِ فَقْـدُهُ   وصَبٌّ قَضَى وَجْدا وما حالَ عهدُهُ
وقَلْـبٌ جَـرِيـحٌ بـالغَـرام متيَّـمٌ   وطَرْفٌ قَريحٌ طالَ في اللَّيْلِ سُهْدُهُ

فعَجِبَ منه ومِن سِنِّه فقال فيه:

أبو حَامِدٍ حَتْمٌ على النَّاس حَمْدُهُ   لِما حَـازَ مـن علـمٍ بـه بـانَ رُشْـدُهُ
غَـذِيُّ عُلـومٍ لـم يـزل مُنْـذ نَشْئـه   يَلُـوحُ علـى أُفـقِ المَعـارف سَعْـدُهُ
ذَكيٌّ كأنْ من جاحِمِ النارِ ذِهْنُه   ذَكـاءً ومـن شَمْـسِ الظَّهيـرة وَقْـدُهُ
ومن حازَ في سِنِّ البُلوغِ فَضَائلا   زَمـان اغتـذى بـالعِيِّ والجَهْـلِ ضـدُّه

وقال فيه أيضًا:

أبـا حـامـدٍ إنـي لفَضْلِـك حـامِـدُ   وإنَّـكَ فـي كُـلِّ العُلـوم لَـواحـدُ

وكتبَ إلى أبيه:

بحُبي سَبيـلُ الحبِّ قامَ مَنارُهـا   فـلا تَسـألا عـن مُهجَتي فيـمَ نـارها
فحالُ الهَوَى لا تَخْتَفي وجحيمُه   تَزيدُ ظهورًا حين يُرجى استتارُها
ومـا قَتَـلَ العُشـاقَ إلا صَـوارمٌ   بدَتْ من حِمى لَيْلَى يَلُوحُ غِرارها
إذا أقْبلتْ فالقَلْبُ مَرْمَى سِهامِها   وإن أدبـرَت فـالعيـنُ تَطفُـو بحـارُهـا
بنفسي مَن صادَت فؤادي وأصدأتْ   حيـاتـي إذ صَـدَّتْ ودام نِفـارُهـا
تـزيـدُ لقَلْبـي إن تبـاعَـدَ رَبْعُهـا   دُنُـوًّا وتجفـو حيـنَ تَقْـرُبُ دَارُهـا
وتـأتـي بعُـذْرٍ عـن تَعَـذُّرِ وَصْلِهـا   ومـا فتنـةُ العَـذراءِ إلا اعتِـذارهـا
يُصيِّرُ جُنحَ الليـلِ صُبحًـا جبينُهـا   ويُظلـمُ بـالفَـرعِ الطـويـلِ نَهـارهـا
مَهـاةٌ يَـزْيـنُ الخصـرَ منهـا سَقامُـهُ   بــه ألــمٌ ممــا حَــوَاه إزارهــا
فللْكُثْبِ ما قد ضَمَّ منها وشاحُها   وللبَـدْرِ مـا قـد حـازَ منهـا خِمـارهـا
على أنَّ بَدْرَ التمِّ يَصْفَرُّ إن بدَت   ويُخْجلُـه مـن وَجْنَتَيْهـا احمـرارُهـا
أيُشبـهها والفَـرقُ بالفَـرْقِ واضـحٌ   وشَمْسُ الضُّحى أضحى إليها افتِقارها
لقـد شَـقَّ حَبَّـاتِ القُلـوب شقيقُهـا   فكـانَ إلـى خـال حَـواهُ فِـرارُهـا
وما روضَةٌ أغنَى عن الزُّهرِ زَهرُها   وغَنَّــى بهــا قُمْـرِيُّهـا وهَـزارُهـا

وصَفَّقتِ الأوراقُ حين تراقَصَتْ بمرِّ النسيمِ الرَّطبِ فيها بحارُها
بأرجائها الغِزْلان تحكي حِسانها وأفنانُها الأفنانُ تُجْنى ثمارُها
يروقُكَ من هِيفِ القُدود طِوالُها ويَسبيكَ من لَحْظ العيون قصارها
بها الكأسُ تُكْسَى بالشُّمول شمائلاً ويخلفُها بعدَ اللُّجين نُضارها
بأطيبَ عَرفًا من ثَنائي على الذي له من نَفيساتِ المعالي خيارُها
له هِمَّةٌ فوقَ السماءِ قَرارها ومَكْرُمَةٌ بذلُ النَّوالِ شعارُها
حَمَى مِلَّةَ الإسلام بَحْرُ عُلُومه وزَان فمنه سُورُها وسِوارُها
فكم حلَّ إشكالاً بمُحْكَم عقْدِه .... (١)
وكَم قهرَ الأبطالَ في حَوْمَةِ الوَغى ببيضِ علومٍ لا يُفلُّ غِرارُها
فليسَ فتًى إلا عَليٌّ وسيفُه يُصانُ به مِن ذي الفِقارِ فقارُها
نَقِيٌّ تقيٌّ طاهِرٌ عَلَمٌ له محاسِنُ مَجْدٍ لا تُعَدُّ صفارها

فأجابه أبوه بقصيدة منها:

فمَن ذاك نَجْلِي أحمدَ الفاضِلَ الذي غَدا وهو بَحْرٌ للعلوم ودارُها
أبا حَامِدٍ لا زِلْتَ في العلمِ صاعِدًا إلى رُتبةٍ يعلُو السِّماكَ قَرارُها
تُشَيِّدُ أركانًا له وتُشيدُها فمنكَ مَبانيها وأنتَ مَنارُها
أتاني قَصِيدٌ منكَ فاقَتْ بصَنْعَةٍ فما إن يُسامَى أو يُرامُ اقتدارها
وما لي قوًى تأتي إليك بمثلها وقد أعجَز الطَّائيَّ منها اخْوِرَارُها
فأسْألُ ربي أنْ يوقِّيك الرَّدى ويَصْرِفَ عنكَ العَيْنَ شَطَّ مَزارها

ووَلِيَ قضاءَ القُضاةِ بدمشقَ عِوَضًا عن أخيه تاج الدين عبدالوهاب في خامس شعبانَ سنة ثلاث وستين وسبع مئة، واستقرَّ أخوه فيما بيده من الوظائف وهي: تَدْريس المنصورية، وتدريس الشَّيْخُونيَّة، وتدريس الشَّافعي، وإفتاء دار العَدْل. ثم استدعى إلى القاهرة فقدم على البَريد في رابع عِشري صفر فأقام إلى أن صُرف بأخيه في ثاني عِشري ربيع الأولِ

---

(١) بيّض المصنف عجز هذا البيت، ولم يعد إليه.

سنة أربع وستين، وأُعيد إلى وظائفهِ المذكورة، ثم أُضيفَ إليه قَضَاءُ العَسْكر في ثالث عِشري جُمادَى الآخرة سنةَ سِتٍّ وستين عوضًا عن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البَقاء.

ثم توجَّه إلى الحج، وجاوَر بمكة فتُوفي بها في ليلة الخميس سابع شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وسَبع مئة عن ست وخمسين سنة.

وكان إمامًا عالمًا بالفِقْه والأصْلين والعَربية والمعاني والبيان، بارعًا في الأدب. وله كتاب «شَرْح الحاوي» في الفِقْه، وكتاب «شَرْح مُخْتصرِ ابن الحاجب» في أُصول الفقه و«ديوان خُطب»، وكتاب «شرح تلخيص المفتاح» في المعاني والبيان.

واتَّفقَ أنه كان ممن جاورَ بمكَّة الشيخُ بُرْهانُ الدين إبراهيم الأبناسي، ونزلَ برباطِ رَبيع، فمرض في أثناء السَّنة مرضًا أشْفَى منه على المَوْت، فبعَث الشيخُ بهاءُ الدين السُّبكي قاصِدًا من مكَّة إلى القاهرة يسألُ في وظائف الأبْناسي أن تَسْتَقِرَّ باسمه، وقد غلبَ على ظنِّه أنه لا يعيشُ من هذا المرض، ثم دخلَ عليه بعد ذلك بأيام يعودُه فإذا به قد تناقصَ مرضُه، فتحادثا ساعةً، وكان تجاهَهُما نَعشٌ قد جُدِّد عمله ليوضع في الرِّباط لحملِ مَن عَساه يموتُ من سُكَّانه، فنظرَ السُّبْكيُّ إلى النَّعْشِ ثم قال للأبْناسي:

يا شيخُ بُرهان الدين، أتدري ما يقول هذا النَّعْش؟ فقال له: ماذا يقول؟

فقال إنه يقول:

انْظُر إلـيَّ بعَقْلِـكْ   أنَـا المُعَـدُّ لمثلـكْ

أنـا سَـرِيـرُ المَنـايـا   كـمْ سَـارَ مِثْلـي بمثلـكْ

ثم أخذَ يحسِّن للأبْناسي أن يتوجَّه وإياه إلى المدينة النبوية، فاعتلَّ بما به من المَرَض، فما زالَ به حتى أذْعَنَ، وخَرجا من مكَّة في رُفْقَةٍ على طريق المَاشي، ووصَلاَ إلى المدينةِ النَّبَوِيَّه، ثم سارا منها عائِدَيْن إلى مكَّة رُكْبانًا فلما نَزَلا الجُحْفَة، حُمَّ السُّبكيُّ فقدِمَ مكَّة وقد اشتدَّ به مرضه

ومات، وعاد الأبناسي إلى القاهِرَةِ، فبلَغَه سعيُ السُّبكي في وظائفه، وتأخَّرَتْ وفاتُه بعدَ السُّبكي زيادةً على ثمانٍ وعشرين سنة.

قال شَيخنا العمادُ ابنُ كَثِير في حَقِّه: كان عابدًا قانتًا.

وقال فيه ابن حَبِيب: إمامٌ عَلَمٌ زاخرُ اليَمِّ، مَقْرونٌ بالوقَار الجَم، وفَضْلُه مبذولٌ لمن قَصدَه وأمَّ، وقَلَمُه كَم بابِ عدْلٍ فتحَ، وكَم شَمْلٍ مُفَرَّقٍ ضَمَّ. كان مواظبًا على التِّلاوة والعِبادة، ومن شعره:

أتتني فآتَتْنِي الذي كُنْتُ طالِبًا وحَيَّتْ فأحْيَتْ لي مُنًى ومآربا
وقد كنت عبدًا للكِتابةِ أبتغي فرَقَّت على رِقِّي فَصِرْتُ مكاتَبًا

واتَّفق أيضًا أنه لما مَرِضَ أوْصَى بوظائِفِه إلى أولاده وأولاد أخيه تاج الدِّين، وكتب كِتابًا بخطِّه إلى القاضي مُحِي الدين ناظِرِ الجَيْش بما عَيَّنَه لكلِّ واحدٍ منهم، ودفعَ إلى نَجَّابٍ من أهل مكَّة ألفَ درهم على أنه ساعةَ أن يموتَ يتوجَّهُ بالكِتاب من مكَّة إلى القاضي محب الدين ناظر الجيش بالقاهرة، ولا يُعْلمُ أحدًا بذلك، ففَعلَ النَّجَابُ ما أمرَه به، فلما وصلَ الكتابُ إلى ناظرِ الجَيْشِ عَلِمَ صاحبُنا الشيخُ زينُ الدين أبو هُرَيْرَة عبدالرَّحمن ابن النَّقَّاش بموتِ البهاءِ ابن السَّبكي، فترامَى على الطَّواشي مُخْتص النَّقَّاشي، وسأله في أخذِ خَطابَة جامِع أحمد بن طولون ومَشْيَخة المِيَعاد بدلَه، وكان مُخْتَصُّ المذكور طَواشِي أبيهِ الشَّيْخ شَمْس الدين أبي أمامَةَ محمدِ ابن النَّقَّاش، وهو يومئذٍ له اختصاصٌ زائدٌ بالسُّلطان، فللْحال سأل مختصٌّ السلطانَ الأشرفَ شعبانَ بن حُسَيْن في ذلك، فولَّى زينَ الدين أبا هريرة ذلك، ولم يَقْدِرْ ناظرُ الجيش على رَدِّه، وعَجزَ عن دَفْعِه، وأخذَ شيخنا الشيخُ سِراجُ الدِّين عُمَر البُلْقيني دَرْس التَّفْسير وقضاءَ العسكر، وأخذ شيخُنا قاضي القُضاة بهاءُ الدين أبو البَقاء تدريسَ الشَافعي ونَظَرَه، وتدريسَ المنصورية، وأخذَ عزُّ الدين الطِّيبي تدريسَ السَّيفية، وأخذَ صاحبُنا الكَمالُ الدَّمِيري تدريسَ الكَهارية. وولى الأميرُ أُلجاي تدريسَ الشَّيْخونية للبَهاء أبي البَقَاء، فلم يُمْضِ ذلك شيخُنا الشيخُ أكمل الدين شيخُ الخانكاه الشيخونية وولاَّها شيخنا الشيخَ ضياءَ الدين

القِرمي، فلم يُمْضَ شيءٌ مما أرادَه البَهاء ابنُ السَّبكي، ولم يحصُل لأولادِه ولا أولادِ أخيه شيء من وظائفه؛ وعَدَّ العقلاءُ هذا جزاءً لما فعله بأيتام. . .[1]ابن الجَزَري خَطِيب الجامع الطُّولُوني، فإنَّه لما مات وَلَّى القاضي تاجُ الدين المناوي أولادَه الخطابةَ ومشيخةَ الميعاد، فوثب بهاءُ الدين ابنُ السبكي وأخذهما منهم فلم يتهنَّأ بهما، وذلك أنَّ الأميرَ يَلْبُغا الخاصكي كان يصلِّي بجامعِ ابنِ طولون فلم تعجبُه خُطبةُ البهاء، ومنعه أن يخطبَ، فاستنابَ الشيخَ شهابَ الدين ابنَ النقيب مدَّةَ أيام الأمير يَلْبُغا كلها، وكذلك لم يحضُرْ درسَ التَّفْسير بالجامع الطُّولوني إلا دونَ الخَمْسِ مَرَّات، لأنَّه أخذَه بعد موتِ شَيْخِنا الشيخ عبدالرَّحيم الإسْنَوي في آخرِ جُمادَى الأولى، وكانت بطالةُ الدُّروس، وحجَّ من عامِه فماتَ، ولم يزَلْ حريصًا على أخذِ هذا الدَّرس، فسعى فيه بعد موتِ ابن عَقِيل فلم يَنَلْه. وسَعى فيه بعد موتِ قاضي القضاة جَمالِ الدين الحنفي فلم يُعطِه، وكان قد ولاَّه أبو البَقاء لولَده شيخنا بَدْر الدين بعد ابن عَقِيل، فأخذَه الحَنَفي بتوقيع سُلْطاني، واستمرَّ بيدِه حتى مات فولاَّه أميرُ علي المَارديني نائب السُّلطان للشيخِ عبدالرحيم، فلما ماتَ وليه البَدْرُ ابنُ أبي البَقاء من أبيه، فثقَّل عليه بهاءُ الدين ابن السُّبكي حتى أخذه منه بولايةٍ من أبي البقاء.

وكان رحمه الله أحدَ رجال الدُّنيا كثرةَ مالٍ ومناصبَ، وكان يَصِلُ إلى أغراضه بكثرة بَذْلِهِ المالَ الجم. وكان الناس يخدمونه.

١٦٣- أحمدُ بن عليّ بن أيوب، شهابُ الدِّين المَنُوفيُّ الشَّافعي، إمام المدرسة الصَّالِحية بين القَصْرَين[2].

اشتغلَ كثيرًا، ولم يُكن بذاكَ، وضُبطَت عليه كلماتٌ لو نُوقِشَ عليها لهَلَك، حملَه على ذلك مُجونُه. وتُوفي عن ستِّينَ سنةَ في يومِ

---

(١) فراغ في أ مقدار ثلاث كلمات.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ١٥٢، وذيل الدرر، الترجمة ٥٣، والضوء اللامع ٢/ ١٥.

السبتِ رابع عِشري صفَر سنة اثنتين وثماني مئة.

١٦٤- أحمدُ بن عليّ بن إسماعيلَ بن إبراهيمَ بن مُوسى، تاجُ الدِّين أبو العَبَّاس ابنُ علاءِ الدِّين ابن الظُّرَيِّف[(١)]، البَهْنَسِيُّ الأصل، المالكيُّ[(٢)].

وُلِدَ في محرم سنةَ خمسٍ وأربعين وسبع مئة، وسمع «سُنن أبي داود» على ناصِرِ الدِّين محمد بن محمد بن أبي القَاسم التُّونُسي عن ابن خطيب المِزَّة عن ابن طَبَرْزَد وحدَّث. وقرأ الفقه والعربية وبرع فيهما وفي الأدب، وقال الشعر، وكتبَ التَّوقيع للقُضاة فلم يدانِه في زمننا أحد في معرفة الوثائق والسِّجلات ولا في سُرعة كتابتها؛ بحيث إنَّه يفرغُ من كتابة الحَسْبَلة قبل أن تجفَّ البَسْملة في المَكتوب الكثيرة عِدَّة أسطره، مع الذكاء المفرط، والغاية في معرفة حل المُتَرجم في أسرع وَقْت، وجميل المُحاضرة، وحُسن المعاشرة، وجودة المُذَاكرة. وكان يُرمى من قِبَل كتابته التَّوْقيع بعظائم في تَصْوير الحق بصورة الباطل، وتصوير الباطل في صورة الحق، وامتُحِنَ بسبب ذلك، ونابَ في الحكم بالقاهرة سنين. ثم إنه توجه إلى مكة وجاورَ بها فمات على أجمل طريقة من العبادة في مكة يوم الجُمُعة سابع عِشري شهرِ رَجَب سنةَ إحدى عشرة وثماني مئة.

ولم أرَ في معناهُ مثله، صَحِبْتُه سنين فلم أرَ إلا خَيْرًا، ومن محاسِنِه أنَّه كان لا يَكادُ يُرى غضبانَ، بل لا يزالُ بشوشًا، وقد شاهدتُ منه في حَل المُتَرْجم ما يشبه السِّحر. كتب إليه صاحبُنا شمس الدين مُحمدُ بنُ عليّ الهيتمي مُتَرْجَمًا بهذين البيتين:

---

(١) قيده السخاوي فقال: «بالمعجمة المضمومة وتشديد التحتانية بعدها فاء» (الضوء ٢/ ١٤).

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ١١٣، والضوء اللامع ٢/ ١٤، ووجيز الكلام ١/ ٣٩٩، وشذرات الذهب ٧/ ٩٠.

هذا المُترجَم قد كَتَبتُ لكي أرى من ذِهْنِكَ الوَقّاد ما لا يوصَفُ
فـامنُـنْ علـيّ بحلِّـه فـي سُـرْعَـةٍ إن كُنتَ في حَلِّ المتَرْجم تُعْرَفُ

فكَتَب بعدما فكر قليلاً:

إني إذا كَتَبَ المترجم لي فتًى أظْهــرتُ أنــي عنــدَه لا أعــرفُ
وأُطِيـلُ فيـه الفِكْـرَ وَقْتًا واسِعًـا هــذا الــذي مــن أجْلِـهِ أتَــوَقَّـفُ

١٦٥- أحمدُ بنُ حُسين بن إبراهيم، القاضي مُحيي الدين المَدَنيُّ الدِّمشقيُّ، كاتبُ السِّرِّ بدمشق(١).

قَدِمَ أبوه من المدينة النَّبَويةِ إلى دمشقَ وسكنَهَا، وبها وُلِدَ له أحمدُ هذا، ونشأ فعانى كتابة الإنشاء، واختصَّ ببدْرِ الدِّين مُحمدِ بنِ مُزْهر وجعله وصيَّه، وولي كِتابَةَ السِّرِّ في نيابة الأمير شَيْخ لدمشق. ثم قَدِمَ بعد عَزْلِه إلى القاهرة، فاسْتكْتَبَه القاضِي فتحُ الدِّين فتحُ الله كاتبُ السِّرِّ في الإنشاء، وعَوَّل عليه في المُهِمات السُّلْطانية من سنةِ عَشْرٍ وثماني مئة حتى نُكِب في سنة خمس عشرة، ثم أُعيدَ إلى كتابة السِّرِّ بدمشق في سنةِ ست عشرة(٢)، وماتَ بها في ثالث شعبان سنة ثماني عشرة وثماني مئة عن نحو ستين سنة(٣) وكان كثير التلاوة للقرآن، متنسِّكًا يتورّعُ عن تَناوُلِ

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٢٨٣، وذيل الدرر، الترجمة ٤٧٢، والدليل الشافي ١/ ٤٥، والمنهل الصافي ١/ ٢٧١، والضوء اللامع ١/ ٢٨١.

(٢) هكذاقال المصنف، وهو وهم منه رحمه الله تعقبه عليه ابن قاضي شهبة فكتب تعليقًا على مسودة المؤلف هذا نصه: «هذا الكلام تخبط، فإن كاتب سر دمشق كان في سنة ست عشرة ناصر الدين البصروي كاتب سر الأمير مودود، ثم عزل في سنة سبع عشرة عند مجيء السلطان بمحيي الدين ابن الإربلي، ثم عزل في أول سنة ثمان عشرة بالمذكور، واستمر إلى أن توفي في صفر سنة عشرين، نبه عليه أبو بكر ابن قاضي شهبة». وذكر السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٢٨١ أن ولايته لكتابة السر بدمشق كانت في أوائل سنة (٨١٨) أيضًا.

(٣) قال السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٢٨١: «مات في صفر سنة عشرين، ذكره شيخنا في إنبائه، ورأيتُ من أرخه نقل ذلك غلطًا كالمقريزي فإنَّه قال في عقوده: إنه مات في ثالث شعبان سنة ثمان عشرة. نعم، أرخه ابن قاضي شهبة=

ما يَقْتَحِم عليه غيره، وكان عادلاً مُتودِّدًا خَيِّرًا، رحمه الله.

صحِبَني مدَّةً، وتردَّد إليَّ بالقاهرة ودمشقَ مرارًا، ولنعمَ الرَّجلُ كان.

١٦٦- أحمدُ بنُ إسماعيلَ بن عُثمان بن أحمدَ بن رَشِيدَ بن إبراهيمَ، شَرَفُ الدين، ثم دُعِي شهابَ الدين، الشَّهرزُوريُّ، الهَمَذاني الكُورانيُّ الشافعيُّ[١].

وُلِدَ بشَهْرزُور في ثالث عَشَر شهرِ ربيعِ الأوَّل سنةَ تسع وثماني مئة[٢] وتخرَّج بالشَّيخ زَيْن الدين عبدالرحمن بن عُمَر القَزْويني فقرأ عليه القراءات السَّبْع، وحلَّ عليه «الشَّاطبية»، وتفقَّه به، وقرأ عليه «الكَشَّاف» للزَّمَخْشَري، وشَرْحَه للشيخ سَعْدِ الدِّين مَسْعودٍ[٣] التَّفْتَازاني. وعنه أخذَ النحو أيضًا مع عِلْمَي المعاني والبيان والعروض. ثم خَرَج من العراق في سنةِ ثلاثين وثماني مئة، وجالَ في بغداد وديار بكر وبلادِ الشام، ثم قَدِمَ القاهرة، وقرأ على الحافِظِ قاضِي القُضاةِ شهاب الدين أبي الفَضْل ابن حَجَر، وقَرأ عليَّ[٤] «صحيح مسلم» والشاطبية فبلوتُ منه براعَةً وفصاحةً ومعرفةً تامَّةً لفنونٍ من العِلْم ما بَيْن فِقْه وعربيةٍ وقراءاتٍ وغير ذلك. واتصل بالقاضي كمال الدين محمد بن البَارزي كاتِب السرِّ فرَقَّاه ونوَّه به حتى صار يعدُّ من الأعيان، وكَثُرَ مالُه، واختصَّ أيضًا بالقاضي زينِ الدِّين عبدالباسط وتَرَدَّدَ إلى السلطانِ إلى أن قدِمَ من دمشق رجلٌ ينتهي نسبُه إلى

= في يوم الأربعاء سنة عشرين لكن خامس عِشْري المحرم من السنة بعدما تعلل مدة، ودفن بتربة الصوفية بدمشق عن نحو سبعين سنة».

(١) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٢٤١، ونظم العقيان ٣٨، والطبقات السنية ١/ ٣٢٢، وكشف الظنون ١/ ٥٥٣، والبدر الطالع ١/ ٣٩.

(٢) قال السخاوي في الضوء ١/ ٢٤١: «ولد في سنة ثلاث عشرة وثمان مئة بقرية من كوران، وأرخه المقريزي في ثالث عشر ربيع الأول سنة تسع».

(٣) في جـ: «بن مسعود» وهو خطأ بَيِّن، فهو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣هـ من أئمة العربية المشهورين.

(٤) هكذا في أ وجـ، وقال السخاوي: «قال المقريزي: وقرأت عليه صحيح مسلم» (الضوء ١/ ٢٤١)، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وتردَّدَ إلى مجلسِ السُّلطان فنزَغَ الشيطانُ بينَه وبين الكُوراني حتى تسابَّا، وحُفظَ عن الكُوراني أنَّه قال له: أنتَ حمارٌ وأبوكَ وجَدُّكَ، أو قال: وأسلافُكَ، فتعصبَّتْ له طائفةٌ من الحَنَفِيَّة على الكُوراني، وعقدوا له مجلسًا بين يَدَي السُّلطان حضرَه القُضاة وعدَّةٌ من مشايخ العلم، وادَّعى على الكوراني بما ذُكر، وأن أبا حنيفة سلفُه وشُهِدَ عليه بذلك، فأُنْزِلَ ماشيًا حتى سُجِن بالجامع المؤيدي حيثُ سكنَ قاضِي القُضاة سَعْدالدين الديري الحَنَفي فإنَّه الذي ادُّعِي على الكُوراني عندَه، ثم طُلِبَ إلى مَجْلِسِ السُّلطان، وعُزِّرَ بالضَّرْب تحتَ رجليه، وأخرِجَ مَنْفِيًّا، فباعَ أثاثه، وأُخرجَتْ وظائفه ومرتباتُه ومضوا به في التَّرسيم عليه، حتى نزَلَ دمشق، فلما خرجَ الحاجُّ توجَّه معهم فردّوه من زَيزاء ومضَوْا به إلى حَلَب، فلم يشعروا به حتَّى قَدِم الطُّورَ ليمضي في البَحْر إلى مكَّة، فقُبِضَ عليه وساروا به حتَّى تَعَدَّى الفُرات، وذلك كلُّه في سنة أرْبعٍ وأرْبعين وثماني مئة، ولا يَظْلِمُ ربُّك أحدًا[1].

١٦٧- أحمدُ بن حُسين بن حسن بن عَلِيِّ بن رَسْلان، الشيخُ شِهابُ الدِّين الرَّمْليُّ ثم القُدْسيُّ، الفَقيه الشافعيُّ المُتَسَلِّك[2].

وُلِدَ برَمْلَةِ لُد سنةَ ثلاثٍ أو خمسٍ وسبعين وسبع مئة، كذا كتب بخطه. ونشأ بالرَّمْلَةِ، واشتغلَ بالعلم، وسمعَ الحديثَ من أبي الحُسين أحمد ابن الحافظِ صَلاحِ الدِّين العلائي وغيره. وبرَع في الفقه والأُصول والعربيَّة، وشارك في فنون، وقال الشعرَ، وسَلَكَ طريقَ العبادةِ وخشونةِ العيش، ودَرَّس وأفتى وأفادَ، فتخرَّجَ به أهلُ تلكَ البلاد، واشتُهِرَ بينَهم

---

(١) هذا الكلام نقله السخاوي كله في الضوء اللامع ١/ ٢٤١- ٢٤٢، ثم ذكر وفاته فقال: «مات في أواخر رجب سنة ثلاث وتسعين، وصَلَّى عليه السلطان فمن دونه، ولعله دفن بمدرسته» (١/ ٢٤٣).

(٢) ترجمته في: السلوك ٤/ ١٢٣٥، والمنهل الصافي ١/ ٢٧١، والدليل الشافي ١/ ٤٥، والضوء اللامع ١/ ٢٨٢، ووجيز الكلام ٢/ ٥٧٠، والأنس الجليل ٢/ ١٧٤، وشذرات الذهب ٧/ ٢٤٨، والبدر الطالع ١/ ٤٩.

بالعِلْم والزُّهد والطَّريقة المُثْلَى، فشاعَ ذكرُه، وعُرِفَت له كرامات، وقصدَ الناسُ زيارته، وأخذوا عنه، وتَبَرَّكوا بدعائه فتَربَّى به جماعةٌ سلكوا مسلكَه من الزُّهد والإقبال على العبادة. وصَنَّفَ شَرْحًا كبيرًا «لسُنَن أبي داود» في إحدى عَشْرَةَ مجلدةً بخطه. وشرَح «مِنْهاج» النَّووي في الفقه، وعَلَّق على «البخاري» قطعةً، وشرح كتاب «جمع الجوامع» في أُصولِ الفقه، ونَظَم «الزُّبَد» في الفِقْه فحفظَه عدةً من طَلَبَتِه، وكتبَ تعاليقَ ومجاميعَ عديدةً مفيدة، وتحوَّلَ في آخرِ عُمُره من الرَّملة إلى القُدُس فسكنها سُنَيَّاتٍ حتى ماتَ بها في يوم الاثنين ثاني عِشري شعبانَ سنة أربع وأربعين وثماني مئة، وبها دُفِنَ.

وكتَبَ إليَّ وكتبتُ إليه، ولم يقدَّر لي لقاؤه رحمه الله، فلقد كان مُقبلاً على العبادة، غَزِيرَ العلم، كثيرَ الخير، مُرَبِّيًا للمُريدين، مُحْسِنًا للقَادمين، متبرَّكًا بدعائه ومشاهدته، صادِقَ التألُّه، متخلقًا من المروءة والعِلم والفَضْل والزُّهد والانقطاع إلى الله تعالى بأجمل الأخلاق، بحيث تَظْهَرُ عليه سِيماء السَّكِينة والوَقار ومهابة الصالحين. وبالجملة فما أعلمُ بعدَه مثلَه، أَلحقه الله بعباده الصَّالحين، ورَفَع درجَتَه في عِلِّيين.

١٦٨- أحمدُ بن حَمْدان بن أحمد بن عبدالوَاحِد بن عبدالغَنِي ابن مُحمد بن أحمدَ بن سالم بن داوُد بنِ يوسُف بن جابر، الشيخ شهاب الدين أبو العَبَّاس الأَذْرَعيُّ ثم الحَلَبيُّ الشافِعيُّ الإمامُ العلامة شيخُ المَذْهب[١].

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٤٦١، والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٥٢٨، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٨٣)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٩٢، وإنباء الغمر ٢/ ٦١، والدرر الكامنة ١/ ١٣٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢١٦، والدليل الشافي ١/ ٤٦، والمنهل الصافي ١/ ٢٧٤، ووجيز الكلام ١/ ٢٥٥، والدارس ١/ ٥٦، وبدائع الزهور ١/ ٣٠٠، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٣٧، وكشف الظنون ١/ ٦٢٧ و٩٣٠ و٢/ ١٣٦١ و١٨٧٣ و١٩١٥، وشذرات الذهب ٦/ ٢٧٨، والبدر الطالع ١/ ٣٥.

وُلد بأذْرعات[1] في إحدى الجُمادين سنة ثمان وسبع مئة، وأُسمِعَ على القاسِم ابن عساكر، والحَجَّار، وغيرهما، وقرأ بنفسه على المِزِّي والذَّهبي، وكانا يُعجبان بقراءته. وسمعَ على صَدْر الدين عبدالمُؤمِن بن عبدالعَزيز الحارثي، وأجازَ له جماعةٌ من أهلِ الشَّام ومصر. وخرَّج له الشيخُ شهابُ الدين أبو العَبَّاس أحمدُ بن حِجي جزءًا حدَّث به. وأخذَ الفقهَ عن شُيوخ دمشقَ فَمهر. ونابَ في بعض جهات دمشق في الحُكْم، ثم تحوَّل إلى حَلَب، ونابَ في الحُكْم عن ابن الصَّائغ أوَّل ما قَدِمَها، ثم تركَ ذلك وقَنع ببعض المدارس، وأكبَّ على الاشْتِغال، وأقبلَ على االتصنيف، فشرحَ «مِنهاج» النَّووي شرحين سَمَّى أحدَهما «قُوتَ المحتاج» وسَمَّى الآخر «غُنْيَةَ المحتاج» وعمل «التوسط والفَتْح بينَ الرَّوْضَةِ والشَّرح» يَعني الرَّافعي في عشرين مُجَلَّدًا، وهو كتابٌ جليل جمع فيه فأوْعَى. واختصرَ «الحاوي» للماوَرْدي. وتعقَّبَ على «المُهِمَّات» للإسنوي. ودَرَّسَ بعدَّةِ مدارسَ بحلب. وتصدَّر بجامِعِها للإفتاء والتدريس فكثُرَتْ فتاويه مع التَّوَقي الشَّديد، خُصوصًا في الطَّلاق.

وكان قَوَّالاً بالحق، حَسَنَ المحاضرة، كثيرَ الإنشاد للشعر. وله نظمٌ، وكان يُنْكِرُ المُنْكَرَ، ويخاطِبُ نُوَّاب حَلَب فيُغْلِظ لهم في الخِطاب. وكان فيه مروءةٌ، وله حِشمةٌ، ومحبَّةٌ لأهل العلم، خصوصًا الغُرباء. وكان كثيرَ المحبَّة للفقراء، ويحضرُ مجالسَهم في الذِّكر ويذكر معهم. وكان مُلازمًا لبيته، لا يخرُجُ منه إلا لصلاةِ الجُمُعة أو لضرورةٍ لا بُدَّ منها مع كثرةِ التحري والاحتراز، ولم يزل على ذلك حتى تُوفي بعدما ثَقُلَ سَمْعُه في يوم الأحدِ النِّصفِ من جُمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة، وكان الجمعُ وافرًا في جنازته، فتقدَّم القَاضي جمالُ الدين ابن العديم وصلى عليه.

وقد أجازَني وكتَب خطَّه بذلك في جُمادى الأولى سنة إحدى

(١) هي المعروفة اليوم بدرعا على الحدود السورية الأردنية.

وسبعين وسبع مئة. وهو والِدُ صاحِبنا تاجِ الدين عبدالرحمن بن أحمد الأذرعي قاضي دَمَنْهور.

١٦٩- أحمدُ بن عبدالرَّحمن بن مُحمد بن عبدالله بن محمد بن محمود المَرْدَاويُّ الحَمَويُّ الحَنبليُّ[١].

وُلِدَ سنةَ اثنتي عشرةَ وسبع مئة بمَردا، وتفقَّه بدمشق فمهرَ، وسمع من ابن الشِّحْنة، وشرَف الدين ابن الحافِظ، وأحمد ابن المُحِب، والذَّهبي، وغيرهم. وولي قضاءَ حماةَ، وأفتى، ودَرَّسَ، ونظمَ الشعرَ، وماتَ سنة سبع وثمانين وسبع مئة، وقد حدَّث.

١٧٠- أحمدُ بن مُحمد بن جُمْعة بن أبي بكْر بن مُحمد بن إسماعيل بن حسَن، أبو العباس شرَفُ الدِّين ابن شَمْس الدين، الأنصاريُّ المَعروفُ بابن الحَنْبليِّ، الحلبيُّ الشَّافعيُّ[٢].

وُلِدَ بحلبَ ليلةَ الاثنين الثالث من شَهْرِ ربيع الأول سنةَ ثمان وتسعين وست مئة، وتفقه على فخر الدين خَطيب جِبْرين[٣]، وسمعَ بها من التَّاج النَّصِيبي، والعِزِّ إبراهيم بن صَالِح، وأبي المكارم محمد بن أحمدِ، والقَاضي بدر الدين محمدِ بن جَماعة في آخرين. وطلب الحَديث، فبرَع ومَهَر واشتُهرَ مع الدِّين والورع، ووَلِيَ خِطابة قَلْعَةِ حَلَب عِشرينَ سنة. وكان دَمِث الأخلاق مستحضرًا للعلم، صالحًا.

توفي في سادس عَشَر ذي الحجة سنةَ أرْبعٍ وسبعين وسبع مئة.

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٧٠، والدرر الكامنة ١/ ١٧٩، وإنباء الغمر ٢/ ١٩٣، ووجيز الكلام ١/ ٢٧٤، وشذرات الذهب ٦/ ٢٩٥.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢٠٨، والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٣٦٠، والدرر المنتخب، الترجمة ٢٠٦، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٤)، والدرر الكامنة ١/ ٢٧٧، وإنباء الغمر ١/ ٤٣، وبدائع الزهور ١/ ١١٦.

(٣) هكذا في أ وجـ، والمعروف أنّه ابن خطيب جبرين، وهو عثمان بن علي بن عثمان الطائي الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٧٣٩ (الوفيات لابن رافع ١/ ٢٤٢، وذيل العبر ٢٠٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٤٢).

١٧١ - أحمدُ بن عبدالكَريم بن أبي بكْرِ بن أبي الحَسَن البَعْلي الصُّوفي[١].

وُلِدَ سنةَ نيِّفٍ وتسعين وست مئة، وسمعَ من زينب بنتِ كِنْدي، واليُونيني، والتاج عبدالخالِق، وغيرهم. وأجاز له ابنُ عساكر، وابن القَوَّاس. وحدَّث بالكثير، وارتَحلُوا إليه، وطَلَبه القاضِي تاجُ الدين ابنُ السُّبكي حتَّى سَمِعوا عليه بدمشقَ «صحيحَ مسلم» بسماعه له من زينبَ بنت كِنْدي عن المؤيَّد.

توفي في رَجَب سنةَ سبعٍ وسبعين وسبع مئة.

١٧٢ - أحمدُ بن قُطْلُو العَلائي[٢].

كانَ أبوه مَوْلَى علاء الدين كُنْدُغْدِي العُمَري. ووُلِدَ أحمدُ بحلبَ سنةَ سبعَ عشرة وسبع مئة. وسمع من العِز إبراهيم بن صَالح، وحدَّث.

توفي في ثامن عشري شعبان سنة ثمان وتسعين وسبع مئة.

١٧٣ - أحمدُ بن نَصْر الله بن أحمد بن محمد بن عُمَرَ، قاضي القُضاة مُحِبُّ الدين أبو الفضل ابنُ الشَّيخ جلالِ الدين. الشُّشْتَرِيُّ الأصل، البغداديُّ المولد، الحَنْبَليُّ[٣].

اعلَمْ أنَّه لم يَلِ أحدٌ من الحنابلَةِ القَضاءَ بمصرَ في دولَةِ الأمراء أيَّامَ كانتْ مصرُ يَليها الأمراءُ من قِبل خلفاءِ بني العَبَّاس، ولا وَلِيَ أحدٌ منهم

---

(١) ترجمته في: الذيل على العبر للعراقي ٢/ ٤٠٥، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٧)، والدرر الكامنة ١/ ١٨٨، وإنباء الغمر ١/ ١٦٠، وشذرات الذهب ٦/ ٢٥٠.

(٢) ترجمته في: الدر المنتخب، الترجمة ١٩٠، والدرر الكامنة ١/ ٢٥٢، وإنباء الغمر ٣/ ٨٦، وشذرات الذهب ٦/ ٣٢٧.

(٣) ترجمته في: السلوك ٤/ ١٢٣١، والدر المنتخب، الترجمة ٢٤٣، ورفع الإصر ١/ ١١١، وإنباء الغمر ٩/ ١٣٩، والدليل الشافي ١/ ٩٣، والضوء اللامع ٢/ ٢٣٣، ووجيز الكلام ٢/ ٥٧٣، وحسن المحاضرة ١/ ٤٨٣، وشذرات الذهب ٧/ ٢٥٠.

القضاء في أيام الخُلفاء الفاطميين، ولا في أيام مُلوكِ بني أيوب، بل كان عندَ بعضِ أصحابنا تقليدُ قاضي القُضاة شرَف الدين أبي المكارم محمد ابن القاضي الرَّشيد أبي الحَسَن عبدالله بن أبي المَجد الحسن المعروف بابنِ عَيْن الدَّولة الصَّفْراوي الشَّافعي لقضاء ديار مصر من قِبَلِ السُّلطان المَلِك الكَاملِ ناصرِ الدين أبي المَعالي مُحمد ابن العَادِل أبي بكر بن أيوب، وعليه خطه، وفيه أنَّه لا يَستَنِيبُ في الحكم حَنَفيًّا ولا حَنْبَليًّا.

فلما أحدَثَ السُّلطان الملكُ الظَّاهرُ ركنُ الدين بَيْبَرْسُ البُنْدُقداري ولايةَ قُضاةٍ أربعة، وَلَّى قَضاءَ الحَنابِلةِ الشيخَ شمس الدين أبا بَكْر محمدَ ابن إبراهيم بن عبدالواحد الجَمَّاعيلي في ثالثِ عِشْري ذي الحجَّة سنة ثلاثٍ وستين وست مئة، وهو أوَّلُ من درَّس الفقه على مَذْهب الإمام أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله بالمدارس الصَّالِحية، وأوَّلُ من وَلِيَ قضاءَ القُضاة الحَنابِلة بديار مصر. وكان الصَّاحِبُ بهاءُ الدين عليُّ بنُ سَلِيم بن حِنَّا يتحامل عليه ويغري به السُّلطان لعدَم خُضُوعه له حتَّى أوقعَ الحوطَةَ على داره، وصُرِفَ عن القَضاءِ في ثاني شَعبانَ سنةَ سبعين وست مئة، ثم حُبس بسببِ ودائع أُكْرِهَ على أخذِها من بيته، فأقام مَسْجونًا سنتين، وأُفرج عنه فلزم داره حتى ماتَ في ثاني عِشري المحرَّم سنةَ سِتٍّ وسَبْعين وست مئة، ولم يَلِ أحدٌ القضاءَ في هذه المدة.

ثم وَلِيَ بعدَ ذلك عِزُّ الدين عمرُ بن عبدالله بن عُمر بن عوض في النصف من جُمادى الأولى سنةَ ثمانٍ وسَبْعين حتى ماتَ في صفر سنة ست وتسعين.

ووَلِيَ شَرَفُ الدين أبو محمد عبدُالغَنِي بنُ يحيى بن مُحمدٍ الحَرَّاني، وماتَ في رابع عِشْري شهرِ ربيع الأوَّل سنةَ تسع وسبع مئة.

فوَلِيَ سَعْدُ الدين مَسعُودُ بن أحمدَ بن مسعود الحَارثي في ثالثِ ربيعِ الآخر منها، وعُزل بعد سنتين ونِصْف.

ووَلِيَ تَقيُّ الدين أحمدُ ابن قاضي القُضاة عِزِّ الدين عمرَ بن عبدالله ابن عمرَ بن عِوَض المقدسي في حادي عشر ربيع الأوَّل سنةَ ثِنتي عشرةَ

بعدما شَغَر منصبُ القضاءِ ثلاثة أشهر، فتحكَّم ولَدُه في بَيْعِ الأوقافِ، وساءت سيرتُه فأُهين وصُرِفَ والده.

ووَلِيَ موفق الدِّين عبدالله بن محمد بن عبدالملك المَقْدسي في نصف جُمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين، فعظُم قدره لحُسنِ سيرته وعِلْمه وقوّته حتى ماتَ في سابع عِشري المحرم سنة تسع وستين.

ووَلي شيخُنا ناصرُ الدين نصرُ الله بن أحمد بن محمد العَسْقلاني حتى مات ليلةَ الحادِي والعِشرين من شَعْبان سنة خمسٍ وتسعين وسبع مئة.

ووَلِي ابنُه برهانُ الدين إبراهيم بن نَصْرِ الله بن أحمد حتى ماتَ في ثامن ربيع الأول سنة اثنتين وثماني مئة.

ووَلِيَ أخوه موّفق الدين أحمدُ بن نَصْرِ الله بن أحمد في سابع عشره، وصُرِفَ بنورِ الدين عليٍّ ابن الحكْري في ثاني جُمادى الآخرة منها. ثم أعيدَ في سابع عشري ذي الحجَّة منها، وماتَ في حادي عشر رمضان سنة ثلاث وثماني مئة.

واستقرَّ مجدُ الدين سالمُ بن أحمد في ثالث عِشْريه، وصُرِفَ بعَلاءِ الدين عليّ بن محمود بن أبي بكر، ابن المُغلي الحَمَوي حتى ماتَ في العِشرين من صَفَر سنةَ ثمانٍ وعشرين.

فوَلِيَ مُحِبُّ الدين أحمدُ بن نَصْر الله صاحِبُ التَّرجمة، ومولدُه ببغداد في رجب سنةِ خمسٍ وستين وسبع مئة، وسَمِعَ بها على أبيه الشيخ جَلالِ الدين نَصْرِ الله بن أحمد بن محمد بن عمر الشُّشْتَري، وعلى نَجْم الدين أبي بكر بن قَاسِم السِّنجاري، ونُورِ الدين عَلِيِّ بن أحمدَ الفُوِّي. ثم خرجَ من بغدادَ سنةَ ثمانٍ وثمانين لطلَبِ العلم، فورد حَلَبَ ودمشقَ، وقَدِمَ القاهرة فقرأ وسمعَ الحديثَ على من أدْرَكَ من شيوخنا، وأكبَّ على الاشتغالِ، ولازم شيخنا صَلاحَ الدِّين محمد ابن الأعْمَى الحَنبلي، وشيخَ الإسلام سِراج الدين عُمر البُلْقيني فبرَع في الفِقْه والعربيّة والحديث، ودرَّسَ بالظَّاهِرية المستجدَّة بين القَصْرين من القَاهرة الحديثَ والفقهَ،

وكتَبَ على الفَتْوى فأجاد، ونابَ في الحُكْم عن ابن المُغْلِي، وحَضَر مجلسَ السلطان الملك المؤيَّد شيخ مع الفقهاء في كل أسبوع، وصارَ فقيهَ الحنابلة وعالِمَهم.

فلما ماتَ ابن المُغْلِي استُدْعِيَ وخُلع عليه في يوم الاثنين رابع عِشْري صفر سنة ثمان وعشرين وثماني مئة، واستقرَّ قاضِي القُضاةِ الحَنابِلَة حتى صُرِفَ بعزِّ الدين عبدالعَزيز بن عليّ ابن العِز البَغْدادي في ثالث عَشَر جُمادَى الآخرة سنةَ تسعٍ وعشرين، ثم أعيدَ في يوم الثلاثاء ثاني عَشَر صَفَر سنة إحدى وثلاثينَ، فلم يَزل على قضاءِ القضاةِ حتى توفي يومَ الأربعاء النصفَ من جُمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثماني مئة، ودُفنَ من يومه خارجَ بابِ النَّصْر، وكانَ الجمعُ موفورًا والثناءُ عليه جميلاً؛ فالله يرحمه، فإنَّه منذ قَدِم القاهرةَ صاحِبًا لي، فما عَلِمته إلا صَوَّامًا قَوَّامًا، صاحبَ حظٍّ من صلاة الليل وورْدٍ من القرآن والأذكار، واتِّباع للسُّنة ومحبَّةٍ لها ولأهلها، وكانتِ السُّنَّة النبوية هي الجامعَ بيني وبينه. وما أعلم بعده في الحنابِلَةِ مثلَه، ولا أعلمُ فيه ما أعيبُه به سَوى تقلُّده القضاء، فالله يُرضِي عنه أخصامَه، ويتجاوزُ عن سيِّئاته بمَنِّه وكَرَمه.

١٧٤- أحمدُ بن أحمدَ بن أحمدَ بن الحُسين بن مَوْسَك، الشيخُ شهاب الدين أبو سَعِيد ابن الشيخ شهاب الدين أبي الحُسين الهَكَّاري، أخو شَيْختنا جُوَيْرية بنتِ أحمدَ الهَكَّارية[1].

كانَ أبوهُ من المُكْثرين. سمعَ من الحافِظ أبي أحمد الدِّمياطي، وكتب الكثيرَ بخطِّه الفائق، وماتَ سنةَ خمسين وسبع مئة. وسمعَ أبو سَعِيد صاحبُ الترجمة على النُّورِ ابن الصَّواف بسموعه على النَّسائي، وسمعَ أيضًا على النُّور التَّغْلبي، ومحمد بن علي بن ساعد، والشريفِ عز

(١) ترجمته في: الذيل على العبر للعراقي ١/ ٩٨، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٣)، والدرر الكامنة ١/ ١٠٤، ووجيز الكلام ١/ ١٢٧، وحسن المحاضرة ١/ ٣٥٨، وذيل طبقات الحفاظ ٣٥٧، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥٢٥.

الدين المُوسَوي، وسِتِّ الوُزراء، وغيرهم. ومات في خامس جُمادَى الأولى سنةَ ثلاثٍ وستين وسبع مئة.

١٧٥- أحمدُ بن إبراهيم بن عليّ بن الخَضِر بن سَعيدِ بن صاعِدِ الصَّهْيَوْنيُّ الشافعي، المؤذن بجامع دمشق[١].

وُلِدَ سنةَ اثنتين وثمانين وست مئة، وسمعَ على ابن القَوَّاس «معجم ابن جُمَيْع»، وعلى الشَّرَفِ ابن عساكر «مَشْيختَه»، وتفقه.

قال ابنُ رافع[٢]: كانَ خَيرًا حَسَنَ المُلْتَقى، سمع منه الإمامُ بَدْرُ الدِّين ابن مَكْتوم وغيره[٣]، ماتَ في صَفر سنةَ إحدى وستين وسبع مئة.

١٧٦- أحمدُ بن إسحاقَ بن يحيى بن إسحاقَ الآمدي ثم الدِّمشقيُّ، بَدرُ الدين ابن عفيف الدين[٤].

وُلد سنةَ ثلاثٍ وتِسعين وست مئة، وسمعَ على عُمَرَ ابن القَوَّاس «معجم ابن جُميع» وعلى الشَّرفِ ابن عَساكر، وعلى أبي الحُسَيْن اليونيني وعلى والده العَفِيف إسحاقَ، وماتَ في ذي القَعْدة سنة خمس أو أربع وستين وسبع مئة.

قال ابن رافع[٥]: كان لَيِّنَ الكلمة، حَسَنَ المُلتقى، مُحِبًا لأهل الخَيْر.

١٧٧- أحمدُ بن إسماعيلَ بن أحمدَ بن عُمَرَ بن أبي عُمَرَ المعروف بابن النَّجْم المقدسيُّ[٦].

---

(١) ترجمته في: الوفيات لابن رافع السلامي ٢/ ٢٣٠، والدرر الكامنة ١/ ٩٨.

(٢) الوفيات ٢/ ٢٣٠- ٢٣١.

(٣) قوله: «سمع منه الإمام بدر الدين ابن مكتوم وغيره» ليس في وفيات ابن رافع، فلعله في معجمه أو هو من إضافات المصنف.

(٤) ترجمته في: وفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٢٧٨، والذيل على العبر للعراقي ١/ ١٤٢، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٥)، والدرر الكامنة ١/ ١١٠ و٣/ ٤٧٢.

(٥) الوفيات ٢/ ٢٧٨.

(٦) تقدمت ترجمته برقم (١٠٧).

وُلِدَ سنة اثنتين وثمانين وست مئة، وأُسْمِعَ على الفَخْر ابن البُخاري، والتَّقِي الوَاسطي، وأحمدَ بن عبدالمؤمن الصُّوري، وغيرهم. وعُمِّر، وتفرَّد من مسموعه على الفَخرِ من «مشيخته»، والمجالس الستَّة الأخيرة من «أمالي أبي الحسين ابن سمعون» و«جزء الغِطْريف»، ومن أبي الفضل ابن عساكر أحاديثَ من «مشيخته» و«جزء البَانياسي»، وعلى التَّقِي الواسطي «أربعين الحاكم»، وحدَّثَ.

تُوفي في ثالثِ جُمادَى الآخرة سنةَ ثلاث وسَبْعين وسبع مئة.

١٧٨- أحمدُ بن عبدالله بن أحمد بن ناصح، هو ناصِحُ الدين عبدالرحمن بن نجم الحَنْبلي[١].

وُلِدَ سنةَ اثنتين وسبعين وست مئة، وسمعَ من مُحمد بن مُشَرّف، والتَّقِي سُليمان، وغيرهما. وكان يتكسّب في حانُوتٍ بالمِزَّة.

تُوفي في المحرم سنة أربع وثمانين وسبع مئة.

١٧٩- أحمدُ بن علي بن أبي بكْرِ بن بُحْتُر بن خَوْلان، شِهابُ الدِّين الصَّالحيُّ الحَنفَيُّ[٢].

وُلِدَ في ذي القَعْدة سنةَ أربع وثمانين وست مئة، وسمعَ على الفَخْرِ ابن البخاري بعض «مَشْيَخَتِهِ»، ومن زينَب بنت العَلَم. وحدَّث، ودرَّس، وخَطَب بقلعةِ دِمشق، وكتبَ في توقيع الحُكْم.

وماتَ في تاسِعِ ربيعِ الأول سنةَ ستين وسبع مئة.

١٨٠-أحمدُ بن أحمد بن عمر بنِ أحمد بن أحمدَ بن مَهْدي المدْلِجيُّ، شهابُ الدين ابن الشيخ كمالِ الدين، النَّشائيُّ الشافعيُّ[٣].

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٩٤، والدرر الكامنة ١/ ١٩٠، وإنباء الغمر ٢/ ١٠٥، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨٣.

(٢) ترجمته في: ذيل العبر للحسيني ٣٢٨، ووفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٢١٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٠)، والدرر الكامنة ١/ ٢٢٠، ووجيز الكلام ١/ ١٠٣، والطبقات السنية ١/ ٤٦١.

(٣) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ١٠٧.

ولد الكَمال[1] في ذي القَعْدة سنةَ إحدى وتسعين وست مئة، وسمعَ على الرَّضِي الطَّبَري، وشَرَف الدين الدِّمياطي، وعبدالأحد ابن تيميَّة. وتفقه ففاق الأقرانَ واشتُهرَ صيتُهُ، وصنَّفَ التصانيف. دَرَّس بجامع الخَطِيري خارجَ القاهرة، وأعادَ بعدَّةِ دُروس. قال الإسنوي في «الطبقات»[2]: كان عارفًا للمَذْهب، حافظًا له، مُطَّرِحًا للتكلف مُتَصَوِّنًا، وكان في خُلُقِه حِدَّةٌ كأبيه انتهى. ومن مصنفاته: «كَشْفُ غِطاءِ الحَاوي» و«الإبريز في الجَمْع بين الحاوي والوَجيز» و«جامع المختصرات». تُوفي في صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة.

وكان له ولدٌ اسمُه أحمدُ صاحبُ الترجمة، وكان فقيهًا ماهرًا، ماتَ سنةَ اثنتين وسَبْعين وسبع مئة.

١٨١- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن أبي القَاسم، بَدرُ الدين ابن الزَّقَّاق، أبو العَبَّاس ابن الجُوخي المقرىء[3].

ولد سنةَ ثلاث وثمانين وست مئة. سمعَ على الفخر ابن البُخاري «مشيخته»، وعلى زَيْنب بنت مكي «مسند الإمام أحمد». وعلى التَّقِي الواسطي، وعُمَر بن عبدالمنعم وغيرهم، وحدَّث بالكثير، وخرَّج له جمال الدين السُّرَّمرِّي «مشيخة»، وخرَّج له الجيتي أخرى، وأخذ عنه شيخُنا العِراقي والهيثمي. ومن مسموعاته «مُسْنَدُ أحمد» على زَينب بنت

---

(١) يعني أبا المترجم، وجل الترجمة له، وترجمته في طبقات السبكي ٩/ ١٩، وطبقات الإسنوي ٢/ ٥١٠، والدرر ١/ ٢٣٨ -٢٣٩ ، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٣، وحسن المحاضرة ١/ ٤٢٢، وشذرات الذهب ٦/ ١٨٢.

(٢) الطبقات ٢/ ٥١٠.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٨٩، وذيل العبر للحسيني ٣٦١، ووفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٢٦٤، والبداية والنهاية ١٤/ ٣٠٢، والذيل على العبر للعراقي ١/ ١٢٧، ومنتخب معجم ابن رافع السلامي، الترجمة ٨٣، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٤)، والدرر الكامنة ١/ ٢٦٥، والدارس ١/ ١٤٠، وبدائع الزهور ١/ ١٠.

مكي، قالت: أخبرنا حنبل، وقطعة من «مسند الهيثم بن كُلَيْب» بسماعه من أحمد بن شَيْبان قال: أخبرنا ابن طبرزد. وخدم بديوان الجيش، ثم أقبل على إسماعِ الحديثِ حتى ماتَ في حادي عشرَ شهر رمضان سنة أرْبعٍ وستين وسبعَ مئة.

١٨٢- أحمد بن محمد بن الحَسَن ابن الإمام المَرْصَدِي الجَزَائري[١].

سمعَ من العزِّ الحَرَّاني، ومحمد بن أبي الذِّكر الصِّقلِّي، والشريف عِزِّ الدين المُوسوي. ومحمد بن عبدالحيمد، والنِّظام الخَليلي، وهو آخر من حدَّث عنه، وحدَّث. فروى عنه غير واحدٍ. توفي سنةَ ستين وسبع مئة.

١٨٣- أحمدُ بن محمد بن أبي الزَّهرِ سالِم بن مَنْصور بن عَطِيَّة الهَكَّاريُّ الغَسُّوليُّ[٢] **الدِّمشقيُّ الصالحيُّ**[٣].

وُلِدَ سنةَ ثمانين[٤] وست مئة، وسمع على الفخر «مشيختَه»، وعلى التَّقي «مسند أحمد» و«الغَيلانيات»، وهو من أولاد المَشايخ.

توفي في جُمادى الأولى سنة سِتين وسبع مئة.

١٨٤- أحمدُ بن مُحمد بن عبدالله بن عُمَر بن عوض، شَرَفُ الدين، ابن العَطَّار المَقْدسيُّ، ويُقال لأبيه: أبو رُقيَّة، ويُعرَفُ هو بابن المحتَسِب[٥].

---

(١) ترجمته في: وفيات ابن رافع ٢/ ٢٢٥، والدرر الكامنة ١/ ٢٧٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/ الورقة ١٥١.

(٢) جَوّد المصنف تقييده بالقلم بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة.

(٣) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٢٨٠، وشذرات الذهب ٦/ ١٨٨.

(٤) شطح قلم المصنف فكتب «ثمان».

(٥) ترجمته في: وفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٣٧٤، والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٣٢٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٣٨٥، والدرر الكامنة ١/ ٢٩٣، ولحظ الألحاظ ١٥٤.

ولد في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وست مئة، وسمعَ من ابن المَوَازيني، والتَّقِيِّ سُليمان، ومحمد بن مُشَرِّف. وكان عنده عن ابن الموازيني «الأموال» لأبي عُبَيْد، وعن التَّقي سُليمان «مُسند الإمام الشَّافعي» و«العِلم» للمَرْوَزي، وحدَّث.

تُوفي في رجب سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة.

١٨٥- أحمدُ بن محمدِ بن عُمَرَ بن حُسَين العَجَميُّ المعروف بزَغْلِش وبابن مُهَنْدِس الحَرَم[1].

وُلِدَ سنةَ بضع وسبعين وست مئة، وسمعَ على الفَخر ابن البُخاري «مَشْيَخة ابن السِّبْطِ» وتفرَّد بروايتها عنه، وسمعَ عليه أيضًا قطعةً من «الحِلّية»، والجزء الثالث من «فوائد إسماعيل الإخشيذ»، وسمعَ على التَّاج الفَزَاري.

قال ابن رافع[2]: كان جَيِّدًا، كثير التلاوة. مات في ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وسبع مئة.

وقال غيره: عُمِّر حتى قارَبَ المئة. ورأى من أولاده وأحفادِه مئة نفس.

١٨٦- أحمدُ بن محمد بن محمد بن أحمدَ بن عبدالله بن محمد بن أبي بكْر بن محمد بن إبراهيم، شهابُ الدينِ أبو الفَضْل ابنُ نجم الدين ابنِ جَمال الدين ابن مُحب الدين الطَّبري، المَكيُّ الشافعيُّ، قاضي مكَّة وابنُ قاضيها، وابنُ ابنِ قاضِيها[3].

---

(١) ترجمته في: وفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٣٥٠، والذيل على العبر ٢/ ٢٩٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٣٦٧، والدرر الكامنة ١/ ٣١٠، والدارس ٢/ ١٢٥، والقلائد الجوهرية ٢/ ٣٠٤، وشذرات الذهب ٦/ ٢٢٠.

(٢) الوفيات ٢/ ٣٥٠- ٣٥١، وشطح قلم المصنف فكتب: «ابن قانع».

(٣) ترجمته في: ذيل العبر للحسيني ٣٢٩، ووفيات السلامي ٢/ ٢٢١، والعقد الثمين ٣/ ١٦١، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٤٥٤، والدرر الكامنة ١/ ٣١٧، والدليل الشافي ١/ ٧٦، ووجيز الكلام ١/ ١٠٣، وشذرات الذهب ٦/ ١٨٨. =

وُلِدَ سنة ثلاثٍ وسبع مئة بمكة[١]، وسمعَ على جدِّه لأبيه الرَّضي إمام المَقَام، وعلى أخيه صَفِي الدين أحمد الطَّبَرِيَّين عدَّةَ كُتُب، وسمع على الفَخْر التَّوْزَري، وحدَّث، وبرَع في الفِقه وغيره. ودَرَّسَ، ووَلِيَ قضاء مكَّةَ بعدَ أبيه بولاية من الشَّريف عُطَيفَة بن أبي نُمَي أمير مكَّة في سابع جُمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة، ثم فَوَّضَ إليه الملكُ المجاهدُ سيفُ الإسلام عليُّ ابن المؤيَّد هِزَبْر الدين داود ابن المظفَّر شمسِ الدين أبي المَنْصور يُوسُف ابن المَنْصور عُمر بن عليٍّ بن رسول ملكُ اليَمن القَضاءَ. ثم فَوَّضَ إليه السُّلطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون صاحِبُ مصر والشَّام والحجاز القضاءَ في سنة اثنتين وثلاثين، وأضافَ إليه بعد ذلك خطابَةَ الحَرَم في أوَّل شهر رمضان سنةَ ستٍّ وخمسين بعد وفاة نُور الدين عليِّ ابنِ تاج الدين، فعَارضَهُ ضياءُ الدين محمد بن عبدالله الحَمَوي بتوقيع قَدِمَ عليه فمنعه من الخطابة، فوشى به أعداؤه إلى السُّلطان الملكِ النّاصِرِ الحَسَن بن محمدِ بن قلاوون وأغروه به حَتَّى تنكَّر له وهَمَّ به، فمات في سابع عشري شَعبانَ سنةَ ستين وسبع مئة بمكَّة، وله في القضاء مُدَّة ثلاثين سنَةً وستَّة أشهر تنقُصُ أياماً، فقالَ السلطانُ لما بلَغَه موته: الحمد لله سَلِمَ منَّا وسَلِمْنا منه، ووَلَّى عوضَه تقيَّ الدين محمدَ بن أحمدَ بن قاسِم الحَرَازي.

وكانت للشهابِ الطَّبَري أموالٌ جمة، وله أفعالٌ جميلةٌ من البرِّ، مع شهامةٍ وقُوَّةِ نَفْسٍ على العُظماء، وتواضُع للفُقراء، واجتمعَ بالنَّاصر محمد بن قَلاوون لما حج، وجَرَتْ له معه أمورٌ مُسْتحسنة.

---

(١) في حاشية أ تعليق لابن قاضي شهبة نصه: «قال شيخ الإسلام حافظ العصر قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر أمتع الله ببقائه في كتابه «اللالىء الكامنة» أن المذكور ولد سنة ثمان عشرة». قلنا: هو الذي في «الدرر الكامنة» ١/٣١٧.

١٨٧- أحمد بن يوسف بن أحمد، مُحبُّ الدين الخلاطيُّ[(١)].

سمعَ الكثيرَ على عبدالمؤمن بن خَلَف الدِّمْياطي، وسمعَ على أحمد بن إسحاق الأبْرَقُوهي، وعلى غازي المَشْطُوبي، وابن أبي الذِّكر، وابن الصَّوَّاف، وعليّ بن هارون، في آخَرين. وكان يُعاني التجارة، ثم ضَعُفَ وانْقَطع، وحدَّث بالكثير.

تُوفي في رمضانَ سنة سبعٍ وستين وسبع مئة.

١٨٨- أحمد بن محمدٍ بن أحمد بن عمر بن محمد بن ثابت ابن عثمان بن محمد بن عبدالرحمن بن مَيْمُون بن محمود بن حسان ابن سمعان بن يوسف بن إسماعيل بن حَمَّاد ابن الإمام أبي حَنيفةَ النُّعمان بن ثابت رحمة الله عليه، تاجُ الدِّين الفَرْغانيُّ النُّعمانيُّ الحَنَفيُّ، قاضي بغداد[(٢)].

وُلد في يوم الاثنين حادي عَشَر جُمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة بالكُوفة، وبَرَعَ في فُنون، ووَلِيَ قضاءَ بغداد، ثم قَدِمَ علينا القاهرة بعد سنة عشرين وثماني مئة، وقد أخرجهُ قَرا يُوسف من بغداد بعدما جَدَعَ أنفه، فصحبتُه مُدةً، ثم مَضى إلى دمشق وماتَ بها أوَّل يومٍ من محرمٍ سنة أربعٍ وثلاثين وثماني مئة.

وله رسالة تكلَّمَ فيها على أربعةَ عشر عِلْمًا، ونظمَ في علوم الحديث أُرجوزةً، وشرَحَها، واختصر «شرحَ البُخاري» للكِرْماني، ورأيتُ له إجازةً كتبها بخطه لبعضِ الطَّلَبةِ ذكرَ فيها مَرْوياتٍ عديدة.

١٨٩- أحمد بن محمد بن محمد بن محمد[(٣)]**المعروفُ بابن**

---

(١) ترجمته في وفيات ابن رافع ٢/ ٣٠٨، والذيل على العبر للعراقي ١/ ٢٠١، والدرر الكامنة ١/ ٣٥٩.

(٢) ترجمته في: الدليل الشافي ١/ ٧٧، والضوء اللامع ٢/ ٨٢.

(٣) لم يذكر السخاوي في نسبه محمدًا هذا، وقال: «وزاد شيخنا في نسبه محمدًا»، وقال في ترجمة أخيه علي في الضوء اللامع ٦/ ٢١: «ومن ذكر في آبائه محمدًا ثالثًا فقد وهم».

أبي الوفاء الشاذليُّ[1].

وُلد سنة ستٍّ وخمسين وسبع مئة بظاهرِ مدينةِ مِصْر، ولزِمَ الخَلْوةَ، وقامَ أخوهُ عليّ بعمل المِيْعاد حتى ماتَ بالقاهرة في يوم الأربعاء ثاني عشري شوالٍ سنة أربع عشرةَ وثماني مئة، ودُفن عند أبيه وأخيه بالقَرَافة.

وقد ذكرتُ أباه وأخاه في مَواضعهما من هذا الكتاب، وتركَ أحمدُ هذا أولادًا نُجباءَ هم أبو الفَضْل[2] وغَرقَ في النيل سنة ثلاثَ عشرةَ عن نحو الخمسين سنةً، وله شعرٌ بديع، وأبو الفَتْح محمد، وهو حاملُ راية مَجْدهم، ويعملُ الميعاد، ويُدَرِّسُ الفِقْهَ على مذهب المالكية، إذ هو مَذْهب سَلَفه، وأبو المكارم إبراهيم وماتَ عن خمسٍ وأربعين سنة في سنة ثلاث وثلاثين؛ وأبو الجُود حسن وماتَ عن تسعَ عشرةَ سنة في سنة ثمانٍ وثماني مئة؛ وأبو السعادات يحيى، ومولده سنةَ ثمانٍ وتسعين وسبع مئة وله شعر.

١٩٠- أحمد بن محمد بن عيسى بن عليّ اللَّجَائيُّ - بفَتْح اللام وتشديدها وفتح الجيم، نسبةً إلى قبيلة من قبائل أورنة إحدى قبائل البَرْبر - الفاسيُّ المغربيُّ الفقيه، أبو العباس المالكيُّ[3].

وُلدَ بفاس من بلاد المغرب الأقَصْى في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة، وأخذَ القراءات عن أبي عبدالله محمد بن سُليمان القَيْسي الكَفِيف، وعن أبي الحَجاج يوسف بن مَبْخوت. وتفقه بالخَطِيب أبي القاسم بن عبدالعزيز التَّازغدري[4]، وبأبيه الفَقيه أبي عبدالله محمد ابن عيسى، وعنه أخذَ العربية وعِلْمَي المعاني والبَيَان وغيرَ ذلك. ثم

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ١٨٣، والدليل الشافي ١/ ٧٧، والضوء اللامع ٢/ ٢٠٢.

(٢) اسمه أبو الفضل عبدالرحمن، شذرات الذهب ٧/ ١٠٦.

(٣) ترجمته في: نيل الابتهاج ٧٨، والضوء اللامع ٢/ ١٦٣.

(٤) منسوب إلى «تازغدرة» قرية في بني زروال.

خَرَج إلى الحجِّ في سنة ثمانٍ وثلاثين وثماني مئة، فأدَّى فريضةَ الله، وجاوَرَ بمكةَ فلقيني بها سنة تسع وثلاثين، ولازمني، وسمعَ عليَّ بعضَ كتاب «امتاع الأسماعِ بما للرَّسولِ من الأبناءِ والأخْوَال والحَفدَةِ والمَتاع» ﷺ. ونعمَ الرجل هو.

أخبرني، سلَّمَهُ الله، أنَّ في سنة عشرين وثماني مئة كَثُرت الأمطارُ والسُّيولُ بأعمال فاس فظهرَ سِنُّ إنسان طولُه ذراعٌ في عَرْضِ شِبْر. ثم قَدِمَ القاهرةَ، ومضَى منها في البحرِ يريدُ بلادَ المَغْرب، فأسَرَه الفِرَنْج بجزيرة رودس، ثم خلص منهم بمالٍ جُبيَ له من القاهرة، وعادَ إليها، ثم سارَ منها في سنة ثلاثٍ وأربعين فبلغنا موتُه قبلَ وصولِهِ إلى بَلَدِهِ وهو بالصَّحْراء.

١٩١- أحمد بن يوسف بن مالك، الإمامُ شهابُ الدِّين، أبو جعفرٍ الرُّعَيْنيُّ الغَرناطيُّ المالكيُّ(١).

رحلَ من بلاد المَغْرِب، وأقامَ بحَلَب ثلاثينَ سنةً، حَجَّ في أثنائها مِرَارًا، وجاورَ بالحَرَمين، وماتَ بحلَبَ عن سبعين سنةً في نصف رمضان سنةَ تسع وسبعين وسبع مئة.

وكان عالمًا بالنحو والتَّصْريف والبَديع والعَرُوض، يُجيدُ قراءةَ الحديث، ويشاركُ فيه مشاركةً جيِّدةً، وله يَدٌ طولى في فَنِّ الأدَب، وإتقانٌ لعلْم اللغة. وله مؤلفاتٌ وشُروح في النَّحو، والتَّصريف، والبديع، والعَروض منها «شَرْحٌ» مطوَّلٌ على ألفْية ابن عَبْدِالمعطي، وله

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٣٢٥، والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٤٧٣، وغاية النهاية ١/ ١٥١، والدر المنتخب، الترجمة ٢٦٥، تاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٩)، والدرر الكامنة ١/ ٣٦١، وإنباء الغمر ١/ ٢٤٤، والمجمع المؤسس، الترجمة ٢٨٩، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٨٩، ووجيز الكلام ١/ ٢٣٦- ٢٣٧، والتحفة اللطيفة ١/ ٢٥٩، وبغية الوعاة ١/ ٤٠٣، وبدائع الزهور ١/ ٢٢٢، ودرة الحجال ١/ ٦٢، وشذرات الذهب ٦/ ٢٦٠، وسيعيده المصنف برقم (٢٨٠).

النظمُ البَديع والنثرُ الفائق.

١٩٢- أحمد بن عليٍّ بن يوسف بن نَجيب الدين بن أبي بكرٍ يحيى ابن أبي الفَتْح، الإمامُ شهابُ الدين السِّجِسْتانيُّ، ثم المَكيُّ، الفقيه الحَنَفي، إمامُ مَقام الحَنَفيةِ بالمسجدِ الحَرام[1].

وُلدَ سنة ثلاثٍ وسبعين وست مئة بمكة، وسمعَ بالإسكندريَّة على الشَّريف الغَرَّافي[2] «تاريخ المدينة» لابن النَّجَّار، وسمعَ بمكة «الشاطبية» على التَّوْزَري، و«السيرة» لابـن هشام، وكتاب الأزرقي على القاضي نجم الدِّين الطَّبَري وكتاب «إتحاف الزائر» لابن عساكر على الجَمَال المَطَري. وأسمعَ «تاريخ المدينة» مِرارًا، سَمِعه عليه شيخُنا ابن سُكَّر[3] مَرَّتين.

تُوفي بمكةَ سنة اثنتين وستين وسبع مئة، وكان مُمَتعًا بسمعهِ وبصره إلى حين وفاتهِ.

١٩٣- أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن عليّ، شهابُ الدين أبو العباس ابن إمام الدين ابن زَيْنِ الدين ابن أمين الدين ابنِ الحافظ قُطْب الدين أبي بكرَ ابن الحافظ كَمال الدين أبي العباس القَيْسي القَسْطلانيُّ المكيُّ الشافعيُّ، سِبْطُ الشيخ عَفيفِ الدين الدِّلاصي المُقرىء[4].

مولدهُ في المحرم سنةَ سَبْعٍ وسبع مئة. سمعَ على الرَّضي الطَّبَري

---

(١) ترجمته في: الذيل على العبر للعراقي ١/١٠٦، والعقد الثمين ٣/١١١، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٢)، والدرر الكامنة ١/٢٣٦، والدليل الشافي ١/٦٤، والمنهل الصافي ١/٤٠٤، ووجيز الكلام ١/١٢٦، والطبقات السنية ١/٤٧٦.

(٢) هو عزالدين إبراهيم بن أحمد بن عبدالمحسن الحسيني الغرافي (ت ٧٢٨).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن علي البكري الحنفي المعروف بابن سكر والآتية ترجمته في موضعها من هذا الكتاب.

(٤) ترجمته في: العقد الثمين ٣/١٢٦، والدرر الكامنة ١/٣٢٠، وإنباء الغمر ١/١٠٧.

عدَّةً من كُتُب الحديث، وسَمِعَ على عيسى الحجي والصَّفي أحمد الطَّبَري، والحافظ جمال الدين محمد بن أحمد المَطَري وجماعة. وأسمعَ بمكةَ واليمن؛ حدثنا عنه ابن سُكَّر، وتوفي بمكةَ في أوائل شَوَّال سنة ستٍ وسبعين وسبع مئة.

١٩٤- أحمد[(١)] بن أبي بكر بن[(٢)]، مُحيي الدين ويُدْعى شهابَ الدين الرَّدَّاد القرشيُّ البكْريُّ اليمانيُّ، أحدُ أصحاب الشيخ إسماعيل الجَبَرْتي الصوفي[(٣)].

وُلد سنةَ سَبْعٍ وأربعين وسبع مئة، واشْتَغل بالعِلْم، وسَلَكَ على يد الشيخ إسماعيل، ولازَمَه زيادةً على أربعين سنةً حتى فاقَ أقْرانه في تهذيب النَّفْس ورياضة الأخلاق، وعُدَّ من أعلام الصُّوفية وأئمتهم. وَليَ قَضاءَ اليمن بعد موت شيخنا مجد الدين الشيرازي[(٤)] حتى ماتَ ليلةَ التاسعَ عشر من ذي القَعْدةِ سنةَ إحدى وعشرين وثماني مئة.

ولهُ مُصَنفاتٌ منها: كتاب «عُدَّة المُرْشدين وعُمدة المُسْتَرشدين في أحكام الخِرْقة والنِّسْبة للباس والصُّحبة»، ولم يُسْبَق لمثله، وكتابُ «القواعد الوَفية في أصل خِرْقَة الصُّوفية»، وكتاب «ذي الفِقار المار بيد الفَقْر المَنْصور».

ومن شعره على طَريق القَوْم:

وَلَوْ أنَّ لي ما كان في الكَوْن كُله ... وكانت ليَ الأكْوانُ بالأمَرْ ساجِدَهْ

---

(١) سقطت هذه الترجمة من جـ، وهي ثابتة في أ.

(٢) بيّض المصنف قدر كلمتين، وسيأتي في الترجمة (٢٤٧) أن اسمه «محمد».

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٣٢٩/٧، وذيل الدرر، الترجمة ٥٠٠، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٨٤، والضوء اللامع ١/ ٢٦٠، ووجيز الكلام ٢/ ٤٥٢، وبدائع الزهور ٢/ ٤١، وهدية العارفين ١/ ١٢٣. وسيعيده المصنف بترجمة أوسع (الترجمة ٢٤٧).

(٤) قال السخاوي: «وولي القضاء بعد وفاة المجد الشيرازي بثلاث سنين لكون الناصر ابن الأشرف تركه شاغرًا بعد المجد هذه المدة» (الضوء اللامع ١/ ٢٦١).

لما نَظَرَت عَيْني إليها ولا رَنَتْ   إذا لَمْ تَكُنْ ذَاتي لِذاتِكَ واجِدَه

١٩٥- أحمد شاه بن أحمد بن حسن شاه بن بَهْمن شاه، شهابُ الدين، السُّلطان الفقيهُ الحَنَفي، أبو المَغَازي، صاحبُ كَرْبَلْكا[١] من بلادِ الهِنْد[٢].

وُلد بها، ونشأ هو وأخوه فيروزُ شاه في خِدْمةِ عَمِّهما، فلما ملكَ فيروز شاه بعدَ عَمِّه، وأرادَ اللهُ زوالَ مُلْكِه عزمَ على إقامةِ وَلَدِه حسن شاه في السَّلْطَنة، فخوَّفه وزراؤه من أخيه أحمد خان صاحب التَّرجمة، وأعْلموه أن هذا الأمرَ لا يتمُّ مع وجُوده، وحَسَّنُوا له أن يقتُله، فلم يُعْجبه قَتْلهُ، فما زَالوا به حتى وافَقَهم على أنْ يفقأ عينيه، فبعث يستدعيه ليُفْطر معه، وكان في شهر رَمَضانَ، وقد عَملَ لأبيه مُجْتَمعًا، وذلك أن عادةَ أهْلِ الهندِ إذا ماتَ لهم ميتٌ عَمِلوا مُجْتمعًا على أكْلٍ في مثل ذلك اليوم الذي ماتَ فيه من كُلِّ سنة فعملَ السلطانُ فيروزُ شاه سِمَاطًا لذلك، ودَعَا أحمد خان ليقبضَ عليه، وكان بعضُ الخُدَّام قد نَقَلَ إليه ما دَبَّرَه الوزراء مع السُّلطان في إتلافِ عَيْنَيه، فوعَدَه بأنه يأتيه بعدما يُفْطرُ، وأخَذَ في جَمْع حاشيته ومن يلوذُ به وألْبَسَهُم السِّلاحَ وركبَ بهم، ومن جُمْلتهم خَلَفُ بن حسن بن مُقَدَّم بن مهيوب القَحْطاني، يَقْدُمُهم قُبَيل غُروب الشمس، وخرجُوا من كَرْبلكا حتى نَزَلُوا بناحيةٍ يُقال لها سُلطان فُور، وبها فِيَلَة

---

(١) وتكتب أيضًا «كلبرجة» و«كربرجة»، وهي إقليم من أقاليم الدكن بالهند (ينظر التعليق على الدليل الشافي ١/ ٣٨).

(٢) ترجمته في: السلوك ٤/ ٩٥٣، وإنباء الغمر ٨/ ٣٥٨، والنجوم الزاهرة ١٥/ ١٩٤، والمنهل الصافي ١/ ٢١٥، والدليل الشافي ١/ ٣٨، والضوء اللامع ١/ ٢١٠، ووجيز الكلام ٢/ ٥٣٨، وفي دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ٤/ ٢٧٣، أسماء ملوكهم، وفي الطبعة الجديدة النص العربي ٢/ ٩٢٣، «آل بهمن»، أنه تولى ١٨ سلطانًا مسلمًا منهم في الدكن من سنة ٧٤٨ إلى سنة ٩٣٣ هـ (١٣٤٧ - ١٥٢٧)، وتولى السلطان شهاب الدين أحمد (صاحب الترجمة) سنة ٨٢٥ هـ وأصبحت عاصمتهم محمد آباد - بدار، وأعقبه علاء الدين أحمد سنة ٨٣٩ هـ، وهو الذي يسميه المقريزي أحمد ظفر شاه.

السُّلطان، فأخذ أحمد خان منها خمسةَ عشر فيلاً وسار، فلما أصبح السُّلطان فيروز شاه عَلِم بذلك. فقبض على أولاد أخيه ونسائه وسَجَنهُم، وقد جمع الوزراء والأمراء، وأنكر على وزرائه ما أشارُوا به عليه في أمْرِ أخيه، فالتزموا له بالقَبض عليه، فأنْفَق فيهم وفي عساكره وأخرجهم، فسارُوا في طَلَبِ أحمد خان، وكان من حين خرج من المَدينة لا يَلْقى أحدًا من العَسْكر إلا وَعَده بزيادةٍ في إقْطاعهِ وعطائهِ، فاجتمع عليه من الأوغادِ وقُطاع الطريق ومن لا شُغْلَ له جماعات، وما منهم إلا من يُنْعم عليه ويعدهُ المواعيد الجليلة، حتى بلغ جَمْعُه خمسة آلاف فارس، وعَسكرُ السُّلطان في إثْرهِ حتى تقارب الجَمْعانِ، وقد بَعُدوا عن كَرْبَلكا خمسين فرسخًا، فقام خَلَف بن حسن عند ذلك إلى أحمد خان وقال له: يا سيدي إلى أين تَنْهزمُ وهم في إثْرك؟ وشَجَّعه على لِقائِهم ومحاربتهم، فبات تلك الليلة وعَبأ أصحابه للحَرْب، وقد تراءى الجَمْعانِ، وقَدَّم أمامَ عَسْكرهِ سبعةً هم: خَلَف، والسيِّدُ جيا من أولادِ السيد جَلالٍ البخاري من أهْلِ دِله[1]، والسيد خانُو من أشرافِ دِله، وأربعة من سلاح دَاريَّتهِ، فبرَزَ لهم من عسكر السُّلطان عشرة وهم: مَلك أرَغُوُن، وكان من شُجعانهم ومعهُ ابنه ملك قُدو، وهُما من عُظماء الدَّولة في ثمانيةٍ من الأمراء الأعيان، فقُتل أرَغُون وابنهُ وثلاثةٌ من الأعيان، فانهزمَ العَسْكرُ وتركُوا أثقالهم وأموالَهم، وأحمد خان ومن معه في أقفيتهم، وقد حَصَلَ سَيْل عظيمٌ فهلكَ فيه أكثر المُنهزمين؛ ووقفَ باقيهم على جانبه، فَنادى أحمد خان فيهم بالأمانَ، وأن من جاءه طائعًا زادَ في إقْطاعهِ وعَطائهِ مثلَه، فأتاه أكثرهُم، واستولى على ما كان في العَسْكر من الفِيَلةِ والخَزائنِ السُّلطانية، فقويَ بعدَ ضَعْف.

وقد كان بَلَغَ من الشدة في انهزَامهِ أنه اشتَدَّ به الجُوع لَعَدم القُوتِ عنده، فضربَ أصحابُه البلادَ يَمينًا وشمالاً حتى أتوه بَشيءٍ من الذُّرَةِ الخَضْراءِ قبلَ نَضْجها وشَوَوْها له على النّارِ وفَركوها، وأخذها بعضُهم في

---

(١) هي دلهي.

ثَوْبه فأكَلَ منها هو وخَلَف ونَفرٌ من خَواصِّه ما سَدَّ رَمَقَهُم.

ولما وقَفَ أحمد خان بمن معه على ذلك المَسِيْل، وهو أمرٌ عظيمٌ، ومن عادته أنه لا يَجفُّ إلى أربعة أشهر، وإنما يمرُّونَ فيه على شيء يعمَلُونَه من الحَطَب، ثم يجلِّدونَه بجُلودٍ مَدْبوغَةٍ يقال لها تَكْرَة، تَسعُ التكرة منها خمسينَ رَجُلاً، أو عشر غَرائر حبًّا، فأذنَ اللهُ تعالى أن نَقَص الماءُ حتى عَبَره هو وأصحابُهُ رجالاً ورُكبانًا. وقد صارَ في ثمانية آلافِ فارس ومئَةِ فيل، وما من يوم إلا وهو يَزْدادُ فيه رجالاً وفُرْسانًا، وقَدِمَ المنْهَزِمونَ على السُّلطانِ فَيْروزُ شاه. فخرجَ بعدما أنْفَقَ في العَسْكر مرَّةً ثانية، وحملَ معه في الخَزَائن مالاً كثيرًا ونزل سُلطان فُور خارجَ كَرْبَلكا، وعسكر هناك، وعبأ الفيلة وأعطى الأموال، فلما جَنَّه الليلُ تسلَّك من مَعَهُ من الوُزراء والأمراء والعسكرية إلى أحمد خان، فأصْبحَ وقد ذهبَ مُلْكهُ وانحلَّ سُلْطانه. فعادَ إلى كَرْبَلكا وقد اشتدَّ به ألمُ البَواسير التي كانت تَعْتادُه، وعَجَزَ عن الرُّكوب حتى حُملَ على الأعناقِ في شيء عندهم يقال له فالكي، تحملُه الرِّجالُ على أعناقها، فما مَر بالمدينَةِ حتى ثارَ العامةُ ونَهبُوا ثقله وماله.

وقد سارَ أحمد خان في إثْره على مَهْله من غير عَجَلة حتى قَرُبَ من المدينةِ، فأفْرَجَ فيروز شاه عندَ ذلك عن أوَلادِ أخيه أحمد خان وبَعَثهم مع ولده حسن شاه ومعهُ الجَتْرُ[1] إلى أحمد خان. وقد قَدَّم أحمد بين يديه خمس مئة فارسٍ طليعةً لئلا يكون قد أُعِدَّ له كمينٌ في المدينة، فوافاه حسنُ شاه بذلكَ، وسار بالجَتْر على رأسه حتى عَبَر على أخيه فيروز شاه، فإذا به وَحده، ليس عنده أحدٌ، فوقَف بين يَديه، وَخَدم لهُ على عادته، واستمرَّ قائمًا، فبكى فَيروزُ ووصَّاه بأولاده، وأكَّدَ عليه في أن لا يُبقي أحدًا من الوزراءِ والأمراء فإنَّهم لم ينفعوني فلا تَرْجو منهم أن يَنْفَعوك، فمضى عنه وجَلَس على تَخْت المُلْك وسرير السَّلْطنَة، وَتَكَنّى

(١) هي مظلة السُّلطان.

بأبي المَغازي أحمد شاه، وأخذ جميع الوزراء والأُمراء فقَتَلَهم وتَتَبَّعَهُم حتى ما أبْقَى منهم أحدًا.

وكان جلوسُه على التخت في شَوَّال سنة أربع وعِشْرين وثماني مئة، فلما كان يومُ الخميس ثالثُ يوم جُلوسه دخل شَبر خَان ابنُ أُخْته على فَيروز شاه وخَنَقَه. واستمرَّ السُّلطان، أبو المغازي في السَّلْطَنَة أربع عشرة سنةً حتى مات في شهر رجب سنة ثمانٍ وثلاثين وثماني مئة بعدما قَسَم المَمْلكة بين أولاده الخانات الأربعة وهم: أحمد ومحمد ومحمود وداود فقام من بعده ابنه أحمد ظفر شاه.

وكان رحمه الله من أحسن ملوك زمانه سيرةً، وأجْمَلهم طريقةً، وأسخاهم كفًا، لهُ في ذلك أخبارٌ جَمَّةٌ؛ منها أنه كان بمدينة كَرْبَلكا وأعمالها لأهْلِ الكُفْر عدَّةُ معابدَ كثيرة يقال للمعبد منه بُدٌّ، يؤدون عنها للسُّلطان في كُلِّ سنةٍ مالاً جَمًّا إلى الغاية فَخَرَّبها كُلَّها، ومن جملتها بُدٌّ في بَيْجنْكَر يؤدِّي عنه أهلُه في كلِّ سنةٍ ستة لُكوك تَنْكة[1] فضَّة، فوعَدُوا أن يَحْملوا ثمانيةَ لكوك ويُبْقيه لهم، فلم يَفْعل وهدمَهَ وأقامَ شعارَ الإسلام في أعْمالهِ بأسْرها، ومنعَ الكُفَّارَ من إظهار شعارهم، وأمَرَ بقَتْل من تَظاهَرَ بها منهم. وهدَمَ أيضًا بُد خانه، وكان له عندهم شأنٌ عظيمٌ يُضاهونَ به الكَعْبة البيت الحرام بمكة، وكان هذا البُد في قَريةٍ يُقال لها سُلاَّفُور من عَمَل كَرْبَلكا، وأبْطَلَ الخمَّارات، وأزالَ البَغايا ومواضعَ الحَشيش والقِمار ونحو ذلك من الفوَاحِش، وأسْقَطَ ما عليها من الضَّمان للدِّيوان، وكان مالاً عظيمًا مبَلَغُهُ اثنا عَشرَ لك تَنْكة فبطَل مدَّةَ ولايتهِ ذلك كلُّه من أعمال مملكته جميعها حتى لم يكن أحدٌ يتظاهرُ بشيء منها.

وكان يُحبُّ العلمَ وأهْلهُ، وله معرفةٌ بالعِلْم ومشاركةٌ جيِّدةٌ فيه، فكان يجودُ بعطائه الجَمِّ على الفُقَهاء. ويُقَرِّب الأشرافَ ويُبالغُ في

(١) اللك: مئة ألف تَنْكة، والتنكة مثقالان ونصف، كما كتب المصنف بخطه في حاشية المسودة.

تعظيمهم وإكرامِهم وصِلاتِهِم حتى لقد رُمِيَ من أجل ذلك بأنه شيعي، فإنه أعطى شَريفًا واحدًا يقالُ له نورُ الله بن خَليل الله بن نِعْمة الله أربعة لكوك تَنْكة سوى الجواهرِ والخَدَم والتُّحف[1]، وأعْطى وزيرَه مَلِكَ التجار الملكَ خَلَف بن حسن في يوم واحدٍ لكين تَنْكة سوى خيولٍ وغيرها بأربعة لُكوك، إلى غير ذلك من سَعَة العَطاء للقاصدين والوافدين.

وبَعَثَ في مُدَّة سلطَنَته إلى الحَرَمين نحو ثمانين ألف دينار. صُرِفَت في بناء مَدْرسةٍ بمكةَ، ومدرسةٍ بالمدينةِ، وعُملَ منها أوقافٌ لهما، وفُرِّق باقيها في الناس.

ومع ذلك فأخبرني السيِّدُ الشريف أحمد بن أبي القاسم بن محمد ابن عليّ بن أبي الفَوارس الحَسَني المُوسوي، زادَهُ الله رفعةً وكرامة، وقد لقيتهُ بمكةَ في مُجاوَرَتي بها سنةَ تِسْعٍ وثلاثين وثماني مئة، قال: سمعت السُّلطان، يعني أبا المَغازي المذكورَ، وأنا معه على السِّماط يقول: أنا إلى الآن ما ملأتُ عَيْني من عَطَاء أحدٍ من الناس. وهذا الشريفُ قَدِمَ إلى مكة من حَضْرة هذا السلطان قبلِ موته بمالٍ جمٍّ فَرَّقه في أهْل الحَرَمَيْن، وضرَبَ بمكةَ قِنْديلاً من ذَهَب بلَغَتْ زِنَتُه بحُضوري زيادةً على أربعة آلاف مِثْقالٍ من الذَّهب، وحَمله إلى المدينة النبوية حتى عَلَقه بالحُجْرة الشريفة تُجاه القَبْرِ المُقَدَّس، وأخبرني أنه تَكَلَّف عليه حتى عُلِّق نحو ألف وخمس مئة دينار، كلُّ ذلك بما بعثَ به السُّلطان أبو المَغَازي على يَده وأمَرَه بعَمَله.

وكان من عادة ملوك الهند في كل سَنةٍ عَملُ عِدَّة مجتمعاتٍ يُنْفقُ فيها مالٌ كثير، منها لوفاة رسول الله ﷺ، ومنها لوفاة جماعةٍ من آل البيت، ومنها لوفاة عدَّةٍ من الصَّحابة، ومنها لوفاة طائِفَةٍ من المشايخ.

---

(١) جاء في حاشية المسودة: «توفي السيد نعمة الله سنة تسع وعشرين وثماني مئة عن مئة وتسع سنين».

يُعْمل في كلٍّ واحدٍ سماط جليل في مِثْل يوم وفاتِه، فبالَغ أبو المَغَازي في الاحتفال بذلك، وجَمَع على السِّماط المَعْمول بتلكَ الهمة العَظيمة الناسَ من الفُقهاء، والأشراف، والصُّلحاء، والتجار، وأَهل الدولة، وعامة الناس ورعاعِهم، ووَقَفَ بنَفْسه قائمًا على قدمَيْه ومعه أولاده السبعة وهم: أحمد خان، ومحمود خان، ومحمد خان، وداود خان، وعليّ خان، وفَتْح خان، ومُبارك خان، بعضُهم قائم بَيْنَ يديه، وبعضُهم عن يمينه وشماله، ووقَفَ معه أيضًا الوُزراءُ والخُدَّام، واستدعى الناسَ على اخْتلافِ طَبَقاتهم، فَجَلس أولاً الأعيانُ، ثم الفُقراءُ بحيثُ لا يَبْقى في البلد فقيرٌ ولا مسكين حتى يحضر، فإذا تكامَلَ الجمعُ، وهو ومن ذَكرنا قيامٌ، تناوَلَ هو بيَده الشَّرابَ من السُّقَاةِ، وتناولَ ابنُهُ الأكبرُ الخانُ أحمد أيضًا، ومشى عن يمين السِّماط، وقد هُيِّئَتْ أنواعُ الأطعمة الفاخرةِ وغيرها، ومَشَى الخانُ عن يَساره وسَقَيا بأنفسُهما الناسَ حتى يَعُمان جميعَ من حضرَ على كَثْرَتِهم، ثم أخذا التَّنبول[1] ومشَيَا به مرَّةً ثانية يناولانه الجميعَ واحدًا واحدًا بأنْفُسهما. ثم أخَذَا الكافورَ[2] وفرَّقاه بأنْفُسهما على الحاضرين بأسرهم واحدًا بعد واحد. ثم تناولَ بَيده الإبريقَ وأخذَ الخانُ الطَّسْت ومَشَيا على النَّاس حتى غَسَلوا بأجْمَعهم أيْديَهم، والسُّلطان يَصُبُّ الماءَ بيدِه على الرَّجُل، والخانُ يتلقى غُسالَته في الطسْتِ بنَفْسه. فإذا عَمَّهم الغَسْلُ تناولَ السلطانُ بيده الخُبزَ، ثم ولدُه المذكور ووضعاهُ بين يَدَي الناسِ كلهم، ثم تناولَ هو والخانُ الأصْحُنَ الموضوع بها الأطْعمةُ وصَفَّاها على السِّماط، وأذنا للناسِ في الأكْلِ فأكلوا، وهو وبنيه ومن ذَكَرْنا قيامٌ على أرْجُلهم، فإذا كان في أثناءِ الأكْلِ

---

(١) التنبول: ورق شجرة متسلقة يستعمله أهل الهند وأندونوسيا استعمالاً كثيرًا، يمضغونه، فيُحَمر أفواههم، ينتشي به مستعمله، (وينظر ابن البيطار ١/ ١٤١، وإحياء التذكرة ١٩٥).

(٢) الكافور، اسم لصمغ شجرة هندية له استعمالات طبية في السابق (إحياء التذكرة ٥٢٩).

مشى هو والخانُ على النَّاسِ بالشراب فَسَقياهم كلَّهم، ووقَفَا حتى يتملَّى الجميعُ من الأكْلِ على هَيْئتهم، فإذا فَرغَوا بأجْمَعهم مشى هو والخانُ ثَامنَ مرَّةٍ على الناس بالإبريق في يَدِه، والطَّسْتُ في يَدِ الخانِ حتى يَغْسلَ الجميعُ أيديَهم من الطَّعَام، ثم مَشَيا مَرَّةً تاسعةً بالتنبول حتى يفرِّقاه على من هناك بأسْرهم واحدًا بعد واحد، ثم مَشَيا المرَّةَ العاشرة ففرقا فيهم الكافورَ كذلك.

ثم جَلَس وقَرأ القُرَّاءُ من القُرآنِ الكَريم ما شاءَ اللهُ ودَعَوا، ثم انْفَضُّوا جميعًا، فإذا لم يبقَ أحدٌ جَلَس السلطانُ على سِماطٍ فأكَلَ هو وأولادُه وخَواصُّه.

فكان هذا دَأبه في عمل المجتمعات الموفيات في كُلِّ عام، ويَبْلغُ مصروفُ السِّماطِ النَّبَوي ألفي تَنْكة فضة، عنها خمس مئة دينارٍ ذَهبًا، وكذلك أسْمِطةُ وَفيات آلِ البيت والصَّحابة والمشايخ، لكنه بدون ذلك في المَصْروف.

وكان رحمه الله لا يَتْلو القرآنَ الكريمَ إذا قَرأ حِزْبَه في كلِّ يوم في المُصْحَفِ إلا وهو قائم على قَدَميه إجلالاً وتَعْظيمًا، فلم يُعرف عنه أنه قرأ وهو جَالس.

وكان إذا وَفَدَ عليه أحدٌ من أولادِ سَلاطين الآفاق يُبالغُ في إعْظامه، ويُوسعُ في عَطائه، ويُزوِّجُه، ويجعلُ له عَسْكرًا في خِدْمَتِه، ويُقْطعُه عِدَّةً من القُرى.

وكانت أيامُه كلُّها لا تَنْقَضي إلا في عِبادةٍ؛ أما نَهارُه ففي تلاوةِ القرآن، ونَسْخِ المَصَاحف، والبَحْثِ في العِلْم مع الطَّلَبة، وأما الليل فإنه يَسْمُرُ عنده خَواصه إلى نصفِ الليلِ في المَبَاحثِ العِلْمية، ثم يقومُ فينَامُ نحوَ رُبْع الليل، ويَنتبه فيَتلُو ويَذكُر أورادَه، ويصلِّي رُبْعَ الليلِ الآخرِ، فإنْ عَرَض له في النَّهارِ شيءٌ من أشْغالِ مملكته كالحُكْمِ بين الناسِ ونحوه كان أهْلُ المجلس في بَحْثهم في العُلُوم، وهو مع ما هو فيه من النَّظَر في أُمورِ المملكة يشاركهم فيما هُمْ فيه، حتى إنه أيضًا لا يُبْطلُ مباحثة

أهلِ العلم وهو وإياهم على السِّماطِ في الأكل.

وكان بارعًا في عِدَّة عُلومٍ من فِقْهٍ وعربيةٍ وغيرها، سيما علمُ الهَيئةِ وأحكامُ النُّجوم، ويكتُبُ الخَطَّ المَلِيح، ويفوقُ أهْلَ زَمانه في معرفَةِ الخَيْل.

وبَلَغَ من سعة المملَكَة وكَثْرَةِ الجُنودِ والعَساكرِ والمالِ والمهابَةِ ووُفورِ الحُرْمةِ وشُهْرةِ الذِّكْر ما لم يبلُغْه ملكٌ في زمانه، ولم يَمْنَعه ذلك عن التواضُعِ واطِّراحِ النَّفْسِ كما تقدَّم ذكرهُ.

واجتمعَ عنده على مَرابطِهِ له خاصَّةً نحوُ ثلاثةِ آلاف فَرَسٍ من الخيول العَرَبيات، وخمسةُ آلاف إكديش، ومئتا فيل. وامتدَّت مملكتُه مسيرةَ شَهْر، كلُّها عامِرَةٌ. وكان يتحصَّلُ له من المال في كلِّ سنة مالا يُحْصى كثرةً، وبَلَغَت القُرى التي أقْطَعها للأشراف، وأهْلِ العِلْم، وأنْسابه، وأمرائه، ووُزرائه، وللمشايخ مئةَ ألف قرية. وبلَغَتْ عِدَّةُ عَسْكره من الفُرسان نحوَ الثَّلاثين ألفًا، ومن الرَّجالة كثيرًا جدًا.

وافتتَح من بلاد الكَفَرةِ نَحْوَ اثني عشر عَمَلاً، منها ما هو على يَدِه، ومنها ما هو على يَد بُعُوثِه. وكان إذا فَتَح حِصْنًا أو مدينةً صَعدَ بنفْسِهِ أعْلاَها، وأذَّن، فإنْ كان الفَتْحُ على يَدِ أحد أوْلاده أو أُمرائهِ أذَّنَ صاحبُ الفَتْح بنَفْسهِ؛ ولم يُبْطل الغَزْوَ سنةً من سِنيِّه، إما أن يخرج هو بنَفْسهِ، وإما أن يَبْعثَ جيوشَه، وكان رُبَّما أقامَ في الغَزاةِ ستةَ أشهر وأكثر.

وهذه السيرةُ الفاضلةُ، والصفاتُ الجميلةُ، والأخلاقُ الحميدةُ لو لم تَشْتَهر عنه وتحدَّثَ بها جماعاتٌ من الناسِ لما صَدَّقْنا بها، لاسيما في زمانِنا الذي نحنُ فيه، ولكنَّ الله يؤتي مُلْكه من يشاء، ويختَص برَحْمتَه من يشاء، لا إلهَ إلا هو.

وأوَّلُ ما عَرَفْتُه من أوَّلَيةِ هذا السُّلطان أنَّ سلطانَ مَدينة دِله محمد شاه بن فيروز شاه بن رَجَب بن طُغْلُق شاه بَعثَ عَسْكرًا مع أميرٍ وَلاهُ مَدينةَ دُولات بادو ومن جُملتهم علاءُ الدين بن حسن بَهْمن، وذلك في

حدودِ بِضْعٍ وسبع مئة من سنيِّ الهجرة، فقُتلَ ذلكَ الأميرُ، وأقيمَ بعدَهُ علاءُ الدينً المذكور، فقويَ وفتَح كَلْبَرجه من أيدي الكُفَّار، وجَعَلَها دار مُلْكه حتى مات. وقد استبدَّ فيها بنَفْسهِ لضَعفِ المملكةِ بِدِلِه، فَقامَ من بعده ابنهُ محمد شاه بن علاء الدين بن حسن بَهْمن حتى ماتَ، فقام بعده داود بن محمد شاه بن علاء الدين، ثم بعدهُ محمود سُليمان، وتَلَقَّب بمحمد شاه بن داود بن محمد شاه، فلما ماتَ أقيمَ من بعده ابنانِ له صَغيران، واحد بعد آخر، في مُدَّةٍ قليلة، فثارَ فيروز شاه بن أحمد بن علاء الدين بن حسن بَهْمَن، ومَلَكَ مدَّةَ سبعٍ وعشرين سنةً حتى ثار عليه السُّلطان شهابُ الدين أبو المَغاري أحمد بنَ أحمد بن علاء الدين كما تقدَّم ذكرهُ. ومات بعدَ أربع عشرةَ سنةً، ووَليَ بعده ابنهُ أحمد ظَفَر شاه، والله أعلم.

١٩٦- أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن عَرَبْ شاه، شهابُ الدين الدِّمشقيُّ المعْرُوفُ بالعَجَميِّ، الحَنَفيُّ[(١)].

وُلِدَ بدمشقَ ليلةَ الجُمُعة خامس عشري ذي القَعْدة[(٢)] الحرام سنة إحدى وتسعين وسبع مئة، ونشأ بها حتى قَدِمَ الأميرُ تَيْمورلنك دمشق سنة ثلاث وثماني مئة، فكان ممن أُسرَ، ونُقلَ مع التَّمُرية إلى مَدينة سَمَرْقَنْد، ثم خرج منها في سنة إحدى عشرةَ وجالَ ببلاد المَشْرق، وقَدمَ دمشقَ سنة خمسٍ وثلاثين وأقامَ بها وتَكَسَّب بتحمُّلِ الشَّهادة في حَوانيت الشهود. وقَدِمَ علينا القاهرةَ في سنة أربعين، وزارَني مِرارًا عديدةً،وأوقَفَني على كتابِ سَمَّاه «أُمورَ تَيْمور»[(٣)]يتضمن مَبْدأ أمرِ الأمير تَيْمورلَنْك ومنشأه وترقِّيه حتى تَغلب على الممالكِ إلى أن هَلَكَ، فلخصتْهُ لأنه جَعَلَه مَنْثورًا

---

(١) ترجمته في: النجوم الزاهرة ١٥/٥٤٩، والدليل الشافي ١/ ٨٠، والضوء اللامع ١/ ١٢٦، ووجيز الكلام ٢/ ٦٥٢، والتبر المسبوك ٣٣٥، ونظم العقيان ٦٣، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨٠، والبدر الطالع ١/ ١٠٩.

(٢) في الضوء اللامع: «منتصف ذي القَعْدة».

(٣) هو كتاب «عجائب المقدور في نوائب تيمور»، مطبوع مشهور.

مُسَجَّعًا، ووَشَّحه بالأشعارِ فجاءَ بَديعًا في معناه لما اشتَمَل عليه من استيعابِ جُملِ أحوالِ تَيْمور وسيرتِه، ولأنَّه بَحْرُ بلاغةٍ ودَوحةُ فَصاحةٍ. وأنشدني كثيرًا من شِعْره، ولهُ مَعْرفة بالفِقْه والعَربية والتَّصْريف، ويغْلُبُ عليه عِلْمُ الأدب، أنشدني لنفسه:

إذا انْتُخبْتَ لأمرٍ عَزَّ واسِطَةً فاحذر دَهاهُ وكُنْ منهُ على وجلِ
واعلم بأنَّ طِباعَ الإنْسِ قد جُبِلَت مِن الجَفاءِ ومِن مكرٍ ومِن دَجلِ
فلا تَثق أبدًا منهم بواسطةٍ واشْرَع بِنَفسكَ فيه غَيْرَ مُتَّكلِ
فإنما رَجُلُ الدُّنيا وواحدُها من لا يُعَوِّل في الدُّنيا على رَجُل

وأنشدني لنَفْسهِ مُخاطبًا لي وقد أخَذْتُ في الثناءِ عليه:

السيلُ يَقْلَعُ ما يَلْقاهُ من شَجَرٍ بَيْنَ الجِبال ومنه الصَّخْرُ يَنْفَطرُ
حتى يُوافي عُبابَ البَحْرِ تَنْظُرهُ قد اضْمَحَلَّ فلا عَيْنٌ ولا أثَرُ

ولهُ نظمٌ كثير منه كتاب «مرائي الأدب» يشتملُ على المعاني والبَيَانُ والبديع، وهو نَظم بطريقةِ الغَزَل يكونُ نحوَ ألْفي بيت. وكتاب في علم النحو، نظمه على طَريقَةِ الغَزَل أيضًا، يكونُ بقَدْرِ مئتي بيت؛ وقصيدة غَزَلية أيضًا في عِلْم التَّصْريف أنْشَدَنيها من لَفْظهِ وهي بديعة، جعلها مديحًا في إنسانٍ من أهْلِ الدَّولة. وأنشد في كتاب «أُمور تيمور» لنَفْسه:

لكن تَرَى ما قَدْ طَرَا على الوَرَى وَمَا جَرَى[1]

١٩٧- أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سَلِيم بفَتْح السين المُهْملة بن قَايْماز بن عثمان بن عُمر الكِنَانيُّ، شهابُ الدين البُوصيريُّ الشافعيُّ المحدِّث[2].

---

(١) تأخرت وفاته عن وفاة المصنف إلى سنة ٨٥٤ هـ، كما في الضوء وغيره.

(٢) ترجمته في: السلوك ١٠١٣/٤، وإنباء الغمر ٤٣١/٨، وتبصير المنتبه ٦٩٢/٢، والنجوم الزاهرة ٢٠٩/١٥، ونزهة النفوس والأبدان ٣٨٨/٣، والضوء اللامع ٢٥١/١، ووجيز الكلام ٥٤٩/٢، وذيل طبقات الحفاظ ٣٧٩، وحسن المحاضرة ٣٦٣/١، وشذرات الذهب ٢٣٣/٧. =

وُلِدَ في المحرَّم سنة اثنتين وستين[1]، وسَمِعَ الحديث على الحافظِ زين الدِّين عبدالرحيم العراقي، وأبي الحسن عليّ بن أبي بكر الهيثمي، والمُسْند بُرْهان الدين إبراهيم الشامي. وأفاد، وخَرَّجَ، وعُنيَ بالحديث، ولهُ مؤلفات منها كتاب «مِصْباح الزُّجاجة في زَوائد ابن مَاجة» مُجلَّدة تشتملُ على ما فيه من الزِّيادَةِ على الكُتب الستة، مع الكلام على الأسانيد، وكتابُ «إتحاف البَرَرة بزوائدِ مَسانيد العشرة» في سَبْع مُجَلدات، وهي: مُسْند الطَّيالسي، والحُميدي، وأبي يَعْلَى، وأبي بكر ابن أبي شَيْبة، والحارث بن أبي أُسامة وغيرهم، مع ذكرِ العِلَل والكلام على ذلك، واختصرَه في ثلاثِ مُجلدات وحَذف الأسانيد. وجمع فيمن اختلطَ من رواة الحديث كتابًا، وجَمَعَ المدلِّسين من الرُّواة أيضًا. وله كتابُ «تُحفة الحَبِيبِ للحَبيب فيما زيد على التَّرْغيب والتَّرْهيب»[2] في مجلدين.

وتُوفي يومَ الأحد ثامن عشر المحرَّم سنة أربعين وثماني مئة، خارج القاهرة، رحمه الله.

١٩٨- أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد ابن هبة الله بن أحمد بن يحيى، الأميرُ شهابُ الدين أبو العباس ابن الصَّاحِبِ جمال الدين أبي غانم ابن الصاحب كمالِ الدِّين أبي القاسم ابن قاضي القُضاة نَجْم الدين أبي الحسن ابن قاضي القُضاة جمالِ الدين أبي الفَضْلِ، ابن العَديم الحَلَبيُّ[3].

---

(١) في جـ: «وسبعين» خطأ بين.

(٢) الترغيب والترهيب للحافظ زكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦ هـ.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٩٣، والذيل على العبر للعراقي ١/ ١٧٤، والدرر المنتخب، الترجمة ٢١٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٥)، والدرر الكامنة ١/ ٣٠٨، ولحظ الألحاظ ١٤٤، والنجوم الزاهرة ١١/ ٨٤، ووجيز الكلام ١/ ١٤٠، وبدائع الزهور ١/ ١٣.

بيتهُ مشهوُر، ونشأ بحلب على حالةٍ جميلة. ونظرَ في التَّاريخ والأدب ووَليَ نيابةَ شَيْزَر مُدَّةً. ثم عادَ إلى حلَب وبها مات وقد تجاوز ستين سنة في سنة خمس وستين وسبع مئة.

١٩٩- أحمد بن يعقوب بن عبدالكريم بن أبي المَعالي، الأميرُ شهابُ الدين أبو العباس ابن الصاحب شَرَف الدين أبي محمدٍ[١].

نشأ بحلَبَ في كَنَفِ أبيه، ومالَ إلى الأدَب، وقال الشِّعْرَ، واجتمعَ إليه الفُضلاءُ، ومَدَحهُ ابن نُباتَة، وصارَ من أُمراءِ حَلَب، وبها ماتَ عن نَيِّفٍ وخمسين سنةً في سنة خمسٍ وستين وسبع مئة.

٢٠٠- أحمد بن محمد بن مَحْبوب، تاجُ الدين[٢].

مُحَدِّثٌ، مُسندٌ، عارفٌ بالتَّاريخ والأدب، انفردَ بمَسْموعاتٍ عَديدةٍ، وعُمِّر، ولا بَرِحَ مُكبًّا على الاشْتغالِ والإفادةِ حتى ماتَ بحلبَ سنة سَبْع وثمانين وسبع مئة[٣].

٢٠١- أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن محمد، شهابُ الدين ابنُ بهاء الدين، ابن النَّصِيبي الحَلَبي، شاهدُ ديوان الجَيْش بحَلَب[٤].

---

(١) ترجمته في: الذيل على العبر للعراقي ١/ ١٧٥، والدر المنتخب، الترجمة ١٥٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٥)، والدرر الكامنة ١/ ٣٥٨، ولحظ الألحاظ ١٤٤.

(٢) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٩٧، وإنباء الغمر ٢/ ١٩٥ و٢٢٨، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٤، وفيه اسمه أحمد بن محمد بن محمد، وشذرات الذهب ٦/ ٣٠٠.

(٣) في حاشية المسودة تعليق بخط ابن قاضي شهبة نصه: «الصواب أنه مات في المحرم سنة ثمان وثمانين بدمشق، ودفن بمقبرة الصوفية». قلنا: ذكره الحافظ ابن حجر في وفيات سنة ٧٨٧ هـ من إنبائه مختصرًا، وذكر أنه سيعيده، ثم أعاده مطولاً في وفيات سنة ٧٨٨ هـ.

(٤) ترجمته في: «الدر المنتخب، الترجمة ١٤٨، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٩٤، والدرر الكامنة ١/ ١٨٠.

تُوفي سنة سَبْعٍ وثمانين وسبع مئة[1] عن نحوِ سبعين سنةً. كان رئيسًا خيرًا، مُتديِّنًا، عَفِيفًا، قَنُوعًا، عاقلاً.

٢٠٢- أحمد بن عُمر بن داود الصَّفَديُّ، شهابُ الدِّين.

وُلد بدمشقَ سنة ثلاثين وسبع مئة. وكتبَ المَنْسُوبَ، وحَفِظ «التسهيل» في النحو لابن مالك، وقَدِمَ القاهرةَ مع أبيه سنةَ سبع وأربعين، فلما ماتَ أبوهُ كتبَ في الإنشاءِ، وماتَ بعد مرضٍ طويلٍ في أواخرِ سنةِ إحدى وستين وسبع مئة.

وكان فاضلاً عاقلاً، كثيرَ السُّكون، وتركَ نحو المئةِ ألفِ درهم فِضَّة.

٢٠٣- أحمد بن لُؤلُؤ بن عبدالله، الشيخُ شهابُ الدين، أبو العَبَّاس ابن النَّقيبِ الشافعيُّ الفَقيه المحدِّث المُقرىءُ النَّحْوي، الأديبُ العَلامةُ الأوحد[2].

كان أبوهُ من جُملةِ نَصارى أنطاكية، فَسُبيَ عندما فَتَحها الملكُ الأشرفُ خَليلُ بن قَلاوُون عَنْوةً، ودَخَل في دينِ الإسلام، وسكنَ القاهرةَ، وصارَ نقيبًا عند بَعْضِ أُمراءِ الدَّولة، ثم تزَهَّدَ في آخرِ عُمُره، ووُلدَ له أحمد صاحبُ التَّرجمة في سنة اثنتين وسبع مئة بالقاهرة، ونشأ على زيِّ الأجناد، فحُبِّب إليه العِلْم، وقرأ القرآن الكريمَ وتَلا بالسَّبْع، وأخذَ العربيةَ عن أثيرِ الدين أبي حَيَّان، وأخذَ الفقهَ عن جَمَاعةٍ. وسمع الحديثَ على التاج ابن الصَّيْرفي، وابن غَالي الدِّمياطي، وابن سَيِّد الناس

---

(١) وفاته في مصادر ترجمته كلها في المحرم من سنة ٧٨٨ هـ.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/١٦٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/٥١٤، والذيل على العبر للعراقي ١/٢٦٠ وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/٣٢٣، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/٢٣٢، والدرر الكامنة ١/٢٥٣، والنجوم الزاهرة ١١/١٠١، ووجيز الكلام ١/١٦٥، والتحفة اللطيفة ١/١٩٨، وحسن المحاضرة ١/٤٣٤ وبدائع الزهور ١/٧٨، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٣٨، وشذرات الذهب ٦/٢١٣.

في آخَرين. وتصدَّرَ بالمدرَسَةِ الحُسَاميَّة بالقاهرة، وبالمدرسة الأشْرَفية المجاورة لمَشْهَدِ نَفِيْسَة، وأعادَ بالمَنْصُورية، وأمَّ بالناسِ بالبُنْدُقْدَارية، وبها كان سَكَنُه. وأفتَى مدَّةَ سِنين، وحَجَّ مرارًا، واختصرَ كتابَ «الكِفاية»[1] وسَمَّاه «التَّسْهيل»، وكتب النُّكتَ على «مِنْهَاجِ» النَّووي في مُجَلدين، وكتبَ على «المهَذَّبِ» في تصحيح مسائله وتخريج أحاديثه، واختصرَ «التنبيه» وسماه «النَّبيه»، وله مختصر في الفِقْه، وشَرَحَ «اللَّمحة» في النحوِ لأبي حيان. واختصرَ «سلاحَ المُؤمن» في الأذكار.

قال فيه الجمالُ عبدالرحيم الإسْنوي[2]: كان عالمًا بالفِقْه والقِراءات والتَّفْسيرِ والأُصُولِ والنحو، يستحضرُ من الأحاديث شيئًا كثيرًا، أديبًا، شاعرًا، ذكيًا، فَصيحًا صالحًا، وَرِعًا، متواضعًا، طارحًا للتكلُّفِ، مُتَصوِّنًا[3]، كثيرَ المروءةِ، كثيرَ البِرِّ، كثيرَ النُّصْحِ والمَحَبة لأصحابِهِ، وافِرَ العَقْلِ، مواظبًا على الاشتغالِ والإشْغالِ والتَّصْنيف. لا أعلمُ في أهْلِ العلمِ بعده من اشتملَ على صفاتِه ولا أكثرها.

توفي يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضانَ سنة تسع وستين وسبع مئة. ومن شِعْره:

كيْـفَ ألْهــو ومَشِيبِـي وخَطَـا وحِمَــامِــي دَبَّ نَحْــوي وَخَطَـا
أمَشيــبٌ ومُصَــابٌ بــالهَــوَى ذَاكَ واللهِ ضَـــــلاَلٌ وخَطَـــــا

٢٠٤- أحمد بن الحسن البَيْدَقي، أمينُ الحُكْم بمِصْر[4].

سمع على أبي الفَتْح المَيْدومي وغيرِهِ، ماتَ خاملاً في شهر رَمضانَ سنة إحدى عشرةَ وثماني مئة، وهو الذي تولى الدَّعْوى على ناصر الدين محمد ابن المَيْلَق.

---

(١) الكفاية لابن الرفعة، في فقه الشافعية.
(٢) في طبقات الشافعية ٢/ ٥١٤.
(٣) في طبقات الإسنوي: «متصوفًا» محرفة.
(٤) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٢٨٠. وفيه أنه جاوز السبعين

٢٠٥- أحمد بن داود بن إبراهيم بن داود القَطَّان، الصَّالحيُّ[١].

وُلدَ سنة سَبْعٍ وعشرين وسبع مئة، وسَمعَ على المِزِّي، والبِرْزالي، وجماعةٍ، وحَدَّث.

تُوفي في رَجَب سنةَ ستٍّ وثماني مئة.

٢٠٦- أحمد بن النَّجْم سُليمان بن محمد بن سُليمان بن داود ابن عليّ بن مِنْجاب بن حَمَايل الزَّمَلْكانيُّ الشَّيْبانيُّ، البَعْليُّ ثم الصالحيُّ[٢].

سَمعَ «الصَّحيح» على الحَجَّار، وأجازَ له التقي ابن تيمية وغيرُهُ، وسَمعَ عليه اليَاسُوفي، وجماعة.

ماتَ وقد جاوَزَ الثمانين سنةَ إحدى وثماني مئة بدمشقَ.

٢٠٧- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حُسين بن عُمر الأيكي الفارسيُّ ثمَّ الرَّمْلي، ابن المُهندس المعروف بابن زَغْلِش، بفتحِ الزَّاي وسُكون الغَيْن المُعجمة وكسرِ اللام[٣].

وُلدَ سنة أربعٍ وأربعين وسبع مئة. سمع من جَدِّه، وأبيه، والمَيْدُومي، وابن هَبَل، وابن أُمَيْلَة في آخَرين. ومَهَر في القراءات، وحَصَّلَ الكثيرَ من الأجْزاء، وخَمُل في آخرِ عُمُره، وصَارَ يُكدي.

تُوفي في رمضان سنة ثلاثٍ وثماني مئة، وقد حدث.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ١٦٠، والضوء اللامع ١/ ٢٩٧.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر وفيه مروان لا داود أحد أجداده، والمجمع المؤسس، الترجمة ٢٤، والضوء اللامع ١/ ٣٠٩، وفيه علي بن مروان ومنجاب، وشذرات الذهب ٧/ ٤.

(٣) ترجمته في: غاية النهاية ١/ ١٠٣، وإنباء الغمر ٤/ ٢٥٩، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٨، والضوء اللامع ٢/ ٨٦، والأنس الجليل ٢/ ٢٥٩، وشذرات الذهب ٧/ ٢٥.

٢٠٨- أحمد بن محمد بن أحمد ابن التَّقيِّ سُليمان بن حمزة المَقْدسي[١].

وُلد سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، وسمعَ من العِزِّ محمد بن إبراهيم بن أبي عُمر.

وتُوفي في المحرَّم سنةَ اثنتين وثماني مئة.

٢٠٩- أحمد بن إبراهيم بن محمود بن إبراهيم بن مكارم، الفقيهُ المحدِّث شهابُ الدين أبو العباس الزُّهريُّ، المَقْدسيُّ الأصل، البِقَاعيُّ ثم الدِّمشقيُّ، الشافعيُّ[٢].

وُلد سنةَ بضعٍ وسبع مئة.

٢١٠- أحمد بن عبدالله بن عبدالله الشَّهير بابن الرَّبعي الصَّعِيدي[٣].

وُلد بقُوصٍ في أوَّلِ يومٍ من شهر رمضانَ سنة ثلاثٍ وسبعين وست مئة، وسَمِعَ من الشيخِ نَصْرٍ المَنْبِجي، وسَمعَ «البخاري» على الحَجَّار بالقاهرة، وسَمِعَه أيضًا بدمشقَ في حُدود عشرة وسبع مئة بقراءَةِ الذهبي ثلاثَ عَشرةَ مرةً، وسَمعَ بإخْميم على جَمالِ الدين علي بن عبدالظاهر الإخْميمي في سنةِ ثمانٍ وتسعين وست مئة. وسمع بالمدينَة النبوية في سنةِ ثلاثٍ وعشرين وسبع مئة. وسمع بمكةَ في سنةِ ثمانٍ وعشرين على القاضي نَجم الدين وجَمَالِ الدين المَطَري.

وخَدَمَ الشيخَ أحمد الملثَّمَ فتأدَّبَ به، وأخذَ عن الشيخِ ناصر الدين

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ١٥٣، والضوء اللامع ٢/ ٧٤، وشذرات الذهب ٧/ ١٥.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ١٠١.

(٣) ترجمته في: ذيل العبر للعراقي ١/ ٧٣، والعقد الثمين ٣/ ٧٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٣)، والدرر الكامنة ١/ ١٩٥، ولحظ الألحاظ ١٣٠، والتحفة اللطيفة ١/ ١٧٧.

الجَعْبَري، وأخيه شهاب الدين أحمد بن إبراهيم الجَعْبَري الصُّوفي، ولبس خِرْقَةَ التَّصَوُّف من الشيخ جَمالِ الدين محمد بن مُحب الدين محمد ابن الشيخ أبي الحجاجِ الأقْصُري في سنة ثمانٍ وثمانين وست مئة بالأقْصُر، ولبس الجمالُ من أبيه، وأبوهُ من أبي الحَجَّاج.

وأقامَ بالمدينة النبوية من أوَّلِ سنة ثلاثٍ وعشرين إلى سنةِ ثمانٍ وعشرين، فسمعَ بها «البُخاري» على المَطَرَي مرارًا، وأقامَ بمكةَ من سنة تسعٍ وخمسين حتى ماتَ بها بعد سنة ستين وسبع مئة، فسمع بها «البخاري» على الحجي. وسمعَ على القاضي نجم الدين «تاريخ الأزرقي». وسمع «سُنن أبي داود»، وسمع «صحيحَ مُسلم» على الرَّضي الطَّبَري. وكُفَّ بصرُه وهو يكتُبُ مع ذلك، وكان أحدَ الفَرَّاشين بالحَرَم الشريف. حدثنا عنه شيخُنا أبو عبدالله محمد ابن سُكَّر، رحِمَهُما اللهَ تعالى.

٢١١- أحمد بن محمد بن عماد بن عليّ، الشيخ شهاب الدين ابن الهائم القَرَافي، الفقيه الشافعي الفرضيُّ الحاسِب، نزيلُ القُدس[(١)].

وُلدَ بعد سنة خمسين وسبع مئة. وسمعَ على الجمال الأمْيُوطي، والحافظ زين الدين عبدالرحيم العراقي، واشتَغَلَ كثيرًا بالعِلْم، واستوطَنَ القُدس فانْتَهَتْ إليه رياسة الحسابِ والفَرائض، وجمعَ في ذلك تصانيف، وله: «العُجالةُ في حُكْمِ استحقاقِ الفُقهاء أيام البطَالة» ودَرَّس بالصَّلاحية نيابةً عدةَ سنين ثم استقَلَّ بها شَركةً وماتَ في شهرِ رَجَبٍ سنةَ خمسَ عَشرةَ وثماني مئة. وله بي اجتماعٌ بالقُدس.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٨١ ويذكر أنه ولد سنة ٧٥٣، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٢١، والأنس الجليل ٢/ ٢٢٠، والضوء اللامع ٢/ ١٥٧، يذكر أنه ولد سنة ٧٥٦، ووجيز الكلام ٢/ ٤٢٢، وشذرات الذهب ٧/ ١٠٩، والبدر الطالع ١/ ١١٧، وفي الضوء اللامع والبدر الطالع وكشف الظنون ١/ ٣٣٤، ذكر كثير من مؤلفاته في علم الحساب.

٢١٢- أحمد بن[1] (محمد)، الشيخُ مُحبُّ الدين السَّبْتي الفقير المُعْتقَد[2].

اجتمعتُ به غيرَ مرَّة، وكان قد انقطعَ زَمانًا بمُصَلَّى خَوْلان بصحراءِ القَرَافة، وكان يُشارُ إليه بمعرفةِ عِلْم الحَرْف.

تُوفي عن سنٍ عاليَةٍ يوم الأربعاء تاسع عشر صَفَر سنةَ إحدى وتسعين وسبع مئة.

٢١٣- أحمد بن محمد بن أبي القاسم، شهابُ الدين الحَوَاريُّ ثُمَّ العُثمانيُّ، شاهدُ المَطْبخ السُّلطاني[3].

كان غَزيرَ المُرُوءة، سَمْحًا، مُتوددًا، مُحبًا لأهلِ الخير، يُفْرطُ في اعتقادِهِم، ويَغْلو في حُبِّهِم. باشَرَ المَطبخ السُّلْطاني، من أوَّلِ دَوْلةِ الأشرف شعبان بن حُسين حتى ماتَ وقد أنَافَ على السبعين في يَومِ السبت ثالث شهر ربيعٍ الآخر سنةَ أربع عشرةَ وثماني مئة، وكان من أصحابِ أبي.

أخبرني عن الحاج مُفْلح بن عبدالله العَلائي أنه لما قُبِضَ على الوَزيرِ عَلَمِ الدين عبدالله بن زُنْبُور وعُوقبَ، أُمِرَ أن يُنْفَى إلى قُوص، فلما نزل ليسيرَ في بَحْرِ النيل دَفعَ إلى أُسْتاذي القاضي علاءِ الدين عليّ بن فَضْلِ الله كاتب السرِّ ألْفَ دينار، وقال: امْضِ بها إلى ابن زُنْبُورٍ واعتذر له بأن مثلَه لا يُواجه بهذا، ولكنَّها برَسْمِ نَفَقةِ النَّواتية، فلما بَلَّغته ذلكَ قال لي: سَلِّم على القاضي كاتب السرِّ واشْكُر إحسانه وقل له: أخذتُ معي لنفَقَةِ النَّواتية ستةً وثلاثينَ ألف دينار، ثم ردَّ الألفَ الدِّينار، وأعْطاني أنا صُرَّةً فيها خمس مئة دينار، فردَدَتُ الذهبَ على سَيِّدي وأرَيْتُه ما دَفَع لي،

---

(١) ترك المصنف بعد هذا بياضًا قدر كلمة أضفناها من مصادر ترجمته.

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة ١/ ٣٣٥، وإنباء الغمر ٢/ ٣٦٣، ونزهة النفوس ١/ ٢٧٩، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٦.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٣٢، وذيل الدرر، الترجمة ٣٧٦، والضوء اللامع ٢/ ١٦٦.

فقال: هِمةُ الصاحِبِ أكبرُ من هذا، فمضيت بخمس مئة دينار.

٢١٤- أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالرحيم ابن يوسف بن سُمَيْر بن حازم، الشيخُ أبو هاشم ابن البُرْهانِ، العَبْدُ الصَّالح الدّاعي إلى الله[(١)].

وُلد فيما بَيْنَ القاهرةِ ومِصْرَ في شهر ربيع الأوَّل سنة أربع وخمسين وسبع مئة، وكان أبوه من أعيانِ العُدُول، فَصَحَّبَ أحمد سعيدًا السُّحُولي فأمَاله إلى العَمَلِ بالحديث على طريقةِ الفَقيه أبي محمدٍ عليّ بن حَزْم في فُروع الشَّريعة، وإلى أُصولِ شيخ الإسلام تقيِّ الدين أبي العباس أحمد ابن تَيْمية، فمالَ إلى ذلكَ وبَرَعَ فيه، وناظرَ من جادَلَه على ما يَعْتقدهُ، فنُبزَ بمَذْهبِ الظَّاهر، وصار يُعْرف بالظَّاهري.

ثم رحلَ فطافَ بلادَ الشام، وديارَ بكر، والعِرَاق من سنة خمسٍ وثمانين، ودعا الناسَ إلى الله تعالى، وحَثَّهم على العَمَل بكتاب اللهِ وسُنَةِ نَبيِّه ﷺ، وطاعَةِ قُريش، ومحارَبةِ مُلوكِ العَصْر، فاستجابَ له بَشَرٌ كثيرٌ من خُراسانَ إلى الشام، وتابعه من العَرَب والتُّرْكمان وأهْلِ العلم خلائق. ثم رجعَ إلى دمشقَ وقد شاعَ ذِكْرهُ فأقام بها إلى أن كان لَيلةَ السابعَ عشر من شعبانَ سنة ثمانٍ وثمانينَ قَبَضَ عليه الأميرُ شهابُ الدين أحمد ابن الحِمْصي نائبُ قلعةِ دمشقَ، بجنايَةِ بعضِ أتباعه عليه؛ وذلك أنه دخلَ يومًا إلى القَلْعةِ فرأى بعضَ أَمراءِ العَشَرات مَسْجونًا بالجامع، فأخذَ يفاوضُه في الدَّعوة، وألْقَى إليه ما عنده من ذلك، وكان هناكَ مَعهُما ثالثٌ قد سُجنَ أيضًا فوشى بالخَبَر إلى ابن الحِمْصِي ليتَّخذَ عنده يدًا يَخْلُصُ بها من السِّجْن، فأمر بأن يأتيَهُ به إذا عادَ، فأغرَّ ذلكَ البائِسَ وعاد إليهما وشَرَع فيما هو بصدَده، فقالا له: فمن معكُم على هذا الأمر؟

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ١/ ٢٣، والدر المنتخب، الترجمة ٢٠٣، وإنباء الغمر ٥/ ٣١٦، وذيل الدرر، الترجمة ٢٥٢، والدليل الشافي ١/ ٧٤، ووجيز الكلام ١/ ٣٨٥، والضوء اللامع ٢/ ٩٦، وشذرات الذهب ٧/ ٧٣، والبدر الطالع ١/ ٩٩.

فقال: معنا عامةُ الأكابر من أمراءِ العُرْبانِ وأمراء التُّركمان وغيرهم، فَحَسَّنَا له الاجتماعَ بابن الحِمْصي، وما زالا به حتى انْخَدَعَ ودخل إليه، فقامَ له وأكرمَهُ، وبالغَ في التأدُّب معه، وخلا به فَنَصَّ له الحديثَ وقَصَّه عليه، وهو يُظهر له الإذعانَ والرَّغبةَ حتى قامَ وفي ظَنِّه أن قد ملكَ بابن الحِمْصي قلعَةَ دمشقَ. وقد بعثَ في أثَره من يتعرَّفُ له حاله فوجدُوه قد لقيَ الشيخ أحمد وعَرَّفوا مَظَنَّتهما. وأخذ هو يُعَرِّفُ أحمد فلم يعجبه ذلك وكرِهَه، وعزمَ على الخُروج من دمشقَ، فاغتر ذلك المغرورُ وعادَ إلى ابن الحِمْصي فقبَضَ عليه وبعثَ إلى أحمد فقبضَ عليه بعد خروجه من صَلاةِ العشاء بالجامع الأموي ومعهُ رجُلانِ يحادثُهما، وصاروا بالثلاثةِ إلى ابن الحِمْصي، فَسجنهم وكتبَ مع البَريد إلى السُّلطان بأنه قد قَبَضَ على شَخْص يرومُ الخُروجَ وقد دَعَا النَّاسَ إلى ذلك، وممن أجابَهُ الأميرُ بَيْدَمُر نائبُ الشام، وأنَّ النائبَ لما توجه من دمشقَ إلى الصَّيد تمكنَ من القَبْض على المذكور وعلى أصحابِهِ، وأنَّهم تحتَ الحُوطةِ بالقَلْعةِ. فكتبَ السلطانُ إلى الأميرِ بَيْدَمُر النائب بتَسْمير الجَمَاعة، وكان قد بَلَغه القَبْضُ عليهم، فقدمَ إلى دمشقَ، فلما قَدَّرهُ اللهُ به أجابَ بأنَّ هؤلاءِ قومٌ قد جَفَّتْ رُؤوسهُم من الدَّرْسِ، وهم أحْقَرُ مما رُمُوا به، ولم يُسَمِّرْهُم ولا تَعَرَّض لهم بسوءٍ، فكتبَ ابنَ الحِمْصي يُغري بالنائب لأحقادٍ كانت في نفسهِ قديمةٍ، فجاءَ البريدُ بإحْضارِ أحمد ومن معه، وقُبِضَ على الأميرِ بَيْدمُر وأتْبَاعه، فحُملَ أحمد والثلاثَةُ معه في الحَديد، وقَدِموا القاهرةَ يومَ الأربعاءِ رابع عشري ذي الحِجة سنةَ ثمانٍ وثمانين، فجلس السلطانُ في خَلْوةٍ، وأُحْضِرَ بأحمد وأصحابه وبكاتبِ السرِّ بَدْرِ الدين محمد بن فَضْل الله، وبالأميرِ يُونُس الدَّوَادار، والأمير حُسين ابنَ الكُوراني والي القَاهرة مَاسك الزَّنجير الذي فيه أحمد وأصحابه. وكان أوَّلُ ما بدأ به السلطانُ أن قال: أحمد، ما تُنْكرُ من أيامي؟ فقال: كلُّ أيامكَ مُنكرٌ، فقال: أيش من ذلك؟ قال: أوَّلُ ما أنكرُه جُلوسُك في السَّلْطَنَة، فإنه لا يَحِلُّ أن تكونَ إمامًا للمسلمين، فإنَّ الأئمةَ من قُرَيْشٍ بنَصِّ رسولِ الله ﷺ. قال

السُّلطان: أنا أعْرفُ هذا، لكن أيْنَ من يَصْلُح للخِلافة؟ وقد عَلِمْتَ أنَّ الخلفاءَ لما لعبوا بالحَمَام، وأعْرَضُوا عن تدبيرِ المملكة خَرَجَتِ الخلافةُ عنهم، ولو عَلِمتُ أحدًا يَصْلُح للخلافَةِ لسلَّمْتُ الأمرَ إليه. قال أحمد: كَوْنُ الواحِدِ أو الجمَاعةِ من قُريشٍ فَرَّطوا لا يُوجبُ ذلك خُروجَ الأمرِ عنهم كلهم. قال السلطانُ: فأينَ من يَصْلُح حتى أقومَ معه؟ قال أحمد: أهْلُ ذلك كثير. قال: فأين هم؟ قال: تَخَلَّ أنتَ عن هذا الأمرِ ويختارُ المُسْلمون. فانقطعَ السلطانُ، وقال: عَرَفْنا هذا فما تُنْكر أيضًا؟ قال: المُكوس. قال: أنا ما أحْدثْتُها. قال: ليس في الشرِّ أُسْوَة. وأخذَ يُعَدّدُ ما عليه النَّاسُ من المُنْكرات وهو يَحْتدُّ في كلامه، والسُّلطانُ ساكنٌ لا يظهرُ عليه شيءٌ من الغَضَب، وقد اشتدَّ غضبُ من حَضَر، ثم أرادَ أن يأخُذَ أحمد بموجب، فقال: دَعْ هذا. من مَعكَ من الأُمراء؟ قال: أنا لا أسْتَنْصر بأحدٍ من أمرائِكَ، بل أُريد محاربَتَهم، فالتفتَ إلى الوالي، وقال: عاقِبْهم حتى يُقرُّوا على من معهم من الأُمراء، فمَضَى بهم وعاقَبَهم أشدَّ عُقُوبةٍ من الضَّرب بالمقَارع والعَمَل في الطِّين والجير ونَقْلِ الحجارة، ثم سُجنوا بخزانةِ شَمَايل، وعُمل كلُّ اثنين في جامِعَةِ حَديد، يُمْنَى هذا إلى يُسْرى هذا، وكلَّ مدةٍ يجَدَّد عليهم الضَّرْب. فلم يزالوا كذلك إلى أن سار الأمير يَلْبُغا النَّاصري من حَلَب بالعَسَاكر إلى مِصْر، وبَدا الخِذْلان على الدَّولةِ بعثَ الشيخُ خليلُ ابنُ المُشَبِّب إلى السلطان يشفعُ في أحمد ومن معه، فأحْضَرَه السُّلْطان ومن معه في يوم الأحَدِ ثامن شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وقال له: أحمد ما جزاؤك؟ قال: إما سَيفُ السُّلطان أو عَفْوُه. فقال بعضُ من حَضَر: لا، بل عَفْوُ السُّلطان. فأمرَ فأُفْرج عنه وخُلِّي لسَبيلِهِ هو وأصحابُه، فأقام في مَضَضٍ من الحياةِ وضيقٍ من العَيْش، وثقل الجناح بالعِيال حتى مات صابرًا مُحْتَسبًا في يومِ الخَميس السادسِ والعشرين من جُمادى الأُولى سنة ثمان وثماني مئة.

وكان عالِمًا بأكْثَرِ مسائلِ الشَّريعة وأدِلَّتها من الكتاب والسُّنَّة؛ فُروعها وأصولها، ذاكرًا لمعظم أخبار الخَليقة؛ عَرَبها وعَجَمها، مُشْرفًا

على عامةِ مقالاتِ فِرقَ الإسلام، مُذاكرًا بمذاهبها، مستحضرًا لما عليه الكافةُ من مُخالفةِ السُّنَن، يسرُدُ ما هُمْ بسبيله من التلبُّس بالمُنْكَرات، كثيرَ التألُّه والعبادة، محبًا لله ولرسوله، مُعَظِّمًا لهما، متبعًا للسنة، متحريًا جُهْده، بحيث توضأ عندي مَرَّةً للصلاةِ في شدَّةِ البردِ بماءٍ بارد، فلما فرغ قال لي: ما أظنُّ هذا الوضوءَ يُقبل. قلتُ: لماذا؟ فقال: لأني وضعتُ رجلي اليُسْرى في نعلي قبل لُبس اليُمْنَى، وقد قال عليه السلام: «من عَمِلَ عملاً ليسَ عليه أمْرُنا فهوُ رَد. وقال لي مرَّة: أنا كُلَّ قليلٍ أجَدِّدُ إسلامي، وأغْتَسِلُ غُسْلَ الإسلام فإني أرى المُنْكَرات ولا أُزيلها. وكانت تمرُّ به الأيامُ لا يَذُوق فيها هو ولا عِيالُه زَادًا، لأنه لا يسأل ولا يُفْطَنُ به، فإذا فَتَح اللهُ بشَيءٍ من بعضِ إخْوَانهِ اشترى به لعيالِهِ مآكِل. وكان سَمْحًا مِفْضالاً، فإذا شبعوا أخذَ ما بقيَ وتَصدَّق به، فيشتدُّ ذلك على عيالِهِ ويُفْضِي بهم الأمْرُ إلى الخصام فطالما أتَوْني وشكَوْه إليَّ بسببِ ذلك فألومُه وأقُول له: يا أخي، النساءُ لا تحتملُ أن تَبِيتَ على غيرِ مَعْلوم، وقد عَلمتُ أنهنَّ أقَمْنَ أيامًا بغير أكل؛ فلما جاءَهُمْ ما يكفيهم تَقْديرَ يومين أو ثلاثة أخرجته عنهنَّ إلى غيرهن، ولا أزالُ به وبهنَّ حتى يَنْصَرفُوا عن رِضًى فعن قليلٍ يعودُ إلى عادَتِهِ في الصَّدقة بما يفضُل عن يَوْمِهم. ولقد قال لي مرَّةً: لي نحوُ ثلاثينَ سنةً ما خَرَجْتُ من منزلي فحملتُ هَمَّ من أين آكُل ولا من أينَ أشرب؛ ولهذا المقام أشارَ سَري السَّقَطِي بقوله: اليقينُ ألا تهتمَّ برزقك الذي قد كُفِيتَه وتَغْفل عن عملك الذي قد أُمرتَ به، فإن اليقينَ يسوقُ إليكَ الرِّزقَ سَوْقًا. ولقد خَرَجْتُ مرةً إلى الشام وليسَ معي غيرُ عَباءَةٍ وجَريدةٍ وأنا ماشٍ، فبعتُ العباءَةَ في بِلْبِيس بخمسةِ دراهمَ، ومضيت ماشيًا فما ضَيَّعني الله، ولقد دَخَلْتُ قريةً من قُرى الشام فطلبتُ ماءً أتوضأ به، فقيل لي: لم نُمْطَر إلى الآن، والماءُ عندنا قليل. فقلتُ: لابُدَّ لي من ماءٍ أتوضأ به، فأتَوْني بماء فَتَوَضَّأتُ، وكان يتوضَّأ بماءٍ قليلٍ جدًا. قال: ثم دخلتُ المسجدَ فصلَّيْتُ. وكان يُطيلُ القيامَ والرُّكوُعَ والقيامَ منه والسُّجودَ والجلوسَ طُوْلاً مُفْرِطًا بحيثُ يَقْرأ في

الرَّكعة بنحوِ سورةِ «يونُس» أو سُورةِ «هود». ويُسَبِّحُ في كلِّ ركوعٍ وكلِّ سُجودٍ سَبْعينَ تَسبيحةً. قال: فلما فَرغْتُ من الصلاة رأيتُ خَلْفِيَ نحو ثلاثين طبقًا فيها المآكل، وقالوا لي: ادع الله أن يرفع عنا المَطَر فقد شَرِبَتِ المِعْزَى من فمِ الصَّهاريج، فدعَوْتُ الله لهم، وطالما أقسمَ على الله فأبَرَّ قَسَمَه.

وكان مع ذلك جميلَ المحاضَرةِ، حسنَ المذاكرة، مُطَّرِحًا للتكلُّفِ، مُتَّضِعًا مع إخْوانه، عَزُوفًا عن الضَّيْمِ، ساميًا عن رذائِلِ الأخلاق، قانعًا بالخَشِنِ من العَيْش، شَدِيدَ الغَضَبِ في إنْكاره المُنكَر، مُؤْثرًا بما يأتيه من المعيشة مع الفَاقَةِ، صادقَ اللهجة، منْجَمِعًا عن الناسِ أشدَّ الانجماع، محبًا للخَلْوَة، متعصِّبًا لما يذهبُ إليه من الاعتقادِ، متحاملاً على من خالَفَه، حديدَ الخُلُق. مُتَودِّدًا إلى خِلاَّنِه، ذامًا لأهْلِ زمانه، بَصِيرًا بمعايِبِهم، إذا سَرَدَ ما عليه الكافَّةُ من التغيير والمَناكير يملأُ الأسماعَ بعبارةٍ فصيَحَةٍ طَلْقةٍ يَخلب بها العُقولَ، ويَستميلُ القُلوبَ.

وله مُصَنفات أملاها من غير مراجعةِ كتاب، تشهدُ له بما كان عليه من كَثْرةِ الحِفْظ والاطلاع وفقْهِ النفس، منها «جُزْءٌ في رفع اليدين» و«جزءٌ في إمْساكِ اليَدَيْنِ حالَ القيام في الصلاة»، ذهبَ فيه إلى وُجوب إمْساكِ اليَدَيْنِ بعد الرَّفْعِ من الركوع، وكان يواظِبُ على ذلك. ومسألةٌ في الإمامة سماها «طَريقَ الاسْتِقَامةِ لمعرفَةِ الإمامة» وكتبتُ هذه المسائل الثلاثَ وقرأتُها عليه. وهو أحدُ الثلاثةِ الذين نَفَعَني اللهُ بهم نَفْعًا أرجو بركتَهُ.

ولم يزل على حالةِ إملاقٍ حتى تُوفي يوم الخميس لأربعٍ بقينَ من جُمادى الأولى سنة ثمانٍ وثماني مئة. وقد حفِظْنا له كراماتٍ عديدةً، منها أنه لما كان يعملُ هو وأصحابُه في الطِّيْن والجِير ونَقْلِ الحِجارَةِ سَمِعَ صوتًا في الهَواءِ ولم يَرَ شَخْصَه وهو ينشد:

يا حَاملَ العِلْمِ الشريفِ وطالبَ الـ فَضْلِ المُنيفِ ومن لهم حُسنُ الثَّنا
لا تَجْـزعُـوا لِمِقَـامِكُـمْ فـي ذلـةٍ فـي جَنـةِ الفِـرْدَوسِ تَلْقَـوْنَ المُنـا

وراَهُ الحافظُ قاضي القُضاة أبو الفضل أحمد بن حَجَر بعد موتِهِ في المَنام فقال له: أنت متَّ؟ قال: نعم. قال: ما فعل اللهُ بكَ؟ قال: نحنُ الآن بخَيْر.

وقد سمعَ الحديثَ ببغداد، وحَلَب، ودمشق من جماعةٍ ولم يُحدِّث.

أخبرني العبدُ الصالح أبو هاشم أحمد بن محمد بن البُرهان، قال: كتبَ إليَّ أبو زَيْد عليُّ بن عُلْوان وأنا مَسْجونٌ من شِعْره:

ما يَعْلَمُ العَبْدُ ما يأتي به القَدَرُ ... ولا يُنَجِّيه مما يَحْذَرُ الحَذَرُ
لا الحَزْمُ يَدْفعُ للمَحْتُومِ من أجَلٍ ... ولا بِخَوضِ المَنَايا يَنْقُصُ العُمُرُ
وإنما هيَ أوْهَامٌ يُخَيِّلُها ... إلى النُّفوسِ فُتورُ العَزْمِ والخَوَرُ
ماتَ الجَبَانُ حَبيسًا دُونَ مَطْلَبِهِ ... وقَارَنَ المُقْدِمَ التأييدُ والظَّفَرُ
فانْهَضْ وخَلِّ أمانيًا تُسَوِّفُها ... ما إنْ لأشْجارِها ظِلٌّ ولا ثَمَرُ
وعَانِ أسْبابَ ما ترجُوه مُجتهدًا ... واصْبِرْ ولا يَصْرِفَنْكَ اليأسُ والضَّجَرُ
فإنْ ظَفِرتَ بما أمَّلْتَ وانتَظَمَتْ ... لكَ الأمورُ التي تَرْجُو وتَنْتَظِرُ
فسُلَّ سَيْفَ الجَفَا من غِمْدِ مَرْحَمةٍ ... واظْهر بملحمةٍ تَعْنُو لها الصُّوَرُ
وحَكِّمِ السيفَ لا تُبقي على أحَدٍ ... ولا تُبالِ بِمَن لامُوكَ أو غَدَروا
حتى تُطَهِّرَ هذا الدِّيْنَ من نَجَسٍ ... ويُذْعِنَ البَدو للمَعْروفِ والحَضَرُ
فإنَّما القَوْمُ في جَهْلٍ وفي عَمَهٍ ... وفي عَمًى وظَلام ما لهُ سَفَرُ
قَوْمٌ تواصَوْا على تَقْديمِ فاسِقِهم[1] ... كما تَواصَتْ على أبْوالِها الحُمُرُ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو زيد، وكتَبَ بها إلى إخوانه بحَلَب في سنة ستٍّ وثمانين عندما فرَّ في واقِعَةِ الخليفةِ المتوكل وقُرْط[2] إلى آل مُهَنا وأقامه الأمير نُعَيْر على القَضَاء بَيْنَ العرب، وكانت نفسه تُنازعهُ

(١) كتب في الحاشية أنه في نسخة أخرى: «تقليد أولهم».
(٢) هو سيف الدين قرط، أحد الأمراء.

الدخولَ إلى حَلَب لاجتماعِهِ بأهْلِهِ وإخوانه، وهُمْ يَنْهَوْنَه عن ذلك ويُحَذِّرونه السُّلطان:

وإخْوانِ صِدْقٍ لا عَدِمْتُ ودادَهُمْ فكلُّهُم في كلِّ خيرٍ يساعِدُ
يَقُولونُ لي الشهباءُ لا تَقْرَبَنَّها فقد ضُرِبَتْ فيها عَلَيْكَ مَراصدُ
وما حَلبٌ أُمٌّ غَذَتْني لِبانَها وَلاَ هي إن فارَقْتُها لي والدُ
وإني لأرْجُو أنْ أرُوعَ فؤادَها بِذي لَجَبٍ عنهُ تَضيقُ الفَدافِدُ

٢١٥- أحمد بن ناصر بن خَلِيفةَ، قاضي القُضاة شهابُ الدين أبو العَبَّاس البَاعُونيُّ الصَّفَديُّ[(١)].

وُلِدَ بقريةِ باعُونَةَ من مُعَامَلَةِ عَجْلُون، وإنما سُميت باعُونَةَ من أجْلِ أنه كان مَوْضِعُها دَيْرًا للنَّصارى، واسمُ راهبِهِ باعُونَة، فلما أزيلَ الدَّير، وعُمِلَ مكانَه قريةٌ عُرفت ببَاعُونة.

وكان أبو أحمد هذا حائكًا بباعُونة، ثم اتجر في البَزِّ، ورَكَض به في البلاد، ووُلِدَ له إسماعيل وأحمد، فتعلقَ إسماعيل بصُحْبَةِ الفُقَراء. وسكن صَفَد، وتعلق بالتصوف، ووَلِيَ قضاءَ الناصرَة نيابةً عن قاضي صَفَد، فتخرَّج به أخُوه أحمد صاحبُ الترجمة. وقرأ كتابَ «المِنْهاج» في الفِقْهِ للنَّوَوي، ولازمَ الاشتغالَ. وكان فيه ذكاءٌ وفطْنَة، فاشتُهِرَبصَفَد، وقال الشعر، فرغبَ له أخوه إسماعيل عن قضاءِ النَّاصِرَةِ، وانقطعَ إلى الله تعالى، وباشر نظرَ قُبة شُعيب بحِطِّين، وباشر أحمد مارِسْتانَ صَفَد مدة، ثم صُرِفَ عن مُبَاشرتِه. فلما كانت فتنة الأمير مِنْطاش في سنةِ إحدى وتسعين ثارَ أهْلُ صَفَد عليه من أجل أنه لَقِيَ مِنْطاشَ ومَدَحه بقصيدةٍ غَضَّ فيها من الظاهرِ بَرْقوق، فخرجَ من صفدٍ خَائفًا، وقَدِمَ إلى القَاهرة، وقد عادَ السُّلطانُ الملكُ الظاهرُ بَرْقوق إلى المُلْكِ، فنزل بخانكاه سعيد

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٢٧٧، والدر المنتخب، الترجمة ٢٤٢، وإنباء الغمر ٧/ ١٢٤، ورفع الإصر ١/ ١٠٩، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٤، والضوء اللامع ٢/ ٢٣١، ووجيز الكلام ٢/ ٤٢٧، وشذرات الذهب ٧/ ١١٨.

السُّعداء واشْتُهرَ ذكرُه. وكان يَلْبُغا السَّالمي قد تحرَّك حَظُّه، ولهُ بأحمد هذا معرفةٌ من صَفَد، وفي نَفْسِهِ منه وهمٌ أنه رَجُلٌ صالح، فأوصَلَه بالسُّلطان بعدما رَبَّاه[1] عنده ومَلأ قلبه من إجْلاله وَتعْظيمه، فأجلَّ السُّلْطانُ مَقْدَمَه، وأكرمه. واسْتَدناه وكان قَلبُه مَشْغُولاً بأمْرِ مِنْطاش، فأخذ يُجاريه في ذِكْرِه، فصادفَ منه ما أُعْجبَ به، فولاه خِطابةَ جامع بَني أميةَ بدمشق، وخَلَع عليه، فتوجه إليها وباشَرها، وكاتَبَ السُّلطانَ بما نَدَبه إليه إلى أن قَدِمَ السلطانُ دمشقَ في سنة ثلاثٍ وتسعين، ولأّه قضاءَ القُضاةِ بدمشق في يوم الخميس ثامن عشر ذي الحجة بعد تمنُّع زائدٍ، فباشرَ القَضاءَ بفَخامةٍ وضَخامةٍ، وإرْعاد وإبْراق، ودَعاوَى في الكَشْفِ والصَّلاح، ورُؤْيَةِ المَناماتِ تَخرُج عن الحدِّ في الكَثْرة، فمَجَّتْهُ الأنفس وانطلقت الألسنة بالإنكار عليه ورَمْيه بالعَظائم فعُزل في (رَجَبَ سنة ستٍّ وتسعين)[2]وسُجنَ مُدَّةً. ثم أُفرج عنه ولزمَ بيته زمانًا. ثم وَليَ خِطابةَ القدسِ، فَشَنأهُ أهلُ البلد، وجرت له ولهم خطوب آلَتْ إلى رَجْمهِ وإخْراجه، فأقام بدمشق. ثم ولأّه السلطانُ الملكُ الناصرُ فرجُ بن بَرْقوق قضاءَ دمشقَ بسِفارَةِ الأمير جمال الدين يوسف الأسْتادار في سابع عشري صَفَر سنةَ اثنتي عشرةَ، فباشرَ القَضاءَ أحسنَ مباشَرَةٍ من العِفة والنَّزاهةِ والمُداراة وإقَامة الحُرْمةِ والقُوة في إمْضاء الأحكام، والثبات في الأمر، ثم صُرفَ، وأبقيت له وظائفُ إلى أن أقيم الخليفةُ المُسْتَعينُ بالله، وخُلعَ الناصرُ بعد هزيمَته علـى اللَّجون ثم وَليَ البَاعوني قَضاءَ القُضاة بديارِ مصرَ من قِبَلِ الخليفة عِوَضًا عن قاضي القُضاة جلال الدِّين عبدالرحمن ابن البُلْقيني. وكان الناصر قد ألْزمَهُ بالإقامةِ في جامع بني أميةَ، وذلك في سابع عشري المحرم سنة خمس عشـرةَ، وَوَلَّى معـه الشِّهابَ أحمد ابـن الحُسْبـانـي قضـاءَ القُضـاة بـدمشـقَ عـوضًـا عـن الإخْنَـائـي.

---

(١) رباه: زكاه.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ ابن قاضي شهبة لابد منها.

فأثْبَتا المحضرَ المُكْتَتَبَ على الملك النَّاصر بالعظائمِ الشنيعةِ التي نُسبت إليه، ثم عَزَلَ الخليفة الباعونيَّ وأعادَ الجلالَ ابن البُلْقيني في سادس عشري صفر، فلزم داره حتى ماتَ في رابع المحرم سنة ست عشرة وثماني مئة.

وكان رَجُلاً طُوالاً مُهابًا، عليه خَفَرٌ، وله منطقٌ فصيحٌ، وعبارة عَذْبَةٌ، وقدرةٌ على سُرعَةِ النظم وارْتِجال الخُطَب، مع جميلِ المحاضَرَةِ وحُسن المذاكرة، وكثرَةِ الفوائد، وسُرْعةِ البُكاء خَشْيةً وخُشوعًا عندما يذاكرُ بالمواعظ، مع العِفة عن التدنُّس بشيء من الفَواحش، والصِّيَانَةِ من تناوُلِ مال الأوقافِ بغير حَقٍّ، وأخذ البَراطيل، إلا أنه شَديدُ الإعجاب بنَفْسهِ، وثابتٌ في أمْره، لا يتزحْزَحُ عما يقوم فيه، ولا يقبلُ في ولايته رسالةَ أمير ولا كبير، ولا يُحابي في أحكامه أحدًا، فَكَثُر لذلك حُساده وعداه، وكثرَتْ شناعاتُهم عليه بما ليسَ فيه؛ فلقد صَحِبَني بدمشقَ، وقلَّ يوم لا يأتيني فيه، وكَثُرَ اجتماعُنا، فلم أرَ فيه ما أنكرهُ عليه سوى طَلَبهِ الوظائف وسَعْيهِ فيها، مع أنه صاحبُ عِيالٍ، وليسَ له مال. وكنتُ أريدُ منه أن يتخلى عن السعي ليكونَ قوله وفعلُه متوافِقَين، فإنَّه كان يتكلمُ في أكثرِ مجالِسه بكلام الزُّهَّاد، ويخالفُ ذلك بسَعْيه إلى أبوابِ الأمراء وأعيان الدَّولة وذَوي الجاهات، ويطلبُ الوظائف، وأي الرِّجال المُهذَّبُ[1] وبالجُملة فلقد كان، واللهُ أعلم، خيرًا ممن يتكلَّم فيه؛ فلقد خَبِرْتُ القومَ وعَرَفْتُهم.

أخبرني رحمه الله، قال: أخبرني العارفُ المُعَمَّر جمال الدين يوسف الإمامُ الصفدي، قال: كان سيدي محمد الخالدي كثيرَ القَبْض، لا يُرى مُنْبَسطًا، فبينا هو ذاتَ يومٍ في الخَلْوة، وقد استحكمَ عليه القَبْضُ إذ سمع قائلاً من جانبِ الخَلْوةِ يسمعُ صوتهُ ولا يَرَى شَخْصَه يقول:

ادْنُ منـــي ولا تَخـــافَـــنَّ هَجْـــري   لیــسَ يَخْشـى الخليـلُ هَجْـرَ الخليـلِ

(١) تضمين لقول النابغة الذُّبياني من قصيدتـه التي يخاطب بها النعمان (ديوانه ٥٦).

إنَّ أدْنــى الــذي يَنَــالُــكَ منــي سَتْــرُ مــا يُتَّقَــى وبَــثُّ الجميــلِ[١]

وأنشدنـي لنَفْسه، وقد عَتَبه شَخْصٌ على الانقطاعِ بمنزلهِ عن الناس:

يــا مَــنْ رَآنــا وقــد لَــزمْنــا بُيُــوتَنَــا مُغْلَقِيــن بَــابــا
وعَهْــدُهُ أنَنــا شُمُــوسٌ لَــمْ نُــرْخ مــن دُوننــا حِجَــابــا
لا تُنْكِــرَنْ ذاكَ إنَّ دَهْــرًا لُيُــوثُــه تَــرْهَــبُ الكِــلابــا
فيــه لُــزومُ البيــوتِ أولــى والصَّمْــتُ فيــه غَــدَا صَــوَابــا

وقال:

ولمـا رَأَتْ شيبَ رَأسي بَكَتْ وقـالـت عَسَـى غيـر هـذا عَسَـى
فقُلْـتُ البَيَـاضُ لِباسُ المُلُـوكِ وإنَّ السَّــوادَ لِبــاسُ الأسَــى
فقــالــت صَــدَقَــتَ ولكنَّــهُ قَلِيــلُ النِّفــاقِ بســوق النِّسَــا

وأنشدني لغيره مخاطبًا لي لأقومَ معه في شيء أراده:

أأظْمأ وأنْتَ الوِرْدُ في كُلِّ مَنْهَلٍ وأُظْلَــمُ فــي أمْــرٍ وأنْــتَ نَصِيــري
وعَارٌ على حامي الحِمَى وهوُ حارسٌ إذا ضــاعَ فــي البَيْــدا عِقــالُ بَعيــرِ

وأنشدني شيخُنا الجلالُ محمد ابن خَطِيب دَرَايا لنَفْسهِ في البَاعوني هذا لما وَليَ قضاءَ دمشقَ:

قَضاء دمشقَ نَادَى الله خَلْقُكَ لا يُراعوني
رُميتُ بكُلِّ مَصْقَعَةٍ وبعـد الكـلِّ باعُوني

---

(١) في حاشية المسودة تعليق بخط المصنف نصه: «هذان البيتان لبهلول بن عمرو أبي وهيب الصيرفي المجنون من أهل الكوفة، توفي في حدود التسعين والمئة، وذلك أنه كان يمشي ببعض طرقات البصرة، فرأى صديقًا له كان يصحبه قبل أن يُجن، ولما أصيب بعقله فارقه صديقه، فلما رأى البهلول عدل عنه، فقال بهلول:

ادن منــي ولا تخــافــنَّ غــدري ليس يخشى الخليل غدر الخليل
إن أدنــى الــذي ينــالــك منــي ستر ما يُتقى وبث الجميل»

٢١٦- أحمد بن عليٍّ بن يحيى بن جُمَيع، القاضي شهابُ الدين ابن القاضي نُور الدِّين الصَّعْديُّ العَدَنـيُّ، رئيسُ تُجـارِ اليَمَن(١).

كانت له بِعَدَنٍ وغيرها عِدَةُ أموال جَمة، ولهُ حِشْمةٌ ووَجاهَة، وتَمَكُّنٌ من الأشرف إسماعيل صاحبِ اليمن.

قَدم إلى القاهرة وهو شابٌّ، فاجتمعتُ به في مجلسِ قاضي القضاةِ ولي الدين أبي زَيْد عبدالرحمن ابن خَلْدُون، وسألتُه عن أحوالِ اليَمَن، فَذَاكرَني بأشياءَ، وكانت فيه آدابٌ ومعرفةٌ مع حُسنِ وَجْهٍ.

تُوفي بِعَدَنٍ عن خمسٍ وعشرين سنة بعد عَوْده من الحجِّ في محرم سنةِ سَبْع وثماني مئة.

٢١٧- أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالبرِّ بن يحيى بن عليّ، شهابُ الدين، ابن قاضي القُضاةِ، بهاءِ الدين أبي البَقاء الشّافعي(٢).

دَرَّسَ بعدَ موتِ أبيه بالمَدْرسةِ الظاهريـة بدمشق دَرْسًا واحدًا، وقَدِمَ القاهرة فلما استقر أَخُوهُ بَدْرُ الدين محمد ابن أبي البَقَاء في قَضاءِ القُضاة بعدَ قَتْلِ الأشْرَفِ شعبانَ، وَليَ عوضَه نظرَ بيتِ المالِ، وكان إذ ذاكَ يُعَدُّ من أَجَلِّ المناصِبِ، فباشَرُه حتى ماتَ يومَ الجمعةِ سابعَ عِشري شهر ربيعٍ الآخر سنةَ اثنتين وثماني مئة عن نحوِ خمسين سنة، ولم يَكُن مَرْضيًا.

٢١٨- أحمد بن موسى، أبو العَباس الزُّرعيُّ الفَقير الزَّاهد(٣).

كان يُقيمُ بِزُرع من أعمال دمشقَ، وله مُريدونَ وشهرةٌ كبيرةٌ عند

---

(١) ترجمته في: الضوء اللامع ٢/ ٤٥.

(٢) الترجمة في: إنباء الغمر ٤/ ١٥٤، والضوء اللامع ٢/١١٨، وفيهما أحمد بن محمد بن عبدالبر.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٧١، والدرر الكامنة ١/ ٣٤٤، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٢، ووجيز الكلام ١/ ١٢٠، وشذرات الذهب ٦/ ٩٧.

الخاص والعام، ولا يَقبلُ لأحدٍ شيئًا، وإنما يَتَقَوَّتُ من عَمَلِ العُبَى بيده من الصُّوف، فإذا باع العباءَةَ وعَرَفَه أحدٌ فزادَ فيها أكثرَ من قيمتها لم يقبل الزيادةَ وأعرضَ عنه، وكان يتردَّدُ إليه نائبُ الشام فيمن (يتردد)[1] فيخاطبُهم بجرأةٍ وإقْدام من غيرِ اهتبالٍ بهم. واختصّ بصُحْبَةِ شيخ الإسلام تقيِّ الدين أحمدَ بن تيمية، وقدم إلى القاهِرَة بسببَه لما سُجنَ، وكلم الأميرَ بِيْبَرْس الجاشنكير في أمره، وصَدَع بالنّكير عليه، وجَبَهَهُ بكلمةِ الحقَ، واجتمعَ بالسلطان الملك الناصرِ محمد بن قلاوُون في سنةِ اثنتي عشرةَ وسبع مئة بدمشق، وكَلَّمه في رفع مظلمةٍ لأهْلِ زُرَع كان يتحصَّل منها ألْفُ دينارٍ فأبطَلَها، فلما خرجَ منَ عنده قال السلطانُ: ما رأيتُ أهْيَبَ من شَكْلِ هذا الرجلِ، ثم أُعيدَتْ تلكَ المَظْلَمةُ فقدمَ إلى القاهرة وهُرِعَ الناسُ لزيارتهِ والتبرك بدُعائهِ حتى لم يكد يتأخَّرُ عنه أميرٌ ولا وزير؛ وذُكرَ للسلطان فقال: هو فَجُّ الكلام، قَويُّ النفس. فقيلَ للشيخ: ألا تَجتمعُ بالسُّلطانِ؟ فقال: لا أجْتَمع به أبدًا، فإني استخرتُ الله تعالى سبعينَ مرةً في الاجتماع به فلم أجد ما يَدُلُّ على اجتماعي به، وعاد إلى الشَّام؛ وذلك في أوائلِ سنة إحدى وأربعين. ثم قَدِمَ القاهرةَ في سنةِ أربعٍ وأربعين، واجتمع بالسُّلطانِ الملك الصَّالح عمادِ الدين إسماعيل بن محمد بن قَلاوُون، فقَضَى أشغاله وعاد.

ولم يزَلْ على الازديادِ من الخَيْر حتى ماتَ بمدينة حُبْراص من الشام في يوم الثُّلاثاء منتصف ذي الحِجة سنةَ إحدى وستين وسبع مئة عن أربع وتسعين سنة تقريبًا.

وقد أبْطَلَ اللهُ على يده مُكُوسًا كَثيرةً، وأزالَ به مَظالمَ عديدة، وكان لا يعودُ من مِصْرَ إلا وعلى يَدِه جُملةُ تواقيعَ بإبْطالِ حوادثَ ومتجدِّدات من كَثْرةِ ما يقصدهُ الناسُ لمثلِ ذلك، فنفَعَ اللهُ به خَلائقَ كثيرةً. وكان له حَظٌّ زائدٌ وقَبُولٌ عظيمٌ عند الأتراكِ بحيثُ إنَّ من كان لا يحبُّه منهم لا يَرُدُّ سُؤاله في شيء أبدًا، رحمه الله.

---

(١) إضافة منا لابد منها ليستقيم النص.

٢١٩- أحمد بن عبدالرحيم بن الحُسين بن عبدالرحمن، قاضي القُضاة، وليُّ الدين أبو زُرْعَةَ ابنُ الحافظِ زَيْنِ الدين العِراقي الشافعي[١].

وُلد في ثالثِ ذي الحجة سنةَ اثنتين وستين وسبع مئة، واعتنَى به أبُوهُ فأحْضَره على أبي الفَتْح القَلانسي، ورحَلَ به لَمَّا طَعَنَ في الثالثَةِ إلى دمشقَ، فحضَّره الكثير علَى جَمْع جَم من أصحاب الفخر[٢]، وابن عساكر. ثم طَلَبَ بنفْسهِ بالقاهرةِ ومِصرَ فأكْثَرَ، ثم رحلَ ثانيًا إلِى دمشقَ بعدَ مَوتِ الطبقَةِ الأولى، فسمع من أصحابِ القاضي، وابن الشِّيرازي. وقد سمع بالقاهِرَةِ على الشيخ جمال الدين محمد بن نُباتة، والبَيَاني، وغيرهما. واشتغلَ بالفِقْهِ وغيره، فظهرت نجابَتُه مع حُسنِ شَكْلهِ، وشَرَفِ نَفْسهِ. ثم أُجيزَ بالفَتْوى والتدريس وهو شاب.

وأقبل على التصنيف، فشرَحَ منظومةَ أبيه في الأصول، وكتَبَ على سُدُسِ «سنن أبِي داود» سبع مُجلدات، ورتب «المُهِمات» على أبواب الفقه. وأكْملَ شَرحَ «الأحكام» لأبيه.

وجمع نُكتًا على المُخْتَصراتِ الثلاثة: «التنبيه» و«المِنْهاج» و«الحَاوي». وخَرَّج من رجال الصحيحين من نُسب إلى شيءٍ من الجَرح. وكتب في «المُبْهمات»، وفي رُواةِ المَرَاسيل، وذَيَّل على «الكاشف» للذَّهبي. وذَيَّل على «ذَيْل العِبَر»، وكتب «أوْهامَ الأطراف»،

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٢/ ٦٥١ - ٦٥٢، وذيل التقييد ١/ ٣٣٢، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٠٧، وإنباء الغمر ٨/ ٢١، ورفع الإصر ١/ ٨١، ولحظ الألحاظ ٢٨٤، والدليل الشافي ١/ ٥٣، والمنهل الصافي ١/ ٣١٢، والنجوم الزاهرة ١٤/ ٢٠٤، والضوء اللامع ١/ ٣٣٦، ووجيز الكلام ٢/ ٤٧٥ وحسن المحاضرة ١/ ٣٦٣، وذيل طبقات الحفاظ ٣٧٥، وبدائع الزهور ٢/ ٨٧، ودرة الحجال ١/ ٢١، وشذرات الذهب ٧/ ١٧٣، والبدر الطالع ١/ ٧٢.

(٢) يعني: فخر الدين ابن البخاري المتوفى سنة ٦٩٠ هـ.

واخْتصَرَ «المُهمات» في الفقه، وشرَحَ «البَهْجَة الوَرْدية»، وشرَحَ «نَظْمَ مِنْهاج البَيضاوي»، وكتب تَعَقبُّاتٍ على الرَّافعي. وله كتاب «الدليل القَويم على صِحة جَمْع التقديم»، وكتاب «تُحفة الوَارِدِ بتَرْجمةِ الوالد»، وكتاب «الأجوبَة المَرْضيَة عن الأسئلة المكية».

وجلس للإمْلاءِ بعد أبيه من ابتداءِ شوال سنةَ عشرٍ وثماني مئة، وتصدَّى للإفْتاء والتدريس، ونابَ في الحكمِ عن قُضَاةِ الشافعية نحوًا من عشرين سنة. ثم تركَ ذلك وأقبل على الإفَادةِ فعظم قدرُه واشتُهِرَ ذكرُه إلى أن مات الجلالُ عبدالرحمن ابن البُلْقيني، فاستُدعي وخُلعَ عليه في يوم الاثنين خامس عشر شوال سنة أربع وعشرين وثماني مئة، فاستَقرَّ قاضي القُضاة، فباشَر بعفةٍ ونَزَاهةٍ وصَرَامَة وشهامة، ثم غَلبَ على رأيهِ وانْفرَطَ الأمرُ منه، ووثَبَ عليه بعضُ أهْلِ الدَّولة، فصُرفَ بعَلَم الدين صالحِ ابن البُلْقيني في سادس ذي الحِجة سنةَ خمسٍ وعشرين، فتنغصت حياتُه عليه ومَرِضَ عدَّةَ أشهر[1]، ومات يومَ الخميس سابع عشري رمضانَ سنةَ ست وعشرين وثماني مئة، ودُفنَ عندَ أبيه بالصَّحْراء.

وكان يغلُبُ عليه الخيرُ والتواضعُ وسلامةُ البَاطن، ومن شعره:

إذا العِشْرونَ من رَمَضانَ وَلَّتْ   فواصل صَومَ يَومِكَ بالقِيامِ
ولا تَأخذ بحَظِّكَ من مَنَامٍ   فقد ضَاقَ الزَّمانُ عن المَنَامِ[2]

---

(١) في لحظ الألحاظ ٢٨٨ وصف لمرضه، قال: «وكان قد حصل له طحال فتداوى بشرب الخل كل يوم فعوفي وحج، ولما عزل عاد إليه وجع، فظنه الطحال، فتداوى بالخل، فإذا به وجع الكبد، فحمي كبده، وعالجه الأطباء أزيد من شهرين، ثم عرض له وعك وحمى عظيمة إلى أن آل أمره إلى الإسهال فأفرطه إلى أن مات». قلنا: يظهر أنه كان مصابًا بتليف الكبد وتضخم الطحال، وأنه أصيب بعجز عمل الكبد، وسوء المزاج من أعراض عجز الكبد.

(٢) كتب المصنف في المسودة بعد هذه الترجمة ترجمة ضرب عليها بسبب أنها تقدمت في الرقم ١٦٩ نصها: «أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد المرداوي الحنبلي أبو العباس شهاب الدين قاضي الحنابلة بمدينة حماة. ولد بمردا من عمل نابلس في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة، وسمع بدمشق من =

٢٢٠-أحمد بن عبدالعزيز بن يوسف بن أبي العزِّ عزيز بن يعقوبَ ابن يَغْمورَ بن دَوالة الحَرَّانيُّ الأصل، القاهريُّ المولدِ والمَنْشأ، نزيلُ حَلَب، أبو العباس شهابُ الدين المعرُوفُ بابن المُرَحِّل(١).

وُلدَ قبل السبع مئة، وأخذَ الفقه بالقاهِرَة عن زينِ الدين الكَتَّاني، وأجازَ له الشَّرفُ الدِّمياطي، وكتَبَ «المطلَبَ» لابن الرِّفعة بخطه. وسمعَ من الحسن سِبْطِ زيادة، ومن أبي الحسن عليّ بن النَّضْر بن نَبا، ومن عبدالله بن رَيْحان، ومن العِمادِ أحمد ابن القاضي شمسِ الدين ابن العِمادِ، وجماعة. وحدثَ. وقد انفردَ ببعْضِ شيوخه، وكان خيرًا.

تُوفي في ثاني ربيع الآخر سنةَ ثمانٍ وثمانين وسبع مئة. وقد خَرَّج له الصَّدْرُ الياسُوفي أربعينَ حديثًا.

٢٢١- أحمد بن أبي يَزِيد بن محمد، الشيخُ شهابُ الدين ابن الشيخ رُكْنِ الدين ابن شمس الدين المعروفُ بمولانا زادَةَ البُخاري ثم السَّرَائي(٢).

كان لأبيه شُهْرةٌ بالزُّهْد والعبادة وكَرَم النفسِ، فولاه مُلوكُ بلاد سِرَاي النَّظَرَ على الأوقاف، وكانت كثيرةً يَجتمع منها مالٌ جَمٌّ، فلم يتَناول منها دِرْهمًا فما فوقَه، لا لنَفْسه ولا لعيالهِ، حتى ولا عَلَفِ حيوانه، وكان يقولُ: كل هذا الزُّهْدِ في هذا المالِ الدَّنيءِ لِيَرزُقَني اللهُ وَلَدًا صالحًا، فإني رأيتُ فَسادَ أولادِ المشايخِ من تناوُلِ هذا المال الخبيث.

= القاضي شرف الدين ابن الحافظ الشهاب أحمد ابن المحب، وحدث».

(١) ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٦٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٩٤، والدرر الكامنة ١/ ١٨٥، وإنباء الغمر ٢/ ٢٢٦، وشذرات الذهب ٦/ ٣٠٠.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢/ ٨٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٣٠٥، والدرر الكامنة ١/ ٣٥٧، وإنباء الغمر ٢/ ٣٦٣، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٨٣، والمنهل الصافي ١/ ٢١١، ووجيز الكلام ١/ ٢٩١، وحسن المحاضرة ١/ ٥٤٧، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٦، والطبقات السنية ١/ ٣٦٥.

فوُلدَ له أحمد هذا في يومَ عاشوراء سنةَ أربعَ وخمسين وسبع مئة بمدينةِ سرَاي، وماتَ أبوهُ وهو ابن تِسْعِ سنين، فتولّى اللهُ تربيتَه، وبرعَ في أنواعٍ من العلوم وهو ابن ثماني عشرةَ سنة، وضُربَ به المَثَلُ في الذَّكاء. ثمَّ خرجَ من وَطَنِهِ وله عشرون سنةً، فاشتُهِرَ في البلادِ التي دخَلَها، حتى سكنَ دمشقَ مدَّةً.

ثم قَدِمَ القاهرةَ ووَلي تدريسَ الحديث بالمدرسةِ الظاهرية المُسْتَجدَّة بَيْنَ القصرين، وهو أوَّلُ من دَرَّسَ الحديثَ بها. ووَليَ أيضًا تدريس الحديث بالمدرسةِ الصَّرْغَتْمُشية من الصُّليبة. وأقرأ كتابَ «عُلُوم الحديث» لابن الصَّلاح بقوةِ ذكائهِ وجودة ذِهْنه حتى ماتَ بعدَ مرضٍ طويلٍ، وقد تزوجَ ووُلدَ له، وذلك في حادي عشري المحرم سنةَ إحدى وتسعين وسبع مئة عن ست وثلاثين سنة وعشرة أيام.

وكان من أفْراد زَمانهِ في الرِّياضةِ وحُسنِ الخُلُق وآداب الصُّوفية، فإنه تجرَّدَ وسَلَكَ ودخَلَ الخَلْوة، وفي حُسنِ تَقْريرِ العُلوم العَقْلية، فإنه كان إمامَها، وفي يَدَيه زمامُها. وكان إذا طالَعَ كُتُبَ الفِقْهِ والحديث والتَّفْسير قرَّرَ منها في دُرُوسه ما شاء أحسن تَقْرير، رحمهُ الله، فلقد عَرفناه عِدَّةَ سنين، وكانت له يدٌ في الأدَبِ نَثْرًا ونَظْمًا بالألْسُنِ الثلاثَةِ، وهي: العربيةُ، والفارسِية، والتركية. وأُنْجِبَ ولدُهُ مُحبُّ الدين.

٢٢٢- أحمد بن عبدالله بن أحمد، شهابُ الدِّين القَرْقَشنْديُّ الشافعيُّ[١].

خدمَ صلاحَ الدين ابن عَرَّام نائبَ الإسكندرية مُدَّةً، ثم توصَّلَ في آخرِ أيامِ كاتبِ السر بدر الدين محمد بن فَضْلِ الله إلى أن كَتَبَ في تَوْقيعِ

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ١/ ٤٧٣، وإنباء الغمر ٧/ ٣٣٠، والمجمع المؤسس، الترجمة (٤٠٣)، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٤٩، والمنهل الصافي ١/ ٣٣٠، والدليل الشافي ١/ ٥٥، والضوء اللامع ٢/ ٨، ووجيز الكلام ٢/ ٤٥٢، وشذرات الذهب ٧/ ١٤٩، ونزهة النفوس ٢/ ٤٣٢، وفي الضوء اللامع ٢/ ٨ بذكر اسمه أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي.

الدَّرج بغيرِ مَعْلوم. ثم نابَ في الحكمِ بمركزٍ من مراكزِ الشهود عن قاضي القُضاةِ جلال الدين عبدالرحمن ابن البُلْقيني مدَّةَ سنين، وكتبَ كتابًا كَبيرًا سماه «صُبْح الأعْشى في قَوانين الإنْشا».

وكان فاضلاً يُذاكرُ بالفِقْهِ والنحوِ والأدَب ويقول الشعر، تردَّدَ إلي مرارًا وكَتَب عنِّي، وكان مِكْثارًا مِهْذارًا.

تُوفي يومَ السبت عاشر جُمادى الآخرة سنةَ إحدى وعشرين وثماني مئة عن خمسٍ وستين سنة.

أفادنا أنَّ من أخذَ عُودًا مُستَويًا قَدُّه، سالمًا من الاعْوجاج، يكون طولُه بقَدْرِ ما بينَ عَيْني الذي يَعْمل به إلى قَدَمَيه إذا انتصَبَ قائمًا، ثم يَسْتَلقي على قَفاه تجاه شيء قائمٍ على الأرَض كنخْلَةٍ أو مَنارةٍ أو جَبَلٍ يريدُ معرفة ارتفاعهِ في السَّمَاء، ثم يضعُ ذلكَ العودَ بينَ رجليه وقد مَدَّهما حتى يَسْتَوي قيامُ العُود من غيرِ ميلٍ، وينظرُ بعينيه إلى طَرفِ العُودِ من أعلاه، ويتقدَّمُ أو يتأخرُ وهو مستلقٍ على قَفاهُ حتى يصيرَ طرفُ العُودِ مساويًا لرأسِ القَائمِ الذي يريدُ ارتفاعَهَ في السماء، فإذا صارَ طرفُ العُودِ القائمِ بين قَدَمَيه مساويًا لطَرَفِ القائمِ على الأرْضِ فليَقُم حينئذٍ، ثم لِيَقيس من موضع رأسهِ وهو مُسْتَلقٍ إلى أصْلِ ذلكَ القائمِ، فما بَلَغ من الأذْرُعِ وكُسور الأذْرُعِ فهو طولُ ذلكَ القائمِ من أعلاهُ إلى أسْفَلهِ.

٢٢٣- أحمد بن عبدالله بن حسن، شهابُ الدين البُوصيريُّ المِصْريُّ الشافعيُّ الصوفيُّ[١].

أخذَ عن الشيخ وَليِّ الدين المَلَوي، ولازَمَه مدةً، وبَرَعَ في فُنونٍ من فقْهٍ ونَحْوٍ وأُصولٍ وتصوُّفٍ.

تُوفي في جُمادى الأُولى سنة خمسٍ وثماني مئة.

---

(١) تقدمت ترجمته برقم (١٥٠)، فتكرر على المصنف.

٢٢٤- أحمد بن عثمان بن محمد بن عبدالله، شهابُ الدين الكَلُوقاتيُّ الحَنَفيُّ[١].

وُلدَ سنة اثنتين وستين وسبع مئة، وعُني بالحديثِ، وسمعَ، وقرأ من سنة تسع وسبعين بنفسهِ على المشايخ فأكْثَرَ، حتى قرأ «صحيح البُخاري» نحوًا من خمسين مَرَّةً، ودارَ علَى الشيوخ، وحَصَّل الكثيرَ، وأفادَ الطلبةَ حتى تُوفِّي يومَ الاثنين الرابع والعشرين من جُمادى الأُولى سنةَ خمسٍ وثلاثين وثماني مئة بالقاهرة. ونِعْمَ الرجلُ كان، ولم يُخَلِّف بعده في قِراءَةِ الحديثِ مثلَهُ.

٢٢٥- أحمد بن عليّ بن خَلَف الطَّنْتَدائيُّ، الشيخُ شهابُ الدين الحُسينيُّ الشافعي[٢].

نشأ بالحُسينية خارجَ القاهرة، فَعُرف بالانتساب إلى سُكناها، لا أنه من بني حُسين بن عليّ بن أبي طالب، رَضيَ الله عنهما، ولازَمَ شيخَ الإسلام سِرَاجَ الدين عمرَ البُلْقيني، وتخرج به، فبرع في فنونٍ عَديدةٍ من فِقْهٍ، وأصولٍ، وعربيةٍ، وحديثٍ، وعُنـي بفتاوَى البُلقيني، وعَلَّقها، وكتبَ الخطَّ المليح، وقرأ الحديثَ، وكان حسن القراءَة، شَجيَّ الصوْتِ، رَضيَّ الخُلق، حسن الهيئةِ، لَطيفَ الرُّوح. سمعنا بقراءَته الحَسَنةِ على شَيْخ الإسلام[٣]. توفي في جُمادى الآخرة سنةَ ثلاثَ عشرةَ وثماني مئة.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ٢٦٣، والمنهل الصافي ٣/ ٣٦٨، والدليل الشافي ١/ ٥٩، والضوء اللامع ١/ ٣٧١، ووجيز الكلام ٢/ ٥٢١، والطبقات السنية ١/ ٤٥٢، وشذرات الذهب ٧/ ٢١٢.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ٢٤٢، وذيل الدرر، الترجمة ٣٥٠، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٠٤، والضوء اللامع ٢/ ١٩.

(٣) يعني: البلقيني.

٢٢٦- أحمد بن عليّ بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الحَسنيُّ، الشريفُ شهابُ الدين الفاسيُّ ثم المكيُّ المالكي(١).

وُلِدَ في سنةَ أربع وخمسين وسبع مئة بمكةَ، وبَرَعَ في الفِقْهِ والوَثائقِ والحِساب، وقالَ الشعرَ، ودَرَّسَ، وأفْتى، وحدَّثَ عن القاضي عز الدين عبدالعزيز بن جَماعَة، والشيخ خَليل المكِّي المالكي، وسَمِعَ بالقاهِرَة من بهاءِ الدين أبي البَقَاء، وبحلَبَ، وناب في الحُكْم بمكةَ بعدما باشَرَ الحَرَم زيادة على خمسين سنة، وأَنْجبَ وَلدهُ الشريفُ تقيَّ الدين أبو الطَّيب محمد بن أحمد الفَاسي قاضي المالكية بمكة وفقيهها ومحدِّثها.

وتُوفي الشهابُ أحمد في يومِ الجمُعة حادي عشري شوال سنةَ تسع عشرة وثماني مئة عن خمسٍ وستين سنة وسبعة أشهر.

صحبني بمكة أيام مجاوَرَتي بها، وسيأتي ذِكْرُ أبيه وابنه تقي الدين.

٢٢٧- أحمد بن عبدالرحمن بن عِوَض بن عبدالله، الشيخُ شهابُ الدِّين، الطَّنْتَدائيُّ الشافعي(٢).

ولدَ سنةَ إحدى وخمسين وسبعِ مئة، وحَفِظَ «الحاوي» في الفقه، وعِدَّة كتب مَنثورة ومنظُومة، فبلغَ ما حَفِظَه من النَّظْم في العُلوم خمسةَ عشر ألف بيت، من ذلك تَفْسيرُ القرآنِ للشيخ عبدالعزيز الديريني. ونَظَم «مَطالع ابن قُرْقُول»(٣)، ولازَمَ الشيخَ برهانَ الدين إبراهيم الأبناسي. وقرأ على الشيخ ضياء الدين، والشيخَ زين الدين العِراقي، والبُلْقيني، وابن المُلَقِّن. وبَرَعَ في الفِقْه والفَرائض، وشَرَحَ «جامعَ

---

(١) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ١٠٩، وإنباء الغمر ٧/ ٢٢٩، والدليل الشافي ١/ ٦٢، والمنهل الصافي ١/ ٣٨١، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ٣٧٧، والضوء اللامع ٢/ ٣٥، ووجيز الكلام ٢/ ٤٤٤، وشذرات الذهب ٧/ ١٣٤.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٣٣٢، ووجيز الكلام ٢/ ٥٠٤.

(٣) هو كتاب «مطالع الأنوار على صحاح الآثار».

المُخْتَصرات»[1]، ودَرَّسَ سِنينَ، وخَطَبَ.

تُوفي يوم الاثنين ثاني شوالٍ سنةَ اثنتين وثلاثين[2] وثماني مئة، وقد أنافَ على الثَّمانين.

٢٢٨-أحمد بن يوسف بن منصور بن فَضْل بن عليّ بن أحمد ابن الحسن بن عليّ بن مُزني، الأمير الرَّئيسُ أبو العباس، أميرُ الزَّاب، البَسْكَريُّ المَغْربيُّ[3].

أصْلُ بَني مزني هؤلاءِ من الأعْراب الوَاصلينَ إلى إفْريقية أحلافًا لِطوالعِ بَني هلال بن عامرٍ في المِئَةِ الخامسة، ويقالُ: إنهم من مَازنٍ من فَزارةَ، ويُقال: بل هُم من لَطيف، ثم من الأشيح، ثم من بَني جُرَي بن عُلْوان بن محمد بن لُقْمان بن خَلِيفة بن لَطِيف، واسمُ أبيهم مُزْنَةُ بن دَيْفل ابن مَحْيا بن جُرَي المَذْكور. ونزلَ أوَّلُهم ببَعْضِ قُرَى بَسْكَرة، فلما كَثُروا وتأثلوا الأموالَ تحولُوا إلى بَسْكَرة، وانتظمَ كبارُهم في أرباب الشُّورى؛ فنافَسَهم بنُو رُمَّان رُؤساءُ بَسْكرة، وعادَوهم حتى اقْتَتَلوا، ثم قَامَ فَضْلُ بن عليّ بن أحمد بن الحسن بن عليّ بن مُزْني بَدعْوةِ الأميرِ أبي إسحاق وظاهَره على أخيه المستنصر محمد، فلما فرَّ توجه معه إلى الأنْدلُس وأقامَ بها حتى ماتَ المستنصر. وقام بعده أبو إسحاق في الخِلافةِ بتُونُس، فعقدَ لفَضْلٍ هذا على الزَّاب، ولأخيه عبدالواحد بن عليّ على بلادِ الجَريد، فقدم بَسْكَرةَ متوليًا على الزَّاب حتى فتكَ به بَنُو رُمان في سنةِ ثلاثٍ وثمانين وستِّ مئة، واستبدُّوا بعده بأمْرِ بَسْكَرةَ والزَّاب. وكان منصورُ بن فَضْلٍ عندَ مَهْلَكِ أبيه بتونُسَ، فسعَى بَنُو رُمان حتى سُجِنَ مدَّةً، ثم فرَّ إلى بِجايةَ، واتصلَ بصاحبِها أبي زكرياء، فولاه الزابَ وبعثَ معه

---

(١) جامع المختصرات لكمال الدين النشائي المتوفى سنة ٧٥٧، وهو في الفقه الشافعي.

(٢) شطح قلم ناسخ جـ فكتب «ثمانين».

(٣) ترجمته في: الضوء اللامع ٢/ ٢٥١.

عَسْكرًا، فدخل بَسْكَرةَ في سنة ثلاثٍ وتسعين، ورسخَتْ قدمُه بها، واتسع نطاقُ عَمَله، وأُضِيفَتْ له مع الزَّاب أعمالٌ أُخَرُ حتى ماتَ سنة سبع وعشرين وسبع مئة، فقام بأمرِهِ من بَعْده ابنهُ عبدالواحد بن منصور، فاغتاله أخوهُ يوسف بن منصور في سنة تسع وعشرين، واستقلَّ بعده بإمارةِ الزَّابِ حتى ماتَ يومَ عاشوراءَ سنةَ سَبْعٍ وستين.

فقامَ بعده بأمْرِ الزَّابِ ابنهُ أحمد بن يوسف صاحبُ الترجَمَةِ إلى أن نازلَه السلطانُ أبو فَارِس عبدالعزيز في سنة أربع وثماني مئة وأخذَه أسيرًا وسَجنه بتونُس حتى ماتَ، وانقرضَتْ دولةُ بَني مُزْني، وأبو العباس هذا هو والدُ صاحبِنا ناصر بن أحمد ابن مُزْني الفَاضل.

٢٢٩- أحمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن عليّ بن عَيَّاش، شهابُ الدين، أبو العَباس الدِّمشقي المُقْرِئُ الزَّاهد(١).

وُلدَ في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنةَ ست وأربعين وسبع مئة، وسمع على مُحْيي الدين الرَّحَبي وعماد الدين ابن السَّرَّاج، وزَيْنِ الدين ابن رَجَب، وعُمَرَ المِزِّي، والشيخ رَسْلان الصَّالحي، وابن قَواليج، والبياني، وابن جَعْوان، والشيخ شمس الدين ابن قَيِّم الجَوْزية، وغيرهم.

وقرأ بدمشقَ على شمس الدين محمد بن أحمد بن عليّ بن جامع الدِّمشقي الشهير بابن اللَّبَّان القراءات السَّبْع، وعلى أمين الدين عبدالوَهَّاب بن يوسف بن إبراهيم بن بَيْرم بن محمود بن السَّلَّار خَتْمةً جمعَ فيها بينَ القراءات السَّبْع بما تضَمَّنَهُ كتابُ «التَّيْسير» وقصيدةِ أبي القاسم الشَّاطبي. وقرأ بالقاهِرَة على الإمام أبي الفَتْح محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد العَسْقلاني خَتْمةً جامعةً لمذاهب الأئمة العَشَرة، وهمُ السَّبْعةُ المشهورُونَ برُوَاتهم الأربعةَ عشر بما تضمَّنَهُ «التَّيْسير» «والعنوان»

---

(١) ترجمته في: غاية النهاية ١/ ١٢٨، وإنباء الغمر ٧/ ٣٦٥، والضوء اللامع ٢/ ٢٠٣، وشذرات الذهب ٧/ ١٥٤.

و«الشاطبية»، والثلاثةُ الآخَرون: أبو جعفر يزيدُ بن القَعْقاع، ويعقوبُ بن إسحاق، وخَلَفُ بن هشام بما اشتملَ عليه كتابُ «الإرْشاد» لأبي العِز محمد بن الحُسين بن بُنْدار القَلانسي وكتاب «المُسْتَنير» لأبي طَاهرٍ أحمد ابن عليّ بن عبيدالله بن عُمر بن سِوَار، وكتاب «المُبْهج» لأبي محمد عبدالله بن عليٍّ بن أحمد الأُستاذ سِبْط أبي منصورِ الخَيَّاط؛ وذلك في بضعةٍ وثلاثينَ يومًا، آخرُها ليلةُ تاسع عشري شعبان سنة خمسٍ وثمانين بجامع ابن طولون.

وسمعَ «العقيلة» في الرَّسم للشاطبي على شيخنا بُرْهان الدِّين أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد بن عبدالمؤمن الشَّامي الضَّرير بسماعِهِ لها على الحافظِ شمس الدين الذَّهبي بسماعه لها من زَيْنِ الدين أبي عليّ الحسن بن عبدالكريم بن عبدالوَهَّاب الغُماري سِبْط زيادة، قال: حدثنا بها العلامة أبو عبدالله محمد بن عمر بن يوسف القُرْطُبي بسماعِهِ من النَّاظِم.

ثم تَجَرَّدَ ورَحَل إلى الحجازِ، فجاوَر بمكةَ والمدينة مدَّة أعوام، وأقرأ بالحَرَمين، فقرأ عليه خَلْقٌ كثيرٌ، ومضى إلى بلاد اليَمن، وتركَ الدُّنيا وزينتَها، وأعرضَ عن زُخْرُفِها وزَهْرَتها، وتَخَلّى عن الخَلْق، وأقبلَ بقلْبهِ وقالبهِ على الحق حتى تُوفي بمدينة تَعِز من بلاد اليَمَن في حادي عشري شهرِ ربيعِ الأول سنة اثنتين وعشرين وثماني مئة، ودُفنَ من الغَد.

وكان فردًا في زمانه، ونادرةً من نوادرِ أوانه، قد جمع بين العِلْم والعَمَل، ولم يُلْهِهِ عما يَعْنيهِ ما آتاهُ الله من المال والخَوَل[1]، بل خرجَ عن أهْلهِ وماله فريدًا، وساحَ في الأرض مُمْلقًا وَحيدًا، يسكنُ عُشةً بوادي اليَمَن، ولا يُبالي بما هو فيه من خُشُونةِ العَيْشِ وبؤسِ الزَّمن، ويتبلَّغ من الزَّادِ باليَسير بعدما ربى بغُوطةِ دمشق بين أسرَّةٍ وحَرير، ونشأ في مَسَاكن

---

(١) أي: الأتباع والخدم.

تجري من تحتها الأنهارُ، وتُورفُ عليها ظلالُ يانع الأشجار، بين أتراب حسان، ذاتِ حُسن وإحسان، وثيابٍ ذاتِ ألوانَ، قد انتصب لإقراء القرآن، وتَبَتُّلٍ لعبادَةِ الرحمن، والزُّهدِ فيما هُو فان. وقد عُرضت عليه الأموالُ مِرارًا فأباها، وجذَبته حَبَائلُ الدُّنيا الغَرَّارةُ فأعرضَ عنها وما أتاها، حتى أتاه اليَقين، ورفع اللهُ روحه في عِلِّيين.

٢٣٠- أحمد بن عَجْلان بن رُمَيْثَةَ بن أبي نُميَ محمد بن أبي سَعْدٍ حسن بن عليّ بن قَتَادةَ بن إدريس بن مُطاعِن بن عبدالكريم بن عيسى بن حسن بن سُليمان بن عليّ بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، الأميرُ شهابُ الدين أبو سُليمان الحَسنيُّ المكيُّ، أميرُ مكةَ، ورئيس الحِجاز[1].

اعلم أن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن كان له من الولد عبدالله أبو الكرام، فولد سُليمانَ وزَيْدًا وأحمد.

فأما زيدٌ فولدهُ بالصَّفْراءِ بنهر الحَسنية، وأما أحمد فَولدهُ بالدَّهناء، وأما سُليمان فمن ولده مُطاعنُ بن عبدالكريم بن عيسى بن حسن بن سُليمان، وكان لمُطاعنٍ: إدريس وثعلبٌ، فالثعالبة شَعَبٌ بالحِجاز، وكان لإدريس ولدان: قَتَادةُ النابغَة وصَرْخة.

فأما صَرْخةُ فَولدهُ بينبع يُعْرفون بالشَّكْرة.

وأما قَتَادةُ النابغة، وكان يكنى أبا عزيز، وكان من ولدِهِ: عليٌّ الأكبر وحسن، فمن ولدِ حسن إدريسُ، وأحمد، ومحمد، وجَمَّاز، وإمارة يَنْبُع في أعقابهم.

وأما أبو عَزيز قَتادةُ النابغة فمن ولدِهِ بنُو أبي نُمَي أمراءُ مكة.

وكان بنو حسن بن الحسن كلُّهم مقيمين بنَهْرِ العَلْقَمية من يَنْبُع،

---

(١) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ٨٧، والدرر الكامنة ١/ ٢١٤، وإنباء الغمر ٢/ ٢٢٧، والمنهل الصافي ١/ ٣٦٩، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٨، ونزهة النفوس ١/ ١٤٦، والدليل الشافي ١/ ٥٩، ووجيز الكلام ١/ ٢٨٠.

وكانوا ظَواعن أهْلَ باديةٍ حتى نشأ فيهم أبو عزيز قَتادة، فجمع قومه ذوي مَطاعن واستبد بإمارتهم، وحارب بني حراب، وملك يَنْبُع والصَّفْراءَ، وكَثُر جَمْعُه.

أوَّلُ من وَليَ من آبائهِ إمارةَ مكة أبو عَزيز قتادةُ بن إدريس في سنةِ سبع، وقيل ثمانٍ، وقيل تسع وتسعين وخمس مئة ومولدُه يَنْبُع. وخَدم بمكة مدةً جُنْديًا عند مُتَولِّيها، حتى استبدَّ بها بعد مُكْثر بن عيسى إلى أن مات سنة سَبْع عشرة وست مئة، وفي أيامه عَقد الخليفةُ الناصرُ لدينِ الله أحمد العَباسي لمملوكهِ أقباش على الحَرَمين وإمرة الحاج، فلما ماتَ قَتادةُ وَليَ بعده إمرةَ مكةَ ابنهُ حسنُ بن قتادةَ إلى سنةِ تِسْعَ عشرة.

ثم انتزعها منه الملكُ المَسْعودُ يوسف ابن الكاملِ محمد ابن العادلِ أبي بكر بن أيوب، ومات في سنة ستٍّ وعشرين.

ووَليَ مكةَ أبو سَعْدِ بن عليّ بن قَتادةَ في ذي القَعْدةِ سنةَ سبع وأربعين إلى أن قُتلَ في شعبانَ سنةَ إحدى وخمسين.

فوليها بعده جَمازُ بن حسن بن قَتادةَ إلى آخرِ ذي الحجة منها.

ثم وَليَ بعده راجحُ بن قَتادةَ إلى ربيعٍ الأوَّل سنة اثنتين وخمسين، فوليَ بعده ابنهُ غانم إلى شوال منها.

ثم وَليَ إدريسُ بن قَتادة وأبو نُمي محمد بن أبي سَعْدٍ بعد حَرْبٍ قُتلَ فيها جماعة.

ثم وَليها المبارزُ عليُّ بن الحُسين بن بَرْطاس، وكان المظفر صاحب اليَمن قد أنْفَذَه إلى مكةَ في مئتي فارس، فقاتل إدريسَ وأبا نُميٍّ وظَهَر عليهما في الخامس والعشرين من ذي القَعْدة منها.

ثم وَلياها في آخر المحرم سنة ثلاثٍ وخمسين بعد قتالِهما لابن بَرْطاس وأسر حتى فَدَى نفسه. ثم انفردَ أبو نُميٍّ وعادَ إلى مُشاركة إدريس.

ثم وَليها أولادُ حسن بن قتادة ستةَ أيام من سنةِ ستٍّ وخمسين حتى أخْرَجَهُم منها أبو نُميٍّ، فدامت ولايته هو وإدريس إلى سنةِ سبع وستين،

ثم انفردَ أبو نُميٍّ قليلاً.

ثم عادَ إدريسُ إلى ولايته واستمر إلى ربيعِ الأول سنة تِسْعٍ وستين، وانفرَدَ إدريسُ أربعين يَوْمًا وقُتِلَ بِخُلَيْص في حَرْبٍ بينه وبين أبي نُمي، فانفردَ أبو نُميٍّ بولايةِ مكةَ إلى سنةِ سبعين[1].

وانتزعَها منه جَمازٌ بين شِيْحَةَ الحُسيني أميرُ المدينة وغانمُ بن إدريس ابن حسن بن قَتادة صاحبُ يَنْبُع في صَفَر منها، وأقاما أربعين يومًا، ثم عادَ أبو نُمي واستمر إلى سنةِ سَبْعٍ وثمانين. ثم عاد جَمازٌ إلى مكَّةَ وأقامَ بها إلى آخرِ السنة. ثم عادَ أبو نُمَي إلى أول صَفَر سنةَ إحدى وسبع مئة، فمات في رابعِهِ.

ووليِها قبلَ مَوْته بيومين ابناه حُمَيْضة ورُمَيْثة إلى أن قُبضَ عليهما في مَوْسم هذه السنة.

ووَليَ بعدَهما أبو الغيثِ وعُطَيْفَةُ.

ثم وَلِيها حُمْيضة ورُمَيْثةُ في سنةِ ثلاثٍ وسبع مئة إلى أن فرَّ حُمَيْضة في شعبانَ سنة خمس عشرة، ووَلي بعده أخوه رُمَيْثة إلى أن قُبضَ عليه بعد الحجِّ سنة ثمان عشرة.

ووَلي عُطَيْفةُ بن أبي نُمي في أوائل سنةِ تِسْعَ عشرةَ إلى أوائلِ سنةِ إحدى وثلاثين. ثم وَلي رُمَيْثةُ بمفردِهِ في ربيعِ الآخر منها. ووَليَ عُطَيْفة شريكًا لِرُمَيْثة. ثم انفردَ رُمَيْثة ليلةَ رحيلِ الحاجِّ منها.

حتى وَليَ عُطَيفة شريكًا لرُمَيْثة في مَوْسم سنة خمس وثلاثين، واستمَّرا إلى أثْناءِ سنةِ ستٍّ وثلاثين. ثم تَنَافرا فأقام عُطَيْفةُ بمكة ونَزَحَ رُمَيْثةُ، واصطلحا في سنةِ سَبْعٍ وثلاثين.

ثم انفَرَدَ رُمَيْثةُ إلى أن تَركَ الإمارةَ لولديه ثَقَبَة، وعَجْلان في سنة أربع وأربعين، فلم يُمضِ السُّلطانُ ذلك، وكَتب له باستمرارِهِ على

(١) في جـ: «سبع وسبعين» غلط بَين، فانظر العقد الثمين ١/ ٤٦٠ - ٤٦١ ففيه تفصيل ذلك.

ولايَتِه، فاستمر رُمَيْثةُ إلى سَنةِ ستٍّ وأربعين.

ووَليَ ابنه عَجْلانُ بعد موته حتى شَركه أخُوه ثُقَبةُ في سنةِ ثمانٍ وأربعين، وتداولا الإمارةَ إلى سنةِ ستين؛ فولي سَندُ بن رُمَيْثة ومحمد بن عُطَيْفة إلى انْقضاءِ موسم سنةِ إحدى وستين. ثم وَليَ سَندٌ وثُقَبَهُ حتى وَلي عَجلانُ عوضًا عن سَندٍ شَركةً لثقبَة.

فلما مات ثُقَبة في شوال سنة اثنتين وستين وَلَّى عَجْلانُ ابنه أحمد ابن عَجْلان، فأقامَ في إمارَةِ مكةَ شريكًا لأبيه ومُسْتقلاً، ثم شَريكًا لابنه أحمد ستًا وعشريـن سنةً تنقُص نحوَ شهرين، وذلك أنه كان ينظرُ في الأمرِ نيابةً عن أبيه أيامَ مشاركةِ أبيهِ وعَمِّه ثُقَبَة في سنة ستين، فلما عُزلاَ فيها بأخيهما سَنَد وابن عَمِّهما محمد بن عُطَيْفة توجه مع أبيه عَجْلان وأخيه كُبَيْش وجماعةٍ إلى القاهِرَةِ، فقُبضَ عليهم واعتُقلوا ببرجٍ من قَلْعَةِ الجَبَل لشدَّةِ حَنَقِ السُّلطان على عَجْلان وابنه لأُمورٍ، منها: أنَّ أحمد بن عَجْلان صَدَ الضِّياءَ محمد بن عبدالله الحموي عن الخِطَابة بالمَسْجد الحَرام، وقد وَلاه السُّلطانُ، وبَرَز إلى المَسجدِ في شعار الخُطْبة أيامَ موسمِ سنةِ تِسْع وخمسين رعايةً للشِّهابِ أحمد بنِ محمدٍ الطَّبَري قاضي مكة، ثم نُقلا إلى الإسكندرية فَسُجنا بها؛ وقد بَلَغَ السُّلطانَ واقعهُ بني حسن بِعَسْكرِهِ الذي بَعثه في موسم سنةِ إحدى وستين. فما زالا في السِّجن حتى زالَتْ دولةُ السلطان الملك الناصرِ حسن بن محمد بن قَلاوون، فأفرجَ الأميرُ يَلْبُغا عنهما، ووَلى عَجْلانَ شَريكًا لأخيهِ ثُقَبَة وبعثه وجماعته إلى مكة فمات ثُقَبَةُ في أوائل شَوَّالِ سنة اثنتين وستين، وقد وصل عَجْلان بجماعته إلى بَطْن مَر، فدخل مكةَ، وأشْركَ معهُ ابنه أحمد، وأمره أن يطوفَ بالبيتِ؛ وتقدم إلى عبدالسلام المؤذن أن يَدْعُو له إذا طافَ على زَمْزَم، وبعد صلاةِ المغربِ كما هي عادةُ أمراء مكةَ في ذلك، وجعلَ له رُبْعَ المتحصَّلِ لأميرِ مكةَ يصرفُه في خاصَّتهِ، وعلى عَجْلانَ تكْفيةُ العَسْكر. فاستمرا على ذلك مدَّةً، ثم حَسَّنَ بعضُ بَني حسنٍ لأحمد

ابن عَجْلان أن يسأل أباه في السماح له برُبْع آخرَ من المتحصَّل، وحملهُم على ذلك الحَنَقُ من عجلانَ من أَجْلِ تقصيره في حقهم، فامتنَعَ عن موافَقَةِ أحمد على ذلك، وهمَّ بِمُبايَنَتِه، ثم لم يجد بدًا من إجابته، فصار لأحمد نصفُ المتحصَّل ولأبيهِ مِثْلُه، ولكلٍ منهما نوابٌ تقبضُ ما يَخصه، فقويَ جانبُ أحمد وثَقُلَ على أبيه، فأخذَ في التَّدْبير عليه، وكتب إلى ابْنِهِ محمد بن عَجْلان بأن يشْغَبَ بأصْهارِهِ من بني حسنٍ على أخيه أحمد، وأن يأخذَ من خُيوله ما شاءَ ويَمْضيَ إلى نَخْلَة، فيأخذَ منها دُروعًا ومالاً، فورَدَ ذلك على محمدٍ وهو في لَهْوٍ مع أصدقاء أخيه، فأوقَفَهُم على المكتوب به إليه، فشَغَلُوه وبعثوا بالكتاب إلى أحمد، فبادَرَ إلى أبيه في جَمْعٍ كبيرٍ، وعَتَبه على ما كان منه، فاعتذَرَ له وأرضاه بتركِ إمرةِ مكةَ له علىً أن يحملَ له مبلغَ ثلاث مئة ألف درهم؛ فلما أتاه المالُ نَدم وهمَّ بالنَّكْثِ، فلم يجد إليه سبيلاً، وآلَ الأمْرُ إلى أن أقرَّ أحمد اسم أبيه في الدعاء له على المنبَرِ وفَوْقَ زَمْزَم، وأن يتركَ له بعضَ الرُّسوم المالية، وكُتبَ بينهما بذلكَ إشهادٌ حُملَ إلى مِصْر، فأقرَّ السلطانُ أحمد بمفْرَده، وذلك في سنةِ أربع وسبعين.

فاستمر على ذلك حتى أشْرَكَ معه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان في سنة ثمانين، وقامَ بالأمْرِ كلِّه، ولم يجعل لولده سوى مجرَّدِ الاسم فقط. وكان الشريفُ أحمد لما ماتَ أبوه عَجْلانُ خرج من مكة إلى جِهَة يَنْبُع، فبلغه أن بَني عَمه أولاد ثَقَبَةَ قد خالفَوا عليه، وانضم معهم بعضُ ذَوي عبدالكريم، ومَضَوا نحو نَخْلَة، فرجع ونزل نَخْلَة اليمامة، وبعثَ الخيلَ في طَلَبهم، فَطَرَقُوهُم واستَنْقَذوا منهم سُليمان بن راشدٍ أحدَ التجار وابنه حَسَبَ الله، ونَجا القومُ منهم، فدخلَ أحمد مكةَ، فعاد بنو عَمه إلى نَخْلَة في جَمْعٍ وافر، فَسَرَّح أحمد إليهم عسكره، ففرَّ بنو ثَقَبَة بحُشاشَتِهم وقُبضَ على جَماعاتهم وأتوا بهم إلى أحمد، فلحقَ المنهزمون بالقاهرة، وقد قُتلَ السلطانُ الملك الأشرفُ شعبانُ (بن حُسين)، وشكوا على أحمد، فكُتبَ إليه بملاطفتهم، وأن يَصْرفَ لهم في كل سنة مبلغَ

ستين ألف درهم، فامتثَل ما رُسمَ به وتَرَضاهم حتى انقادوا له مُدةً، ثم تكدَّرَ ما بينهم وبينه، وتغير مع ذلك على عِنانِ بن مُغَامس بن رُمَيْثةَ وأولاد مُبارَكِ بن رُمَيْثة لميلهم عليه مع صاحب حَلي[1]؛ لأن أحمد بن عَجْلان رغبَ في أن يزيده صاحبُ حَلي في الضَّريبة التي يحملُها، فلم يُجب إلى ذلك واستعانَ بالقُوَّاد العَمَرة، فاستمالوا عنانًا وبني ثَقَبة على أنَ يَخْذُلوا أحمد بن عَجْلان وحَلَفوا على ذلك. وكان أحمد قد مضى نحو حَلي فبلغَه الخبر، فلاطفَ صاحبَ حَلي وتقدم إلى عِنان بالانعزال عن معُسْكره، فتنحى عنه، فمد يده ونهبَ إبلاً كثيرةً وأفْراسًا وسلاحًا للعُرْبان، فلاطفَه أحمد حتى قَدمَ إليه فأكرمه لعجزه عن قَتْلِه، فلم يطمئنَّ إليه عنان، ومَضَى ومعه حسنُ بن ثَقَبةَ إلى القاهرةِ وشَكيا أحمد إلى السُّلطان الملكِ الظاهرِ بَرقْوق، فرَسَم لهما بأبي عرقة وغيرها مما يَبلغُ نحو ربع المتحصِّل لأَمير مكةَ، وقد جهز أحمدُ أخاه كُبَيْشًا بهديةٍ إلى السُّلطان، فرأى إقبالَ الدَّولة على عنانٍ ورفيقهِ، فما وسعه إلا الالتزامُ بما رَسَم لهما به، وعادَ إلى مكةَ، فأعلم أخاه أحمد بما كان. فلما قَدِمَ عنانٌ في الموسِم لم يأمَنْ على نفسه وفَرَ من منًى ولحقه حسن بن ثَقَبة، فما زالَ بهما الأميرُ أبو بكر بن سُنْقُر أميرُ الحاج حتى انخدعا له وعادَا مع محمد بن عَجْلان، وقد قصدَ مِصْرَ في طلب خُبْزِ، وقد غاضَبَ أخاه أحمد بن عَجْلان؛ فلما اجتمعُوا بأحمد، وقد جَلَسَ لهم مَجْلسًا عامًا قبض على عِنانٍ وحسن بن ثَقَبة وركبَ من فَوْره فقبضَ على أحمد بن ثَقَبة ووَلَدِه عليِّ بن أحمد بن ثَقَبَة، وعلى أخيه محمد بن عَجْلان، وقَيَّد الخَمسة، وذلك في أول سنة سبع وثمانين وسجنَهم بأجياد. فلما كان الموسمُ بعثَ إليه السلطانُ يأمُره بإطْلاقِهم فلم يفعل، وسَجَنهم بالعَلْقَمية جوارَ المَرْوة. ثم إن عنانًا فَرَّ في سنة ثمانٍ وثمانين وقَدِمَ على السلطانِ فأَقامَ في ظِلِّ نعمته، فماتَ أحمد بن عَجْلانَ ليلةَ السبتِ العشرين من

---

(١) مدينة باليمن على ساحل البحر.

شعبانَ سنةَ ثمانٍ وثمانين وسبع مئة عن ثمانٍ وأربعين سنةً، ودُفن بالمَعْلاة.

وقام بأمْرِ مكةَ بعده ابنهُ محمد بن أحمد بن عَجْلانَ فكَحَّل الأربعةَ المَسْجونين بعد مَوْتِ أبيه بعَشَرةِ أيام فلم يَتهنَّ بعد كَحْلِهم، وقُتل بعد ذلك بتسعين يومًا، وقُتِل كُبيشُ بعد كَحْلهم بسنة.

وكان أحمد بن عَجْلان مشكورَ السيرة. له عدَّةُ محاسن، وكان عادلاً في رَعيتهِ، مُكْرمًا للتُّجَّار، مُسامحًا لهم بكثيرٍ مما له عليهم من الضَّرائب، فكَثُروا بمكـةَ، وحَصَلَ له بكثرةِ تَرَدُّدهـم إليها مالٌ جزيل بما لهُ من الضَّرائب عليهم، وبما يُهدُوه إليه، وكان قـد تَلَطَّف بهم حتى قَرَّروا له من قِبَلهم ضرائبَ معروفـةً بينهم وبينه، فلـم يكُنْ يأخُذ منهم أكثرَ منها، وسمح لهم بالتَّجَاوز عن أشياءَ، فكانت نوابُه بجُدَّةَ في أرَغدِ عيشٍ لأنهم كانوا يكارمون التجارَ بالتخفيف عنهم مما عليهم من الضرائب، فتكارمُهُمُ التجار بالهَدايا. وكان يُحسنُ إلى بني عَمِّه ذوي رُمَيْثَة، ويقومُ بكفايتهم، ويُفْضل عليهم بصِلاتٍ سَنِيةٍ في كلِّ سنة، ويَعُمُّ بنـي حسنٍ بِبرِّه، ويُعنى بقوَّاده وعَبيده. وملك ما لـم يملكه غيره من أمراءِ بني حسن قبلـه من الخَيْل والسِّلاح والعَبيد، فبلَغَتْ خيولُه تسع مئة، وعبيدُه ثماني مئة، وأحيا عدة خُيوفٍ[1] عَظُمَ مُتحَصِّلُها، ومدحه عدةٌ من الشعراء، واشتُهِرَ ذكرهُ عند ملوكِ الأقطار، وأتَتْه صلاتهم وهَداياهم.

٢٣١- أحمد بن سُليمان بن غَازي بن محمد بن أبي بكر بن شاذي، وقيل: محمد بن عَبدالله بن تُوران شاه بن أيُّوب بن محمد بن أبي بكر بن أيُّوب بن شاذي، السُّلطان الملكُ الأشرفُ أبو المَحامد ابن العادل ابن الكامل ابن العادل فخر الدين ابن الكامل سيف الدين أبي بكر ابن المُوَحِّد تقي الدين ابن المُعَظم ابن الصالح نجم الدين

---

(١) جمع خيف، وهي الناحية بسفح الجبل.

صاحبُ حِصْنِ كَيْفا[1].

أُقيمَ في سَلْطَنة الحِصْنِ بعدَ أبيهِ في سنة سَبْعٍ وعشرين وثماني مئة، وقُتِلَ في ذي القَعْدة سنة ست وثلاثين وثماني مئةً، عن نحو ستين سنةً. وكان فاضلاً أديبًا بارعًا، له ديوانُ شِعْرٍ، وكان جوادًا محبًا للعُلَماء. صاحبَ عبادَةٍ، وأقيمَ بعده ابنهُ الكاملُ خَليل.

٢٣٢- أحمد بن يوسف، أبو الفضل الشَّيْبي المكيِّ[2].

سمع على الزَّيْنِ الطَّبَري، والرَّضِيِّ الطَّبَري، ولازَمَ السَّماعَ حياته، وتولى مشيخة الشَّيْبيين، وفَتْحَ باب الكَعْبَةِ في سنةِ ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين. ثم أعيدَ الجمالُ محمد بن أبي بكرٍ الشَّيبي.

وماتَ سنة سبعين وسبع مئة. حدثنا عنه ابن سُكَّر.

٢٣٣- أحمد بن عليّ بن محمد بن عليّ بن أحمد بن عليّ بن يُوسف بن يوسف الدمشقيُّ الحنفيُّ، كمال الدينِ المعروف بابن عبدالحق، وهو جَدُّ جَدِّه لأمِّه، وهو عبدالحقِّ بن خَلَف الحَنْبلي[3].

وُلدَ سنةَ اثنتين وثلاثين وسبع مئة، وأُحْضِرَ على ابن أبي التائب، وأُسمع الكثيرَ على المِزِّي، وغيره.

ماتَ في ثاني ذي الحِجة سنةَ اثنتين وثماني مئة بدمشق.

٢٣٤- أحمد بن عليّ بن أبي بكر بن محمد بن قوام البَالسيُّ ثم الصَّالحيُّ[4].

وُلدَ سنةَ إحدى وستين وسبع مئة، وسمعَ على عُمر بن محمد

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٩٠، وإنباء الغمر ٨/ ٢٨٧، والمنهل الصافي ١/ ٢٨٨، والدليل الشافي ١/ ٤٧، والضوء اللامع ١/ ٣٠٨، ووجيز الكلام ٢/ ٥٢٨، وشذرات الذهب ٧/ ٢١٦.

(٢) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ١٩٣.

(٣) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٤٩، وإنباء الغمر ٤/ ١٥٢، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٠، والضوء اللامع ٢/ ٣٣، والطبقات السنية ١/ ٤٦٨.

(٤) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٣١، والضوء اللامع ٢/ ١٦.

الشَّحْطبي. ماتَ في[1] .....

٢٣٥- أحمد بن شيخ، السُّلطان الملكُ المظفَّر شهابُ الدين أبو السَّعاداتِ، ابن السُّلطانِ الملك المؤيد أبي النَّصْر شَيْخٍ المَحْمُودي[2].

أمُّه سَعَادات من أهْلِ الشام، ومولدُه يومَ الأحد ثاني جُمادى الأُولى سنةَ اثنتين وعشرين وثماني مئة، وعَهِدَ إليه أبوهُ بالسَّلْطَنة، وأُثْبِتَ عهدُه على قاضي القُضاة زَيْنِ الدين عبدالرحمن التَّفهني الحنفي في يوم السبت تاسع عشري ذي الحِجة سنة ثلاثٍ وعشرين ونُفِّذَ على القُضاةِ الثلاثة.

ثم أقيمَ في السلطنةِ يومَ ماتَ والدُه على مُضيِّ خَمس دَرَج من نصفِ نهارِ الاثنين تاسع المحرَّم سنة أربع وعشرين، وعُمُرهُ سنةٌ واحدة وثمانيةُ أشهر وسبعةُ أيَام، وأُركبَ على فرسٍ من بابِ السِّلْسلة، فبكى وهُمْ سائرون به حتى وصلَ إلى القَصْرِ، والأمراءُ مُشاةٌ في رِكابه، والقُضاةُ والخَليفةُ وسائرُ أهْلِ الدَّوْلةِ، فأجلسوه بالقصر على التَّخْتِ، وقَبَّلوا له الأرض، ولَقَّبوه، ونُودي بالقَلْعَةِ والقَاهرةِ أن يَتَرحَمَ الناسُ على الملك المؤيَّد ويدعُوا للسُّلطان الملكِ المظفَّر، وقام بتدبير الدَّولة الأمير طَطَر؛ وصارَ يأخذُ بيدهِ يَدَ المظفرِ وفيها القَلَم حتى عَلَّم على المَناشير ونحوها بحضْرَةِ الأمراء وأرباب الدَّولة. ثم سافرَ به إلى الشام في تاسع عشرَ ربيع الآخر، ودخل إلى دمشق وحلب. ثم عادَ إلى دمشق، فَخَلَع المظَفَّرَ في تاسع عشري شعبان، وتَسلْطَن عوضه، وكانت مدَّةُ أيام المظفرِ سبعةَ أشْهُرٍ وعشرينَ يومًا، وقَدِمَ به إلى مصر فتركه بالقلعة مع أُمه.

---

(١) هكذا في أ وجـ، وفي الضوء اللامع ٢/ ١٦، والدارس ١/ ٧٣، أنه توفى سنة خمس وعشرين وثماني مئة.

(٢) ترجمته في: السلوك ٢/ ٢/ ٢٤٨، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٦٧، والمنهل الصافي ١/ ٢٩٧، والدليل الشافي ١/ ٤٩، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ٤٩٤، والضوء اللامع ١/ ٣١٣.

فلما ماتَ طَطَر، وقامَ بالأمرِ بعده الأمير بَرسْباي، ثم تسلْطَنَ، أخْرَجَ المظفرَ وأخاه من القَلْعَةِ في سادس عشر شعبان سنة خمس وعشرين وحَمَلهما في النِّيل إلى الإسكندرية، وكان في ذلك عِبْرَةً، فإنَّ المؤيدَ أخرجَ أولادَ النَّاصِر فَرَج إلى الإسكندرية، فأخرجَ اللهُ أولاده من بعده إلى الإسكندرية، وما زالاَ بها حتى ماتا في ليلةِ الخميسِ آخر جُمادى الأُولى سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وثماني مئة فدُفنا بالثَّغرِ، ثم نُقلا بعدَ أشْهُرٍ إلى القاهرة، ودُفنا بجوارِ أبيهما في قُبةِ الجامعِ المؤَيَّدي، ولم يَبْقَ للمؤيَّد بعدهما سوى بناتٍ فقط، وانْقطَعَ عَقبُهُ.

٢٣٦- أحمد بن عُمر، الأميرُ شهابُ الدين ابن الزَّين، الحَلَبيُّ، والي القاهرة[١].

ماتَ يومَ الأحد ثاني عشر شَهْرِ ربيع الأول سنةَ ثلاثٍ وثماني مئة، وكان مع مَهابَتِه وشِدَّته على أهْلِ الجَرائمِ من شِرارِ الناس ظُلْمًا وفِسْقًا وجراءةً على سَفْك الدماء.

٢٣٧- أحمد بن كَنْدُغدي، شهابُ الدين ابن علاءِ الدين، الفَقيه الحَنفيُّ[٢].

كان أبوهُ أُستادَارَ الأميرِ آقْتَمُر الحَلَبي، ثم عَزَلَه، ونشأ أحمدُ بزيِّ الأجناد، واشتغل فبرَعَ في الفِقْهِ والأصول والعربية، وصَحِبَ الأميرَ شَيخ الصَّفوي أميرَ مَجْلس، وهو الذي عَرَّفني به لِصُحْبة أبيه لأبي، وصُحْبَتي أنا له هو، ثم اخْتَصَّ به السُّلطانُ الملك الظاهرِ بَرْقُوق، وصارَ يبيتُ

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٧١، وإنباء الغمر ٤/ ٢٥٥، والدليل الشافي ١/ ٦٧، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٢١، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ١٣٠، والضوء اللامع ٢/ ٥٨، ووجيز الكلام ١/ ٣٥٩.

(٢) ترجمته في: الدر المنتخب، الترجمة ١٩١، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٨٠٧)، وإنباء الغمر ٥/ ٢٢٧، وذيل الدرر، الترجمة ٢٢٦، والضوء اللامع ٢/ ٦٤، ووجيز الكلام ١/ ٣٧٨، وشذرات الذهب ٧/ ٦١.

عنده، فَعَظُم بذلك قدرُه وكَثُرَ مالُه، ثم تنكرَ عليه قُبَيْلَ موته، وكان يُتَّهم بأنه هو الذي تَرَخص للسُّلطان في شُرْبِ النَّبيذِ على قاعِدَة مذهبه، فأفضى ذلك إلى تَعاطي ما أُجْمِعَ على تَحْريمه، وقد شافَهْتُه بذلك فلم يُنْكره منِّي، فلما كانت الأيامُ الناصريةُ فَرَج بعَثَه رَسُولاً إلى تَيْمورلَنْك بعد أن عُيِّنْتُ أنا، فماتَ بحلَبَ في شهرِ ربيع الأول سنة سَبْعٍ وثماني مئة، وقد قارب الخمسين أو بلغها. وكان من أذكياء الناسِ وفُضَلائهم.

٢٣٨- أحمد بن عليٍّ الرَّسام(١).

وُلدَ بعدَ سنةِ خمسين وسبع مئة، وتكَسَّبَ بِصنَاعةِ الرَّسْمِ، ونَظَم الشعرَ مع بُعْدِه عن العُلوم فَسهُلَ عليه، وكانت له نوادرُ لطيفةٌ.

ماتَ في ربيعِ الأول سنةَ سَبْعَ عشرةَ وثماني مئة.

٢٣٩- أحمدُ بن محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن القاسم بن عبدالرحمن، قاضي الحَرَمين وخَطِيبهُما، مُحبُّ الدين أبو البركاتِ ابن قاضي مكةَ كمالِ الدين أبي الفَضْلِ العَقيليُّ النُّوَيْريُّ الشافعي(٢).

ولدَ في شَهْرِ رمضانَ سنةَ اثنتين وخمسين وسبع مئة بمكةَ، وسمعَ الحديثَ وتفقه، وشدا شيئًا من النَّحو، ونابَ عن أبيه في الحُكْم والخَطَابة، ودَرَّس، وأفْتى، ثم وَليَ قضاء المدينةِ النبوية بعد البَدْرِ بن الخَشَّاب في سنةِ خمسٍ وسبعين، فَقَدِمها أولَ شعبان، ثم صُرف عن خطابَتها بالشِّهاب الصِّقلي، وأُعيدَ بعدَ قليلٍ حتى نُقلَ بعدَ عَزْلِ الشهابِ ابن ظُهَيْرة إلى قَضاءِ مكةَ، فوصلَ إليها في رَمضانَ سنةَ ثمانٍ وثمانين؛ فلم يَزَل على ذلك حتى ماتَ ليلةَ الأربعاءِ تاسعِ عشر شهر رَجَب سنة تسعٍ وتسعين وسبع مئة، ودُفن على أبيهِ بالمَعْلاة.

---

(١) ترجمته في: الضوء اللامع ٢/ ٤٧.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٨٨٣، والعقد الثمين ٣/ ١٢٣، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٢٧، والدرر الكامنة ١/ ٢٥٩، وإنباء الغمر ٣/ ٣٤١، والدليل الشافي ١/ ٧٤، ووجيز الكلام ١/ ٣٢٤، وشذرات الذهب ٦/ ٣٥٧.

وكانت محاسنُه كثيرة ما بَيْـنَ صَبْرٍ على الأذى، وعفوٍ عن المُسيء، وتُؤَدَةٍ، وتَوَدُّد إلى الناس، ورصَانةِ عَقْلٍ، ودينٍ، وصيانةٍ، مع المَهابة والحُرْمةِ والشدَّةِ على أهْلِ البِدَع، وكَثْرَةِ العبادة والتنسُّكِ وكَرمِ النَّفْسِ.

٢٤٠- أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم، شهابُ الدين أبو العباسِ الطَّبَري المكي(١).

سمعَ من قريبهِ الرَّضيِّ الطَّبري، وفاطمةَ بنت القُطبِ القَسْطَلاني، وعيسى الحجي وغيره. وحدَّث، وكان رجُلاً صالحًا، وابتُلي بالوَسْواسِ.

توفي في حادي عشر رجبٍ سنة ثمانين وسبع مئة بمكة. ومولدهُ بها في سنةِ اثنتي عشرةَ وسبع مئة.

٢٤١- أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عَسْكرٍ البَغْداديُّ المالكيُّ، أبو العباس شَرفُ الدين(٢).

وُلدَ ببغداد في العَاشرِ من المحرَّم سنة سَبْع وتسعين وست مئة، وسمعَ بها من أبيه المُفْتي أبي محمد زيَنِ الدين كتابَ «الموطأ»، ومن إسماعيل ابن الطَّبَّال، وقَدِمَ القاهرةَ، ووَليَ نظرَ بيتِ المال، ووَليَ قضاء المالكيَّةِ بدمشق عوضًا عن القاضي جمالِ الدِّين المسلاتي في شعبانَ سنةَ تسعٍ وخمسين وسبع مئة ثم عزل في ربيعٍ الأوَّلِ سنة ستين بالمِسَلاتي.

---

(١) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٧٧، والعقد الثمين ٣/ ١٣٠، والدرر الكامنة ١/ ٢٧٠.

(٢) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٣٢، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٣، والدرر الكامنة ١/ ١٧٩، وإنباء الغمر ١/ ٣١٣، ووجيز الكلام ١/ ٢٤٥، وشذرات الذهب ٦/ ٢٧٠.

توفي بالقَاهرة بعدما كُفَّ بصَرُه في يومِ الأربعاءِ سادس عشري شعبان سنة إحدى وثمانين وسبع مئة.

وكان عالمًا بالفِقْهِ والقِراءات والحديث، مُشاركًا في عِدَّةِ فُنونٍ مع الدِّيانة والصِّيَانَةِ، وقد أجازَني بجميعِ ما يَجُوزُ له وعنه روايته في جُمادى الأُولى سنةَ إحدى وسبعين وسبع مئةَ بعدما كُفَ.

٢٤٢- أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبدالواحد، الأديبُ شهابُ الدِّين أبو العباس، الشهيرُ بابن أبي حَجْلةَ المَغْربيُّ[١].

وُلدَ[٢] . . . وبَرَعَ في الأدب، وقَدمَ القاهرةَ، وأقامَ بدمشقَ مدةً ثم اسْتوطَنَ القاهرةَ حتى ماتَ بها يومَ الخميسِ أوَّل ذي الحِجةِ سنة ست وسبعين وسبع مئة، وهو يلي مَشْيَخَةَ صهريج مَنْجَك تحتَ القَلْعَة. وصَنفَ في الأدب كُتُبًا منها: «ديوانُ الصَّبابة»، وكتاب «السُّكُردان»، ومن شِعْرِه من أبيات:

بقَافِ أُقسمُ عَيْنُ الشمسِ لَيْسَ لها ... لــــوْلاهُ شِيـــنٌ ولا رَاءٌ ولا فـــاءُ
مَا طَابَ لي بَعْدَ خَيْرِ الرُّسْلِ في أحَدٍ ... ســـواهُ مِيـــمٌ وَلاَ دَالٌ ولا حَـــاءُ

٢٤٣- أحمد بن إسماعيل بن عليّ[٣] بن داود بن يوسف بن عُمر بن عليٍّ بن رَسولٍ واسمه محمد بن هارون بن أبي الفَتْح بن نوحي بن رُسْتُم، التُّركماني الأصل، السُّلطانُ المَلكُ الناصر شهاب

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٣٥٠، وإنباء الغمر ١/ ١٠٨، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٣١، والدليل الشافي ١/ ٩٦، ووجيز الكلام ١/ ٢١٠، وحسن المحاضرة ١/ ٥٧١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٤٠.

(٢) بيض المصنف لمولده، وذكر الحافظ ابن حجر في الإنباء ١/ ١٠٨ أنه ولد بزاوية جده بتلمسان سنة خمس وعشرين وسبع مئة.

(٣) هكذا في أ وجـ، وهو وهم بلا ريب، فهو: أحمد بن إسماعيل بن العباس بن علـي، كما في مصادر ترجمته كافـة، وكما سيأتي في أثناء الترجمة.

الدين ابنِ الأشرفِ ممهِّدِ الدين ابن الأفْضَل ابن المُجاهدِ ابن المؤَيد ابن المظفرِ ابن المنصور نُورِ الدين، صاحبُ تَعز وزَبيد وعَدَن وغيرها من بلادِ اليمن[1].

أوَّلُ قائمٍ من هذه الدَّولة نورُ الدين عمرُ بن عليٍّ بن رَسول، وذلك أن جدَّهم محمد بن هارُون نادم بعضَ خُلفاءِ بني العباسِ ببغداد، وتَرَسَّلَ عنه إلى الشام ومِصْرَ، فقيل له «الرَّسول» حتى لم يُعرفَ إلا بذلك. ثم تحوَّلَ من العراق إلى الشام فسكنها مدَّةً، ونزلَ بعد الشام بالقاهرة هو وأولادُه، واتصلَ بملوكِ بَنِي أيُّوب، وخرجَ بجماعَته في خَدمة المُعَظم تُوران شاه بن أيوب إلى اليمن، واستوطنها. فلما كانت أيامُ الملكِ المسعود آطسز، ويقال أقْسَيس، ابن الكامل محمد ابن العَادل أبي بكر بن أيوب وَلَّى نورَ الدين عمرَ بن عليّ بن رسول الحُصون الوُصَابِيةَ باليمن، ثم نقَلَه منها بعد مدَّةٍ إلى ولايةِ مكةَ المشرفةَ إثر مُلكه لها، ورَتبَ معه فيها ثلاث مئة فارسٍ، فحاربَهُ الشريفُ حسنُ بن قتادة فكسَرهُ، ثم عاد إلى اليَمَن فاستنابه المَسْعودُ على بلادِ اليَمَن في نصفِ شَهْرِ رمضانَ سنةَ عشرين وست مئة عندما توجه من اليَمَن يريدُ مصرَ، وأخرجَ عنه صنعاء، فاستنابَ بها أخاه بدرَ الدين حسن بن عليّ بن رَسول. فلما قَدِمَ المسعودُ من مصرَ إلى اليَمَن قَبَضَ على نُورِ الدين وإخْوته حسنٍ وفخر الدين أبي بكرٍ وشرفِ الدينِ موسى تَخَوفًا منهم، فإنَّ نورَ الدين حارب مُرغمًا الصوفيَّ الثائرَ وغَلَبه، وبَدْر الدِّينِ حسن حارب الإمامَ الزَّيديَّ عِزَّ الدين محمد ابن الإمامِ المنصور عبدالله بن حمزة، ثم أفْرجَ عنهم المَسْعُودُ، وبعثَ بإخْوةِ نُورَ الدين إلى مِصْرَ مُحْتَفَظًا بهم، وحَلَّفَ نورَ الدِّين ووَلاَّه أتَابَكَ عَسْكره، ثم استنابَهُ على جميعِ بلادِ اليَمَنِ عندما رحلَ يريدُ الإقامةَ

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٦٧٤، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ١٠٨٧، وإنباء الغمر ٨/ ٤٩، وذيل الدرر، الترجمة ٥٨٩، والمنهل الصافي ١/ ٢٢٦، والضوء اللامع ١/ ٢٣٨، ووجيز الكلام ٢/ ٤٨٢، وشذرات الذهب ٧/ ١٧٧، وبهجة الزمن في تاريخ اليمن ٨٥ - ١٤٥.

بالشام، وعَهِدَ إليه أنه السُّلطانُ من بعد موتِـهِ، وأوصاهُ ألا يُمَكِّنَ من اليمنِ أحدًا من بَني أيُّوب. فماتَ المسعودُ بمكةَ، فلم ينتقل نورُ الدين عن كَوْنه نائبًا عن السُّلطان الملكِ الكامل، وأخذَ يُوَلِّي الحصونَ لِثقاته، ويقتُلُ ويسجُنُ من يتخوفُه. فلما استوسقَ أمرُه في التَّهائمِ من اليَمَن حصر حِصنَ تَعزٍّ في سنة ستٍّ وعشرين، وأخذَ حِصْنَ التَّعْكُر، وحِصْنَ خَدد، ثم ملكَ صَنْعاء، واستنابَ بها ابن أخيه أسد الدِّين محمد ابن الأميرِ بدر الدين حسن، وأخذَ حِصْنَ بَرَاش من الأميرِ نَجْمِ الدين أحمد بن زكري بعد حِصَارٍ. ثم دعا لنَفْسه في سنة تِسْع وعشرين، وتلقبَ بالملكِ المنصور، وضَرَبَ السِّكَّةَ باسمه، فخُطِبَ له على مَنابرِ اليَمَن، وقطع الحِمْلَ الذي يبعثُ به إلى مصرَ، فأخرجَ السُّلطانُ الملكُ العادلُ أبو بكرٍ ابن الملك الكامل عُمومة نور الدين من مِصْرَ، وكانوا رَهْنًا على الطاعةِ، لينازعُوه فغلبَ عليهم وحَبَسهم. وبعثَ في سنةِ إحدى وثلاثين هَديةً جليلةً إلى الخليفةِ أمير المؤمنين المستنصرِ باللهِ وسأله أن يقلِّده بلادَ اليَمن، فأُجيبَ بأنَّ التشريفَ والتقليدَ يُوافيانِكَ بعرَفة، فركب النُّجُبَ وقَدِمَ مكةَ وحَجَّ، فلم يأتِهِ شيءٌ مما وُعدَ به، فعادَ إلى اليَمَنِ وقد تنكَّرَ على الشريفِ راجح بن قَتادةَ أمير مكةَ من أجْلِ أنه تَغَيَّب عنهُ ولم يقابله، فقَدِمَ عليه رسولُ الخليفةِ في سنةِ اثنتين وثلاثين بما طَلَبَه، فَصَعدَ الرسولُ المِنْبرَ وقال: يا نورَ الدين، الديوانُ السعيدُ يقرئكَ السَّلام ويقول: قد تَصدَّقْنا عليكَ باليَمَن. وأفاضَ عليه التشريفَ الخليفتي، فامتدَّت مملكتهُ من عَدَنٍ إلى عَيْذاب وكان قد ملَكَ مكةَ في سنةِ تسع وعشرين، ثم أُخِذَت منه، وأخَذَها ثانيًا، وجَرَت له فيها شُؤون، ثم ماتَ ليلةَ السبتِ تاسع ذي القَعْدةِ سنة سَبْع وأربعين وست مئة بقصرِ الجَنَد؛ قتلهُ مماليكُه بمُبَاطَنَةِ ابن أخيه أسد الدِّين محمد بن الحسن لأنه أرادَ عزله من صنعاء وتوليةَ ابنه الملك المُظَفَّر يوسف.

وكان حنفيَّ المذهَب، ثم تحوَّل شافعيًا، وعَمَّر باليَمنِ مدارسَ. وكان شُجاعًا مقدامًا، ذا عَزْمٍ وحَزْم.

فقامَ من بعده أبو بكر ابن أخيه الحسن بن عليّ، فلما قَدِمَ المظفرُ من سَرْد[1]، وكانت إقطاعه، مال العسكرُ إليه ومَلَّكُوه، فقامَ بأمْرِ المُلْكِ المظفرُ شمسُ الدين يوسف بن عُمر حتى مات بتعز بعدما أقام ستًا وأربعين سنةً في سنة أربعٍ وتسعين.

وقام من بعده ابنهُ الملكُ الأشرفُ ممهِّدُ الدين أبو حَفْصٍ عُمر بن يوسف بن عُمر، فثارَ أَخُوه الملكُ المؤيدُ هِزَبْرُ الدِّين داود بالشِّحْرِ، فحاربَه وأخذه وحَبَسه، وماتَ الأشرفُ مَسْمُومًا من جاريتهِ في سنةِ ستٍّ وتسعين لعشرين شهرًا من ولايته.

فأقيمَ بعده أَخُوه المؤيَّدُ هِزبْرُ الدين داود حتى ماتَ بعدَ خمسٍ وعشرينَ سنةً في ذي الحجةِ سنةَ إحدى وعشرين وسبع مئة وكان فقيهًا، نَحْويًا، لُغَويًا، فاضلاً.

فقامَ من بعده ابنهُ الملكُ المجاهدُ سَيفُ الإسلامِ عليّ بن داود حتى ماتَ في جُمادى الأُولى سنةَ أربعٍ وستين وسبع مئة.

فقامَ بعده ابنهُ الملكُ الأَفْضَلُ عباسٌ. وكان من العِلْمِ والأدَبِ والفَضْلِ بمكانٍ، حتى ماتَ في شعبانَ سنةَ ثمان وسبعين.

فقامَ من بعده الملكُ الأشرف ممهِّدُ الدين إسماعيل ابن الأفضَلِ عباسٍ حتى ماتَ في شهرِ ربيع الأولِ سنة ثلاثٍ وثماني مئة.

فقام من بَعْده ابنهُ الملك الناصرُ شهاب الدين أحمد صاحب التَّرجمة؛ ومولدهُ في الليلة التي صَبيحتُها ولايةُ أبيه السَّلْطنة، وهي ليلةُ السبت حادي عشري شعبان سنة ثمانٍ وسبعين وسبعِ مئة وكان أَحَبَّ وَلدِ أبيه إليه وأيمنهم عليه، فلما ماتَ أبوه أقيمَ في السَّلْطَنَة يومَ ماتَ، وذلك يوم تاسعَ عشر شَهْرِ رَبيعِ الأول سنة ثلاث وثماني مئة، وعمرُه حينئذٍ أربعٌ وعشرون سنة ونحوُ سَبعة أشهر، وقد ثار[2] السيري ونَازلَ حِصْنَ

---

(١) موضع في بلاد الأزد من اليمن.

(٢) فراغ قدر كلمتين.

الحمْراءِ في مُدةِ مَرَضِ الأشرف، وساعده[1]ابن مهدي صاحب سَناج، فبادَرَ الناصرُ وسارَ إليه ومَلَك سَناج وغيره، فانهزَمَ السِّيري ونُهبَ ما معه، وعادَ الناصرُ منصورًا. ثم سارَ في نِصْفِ جُمادى الأولى ونَزَل على بلادِ بَني سَيْفٍ وأبادَ مُعانديه، وقبضَ على أعيانِهم؛ ومضى إلى بلادِ الأسَاودةِ في ثاني عشريه فتسلم حصنهم بغيرِ قتال، وعادَ إلى تَعز دارِ مُلْكه؛ ثم سارَ إليهم في رابعِ عشري جُمادى الآخرة، وخَرَّبَ بلادَهم وحُصُونَهم، وقَتل كثيرًا منهم، وتوجه إلى زَبيد، ثم مَضَى منها في عاشرِ شَهْرِ رَجَب إلى المَعازبة فأذعنوا له، وبعثَ عسكرًا إلى جبْلَة فأخذَ خَيْلَهم وعادَ إلى زَبيد. ثم توجه ثانيًا إلى المَعازبة عندما أخَذُوا إبل المناقرة فأوقع بهم وقَتَل منهم وسَبَى كثيرًا، وأخذَ في ثاني شوال المُهوَّرَ، وهو حِصْنٌ عظيم فانحسَمَتْ بأخذه مادَّةُ الخلافِ في مَخَالِفِ سهام وتلكَ الأطراف، ثم عادَ إلى تَعز في ثاني عشري ذي القَعْدة، وأخذَ في أولِ يوم مـن المحـرَّم سنةَ أربعٍ وثماني مئة حِصْنَ رَيْمة، وسائر ما هنالكَ على يَدِ الأميرِ الأجَلَ بَدْرِ الدينَ محمد بن زيادٍ الكَاملي.

وما زال يستولي على البلاد حتى مَلَك ما لم يملكهُ آباؤه ما عدا الملكَ المُظَفَّر، وهي زَبيدٌ، وَعَدن، وتَعز، وجبْلة، وحَرَضٌ، والمَهْجَم، والمَحَالب، والمنصورة، مع الدُّمْلُوة، والجُوه، وقَوارير. ثم انحسَ سَعْدهُ، ووَهَى جَدُّه، فأُخذَت منه الأعمالُ التي أخذها في مُدة دولتهِ شيئًا بعد شيء دفعةً واحدة، فكانت نكبتُه شَنْعاءَ أعْمَتْ عليه مسالكَ رأيه، حتى خُولطَ في عَقْلهِ عدَّةَ أيام، ثم عوفي عافيةً ما لم تَرُدَّ إليه عَقْله كما كان. وبقيَ منغَّص الحياةِ هو ورعيته حتى ضاقَ به وبهمُ الأرضُ بما رحُبَتْ لقلةِ مجابيه، وشِدَّةِ ظُلْمه، وكثرةِ أخذه أموال الناس، فَتمَنَّى كلُّ أحدٍ زواله حتى ماتَ يومَ الاثنين سادس عشر جُمادى الآخرةِ سنةَ سَبْعٍ وعشرين وثماني مئة بصاعِقَةٍ سقطت على حِصْنِ قَواريرَ خارجَ مَدينة زَبيدً

(١) فراغ قدر كلمتين.

وهو به، فارتاع لذلك وأقامَ أيامًا لما به وهلك.

فأُقيمَ بعده ابنهُ المنصورُ عبدالله بن أحمد، وكان مَلِكًا مُهابًا مُطاعًا، مُهَذبًا، مؤدَّبًا، ذا رأيٍ سَديدٍ وبأسٍ شديد. وله وقائع مشهورةٌ، وحُروبٌ مَذْكورةٌ، مع مكارمَ غَزيرةٍ، إلاّ أنه شَرهٌ في أخذ المالِ من غيرِ وَجْهِه، وتجاوَزَ الحدَّ في الظُّلْمِ؛ وذلك أنه كان في ابتداءِ أمره مع أُمراءِ أبيه وشُيوخِ خُدَّامه، ولهم آراءُ جيدةٌ، ومعرفةٌ تامةٌ بأحوالِ المَمْلكة، لما مرَّ بهم من التَّجارب. وكان إذا نَزَلَ به حادثٌ من ثَلْم ثغرٍ، أو حُدوثِ فَسادٍ عَلِمَ به قبل كلِّ أحدٍ، وبادَر بجمعِ الأمراءِ وإعْلامهم بما حَدَث، فإذا رأى ما هُمْ فيه من الانزعاج لذلك أخذَ في تَسكين رَوْعهم، وقال: عوائدُ الله تعالى في عَبْده جميلةٌ، ولَطائفُه به مَعْهُودة. فيُديرُ القومُ الرَّأيَ، ويشيرُ كلٌّ منهم بما يراه، وهو مُصْغٍ لهم. وكانوا لكثرةِ إحسانه لهم قد أحَبُّوه بكلِّ قلوبهم، فيبذلونَ له النُّصْحَ بجَهدهم، ثم ينفضوا عنه فيستدعي واحدًا واحدًا منهم في خَلْوَةٍ، ويفاوضُه في أمْرٍ أجنبيٍّ مما نَزَل به، ثم يُعَرِّض له بذلك الحادثِ حتى لا يُظنَّ أنه محتاجٌ إليه في الرَّأي، وليعلم ما في باطنهِ مما عَساهُ كَتَمَه عن أصحابه، حتى إذا أتى على ما عِنْدَهم اختارَ منه أو مما يَراهُ في ذلك أمرًا، وأمْضَى ما عَزَمَ عليه، فتبعه الجميعُ من غير توقُّفٍ منهم ولا مُعارضَةٍ في شيء. فلذلك كانت آراؤهُ سديدةً غيرَ مُخْطِئةٍ في شيء، وأوامرهُ ماضيةً مُدَّةَ حَياةِ رجالِ دَوْلةِ أبيهِ حتى انقرضوا وانتشأ من أتباعه الأحداثُ، انحلَّ ذلك العِقْدُ وتناثَرَ السِّلكُ.

وكان كثيرَ الشفقةِ على رَعِيَّته، ناظرًا مصالحهم، متفقِّدًا لأحوالهم، قامعًا للمُفْسدينَ منهم، فأمِنَتِ السُّبُل في أيامه بحُسنِ سياسته وجَوْدة تَدبيره، فإنه استمالَ من كلِّ طائفةٍ من طوائف المُفْسدينَ جماعةً وقَرَّبهم منه وبالَغَ في الإحسانِ إليهم حتى كَفَّ كلُّ جماعةٍ منهم قومَهُم عن الفَسَاد. هذا واليمن تكادُ بلادُه أن يكونَ تحتَ كل حَجَرٍ منها مُفْسد، وفي ظلِّ كلِّ شَجرة مُعاند، فانقادُوا بأجْمَعِهم لدولته وأذْعَنُوا كلُّهم لطاعَته، إما

رهبةً من سَطْوته، أو رَغْبةً في نِعْمتهِ، بحيثُ صاروا هُمْ خُفراءَ القَوافل في الأسفارِ بعدما كانوا يَقْطعونَ عليها الطريقَ ويُخيفون السَّبيلَ، وصاروا أيضًا يركَبُونَ في جَنَاحَي عسكر السُّلْطان وهم في سُكُونٍ ودَعَةٍ، كلُّ ذلك بحسنِ سياسته.

وكانت له مع ذلكَ رغبةٌ عظيمةٌ في علم الأدب، وشَغَفٌ زائدٌ بكتُبُه وجمعِ شَواردِهِ، مع المعرفَةِ التامة بنَقْدِ الشعر؛ فقرَّب الأُدباء، وأدْناهُم منه، واخْتَص بهم، وأفاضَ عليهم سَحائِبَ كَرَمهِ، وملأ أيْدِيَهُم بجزيلِ نِعَمه. وكان يحبُّ الأمثالَ العربيةَ ويحفظُ منها كثيرًا، فيذاكرُ منها ومن أشطارِ بيوتِ الشعرِ بما لا يُدانيه فيه أحد من أُدبائه، ويجيبُ بها في الوقائعِ على البَدِيهة، ويوقِّعُ منها بخَطهِ من غير فِكرٍ ولا رَويةٍ ما يبهرُ العُلماء، ويُعْجِبُ به الأدباء؛ وذلكَ أنه أمرَ بشرحِ «المُسْتَقْصى» للزَّمخشري شَرحًا واسعًا، فكُتب له منه ثلاثُ مجلدات، ولو كَمُل لجاءَ في مئة مجلدٍ، وجُمع له أيضًا ما في كُتُب اللُّغة، وكُتُب التَّاريخ، وكُتُب الأدب من الأمثال في مُجَلَّد. ثم شرعَ في شَرْحها فلم يُكملُ منه سِوَى مجلدٍ واحد، وأمرَ أيضًا بضَبْطِ ألفاظِ كتابِ «أساس البلاغة» وكتابِ «مَقاييس الأُصول» في الشَّواهد في كتابِ يُسَمَّى «كامِلَ الصناعة» فلم يُكتب منه إلا الثُّلثُ، وانقضت أيامُه دونَ تمامِ ذلك كُلِّه.

فمن توقيعاته على قِصَّةٍ رُفعت إليه تتضمنَّ الشكوى من طائفةٍ تكرَّرت منهم الجرائم، وتَعَوَّدوا سلوكَ طُرق المَفَاسدِ فكتبَ بخطِّه في الحال عليها: «لو نُهيَتِ الأولى لانتهتِ الآخرة، وإنما ذهَبَتْ هَيفٌ لعاداتها، فلما أخَذُوا طريق العُنْصُلَيْن طارت بهم العَنْقاءُ، وأودى بهم عُقاب مَلاع فلا تَذْهَب نَفْسُكَ عليهم حَسَرات، وماذا ترتجي من قَلْبِ قومٍ هُم الأعداءُ والأكبادُ سُود».

وكان يتألَّه بمحبةِ الصُّوفية، ويُقَدِّمهم على من عداهم، ويميزهم على سِوَاهم، ويوالي من يُحبهم، ويُعادي من يُنكرُ عليهم؛ فَجَرت في

أيامه بين الصُّوفية وبين الفُقَهاء عِدَّةُ وقائع عَزَّ فيها قدرُ قوم، واتَّضَعَ جانبُ آخرين. فلما تم أمرُه بدا نقصُه فانقلبَت دولتُه حتى أتَتْه مَنِيَّتُهُ ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [النجم ٣١] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت].

٢٤٤- أحمد بن عبدالله بن محمد بن محمد بن عبدالقادر بن عبدالخالق بن خليل، مُحْيي الدين أبو اليُسْرِ ابن تَقي الدين ابن القاضي نُور الدين ابن أبي البركاتِ ابن أبي المَعَالي ابن شرفِ الدين ابن عَفِيفِ الدين، ابن الصائغ الدِّمشقي[(١)].

وُلد في العَشْر الآخر من جُمادى الأُولى سنة تسعٍ وثلاثين وسبع مئة، وأُحضِرَ على أحمد بن عليٍّ الجَزري، وأُسْمِعَ من محمد بن إسماعيل ابن الخَبَّاز، وأجازَ له محمد بن عُمر السَّلاوي، وداود بن سُليمان خَطِيبُ بيتِ الآبار، والعَلاَمةُ شَمسُ الديـن ابن النقيب، وآخرون. وطَلَب بنفسهِ، وكتَبَ الطِّبَاق، وشدا شيئًا من الأدَبِ والتَّاريخ، وحدَّثَ.

توفي في رَمضان سنة سَبْع وثماني مئة.

٢٤٥- أحمد بن عبدالقَادر بن محمد بن الفَخْر عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالرحمن البَعْليُّ[(٢)].

وُلدَ سنةَ اثنتين وثلاثين وسبع مئة، وسمعَ على الحافظِ المِزِّي، وأحمد بن عليٍّ الجَزَري، وحدَّث.

توفي بعد سنةِ خمس عشرة وثماني مئة.

٢٤٦- أحمد بن أبي العِزِّ بن أحمد بن أبي العِز بن صالح، المعروفُ بابن الثَّوْر بفَتْح الثاء المثلثة الأذْرَعي الحَنَفي[(٣)].

---

(١) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٢٤، وإنباء الغمر ٥/ ٢٢٦، والضوء اللامع ١/ ٣٦٨، وشذرات الذهب ٧/ ٦١.

(٢) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٢٨، والضوء اللامع ١/ ٣٥٢.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ٨٠، والمجمع المؤسس، الترجمة ٢٩، والضوء =

سمع على الحَجَّارِ، وإسحاق الآمديِّ وغيره. وحَدَّث.

توفي عن ثمانينَ سنةً في صَفَر سنة إحدى وثماني مئة.

٢٤٧- أحمد بن أبي بكر بن محمد الرَّدَّاد، الشيخُ مُحْيي الدين ويُدْعى شهابَ الدين أيضًا القُرَشيُّ البكْريُّ، الفقيهُ الشافعيُّ الصُّوفيُّ الزَّبيدي، اليَمانيُّ(١).

وُلدَ سنةَ سبعٍ وأربعين وسبع مئة، واشتغلَ بالفِقْهِ وغيره، وصَحِبَ الشيخَ إسماعيل الجَبَرتي، وسَلكَ على يَدَيْهِ، ولازمه زيادةً على أربعين سنةً، ففاق أقرانه في تهذيبِ النَّفْسِ ورياضَةِ الأخلاقِ، وصارَ معدودًا من أعلام الصُّوفية، ومن الأئمةِ العارفين بالله حتى قال في حقه الشيخُ عبدالكبير: أحمد الرَّدَّادُ: بستانُ المعارف. وقال الشيخُ إسماعيل الجَبَرتي: للشيخ أحمد ثلاثونَ سنةً لا يَرَى إلا الله عَزَّ وجلَّ وأفعاله؛ وذلك أنه كان متأدبًا مع اللهِ تعالى في جميع الأحـوال، مُهَذَّبًا بالسنةِ النبوية في سائر الأعمالِ والأقوال، بحيثُ إنَه كان لا يمكنُ أحدًا من أصحابه وأصحابِ شيخه إسماعيل أنْ يقولَ بحضرته: ثَوْبي ولا ردائي، لتحققه بملازمة الحُضورِ مع المالكِ الحقِّ سبحانه، وتربيته أصحابه على ذلك.

وحكى الشيخُ رضي الدين أبو بكر العَبَاصري أحدُ أكابرِ أصحابِ الشيخِ إسماعيل أنه قال مرةً بحضرَةِ الشيخِ أحمد الرَّدَّاد: «الحمدُ لله». فقال الردَّاد: «الحمدُ للهِ على أيِّ شيء؟». فقال أبو بكر: «على دين الإسلام، على أنا آمنا بالنبيِّ ﷺ»، والردَّادُ يطالبُه بأعلى من ذلك حتى قال أبو بكر: «فماذا؟» فقال الردَّاد: «الحمدُ للهِ على الله».

= اللامع ٢/ ٤ وشذرات الذهب ٧/ ١٠، والطبقات السنية ١/ ٣٦٢. ووقع اسمه في المطبوع من الإنباء والشذرات: «محمد»، ولعله وهم أو تحريف قديم.

(١) تقدمت ترجمته بأخصر مما هنا في الرقم (١٩٤)، وخرجنا هناك مصادر ترجمته.

وحكى أيضًا أنه نظم قصيدةً كانت تُنْشَدُ وقتَ السَّماع، فتواجَدَ الرَّدادُ مرَّةً عندَ سماعها، وتَكَلَّم عليها بما لم يكُنْ يخطر لي بَخاطرٍ ولم يَجْرِ على بالي، ولا كنتُ من أهْلهِ. ثم قَرُبَ مني وقال لي: «قُلْ يا شَيْخُ أبا بكر: ابن أخي أعْرَفُ بشِعْري مني»، فقلتُ ذلك.

وقال الشيخ الفَقيهُ الصالح أبو بكر بن إبراهيمُ من ذرِّيةِ الشيخ أحمد ابن موسى بن عَجيل: رأيتُ الشيخَ شِهابَ الدين مرةً في طريقٍ، ولم يَكُنْ عليه سِوَى خِرْقَةٍ رثةٍ تستُر عورَتَه وهو في الغَايةِ من التَّواضُعِ واطِّراح النفس لكلِّ مخلوق، ثم رأيتُه لما صارَ في صُحْبَةِ المَلكِ الأشرَف، وقد جاءني وفي خِدْمَته جَمْعٌ عظيمٌ من خواص المَلِك فوالله ما نَقَص من تواضعهِ وشيمة فَقْره في تلكَ الحالةِ الرَّثة فَتيلاً ولا نَقيرًا. قد كان في هذا كما كان في ذلكَ سواء.

وكان الشيخُ إسماعيل[1] أذنَ له أن يُلْبسَ المريدين بحَضْرَته، فكثيرًا ما جاءَ المريدُ ليلبسَ منه، فيشيرُ إلى الشيخِ أحمد الردَّاد حتى يُلبسه بحَضْرته.

وقال الشيخُ إسماعيل لولده قريب وفاته: يا صدِّيق، أما يقولُ الناسُ إذا ماتَ إسماعيلُ من يكونُ خليفَتَهُ؟ قال: قُلتُ: نعم. فقال: أما يقولون لهم: إن خليفَتَه الشيخُ أحمد الرَّداد؟ وكان الشيخُ إسماعيل يحضُرُ عندَ الردادِ في مجالس القراءَةِ عليه، ويَدْعو المُريدين إليه.

وللشيخ أحمد عِدَّةُ مصنفات منها: كتابُ «عِدَّةُ المُرْشدين وعُمْدة المُسْتَرشدين في أحكام الخِرْقَة والنِّسْبَة للباسِ والصُّحبة»، ولم يُسْبَق لمِثلِه. وكتاب «القَواعد الوَفية في أصْلِ خِرْقَةِ الصُّوفية». وكتاب «ذي الفقار المار بيد الفقر المَنْصور». وكتاب «مُوجباتِ الرَّحمةِ وعَزَائم المَغْفرَة في عَملِ يَوْم وليلة» وهو أجمعُ ما يكونُ في معناه. وله عدَّةُ رسائلَ في التصوُّفِ.

---

(١) هو الشيخ إسماعيل الجبرتي.

وله كلماتٌ بديعةٌ منها قولُه: «الإسنادُ نَسَبُ الحديث»، وقوله: «اجعلوا عَشاءكم الصَّلاةَ، ولا تَجْعَلوا صَلاَتكُم العشاء»، وذلك أنَّ أصحابه حَضَرهُم العَشاء والعِشاء فقالُوا: أيُّهما نَبْدأ به. فقال هذا الكلام[1].

وله شعر جَيِّد منه قوله:

وَلَوْ أنَّ لي ما كان في الكَوْنِ كُلِّهِ   وكانت لي الأكوانُ بالأمْرِ ساجِدَه
لما نَظَرت عَيني إليها وَلاَ رَنت   إذا لم تكُن ذاتي لِذاتكَ واجِدَه

وقال قبلَ وفاتِهِ بيَوْم واحد:

تَعِبْنا من الدُّنْيا ومن طُول عُمْرِها   ومَا بَعْدَها خيرٌ وأبقى وأفْضَلُ
فَعجِّل لنا بالخَيْرِ ياخَيْرَ مُفْضِلٍ   ويَا خَيْرَ مَأمُولٍ عَلَيه المُعَوَّلُ

وكان قد اختصَّ بالملكِ الأشْرَف إسماعيل في جملةٍ من اختصَّ به من الصُّوفية أصحابِ الشيخ إسماعيل، هو والشيخُ محمد المِزْجاجي، وصارَ أمْرُهُما نافذًا وشفاعاتُهما مَقْبُولةً حتى أنه كان الأشرفُ كثيرًا ما يقولُ مشيرًا إلى الرَّدَّاد والمِزْجاجي ويعني من يحف به من أهْلِ دَوْلَته: لولاكما لاجتالَتْهُم الشياطين. فلما ماتَ الأشرفُ وقام من بعده ابنهُ النَّاصرُ أحمد كان المذكوران عنده في أرْفَع رُتْبةٍ وأعَزِّ مكان، فاقتَدى بهما في عامةِ أُموره، وميَّزَهما على جميع رجالِ دَوْلَته حتى ماتَ شيخُنا مَجْدُ الدين محمد بن يعقوب الشِّيرازي في سنةِ سَبْعَ عشرةَ وثماني مئة، وَلَّى عوضَهُ قضاءَ الأقضية للشيخ شهاب الدين أحمد الرَّدَّاد، فباشره ثلاثَ سنين حتى مات ليلة الثاني والعشرين من ذي القَعْدةِ الحرام سنةَ إحدى وعشرين وثماني مئة.

---

(١) هكذا أفتاهم فما أصاب لقلة عنايته بالحديث والفقه، فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: «إذا أقيمت الصلاة وحَضر العشاء فابدؤا بالعشاء»، وفي لفظ: «إذا وضع العشاء» (البخاري ٧/١٠٧، ومسلم ٢/٧٨ وغيرهما).

وله سماعٌ على بَعْضِ الشيوخ بمكةَ، وأجازَ له من دمشقَ أبو بكر ابن المُحب، وعمرُ بن أحمد الجُرْهُمي، ومحمد بن محمد بن داود المَقْدسي، ومحمد بن أحمد ابن الصَّفي الغَزُولي، وآخرون. ولم يُعْنَ بهذا الشأنِ ولا بالفِقْه.

٢٤٨- أحمد بن عليٍّ بن يحيى بن تَمِيم بن حبيب بن جعفر بن محمد بن عليّ بن القاسم بن الحسن العَلويُّ الحُسينيُّ الدِّمَشقيُّ، وَكيلُ بيتِ المالِ بها[١].

وُلدَ سنة سبعَ عشرةَ وسبع مئة، وسمعَ على الحَجَّار، وعلى الشيخ تقي الدين ابن تَيْمية وغيرِه، وحدث، وشكرت ولايتُه للوكالَةِ، ونَظَرَ المَارستان، وتقدَّمَ عند الأمير بَيْدَمُر نائبِ الشام، ثم تركَ المُبَاشرة حتى ماتَ في ربيعِ الآخِرِ سنة ثلاثٍ وثماني مئة.

٢٤٩- أحمد بن عليٍّ بن محمد بن أيُّوب بن رافع القَلْعيُّ الدِّمَشْقيُّ الحَنَفيُّ، إمامُ القَلْعَة[٢].

وُلدَ سنةَ سبعٍ وعشرين وسبع مئة، وسمعَ على المِزِّي، وزَيْنَبَ بنتِ الكَمَال.

تُوفي في سابعَ عشر شَوَّال سنةَ ثمان وتسعين وسبع مئة.

٢٥٠- أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبي غانم الحَلَبيُّ الأصلِ الصَّالحيُّ، الشهيرُ بابنِ الحَبَّال[٣].

سمع على أبي العَباس المَرْداوي، وعلى عبدالله بن محمد ابن القَيِّم.

---

(١) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٥٨، وإنباء الغمر ٤/ ٢٥٧، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٢، والضوء اللامع ٢/ ٤٥، وشذرات الذهب ٧/ ٢٥.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٢٣٢، وإنباء الغمر ٣/ ٢٩٦، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٣، والطبقات السنية ١/ ٤٦٩.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٤٧٢، والمجمع المؤسس الترجمة ٣٧، والضوء اللامع ٢/ ١٦٨.

ماتَ في سابع عشري رَجَبٍ سنةَ خمسٍ وعشرين وثماني مئة.

٢٥١- أحمدَ بن أبي بكر بن أحمد بن عليٍّ بن إسماعيل، المعرُوفُ بابن الرَّسام الحَمويُّ الحَنْبليُّ[(١)].

وُلدَ في حُدودِ السبعين والسبع مئة، وسَمِعَ على شمسِ الدين محمد بن عليّ المعروف بابن اليُونانيةِ، وعلى ابن بَرْدس وغيره. وجمع كتابًا في فَضائلِ الصيام، وعَمِلَ المواعيدَ فأجادَ، ووَليَ قضاءَ حماةَ ثم قَضاءَ حلب.

٢٥٢- أحمد بن حسن بن عبدالله بن أبي عُمر محمد بن أحمد ابن محمد بن قُدامةَ، قاضي القُضاة شرفُ الدِّين أبو العَباسِ ابن قاضي القُضاة شَرفِ الدين أبي الفَضْلِ ابن الخَطيب شَرَفِ الدينَ أبي بكر ابن شَيْخ الإسلام أبي عُمر، المعروفُ بابن قاضي الجَبَل، المَقْدسيُّ الصَّالحيُّ، الدِّمشقيُّ الحنبليُّ[(٢)].

وُلدَ في تاسع شعبانَ سنةَ ثلاثٍ وتسعين وست مئة. سمعَ من أحمد ابن عبدالمؤمن الصُّوري خاتمةِ أصحاب الموفق بن قُدامة. وسمعَ من محمد بن عِزٍّ الواسطي، وإسماعيل بن الفَرَّاء، وتقيِّ الدين سُليمانَ وجماعة، وأجازَ له أبو الفَضْلِ بن عساكر وابنِ غَدِير وغيرُهما، وخَرَّج له ابن سَعْدٍ جزءًا. وطَلَبَ الحديثَ، وبرعَ في فُنُونٍ، بذهْنٍ سَيَّالٍ، وصَنفَ كتابَ «الفائقِ» في الفِقْه. وصَحِبَ شيخَ الإسلام ابن تَيْمية، وسمعَ منه، وتفقه به، ومهرَ، وفاقَ أقرانه. ووَليَ قضاءَ الحَنابِلَةِ بدمشقَ في يومِ

---

(١) ترجمته في: الضوء اللامع ١/ ٢٤٩، وفيه أنه ولد سنة ٧٧٣ وتوفي سنة ٨٤٤، وشذرات الذهب ٧/ ٢٥٢.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ١٨٦، والمعجم المختص ١٦، ووفيات ابن رافع ٢/ ٣٥٤، وذيل طبقات الحنابلة ٤٥٣، وذيل العبر العراقي ٢/ ٢٩٤، وذيل التقييد ١/ ٣٠٥ والرد الوافر ٧٧، والدرر الكامنة ١/ ١٢٩، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٠٨، والدليل الشافي ١/ ٤٥، والمنهل الصافي ١/ ٢٦٨، والدارس ٢/ ٤٤، وشذرات الذهب ٦/ ٢١٩.

الثُّلاثاء ثامن شَهْرِ رمضانَ سنةَ سبع وستين عوضًا عن جمالِ الدين يوسف ابن محمد بن عبدالله بن محمد بن محمود المَرْداوي، فباشَرَ ذلك حتى تُوفي قاضيًا في ثالث عشرَ شَهْر رجب سنةَ إحدى وسبعين وسبع مئة، فوَلِيَ عوضه علاءُ الدين عليُّ بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن أبي الفَتْحِ ابن هاشمٍ المَقْدسي.

وكان ابنِ قاضي الجَبَل عَلامةَ وَقْته في كثرةِ نَقْله، وعَلمًا من أعلام الفُقهاء الحَنابلَةِ. وقد ذكرهُ الذَّهبي في «معجمه المُخْتص» بالمحَدِّثينَ وأثْنَى عليه[1]، ومن شِعْرِه:

نبيِّـي أحمـدُ وكـذا إمـامـي وشيخـي أحمـدُ كـالبَحْـر طَـامـي

يعني ابن تَيْمية

واسْمِـي أحمـدُ أرجُـو بهـذا شفـاعَـةَ سَيِّـد الـرُّسـلِ الكـرام

وكان رَيِّضَ الخُلُق، حسن الشكلِ، بشوشًا، مُكبًا على الاشتغالِ، مُحبًا للعلمِ، وأفْتى وهو شابٌّ، وكان يُجيدُ عملَ المَواعيدِ للوَعَظ، وله نوادرُ مُسْتَمْلَحة.

٢٥٣- أحمد بن محمد بن عبدالرحمن، الشيخُ القاضي، تاجُ الدين البِلْبيسي الشافعي[2].

وُلدفي سنة سبع عشرة وسبع مئة تَخْمينًا، وتفقه، وسمعَ من الكمالِ بن حَبيب وحدث عنه بمكةَ، ووَليَ خطابةَ جامع الخطَيري ببولاق، وإمامته والإعادةَ به. ولما تَقَلَّدَ البُرهانُ إبراهيم ابن جماعة قضاءَ القُضاةِ بديارِ مصرَ وَلاَّه أمانة الحُكْم، فَشُكرت آثارهُ، وحُمدَت مباشَرَتُهُ، ثم زَهدَ عنها، وصَرف نَفْسه منها، ولم يزل مَعْروفًا بالخَيْرِ إلى أن مات

---

(١) المعجم المختص ١٦، نعم، أثنى عليه لكنه قال: «وفيه هنات. . . ولم يحمد في مباشرة القضاء».

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ٤٤، وذيل الدرر، الترجمة ٦، والضوء اللامع ٢/ ١٢٣، ووجيز الكلام ١/ ٣٣٧، وشذرات الذهب ٧/ ٥، وفيه أنه ولد سنة ٧٢٨.

عن ثلاثٍ وثمانين سنةً في ثاني عشري شَهْرِ ربيعٍ الأوَّل سنةَ إحدى وثماني مئة.

٢٥٤- أحمد بن عمرُ بن محمد الشيخُ بدر الدين، الطُّنْبُذِيُّ الشافعي[١].

بَرَع في الفقهِ والأُصُولِ والعربيةِ والعلومِ الأدبية، ودَرَّس وأفتى عِدَّةَ سنين، وعَمِلَ المواعيدَ، وكان مُفْرِطَ الذكاءِ، فصيحَ العبارة، مُتَقدمًا على كُلِّ من باحَثَهُ، إلا أنه أخَّرَهُ عدمُ زواجه وما أشيع عنه من مُعَاشرةِ أهلِ التُّهم، فكَثُرَ الطعنُ عليه، وشَنعتِ القالة فيه، ولم يكن بمفكرٍ في ذلك، بل لا يَزالُ مُقْبلاً مع الاشتغال بالعلم على ما يُعاب به حتى مات في يوم (الأحد ثامن)[٢] عشري شهرِ ربيعٍ الأول سنةَ تسعٍ وثماني مئة وقد جاوزَ الستين.

٢٥٥- أحمد بن محمد بن عبدالمُعْطي بن أحمد بن عبدالمُعْطي بن مَكي بن طِرَادٍ، شهابُ الدِّين أبو العباس الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ المالكيُّ النَّحويُّ، إمامُ أهْلِ مكةَ في العَرَبية[٣].

وُلدَ بمصرَ سنةَ تسعٍ وسبع مئة، ومَضَى مع أبيهِ إلى بلادِ المَغْرب، ولقيَ بها غيرَ واحدٍ من العُلماء والصُّلَحاء، وتفقه بالقاهرةَ على الشيخ عبدالله المَنُوفي، وأخذَ العربيةَ عن الشيخ أبي حَيَّان. وسمعَ بمكةَ على

---

(١) ترجمته في: السلوك٤/ ١/ ٤٧، وإنباء الغمر ٦/ ٢١، والدليل الشافي ١/ ٦٧، والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٦٤، والضوء اللامع ٢/ ٥٦، ووجيز الكلام ١/ ٣٩٠، وشذرات الذهب ٧/ ٨٣، وفيه وفي الضوء أن اسمه أحمد بن محمد بن عمر.

(٢) ما بين الحاصرتين فراغ في الأصل تركه المصنف ليعود إليه فما عاد، فاستدركناه من مصادر ترجمته.

(٣) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٨٩، والعقد الثمين ٣/ ١٤٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٩٧، والدرر الكامنة ١/ ٢٩٥، وإنباء الغمر ٢/ ٢٢٩، والدليل الشافي ١/ ٨٣، ووجيز الكلام ١/ ٢٧٩، وبغية الوعاة ١/ ٣٧٢، وشذرات الذهب ٦/ ٣٠٠.

جماعةٍ من أهْلِها والقَادمينَ عليها عِدَّةَ كُتُب، وتَصَدَّر بها لإفادةِ النَّحو والعَرُوض، وكان بارعًا فيهما. وكتبَ عدَّةَ مصنفاتٍ فانْتَفَع به الناسُ لحسن تَعْليمه، وقال الشعرَ، وكتبَ الخطَّ الجيد، ونابَ في العُقودِ حتى ماتَ بمكة في يوم الثُّلاثاء تاسع عشري المحرَّمِ سنةَ ثمانٍ وثمانين وسبع مئة.

وكان حسن الأخلاقِ، سليمَ الباطنِ، متودِّدًا إلى الناسِ، مُواظبًا على الخير. لقيتُه بمكةَ وأخذتُ عنه.

٢٥٦- أحمد بن سالم بن يَاقوتَ المالكيُّ، أبو العَباس شهابُ الدين المؤذِّنُ بمكة[(١)].

وُلدَ بها في جُمادى الآخرة سنةَ سَبْع وتسعين[(٢)] وست مئة، وسمعَ من الإمام أبي عَمرو التَّوْزَري والرَّضي الطَّبَري «صحيحَ البُخاري»، ومن الصَّفيِّ الطَّبَري والمُقْرِىء عَفيفِ الدين الدِّلاصي، وحَدَّث، وانفردَ بالسَّماع من التَّوْزَري.

وتوفي بمكةَ في محرَّم سنةِ ثمانٍ وسبعين وسبع مئة؛ وكان شيخَ الفَرَّاشين بالمسجدِ الحَرَام، حدثنا عنه ابن سُكَّر.

٢٥٧- أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله، الشيخُ المُعْتَقَد، شهابُ الدين ابن الناصح[(٣)].

روى عن المَيْدُومي، وابن عبدالهادي. وتفقه على مذهب الإمامِ

---

(١) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣١٣، والعقد الثمين ٣/ ٤٣، والدرر الكامنة ١/ ١٤٤، وإنباء الغمر ١/ ٢٠١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٥٥.

(٢) في جـ: «وستين»، خطأ، وما هنا من خط المصنف، وهو الذي أجمعت عليه مصادر ترجمته.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٣/ ١٠٩٠، وذيل الدرر، الترجمة ١٤٦، وإنباء الغمر ٥/ ٣٠، والدليل الشافي ١/ ٧٤، والضوء اللامع ٢/ ٥٠٢، ووجيز الكلام ١/ ٣٦٤، وشذرات الذهب ٧/ ٤٢.

الشافعي، واشتهرَ عندَ الكافة بالصَّلاح، وتَغَالى الناسُ في اعْتِقاده، وحَكَوا له عِدَّةَ كراماتٍ، وتردَّدوا إليه وسألُوه حوائجَهُم فتصَدَّى لقضائها عدَّةَ سنين في الأيام الظَّاهرية بَرْقُوق، وكانت شفاعاتُه مقبولةً عندَ السُّلطان والأمـراءِ لا تُرَدُّ وَرَقَتُهُ، وما بَـرحَ على هذا حتى قَبضه الله إليه في سابـع عشري شهر رَمضانَ سنةَ أربعٍ وثمانـي مئة، وقد قارب السَّبعين سنة.

٢٥٨- أحمد بن محمد بن عبدالله بن ظُهيرة بن أحمد بن عَطية ابن ظُهَيْرَةَ القُرَشيُّ المَخْزُوميُّ الشافعيُّ، قاضي مكةَ مُحبُّ الدين أبو العَباس ابن جمالِ الدين أبي حامد ابن عَفيف الدين[1].

وُلدَ في يوم الخميس رابع جُمادى الأُولى سنة تسعٍ وثمانين وسبع مئة بمكة، وأسمَعه أبوه على جماعةٍ، وعُنيَ به حتىً بَرَعَ في الفقهِ والفَرَائضِ والحساب وغيرِ ذلك، ودَرَّسَ، ونابَ عن أبيه في الحُكم والخِطابَةِ حتى ماتَ في رَمضانَ سنةَ سَبعَ عشرةَ وثماني مئة، ووَلِيَ الكمال أبو البركات ابن الجمال أبي السُّعود بن ظُهَيرة، قَدِمَ في العَشْر الأخير من ذي القَعْدةِ سنةَ ثمان عشرةَ توقيعٌ تاريخُه أولُ شعبان بولايته القضاء، فباشره إلى ثامن شَوَّالٍ سنةَ تسعَ عشرة، وأُعيدَ أبو البَرَكات، ثم صُرِفَ بالمحب في خامسٍ ذي الحجة منها، فاستمر قاضيًا حتى ماتَ يومَ الاثنين ثامن عشر ربيعٍ الآخر سنةَ سبعٍ وعشرين وثماني مئة، ودُفن بالمَعْلاة.

تردَّد إليَّ لما قَدِمْتُ مكةَ حاجًا في سنةِ خمسٍ وعشرين وأهْدَى إلي، وكان نِعْمَ النَّاس نزاهةً، وديانة، وخَيْرًا، وإنصافًا، وحُسنَ فضيلةٍ، وجميلَ مُحاضَرة.

---

(١) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ١٣٩، وإنباء الغمر ٨/ ٥٠، والدليل الشافي ١/ ١٩، والضوء اللامع ٢/ ١٣٤، ووجيز الكلام ٢/ ٤٧٩، وبدائع الزهور ٢/ ٨٨، وشذرات الذهب ٧/ ١٧٧.

٢٥٩- أحمد بن عبدالله بن مالك بن مَكنون العَجْلُوني الأصل الدِّمشقيُّ، أبو العَباس شهابُ الدين ابن فَخْر الدين، خَطيبُ بيْتِ لَهْيا من غُوطةِ دمشقَ وابن خَطِيبها[١].

ولد بها في الخامسِ من شهرِ رمضانَ سنةَ سبع وسبع مئة، وسمعَ من أحمد ابن الشحنة الجُزْءَ الثاني من حديثِ أبي اليَمانِ عن شُعيب، ومن الضياءِ الحَمَوي، وحدَّث بدمشقَ. وكان رئيسًا نبيلاً.

توفي ببَيْت لَهْيا يومَ الجُمُعةِ ثاني المحرَّمِ سنةَ ثمانين وسبع مئة، ودُفنَ هناك.

٢٦٠- أحمد بن بلَبان، وبعضُهم يقول: أحمد بن عبدالرحمن ابن عبدالرحيم، الشيخُ، شهاب الدين أبو العباس، ابن النقيب البَعْلَبكِّي، الشافعيُّ، مُفْتي دَارِ العَدْل، وشيخُ الإقْراءِ بالشام[٢].

كان أبوه نقيبًا ببَعْلَبَك، ووُلدَ له أحمد بها في سنة أربع وتسعين وست مئة في قَلْعَتها. وقرأ بالسبع على المجد التُّونسي، والشِّهاب الكَفْري، وحَفِظَ «الشاطبية» و«المِنْهاجَ» للنَّوَوي. وتفقه على الكَمالِ ابن الزَّمَلْكاني، وعلى الخَابُوري وابن البَارزي قاضي حَمَاة، وأذنَ له بالإفْتاءِ سنةَ بضع وعشرين وسبع مئة، وأذنَ له بذلك أيضًا الجلالُ قاضي القُضاة القَزْويني بالقاهرة سنةَ تسع وعشرين. وحَفِظَ «مختصرَ ابن الحاجب» و«الطَّوالع» وبَحَثَهما على الشيخ شمس الدين محمد الأصفهاني. وقرأ «التقريبَ» و«التَّيْسير» في عُلُومِ الحديث، و«العُمْدَةَ» على ابن العَطَّار.

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ١٩٦، وإنباء الغمر ١/ ٢٧٩، وشذرات الذهب ٦/ ٢٦٥، واسمه في الإنباء: أحمد بن محمد بن عبدالله بن مالك بن مكتوم.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٨٦، وذيل العبر للحسيني ٣٦٣، وطبقات الشافعية للسبكي ٩/ ١٨، ووفيات ابن رافع ٢/ ٢٦٦، والبداية والنهاية ١٤/ ٣٠٣، وذيل العبر للعراقي ١/ ١٣٠، وغاية النهاية ١/ ٤١، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٤)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٢٩، والدرر الكامنة ١/ ١٢٣، والدارس ١/ ٣٢٣، وشذرات الذهب ٦/ ٢٠٠.

وقرأ «الحاجبية» و«ألفيةَ ابن مالك» وبَحَثهما على غيرِ واحدٍ ونابَ في القَضاءِ بدمشق، وتردَّدَ إلى القاهرَة مرات لزيارة القاضي عَلاءِ الدين علي ابن فَضْل الله كاتب السرِّ، فولاه تدريسَ العادليةِ الصُّغرى مُضافًا لما بيَدهِ من القَلِيجيّة، وأخذَ حَلْقَةَ الإشغال بالجامع الأموي، والإقراء بالأشْرَفية جوارَ الكَلاَّسة، وغيرَ ذلك.

وكان أولاً يُقرىء أولادَ القاضي مُحيي الدين يحيى بن فَضْل الله كاتب السِّر، فنالَ بواسِطتهِ هذه الجهاتِ، ثم وَليَ إفْتاءَ دارِ العَدْلِ. وكان صاحبَ فنونٍ من فقهٍ، وأُصُولٍ، وعربيةٍ، وقراءات، ونظمٍ ونثرٍ يُجيد فيهما؛ وعنده انجماعٌ عن الناس.

توفي في سابع عشري شهرِ رَمضانَ سنة أربع وستين[1] وسبع مئة.

٢٦١- أحمد بن ياسين، شهاب الدين الرَّبَاحيُّ المالكيُّ[2].

كان تاجرًا بسُوقِ دمشقَ، فولي بعد سَعيه قضاءَ المالكية بحلب، وأساءَ السِّيرةَ وفَسَّقَ العُدولَ وأسْقَطَهم، وضَرَبَ بعضهم بالسِّياط، وحكمَ بِفِسقِ رفاقهِ الحُكام، فكثرت شُكاته حتى عُزلَ بزين التِّلِمْساني حتى مات، فأعيدَ بعده الرَّباحي، فباشرَ ثانيًا، وجرى على عادَتهِ، فأُحضر إلى دمشقَ وعُزلَ وحُملَ إلى مِصْرَ فماتَ بها هو وولدهُ في رجب سنةَ أربع وستين وسبع مئة.

ولزَيْنِ الدين عُمر ابن الوَردي فيه رسالةٌ سَماها «الحُرقة للخِرْقة» وهي نَظْمٌ ونَثْر بدَعَ فيها ما شاء، منها:

---

(١) في جـ: «وسبعين» سبق قلم بيّن من الناسخ.

(٢) ترجمته في: أعيان العصر ١/الورقة ١٥٩، وذيل العبر للحسيني ٣٦٢، ووفيات ابن رافع السلامي ٢/٢٦٢، والبداية والنهاية ١٤/٣٠١، وذيل العبر للعراقي ١/١٢٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٤)، والدرر الكامنة ١/٣٤٨، وذيل الدرر، الترجمة ٢٤٨.

قاضٍ عن الناسِ غَيْرُ راضٍ   مُباهتٌ غالطٌ مُخالط
يَكْذبُ عن مَالكٍ كثيرًا   ويُسْقطُ النَّاسَ وهو ساقط

٢٦٢- أحمد بن عليّ بن منصور بن محمد بن محمد بن أبي العز صالح بن أبي العِز وُهيب[1] بن عَطاء بن جُبير بن جابر بن وُهَيْبٍ الأذرعي الدِّمشقي، قاضي القُضاة شَرَفُ الدين، أبو العباس ابن عَلاءِ الدين أبي الحسن بن أبي البَرَكات الحَنَفي[2].

ولدَ[3]... فلما ماتَ قاضي القُضاةِ صَدْرُ الدين محمد بن التُّرْكُماني عَيَّنَ قاضي القُضاةِ بُرْهانُ الدين إبراهيم بن جَمَاعةَ الشافعي لقضاءِ الحَنَفية الشيخَ شَرفَ الدين أحمد بن منصور هذا، فخرجَ البريد لإحضارهِ من دمشقَ، فقدمَ في ثالثَ عشر ذي الحجة سنةَ ستٍّ وسبعين وسبع مئة، ونزل بمدرسةِ السُّلطان حسن، ثم استُدعي في يوم الخميس خامس عشره إلى القَلْعة، فلما وَصَلَ إلى بابِ القَصْرِ أُمِرَ به فأُجلس على بابِ خِزَانة الخاص، فجلسَ حتى انقضتِ الخِدْمةُ السُّلْطانية من القَصْرِ، وخرج الأميرُ طَشْتَمُر الدَّوادار، فَسَلَّم عليه وأخذه معه إلى داره، وباسَطه، وأطعَمَه، وكان عنده الشيخُ سراجُ الدين عُمر البُلْقيني والشيخ ضياءُ الدين عُبيدالله بن سَعْدٍ القِرْمي، فتجاذبوا أطرافَ البَحْثِ في فُنونٍ من العلم ساعةً، وأمره الأميرُ بإقامَتِهِ حيثُ نَزَلَ حتى يطلبه السُّلطانُ، فانصرفَ وقد انحَلَّ أمْرُه. وتحدَّث الأميرُ ناصرُ الدين محمد بن آقْبُغا آص للشيخ جلال الدين رَسُول بن أحمد التَّبَّاني الرُّومي مدرسِ مدرسةِ أُلجاي

---

(١) في جـ: «وهيبة»، خطأ.

(٢) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٤١، والدرر الكامنة ١/ ٢٣٤، وإنباء الغمر ٢/ ٢١، ورفع الإصر ١/ ٨٩، والدليل الشافي ١/ ٦٥، ووجيز الكلام ١/ ٢٥١، وحسن المحاضرة ١/ ٤٧١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٧٣، والطبقات السنية ١/ ٤٧٤، والفوائد البهية ٢٨.

(٣) بياض قدر نصف سطر، وفي رفع الإصر أنه ولد سنة ٧١٠ تقريبًا، وفي الشذرات سنة ٧١٧.

في ولاية القضاءِ، فطلَبَه السُّلطانُ لذلك، فاعتذر بأنه لا يصلحُ، وطلَبَ الإعْفَاءَ فأُعفي. وتحدَّثَ بعضُ الأمراءِ لنَجْمِ الدينِ أحمد ابن العِماد إسماعيل بن أبي العِزِّ المعروف بابن الكُشك عمِّ شَرَفِ الدين صاحب الترجمة فأجيبَ لذلكَ، وسارَ البريدُ لإحضارِهِ من دمشقَ، فقدمَ ووُلِّي القَضَاءَ بالقاهرةِ، واستقَرَّ عِوَضه في قَضاءِ دمشقَ ابن عمِّه صَدْرُ الدين علي بن عليّ بن محمد بن محمد بن أبي العِز، واستقرَّ شَرَف الدين في قَضاءِ العَسْكر عوضًا عن شمس الدين محمد ابن الصَّائغ في رَابع عشري المحرَّم سنةَ سَبْع وسبعين، وسكنَ بالمدرسةِ المنصورية، وانْتَصبَ لإلقاء الدُّروسِ وإفادةِ الطَّلَبة، فلم يُقم نجمُ الدين سوى أربعةِ أشْهُرٍ واثنين وعشرين يومًا، ومضى شِبْه الفارِّ من القَاهرةِ لِتَضَجُّره من الإقامةِ بها، وعادَ إلى دمشقَ. فخرجَ البريدُ بطَلَبِ صَدْر الدين عليٍّ قاضي دمشقَ، فقَدمَ في رابعِ رَجَبٍ سنةَ سَبعٍ وسبعين، وخُلِعَ عليه من الغَدِ بقضاءِ الحَنَفية بالقاهرةِ عِوَضًا عن ابن عَمِّه نجمِ الدين، وأعيدَ نجمُ الدين إلى قَضاءِ الحَنَفيةِ بدمشقَ، فلم تَطِبِ الإقامةُ لصدرِ الدين بالقاهرة، واستعفَى، فأعْفي وخُلِعَ في تاسعِ رَمَضانَ سنةَ سبعٍ وسبعين على شَرفِ الدين أحمد بن منصور صاحبِ التَّرْجمة، وفُوِّضَ إليه قَضاءُ القُضاةِ الحنفيةِ عوضًا عن صَدْرِ الدين علي بن أبي العِز. وسار صدرُ الدين عائدًا إلى دمشق، وخُلع على مَجْدِ الدين إسماعيل واستقر في قَضاءِ العَسْكرِ عوضًا عن شَرَفِ الدين. فباشرَ شَرَفُ الدين القَضاءَ إلى أن طَلَبَ منه بعضُ الأُمراءِ أن يَحْكُمَ له باستبدالِ دَارٍ موقُوفةٍ بدارٍ أُخرى أحسن منها، على مُقْتَضى مَذْهبِ أبي حنيفة رحمه الله، وكان الاستبدالُ بالأوقافِ حينئذٍ غير معمُولٍ به، فامتنع من ذلك أشدَّ الامتناع، والأميرُ يُلحُّ في طَلَبه؛ فلما أعياهُ دَفْعُهُ عَزَل نَفْسهُ في يوم الأحد تاسع رَجبٍ سنةَ ثمانٍ وسبعين، واستقر عِوَضه الشيخُ جلالُ الدِّين جارُ الله، وأقام شَرَفُ الدين بَطَّالاً إلى أن سارَ إلى دمشقَ في آخرِ ذي الحجةِ منها، وأقامَ بها حتى ماتَ ليلةَ الاثنين العشرين من شعبان سنةَ اثنتين وثمانين وسبع مئة.

وكان إمامًا عالمًا بالفِقْهِ والأُصول، عَفيفًا، يتنزَّهُ عن قَبولِ الهدايا، قَويًّا في قَوْلِ الحق، غيرَ مُحابٍ لأحدٍ من ذَوي الجاهات، ريِّضَ الخُلُق، مُطَّرِحًا للتكلُّف، هَشًّا بشًّا، جميلَ المُحاضرة متواضعًا.

درَّسَ لما قَدِمَ إلى القاهرَة بالمدرسةِ المنصُورية قُبيلَ ولايته القَضاء مدةً، فانثالَ الطَّلبةُ عليه للقراءة؛ ولما باشر القَضاءَ كان يَتولَّى تَفْرقَةَ الصَّدَقاتِ من الدَّراهم والخُبْز على الفُقراء بنَفْسهِ، ويُناولُهم بيده، فكَثُرَ النَّفْعُ به، ودفعَ أربابَ المَظَالمِ، وأنْصَفَ منهم، فاستقامَتِ الأمورُ على يَدهِ لجميلِ مقاصدهِ. ومع ذلك فكان يتبرمُ من ولايته القَضاءَ، ويُكثرُ التَّضَجُّر. وله مُصنفاتٌ في الفِقْهِ والأُصول.

٢٦٣- أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عِيَاضِ بن نجا بن أبي الثَّنَاءِ محمود بن نَهارِ بن موسى بن حاتم بن بُبْلَى بن جابر بن هشام بن عُرْوة بن الزُّبيرِ بن العَوَّام بن خُوَيْلد بن أسد ابن عبدالعُزَّى بن قُصي، قاضي القُضاةِ ناصرُ الدين أبو العباسِ ابن قاضي القُضاةِ جمالِ الدين ابن قاضي القُضاةِ شمس الدين ابن جمالِ الدين ابن رَشيدِ الدِّين التَّنَسيُّ الزُّبيريُّ القُرَشيُّ المالكيُّ[1].

وُلدَ في (سنةِ أربعين)[2]، ووَليَ أبوهُ وجدُّه قَضاءَ الإسكندرية، ثم وَلِيها من سنةِ إحدى وثمانين وسبع مئة، وتكرَّرت ولايتُه لها مرارًا، إلى أن خُلعَ عليه في يومِ الأربعاءِ رابع عشري ذي القَعْدة سنةَ أربعٍ وتسعين بعد عَزْلِ الشهابِ أحمد النِّحريري، واستقرَّ عوضه في قضاءِ المالكية بالقاهرة، فباشرَ القَضاء حتى توفي ليلة الخميس أوَّل رَمضانَ سنةَ إحدى وثماني مئة، ودُفنَ بالقَرافة.

وكان حشمًا، رئيسًا، فقيهًا، عالمًا بالفقه والأُصول والنَّحْوِ والجَدَل والمَنْطقِ. وله شَرْحٌ على «تَسْهيل» ابن مالك، وشرحَ مُخْتَصَري

---

(١) تقدمت ترجمته برقم (٩٥).

(٢) ما بين الحاصرتين بياض في أ وجـ استدركناه من الضوء اللامع.

ابن الحاجب في الفِقْه والأُصول، وشرح «كافيةَ» ابنِ الحاجب، وكتب «أمالي» على مَسائلَ في فُنونٍ من العلم. وكان عارفًا بالأحكام، دَربًا بأحْوالِ القَضاء، سَليمَ الصَّدْر، سَيُوسًا، لـه ثَراءٌ واسعٌ ومالٌ جزيلٌ ومَتاجر كثيرةٌ. وبالجُملة فلقد كان حسنةً من حسناتِ الدَّهر، وزينةً لأَهْلِ مِصْر.

٢٦٤- أحمد بن عليّ بن يحيى بن فَضْل الله العُمريُّ، شهابُ الدين ابن القاضي عَلاءِ الدين أبي الحسن كاتبِ السِّرِّ ابن القاضي مُحيي الدين أبي المَعالي كاتبِ السِّرِّ[١].

وَلِيَ كتابةَ السِّرِّ بدمشقَ عِوَضًا عن فَتْحِ الدين أبي بكر محمد بن إبراهيم ابن الشَّهيد في سنةِ خمسٍ وسبعينَ حتى ماتَ في سنة سَبْع وسبعين وسبع مئة، وقد أناف على ثلاثينَ سنة، ووَليَ عِوَضَه كتابةَ السرِّ بدمشقَ بدرُ الدين محمد بن مُزْهر.

٢٦٥- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالقاهر بن هبة الله بن عبدالقاهر بن عبدالواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف، كمالُ الدين أبو العباسِ ابن تاجِ الدِّينِ أبي المَكَارمِ ابن كمال الدين أبي العباسِ ابن النَّصِيبيِّ؛ الحَلبيُّ[٢].

بيتهُ معروفٌ بالفَضيلةِ والرِّياسة، ووُلدَ هو في[٣]... وسمعَ من أبي سعيدٍ سُنْقُر الزَّيني، وأصحاب ابنِ خليلٍ. وحَدَّث، وكتبَ الخطَّ المنسُوب، وجَمَعَ، وعَلَّقَ تعاليقَ مُفيدةً، وباشَرَ كتابةَ الإنشاءِ بحلَبَ ثم

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٢٥٨، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٤٢١، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٧)، وإنباء الغمر ١/ ١٦١، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٣٧، والدليل الشافي ١/ ٦٥، ووجيز الكلام ١/ ٤٦٣، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ١٦٢.

(٢) ترجمته في: ذيل العبر للعراقي ١/ ١٤٥، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٤)، والدرر الكامنة ١/ ٢٦٣، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٨.

(٣) بيّض المصنف قدر كلمتين، وفي الدرر أنه ولد سنة ٦٩٥.

تركها، وانقطعَ في داره حتى ماتَ عن سَبْعٍ وستين سنةً بحلب في سنة أربع وستين وسبع مئة.

٢٦٦- أحمد بن مُغُلْطَاي بن عبدالله الشَّمسيُّ قَراسُنْقُر المَنْصُوريُّ الأميرُ شهابُ الدين ابن الأمير عَلاءِ الدين[١].

وُلِّي حاجبًا وشادَّ الأوقافِ بحَلَب، ثم نيابة أياس[٢]، وماتَ بحَلَب وقد تجاوَزَ الخمسين سنةً، في[٣] سنة أربعٍ وستين وسبع مئة.

وكان فاضلاً ذكيًا عارفًا، له خبرةٌ ومُحاضرةٌ مليحةٌ، ومحبةٌ في العِلْمِ وأهله، ونظمَ الشعرَ المَقْبول.

٢٦٧- أحمد بن عبدالظاهر بن محمد، صدرُ الدِّين، أبو العباسِ ابن أمينِ الدين أبي محمدٍ الدَّميريُّ المالكيُّ[٤].

بَرعَ في الفِقْه، ونابَ في الحُكْمِ بالقَاهرةِ ومصرَ زَمانًا طويلاً، ثم وَلِيَ قضاءَ المالكية بحلَبَ عِوَضًا عن (شهاب الدين الرباحي)[٥]فباشَرَ بعفَّةٍ وصيَانةٍ ولين جانبٍ واطِّراحٍ للكُلْفة، وقُوةٍ في إمْضاءِ الحُكْمِ حتى ماتَ بعدَ سَبْعِ سنين وقد أنافَ على السبعين في سنةِ تسعٍ وستين وسبع مئة بحلَبَ.

٢٦٨- أحمد بن سُليمانَ بن أبي الحسن بن سُليمان بن رَيَّان، شهابُ الدين أبو العباسِ ابن جمالِ الدين أبي الرَّبيع الطائيُّ الحَلَبيُّ[٦].

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٣٣٩.

(٢) مدينة بالقرب من حلب.

(٣) فراغ بعد هذا قدر كلمتين.

(٤) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ١٦٢، وذيل العبر للعراقي ١/ ٢٧٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٩)، والدرر الكامنة ١/ ١٨٣، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٠٠، ووجيز الكلام ١/ ١٦٦، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ٧٨.

(٥) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل استدركناه من الدرر للحافظ ابن حجر.

(٦) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦٩)، والدرر المنتخب، الترجمة ١٢٦، والدرر الكامنة ١/ ١٤٧، وفيه اسم جده زيان بالمعجمة.

كتبَ الخَطَّ الحسن، ونَبُلَ قَدْرُهُ، وفاقَ أقرانهُ بهمَّةٍ، وعزيمةٍ، وتَدْبيرٍ، وحَزْمٍ، ومَعْرفةٍ، وخبرة. باشرَ الإنشاء كتابةً بمدينةِ حلب، وجَمعَ وألَّفَ حتى ماتَ بها، وقد أنافَ على الخمسين في سنةِ تسع وستين وسبع مئة، رحمه الله.

٢٦٩- أحمد بن عليّ بن محمد بن سَلمان بن حَمَايل، نَجْمُ الدين، أبو العباس ابن علاءِ الدين أبي الحسن ابن شَمسِ الدين الشهير بابن غانم الدِّمشقي[(١)].

كتبَ فأجاد، وبَرَعَ في الأدب، وباشرَ كتابةَ الإنشاءِ بدمشقَ، وماتَ ببَيْروتَ سنةَ تِسْعٍ وستين وسبع مئة، وله من أبياتٍ:

غابُوا فلم تَطِبِ الحَياةُ لِبَيْنهم ... والنـومُ بَعْـدهـمُ علـيَّ حَـرامُ
كان الزَّمانُ بِهم رَبيعًا وَجْههُ ... متهَلِّـل، بـدُنـوِّهـم بَسـامُ
لا أوْحَشَت دارٌ خَلَت من أُنسكُمْ ... فضيـاؤُهـا فـي نـاظِـرَيَّ ظـلامُ
يا غَائبينَ نأى السُّرورُ لبُعْدهم ... فَعَلَيهـمُ وعلـى السُّـرورِ سَـلامُ
لي كلما ضَجَعَ الخليُّ من الهوَى ... دَمـعٌ يُقـرِّحُ مُقلتـي ويُهـامُ
وحَياتِكُم ما نمتُ مُذْ فَارقْتُكُم ... مـن فَـارقَ الأحبـابَ كيـفَ يَنـامُ

٢٧٠- أحمد بن يوسف بن أحمد، الأديبُ شهابُ الدين، أبو العباسِ الماردينيُّ المعروفُ بابن خَطيبِ المَوْصل[(٢)].

كان يتنقَّلُ في البلاد، ويتكَسبُ بمديحِ الأعيان.

تُوفي بحماةَ عن نحو ستين سنةً في سنة إحدى وسبعين وسبع مئة، ومن شعره في خَطِّ ياقُوت[(٣)] قوله:

---

(١) ترجمته في: ذيل العبر للعراقي ١/ ٢٧٤، والدرر الكامنة ١/ ٢٣٢.

(٢) ترجمته في: ذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٠٧، والدرر الكامنة ١/ ٣٥٩، والنجوم الزاهرة ١١/ ١١٠.

(٣) هو ياقوت بن عبدالله المستعصمي المتوفى سنة ٦٨٩هـ.

ياقُوتَ قَلْبي أينَ ياقُوتُ الذي حَـظُّ الأفَـاضـلِ خَطُّـهُ وكَـلامُـهُ
لِيَرى المُقوِّسُ كَيفَ دَارت نُونُهُ ويَـرَى المُـزَرِّد كَيْفَ سـالَـتْ لامُـهُ

وقال:

ليَهْنـكَ مـا نِلْـتَ مـن مَنْصـبٍ شَـريـفٍ لـه كُنـتَ مُسْتَـوجبًـا
ومـا حَسَـنٌ أن تُهَنَّـى بـه ولكـن نُهَنِّـي بِـكَ المَنْصِبـا

٢٧١- أحمد بن إبراهيم بن عُمر، شهابُ الدين أبو العباس ابن بُرهانِ الدين أبي إسحاقَ العُمريُّ الصَّالحيُّ، المعروفُ زُبيِّبَة تَصْغيرُ زَبِيبة، الحنفي[١].

بَرَع في الفِقْهِ، وأفْتَى، وأعادَ، ودَرَّس، وخطَبَ، وكان كثيرَ النوادرِ، دَمثَ الأخلاق، متودِّدًا، أقامَ بحلب ثلاثًا وثلاثينَ سنةً. ثم قَدِمَ إلى القاهرة فَلَبِثَ بها مُدَّةً يسيرةً. واستقر في قَضاءِ الإسكندرية شريكًا للقاضي المالكي، فكان أوَّلَ من وَلِيَ بالإسكندرية من الحَنَفيةِ القَضاءَ، واستمرَّ بها حتى ماتَ عن نحوِ سبعين سنةً في نِصفِ شَهْرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة.

٢٧٢- أحمد بن إسحاق بن عَاصم بن محمد، جلال الدِّين، شيخُ إسلام[٢]**، شيخُ الشُّيوخِ ابنِ نظامِ الدين ابن مجد الدين ابن سَعْد الدين، شَيْخِ الشيوخِ الأَصْفَهاني**[٣].

(١) ترجمته في: وفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٣٧٦، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٢١، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٢)، والدر المنتخب، الترجمة ٨١، والدرر الكامنة ١/ ١٠٠، ولحظ الألحاظ ١٥٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ١١٥، والدليل الشافي ١/ ٣٤، والمنهل الصافي ١/ ١٩٤، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ١٠٣، والطبقات السنية ١/ ٣٠٢.

(٢) كتب المصنف فوق هذه اللفظة «كذا»، وفي إنباء الغمر والضوء اللامع: «أصلم»، وفي نزهة النفوس: «شيخ الإسلام أصلم»، وبخط العيني: «إسلام» كما هنا.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ١٤٨، وذيل الدرر، الترجمة ٤٥، والنجوم الزاهرة=

وَلِيَ مشيخَة الشُّيوخ، وهي حينئذٍ تُقالُ لمن وَلِيَ مشيخةَ خَانكاه سرياقوس ولا تُقالُ لغَيْره، وسارَ فيها سيرةً ملوكيةً من كَثْرةِ العطاءِ والإفضال. وكان جميلاً بَهيًّا فصيحًا مُهابًا، تُرْجى فَضائلُهُ وتُخْشى بَوائقُه. وتَنكَّرَ له السُلطانُ الملكُ الظَّاهر وصَرفه عن المَشْيَخةِ، ثم أُعيدَ إليها بعد مَوْتهِ، وماتَ بها في خامسِ عشري شَهْرِ ربيعِ الآخرِ سنة اثنتين وثماني مئة، وقد أنافَ على الأربعين. ولم أرَ في شيوخِ الخَوانِكِ من يُدانيه في حِشْمَته، ورِيَاسَتِه، ومُروءَتِهِ، وتجمُّلِهِ، وإفضاله.

٢٧٣- أحمد بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحُسين بن إسماعيل بن أبي الطَّاهر وَهْبِ بن مَحبوبٍ الحِمْيريُّ المَغْربيُّ الأصل، البَعْليُّ ثم الدِّمشقيُّ، أبو العباسِ تاجُ الدين ابن النجم ابن البهاء[1].

وُلد في ثامنَ عشر شعبان سنة إحدى وسبع مئة، وحَضرَ على محمد ابن المَوَازيني، وعلى ابن مُشَرِّف، وستِّ الأهْلِ بنت عُلْوان، وسَمعَ من أبي بكر بن عبدالدَّائم، وعيسى المُطَعِّم، والقاسم ابن عَساكر، وغيرهم. وأجازَ له جماعةٌ من حَلَبَ ودمشقَ ومِصْرَ. وحدث؛ سمعَ منه الأئمة، وكان يُذاكرُ بتَراجِمَ وفوائِدَ وشِعرٍ.

توفي ليلةَ السَّبتِ سادسَ عشر المحرَّم سنةَ ثمانٍ وثمانين وسبع مئة.

٢٧٤- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد الواسطيُّ الأصْلِ المَقْدسيُّ، نزيلُ القاهرة[2].

= ١٣/ ١٧، والدليل الشافي ١/ ٣٩، والمنهل الصافي ١/ ٢١٩، والضوء اللامع ١/ ٢٢٦، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٣٤٧، وشذرات الذهب ٧/ ١٤.

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٩٧، وإنباء الغمر ٢/ ٢٢٨، وشذرات الذهب ٦/ ٣٠٠.

(٢) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٤١، والضوء اللامع ٢/ ١٠٦.

وُلِدَ سنة خمسٍ وأربعين وسبع مئة، وأُسمعَ على المَيْدُومي. وسمع من إبراهيم بن عبدالرحمن بن جماعة، وحدَّث.

تُوفي سنة ستٍّ وثلاثينَ وثماني مئة.

٢٧٥- أحمد بن أبي بكر، القاضي الفقيه الحَنفيُّ النَّحْويُّ، شهاب الدين العَبَّادي[(١)]، بفتْح العَيْن المُهْملة وتشديد الباءِ الموحَّدة، ثم ألفٍ ساكِنَةٍ بعدها دالٌ مُهملةٌ وياءُ النَّسب.

قرأ الفقه على سِرَاج الدين عُمر الهِنْدي، وتَرَقَّى حتى كَتَبَ في توقيع القُضاةِ، ونابَ في الحُكْمِ بالقاهرة، وتَصَدَّى للتَّدريس مُدَّةً، ثم امْتُحِنَ في آخِر عُمره، وذلكَ أنَ الأميرَ يَلْبُغا السَّالمي لما تَحَدَّثَ في نَظَر خانِقَاه سعيد السُّعداء أخْرَجه منها فيمن أخْرَج، فشقَ عليه ذلك، وشَنَّع على السَّالمي أنه قد كَفر فإنه بَلَغه عنه أنه قال: «لو جاءَ جبرائيل وميكائيلُ شُفَعاء عندي في العَبَّادي ما قبلتُهما. وصارَ إذا ذكَره يقولُ: الكافرُ يَلْبُغا السَّالمي، وقد اسْتَنْبطتُ آيةً من كتاب الله في حَقهِ وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾... الآية [الجاثية ٢١]. وقد كَتبتُ عليها جُزْءًا. فلما بلَغَه ذلك مَرَّ بالقاهرة يُريد الخَانكاه، فصَدَف العَبَّادي، فنزل وأمسكه، وقال: أنا وأنْتَ إلى عند الشَّرْع، يعني القاضي، فقال العَبَّادي: تُمْسكُ كمي، قد كَفْرتَ بذلك. فاجتمعَ الناسُ وفَرَّقوا بينهما، فَصعدَ السالمي إلى القَلْعةِ وشكاه إلى السُّلْطان، فأمر بإحْضارِه، وجَمَعَ القُضاةَ في يوم الخميسِ ثامن رَجَبٍ سنةَ سبعٍ وتسعين وسبع مئة، فقامت عليه البَيِّنَةُ بما ادَّعاه السالمي مما تَقَدَّم

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٩٧٥، والدر المنتخب، الترجمة ١٠٥، والدرر الكامنة ١/ ١٢٠، وإنباء الغمر ٤/ ٣٩، وذيل الدرر، الترجمة ١، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٦، والمنهل الصافي ١/ ٢٠٦، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٤٠٧، والضوء اللامع ١/ ٢٦٢، ووجيز الكلام ١/ ٣٣٩، وشذرات الذهب ٧/ ٣، والطبقات السنية ١/ ٣٣١، والعبادي: نسبة إلى منية عبّاد قرية من قرى الغربية.

ذكرهُ في حَقِّه، فعزلـه قاضي القُضاة جمالُ الدين محمودٌ القَيْصري الحَنَفي عن الحُكْم، وحَكَمَ قاضي القُضاةِ ناصرُ الدين التَّنسي المالكي بتَعْزيره من أجْلِ أنه ثَبتَ كَذبهُ فأمرَ السُّلطانُ بضَرْبهِ بالمَقارعِ، فشفَعَ فيه الأُمراءُ حتى أسْلَمَه لقاضي القُضاة جمال الدين، فأمرَ به فكُشفت رأسُه بحَضْرةِ السُّلطانِ، وأُخْـرجَ ماشيًا بين يَـدَي القُضاةِ حتى سُجنَ بسجنِ حارَة الدَّيْلم بالقاهرة، ثم نُقلَ إلى سِجْنِ الرَّحْبة، وأُخْرجَ في حادي عشره إلى بَيْتِ قاضي القُضاة جمال الدين وضُربَ بالعِصيِّ تسعةً وثلاثين ضَرْبَة، وأُعيدَ إلى السِّجْنِ فأقامَ به إلى ثامنِ عَشره، فدَخلَ شيخُ الإسلام سِرَاجُ الدين عُمر البُلْقيني في أمْرِه، وما زالَ بالسَّالمي حتى أفرَجَ عنه فَلَزمَ داره إلى أن ماتَ ليلةَ الأحد تاسعَ عشر ربيع الآخِر سنة إحدى وثماني مئة.

٢٧٦- أحمد بن موسى بن عليٍّ، شهابُ الدين أبو العباسِ ابن الوكيل الشافعيُّ المكيُّ[١].

سمعَ بمكةَ الحديثَ، وبَرَعَ في الفِقْهِ، والأُصول، والنَّحْو، والفَرائض، ونَظَمَ ونَثَرَ ودَرَّسَ.

تُوفي بالقَاهرةِ في ليلةِ السَّبتِ نِصفِ صَفَر سنة إحدى وتسعين وسبع مئة عن نحوِ أربعين سنة، ودُفن خارجَ بابِ النَّصْر. وكان ذكيًا فاضلاً رئيسًا، ومن شعره:

لاَحَ العِذارُ بِخَدَّيهِ فَقُلتُ لَهُمْ ... ما ذَاكَ شَعْرٌ كما قد ظَنَّ عَاذلُهُ
وإنمـا لَحْظُـهُ سَيْـفٌ يَصُـوْلُ بـهِ ... وذا العِـذارُ الـذي تَبْـدُو حَمـائِلُـهُ

وله:

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٦٨٨، والعقد الثمين ٣/ ١٨٧، وإنباء الغمر ٢/ ٣٦٣، والدليل الشافي ١/ ٩٢، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٢٧٩، وبغية الوعاة ١/ ٣٩٣، وشذرات الذهب ٦/ ٣١٦.

وشَادنٍ ما زَال قَلْبي به مُولَّعًا في حُبِّه مُتبَّلاً
وكُلَّما قُلتُ له رُقَّ لي يَقُولُ لي خَط عذاريه: لا

٢٧٧- أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن جَماعةَ القُرشيُّ الزُّهريُّ العَوْفيُّ، أبو البرَكات فَتحُ الدِّين ابن النِّظام، الشهيرُ بابن القُوصي[1].

وُلدَ بمصر يومَ الاثنين السادس والعشرين من شَهْر رَمضانَ سنةَ ثلاثَ عشرة وسبع مئة، وسَمعَ بإفادةِ خالهِ الإمام أبي العباسِ أحمد بن يَعقوبَ ابن الصَّابوني من أبي الحسن الوَاني، وأبي الفَتْح الدَّبَابيسي، وأبي المَحَاسن الخُتَني، والحافظ أبي الفَتْح اليَعْمري في آخَرين. وسَمِعَ بدمشقَ من الحَجَّارِ وغيره. وكان شَيخًا صَالحًا. وحَدثَ؛ سمع منه الفُضَلاء.

تُوفي ليلةَ الأربعاء سادس شَهْر رَجَبٍ سنةَ ثمانٍ[2] وسبعين وسبع مئة، وأجازني، وكتَب بذلك خطه في سنةِ إحدى وسبعين وسبع مئة.

٢٧٨- أحمد بن محمد بن أبي المَجد بن أبي الوَفاءِ الهمَذانيُّ الأصل الدِّمْشقيُّ، أبو العباسِ شهابُ الدين، المَعْروفُ بابن المَرْجاني[3].

وُلدَ بدمشقَ في عاشر[4] ذي الحجةِ سنة أربع عشرةَ وسبع مئة، وسمعَ بها من الحجار «صحيح البخاري» وحَدَّث.

---

(١) ترجمته في: ذيل العبر للعراقي ٢/ ٤٤٠، والدرر الكامنة ١/ ٣٢٠، وإنباء الغمر ١/ ٢٠٢، وشذرات الذهب ٦/ ٢٥٦.

(٢) في جـ: «أربع» خطأ بين، وما هنا من خط المصنف، وهو الذي في موارد ترجمته أجمع.

(٣) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٩٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٤٨٨، والدرر الكامنة ١/ ٣١٦، وإنباء الغمر ١/ ١٦٢.

(٤) في جـ: سابع، وما أثبتناه من خط المصنف.

وكان أديبًا فاضلاً، وكان بينه وبينَ الشيخ أبي إسحاقَ[1] القيراطي مكاتبات. وكانت وفاتُه في جُمادى الآخرةِ سنةَ سَبْعٍ وسبعين وسبع مئة شهيدًا مَقْتولاً.

٢٧٩- أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبي العزّ[2] بن صالح بن أبي العز بن وُهيب بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهيب، قاضي القضاة، نجم الدين أبو العباس ابن قاضي القضاة عماد الدين أبي الفداء ابن الشيخ برهان الدين أبي البركات المعروف بابن أبي العِز وبابن الكشك الأذْرعيُّ ثم الدِّمشقيُّ الحَنَفي[3].

ولد سنة عشرين وسبع مئة تقريبًا، وسمع «صحيح البخاري» من الحَجَّار، والملك أسد الدين عبدالقادر بن عبدالعزيز بن عيسى الأيوبي، وبرعَ في الفقه، ووَليَ قضاءَ الحَنَفية بدمشقَ بعد أبيه برغبته له في ذلك، ثم طُلب إلى القاهرة على البريد وخُلع عليه في يوم الخميس العشرين من المُحرم سنة سبع وسبعين وسبع مئة، واستقر في قضاء القضاة الحنفية بديار مصر بعد وفاة صَدْر الدين محمد ابن جمال الدين عبدالله ابن علاء الدين علي التُّركماني، واستقرَّ عوضه في قضاء الحنفية بدمشق صدر الدين عليّ بن عليّ بن محمد بن أبي العز بن صالح بن أبي العز، فلم

(١) في جـ: «عبدالحق»، خطأ بين، فهو إبراهيم بن عبدالله، أبو إسحاق برهان الدين القيراطي المتوفى سنة ٧٨١ هـ (إنباء الغمر ١/ ٣١٢، والدرر ١/ ٣٢، ووجيز الكلام ١/ ٢٤٥).

(٢) في جـ: «أبي الفتح»، ولكن المصنف كتب في المسودة فوقها «هو ابن أبي العز»، وهو الصحيح الذي ورد في معظم مصادر ترجمته، وكذلك في ترجمة ابن عمه صدر الدين علي وأبيه في الترجمة رقم ٣٤٣.

(٣) ترجمه في: السلوك ٣/ ٨٨٥، وذيل التقييد ١/ ٢٩٧، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٢٥، والدرر الكامنة ١/ ١١٤، وإنباء الغمر ٣/ ٣٣٩، والمجمع المؤسس، الترجمة ١٥، ورفع الإصر ١/ ٥٥، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٦٠، والدليل الشافي ١/ ٤٠، والمنهل الصافي ١/ ٢٢٣، ووجيز الكلام ١/ ٣٢٦، والثغر البسام ٢٠٢ و٢٠٩، والطبقات السنية ١/ ٣٢٦، وشذرات الذهب ٦/ ٣٥٧.

تطب له الإقامة بالقاهرة، واستعفى فلم يُعْفَ، فخرج من القاهرة في يوم الخميس خامس جمادى الآخرة منها من غير أن يعلمَ به أحدٌ، وصار إلى دمشق فقَدِمَ صدر الدين المذكور من دمشق واستقرَّ في قضاء القاهرة، وأُعيدَ نجم الدين إلى قضاء دمشق في سنة ثمان وسبعين عِوَضًا عن ابن عَمِّه صدر الدين علي، ثم صُرِفَ، وأعيد غير مرة إلى أن صُرف في سنة اثنتين وتسعين، فلزم دارَهُ إلى أن ماتَ مَقْتولاً، اغتاله بعضُ قرابته في مستهل ذي الحِجَّة سنة تسع وتسعين وسبع مئة. وكان عارفًا بمذهبه.

٢٨٠- أحمد بن يوسف بن مالك الرُّعَينيُّ الأنْدلُسيُّ الغَرْناطيُّ، أبو جعفر، الأديب الماهر، نزيل البيرة من بلاد حَلَب[1].

خرج من بلده إلى المشرق رفيقًا لأبي عبدالله محمد بن جابر، فسمعَ بمصرَ من الشيخ أثيرِ الدين أبي حَيَّان وغيره، وبدمشقَ من المُسند أحمد بن عليٍّ الجَزَري، والحافظِ المزي. واستوطَنَ آخرًا مع رَفيقهِ البيرةَ حتى ماتَ بها في رَمضانَ سنةَ تسعٍ وسبعين وسبع مئة. ووُلدَ بعد السبع مئة.

وكان أديبًا بارعًا فاضلاً، ومن شِعْرِهِ قولُه عند رَحيلهِ من غَرْناطة:

ولما وَقَفنا للوَداعِ وقَد بَدَتْ ... قِبابُ رُبا نَجْدٍ على ذلك الوَادي
نَظَرتُ فألْفيتُ السَّبيكةَ فضَّةً ... لِحُسنِ بَياضِ الزَّهْرِ في ذلكَ النَّادي
فَلَمَّا كَسَتها الشمسُ عادَ لُجَيْنُها ... لنا ذَهبًا فاعجب لأكسيرها البَادي

وقولُه وقد أهْدَى طاقيةً:

خُذْها إليكَ هَديَّةً ... ممن يَعِزُّ على أُناسِكْ
اخْتَرتُها لَكَ عِنْدما ... أضْحَت هَديَّةَ كلِّ ناسك
أرْسَلْتُها طاقيَّةً ... لِتَنوبَ عن تقبيلِ رَأسِك

وقولُه:

(١) تقدمت ترجمته برقم (١٩١).

مَحاجرُ دَمْعي قد مَحاهُنَّ ما جَرَى   من الدَّمْعِ لما قيلَ قد رَحَلَ الرَّكْبُ
تَنَاقَضَ حالي مُذ شَجاني فِراقُهم   فَمن أضْلُعي نارٌ ومن أدمعي سَكبُ

وقولُه:

لا تُعـادِ النَّـاسَ فـي أوْطَـانِهـم   قَـلَّ مـا يُـرْعَـى غَـريـبُ الـوَطَـنِ
وإذا مـا شِئْـتَ عَيْشًـا بَيْنَهُـم   خَـالـقِ النـاسَ بِخُلْـقٍ حَسَـنِ

وقولُه:

إذا ظَلَـمَ المَـرءُ فـامْهـل لَـهُ   فبـالقُـرْبِ يُقْطَـعُ منـه الـوَتيـن
فقـد قـال رَبُّـكَ وهـو القَـوِي: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾[1]

٢٨١- أحمد بن خليل بن كَيْكَلدي، المُسند الرَّئيس شهابُ الدين أبو الخَيْر ابن الحافظ صلاح الدِّين أبي سعيد، العَلائيُّ المَقْدسيُّ[2].

وُلدَ سنةَ ثلاثٍ وعشرين وسبع مئة بدمشقَ تَخْمينًا، وسمعَ بِنَايَة أبيهِ على الحجارِ «صحيحَ البخاري» و«سُنَن ابن ماجة». وسمعَ على أبي حَيَّان بالقَاهرةِ، وعلى غيره من أصحاب النَّجيب. وسمعَ أيضًا بدمشقَ. وحَدَّثَ ببيت المَقْدس. وكان من أعيانِ بلدِ القُدس، وماتَ بهِ في سابع عشري ربيعِ الأول سنةَ اثنتين وثماني مئة.

وأجازَني في أول ذي الحجَّة سنةَ أرْبَعٍ وسبعين وسبع مئة بجميع ما يجوز له روايته، وكتب به خَطه.

٢٨٢- أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالحميد بن عبدالهادي بن يوسف بن محمد بن قُدامةَ بن مِقْدام بن نَصْرٍ النابُلُسيُّ

---

(١) تضمين للآية ١٨٣ من سورة الأعراف.

(٢) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣١١، وإنباء الغمر ٤/ ١٤٩، والمجمع المؤسس، الترجمة ٢٢، وذيل الدرر، الترجمة ٤٨، والضوء اللامع ١/ ٢٩٦، والأنس الجليل ٢/ ١٦٥، وشذرات الذهب ٧/ ١٥.

الأصل الصالحيُّ الحَنْبليُّ، أبو العَبَّاس شهابُ الدين ابن العِمادِ ابن العِزِّ، الفقيه المُفْتي[1].

ولدَ بسفحِ قاسيون في ليلةِ الجُمُعةِ خامس عشري صَفَر سنةَ سَبْعٍ وسبع مئة، وسمِعَ من القاضي سُليمان، وأبي بكر بن عبدالدائم، وعيسى المُطعِّم في آخرين يطول ذكرهُم. وأجازَ له جماعةٌ من مكةَ ومصرَ وبيتِ المَقْدسِ، وحدَّث، وتَفَرَّد.

توفي بدمشقَ في ليلةِ العشرين من ربيعٍ الأوَّل سنة ثمانٍ وتسعين وسبع مئة بعدما تَزاحموا عليه.

٢٨٣- أحمد بن عبداللَّطيفِ بن أيُّوب، شهابُ الدين أبو العَبَّاس الحَمَويُّ الشافعيُّ[2].

وَليَ القَضاءَ بطَرَابُلُسَ مدَّةً، ثم وَليَ القَضاءَ بحلب، وتَنَقَّلَ في البلادِ الشامية، وهانَ على النَّاسِ حتى ماتَ سنةَ ستٍّ وسبعين وسبع مئة، وقد أناف على سبعين سنة.

٢٨٤- أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد، شهابُ الدين، أبو الخَيْر ابن ضياءِ الدين، الهِنْديُّ المَكِّيُّ الحنفيُّ[3].

وُلدَ في سادس عشري ربيع الأول سنةَ تسعٍ وأربعين وسبع مئة بالمَدِينةِ النَّبَوية، وسمع بها من العَفيفِ عبدالله بن محمد المَطَري، والفَقِيه خليل بن عبدالرحمن القَسطَلاني بمكة، والقاضي عِزِّ الدين ابن

---

(١) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٢٢٩، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٩١، والدرر الكامنة ١/ ١١٧، والمجمع المؤسس، الترجمة ١٧، وإنباء الغمر ٣/ ٢٩٧، وشذرات الذهب ٦/ ٣٥٣.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٢٤٣، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٨٨، والدر المنتخب، الترجمة ١٥٧، والدرر الكامنة ١/ ١٩٠، وإنباء الغمر ١/ ١٠٦، ولحظ الألحاظ ١٦٢، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ١٥٠.

(٣) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ٦٥٠، والدليل الشافي ١/ ٨٥، والضوء اللامع ٢/ ١٧٩.

جَمَاعة. وسمعَ بالقاهرةِ على الشَّيخ مُحْيي الدين عبدالقَادرِ بن محمد الحَنَفي، وبَهاءِ الدين عبدالله بن محمد بن محمد بن خَليلٍ المكي، وفخر الدِّين إبراهيم ابن العَفِيفِ[1] إسحاقَ بن يحيى الآمدي، وغيره. وحدثَ، وتفقه، وَدرَّسَ، ونابَ في العُقودِ عن عِزِّ الدين محمد ابن مِحبِّ الدين النُّويري، ثم ناب عنه في الأحكام. ووَليَ قضاءَ الحَنفية بمكة في سنة ستٍّ وثماني مئة، وعُزل عن قريبٍ، فنابَ في الحُكمِ عن الجمال محمد بن عبدالله بن ظُهَيرة، ثم أُعيدَ إلى قَضاءِ الحنفيَّةِ في سنةِ سَبْعٍ وثماني مئة، وعُزلَ في ذي الحِجة سنة تسع، ثم أعيدَ في سنة عَشر، واستمر حتى ماتَ ليلة الأحد رابع عشر شهر ربيعٍ الأول سنة خمسٍ وعشرين وثماني مئة ودُفن بالمَعْلاة.

وكانت بيني وبينه صحبةٌ أكيدةٌ في أيام مُجَاوَرتي بمكةَ سنةَ سبعٍ وثمانين وسبع مئة، ونِعْمَ الرجلُ كان. وسيأتي ذكرُ أبيهِ وأخيه، وهو أوَّلُ من وَليَ قضاءَ الحَنفيةِ بمكةَ رفيقًا لقاضيها الشَّافعي.

٢٨٥- أحمد بن محمد بن منصور بن عبدالله، شهاب الدين الأُشْمُونيُّ الحَنَفيُّ النحويُّ[2].

برعَ في النَّحْوِ وصَنَّف فيه، وشاركَ في الفِقْه، ومالَ إلى مَذْهَبِ أهْلِ الظَّاهر، ثم انحرفَ عنهم وأكثرَ من الوَقِيعةِ فيهم. صحبتُه سنين.

وتُوفي في ثامن عشري شوال سنةَ تسع وثماني مئة عن نحوِ ستين سنة، رحمه الله. وكان يقولُ الشعرَ الجيدَ، ونظمَ قصيدًا على رَوي اللَّام في النَّحْوِ سَمَّاها «التُّحفة الأدبية في عِلْم العَربية».

---

(١) في المطبوع من الدرر ١/ ١٨: «عفيف الدين ابن فخر الدين» مقلوب، وجاء على الصواب في ترجمته من الإنباء ١/ ٢٠٠.

(٢) ترجمته فيه: الدليل الشافي ١/ ٧٧، والضوء اللامع ٢/ ٢٢٧، وبغية الوعاة ١/ ٣٨٤.

٢٨٦- أحمد بن إسماعيل بن خَليفةَ بن خَليفةَ بن عبدالعال، شهابُ الدين بن عماد الدين الحُسْبانيُّ ثم الدمشقيُّ الشافعي[١].

وُلدَ سنةَ تسعٍ وأربعين وسبع مئة، وتفقه بأبيهِ وغيره، وسَمِعَ من أصحابِ الفَخْر[٢]. وطَلَبَ بنفسه فأكْثَرَ جدًّا بدمشقَ والقاهرة، ولم يَزَل يسمعُ حتى سَمِعَ ممن دونَ شيوخه، مع ذكاءٍ وتَفَنُّنٍ. وكتب تَفْسيرًا أجادَ في تهذيبه لو كَمُلَ، وعَلَّق على «الحاوي» في الفقه شرْحًا، وخَرَّج أحاديثَ «الرافعي» وشَرَحَ «ألفيةَ ابن مالكِ» في النحو، وكان بارعًا فيه، أخذهُ عن أبي حَيَّان. حدث عن العنابي.

ونابَ في الحكمِ بدمشقَ مدةً، ثم وَليَ قضاءَ القُضاة بها غير مرَّة فلم تُحمد سيرتُهُ. وكان لا يزالُ يخرجُ على السلطانِ، ويترامى على الشَّرِّ، ويَلجُ في مَضائقِ الفِتَن حُبًا في الرياسة.

تردَّدَ إليَّ بدمشقَ مِرارًا، ومات في يومِ الأربعاء عاشرِ شَهْرِ ربيعٍ الآخر سنةَ خمس عشرة وثماني مئة بدمشق.

٢٨٧- أحمد بن حسن بن محمد بن محمد بن زكريا بن محمد ابن يحيى بن مسعود بن غُنَيمةَ بن عُمر، شهابُ الدين أبو العباس ابن المُحَدِّث بَدْرِ الدين، عُرفَ بابن القُدْسيُّ السُّوَيداويُّ[٣].

وُلدَ بالقاهرة في جُمادى الأُولى سنةَ خمسٍ وعشرين وسبع مئة،

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ١/ ٢٥٤، وذيل التقييد ٢/ ٢٩٦، والدر المنتخب، الترجمة ٩٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٤١، وإنباء الغمر ٧/ ٧٨، ولحظ الألحاظ ٢٤٤، والضوء اللامع ١/ ٢٣٧، ووجيز الكلام ٢/ ٤٢١، وذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ٣٧٤، والدارس ١/ ١٦٤، وقضاة الشافعية للنعيمي ١٣١، وشذرات الذهب ٧/ ١٠٨.

(٢) يعني: ابن البخاري المتوفى سنة ٦٩٠ هـ.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٩، وذيل التقييد ١/ ٣٠٦، وغاية النهاية ١/ ٤٧، وذيل الدرر، الترجمة ١٤٤، وإنباء الغمر ٥/ ٢٦، والضوء اللامع ١/ ٢٧٨، وشذرات الذهب ٧/ ٤١.

وأسْمعَهُ أبوه الكثيرَ من مشايخ عَصرهِ كابن المِصْري يحيى بن يوسف، وابن فَضْلِ الله، وابن القَمَّاح، ومحمد بن غالي، وأحمد بن كُشْتُغدي، ونحوهم. وأجازَ له من دمشقَ المِزِّي، والذهبي، والبِرْزالي، والجَزَري، وزَينبُ بنت الكمال، وآخرون. وأخذَ عن القُطْبِ عبدالكريم الحَلَبي، والرُّكن ابن القَوْبَع. وتفقه للشافعي، وتَكَسَّب بتحمُّلِ الشَّهادة، وحدَّث بالكثير، وتفرَّدَ بأشياء، وأضَرَّ بأخَرَةٍ حتى ماتَ خارجَ القاهرةِ ليلةَ التاسع عشرَ من شَهْرِ ربيع الآخر سنةَ أربعٍ وثماني مئة.

سمعتُ عليه كثيرًا، وكانَ نِعْمَ الشيخ، خَيِّرًا، مُحبًا للحديث وأهْلهِ.

٢٨٨- أحمد بن عليِّ بن محمد بن عليِّ بن ضِرْغام البَكْريُّ المعروفُ بابن سُكر، أخو شَيْخنا شمسِ الدين محمد ابن سُكَّر[١].

كان يتكَسَّب ببَيْع الغَضَّارات[٢]. وسمعَ بإفادةِ أخيه من أحمد الشارعي، ويحيى ابن المِصْري، وعبدالرحمن بن عبدالهادي. وأجازَ له المِزي، والذَّهبي، وفاطِمَةُ بنت العِز.

وماتَ بالقاهرةِ في شَهْرِ رَجَبٍ سنةَ ستٍّ وثماني مئةٍ عن بِضْعٍ وسبعين سنة.

روى لنا «المسَلْسل بالأوَّلية» عن أبي الفَتْح المَيْدُومي سَماعًا، و«عُمدة الأحكام» عن ابن عبدالدَّائم عن المُصَنِّف[٣].

٢٨٩- أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالمُهَيْمن، شهابُ الدين المعرُوف بابن خطيب بشتيل البَكْريُّ[٤].

---

(١) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٤٧، وذيل الدرر، الترجمة ١٩٦، وإنباء الغمر ٥/ ١٦٠، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٤، والضوء اللامع ٢/ ٣٣، وشذرات الذهب ٧/ ٥٥.

(٢) الغضارات: الأواني الخزفية.

(٣) هو ابن دقيق العيد القشيري المتوفى سنة ٧٠٢ هـ.

(٤) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٤٩، والضوء اللامع ٢/ ١٨٤.

سمعَ الكثيرَ من المَيْدُومي، ووَرِثَ مالاً جزيلاً من أبيه، فمزَّقهُ في اللَّهْو بعدما اشتغلَ على الشيخ بهاءِ الدين ابن عَقِيل والشيخِ جمال الدين الإسنوي، وعُني بعِلْمِ التَّصَوُّفَ.

ومات مُقلاً مُملَقًا في سنةِ تسعٍ وثماني مئة بمصرَ، وحَدَّثَ «بسُنَنِ أبي داود» عن المَيْدُومي.

٢٩٠- أحمد بن حِجِّي - بكسر الحاء المهملة والجيم المشددة - بن موسى بن أحمد بن سَعْد بن غُشْم بن غَزْوانَ بن علي ابن مُشرِّف بن تُرْكي، من وَلدِ عَطيةَ السَّعْدي، الشيخُ شهاب الدين السَّعْديُّ من بني سَعْد بن بكر الحُسْباني الشافعيُّ، أخُو قاضي القُضاةِ نَجْمِ الدين عُمر ابن حِجِّي كاتب السرِّ[(١)].

وُلد في أوائلِ المحرَّم سنةَ إحدى وخمسين وسبع مئة، وتفقه على أبيه وغيره. وسمعَ من محمَد بن موسى ابن الشِّيْرجي «جزء الأنصاري»، ومن محمد ابن المحب «جزءَ ابن نَجيب»، ومن أحمد بن عُمر الأيكي، ومن عُمر بن أُمَيْلة وغيره.

وبَرَعَ في الفِقْهِ والحديث، ودَرَّسَ وأفْتَى، ونابَ في الحُكم مُدةً. وقَدِمَ علينا في سنةِ ثمانٍ وثماني مئة رَسُولاً عن الأميرِ شَيْخ نائبِ الشام، فاجتمعتُ به في مجلسِ فتح الديـن فَتْح الله كاتبِ السِّرِّ، وجرت بَيْني وبينَه مَبَاحث، ثم عاد ووَلِيَ خِطابَةَ دمشق، ثم لَزِمَ داره. وتردَّدَ إليَّ بدمشق وأضافني بدارِه، ومات في سادسِ المحرمِ سنةَ ستَّ عشرةَ وثماني مئة.

وله تعليقٌ على «الألْغاز» للإسْنوي، وله «تاريخ». وكان أحدَ

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٢٧٦١، وذيل التقييد ١/ ٣٠٤، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣٤٢/٢، وإنباء الغمر ١٢١/٧، ولحظ الألحاظ ٢٤٧، والنجوم الزاهرة ١٢٣/١٤، والمنهل الصافي ١/ ٢٤٥، والدليل الشافي ١/ ٤٢، والضوء اللامع ١/ ٢٦٩، ووجيز الكلام ٢/ ٤٢٦، والدارس ١٣٨/١ و٢٠٤، وشذرات الذهب ١١٦/٧.

مشايخ الحديث والفقه. دَرَّسَ وأفْتَى سنين، مع الدِّيانةِ والصِّيانة. وهو أخُو القاضي نجم الدين عُمر بن حِجِّي.

٢٩١- أحمد بن الحُسين بن سُليمان بن فَزَارَة، قاضي القُضاةِ شَرَفُ الدين أبو العباسِ ابن شهاب الدين أبي عبدالله الكَفْريُّ الدِّمشقيُّ الحنفيُّ[١].

مَهَر في فِقْهِ مَذْهبِهِ، وأفْتَى، ودَرَّسَ، وأتقنَ القراءات السَّبْعَ، ونابَ في الحُكْمِ بدمشقَ عدَّةَ سنين، ثم اشتغلَ بقضَاءِ القُضاةِ الحنفيةِ بها عِوَضًا عن[٢]... ثم تركها لولَدِهِ (جمال الدين يوسف)[٣]، وانقطَعَ في دارِهِ مُقْبلاً على العِبَادةِ حتى ماتَ بعدَ أن كُفَّ بصرُه في سنة ستٍّ وسبعين وسبع مئة عن خمسٍ وثمانين سنةً بدمشق.

٢٩٢- أحمد بن نَصْر الله بن أحمد بن محمد بن أبي الفَتْح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم قاضي القُضاةِ أبو العباس موفقُ الدين ابن قاضي القُضاةِ أبي الفَتْحِ ناصر الدين الكِنَانيُّ العَسْقَلانيُّ الحَنْبَليُّ[٤].

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٢٤٣، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٨٩، وغاية النهاية ١/ ٤٨، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٤٥٣، والدرر الكامنة ١/ ١٣٣، وإنباء الغمر ١/ ١٠٤، ولحظ الألحاظ ١٦٢، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٣٠، والمنهل الصافي ١/ ٢٧٠، والدليل الشافي ١/ ٤٥، ووجيز الكلام ١/ ٢٠٧، والثغر الباسم ١٩٩، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ١٥٠، والطبقات السنية ١/ ٣٩١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣٩.

(٢) بياض في المسودة والأصل قدر نصف سطر.

(٣) ما بين الحاصرتين بياض في أ وجـ، وفي الدرر اسمه جمال الدين يوسف وأنه مات قبل أبيه سنة ٧٦٦.

(٤) ترجمته في: السلوك ٤/ ١٢٣، وذيل الدرر، الترجمة ٩٣، وإنباء الغمر ٤/ ٢٦١، ورفع الإصر ١/ ١٠٩، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٢١، والدليل الشافي ١/ ٩٣، والضوء اللامع ٢/ ٢٣٩، ووجيز الكلام ١/ ٣٥٨، وحسن المحاضرة ١/ ٤٨٢، وشذرات الذهب ٧/ ٢٥.

وُلِدَ في أوائلِ المحرَّم سنةَ تسع وستين[1] وسبع مئة، وتفقه على المجدِ سالم، وعلى أبيه، وأخذَ العربيةَ عن البُرهان إبراهيم الدَّجْوي، ونابَ في الحُكْمِ عن أخيه بُرْهان الدين إبراهيم إلى أن ماتَ، فوُلِّي بعده قضاءَ القُضاة الحَنابلةِ بديارِ مصر في يوم الاثنين سابعَ عشر ربيع الأول سنة ثنتين وثماني مئة، فباشر القَضاءَ على طريقَةِ أبيه وأخيه من العِفَّةِ والصِّيانة والبُعدِ عما يشينُ، إلى أن سعى عليه نورُ الدين علي الحكري بمالٍ، واستقرَّ عوضَهَ في ثاني جُمادى الآخرةِ منها. ثم أعيدَ موفقُ الدين في يوم الخميسِ سابعِ عشري ذي الحجة منها، واستمر إلى أن قَدِم تَمرلَنْك إلى بلادِ الشامَ في سنةِ ثلاثٍ وثماني مئة، فخرجَ الملكُ الناصرُ فَرَج بن بَرْقوق بالعَساكرِ لحربِ تَمرْلَنْك، وكان فيمن خرجَ معهُ من القُضاة، فأصابه ما أصابَ الناسَ من وَعْثَاءِ السَّفَر، وقَدِمَ بعد عودِ السُّلْطانِ في ثاني عشري جُمادى الآخرة في أسوأ حالٍ، فلم تَطُلْ أيامُه، وماتَ في يومِ الاثنين حادي عشر شهرِ رَمضان سنة ثلاث وثماني مئة، ودُفن من الغَدِ عند أبيه وجده لأمه قاضي القُضاةِ مُوفقِ الدين عبدالله الحَنْبلي خارجَ بابِ النَّصْر.

وكان خَيِّرًا مُتَّضعًا، حَييًا، مُحَبَّبًا إلى الناس، من بَيْتِ علمٍ ودينٍ وعَفَاف، رحمهم الله.

٢٩٣- أحمد بن حسن بن أبي بكر بن حسن، أبو العَباسِ، شهابُ الدين الرُّهاويُّ الحَنَفيُّ[2].

نابَ في الحُكْمِ بالقاهرة، وحدَّث عن حسن الكُرْدي وأبي النُّون

---

(١) في جـ: «وسبعين» خطأ بين وما أثبتناه من خط المصنف، ومصادر ترجمته.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٢٤٣، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٩٤، وذيل التقييد ١/ ٣٠٥، والدرر الكامنة ١/ ١٢٧، وإنباء الغمر ١/ ١٠٣، ولحظ الألحاظ ١٦٢، والمنهل الصافي ١/ ٢٤٩، والدليل الشافي ١/ ٤٣، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣٩، ويذكر أنه ناب في الحِسْبة، والطبقات السنية ١/ ٣٧٨.

الدَّبوسي، وأبي الحسن الوَاني، ويوسف الخُتني ومحمد بن عبدالحميد الهَمَذَاني، وعدة.

تُوفي بالقاهِرَةِ في سنة ستٍ وسبعين وسبع مئة.

٢٩٤- أحمد بن إبراهيم بن عليٍّ بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحَق، السُّلطانُ أبو العباس ابن السُّلطان أبي سَالمٍ ابن السلطان أبي الحسن المَرينيُّ، صاحبُ فاسٍ ومَلكُ المَغْرب[١].

أُخْرجَ مع الأبناءِ إلى طَنْجَةَ، فاعتُقل بها إلى أن بَعَثَ ابن الأحمرِ إلى محمد بن عثمانَ متولي سَبْتة يُحسِّن له مُبَايعةَ أبي العَباسِ هذا، ووعده بالمُساعدة فركبَ محمد بن عثمان من سَبْتَةَ إلى طَنْجَة، وأَخرجَ أبا العباسِ وبايعَ له، وحمل النَّاسَ على طاعَتِه، واستقدَمَ أهلَ سَبْتَةَ بكتابِ البَيْعة فَقَدِموا، وخاطَبَ أهلَ جَبَلِ الفَتْح فبايعوه، وأهْدَى ابن الأحمر لأبي العَباسِ، وأمدَّه بعَسْكرٍ من غُزاة الأندلَس، وحَمَلَ إليه مالاً للإعانَةِ على أمْرِه، فحمل محمد بن عثمان الأبناءَ المعتقلينَ بطَنْجَةَ كلَّهم إلى الأنْدَلسِ تحتَ إيالةِ ابن الأحمر. وكان الأميرُ عبدالرحمنِ بن أبي يَفْلوسن قد ثارَ، فكتبَ إليه ابن الأحْمرِ بموافَقةِ أبي العَباس ومُظاهرته، وعَقَدَ بينهما الاتفاقَ والوَصْلةَ حتى تَراضيا.

وزحفَ محمد بن عثمان وأبو العَباسِ إلى فَاس، ونزلوا قَصْرَ ابن عبدالكريم، ومضَىَ فبرزَ إليه الوَزيرُ أبو بكرَ بن غازٍ بن يحيى بن الكاس بسُلْطانه السعيد محمد ابن السلطان عبدالعزيز بن السُّلطان أبي الحسن، فاختلَّ مَصافُّه، وانهزمَت ساقةُ العَسْكر من وَرائه، ورجعَ مَفْلولاً إلى البَلَدِ الجديد، واستنصرَ بالعَرَبِ، فنهضَ إليهم الأمير عبدالرحمن من تازَى فيمن كان معهُ من العَرَبِ وشَرَّدَهم، وزحفَ أبو العَباس بجُموعه من

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢/ ٨٢٣، وتاريخ ابن خلدون ٧/ ٢٩٣، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٢٥، والدرر الكامنة ١/ ٩٨، وإنباء الغمر ٣/ ٢١٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٤٣، والدليل الشافي ١/ ٣٦، وشذرات الذهب ٦/ ٣٤٥.

العرب وَزناتة، وقَدِمَ عليه ونْزمار بن عَريف وتحالَفُوا وتعاقدوا ونَزَلوا بكُدية العَرَائش في ذي القَعْدة سنةَ خمسٍ وسبعين، وبرزَ إليهم الوزير بعساكره فاقْتَتلوا أشدَّ قتالٍ، فاخْتَلَّ مَصافُّه وانهزمت جُموعُه، وخلص إلى البَلدِ فحصرَهُ أبو العَباسِ وقاتَلَه، وأتاه مَددُ ابن الأحْمرِ من الرِّجالِ النَّاشبة إلى أن أهَلَّت سنةُ ستٍّ وسبعين، فقامَ محمد بن عثمان في الصُّلْح حتى نَزَل الوزيرُ أبو بكرٍ عن البلدِ الجديد، وبايع أبا العَباسِ، وخرجَ فبايعه، وكتبَ له أبو العَباسِ أمانًا، ودَخَلَ البلدَ الجديد أوّلَ يَوم من المُحَرَّم، ورحل الأميرُ عبدالرحمن يومئذٍ إلى مَرَّاكُش متوليًا لها، واستقلَّ السُّلطانُ أبو العَباس بملْكِ المَغْرب، وفَوَّض إلى محمد بن عثمان بن الكاس وزارَتَه، وألقى إليه مقاليدَ مُلْكه، فغلب عليه واستحكَمَتِ المودَّةُ بين السُّلطانِ وبين ابن الأحْمَرِ، وجعلُوا إليه المَرْجعَ في نَقْضهم وإبرامهم لمكان الأبناء المرشَّحين من إيالته، ثم قَبضَ على الوزير أبي بكر بعد خُطوبٍ مَرَّت به وقَتَله كما ذكرنا في ترجمته.

ثم إن الأميرَ عبدالرحمن زَحَفَ من مَراكُش ومَلَك أزمور واستباحَها، فسارَ السُّلْطانُ من فاسٍ حتى قاربَ مَراكُش وأقامَ نحوًا من ثلاثَةِ أشهر والقِتالُ يتردَّد بينهم، ثم اصْطَلَح مع عبدالرحمن وعادَ إلى فَاس، وبَعَثَ عامِلَه إلى أزمور فأقام بها، فنَقضَ الأميرُ عبدالرحمن الصُّلْحَ وأخذَ أزمورَ وغيرها، فسارَ إليه السُّلْطانُ وحاصَرَه، فبعثَ ابن الأحمر وعَقَدَ الصُّلْحَ بينهما، ورجعَ السُّلطانُ إلى فاسٍ، ففارقَ عبدالرحمن عِدَّةٌ ممن معه ولَحِقُوا بالسُّلْطان، فنهض إليه وحصره بمرَّاكُش تسعةَ أشهرٍ يُغَاديه بالقتالِ ويُراوحُهُ حتى قُتلَ ومعهُ ولَداه في آخرِ جُمادى الآخرة سنةَ أربع وثمانين. وعادَ السُّلطانُ إلى فَاس، وقد استولى على أعْمالِ المَغْربِ وظفَر بعدوِّه، ودفعَ المُنازعين عن مُلْكه.

وكان يوسف بن عليّ بن غَانم شَيْخُ أولاد حُسين من عَربِ المَعْقل ينافرُ الوزيرَ محمد بن عثمان، فسارَ من القَفْرِ في غَيْبَةِ السُّلطانِ، وعاث في الأعمال، وحَصَر أبو حَمُّو صاحبُ تلمسان مدينةَ تَازى، فخرج

السلطانُ من فاسٍ يريد تِلِمسانَ، فخرج أبو حَمُّو منها في كَثيرٍ من أصحابه، ونَزَحَ فملكها السلطانُ وهَدَم أسوارَها وقُصورَ المَلِكِ بها، ثم مَضَى في إِثْرِ أبي حَمُّو، فبلَغَه أن موسى بن أبي عِنان قد ركبَ البَحْرَ وصارَ من الأَنْدلُسِ إلى المغربِ مخالفًا له، فانكفأ راجعًا، وقد مَلكَ موسى دارَ المُلْكِ من فاسٍ، فنزلَ تازى وأقامَ بها أربعةَ أيام، والناسُ يرْحَلُون عنه إلى موسى. ثم رَحَل فأُرْجفَ به، ومضى من بقيَ معهُ إلى فاس، ونَهبوا مُعَسْكره، وأضرمُوا النارَ في خِيامهِ وخزائنهِ، فنُهبَ وتلفَ شيء كثيرٌ جدًا اختل به حالُ المُلوكِ بفاسٍ من بعدِ ذلك، فعادَ إلى تَازى وكتب إلى موسى يذكِّرُه العَهْدَ الذي بينهما. فبادَرَ موسى باستدعائه مع جماعة من أصحابهِ، فقَدِمَ معهم حتى نَزَلُوا به ظاهرَ فاسٍ، فقُيِّدَ وحُملَ إلى الأندلسِ مُوَكَّلاً به، فأنزله ابن الأَحْمَر بقلْعَتِه من الحَمْراء، وفكَّ قيودَهُ، ووسَّعَ له في الجِرَاية.

فلم تطل مدَّةُ موسى حتى ماتَ وأقيمَ بعده المنتصرُ محمد ابن السُّلطان أبي العباس، وكان الوزيرُ مَسعودُ بن مَاساي قد استوحشَ من سُلطانهِ موسى، وبعثَ بولَدهِ عيسى ومعه عبدالواحد المِزْوار إلى ابن الأحمر يسألانهِ إعادةَ السُّلطان أبي العَباس إلى مُلكِهِ، فأخرجَهُ ابن الأحْمَر من الاعتقال وجاء به إلى جَبلِ الفَتْح يرومُ إجازَتَه إلى العُدوة، فبدا للوزير بعد مَوْتِ موسى ودَسَّ إلى ابن الأَحْمَر بأن يبعثَ الواثِقَ محمد بن أبي الفَضْلِ ابن السلطان أبي الحسن، فردَّ السلطانُ أبا العَباسِ إلى مكانِهِ بالحَمْراء، وجاءَ بالواثق إلى عِنْده بَجَبَلِ الفَتْح، فوصل في خلالِ ذلكَ جماعةٌ من أهلِ الدَّولة قد انْتَقَضُوا على الوَزير مَسعودٍ، فدفع إليهم الواثقَ، فرجَعوا به إلى المَغْربِ على أنهم في خِدْمَةِ الوزير، حتى قارَبُوا مِكْناسة أظهروا الخِلافَ على الوَزيرِ وصَعِدُوا الجَبَل، وقد ظاهَرَتهم قبائلُ زَرْهُون، فلحق بهم جماعةٌ، وخرجَ الوزيرُ مَسعودٌ بعساكرِهِ حتى نزلَ قبالَتَهم بجَبَل مغيلة، وقاتَلَهم أيامًا، واستمالَ عِدةً من أصحاب الواثِقِ، وبعثَ عَسْكرًا إلى مِكْناسَةَ فحصرها حتى مَلَكها؛ فانعقدَ الأمرُ بينه وبين

الواثق، واجتمعا وسارَ به إلى دَار المُلْك، فبايَعَهُ في شوال سنة ثمانٍ وثمانين، وبعثَ بالمُنْتَصِرِ إلى أبيه السُّلطان أبي العَباسِ بالأندلُس، وبعث إلى ابن الأحْمَرِ في ارتجاع سَبْتَةَ منه؛ فاستشاطَ وَلَجَّ في الردِّ، فبعثَ الوزيرُ مسعودٌ العساكر لحصارها حتى أخَذُوها عَنوةً، فبادَرَ ابن الأحْمَر بتجهيز الأسطول إلى سَبْتَةَ، واستدعَى السُّلطانَ أبا العَباسِ من الحَمْراءِ حتى قَدِمَ عليه بمالَقَةَ، وأركبه البحرَ إلى سَبْتَةَ، فصبَّحها غُرَّةَ صَفرَ سَنَةَ تسع وثمانين، فاضطربَ من فيها وافترقوا، ودَخلوا في طاعَتِه، ورجعَ العرَبُ فتقدَّموهم إلى طَنْجَةَ، فاستولى السلطانُ على سَبْتَةَ، وكَمُلَتْ بها بَيْعَتُه. وسار إلى طَنْجَةَ وحاصرها أيامًا، وقد امتنعت عليه، فأقامَ عليها عدَّةً من أصحابِهِ. وتوجه إلى أصيلا فملكها، فبرزَ إليه الوزيرُ من فَاسٍ في العساكرِ فصعد أبو العباسِ من أصيلا إلى الجَبَلِ، فنازله الوزيرُ شهرين، فجمع يوسف بن عليٍّ بن غانم شيخ أولادِ حُسين من عَرَبِ المعقل ودعا إلى السُّلطان أبي العَباسِ، ونزلَ بَيْنَ فاسٍ ومِكْنَاسة، وشَنَّ الغارات. فلما اشتدَّ الحِصارُ بعثَ أبو العَباسِ بابْنِهِ أبي فارسٍ إلى وَنْزَمار بن عريف فقامَ بدَعْوَتِهِ وسارَ إلى مَدينةِ تَازَى، فملكها وأقرَّ بها ابن السلطانِ، ومضى إلى عَرَبِ المَعْقل ليحصر بهم فاس، فانفضَّتْ عن الوزيرِ العَساكرُ ورجع إلى فاس، والسُّلْطانُ في اتِّباعِهِ، فدخلَ عاملُ مِكْناسَةَ في طاعَتِهِ ولقيهُ يوسف بن عليّ بن غانم ومن معه من أحياءِ العَرَب حتى نزلَ على البَلَدِ الجديدِ وقد اعتصَمَ بها الوزيرُ مَسعودٌ فأتت الأمداد من مَرَّاكُشَ إلى السُّلطان، وضَيَّقَ بالخناقِ على البَلدِ ثلاثةَ أشْهرٍ حتى طلبَ الوزيرُ الأمان، فبعثَ إليه وَليَّ الدولةِ وَنْزَمار بن عريفٍ ومحمد بن يوسف بن عَلاَّل، فآمناه وخرجا به، فدخل السلطانُ البَلَدَ الجديدَ في خامسِ شهرِ رمضانَ منها لثَلاثةِ أعوام وأربعةِ أشهرٍ من خَلْعهِ، فقبضَ على الواثقِ وبعثَ به إلى طَنْجةَ فقُتلَ بها وقَبضَ على الوزيرِ مَسعودٍ ليومَيْن من دخوله، وعلى إخْوتهِ وحاشِيَتِه وعَذَّبهم حتى ماتُوا؛ وصارَ الوزيرُ مَسعودٌ يُضربُ ضَرْبًا شديدًا، ثم قُطِّعَ قطعًا. واستوْزَرَ السلطانُ

محمد بن يوسف بن عَلَال، فقام بأمر الوزارةِ أحسنَ قيام.

وكان الوزيرُ مَسعودٌ وهو محصورٌ قد دَسَّ إلى الأحلافِ أن يُنَصِّبوا محمدًا ابن السلطان عبدالحليم المدعُو حلي بن أبي عليّ، وكان بعد مَوْتِ أبيه بمصرَ قد نشأ عند بني عبدالوَادِ بتِلِمْسان. فلما وقعَ بالمغربِ من انتقاضِ عَـرَبِ المَعْقِلِ على الوزير مَسعودٍ ما وقَعَ في سنةِ تسع وثمانين انتهزَ أبـو حَمُّو الفُرصةَ وبعثَ بمحمد بن حلي إلى المَعْقِلِ ليجلبوا به على بَني مَرين، فَنَصَّبُوه ودَخَلوا به سِجلْماسة مُمَلَّكًا، وقامَ عليُّ بن إبراهيم بوزارتهِ، فلما استولى السلطانُ أبو العَباسِ على المملكةِ بفَاسٍ خَرجَ عليُّ بن إبراهيم مفارقًا لسُلطانهِ محمد بن حَلي وصار إلى تِلمسان وفرَّ محمد بن حلي بعدَ مَهْلَكِ أبي حَمو إلى تُونسَ، وتوجه منها إلى القاهرة، فرأيناه مِرَارًا عند الأستاذِ قاضي القُضاةِ وَليِّ الدِّين أبي زَيْدٍ عبدالرحمن بن خَلْدون وقد تَبَذَّلَ واتضع حتى ماتَ في سِني بضعَ عشرة وثماني مئة. وثارَ عليُّ بن زكريا شيخ هَسْكُورة من جبالِ المَصَامدة وقد عَزَله السلطانُ من ولايتهِ على المَصَامدة، ونصبَ بعضَ بَني عبدالحق، فبعثَ له السُّلطانُ عَسْكرًا، فحصرهُ في جَبَلِهِ حتى أخَذه وحُملَ إلى فَاسٍ، فشُهر يومَ دخولِه واعتُقِلَ حتى مات السُّلطانُ فقُتلَ بعده.

ووَثَبَ أبو تَاشفين ابن السُّلطانِ أبي حَمُّو على أبيه آخرَ سنةِ ثمانٍ وثمانين وسَجَنه بوَهْران؛ ثم همَّ بقَتْلِهِ، فقامَ معه أهْلُ وهرانَ وأنْزَلُوه وأقامُوه سُلطانًا، وقَصَدَ تِلِمْسانَ ومَلَكها، فنزَلَ عليه ابنهُ أبو تَاشفين وأخَذَه وأركبه البحرَ ليأتي به الإسكندرية، فلما حاذى بِجَايةَ نزلها ووَصَل منها إلى الجَزائر، وجمع عليه العربَ، ومَضَى على الصحراءِ إلى تِلِمْسانَ وملكها في رَجَبٍ سنةَ تسعين كما ذكرناهُ في تَرْجَمتهِ من هذا الكتاب، ففرَّ ابنهُ أبو تَاشفين إلى عَرَبِ سُويد، فقدمَ به محمد بن عَريف شيخُ سُويد فَاس مُسْتَصرخًا بالسُّلطان، وبعثَ أبو حَمو إلى ابن الأحْمَر في أن يَرُدَّ السلطانَ عن إجَابةِ ابنهِ، فبعثَ إلى السُّلطانِ أن يبعثَ إليه بأبي تَاشفين،

فأسلَمَه إلى رَسولِه، فلما مرَّ بدارِ أبي فارسٍ ابن السلطان دخلها وتطارَحَ عليه، فأجارَهُ؛ فقامَ الوزيرُ محمد بن يوسف بن عَلاَل في نُصْرةِ أبي تاشفين حتى بعثَهُ مع ابنه أبي فارسٍ في العَساكرِ، فخرج أبو حَمو من تِلمسانَ فيمن معه وتحصَّنَ بالجبل، فنزل أبو فَارس والوزيرُ عليه حتى مَرَّ منهزمًا، فكَبَا به فرسُه فقُتلَ بالرِّماح، ودخَلَ ابنهُ أبو تَاشفين إلى تِلمسانَ في آخر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين، وحَمَلَ ما شَرَطَ على نَفْسهِ من المالِ، فرحل الأميرُ أبو فارسٍ والوزيرُ إلى فاسٍ، وأقامَ أبو تَاشفين دعوةَ السلطان أبي العَباسِ بتِلمسانَ وأعمالها، وحمل له الضريبةَ في كُلِّ سنة.

ثم تَغَيَّر عليه السُّلطانُ وبعث أبا زَيانَ بن أبي حَمُّو ومعه عَسْكرٌ لقتالِ أخيه في منتصفِ سنةِ خمسٍ وتسعين، فنزل تازَى، فماتَ أبو تاشفين في رمضانَ منها، وأُقيمَ بعده صَبيٌّ، فثارَ يوسف بن أبي حَمو وقَتَلَ الصَّبيَّ ومن قامَ بدَوْلته، فخرجَ السلطانُ أبو العَباسِ إلى تَازَى وبعثَ ابنه الأميرَ أبا فارسٍ في العَساكرِ حتى ملكَ تِلمسانَ، وأقَامَ بها دَعْوةَ أبيه، وملكَ مَلْيانة والجزائر وتَدَلَّس إلى حدود بِجاية، فانمحَت دولةُ بَني عبدالواد من المغرب الأوْسط.

فمرضَ السُّلْطَان بتازَى وماتَ في محرم سنةِ ستٍّ وتسعين وسبع مئة، فاسْتُدعي ابنهُ أبو فارسٍ عبدالعزيز من تِلَمسان، وبُويعَ بتازى وسارَ إلى فَاسٍ، فلم تطُل أيامُه وماَت في سنةِ ثمانٍ وتسعين.

فقَام بعدهُ أخُوه أبو عَامرٍ عبدالله بن أبي العَباسِ حتى ماتَ في يومِ الفِطْر سنةَ تِسْعٍ وتسعين.

فأقيمَ بعدَه أخُوهُ أبو سعيدٍ عثمان بن أبي العَباسِ، وقامَ أبو العَباسِ أحمد بن عليٍّ القبائلي بدَوْلَته، كما قام بدولةِ أخَويهِ حتى قَتَلهُ أبو سعيدٍ، كما سَتَقف عليه في تَرْجمةِ كُلٍّ من أبي سعيدٍ ومن أبي العَباسِ القَبَائلي إن شاء الله تعالى.

٢٩٥- أحمد بن محمد بن محمد بن عليٍّ، شهابُ الدين أبو العَباس الأَصْبحيُّ العُنَّابي[١].

أَخذَ عن أبي حَيانَ، وبَرَع في النحْوِ وفُنونِ الأدب، وأقامَ بدمشق، وتَصَدَّر بجامعها، وشَرَح «كتاب» سيبويه. وكان كثيرَ النَّقْلِ والاطلاع، قَنُوعًا مُنْجَمعًا عن الأكابر.

توفي سنةَ ستٍّ وسبعين وسبع مئة.

٢٩٦- أحمد بن عليّ بن محمد بن قاسم العُرْيانيُّ، الشيخُ شهابُ الدين أبو العَبَّاس الفقيهُ الشافعي المحدِّث[٢].

وُلدَ سنةَ سَبعَ عشرةَ وسبع مئة، وسمعَ على أبي الفَتْحِ المَيْدومي وخَلائقَ من الدِّيارِ المِصْرية وسَمعَ بدمشقَ على الجَزَري، والحافظِ الذَّهبي، وبالقُدسِ من الإمام عَلاءِ الدين أيوبَ المَقْدسي وغيره. وسَمعَ بنفسهِ، وقرأ، وكَتَب الطِّباق، وحَصَّل وأفادَ، واشتغلَ بالعربيةِ وبَرَعَ وتميز، وأعادَ بالمدرسةِ النَّاصريةِ بجوارِ ضَريحِ الإمام الشافعي رحمه الله ودَرَّس لأهْلِ الحَديثِ بالمَدرسةِ المَنْكوتَمُريةِ بالقَاهِرةِ وبغيرها، ووَليَ مشيخةَ خانَقَاهِ الأميرِ طَيْبُغَا الطَّويل بالصَّحْراء، وبها تُوفي يومَ الاثنين ثاني عَشر جُمادى الآخرة سنةَ ثمان وسبعين[٣] وسبع مئة.

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٢٤٣، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٩٢، وغاية النهاية ١/ ١٢٨، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٤٥٤، والدرر الكامنة ١/ ٣١٨، وإنباء الغمر ١/ ١٠٧، ولحظ الألحاظ ١٦٢، وبغية الوعاة ١/ ٣٨٢، والدارس ١/ ٤٦٦، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ١٥٠، ودرة الحجال ١/ ٩٨، وشذرات الذهب ٦/ ٢٤٠.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٢٩٦، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٤٣٥، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢/ ٥١٨، والدرر الكامنة ١/ ٢٣٣، وإنباء الغمر ١/ ٢٠٢، ووجيز الكلام ١/ ٢٢٦، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ١٩٧، وشذرات الذهب ٦/ ٢٥٦.

(٣) في جـ: «وستين»، خطأ بين، وما أثبتناه من المسودة والسلوك للمصنف، وهو الذي في مصادر ترجمته أيضًا.

وله عدَّةُ مصنفاتٍ منها: «تَخْريجُ أحاديثِ الرَّافعي»، و«شرحُ الإلمام» في الحديثِ في مُجلدين، وأفردَ لُغاتِ «صحيحِ مُسلم» وغير ذلك. ونابَ في الحُكْمِ بخطِّ جامع ابن طولون وغيره.

وكان كثيرَ التواضُعِ والتَّوَدُدِ لأصحابهِ والبرِّ لهم، طَلْقَ الوَجْهِ، مُحْسنًا إلى الناس، ساعيًا في قضاءِ حَوائجهم. وكان مُحْتملاً للأذى، كثيرَ الإغضاء عن الإساءةِ إليه، وجمعَ كُتبًا كثيرةً، وصَحبَ الأميرَ يَلْبُغا الخاصكي فناله منه مالٌ. وبَلَغني أنه جمعَ فتاوى الأمير يَلْبُغا وفوائدَهُ، ولم أقف عليه. وكان من خيارِ أهْلِ العِلْم، وكانت جَنازَتُه حَفلةً، والثناءُ عليه جميلاً.

والعُرْياني: بضَمِّ العَيْنِ المُهْملَة وإسكان الرَّاء بعدها ياء مُثَناةٌ من تحت. وقد ذكرتُ وَلده جمالَ الدين عبدالله بن أحمد وحفيده بُرْهانَ الدين إبراهيم بن عبدالله.

٢٩٧- أحمد بن إبراهيم بن مَعْتُوقٍ الكُرديُّ[(١)] الدِّمَشقيُّ الحَنْبليُّ[(٢)].

حدَّثَ بكتابِ «صِفَة الجنة» لأبي نُعيم بسَماعهِ من عليِّ بن أبي بكر ابن يوسف بن خَضر الحَرَّاني عن الفَخْر بن البُخاري، عن أبي المكارم اللبان، قال: أخبرنا الحَدَّاد، قال: أخبرنا أبو نُعيم.

توفي في شَوَّال سنةَ ثلاثٍ وثماني مئة.

٢٩٨- أحمد بن آقْبَرْس بن بلَغاق بن كنجك بن بارتَمش الخُوارزمي الكَنْجي[(٣)].

سمعَ من إسحاق بن يحيى الأسدي، وأحمد ابن المُحبِّ، وزينب

---

(١) في جـ: «الكركي»، خطأ.

(٢) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٢٩٥، وإنباء الغمر ٤/ ٢٤٨، والمجمع المؤسس، الترجمة ١٤، والضوء اللامع ١/ ١٩٦ و٢٠٤.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ٢٥٢، والضوء اللامع ١/ ١٩٠، وشذرات الذهب ٧/ ٢٤.

بنت الكمال، وأجاز له الخُتَني والدَّبُّوسي، ووجيهة في آخرين. وكان حسن الخُلُقِ، خَيِّرًا.

مات بعدما حدث سنةَ ثلاثٍ وثماني مئة.

وجَدُّه بَلْغاق ذكره الحافظُ قُطْبُ الدين عبدالكريم في «تاريخ مصر»، وأنه ماتَ سنةَ أربعٍ وسبع مئة بِمصر[1].

٢٩٩- أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن عبدالقادر بن يوسف بن مسعود بن سَعْد[2] بن عبدالله[3] الخَليليُّ ثم الدِّمشقي[4].

وُلِدَ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وسبع مئة تَخْمينًا، وسَمعَ الحديثَ.

ماتَ في ثامن عشر المحرم سنة ستٍّ وعشرين وثماني مئة[5].

٣٠٠- أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عليِّ بن محمد ابن عليِّ بن عبدالله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن محمد بن عليِّ بن الحُسين بن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنهم، الشريفُ النَّقيبُ عزُّ

---

(١) على أنَّ ابن حجر في الدرر ٢/ ٢٨، والسخاوي في الضوء ١/ ١٩١ ذكرا أنه توفي سنة ٧٠٩ هـ، مع أن السخاوي أشار إلى تاريخ قطب الدين عبدالكريم الحلبي فقال: «وجده ذكره القطب الحلبي في تاريخ مصر وأنه سمع من عبدالدائم، ومات بمصر سنة تسع وسبع مئة».

(٢) في الضوء اللامع: «بن يوسف بن خليل بن مسعود»، ثم قال: «وهو في عقود المقريزي بدون خليل في نسبه».

(٣) في الضوء اللامع: «مسعود بن سعدالله» ثم ذكر أنه وجده في عقود المقريزي: («سعد» بدون إضافة ابن عبدالله).

(٤) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ١٢٠، والمجمع المؤسس، الترجمة ١٨، والضوء اللامع ١/ ٢٦٤، والأنس الجليل ٢/ ١٦٧.

(٥) ذكر الحافظ ابن حجر وفاته في ليلة الأربعاء ثامن عشر المحرم سنة ست عشرة وثماني مئة، ذكر ذلك في الإنباء والمجمع ونقله عنه السخاوي في الضوء، ثم قال: «وأرخه - يعني المقريزي - في سنة ست وعشرين، والأول أتقن».

الدين أبو جعفر بن شهابِ الدين أبي العَباسِ بن أبي المَجْد[1].

لم يَزلْ آباؤه نُقباءَ الأشرافِ بحَلَب، وأولُ من وَليَ النِّقابةَ منهم جَدُّه محمد والدُ جعفر في أيام سيف الدَّولةِ ابن حَمْدان.

ووُلدَ هو سنةَ إحدى وأربعين وسبع مئة، وأجازَ له الواداياشي وغيرُه، وسَمعَ من الجَمالِ ابن الشِّهابِ محمود، وحَدث.

وكان زاهدًا، وَرِعًا، وَقُورًا، جَليلاً، وانفردَ برياسةِ حلبَ، فكان الأعيانُ يتردَّدُونَ إليه ولا يتردَّدُ هو إلى أحد، وكلمتُه نافذَةٌ عندَ الجميع. وكانت له يدٌ في العَرَبية، أخذها عن أبي عبدالله الضَّرير، وله نظمٌ جيدٌ ونَثْر مليحٌ، واطلاعٌ على التَّاريخ، مع الصيانَةِ والعِفةِ وجَمالِ الصُّورة والمَهَابة.

ولم يَزَل على ذلك حتى تُوفي في شَهْرِ رجبٍ سنةَ ثلاثٍ وثماني مئة.

٣٠١- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عُمر بن إسماعيل بن عُمر ابن السَّلاَّر الصَّالحيُّ[2].

سمع من الحَجَّار، والشَّرَف ابن الحافظِ، وابن أبي التَّائب وغيره.

ماتَ في سابعِ عشري ذي الحِجةِ سنةَ إحدى وثماني مئة.

٣٠٢- أحمدَ بن محمد بن رَاشدٍ القَطَّان الصَّالحي. عُرف بابن خُطْلَيْشا[3].

---

(١) ترجمته في: الدر المنتخب، الترجمة ٨٧، وإنباء الغمر ٤/ ٢٤٩، والمجمع المؤسس، الترجمة ١٣، والضوء اللامع ١/ ٢١٩، وشذرات الذهب ٧/ ٢٣.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٤/ ٤٤، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٢، والضوء اللامع ٢/ ١٠٥، وشذرات الذهب ٧/ ٥.

(٣) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٣٨٢، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٢٩، والدرر الكامنة ١/ ٢٨٠، وإنباء الغمر ٣/ ٣٤١، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٣، وشذرات الذهب ٦/ ٣٥٨.

وُلِدَ سنةَ بِضْعٍ وعشرين وسبع مئة، وسمعَ من أبي بكر ابن الرَّضي وزينبَ بنتِ الكَمالِ.

ماتَ في سَابعِ عشري شهرِ ربيعٍ الآخر سنةَ تسعٍ وتسعين وسبع مئة.

٣٠٣- أحمد بن محمد بن موسى بن سند، أبو سَعدٍ الدِّمشقي(١).

وُلِدَ سنةَ ست وخمسين وسبع مئة، وأُسمعَ على عبدالله بن محمد ابن القَيِّم، وأحمد بن محمد الجُوْخي.

تُوفي في شعبان سنةَ ثمانٍ وتسعين وسبع مئة.

٣٠٤- أحمد بن محمد بن عبدالله، العَدلُ تاجُ الدين، ابن الخَرَّاطِ الإسكندرانيُّ المالكيُّ(٢).

سمعَ على الوادياشي كتابَ «التَّيْسير» للدَّاني، و«الموطأ»، وكتابَ «دُرَر السمط في أخبارِ السِّبْط» بسماعه على محمد بن حَيَّانَ عن ابن الأبارِ مؤلِّفه، وكتاب «الشِّفَا»، وكتاب «التَّقَصِّي» لابن عبدالبر. وسمعَ أيضًا على شَرفِ الدين أحمد ابن المُصفِّي، وجلالِ الدين عليِّ بن عبدالوهاب ابن الفُرات، وحدَّث.

توفي في عاشر صفر سنة ثلاث وثماني مئة.

٣٠٥- أحمد بن محمد بن عبدالغالب بن محمد بن عبدالقاهر الماكسينيُّ الأنصاريُّ(٣).

وُلِدَ سنةَ بِضْعٍ وثلاثين وسبع مئة، وأُسْمعَ على جَدِّه، وسَمعَ من

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٩٣، وإنباء الغمر ٣/ ٢٩٧، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٤، وشذرات الذهب ٦/ ٣٥٣.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٠٧٤، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٥، والضوء اللامع ٢/ ٧٦، وفيه اسمه أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ١٩، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٦، والضوء اللامع ٢/ ١٢٤، وشذرات الذهب ٧/ ٨٢.

عليِّ بن العِزِّ عُمر «مشيخته».

مات[1] سنةَ ثلاث[2] وثماني مئة.

٣٠٦- أحمد بن محمد بن عبدالغَفَّار بن حُسين الكِنْديُّ الإسكندرانيُّ[3].

وُلدَ سنة ثنتي عشرة وسبع مئة، وسمع «الموطأ»[4] بمكة على الفَخْر النُّوَيْري، و«صحيح مسلم» على المحدِّث الفقيه عليّ بن أيُّوب بن منصور القُدْسي بالقُدس، وسمع على أبي الطَّاهر أحمد ابن الجمال[5] محمد ابن المُحبِّ أحمد بن عبدالله الطَّبري.

مات سنة ثماني مئة.

٣٠٧- أحمد بن محمد بن عثمان بن عُمر بن عليّ بن عبدالله الخَليليُّ المَقْدسيُّ الفاسيُّ الأصل، نزيلُ غَزَّة[6].

وُلدَ سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة، وسمع على أبي الفَتْح المَيْدُومي، ومحمد بن إبراهيم بن عبدالكريم القُرشي في آخرين. وكان دَيِّنًا فاضلاً.

توفي بمكة في صَفَر سنة خمس وثماني مئةٍ، وقد حَدَّث.

---

(١) شطح قلم ناسخ جـ فكتب «ولد».

(٢) في جـ: «ثلاثماني مئة» فكأنه أراد أن يكتب «ثلاث وثماني مئة»، فتوقف بعد كتابة الثاء المثلثة واللام ألف، لأن المُصَنِّف ضَبَّبَ عليها كما أشار إلى ذلك السخاوي بعد أن ذكر وفاته سنة تسع وثماني مئة نقلاً من الإنباء لابن حجر، فقال: «وهو عند المقريزي في عقوده، وفي النسخة سنة ثلاث وضبب».

(٣) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٢٩٠، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٧.

(٤) برواية يحيى بن بكير، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «المجمع المؤسس».

(٥) في جـ: «الجلال» خطأ، فهو جمال الدين محمد ابن الإمام محب الدين أحمد ابن عبدالله الطبري، كما في المجمع وغيره.

(٦) ترجمته في: ذيل التقييد ١/٣٠٩، وإنباء الغمر ٥/٩٤، والضوء اللامع ٢/ ١٤٠، والأنس الجليل ٢/ ١٦٥، وشذرات الذهب ٧/ ٤٩.

٣٠٨- أحمد بن محمد بن عليِّ بن محمد بن أحمد بن مُثبِّت[١]، بَدرُ الدين المَالكيُّ، إمامُ المسجد الأقصى[٢].

ولدَ في حُدود الثلاثين وسبع مئة، وسَمعَ على المَيْدُومي، والعلائي، والبَياني، والعِز ابن جماعة، والفَخْرِ النُّوَيْري، وحدَّث.

توفي سنةَ ثلاثَ عشرةَ وثماني مئة بالقُدس.

٣٠٩- أحمد بن محمد بن عيسى بن حسن اليَاسُوفي، تَقيُّ الدين الدِّمشقيُّ، الملَقَّب بالثُّوم[٣].

حضر على أحمد بن عليٍّ الجَزَري، وحدث.

توفي في أوائل جُمادى الآخرة سنةَ خمسٍ وثماني مئة.

٣١٠- أحمد بن يوسف بن عليّ[٤] بن محمد المَحَلي، ويُعرف بالطُّريني، شهابُ الدين الملقبُ مشمش[٥].

سمعَ «مشيخة» الفَخْرِ و«جامعَ» التِّرمذي على العُرْضي. وسمعَ على غيره.

توفي في أوَّل جُمادى الأُولى سنةَ ثلاثَ عشرةَ وثماني مئة.

---

(١) قيده السخاوي في الضوء اللامع ٢/ ١٥١ فقال: «بضم الميم وفتح المثلثة وتشديد الموحدة المكسورة بعدها مثناة».

(٢) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٥١، والضوء اللامع ٢/ ١٥١.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ٩٥، والمجمع المؤسس، الترجمة ٥٢، والضوء اللامع ٢/ ١٦٢، وشذرات الذهب ٧/ ٤٩.

(٤) في إنباء الغمر: «أحمد بن علي بن يوسف»، لكنه سماه في القسم الأول من المجمع المؤسس (الترجمة ٥٦) كما هنا. وتابع السخاوي كتاب شيخه الإنباء فترجمه في الضوء اللامع باسم «أحمد بن علي بن يوسف»، لكنه صَوَّب رواية المقريزي في آخر الترجمة.

(٥) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ٢٤٣، والمجمع المؤسس، الترجمة ٥٦، والضوء اللامع ٢/ ٤٥.

٣١١- أحمد بن إبراهيم بن أحمد القُوصيُّ ثم اليَمَنيُّ، شهابُ الدين ابن الفهّاد[١].

كان أبوه من أعيانِ أهل قُوص، وبها وُلدَ أحمد هذا ونشأ، وباشر، وتوجه إلى الشَّامِ فسَمعَ بها على مُحيي الدينِ ابن الرَّحَبي. ثم دخلَ اليمنَ وسكنها، ونابَ عن شَيْخنا مَجد الدِّين الشِّيرازي ببعضِ بلادها، وحَجَّ غير مرةٍ، وحدَّث بالمَهجَم.

٣١٢- أحمد بن إبراهيم بن أحمد، ضياءُ الدِّين المُرْشديُّ المكي[٢].

أخُو صاحبينا جمال الدِّين محمد وجلال الدِّين عبدالواحد. روى عن العِزِّ ابن جَماعةَ وغيرِه.

تُوفي بمكةَ بعدما أَضَرَّ في ذي الحجة[٣] سنةَ اثنتين وثلاثين وثماني مئة.

٣١٣- أحمد بن إبراهيم بن محمد بنِ عُمر بن عبدالعزيز، أخُو قاضي القُضاة كمال الدِّين ابن العَديم، الحَلَبيُّ، الحنفيُّ[٤].

وَليَ قضاءَ حَلَب، وحَدَّث عن ابن أُمَيْلة، وموسى بن فَيَّاض، وابن حَبيب بالإجازةِ، وعن محمد بن عليٍّ بن أبي سالم، وإبراهيم بن صالح الجابري بالسَّمَاع.

---

(١) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٣٧٦، والضوء اللامع ١/ ١٩٣.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ١٨٠، وذيل الدرر، الترجمة ٦٣٠، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٧٧، والضوء اللامع ١/ ١٩١، ووجيز الكلام ٢/ ٥٠٥، وشذرات الذهب ٧/ ١٩٨.

(٣) هكذا في أ وجـ، وجاء في حاشية جـ: «صوابه: القعدة»، وهو الموافق لما في مصادر ترجمته.

(٤) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٣٧٨، والضوء اللامع ١/ ٢٠١، وفيه أنه يعرف بابن العديم وبابن أبي جرادة، وأنه ولد سنة ٧٦٤ وتوفي سنة ٨٤٧، ووجيز الكلام ٢/ ٥٩٢، والطبقات السنية ١/ ٣٠٥.

وتُوفي بعدَ سنةِ ستٍّ وثلاثين وثماني مئة[1].

٣١٤- أحمد بن أحمد بن عليٍّ بن أبي بكر بنِ أيوبَ بن عبدالرحيم بن محمد بن عبدالملك بن دِرْباس الماراني الكُرْديُّ، فَخْرُ الدِّين أبو إسحاق[2].

سمعَ الحديثَ وتيَقَّظَ، وجمعَ كتابًا في أخبار بَني دِرْباس، وكتابًا في أخبار بَنـي العَجَمي، ولـم يَزَل مُكبًا علـى الاشتغال مع الدِّيانة والصِّيانَةِ إلى أن تُوفي في المحرم سنةَ تسع عَشرة وثماني مئة قَبْلَ سنِّ الكهولة.

٣١٥- أحمـد بـن إسمـاعيـل بـن[3]...، شهـابُ الـديـن الأبْشِيطيُّ[4].

وُلدَ سنةَ ستين وسبع مئة، وجَمعَ في السِّيرةِ النَّبوية كتابًا كبيرًا بلغَ ثمانين سفرًا. وكان يَعظُ النَّاسَ بالجامعِ الأزهرِ وغيره، مع ديانةٍ وسَلامةِ باطن.

توفي في شَوَّال سنةَ خمسٍ وثلاثين وثماني مئة.

٣١٦- إسحاق بن داود بن سيفِ أرْعَد الملقَّب بالحَطي، مَلكُ الحَبَشة[5].

أدْركنا أباهُ داود، وقَدِمت رُسُلُه بكتابه وهَديَّته إلى السُّلطان الملك الظاهر بَرْقوق، وهَلكَ سنةَ اثنتي عشرةَ وثماني مئة، وقد طالت مدَّتُه،

(١) قال السخاوي بعد أن ذكر كلام المصنف هذا: «قلت: مات في ليلة الأربعاء منتصف شوال سنة سبع وأربعين».

(٢) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٣٧٩، والضوء اللامع ١/ ٢١٦.

(٣) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه.

(٤) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ٢٦١، والمجمع المؤسس، الترجمة ٣٨٠، والضوء اللامع ١/ ٢٤٤، وشذرات الذهب ٧/ ٢١١.

(٥) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ٢٠٩، والنجوم الزاهرة ١٤/ ٢٦٠ و٣٢٤ و٣٤٩، والدليل الشافي ١/ ١١٦، والضوء اللامع ٢/ ٢٧٧، وشذرات الذهب ٧/ ٢٠١، ودائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الجديدة، النص الانكليزي ٣/ ٣.

فأُقيمَ بعده ابنهُ تَدْرُوس، وهَلك سريعًا، فأقيمَ من بعده أخُوه إسحاق وفَخُم أمرُهُ، وذلكَ أن بعضَ المَماليك الأتراكِ أو الجراكِسَة كان يُسَمَّى أَلْطُنْبُغا مُغْرَق فَرَّ إليه وحَظيَ عنده لما يُتْقنُه من الآلات الحَرْبيةِ وأدواتِ القتال كاللَّعبِ بالرُّمح والرَّمْي بالسِّهام ونحو ذلك. ولحقَ به أيضًا زَرَدْكاش[1] من المَماليك الجَراكسة، فَعملَ له زَرَدْخاناه[2] عَظيمةً، وتعلمَ عسكرُه أنواعًا من صَنائع الحرب، ثم قَدِمَ عليه رجلٌ من كتابِ مصرَ النَّصارى يُعرفُ بفَخْر الدولَة، فرتبَ له مملكته، وجَبَى له الأموالَ، فصارَ ملكًا بعدما كانت مملكتُه ومملكةُ آبائه هَمَجًا لا ديوانَ لها ولا قَانُونَ، فانضبطت عنده الأمورُ، وتميز زيُّه عن رَعيَّته، بحيثُ أخبرني من شاهده وهو راكبٌ وفي يَده صَليبٌ من ياقُوتٍ أحمرَ قد قَبضَ عليه بيدهِ اليُمْنى ووَضَعها على فَخِذه، وطرفَا الصَّليب بارزانِ عن يده، وذلكَ بعدما أخبرني بُرْهانُ الدِّين إبراهيم الدِّمياطي. وكان الظاهرُ بَرْقُوق بعثَه رَسُولاً إلى الحَطِّي داود بن سَيْفِ أرعد أنه لا يزال عُرْيانًا حاسِرَ الرأس، وأنَّه يَعْصبُ رأسهُ بعِصابةٍ حمراء،وأنه شاهده وقد جيء إليه بكِرْشِ بقَرةٍ قد نُفض منها ما فيها من الفَرْث، ولم تُغْسَل ولم تُغْلَ على نارٍ فصارَ يأكلها نَيْئةً، وما بقي بها من الفَرْث يسيلُ من جَانِبَي فَمه، فلما تحضَّرَت مملكةُ إسحاق وَسْوَسَ إليه شياطينُه بأخْذِ ممالك الإسلام، فأوقعَ بمن في ممالكِ الحَبَشة من المُسلمين وقائعَ شَنيعةً طويلةً، قتلَ منهم فيها وسَبى وأَسَر أممًا لا يُحصيهم إلا اللهُ خالقُهم، وأزالَ دولةَ سَعد الدِّين، وأسرَ ابنَيه منصورًا ومحمدًا، وكتب إلى بلادِ الفِرَنْج يحثُّ من بها من الفِرَنْج على المسير إلى بلادِ المُسلمين ليوافُوه في البَحْر إذا قَدِمَ هو في البَرِّ، وواعدَهم على ذلك فعاجَلَه الله بنَقْمَته وأهْلَكه عَقيبَ ذلك في ذي القَعْدةِ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وثماني مئة، وأيد عليه وعلى قومه أمْحَرَةَ النَّصارى

---

(١) هو الذي يعمل في صنع السلاح وإصلاحه في السلاح خاناه.

(٢) هي مخزن السلاح.

عُباد الصَّليب جمال الدِّين بن سَعْد الدين محمد، فجمع من المسلمين طائفةً وقامَ يعيثُ في بلادِ الحَطي ويقتُلُ ويَسْبي ويَغْنَم.

وقد أُقيمَ بعد إسحاق ابنهُ أندراس بن إسحاق، فهلَكَ لأربعةِ أشْهَرُ من موتِ أبيه.

فقامَ بعده بأمر أمْحَرَةَ عَمُّه حَزْبناي بن داود بن سيف أرْعَد، فهلك بَعْدَ أشْهرٍ في شَهْرِ رمضانَ سنةَ أربع وثلاثين وثماني مئةٍ.

فأَقيمَ بعده سَلَمُون بن إسحاق بن داود بن سَيْفِ أرْعَد، وبلَغَني بمكةَ في آخرِ سنةِ أربعِ وثلاثين أنه هَلكَ أيضًا، فكانت للحَبشةِ في سنةٍ واحدةٍ أربعةُ ملوك.

وجمالُ الدِّين جَيشُه يتَزايدُ، وأعمالُه تَتسعُ، وفتُوحُهُ في بلادِ النَّصارى تتوالى، حتى لقد بلغَنا بمكةَ أنَّ الحَطِّي سَلَمونَ فَرَّ منه مُتَباعدًا عن مقر مُلكه نحوَ شَهْرين، وأن بلادَ اليَمنِ والبَحْرينِ والحِجازِ امتلأت من العَبيدِ والإماءِ الذين أسَرهُم وسَبَاهم جمالُ الدِّين من أمْحَرة، وأنَّه استَوْلى على أكْثر بلاد النَّصارى وجَعَلَها دارَ إسلامٍ ولله الحمد.

وبلادُ الحَبَشةِ واسعةٌ جدًا، أولُها من الشَّرْقِ المائلِ إلى الشَّمالِ بَحْرُ الهِنْدِ واليَمَن، وفيها يَمُرُّ نهرٌ حُلْوٌ يقال له سَيْحون يَرْفُدُ نيل مِصْرَ. وآخرُها الجِهَةُ الغَرْبيةُ إلى بلادِ التَّكْرور مما يَلي اليَمَن، فأوَّلها مَفَازةٌ بمكانٍ يسمى وَادي بَرَكة، يُتوصَلُ منه إلى سَيْحون. وكانت مدينةُ المَمْلكةِ في القَديم يقالُ لها: اخْشَرم ويقال لها: زَرَفْرَتا، وبها كان النَّجاشي، ثم إقليم أمْحرا، وهو الآنَ مدينةُ المملكة، ويُسَمى أيضًا مَرغْدي، ثم إقليمُ شاوة؛ ثم إقليمُ دَاموت، ثم إقليم لامان، ثم إقليمُ السَّنهو، ثم إقليمُ الزَّنج، ثم إقليمُ عَدَل الأمراء، ثم إقليم حماسا، ثم إقليمُ باريا، ثم إقليم الطِّراز الإسلامي الذي يُقالُ له الزَّيْلَع. ولكلِّ إقليم مَلك. والكُلُّ تحتَ يد الحَطِّي، ومعناهُ السُّلطان، وتحتَ يدهِ تسعةٌ وتسعونَ مَلكًا هو تَمامُ المِئَة، وجميعُ بلادهم تُزْرَعُ على المَطَرِ في السنةِ

مرَّتين، فَيَحْصلُ لهم مُغَلَّان، وإذا كَثُرَ عندهم نُزُولُ المطَرِ أرسلَ اللهُ الصَّواعقَ، وعندهُم شَجَر الأبَنوس، وهي كبار، وعندهُم القَنا، ومنه صَامتٌ ومنه أجْوَف؛ وعندهم مَعْدنُ حَديدٍ ومَعْدنُ ذَهَب، وفي بعضِ بلادهم مَعْدنُ فضةٍ. ولهم دَجاجُ الحَبَش، وهو بَرِّي، ولهم دَجاجٌ مائي يخرُجُ هو والبَطُّ من بركَةِ ماءٍ في إقليم هَديَّة من بلادِ الزَّيْلع، وهو يتولَّدُ من هذا الماء.

ولهم مِطْران يُولِّيه بِطْريقُ النَّصارَى اليَعَاقبةِ من مصرَ بأمر السُّلطانِ بعد سُؤال الحَطِّي في ذلك وإرساله الهدية.

والحَبَشةُ هُم وَلدُ كُوشِ بن حَام بن نُوح عليه السلام، ويقال لهم حَبَش بفَتْح الحَاء والباء، وحُبْش بضَمِّ الحاءِ وسكون الباء.

٣١٧- إسحاق بن عاصم بن محمد الأصبهانيُّ، شَيْخُ الشُّيوخِ، نِظَامُ الدِّينِ ابن مَجد الدِّين ابن سَعْد الدِّين القُرَشيُّ(١).

رأسَ في بلادهِ، ثـم قَدِمَ القاهرةَ قَديمًا، واستقَرَّ في مَشْيَخةِ الخَانكاه النَّاصريةِ بسِرياقُوس، ووُصفَ بشَيخ مشايخ الإسلام، وتَوجهَ إلى بلادِ الهندِ في الرِّسالةِ، وعـادَ بمالٍ عَظَيمٍ، فحدَّثني المَشْيخةُ أنه أهْدَى الذَّهبَ في الأطْباقِ إلى عُظماءِ الدَّولة، وعَمَّر خانكاه بالقُرب من قَلْعَةِ الجَبَلِ على شَرَف تـدُلُّ عِمَارتُها على عُلُـوِّ هِمَّته، ووَقَفَ عليها أوقافًا فـي سَنَةِ ثلاثٍ وخمسين وسبـع مئة، وتُوفـي في المحرم سنةَ ثمانين وسبع مئـة، وقد تقدَّمَ ذكـرُ وَلدِهِ جَلالِ الدِّيـن أحمد بن إسحاق(٢).

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢/ ٤٦١، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٥١٨، وإنباء الغمر ٢/ ٦٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢١٧، والدليل الشافي ١/ ١١٧، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ٢٨٦ و٣٠٠.

(٢) الترجمة ٢٧٢.

٣١٨- إسكندرُ بن قَرَا يوسف بن قَرا محمد بن بيْرَم خُجا التُّركُمانيُّ، صَاحبُ تَوريز[(١)].

لما ماتَ أبوهُ قَرَا يوسف في سنةِ ثلاثٍ وعشرين وثماني مئة كان هو ببغداد مع أخيهِ شاه محمد، فسارَ لما بَلَغه موتُ أبيه نحو ماردين، فأخذَ الموصلَ وإرْبلَ من نُوابِ أبيه، ونزلَ الجَزيرةَ، فقوَّاهُ صاحِبُها بعَسْكرٍ وسارَ إلى مَاردين، وكان قد مَلَكها بعدَ الصَّالح شهاب الدِّين أحمد بن إسكندرَ بن الصالحِ الأميرُ قَرا يوسف نحوَ خمسَ عشرةَ سنةً، والأميرُ عثمان ابن حاج قُطْلُوبَك المعروفُ بِقَرايُلُك صاحبُ آمد يحاصرها ويقاتلُ نوابَ قَرا يوسف وينْهبُ مُعَامَلاتها، ويُخربُ أعمالها، ورَعاياها تشكُو إلى قَرا يوسف ما هُم فيه من البَلاءِ، فيُغيرُ بنَفْسهِ على مُعامَلَةِ آمد، ويحاصر قِلاَع قَرايُلُك حتى ماتَ، فلما نَزلَ إسكندرُ على ماردين رَكب إليه قَرايُلُك ولَقيه على الدَّيْرونةِ فيما بين الجزيرة وماردين، فتقَاتَلا مدَّةَ أربعين يومًا، حتى خامَرَ أميرٌ من أُمراءِ قَرايُلُك يقالُ له كُك جَامُوسي الذَّكَري، وصارَ إلى إسكندرَ، فقَوي به وهَزَم قَرايُلُك، فلَحقَ ببلده آمد، ومضى إسكندرُ فَمَلَكَ ماردين وقلعتها، وأقامَ بها ستةَ عَشرَ يومًا، فقدم أخوه أصبهانُ بن قَرا يوسف من تَوريزَ فارًا من سُلطانِ مُعين الدين شاه رُخ ابن الأمير تيْمور مَلكِ المَشْرق، ومعه عسكرٌ كبير ليأخُذَ آمدَ من قَرَايُلُك، وبعثَ يَسْتَدعي أخاه إسكندر، فخرجَ من ماردين حتى لَقيه ونَازلا بعَسْكَرَيهما آمد، وبها قَرايُلُك حتى ألجآهُ إلى أنْ فَرَّ في طائفةٍ بعد أن أقامَ بآمدَ من يَحْفَظُها له، ولحقَ بشاه رُخّ، وكان قد سارَ من هَراةَ لمحارَبَةِ قَرا يوسف فبلَغَه في أثْناءِ طَريقهِ أنه قد ماتَ، فجدَّ في مَسيرهِ حتى دخلَ تَوريز ومعه قَرَايُلُك في سنةِ ست وعشرين، فلما بلغ ذلك إسكندرَ وأصبهانَ

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٣/ ١٠٦٤، وإنباء الغمر ٩/ ٢١، ولحظ الألحاظ ٣١٧، والنجوم الزاهرة ١٥/ ٢٢٠، والدليل الشافي ١/ ١١٤، والضوء اللامع ٢/ ٢٨٠، ووجيز الكلام ٢/ ٥٦٠.

تَرَكا حِصَارَ آمدَ وسارا بجَمائِعهما يُريدانِ مُحارَبةَ شاه رُخ، فتلاقَوْا على سَلَماس من مُعامَلةِ تَوريز، واقْتَتَلُوا مدَّةَ عشرين يومًا، فكانت النُّصْرةُ لشاه رُخ، وانهزَمَ إسْكندرُ في ثلاثَةٍ من فُرْسانه، وتمزقت عساكرُه، وكان شاه رُخ قد صَفَّ وقْتَ القِتالِ أربعينَ فيلاً، وجعلها كلَّها مُسَلْسلةً بسلاسِلَ من حديد، وأوقَفَ حريمه من وَراءِ الفِيلَة، فعادَ إسكندرُ بعدَ هزيمته، وهَجَم بمفرده على الفِيلَة وضَرَب السِّلْسلةَ بسَيْفهِ ضربةً مُنْكرةً قدَّها نصفين، وعَبَرَ إلى حَريم شاه رُخ وأخذَ منهُنَّ ابنَةَ أخيه، وأرْدَفَها خَلْفَه على الفَرَس، وسارَ يُريدُ الجزيرةَ، وقد انْخلَعَ كَتِفُه من تِلْكَ الضَّربة، والتصقَ السيف بكفِّه وهو قابضٌ عليه بأصابعه من الدَّم. فلم يزل كذلكَ ثلاثةَ أيام وهو سائقٌ بالمرأةِ حتى اطمأن؛ ثم عمِلَ يده في ماءٍ حارٍّ إلى أن انْحلَّ الدمُ وخرجَ السيفُ من قَبْضته.

هذا وقد خَرَّب شاه رُخ معامَلَةَ تَوريز، واستَصْفَى أموالَ أهْلها، وعادَ إلى بلاده، وقد أنعمَ على قَرايُلُك بمالٍ عَظِيم وأعادَه إلى آمِد.

وأما أصبهانُ فإنه مَر في الهَزيمَةِ إلى قَلْعةِ كاوُلي من مُعامَلَةِ تَوريز، وكان لأبيه قرَا يوسف بها أموالٌ جَمة، فنزَلَها وأنْفَق في العساكر، وسارَ إلى تَوريز بعدَ رحيلِ شاه رُخ، وأقامَ بها، فلما بلَغَ ذلك إسكندر وهو مقيمٌ بالجزيرةِ سار منها حتى دَخلَ تَوريز، فلم ينازِعْهُ أصبهانُ وأقامَ معه، ثم إنه بعثَ إلى مَاردين بأميرٍ يقال له ناصر، فأخَذَها الإسكندرُ، وأقامَ بها تسع سنين، وقرايُلُك يحاصرُه ويُخرِّب معامَلَته، فاتفق في بَعْضِ الأيام أن ناصرًا ظَفرَ في قِتالهِ لقَرايُلُك بوَلَده حمزةَ فسجنه عنده، فأقامَ في سِجْنه سنةً وأربعةَ أشهر، وأبوه قرايُلُك يحاصرُ مدينةَ ماردين ليُفرجَ عن وَلَده، إلى أن كان يومُ الأحدِ أولُ المحرم سنةَ خمسٍ وثلاثينَ نزل ناصرٌ من القَلْعَةِ في سبعةَ عشرَ فارسًا، وتركَ عندَ حريمه بها تسعةً وثلاثين رَجُلاً، وتقاتلا على العَادةِ، وكان قد اتفقَ قَرايُلُك مع وَالي القَلْعةِ وجماعة من أخْلاطِ النَّاس ما بَيْنَ مُسْلمين ونصارى على أن يأخُذوا له القَلْعةَ، فلم يَشْعر ناصرٌ إلا وقد أخذَ المذكورون القَلْعةَ وأخْرجُوا حَمزةَ

ابن قرايُلُك من السِّجن وأوقَفُوه على السُّور، ونادَوا بشعاره، فلم يَثْبت، ومَرَّ على وجهِهِ مُنْهزمًا في نَفَرٍ قليل، فدخل قرايُلُك المدينةَ، وأرادَ أن يَصْعدَ إلى القَلْعةِ، فمنعَهُ الجماعةُ ولم يُمكنوه منها، وقَبَضوا على حَمزةَ وأعادُوه إلى السِّجن، وامتنعوا على قَرايُلُك مُدَّةَ عشرةِ أيام، ثم اخْتَلَفوا فيما بينهم وسلموه القَلْعةَ، فملكها وخَرَجت من حِينَئذٍ عن إيالةِ إسْكَندر واستمرَّت بيد قَرايُلُك.

وكان إسكندرُ قد سارَ إلى السُّلْطانيةِ وأخذها بعد حصارٍ طويل من نواب شاه رُخ، وسَبَى حَريمَ جَقْطاي، فسارَ إليه شاه رُخ وقاتَلَه في ذي الحِجةِ سنةَ اثنتين وثلاثين وكسره، فنزلَ الجزيرةَ، وقد تَمزَّق جَمْعُه، ثم سارَ بعدَ شهرين ونزل تَوريز بعد رَحيلِ شاه رُخ عنها وتَخْريبها، وأخذ جميع أموالها وجَلاءِ أهلها، وبعدَ أن اشتدَّ بها الغَلاءُ لعَدَم الأقواتِ حتى أكلَ الناسُ لحومَ الكِلابِ ولحومَ بَني آدمَ؛ إلا أنَّ شاه رُخَ لم يَقْدر على أخذ عدةٍ من حُصُونِ تَوريز، فلما عادَ إسكندرُ إليها أطاعَتْهُ تلكَ الحصونُ بأسْرها فتقوَّى بأموالها وجَدد له عسكرًا إلا قَلْعةَ شاهي، وهي على يَومين من تَوريز، فإنَّ نائبها رمضانَ عَصَى عليه بها لكَثْرةِ ما كان فيها من الأموالِ مع حَريم إسكندرَ، فنزل عليه إسكندرُ وحاصَرَه نحوَ خمس سنين، وهو يُخرج حريمَ إسكندر، ويقيمُ الواحدة بعد الوَاحدةِ على سُورِ الحصن ويَفْسُقُ بها وهو يَراه، فما زال على ذلك حتى نَفدَت أزْوادهُ وهَلَك كثيرٌ ممن عنده، ثم هلَكَ هو، فملَكَ إسكندرُ الحِصْنَ في سَنةِ سَبْعٍ وثلاثين وسارَ إلى شَماخي وشروان فحاربَ متمَلِّكها خليلَ بن إبراهيم شَيخَ الدَّرْبندي مُدةً.

فلما كان في بَعضِ الأيام مضى إلى الصَّيْدِ، فاغتَنَم خليلٌ غيبتَه وكَبَس على مُعَسْكره فأسر ابن إسكندر وابْنَتَه وزوجَتَه وقَتَل وأسر وغَنِم، ثم عاد فأوْقَف البِنْتَ والزّوجَةَ في خَرابات مَدينتهِ للبغاءِ بهما، وجَهَّزَ الابن إلى شاه رُخ، فأكرمه وصَيره في جُمْلته. ولما عاد إسكندرُ من

الصَّيد وبَلَغه ما حلَّ بابنته وزوجتِهِ، ألحَّ في مُحاصَرَة شَماخي ومُحاربة خَليلٍ حتى مَلَكَ المدينة وقد فَرَّ خَليلٌ إلى جَزيرة، فامْتَنَع بها وبعث يَسْتَنجدُ بشاه رُخ ويترامى على الخَاتُون زَوْجته ويَعدها بجواهرَ نفيسةٍ، فقامت في أمْره مع شاه رُخ قيامًا زَائدًا حتى قالت له: أنا أسير إليه بالعَسْكرِ، فسار مـن هَراة في ثاني عشرَ شهرِ ربيع الأوّل سنة ثمان وثلاثين يريدُ محارَبةَ إسكندرَ بعدَ ما حمل ابن إسْكندرَ إلى سَمَرْقَنْد لِيُحْبَسَ بها.

هذا وقد خَرَّبَ إسكندرُ شماخي حتى سَوَّى بها الأرض، ومَلَكَ جميعَ ما فيها، وقَتَلَ، وأسَرَ ما شاءَ اللهُ، وممَّن أسره ابنةُ خليل وزَوْجتَهُ، فأوْقَفَهما للبغاء بهما، وألْزَمَهما بأن يَطأ كُلَّ واحدة منهما في كل يوم خمسونَ رَجُلاً وكان شاه رُخ قد جَهَّزَ من أمرائِهِ لُقمانَ إلى تَوريزَ، فخرَّبَ ما قد بقِيَ فيها بحيثُ دَمَّرها عن آخِرها، فلما بلغَ إسْكندرَ مَسيرُ شاه رُخ من هَراةَ لمحاربته في عساكرَ عَظيمةٍ، وأنَّه نادى بأخْذِ عَسكره أُهْبَةَ أربع سنين، وأنه لما نزَل قَزْوين جَهز أميرَ الأُمراء فيروزَ شاه على عسكرٍ كبيرٍ لأخْذِ بغداد من أصبهانَ ابن قَرا يوسف، وأنه نادى في مملكةِ قَزْوين إلى السُّلطانية وتَوريز وعامةِ بلادِ العراق، بأنْ يزْرعَ الناسُ الأراضي ويَغْرسُوا البَساتينَ ويَعمُروا الخَراب، وأنَّ خراجَ الأراضي مَوضوعٌ عنهم فيما زرَعُوه خمس سنين، ومن عَجزَ عن الزِّراعة فليَحْضُر لِيُدْفَعَ له من الخِزَانَةِ السُّلطانية ما يَحتاجُ إليه من المالِ في ذلك، ولا يُطالبُ به إلا بعدَ خَمسِ سنين، فانهزمَ إسكندرُ بما معه من الأمْوالِ وغيرِها، يريدُ ديارَ بكرٍ، فكتب شاه رُخ إلى الأميرِ عُثمانَ المعروف بقَرايُلُك يأمُرهُ بأنْ يَسير بأولادِهِ وجمائِعِه إلى قِتالِ إسكندرَ، فبادَرَ بمكاتَبَةِ وَلدِهِ الأميرِ محمدٍ صاحب قَلْعةِ كَسُك، وقد انضمَّ إلى الأميرِ جَانبَك الصُّوفي لما ظَهَر، ووافَقَه صاحبُ تُوْقات وغيرُه من أُمراءِ التُّرْكُمان يأمُره بالحضورِ إليه، فتَركَ جانبَكَ الصُّوفي وسارَ إلى أبيه قرايُلُك، فحَشَد قرايُلُك وسارَ إلى لقاء إسْكندرَ في جمْعٍ كبير، فتلاقَيا في صَفَر سنةَ تِسْعٍ وثلاثين قريبًا من أرْزَن الروم، وقد

أكمنَ إسْكندر كَمينًا فيه عَددٌ كثير، فاستقلَّ قرايُلُك عَسكر إسْكندرَ واقتحم بنَفْسه عليه، فبينا الحربُ قائمةٌ إذ خرجَ الكَمينُ عليه، فانهزَم أصحابُ قرايُلُك عنه فنجا بحُشَاشَته يريدُ مدينةَ أرْزَن ليمتنع بها والخيلُ في طَلَبه، فلما علمَ أنه مأخُوذٌ لا محالة ألْقَى بنَفْسه عن فَرَسه في خَنْدقِ أرْزَن فهلَكَ، فأخرَجَه بعضُ أولاده من الماءِ ودَفَنه في مَسْجدٍ خارجَ أرْزَن.

ونزلَ إسكندر بعدَ الوَقْعَةِ بثلاثَةِ أيامٍ على أرْزَن، وقد غنمَ وقَتَلَ وأسَرَ ما شاءَ الله، فأخْرَجَ قرايُلُك من مَدْفَنه وقطعَ رأسهُ وبعثَ بها وبعدَّةِ رؤوسٍ إلى السُّلطانِ المَلِك الأشرفِ بَرْسَباي مَلِكِ مِصْرَ والشَّام، فقَدِمَ عسكرٌ من قِبلِ شاه رُخ، عليه وَلدهُ محمد جُوكي وبابا حَاجي أحدُ أُمرائه، فسارَ إسْكندرُ لمحارَبَتهما، وواقعَ أوائِلَ العَسكرِ على مَيَّافَارقين، فهزَمَهُم وقَتلَ منهم كثيرًا، ومضى إلى آقْشَهر، وكتبَ إلى السُّلطان بمصرَ يعرِّفُه ذلك، فأُجيبَ بالشُّكر والثَّناء، وأنَّه إن احتاجَ إلى القُدوم على السُّلطانِ فليَنْزل بسَرُوج فإني أوافيك، وبعثَ إليه بمالٍ وهَديةٍ، فبلغَ ذلك نحو عَشرةِ آلافِ دينار ذهبًا.

هذا وقد مَضَى الأميرُ محمد جُوكي بعَسْكره إلى أرْزَن كان، فنزلها وفرضَ على النَّاسِ بها مالاً جَبَاه منهم بالعَسْفِ، وتَزوَّج بابْنَةِ قرايُلُك، وأخذَ منها ألفَ حِمْلٍ ما بين دَقيقٍ وشَعير وغير ذلك، فمكرَ بإسكندرَ مُتولي آقشهر، وبعثَ يُعْلمُ محمد جُوكي ولد شاه رُخ بنزُولِ إسْكَندرَ عنده، وكان قد قامَ بخِدْمَةِ إسْكندرَ، فلم يَشْعُر إسْكندرُ إلا بالعَساكرِ قد طَرَقته بَغْتَةً، فتركَ ماله ومَتَاعه وفَر في نَفرٍ يَسير يريدُ بلادَ ابن عثمان، فأخذَ عَسكرُ محمد جُوكي جميعَ ذلك، وعادَ إلى أبيه شاه رُخ وقد نَزَلَ قَرابَاغ ليُشتِّي هناكَ، ونزلَ إسْكندرُ بأوائِلِ بلادِ الرُّوم، وساءَت بها سِيرتهُ فأُخْرجَ منها، وما زالَ مُشَتِّيًا حتى مضى نحو تَوريز، وقد قَواهُ السلطانُ الملك الأشرفُ بهَدِيةٍ جليلة، فخرج إليه أخُوه جهان شاه من تَوريزَ،

وحارَبَه وحصره بقَلْعةِ يَلَنْجي مُدَّةً، فغدرَ به ولدهُ شاه قُوماط وذَبَحه وقد نام وهو سَكْرانُ في ذي القَعْدةِ سنةَ إحدى وأربعين وثماني مئة.

وكان شَرَّ أَهْلِ زمانهِ وأكثرَهم ظُلمًا وفَسادًا وتَخْريبًا للبلاد، مع القُوَّةِ والشَّجاعةِ والجُرْأةِ على مَحارمِ الله، والتهوُّرِ في سَفْكِ الدِّماء.

٣١٩- أسماءُ بنتُ محمد بن عبدالرحمن بن عليّ بن أبي الحسن السُّعُوديِّ المعروف بابن الصَّائغ الحَنَفيُّ[1].

وُلدت بالقاهرةِ يومَ الاثنين الحادي والعشرين من شَهْرِ رَجَب سنةَ سَبْعٍ وأربعين وسبع مئة، وتُوُفِّيت بها ليلةَ الاثنين ثاني عشرَ رَبيعِ الأوَّل سنةَ ثماني مئة. وزُفت بنتَ اثنتي عشرةَ سنةً على رَجُلٍ يُعرف بنجمِ الدِّين المُهَلَّبي، ثم خَلَفَ عليها أبي بعد مفارَقَتهِ لها في محرَّم سنةِ خَمسٍ وستين، وماتَ عنها في شَهْرِ رمضانَ سنةَ تسعٍ وسبعين، وله منها غَيري محمد وحسن، فاتصلت بعده بآخَرَ وولدت منه ابنًا ذكرًا.

وكانت من أفضَلِ نساءِ زمانها دينًا، وعِفَّةً، وصيانةً، وعَقْلاً، ومَعْرفةً، وصَبْرًا، وخبرةً. أقامت بالحُمَّى إحدى وعشرين سنةً وبها ماتت وهي صَابرةٌ غيرُ جازعةٍ ولا مُتَسَخِّطةٍ، وابتُليت في عينها بداء اقْتَضى الحالُ قَطْعَ جَفْنَيها بالحَديد، فلما جاءَ المُعالجُ لذلك كنتُ أنا وأخيها خالي قَوي الدين محمد ابن الصَّائغ معه بمفردنا، فلم تَحْتَج إلى مَسْكِ يَدَيها، بل ثبَتَت لقَصِّهِ جَفْنَيها ولم تتأوه ولا أَنَّت، وما زادت على أن كانت تَنْفُخُ، وكان أمرًا مَهُولاً لم نكد نثبتُ لرؤيته، وصَبَرت هي لِعَظيم ما بُلِيت به. وكانت إذا ذهبت في الأحايين لزيارة قَبْرِ أبيها لا تُسفرُ النِّقابَ عن وَجْهِها وتقول: الأرواح بإزاءِ القُبور، وقالت لي مرةً: ما رأيتُ قَطُّ وجه رجل أجنبي. وكانت تُديمُ قيامَ اللَّيل وصيامَ الاثنين والخميس، وتُواظب على الأوَراد من الذِّكرِ والقِراءةِ، وتُديمُ الإحسانَ

---

(١) ترجمتها في: السلوك ٤/ ١١٠٧، وإنباء الغمر ٣/ ٤١٨.

للأيتام والأرامل والفُقَراء، وحَجت مع الرَّجَبيَّةِ فأنْفقت مالاً كثيرًا في وُجُوهِ البرِّ. وبالجُمْلة فقلَّ ما كان في عَصْرها مثلها.

وابْتُليت مَرَّةً بصُداع مُبَرِّح أعْيَى الأطباء، فرأت في نَومها قائلاً يَصفُ لها هذا الدَّواءَ، وهُو: كابليٌّ مَنْزُوع، وهِنْدي، وسنا مكِّي مُنَقَّى من عِيْدانه، وزَهْرُ بنَفْسج عِرَاقي، واصطوخُودس، من كل واحدٍ أوقيةٌ، وصَنانير نِصْفُ أوقية، يُدق ويُستفُّ منه خمسةُ دَرَاهمَ بمثلها سكر أبيضُ بعد تَقْدمةِ الحِمْيَةِ ثلاثةَ أيام؛ فلما عَمِلَت ذلك بَرِئت عند فَرَاغه، ولقد وصَفَتْهُ مرارًا عديدةً فما أخْطأ ولله الحمدُ.

وأنشدتني قالت: سَمِعتُ أبي يُنْشد:

أحَمامَةَ الوَادي بشَرْقيِّ النَّقا هاكي الشُّجونَ وإنْ عَجَزْتُ فهَاكي
لا تَـدَّعـي وَجْـدًا وأنْـتِ خَليَّـةٌ قـد يُعْـرَفُ البـاكـي مـن المُتَبـاكـي

وسَمِعتهُ يُنْشدُ لنَفْسه:

قلْ للذي نَقَضَ العُهُودَ وخَانا وأمـــالَ نَحْـــوَ العَـــاذلِ الآذانـــا
إنَّ الـذي خَلَـقَ المحبَّـةَ قـادرٌ مـن بَعْـدهـا أنْ يَخْلُـقَ السُّلْـوانـا

وماتَ لها وَلدٌ مرةً فلما عُزِّيَت فيه قالت: ما أحسنَ الصبرَ لولا يُفْني العُمر، وكانت تقولُ: بابٌ مَرْدودٌ، وشَيْطانٌ مَطْرودٌ، وساعَةُ النَّصْرِ ما فيها غَلَبة.

وأخبرتني عن أمِّ حلوة من معارفها أنها رأت بسَاحلِ بُولاق خارجَ القَاهرةِ امرأةً تَبْكي وتقولُ في دعائها: الذي رَدَّكَ عليّ أولاً يَرُدُّكَ ثانيًا. فسألتها عن ذلك فأشارَت إلى مركبٍ سائرٍ في النيل، وقالت: هذه مَرْكبٌ فيها وَلَدي ولي فيه خَبرٌ عجيبٌ، وهو أني سرتُ مع أبيه في بَحْرِ المالح إلى اليَمَنِ، وركبنا البحرَ إلى الهندِ وأنا حاملٌ به، فانكسرت السفينةُ وهلَكَ كلٌّ من فيها، وصِرتُ أنا على لَوْح، والأمواجُ تدفَعُني حتى ألْقَتْني بجزيرة، فبينا أنا على البرِّ بها إذا بشيءٍ يدفَعُه الموجُ، فتَناولتهُ فإذا أنا من هَوْلِ ما مرَّ بي ألقيتُ الحَمْلَ من بَطْني وأنا لا أشعرُ، وقد نَزَلَ في بُرْنُسٍ

فلم يُصِبْهُ الماءُ، فضممتهُ إلي وأقمتُ بالجزيرةِ ما شاءَ اللهُ إلى أن مَرَّت بي مَرْكب، فصحتُ بأهْلِها حتى أتَوْني واحتملوني وسَتَروني بشيء، وكان فيهم من عَرَف زَوْجي، وذكرَ أنه يعرفُ لهُ مالاً ببعضِ بلادِ الهندِ، فسلمَ اللهُ وعبرنا تلكَ البَلْدةَ، فأخذَ لي منها مَبْلَغًا، ووجَدتُ أهلها يستخدمونَ في مهنتهم القرودَ، فاشتريتُ لي قردًا ليخدمَني، وسرتُ معهم من البَلَدِ، فمروا في سَيْرهم إلى مَغَاصِ اللؤلؤ، فلما رأى القردُ الرجالَ تَغُوصُ في البَحْرِ وتَطْلُعُ بالصَّدَفِ التي فيها اللؤلؤ صار ينزلُ من مؤَخَّرِ المركبِ ويغوصُ ثم يَطْلعُ لي بالصَّدفِ وهم لا يَرَوْنه، فوجدتُ فيها من اللؤلؤ الكبار عدَّةً فأخفيتُها، وسَلَّم اللهُ حتى عدتُ به إلى القَاهرة وربيتُه حتى كَبُر، ودفعتُ إليه اللُّؤلؤ، فباعَهُ وعملَ له رأسَ مال يتَّجرُ به حتى نَما وكَثُرَ مالُه، وهو أبدًا لا يُسافرُ إلا في البَحْر.

وأخبرتني عن امرأةٍ أنها زَوَّجت ابنَتَها من رجلٍ، فلما بَنى عليها، وأصبحَ إذا هي مَيتَةٌ، فاتهمت أمُّها العريسَ أنه قَتلها وهو يُحاولُ إزالَةَ بَكارتها، واحتملَتْه إلى الوالي، فأمر به أن يُعاقب لِيُقرَّ، فلم يُطِق العُقوبةَ واعترف بأنه قتلها، فأمرَ بتَسْميره، وأن يكونَ جَمَلُه الذي يَحْمله تجاه نَعْش العَروس، فما هو إلا أن جُرِّدَتِ العَرُوس لتُغْسَل إذا حَيةٌ قد اسْتدارَت بعُنُقها، فأسرعَ أهلُ العريسِ إلى الوالي وأعلموه، فكَشَفَ عن البِنْت فإذا الحيةُ قد لَسَعتها، فأَفرَجَ عن الرَّجل، وصارَ أهلُه يُظهرونَ من الفَـرَحِ والسرورِ بخَلاصهِ وسلامَتِهِ أضعافَ مـا تُظْهرُ أمُّ العروس من الحُزْنَ.

وأخبرتني أنَّ من المُجرَّب أنَّه ما غُطِّي مَيْتٌ بثوب إلا وتقطَّعَ سَريعًا ولو كان جديدًا لم يُستعْمل. وأنه ما عُملَ عُرْسٌ وختانٌ معًا إلا وانْتَقَضَ العُرْسُ وافْتَرقَ الزَّوجانِ سريعًا لأنَّه فيه قَطْعٌ ووصل. وأنه ما نزلت بأحدٍ مُصيبةٌ فَعَملَ جيرانُه فرحًا إلا وأُصيبوا عن قَريب.

ومن إنشادها:

عَوَّدُوني الوِصَالَ والوَصْلُ عَذْبُ وَرَمَوْني بالصَّدِّ والصدُّ صَعْبُ
زَعَموا حينَ أزْمَعُوا أنَّ ذَنْبي فَرْطُ حُبِّي لهم وما ذَاكَ ذَنْبُ
لا وَحَقِّ الخُضُوعِ عنْدَ التَّلاقي ما جَزَا من يُحِبُّ إلا يُحَبُّ[1]

٣٢٠- أسماء بنتُ خليل بن كَيكَلْدي بن عبدالله العلائي الشَّافعي، أم محمد بنتُ الحافظِ العَلامة أبي سعيد[2].

وُلدت بدمشقَ سنةَ خمسٍ وعشرين وسبع مئة، وحَضَرت على الحَجَّار، وسَمِعت من أبي التَّائب، وجماعةٍ بإفادة والدها، وحَدَّثت. سَمِعَ منها الرَّحالون.

وتُوفيت ببَيْتِ المقدسِ في شَوَّالِ سنة خمسٍ وتسعين وسبع مئة.

٣٢١- أسماءُ بنتُ أحمد بن محمد بن عثمان الصَّالحيةُ المعروفةُ ببنتِ الحَلَبي[3].

وُلدت بعدَ العشرين وسبع مئة، وأُسْمِعت على الحَجَّار وغيره، وحَدَّثَت.

تُوفيت في ثالث عشر المحرَّم سنةَ أربعٍ وثماني مئة.

٣٢٢- أَسَن بنتُ أحمد بن محمود بن حسان الشَّمَّاعُ، أم عبدالله[4].

---

(١) كُتب في حاشية المسودة تعليق نصه: «هذه الأبيات أنشدها دُلف بن جحدر أبو بكر الشبلي الصوفي صاحب الأحوال لأبي القاسم الجنيد، فأجابه الجنيد:
وتمنيت أن أرا ك فلما رأيتكا
غلبت دهشة السرو ر فلم أملك البكا»
والأبيات في وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٢) ترجمتها في: ذيل التقييد ٢/٣٥٨، والدرر الكامنة ١/ ٣٨٤، وإنباء الغمر ٣/١٩٣، ولحظ الألحاظ ١٨٣، والأنس الجليل ١/ ٤٦٨، وشذرات الذهب ٦/ ٣٤٤.

(٣) ترجمتها في: إنباء الغمر ٥/ ٣١، والمعجم المؤسس، الترجمة ٦٠، ولحظ الألحاظ ٢٠٢، والضوء اللامع ١٢/ ٦.

(٤) ترجمتها في: الدرر الكامنة ١/ ٤١٥، والمجمع المؤسس، الترجمة ٦١. =

وُلدت في حُدود العشرين وسبع مئة، وأُسمعت على أسدِ الدِّين عبدالقادر بن عبدالعزيز ابن الملك المُعظم ابن المَلكِ العادل، وعلى ابن أبي التَّائب، وأسماء بنت صَصْرَى، وأبي بكر ابن الرَّضي في آخرين. وحدثت بالكثير.

تُوفِّيت في أوائلِ سنة ثمانٍ وتسعين وسبع مئة.

٣٢٣- أمةُ القاهرِ بنت رَضيِّ الدِّين قاسم بن محمد بن عُمر بن إلياسِ بن الرَّشيدِ البَعْلَبَكيَّة[١].

وُلدت في سنةِ سبعَ عشرةَ وسبع مئة، وسمعت من القُطْب موسى ابن أبي عبدالله محمد بن أحمد اليُونيني «مَشيختهُ»، والجزءَ الثاني من «جامع مَعْمر» بفَوْتِ ورقة، وغيرَ ذلك.

تُوفِّيت على رأسِ الثماني مئة.

٣٢٤- إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن سعدالله بن جَمَاعةَ بن عليّ بن جَماعةَ بن حَازم بن صَخْر الكِنَانيُّ الحَمَويُّ الأصل، أبو الفِداءِ ابن أبي إسحاق، عمادُ الدِّين ابن الشيخِ العارفِ بُرهانِ الدِّين، الإمامُ المُفْتي خَطيبُ المَسْجِدِ الأقْصَى[٢].

وُلدَ في شَوَّالٍ سنةَ عشر وسبع مئة، وسمعَ بمكة من الرَّضي الطَّبري، وبالقَاهرةِ من أبي الحسن الواني، ومن الجَمالِ[٣]... ابن عبدالله القَزْويني، ومن الجَلالِ الدِّلاصي، خطيب الجامع الأزهر، ومن يوسف الخُتَني، وحَدَّث؛ سمعَ منه الفُضَلاء.

تُوفي ببَيْتِ المقدسِ في شَهْرِ رَبيعٍ الأوَّل سنةَ ستٍّ وسبعين وسبع مئة.

---

(١) ترجمتها في: الدرر الكامنة ١/ ٤٤١، والمجمع المؤسس، الترجمة ٦٢، والضوء اللامع ١٢/ ١٠.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٣٨٧، وإنباء الغمر ١/ ١١٠، والأنس الجليل ٢/ ١٣٧، وشذرات الذهب ٦/ ٢٤١.

(٣) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه.

٣٢٥- إسماعيل بن خَلِيفةَ بن خَليفةَ بن عبدالعال النَّابُلُسيُّ الأصل الحُسْبانيُّ الشافعيُّ، أبو الفِدَاء عمادُ الدين الفَقيهُ العلامةُ، شيخُ الشافعية بدمشق[1].

وُلدَ سنةَ ثمان عشرةَ وسبع مئة تخمينًا، وتفقه ببيت المَقْدس على العَلاَّمة تَقيِّ الدين القَرْقَشندي، وتخرَّجَ به. ثم قَدِمَ دمشقَ في سنةِ ثمانٍ وثلاثين فسَمِعَ بها من زَينب بنتِ الكمال، ومن أبي العَباسِ أحمد بن عليٍّ الجَزَري. ولَزِم الفَخْرَ المِصْري، والتاج المَرَّاكُشي، وانتفعَ بهما كثيرًا، وبشَيْخِ الإسلام تقيِّ الدين السُّبْكي حتى بَرَعَ في المَذْهَب.

وكان مشهورًا بجَودَة النظر وصحَّةِ الفَهْم وفِقْه النفس والذَّكاء وحُسنِ المناظرةِ والبَحْث. دَرَّسَ، وأفْتَى، وأفاد، وجمعَ شَرْحًا بديعًا على «المِنْهاج» تَتمَّةً على شَرْحِ التَّقي السُّبْكي، ولم يُبَيِّضه. وحَدَّث؛ سمعَ منه الفُضلاء، وتفقه به جماعةٌ.

توفي بدمشق يومَ السبت ثامن ذي القَعْدةِ سنةَ ثمانٍ وسبعين وسبع مئة. وهو والد الشيخ شهاب الدين أحمد الحُسْباني المقدَّم ذِكْره[2].

٣٢٦- إسماعيل بن عليّ بن الحسن بن سعيد بن صَالح القَرْقَشنديُّ المصْريُّ الشافعيُّ، أبو الفِدَاء تَقيُّ الدين، الفَقيهُ العَلاَّمَةُ شَيْخُ بيتِ المَقْدِسِ[3].

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٢٩٨، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٤٥٠، وذيل التقييد ١/ ٤٦٦، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات سنة ٧٧٨)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٣٥، والدرر الكامنة ١/ ٣٩٠، وإنباء الغمر ١/ ٢٠٣، ووجيز الكلام ١/ ٢٢٥، والدارس ١/ ٢٠٠، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ١٩٨، وشذرات الذهب ٦/ ٢٥٦، والحُسْباني: بضم الحاء وسكون السين المهملتين، نسبة إلى مدينة حُسْبان، قيده السيد الزبيدي في «حسب» من التاج.

(٢) الترجمة ٢٨٦.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٢٩٨، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٤٣٤، وذيل التقييد ١/ ٤٧٠، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٨)، والدرر الكامنة ١/ ٣٩٥، وإنباء الغمر ١/ ٢٠٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٤٤، والدليل الشافي ١/ ١٢٦، =

وُلدَ سنةَ اثنتين وسبع مئة، وسمعَ بالقَاهرةِ «صحيحَ البُخاري» على وَزيرة، والحَجَّار. واشتغلَ وحَصَّل. ثم قَدِمَ دمشقَ بعد الثلاثين وسبع مئة فأخذَ عن الفَخْرِ المِصْري، وأذن له بالإفْتاءِ. ثم سكن بيتَ المَقْدِسِ، ووَلِيَ تدريسَ الصَّلاحية، وتَصدَّى لنَشْرِ العلم، فانْتَفعَ به خلقٌ كثير. وكان حافظًا للمذهب، مُثابرًا على أفعال الخير، وحَدَّث.

وتُوفي بها في سادسِ جُمادى الآخرةِ سنةَ ثمانٍ وسبعين وسبع مئة.

٣٢٧- إسماعيل بن عُمر بن كَثيرِ بن ضوء بن كَثير بن ذُرع القُرشيُّ البُصْرَويُّ ثم الدِّمشقيُّ الشافعيُّ، أبو الفداءِ عمادُ الدين ابن الخَطيب شهابِ الدين أبي حَفص، الحافظُ الفَقيهُ العَلامة، شَيْخُنا ذو الفُنُون[١].

وُلدَ في سنةِ إحدى وسبع مئة، وقيل: في سنةِ سبع، وقيل في سنة ثلاث، والأول أصحُّ، وكانت بمُجَيْدل القُرَية من عَمَلِ بُصْرى. ونشأ بدمشقَ وقد قَدِمَها ولهُ سَبْعُ سنين، وسمع بها من عيسى المُطَعِّم، وأحمد ابن الشِّحنة[٢] والقاسم بن عَساكر، وابن الشِّيرازي، وإسحاق الآمدي،

= ووجيز الكلام ١/ ٢٢٦، والأنس الجليل ٢/ ١٥٩، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ١٩٨، وشذرات الذهب ٦/ ٢٥٦.

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ٢٠٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٥٠٨، والمعجم المختص، الترجمة ٨٦، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ٥٧، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٥٨، وذيل التقييد ١/ ٤٧١، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٤)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٣٧، والدرر الكامنة ١/ ٣٩٩، وإنباء الغمر ١/ ٣٩، والمعجم المؤسس، الترجمة ٢٩٦، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣، ووجيز الكلام ١/ ١٩٢، وذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ٣٦١، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥٢٩، والدارس ١/ ٣٦، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ١١٦، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ١١٠، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣١، والبدر الطالع ١/ ١٥٣.

(٢) هكذا سماه هنا، وهو أحمد بن أبي طالب بن نعمة الحجار.

ومحمد ابن الزَّرَّاد، في آخرين. وأجازَ له من مِصْرَ أبو الفَتْح محمد الدَّبُّوسِي، وعليّ بن عُمر الوَاني، ويوسف الخُتَني، وغير واحد. ولازم الحافظ جمال الدين المِزِّي كثيرًا، وانْتفعَ به، وتزَوَّجَ بابْنَتهِ[1].

وتفقه وبَرَعَ في فُنونٍ بملازَمَةِ شَيْخِ الإسلام تقي الدِّين ابن تيمية، وصَنفَ التصانيفَ المُفيدَة وهي: «التَّفْسيرُ الكبير»، و«طَبقاتُ الفُقهاء الشَّافعية»، و«مَنَاقِبُ الشافعي»، وكتابُ «البِدَاية والنهاية» في التَّاريخ. وخرَّجَ أحاديثَ «مُخْتَصَر ابن الحاجب»، وكتَبَ على «البُخاري» ولم يُكْمله. وكتب كتابًا كبيرًا في الأحكام، عملَ منه مُجَلَّدين في الطَّهارة، ومُجَلَّدًا من الصلاة، ولم يكمل. وله «جامعُ المسانيد»[2].

وكان حافظًا مُتْقنًا حسن الأخلاق، جميل المُعاشَرةِ، مُتواضعًا، كثيرَ الاستحضار.

ذكره الحافظُ أبو عبدالله الذَّهبي في «معجمه المختص»، فقال[3]: الإمامُ الفقيهُ المحدثُ البارعُ عمادُ الدين، دَرَسَ الفقه، ويَفْهم العربيةَ والأُصُولَ ويحفظُ جُملةً صالحةً[4] من المُتُونِ والرِّجال وأحوالهم، وله حفظٌ ومَعْرفة.

وكانت وفاتُه بدمشقَ في يوم الخميس سادس عشر شعبان سنةَ أربع وسبعين وسبع مئة بدمشقَ، ولم يُخَلِّف بعده مِثْلَهُ. سَمِعتُ عليه بعدمًا كُفَّ بَصَرُه الحديثَ المُسَلسل بالأولياتِ، وأجازَ لي مَسْمُوعاته ومَرْوياته.

٣٢٨- إسماعيل بن عيسى بن عُمر بن عيسى الحَلَبيُّ البَارينيُّ، أبو الفِداءِ عمادُ الدين[5].

---

(١) هي زينب، وكانت عالمة فاضلة.

(٢) هو «جامع المسانيد والسنن»، وهو كتاب ضخم طبع أخيرًا.

(٣) المعجم المختص، الترجمة ٨٦.

(٤) ليست في جـ، وهي ثابتة في أ، والمعجم المختص.

(٥) ترجمته في: الدر المنتخب، الترجمة ٣٠٤، والدرر الكامنة ١/ ٤٠١.

سَمِعَ بحلبَ من العِزِّ إبراهيم بن صالح ابن العَجَمي، وحدَّث، وقَدِمَ القاهرةَ فنابَ في الحُكْمِ بالمحلةِ الغَربيَّةِ وغيرها. وتَصدَّى بالقَاهرةِ للإفادةِ فقرأتُ عليه الفرائض.

توفي[1] ....

٣٢٩- إسماعيل بن عباس بن عليّ بن داود بن يوسف بن عُمر ابن عليّ بن رَسُول، واسمه محمد بن هارون بن أبي الفتح بن نوحي ابن رُسْتُم التُّركمانيُّ الأصل اليمانيُّ، الملك الأشرف ممهد الدين أبو الفداء ابن الأفضل ابن المجاهد سيف الإسلام أبي يحيى ابن المؤيد هِزَبْر الدين ابن المظفر شمس الدين ابن المنصور نور الدين، صاحب تَعز وزَبيد وعَدَن وغيرها من بلاد اليمن[2].

ولد سنةَ ست وستين وسبع مئة، ونشأ في حِجْر المملكة؛ فلما مات أبوه في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين قُرِّرَ في المَمْلكة بعده، وقام بتدبير الأمور خالُـهُ عبدالعزيز الجَحْفَليُّ[3]، وكان أكبر الأمراء، ووالدتُهُ، ويقال لها جهة طي، وكانت كثيرة البرِّ والإحسان للجُنْد والتألُّفِ لهم، فاستقرت لهم المملكة، وجَهزوا مَحْمَلَ الحاج في البَرِّ إلى مكة في تلك السنة وما بعدها، وخُطب له بمكة بعدَ صاحب مصرَ، كعادةِ أبيه، وآخرُ ما جُهِّزَ المَحْملُ إلى مكة في البرِّ سنة ثماني مئة، ولم يُجَهز بعدها.

فلما كانت سنةُ اثنتين وثمانين ثار جماعةٌ من الجُندِ، وأرادوا الفَتْكَ

---

(١) بيَّض المصنف بعد هذا. وذكر الحافظ ابن حجر في «الدرر» أنه توفي سنة ٧٧١ هـ.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٣/ ١٠٧٤، والعقود اللؤلؤية ٢/ ١٦٣، وإنباء الغمر ٤/ ٢٦٤، وذيل الدرر، الترجمة ٩٨، والدليل الشافي ١/ ١٢٤، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥، والضوء اللامع ٢/ ٢٩٩، ووجيز الكلام ١/ ٣٥٩، ونزهة النفوس والأبدان ٢/ ١٣٢، وشذرات الذهب ٧/ ٢٦.

(٣) في حاشية أ: «نسبة إلى طائفة من العرب يقال لها الجحافلة».

بالأشرف وإقامةَ خاله في المملكةِ، لميلهم إليه، ولأن الأشرفَ كان شابًا مَحْجُوبًا مُقْبلاً على اللهو، فانتصر له جماعة من أكابرِ الأمراء، وهزموا القومَ إلى حِصْن الدملوة، وهو بأعالي جبال تَعِز، فأغرى الأشرفُ بهم العَرَبَ فمنعوهم المِيرَة، وحاصروهم حتى نزلوا على الأمان، فأتوا إلى الأشرف فعفا عنهم واستصلحهم، وذلك في آخر سنة ثلاث وثمانين. ثم خرج عليه عرب المعازبة - بالعين المهملة والزاي - وهم بتهامة، فطالت محاربتهُ لهم إلى أن كُسرت شَوْكَتُهم ودَانَت له المملكةُ وثبتَ سُلطانُه، إلى أن تحرَّكَ الإمامُ صلاحُ بن عليّ صاحبُ صنعاءَ وصَعْدَة لحربه بعد سنَةِ تسعين، ونزلَ على عَدَنٍ وحَصَرها حتى ملكها، وسارَ إلى زَبيدٍ فنازلها وحارب الأشْرَفَ مرارًا، ثم أفْرجَ عنها، وعاد إلى بلاده من التَّهايم، فهادنَه الأشرفُ مدَّةَ حياتِه.

ثم ماتَ الأشْرفُ في ليلةِ السبت ثامن عشر ربيع الأول سنةَ ثلاثٍ وثماني مئة، ودُفنَ بمدرسته التي أنشأها بمَدينَةِ تعز، وله من العُمر سبعٌ وثَلاثون سنة، ومُدَّةُ ملكه نحوُ خَمسٍ وعشرين سنة.

وكان حسنَ الخطِّ، جَيِّدَ الفهمِ، ينظمُ شِعْرًا وسطًا يُسْتكثَر على مِثْله. وكان مُغْرىً بجَمْع الكُتب؛ أخبرني نجمُ الدين المَرْجاني، وكان قَدِمَ علينا بالقاهرةَ لشراءِ كُتُبٍ للأشرف، فسألتُه عن مِقْدارِ كُتبه فقال لي: «خزانة كُتُبه مِقْدار حارةٍ».

وكَتَبَ إليّ الحافظُ قاضي القُضاةِ أبو الفَضْلِ أحمد ابن حَجر، قال: أخبرني الجمالُ المِصْري أنه أمرَ بقراءةِ «صحيح مسلم» على شيخنا المَجْد[1]، التمسَ منه شيئًا من النُّسَخِ الصَّحيحةِ والشروح قال: فوجهني إلى الحِصْن بتعز، فاستَخْرَجتُ منه من هذا النوع خاصةً حِمْلَ جَمل. قال الحافظ شهابُ الدين ابن حَجر: رأيتُ أناَ هذا الحِصْنَ وحَزَرتُ الكُتبَ التي فيه نحوَ الخَمْسةِ آلاف، تزيدُ قليلاً، ولكني ما

---

(١) هو مجد الدين الفيروزآبادي الشيرازي صاحب «القاموس المحيط».

تمكَّنْتُ من تَقْلِيبها لإعْجالِ الذي أرانيه.

وكان يُكرمُ الغُرباءَ، خُصُوصًا الأُدباء، وكان يُصَيِّفُ بتعز، وهي أشبهُ شيء ببعضِ بلادِ الشام، ويُشَتِّي بزَبيد، وهي أشْبَه شيء ببلادِ الحِجاز، وما بين تعز وآخر مَمْلكتهِ من جهة الحجاز قدرُ عشرين مَرْحلة، له في كُلِّ منزلةٍ قَصْرٌ مُكَمَّلُ الآلة، إذا ركب من قَصْر نزلَ بقَصْر. وكان تارةً يركبُ فرسًا، وتارةً يركبُ حمارًا فارهًا، وتارةً في المَحْملِ. وقَدِمَ عَلينا القاهرةَ تاريخٌ في عدَّةِ مُجَلداتٍ من تَصْنيفه[1] وفيه بخطه: «قال الأشرفُ كذا» بدلاً من قَوْلِ بعضهم: «قُلت» وقامَ من بعده في المَملكةِ ابنه الناصرُ أحمد. وقد ذكرتُ أباه وجَدَّه وبَنيه في مواضِعِهم من هذا الكتاب.

٣٣٠- إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالصَّمَد الهاشميُّ العَقيليُّ الجَبَرْتيُّ الصُّوفيُّ الشافعيُّ نَزيل زَبيد[2].

وُلدَ بزَبيد في شَعبان سنةَ اثنتين وعشرين وسبع مئة، ونشأ ببلده، وحَفظَ القُرآن الكريم، وتمذهَب للشافعي رحمه الله، وتَصوَّفَ. وقَدِمَ إلى بلاد اليمن، وسكن زَبيد، وعُرفَ بالتَّنسُّكِ والعِبادةِ ومُلازمةِ الأورادِ والذِّكْرِ وتَعْظيم كَلامِ العارف مُحْيي الدين محمد ابن العَرَبي الصُّوفي، والاعتناء بكتابه المسمى «بالفُصُوص» والدُّعاء لاتِّباعِهِ، وإلزامِ أتباعهِ أن ينظُروا فيه، حتى أنَّ من لم يكن منهم عنده نُسخةٌ من «الفُصوص» مقتهُ. وكان يلازمُ عَمَلَ السَّماعِ في مَسْجده بعدما تجرَّد، ومرت في تجرُّده شدائد.

---

(١) هو كتاب «العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك»، طبع منه مجلد ببغداد سنة ١٩٧٥.

(٢) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٨٠٦)، وإنباء الغمر ٥/ ١٦٢، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٥٨، وذيل الدرر، الترجمة ١٩٨، والضوء اللامع ٢/ ٢٨٢، ووجيز الكلام ١/ ٣٧٤، والبدر الطالع ١/ ١٣٩.

وأولُ ما ظهرَ أمرُه وانتشرَ ذكرهُ لما نَزلَ الإمامُ صلاحُ بن عليّ الزَّيْدي صاحبُ صَنعاءَ على زَبيدٍ وحَصَرها وقاتل أهلها، فقامَ في أثناءِ هذا الحصارِ وأشارَ بعُكازِه إلى جِهَةِ الإمام، فاتَّفقَ رحيلُه في تلكَ الساعةِ عن البلد، وعَوْدُه إلى بلده، فانعقدَ الأشرَفُ إسماعيل صاحبُ تَعز وزَبيد على اعتقادِ ولايتهِ واشتدَّ على محبَّتهِ، ورأى وأصحابُه أنَّ رحيلَ الإمام إنما كان هزيمةً من عُكازِ إسماعيل هذا، فقَرَّبه وهو يتباعدُ عنه، لكنه قَرَّرَ عنده من تلاميذه الأخَصَّاء به أربعةً وهم: عبداللطيف بن سالم المكي، والجمال محمد بن أبي بكر المِصْري، ومحيي الدين أحمد بن أبي بكر ويدعى شهابَ الدين الرَّداد، والشيخُ محمد المِزْجاجي، فلازَموه ونادَمُوهُ واختصُّوا به، وقرَّروا عنده تعظيمَ ابن العَربي وقبولَ كلامه، فاشتُهِرَ كلامُه بعامةِ بلادِ اليَمَن. وولى الأشْرفُ وظيفةَ الشَّدِّ، وهي في مَقام الوزارةِ بديارِ مصر، لعَبْدِاللطيف، واستقر الجمال محمد المِصْريَ سَفيرًا للأشْرَفِ في الأُمورِ المُهِمَّةِ، ونَظيرُ ذلك بمصرَ نَظَر الخاص، فقَويَ الصوفيةُ بهم، وصاروا أَهلَ الحَلِّ والعَقْد، وأخذَ الفُقهاءُ في الإنْكارِ عليهم، وقامَ الشيخُ صالحٌ المِصْري بمناصَبَتهم، فأخرجُوه إلى الهِنْد. ثم قامَ عليهم الفَقيهُ أحمد النَّاشري قاضي الشَّرْع، وهو كخليفةِ الحُكْم عندنا، فطالَ نزاعُه معهم وتصميمهُ على الإنكارِ عليهم، وما زالَ أمرُ إسماعيلَ وأتباعه قويًا حتى ماتَ بزَبيدٍ في ليلة الأربعاء سابع رجب سنةَ ستٍّ وثماني مئة.

وكان كثيرَ العبادَةِ والتألُّه، كثيرَ الخُشوع والرقةِ، لا تزالُ دموعُه تفيضُ، ويتنوَّعُ بكاؤُه من القِلَّةِ والكَثْرةِ بحسبِ الحال، وما بَكَى قَطُّ عاليًا إلا وأبكى من حَضَر وانْتَحبَ. وكان شديدَ الخَوفِ من الله، حتى كأن ليس له حسنة، مع حُسن الظن بالله، تُؤْثَرُ عنه كراماتٌ عَديدة، حسن الملبس، لا يتَقَشَّف فيه، سَمْحَ اليَدِ بما يَردُ إليه، باذلاً لجاهِهِ، مُهابًا، حسن الخُلُق، كثيرَ السَّعي في حوائج النَّاسِ، سَيُوسًا، لا يزال عمره مَشْغُولاً بالله، متحققًا بمقامِ الذِّكْرِ حتى إذا نامَ سُمِعَ منه قول: «الله الله».

وكان مربيًا مُسَلِّكًا.

وحدَّث بالإجازَةِ العامةِ عن القاسم بن المظفرِ ابن عساكر، وبالإجازَةِ الخاصةِ عن الحافظِ شمسِ الدين أبي بكر ابن المحبِّ المَقْدسي ثم الصَّالحي وعن ابن المَنْبجي، وابن الصَّيْرفي، وغيرهما. وكان لَهجًا بقراءَةِ سُورة «يس» والأمرِ بقراءتها في كل حركةٍ، حتى كان من طَلَبَ منه حاجةً أو شكا من شيء يقولُ له: اقرأ «يس»، أو يَقرؤُها هو ومن حَضَره ويدعو، فَجُرِّبَت بَرَكَتُها وأنها لِمَا قُرِئَت لـه. وكان إذا فرغَ من دفنِ الميت وانفَضَّ النَّاسُ وقَفَ وكَرَرَ قراءة «يس» وقال: إنها تؤنسُه من وَحْشَةِ المَلَكين.

وجمعَ له شيخُنا مَجْدُ الدين الفيروزآباذي جُزءًا في فَضْلِ «يس».

ومن كلامه: اطْلُبِ الله تعالى، وإن أعطاكَ خلةَ إبراهيم، ومكالمةَ موسى فاطلب ما وراء ذلك.

وقال: كنتُ ليسَ في الأعمالِ اختيار إنما كانت أعمالي بحكم الوَاردات.

وكان يقول: نحنُ آل ياسين.

وقال: الغرباءُ هُم الذين يأتُونَ من الله تعالى بما لم يأتِ به غيرُهم، فيكونونَ من أهْلِ زمانهم الواصِلِينَ إلى الله تعالى غرباء.

وقال: من اتَّسَعَ علمُهُ وَسِعَ الخَلْقَ، ومن ألزَمَهُ اللهُ تعالى دَوامَ النَّظَرِ إليه لا يَرى إلا الله تعالى، وفِعلَه وما تم أحسنُ من دَوام الحضُور مع الله، ومن لا قيدَ له لا إطلاقَ له. ومن لا شَريعةَ له لا حَقيقةَ له. العارفُ من يتخلَّقُ بأخلاقِ الله تعالى مع كُلِّ أحدٍ، ويَصْحَبُ كلَّ أحدٍ. السعادةُ الكبرى أن يكونَ أكبرَ هَمِّك اللهُ وكلامُه.

وكراماتُه كثيرةٌ وقَفْتُ عليها في كتابٍ كبيرٍ جدًا يشتملُ على تِسع وعشرين كُرَّاسةً كبارًا في فوائِدَ جَمة. جمعَه محمد بن أبي بكر بن أحمد ابن الأشكل، وسَماه «فيضَ الوَهْبِ الإلهي الأقْدَسِ على سِرِّ مظهر شيخ الإسلام إسماعيل الجَبَرتي بالفَيْض المُقَدّس».

٣٣١- إسماعيل بن عليّ بن محمد بن داود بن شمس بن عبدالله بن رُسْتُم البَيْضاويُّ ثم المكيُّ الزَّمْزَميُّ، مجدُ الدين أبو الطَّاهر[١].

ولدَ سنةَ سَبْعٍ وستين وسبع مئة بمكةَ شَرَّفها الله تعالى، وسمعَ بها وبالقَاهرةِ على جماعَةٍ، ووَلِيَ سِقايَةَ زَمْزَم بعدَ أبيه حتى ماتَ يومَ الأحدِ ثالثَ عشري شوال سنة ثمانٍ وثلاثين وثماني مئة بمكة، ودُفن بالمَعْلاةِ، ولهُ شعرٌ أنشدنيه مرارًا. ونِعْمَ الرَّجلُ كان.

٣٣٢- إسماعيل بن محمد بن بَرْدس بن نَصْر بن بَرْدس بن رَسْلان، عمادُ الدين أبو الفِدا البَعْلَبكيُّ الحَنْبليُّ[٢].

وُلدَ سنةَ عشرين وسبع مئة وتُوفي سنةَ ست وثمانين وسبع مئة. وكان فقيهًا مُقْرئًا صالحًا يُتَبَرَّكُ به. وله مُصَنفاتٌ وشِعْر.

٣٣٣- إسماعيل بن عليّ بن سَنْجَر بن عبدالله، عَلمُ الدين أبو الطاهر الذَّهبيُّ[٣].

عُني به الحافظُ أبو عبدالله الذهبي، وهو ابن خالهِ فأسْمعهُ الكثيرَ على مشايخه، وهو من المُكثرين. حدَّث، وماتَ في ثالث شعبان سنةَ إحدى وستين وسبع مئة.

٣٣٤- إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن عُلْوان القُرشيُّ الدِّمشقيُّ، صَفيُّ الدين ابن الدَّرَجيِّ[٤].

سَمِعَ على عبدالرحمن بن عليّ بن المُسَلَّم «سُنن أبي داود»، وماتَ في صَفَرٍ سنةَ أربعٍ وستين وسبع مئة.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ٣٦٠، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٣٦، والضوء اللامع ٢/ ٣٠٢، وشذرات الذهب ٧/ ٢٢٦.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٤٠٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٤٠، ووجيز الكلام ١/ ٢٧٠، ولحظ الألحاظ ١٦٦، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨٧.

(٣) ترجمته في: وفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٢٣٢، والدرر الكامنة ١/ ٣٩٦.

(٤) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٤٦٤.

٣٣٥- إسماعيل بن عُمر بن إسماعيل بن السِّيد - سين مُهْملة مكسُورة ثم ياء آخر الحروف - واسمُه جعفرُ بن إبراهيم، عمادُ الدين أبو محمد الصَّفار العامليُّ[(١)].

مولدُه سنة سبع عشرة وسبع مئة. سَمعَ على الحَجَّار أكثر «مُسْند الدَّارمي»، والجُزء الأول والثاني من «عَوالي طِراد الزَّيْنبي»، وحَدَّث بهما.

توفي في جُمادى سنة إحدى وثماني مئة.

٣٣٦- إسماعيل بن إبراهيم بن مَروان الخَليلي[(٢)].

وُلدَ سنةَ ثمانٍ وأربعين وسبع مئة، وسمعَ على المَيْدُومي.

تُوفي في سنة خمسٍ وعشرين وثماني مئة.

٣٣٧- إسماعيل بن عليّ بن محمد البقاعيُّ، أبو الخَيْر الدِّمشقيُّ الشافعيُّ[(٣)].

كَتَبَ الخَطَّ المَنْسوبَ، ونظمَ الشعرَ المَقْبول، وقرأ الحديثَ وغيره على سبيل الوَعْظ وتَعْليم العامةِ أمرَ دينهم. وكان مُتَدَيِّنًا.

ماتَ في المحرَّم سنةَ ستٍّ وثماني مئة.

٣٣٨- إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عليِّ بن موسى الكِنَاني البِلْبيسيُّ، قاضي القُضاة مجدُ الدين الحَنَفيُّ[(٤)].

---

(١) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٤٧١، وإنباء الغمر ٤/ ٤٩، والمجمع المؤسس، الترجمة ٥٩، والضوء اللامع ٢/ ٣٠٤.

(٢) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٥٨، والضوء اللامع ٢/ ٢٨٨، والأنس الجليل ٢/ ١٦٨. ووقع في جـ «الحلبي»، وهو تحريف.

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ١٦٥، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٣٨، والضوء اللامع ٢/ ٣٠٣.

(٤) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٤٦٢، وإنباء الغمر ٤/ ١٥٨، ورفع الإصر ١/ ١١٦، والمجمع المؤسس، الترجمة ٥٧، والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٧، والدليل الشافي ١/ ١٢١، والضوء اللامع ٢/ ٢٨٦، ووجيز الكلام ١/ ٣٤٧، =

وُلدَ في ليلةِ التاسع من شعبان سنةَ تسعٍ وعشرين وسبع مئة، ورَافق المحدث جمال الدين الزَّيْلعي في السَّماعِ فَسمعَ بقراءته كثيرًا، وطلبَ بنفسه أيضًا فسَمِعَ على عبدالرحمن بنَ محمد بن عبدالحميد بن عبدالهادي «صَحيحَ مُسلم»، وعلى زَين الدِّين عبدالرحمن ابن الحافظ جمال الدين أبي الحَجَّاج المِزِّي، والمحدِّث زَين الدين أبي بكر بن قاسم الرَّحبي «سنن ابن ماجة»، وعلى نَجْم الدين إبراهيم التَّفْلِيسي، وصَدْرِ الدين أبي الفَتْح محمد بن محمد المَيْدومي «جُزءَ البطاقَة»، وفي شُيوخه كَثرةٌ.

وتفقه على مَذْهب أبي حنيفةَ، وبَرَعَ في الفَرائضِ والحِسَاب والأدب، وشارك في عِلْمِ الحديث والنَّحو والقراءات، وكَتَبَ تذكرةً تشتمل على فنونٍ، واختصر «الأنساب» للرُّشاطي، وجمع كتابًا في الفرائض. وباشر توقيعَ الحُكْم زمانًا فَدَربَ ذلك دُربةً جَيّدةً. ثم نابَ عن قُضاةِ الحَنفيةِ بالقَاهرةِ مُدَّةَ أعوامٍ، ثم شَجرَ بينه وبين قاضي القُضاة شمس الدين محمد الطرابُلُسي مخاصمةٌ فلم يَسْتَنْبِهُ ولَزمَ دارهُ على أخْمَلِ حالٍ عِدَّةَ سنين إلى أن تحدث له بعض الأمراء مع الظاهرِ بَرْقُوق في ولايةِ قَضاءِ الحنفيةِ، فأجابَ إلى ذلك واستدعاه من مُعْتكفه بالمدرسةِ الطيبَرْسية بجوارِ الجامع الأزهر في يوم الاثنين سابعَ عشر شهر رَمضانَ سنةَ اثنتين وتسعين وسبع مئة، وخَلعَ عليه وولاّهُ قضاءَ القُضاةِ الحَنفية بديارِ مِصْرَ عوضًا عن قاضي القُضاةِ شمس الدين محمد الطرابُلُسي، فباشرَ القضاءَ مباشرةَ من لن تساعدهُ الأقدارُ، فركبه المَنْصبُ وكَثُرَ تخوُّفُه من الطرابُلُسي، وصارَ يَعْتلُّ فيما يُسألُ فيه بأنَّ الطرابُلُسي ورائي، فوَقفَت أحوالُ الناس، وذَمَّهُ في ولايَته من كان بالأمْسِ عليه ثانيًا، وخَذَله من لم يَزَل له ناصرًا، وقَلاهُ أصحابُهُ، ووَقَعَ فيه أعيانُ البَلَدِ من يُبْس قَلَمِهِ وعَدَم تصرُّفه ورَدِّه للشَّفَاعاتِ إلى أن عَمِلَ عليه جمال الدين محمود القَيْصَري

= وحسن المحاضرة ١/ ٤٧٢، وشذرات الذهب ٧/ ١٦، ونزهة النفوس ١/ ٣١٢ و٣٣١.

ناظرُ الجَيش، وأشاعَ أنه يَتَبَرَّمُ من السَّفَر مع السُّلطان إلى الشام، ويُريدُ الإعْفاءَ من المَنْصبِ، وكان السلطانُ قد عَزَمَ على السفَر، ومحمودٌ يرومُ أن يُضافَ إليه مَنْصبُ القضاء، ولا يُطيقُ مناوَأةَ الطَّرابُلُسي، فلما صُرِفَ بالمَجْد إسماعيل وعَرفَ أنه ارْتَبكَ في المَنْصبِ وفشل، تَعَمَّلَ في ولايته القَضاءَ بما ذكرنا، وأعانه على ذلك أن المَجْدَ كان قد بَدُنَ وتزايدَ سمَنُه إلى الغَايَةِ حتى صارَ إذا أرادَ أن يَنْهضَ قائمًا يَعْتمدُ على يَدَيْهِ ويَرْفَعُ عجيزتَه عن الأرض، ويظلُّ ساعةً ويَديه ورجليه على الأرض وعجيزتُه مرتفعةٌ حتى يستطيعَ أن يَقُوم، وفعلَ ذلك غيرَ مَرَّةٍ في مَجْلسِ السُّلْطان. فبلغَ محمودٌ من كَيدِه بالمَجْدِ ما أراد، وظنَّ السلطانُ الأمرَ كما قال، وأعانه عليه قومٌ آخرون، فصرفه مع إجْلاله له وتَعْظيمِهِ إياه، فإنه لم يكن ممن كَتبَ لِمنْطَاشَ في الفَتَاوى التي كتبت فيها الفُقهاءُ بإباحَةِ قتال بَرْقَوقَ وقَتْلِهِ، وسأله السُّلْطانُ عن عَدمِ كتابَتِهِ مع الفُقهاءِ، فقال: اسْتَتَرْتُ في مَنْزلي وتَغَيبتُ عندما طُلبتُ فأُعْجِبَ بذلك.

وكان صَرْفُه يومَ الثلاثاء خامس عشر شعبان سنةَ ثلاثٍ وتسعين قَبْلَ أن يُكملَ سنةً، فأقامَ في منزلِهِ خاملاً لا يُؤْبَه له ولا يُلتَفَتُ إليه، وعَلَتْ سنه، وضَعُفَ بدنُه، وأهرمَهُ الهَمُّ من مُقاساةِ آلام الفَقْر، وثِقَلِ الجناحِ بكَثْرةِ العيال، فقد نُور عينيه، وساءَت حالُه إلى أن مات أوَّلَ شَهْرِ ربيعٍ الأوَّل سنة اثنتين وثماني مئة.

وكان رحمه الله مُتَثَبِّتًا في التَّحديث لا يحدِّثُ إلا من أصله، جميلَ العِشْرةِ، فكه المحاضرَةِ، بَهجَ الزِّيِّ، إمامًا يُقْتَدى به في معرفَةِ الشُّروطِ والوثَائقِ، صَدْرًا من صُدُورِ المِصْرِ، علامةً في الفرائِضِ والحسابِ المَفْتُوح، عنهُ أخذتُ ذلك، وقرأتُ عليه كتابَ «التكملة في عِلْمِ الحساب» لعبدالقاهر الجُرْجاني، أحدَ مشايخ الحديثِ المُتَصَدِّرينَ للإسماع. حدَّثَ بكثيرٍ من كُتُبِ الحديث، فسمعتُ عليه جميعَ كتابِ «السننِ» لأبي داود، وجميعَ كتابِ «جامع أبي عيسى الترمذي»، وجميعَ كتابِ «السيرة» لعبدالملك بن هشام؛ وأجازني بكتابِ «حِلْية الأولياء»

لأبي نُعيم بروايته له سماعًا عن المَيْدومي، قال: أخبرنا النجيب عن اللبان، قال: أخبرنا الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم. وبكتابِ «الدُّعاء» للمُحَاسبي[1] بسماعه على عبدالرحمن بن محمد بن عبدالهادي، قال: أخبرنا أحمد بن عبدالدائم، قال: أخبرنا عبدالله بن أحمد الطوسي، قال: أخبرنا نصر بن البَطِر، قال: أخبرنا أبو محمد ابن البيِّع، عنه.

وهو أحدُ فُقهاءِ الحنفية الذين يُرْجع إلى فُتْياهم، وأحدُ الأدَباءِ المصَنِّفين، ناوَلَني ديوانَهُ الذي جمعه لنَفْسه فاخترتُ منه قولهُ:

يا عَاتبًا ما رَاقَني بِوِصَالِهِ يَوْمًا ولم أظْفَرْ بحُسنِ تَعَطُّفِ
وأذابَني إبْعادُهُ وصُدُودُهُ إنْ لم تكن مَرأى لعيني أنتَ في

ومنه:

إذا شِئْتَ أن تَبْقَى من المالِ مُعْدَما فكُن قائلاً للشِّعْر أو كُن مُعَلِّما
وإنْ تَكُ نَسَّاخًا فذَاكَ محارُفٌ وأعْظَمُ من هذا تكُونُ مُنَجِّمًا

وقال:

إنْ كُنْتَ يومًا كاتبًا رُقْعَة تَبْغي بها نُجْحَ وُصُولِ الطَّلَب
إيَّاكَ أنْ تُعْربَ ألْفاظَها فَتكْتَسي حِرْفَةَ أهْلِ الأدَب

وقال:

لا تَحْسَبنَّ الشِّعْرَ فَضْلاً بارعًا ما الشِّعرُ إلا مِحْنَةٌ وخَيَالُ
فالهَجْوُ قَذْفٌ والرِّثاءُ نِياحَةٌ والعَتْبُ ضِغْنٌ والمَدِيحُ سُؤالُ

وقال:

أقولُ لهُ ياحَمْدُ ارفق بِمُغْرَمٍ تَيَتَّمَ إذ أصبحتَ مالكَ رِقِّهِ
تحَنَّفَ دَهْرًا في هَواكَ وإنه تَشَفَّعَ خَوْفَ الاعْتِزالِ بِعِتْقِهِ

---

(١) في جـ: «المحاسني»، خطأ بين، وهو الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد المشهور، قيل له ذلك لأنه كان يحاسب نفسه، كما في «المحاسبي» من «الأنساب» و«اللباب».

وقال في الأنساب:

قُلِ الجذمُ والجُمهورُ والشِّعبُ يا فَتَى قبـائـلُ عَمـارٍ بُطـونٌ أفَـاضـل
بَلَـى ذَاكَ فخـذٌ سَـابعٌ ثـم ثـامنٌ عشيـرٌ فَصيـلٌ ثـم رَهْـطٌ أسـافـلُ

وله دُوبيت:

كَـمْ أطلُـب قُـرْبَـه وكـم يُبعـدنـي بـالنـارِ مـن الصـدودِ كـم يُـوعـدنـي
بـالنَّـوْحِ وبـالبُكـا مـن يُسْعـدنـي إن مِـتُّ بُحبِّـه فمـا أسْعَـدَنـي

وقال يَهْجو رَجُلاً كان يُعرَفُ بالبَيْرمي وهو تَخَيُّلٌ بديعٌ:

لِعَمـائـمِ الهِنْـدِ المكـرَّمِ رفْعَـةٌ ولمَعْبَـرٍ فَضْـلٌ بِشَـاشٍ مُعْلَـمِ
ولَفـائـفٌ بـالشـام فيهـا غِلْظَـةٌ والخِـزْيَ والإبعـادَ نـالَ البَيْـرَمـي

وقال مُلْغِزًا في صِل:

مـا اسْـمٌ بطـرْدٍ وعكـسٍ منـه يُـرَى فيـه حَيْـفُ
حَـرْفـان كـلٌ سَـواءٌ اسْـمٌ وفعـلٌ وحَـرْفُ

وقال في صَقْر:

مـا اسْـمٌ إذا صَحَّفْتَـه يكـون شَهْـرًا مُعْـربًـا
وإن عَكَسْـتَ شكلَـهُ يَصِيـرُ فِعْـلاً مُطـربًـا

وقال غَزلاً في خليل:

وُصِفْـتَ بحُسـنٍ يـا خليـلُ وفِطْنَـةٍ فـأوْجَـبَ هـذا أن تكـونَ خَلِيلـي
ولَسْتُ أُرجِّي ذاكَ في الحَالِ إنما أُرجِّيـه فـي حـالٍ يكـونُ خَلـي لـي

وقال وقد ماتَ ابنهُ إبراهيم:

لـم أنـس نَجْـلاً قـد ذُبحتُ لِفَقـدهِ إذ مـاتَ مَطْعُـونًـا وأشْمـتَ بي العِـدا
واحْسـرتـاهُ حيـنَ أسكـنُ سَحْـرةً لـم أفْـدِهِ وأنـا الـذَّبيـحُ أبـو الفِـدا

وقال:

تَقَلَّلْتُ من وَزْني قَريضًا ودِرْهمًا وقد نَفِدَت من بَيتِ مالي الذَّخائرُ
وها أنا عن أهْلِ القَريضِ بِمَعْزلٍ فَلَسْـتُ بـوزانٍ ومـا أنـا شَـاعـرُ

وشعرُه كثيرٌ، وأدبُه غزيرٌ، وعلمُهُ جَمٌّ غيرُ يسير. ولقد صَحِبْتُه عِدةَ أعوام، وأخذتُ عنه فوائدَ، وكان لي به أُنْسٌ، وللناسِ بوُجوده جمالٌ، إلا أنه امْتُحِن بالقَضاءِ في دُنياهُ كما امْتُحنَ به ابن المَيْلَق في دينهِ، وكانا في ولايتهما كما قال الآخر:

تــولاهَــا ولَيْــسَ لــه عَــدوٌّ   وفَــارقَهــا ولَيْــسَ لــه صَــديــقُ

رحمهما اللهُ وعَفا عَنْهُما.

٣٣٩- إسماعيل بن يوسف الأنْبَابيُّ، الشيخُ المُعتَقَدُ، المَشْهُورُ[١].

أحدُ من تَستغيثُ به العَامَّةُ إذا مَسَّها الضُّرُّ، وتَجأرُ إليه. يَزْعُمونَ أن سِرَّه يجلُبُ إليهم النفعَ، ويَدْفع عنهم السُّوء والمكْرُوه. عادةُ سُوء في سُفهاءِ أهْلِ مصرَ، عافَانَا الله منها.

كان أبُوه أحدَ الفُقراء السُّطوحية[٢]، وله سُمْعةٌ وشُهْرَةٌ بناحيَة أنْبوبَة[٣] من بر الجِيزَةِ غَرْبي القاهرة، وله بها زاويةٌ، فنشأ إسماعيلُ واشْتغَلَ بالفِقْهِ على مَذْهَبِ الشافعي، رحمةُ الله عليه، وأقْبلَ الناسُ لِزيارَتهِ بعدَ موتِ أبيه، وتبرَّكُوا به، وصارَ يعملُ المولدَ النبويَّ في كُلِّ سنةٍ، فينتابُه الناسُ من الأقطارِ، ويُرحلُ إليه من الأطرافِ، ويَخرُجُ بَياضُ أهْلِ مِصْرَ والقاهرة إليه، وتُضرَبُ بظاهرِ زاويتهِ الخِيم، ويُعقدُ سُوق، ويَجْتمعُ من النِّسوانِ والشبان خلقٌ كثير، فأذْكُرُ أنه عَمِلَ المَوْلدَ على

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢/ ٥٨٧، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٥٣، والدرر الكامنة ١/ ٤١٠، وإنباء الغمر ٢/ ٢٩٧، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣١٥، والدليل الشافي ١/ ١٣١، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ١٦٩ و١٨٠، وحسن المحاضرة ١/ ٥٢٧، وشذرات الذهب ٦/ ٣١١.

(٢) السطوحية: فرقة صوفية تُنسب إلى أحمد البدوي السطوحي، سمي بذاك للزومه مع مريديه سطح دار ابن شحيط أحد مشايخ طنتدة (طنطا) لا يبرحون ليلاً ولا نهارًا.

(٣) هي المعروفة اليوم بأنبابة.

عادَتهِ في شَهْرِ ربيع الأول من سنةِ تسعين وسبع مئة، فهُرِعَ الناسُ لحضورِ المُجتمع حتى غَصَّ الفَضاءُ بكَثْرةِ العالم، وتَنوَّعوا تلكَ الليلة في الفُسوق لكثرةِ اختلاطِ النِّسوانِ والمُرْدانِ بأهْلِ الخَلاعَةِ، فتواتَرَ الخبرُ أنه وُجدَ في صَبيحةِ تلك الليلة من جرارِ الخَمْرِ التي شُربت بالليلِ فوقَ الخمسين فارغةً مُلقاةً حَوْلَ الزَّاوية في المَزارِع، واقتُضَّت تلكَ الليلةَ عِدَّةُ أبكار، وأوقدت شمُوعٌ بمالٍ كثير، فبعثَ الله يومَ الأحد بُكرةً صَباحَ ليلةِ المَولدِ المذكورِ قاصفًا من الريح كدَّرت على من كان هُناك، وسَفَت في وُجُوهِهم التُّرابَ، واقْتَلَعتِ الخيم، ولم يَقْدر أحدٌ على رُكوبِ النِّيل، ولم يَعُد يُعْملُ بعدها مَولد، فإنَّ الشيخَ ماتَ آخرَ شعبان سنةَ تسعينَ وسبع مئة، ودُفنَ بزاويته.

وقد اجتمعتُ به فلم أرَ فيه ما يَقْتَضي الذَّمَّ ولا المَدْحَ سوى أنه كان يَمد يده لمن يأتيه حتى يُقَبِّلَها، وظهر لي منه أنه حَريصٌ على الرياسة، غفر الله له.

٣٤٠- إسماعيل بن أبي الحسن بن عليّ بن عبدالله، الشيخُ مجدُ الدين البَرْماوي(١).

وُلدَ في حُدودِ الخمسين وسبع مئة، وتفقه على مشايخ عَصْره، وسمعَ الحديث، ولازم شيخَ الإسلام البُلْقيني، وحَصَّل كثيرًا، وشارَكَ في عدَّةِ فُنونٍ من فِقْهٍ وأصولٍ ونحوٍ وغير ذلك. وكَتبَ بخطِّهِ، وخَطَبَ بجامعِ عَمرو بمصرَ، وشَغَّلَ الطلبَةَ دَهْرًا؛ وتردَّدَ إليَّ عِدةَ سنين، وَلي به أُنسٌ.

تُوفي يومَ الأحد رابعَ عشر جُمادى الأُولى سنةَ أربعٍ وثلاثين وثماني مئة عن بِضْعٍ وسبعين سنة. ولهُ مَجاميعُ مُفيدة.

---

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٨٦١، وإنباء الغمر ٨/ ٢٣٩، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٣٧، والضوء اللامع ٢/ ٢٩٥، ووجيز الكلام ٢/ ٥١٤، وبدائع الزهور ٢/ ١٣٧. وحسن المحاضرة ١/ ٤٤، وشذرات الذهب ٧/ ٢٠٨.

٣٤١- إسماعيل بن أحمد بن عبدالوهاب، القاضي تاجُ الدين أبو الفِدا، ابن الخُطبا المَخْزوميُّ الحَنفيُّ، خالُ أمي[١].

وُلدَ بالقاهرةِ أعوامَ بِضْع وعشرين وسبع مئة، وتُوفي يومَ الاثنين ثاني عشر شَهْر ربيعٍ الآخر سنَةَ ثلاثٍ وثماني مئة بعدما اخْتَلَطَ وأتْلَفَ ماله، وساءت حاله.

وقد نابَ في الحِسْبةِ بالقاهرة عدَّةَ سنين، ونابَ في الحُكْمِ عن قاضي القُضاةِ جمال الدين عبدالله ابن التُّركماني[٢] الحنفي، وكَثُرَ اختصاصُه به وتمكُّنُه منه، وحُظْوتُهُ عنده، وتَصرُّفُه في أحْواله. وكان له ثَراء، وعنده فوائدُ كثيرة.

ولهم سَلفٌ باليمن والحِجازِ ومصر، وعُمِّر أبوهُ مئةً وعشرَ سنين[٣]، قال لي عن أبيه أنه قال له: يا بُنَيَّ لا تَجدُ أنْصحَ لك مني، ولا ترى من جرَّب الدهرَ كما جَرَّبْتُه، أُوصيكَ أن لا تَتَزوَّج أبدًا. قال: فما خَالفتُ وَصيةَ أبي؛ فإنه ما تَزَوجَ في جَميع عُمُره.

وأخبرني أنه كان له هوًى أيامَ صباهُ في بَعْضِ الصُّورِ، فرأى ليلةً في مَنامهِ شَخصًا يُنْشده:

لا أوْحَشَ اللهُ عَيني من مَحاسِنهم ... ولا خَلا مِسْمعي من طَيِّبِ الخَبرِ

فانتبهتُ وأنا أحفظُه بعدَ أن لم أكن سَمِعتُه قط، وتطيَّرتُ من ذلك، فجاءني نعيُ من كنتُ أهواه.

قال: ومما حَفِظتُه في نَوْمي أيضًا، وكأنَّ قائلاً يُنْشدني:

سـلامُ اللهِ طَلْعـةَ كُـلِّ يـومٍ ... على من عندَهُم قَلْبي ورُوحي

وأخبرني أنه ظَهر بَيده مَرَّةً سِلْعةٌ، فَوُصفَ لي في المَنامِ أن

(١) ترجمته في: الضوء اللامع ٢/ ٢٩٠.

(٢) في جـ: «الدكماوي»، وما هنا من أ وهو الذي في الدرر لابن حجر ٢/ ٣٨١، والضوء اللامع ٢/ ٢٩٠.

(٣) في جـ: «وعشرون سنة»، وما أثبتناه من خط المصنف.

يُدغدغَها بأسْنانِه، ثم يَضعَ عليها مِلْحًا ويَشُدَّ فوقها قطعةَ رَصاصٍ، فزالت بعدَ ثلاثِ مَرَّات.

ومن كلامهِ الذي كان يُؤَدِّبنا به: لا تَأْلفوا كلامًا واحدًا يتكرَّر منكم في كلِّ وقتٍ فتُعرَفُوا به، وعن قَليلٍ يَصيرُ لكم لَقبًا تُنْبَزوا به. ولا تَجْعل على كَتفِكَ رَنكًا[1] تُعرفُ به، فمن اشْتُهرَ بشيء عُرِفَ به. وكن كالغُرابِ ينقُرُ ويَطيرُ. ولا تَجْعل نَفْسكَ حكايةً؛ وإذا وقعَ لكَ شيءٌ فاحْكهِ على لسانِ غَيْرك؛ وقُلْ: وقَعَ لشَخصٍ كذا، واحذر أن تَنسبَ ذلك لنَفْسكَ، فإنه متى أعْجَبكَ استحسانُ من يَسمعُ ذلك فَعن قليلٍ يَسُوؤكَ نَقْلهُ عنك. والإشاعةُ تُورثُ قُبْحَ السِّيرَة.

وشيئان يُفسدان الأمور: العَجلةُ والإمهال. وإذا خاصَمكَ أحدٌ فلا تَهْجرهُ، واحرص على مُصالَحَتهِ تُرح نَفْسكَ من الوَحْشةِ التي تُصيبُكَ إذا رأيتَهُ وأنتما مُتهاجران.

وأنشدني، قال: أنشدنا قاضي القُضاةِ عَلاءُ الدين عليُّ التُّركُماني الحنفي، قال: أنشدني ابن البققي لنفسه:

تَعوَّضتُ عن شُربِ الحُميا بِريقهِ ... فلمَّا التحى أصبحتُ ممن يُجانبُه
وكُنتُ أرى ذَاكَ الشَّرابَ بعَيْنه ... حَلالاً إلى أن حَرَّمَ الشُّربَ شاربُه

وقال لي وقد اشتريتُ جاريةً للتَّسرِّي: يا ابن أُختي الجاريةُ مَهْرٌ غالٍ، وفَرْشٌ خَالٍ، وابنٌ بلا خال.

وكان يقول: أصحابُ الإنسانِ من جُملةِ حَظِّه.

واتفقَ له أمرٌ فيه عبرةٌ، وهو أنه كان له عَبدٌ يَخْدمه، فتغيَّرَ عليه مرَّةً وأراد تأديبه، فأسَرَّ إلى بَعضِ أصحابهِ أن يَحْبسه مع المَجانين بالمَارستان، ثم وجه بالعَبدِ إليه في حَاجةٍ، فأخذَ الرَّجلُ ذلك العبدَ وحبَسَه مع المَجانين مُدَّةً ثم أفْرَج عنه، فكان من تَقديرِ الله أنَّ تاجَ الدين تَغيَّرَ عَقْلُه في آخر عُمره، وكان قد باعَ ذلك العَبدَ، فصارَ إلى مُلكي،

---

(١) الرنك: الشعار.

فلما فَحُشَ أمرُه أخذَ ذلك العبدُ في بَعضِ الأيام يُحادثُه ويُماشيه وهو يتأنس به، حتى مَر به بين القَصْرين، وحاذى المارَستان، احتملهُ وعَبَر به إلى قاعَةِ المَجانين فسُجنَ بها مُدَّةً، فصارَ الناسُ يَدْخُلونَ عَليه لِعيادته، فيحدِّثُهم بأنه فَعلَ مع عَبدهِ رشيدٍ حيلةً حتى سُجن هنا، فعُوقب بأن احتالَ عليه رشيدٌ وأدْخَله هنا، ويَبكي، فيبكي النَّاسُ لما يَعلمونَ مما كان فيه وما صارَ إليه، نعوذُ باللهِ من سُوءِ عاقِبَةِ القَضاء.

وأخبرني أنه لما توجه في النيلِ إلى بلاد الصَّعيدِ صَعدَ جَبَلاً ومعه مؤُدِّبي شمس الدين محمد الخَزْرجي فإذا بأعلاهُ شيءٌ من الذرة ومَقثأة مُزْدَرعة، وقد أقبلَ شَخصٌ عليه أطمارٌ رَثَّةٌ، فرحبَ بهما وأخذَ يُطْعمهُما من تلكَ المَقثأة، وذكرَ أنه في هذا الجَبلِ مُدَّةَ ثلاثين سنةٍ لم يرَ أحدًا من النَّاسِ سواهما، وأنه قَدِمَ إليه بقليلٍ من الذُّرة وشيءٍ من لُبِّ الخيارِ فَزَرعه هنا، واللهُ يَسقيه له. قال: فأنسنا به ساعةً، ثم قامَ عنا ومضى قليلاً، ثم عادَ ومعه غزالٌ قد كان نَصبَ له حبالةً، فاستخرجَ النارَ وشَوى لنا من لَحْمهِ، فأكلنا ودَفعتُ إليه مالاً فلم يَقْبله، وقال: لا حاجةَ لي به، لكن إن رأيتَ أن تُعْطيني قليلَ قَمْحٍ أجعلُه عوضَ الذُّرة، فافعل، فأحْضَرتُ له من مَرْكبنا قَمْحًا فلم يأخُذ منه سِوى ستةِ أقْدَاحٍ، وانصرفنا عنه.

وأخبرني أنه رأى ساقيةً على بئرٍ بناحيةِ قَلْيوب إذا أُخذَ منها قطعةُ خَشبٍ ووضعَ في شيءٍ من ذلك الماءِ ليلاً أضاءَ كما يُضيء الجَمر.

وأخبرني عن أبيه، وهو جد أمي لأمِّها، أنه كان قليلَ المال دُونَ أهلهِ، فحجَّ في بعضِ السِّنين، فوجدَ المِسْكَ بمكةَ يُباعُ كُل مثقالٍ بخمسةِ دَرَاهم، فاقْترَض هو وشخصٌ من مَعَارفه نحو المئة ألف درهم، واشتريا بها مِسْكًا، وسارَ مع الركب إلى القاهرة والمِسْكُ مَعهُما على جَمَلين، فاتفقَ أنهما ناما مرَّة في أثناءِ الطريق وقاما فلم يجدا الجَمَلين بحِمْليهما، فضاقت عليهما الأرضُ بما رَحُبت، ومرَّا على وجُوههما في البَرِّية يريدان العَودَ إلى مكةَ فرارًا من صاحبِ المال، فلم يَمضيا عن الرَّكْبِ إلا قليلاً

وإذا بَجَملَيْهما يَرْعيان وعليهما حِمْلاهما، فرَكبا وعادا وسَلَّم اللهُ حتى قَدما القاهرةَ، فإذا المِسْكُ في القاهرةِ بما يَنيفُ على مئةِ درهم المثقال، فكان هذا سبب غِنَى أبيه.

وأخبرني أن بَعضَ الأجنادِ حَدَّثه أنه توجَّه إلى بلادِ الصَّعيد في مركب فيها جماعةٌ، وأنه كان من جُملةِ من كان في السَّفينةِ سائسُ خيل، فأخذُوا ذاتَ يَوْمٍ في اللَّعب، وأقاموا واحدًا منهم حاكمًا، وآخرَ له رُتبةٌ أُخرى، وذلك السائس كأنَّه سارق، فأُقيمَ بين يَدَي الحاكم، وادُّعي عليه بالسَّرقةِ، فاعْتَرَفَ بها. فأمرَ به فَقُيِّدَ بقَيدٍ من حديدٍ في رِجْليه حتى انْقَضى لَعِبهُم، فأخذَ يَسألُ في فَكِّ قَيدهِ عنه، وهم يأبونَ عليه وهو يُلح في السُّؤال، فأخذَ واحدٌ منهم مفتاحَ قُفلِ القَيد ورماه في النِّيل، وهم يَضْحكونَ على السَّائس من كثرةِ خَوْفه وقَلَقه، ثم حاولوا فَتحَ القفلِ فأعياهم حتى أرسوا بسَاحل منيةِ ابن خَصيب، فطلبوا صانعَ الأقفالِ ليفُكَّ قفلَ القَيد، فامتنعَ، وقال: عَليَّ في هذا دَرَك، ولابُد من مُشاورة الوَالي، فاحتاجوا إلى الاجتماع بالوالي، وأعْلَمُوه بالخبر، فأمرَ أن يُحضرَ السائسُ إليه حتى يراه، فأتوه بَه، فأخذَ يسألُه عن شأنه ومن أين جاءَ وأين يُريد، فذكرَ أن أستاذه بعثه ليقبضَ مُغَلَّهُ من البلدِ الفُلاني، فقامَ رَجُلٌ من أجْنادِ الوالي وقال: هذه البَلدُ إقطاعي. فظهَرَ على السائس أثرُ الريبة، فأمرَ الوالي به فعُرِّي من ثيابهِ ليُضربَ، فأقَرَّ أنه سَرقَ عُملةً لأُستاذه وهَرب بها، فأحْضرَ الوالي حوائج السَّائسِ فإذا فيها شيء كثيرٌ من المَصاغ وحُليِّ النِّساء ومَبْلغٌ جيد من المالِ، فقطعَ يده في الحَالِ، وأخذَ في إرسَالِ ذلك الموجُودِ لأُستاذِ السَّايس.

٣٤٢- إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانيء، سريُّ الدين أبو الوليد ابن بدر الدين أبي عبدالله اللَّخْميُّ الأندلُسيُّ المالكيُّ[١].

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١/ ١٨٦، ووفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٣٥٢، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٢٩١، وغاية النهاية ١/ ١٦٨، وذيل التقييد ١/ ٤٧٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧١)، والدرر الكامنة ١/ ٤٠٦، ووجيز الكلام =

تَنقل في البلاد وبَرَع في العَربيةِ واللُّغةِ وعِلْمِ الأدب، وشارك في فُنون، وشَرح كتاب «التَّلْقين» لأبي البَقاء[1] وغيره من كُتُب النحو. وحدَّث «بالمُوطَّأ» عن[2]. . . وسكن مدينَة حماةَ مدَّةً متصدِّيًا للإشغالِ والإفادة، وباشر قضاءَ المالكية بها، ثم بدمشقَ، ثم أُعيد إلى قَضاءِ حماةَ، وقدم منها إلى القاهرة لأمر عزله، فمات بها في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وسبع مئة.

٣٤٣- إسماعيل بن محمد بن أبي العز بن صالح بن أبي العز، عمادُ الدِّين أبو الفداءِ ابن شَرف الدِّين أبي البركات، المعروفُ بابن أبي العز، الحَنفيُّ[3].

وُلدَ قبلَ سنةِ سبع مئة، وبرع في الفِقْهِ والأُصول، وشارَك في فنونٍ، وصَنَّف، ونابَ في الحُكْمِ بدمشق، ثم استَقلَّ بقضَاءِ القُضاةِ الحَنفيةِ بها عِوَضًا عن[4].

٣٤٤- إسماعيل بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبدالله، شرفُ الدِّين المعروفُ بابن المقرىء، العُذريُّ الشَّاوريُّ الشَّرجيُّ اليمانيُّ الشافعيُّ[5].

= ١/ ١٧٨، وبغية الوعاة ١/ ٤٥٦، وبدائع الزهور ١/ ٢/ ٩٨، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ١١٢، وشذرات الذهب ٦/ ٢٢٠.

(١) أبو البقاء العكبري، وهو كتاب في النحو.

(٢) بياض قدر كلمة، وفي الدرر الكامنة ١/ ٤٠٦، وشذرات الذهب ٦/ ٢٢٠، أنه حدث بالموطأ عـن ابن جزي.

(٣) ترجمته في: السلوك ٣/ ٤٦١، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٦٨، والدرر الكامنة ١/ ٤٠٥، وإنباء الغمر ٢/ ٦٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢١٦، ووجيز الكلام ١/ ٢٥٧، وشذرات الذهب ٦/ ٢٧٩.

(٤) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه. وكانت وفاة المترجم سنة ٧٨٣ هـ، وكان يعرف بابن الكشك.

(٥) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ٣٠٩، والدليل الشافي ١/ ١٢٢، والضوء اللامع ٢/ ٢٩٢، ووجيز الكلام ٢/ ٥٣٠، وبغية الوعاة ١/ ٤٤٤، وشذرات الذهب =

وُلِدَ بالشَّرْجة من بلاد اليمن في سنة خمسٍ وخمسين وسبع مئة، وأقامَ ببَيتِ حُسين حتى هاجرَ إلى الأشرفِ إسماعيل في سنةِ اثنتين وثمانين. وقد بَرَع في علم الفِقْه والأدب، وسكنَ زَبيد، واشتغلَ على فُضلاءِ عَصره، واختصَّ بصُحْبةِ قاضي الأقضية جمال الدِّين أبي عبدالله الرَّيْمي فقيه اليمن في عصره، وشارح «التنبيه» في عشرين مُجلدةً، وكان يكرمُه ويقدِّمُه، فولِّيَ تدريسَ المدرسةِ المُجاهديةِ ونَظرها ونَظَرَ عدة مدارسَ، فبلغَ معلومُهُ في كلِّ سنةٍ أربع مئة دينار يمانية.

وعانى الأدبَ فنظم الشِّعرَ الجَيِّد، ومدحَ الملكَ الأشرفَ صاحبَ اليمن وغيره، وعارض «لاميَّة العجم» بقَصيدةٍ على وَزْنها وطريقتها جيدة، وله أخرى عارضَ بها أبا الفَتح البُسْتيَّ في قصيدَته المَشْهورةِ التي أوَّلها:

زيادةُ المَرءِ في دُنياهُ نُقْصانُ

كُلها حكمٌ وآدابٌ؛ وذكرَ أن شيخهُ امتحنهُ في مسألةِ الماء المشمس فعملها بطريقِ الضَّربِ والقِسْمةِ فبلغت أوجهُ الخلافِ فيها خمسةَ آلافِ ألف وجه وزيادة، ولخصَ بيانَ ذلك في صفحةٍ واحدة، فلما ماتَ الرَّيْمي تَرشَّح للولايةِ مكانه، فاتفقَ قُدومُ شيخنا مَجدِ الدِّين الشِّيرازي من الهند، وكان له ببلادِ اليمن سُمْعةٌ عظيمةٌ، فسُرَّ الملكُ الأشرفُ بقُدُومه، وتلقَّاه بالبرِّ والكَرامةِ، حتى أنَّه صَنَّف له كتابًا نسخهُ في أربع مجلَّداتٍ، وأهداها له في أربعةِ أطباقٍ، فملأ له الأطباقَ دراهم، الصَّرفة عنها من الذَّهب المَخْتوم ألفًا[1] وثلاث مئة مِثْقال، فاستمر الشيخُ بزبيد. وصَنَّف كتابَ «عُنوان الشَّرفِ الوافي في الفِقْه والنَّحْوِ والتَّاريخ والعَرُوضِ والقَوافي» وهو ترتيبٌ بديعٌ، فإنَّ علومهُ الأربعة مَرْمُوزةٌ وأصله في الفقه، وكان سَببُ وضعهِ هذا الكتابَ أنَّه رأى كتابَ الشيخ مَجدِ الدِّين، وأولُ سُطورهِ كلِّها ألفٌ، فاستعظَمَهُ الملكُ الأشرفُ، فعَملَ شرفُ الدِّين «عنوانَ

= ٧/ ٢٢٠، والبدر الطالع ١/ ٨٩، وروضات الجنات ١١٤.

(١) هكذا في أ وجـ، وصوابه: ألفان.

الشَّرف» وهو من العَجائب.

وقَدم إلى القاهرة واشتُهر بها، وعَملَ أيضًا «بَديعيَّةً» على طريقةِ الصَّفي الحلي، والتَزَمَ أن يكونَ في كلِّ بيتٍ تَوْريةٌ زيادةً على النَّوعِ البَديعي الملتَزَم في الأصل، واختصرَ كتابَ «الحاوي الصغير» وشرحه، وشرحَ كتاب «اليَنابيع» في الفِقْه، وجَرَّد منه أسئلةً مشكلة راسَلَ بها قاضي القُضاةِ جَلالَ الدِّين ابنِ البُلْقيني، فكتبَ له أجْوبتَها، ووَليَ إمرَةَ المحالب، وهي بلدةٌ كبيرةٌ من سَواحلِ اليمن، ثم أجيحَ في أيام الملكِ النَّاصرِ أحمد ابن الأشرفِ بعد الإقبالِ عليه، فتزهدَ وتَرَكَ زِيَّ الفُقهاء، وحَجَّ سنةَ سبع عشرة وثماني مئة، وحَدَّث بمكةَ بشيء من شعره، ورجعَ. وماتَ سنةَ سبع وثلاثين وثماني مئة.

وكتبَ إلى الحافظِ شهاب الدِّين أبي الفَضْلِ أحمد بن حَجر لما قَدِمَ اليمنَ قصيدةً أولها:

قلْ للشِّهابِ ابن عليِّ بن حَجر ... سَوِّر على مَودَّتي من الغِيَر

فَسُورُ وُدِّي فيكَ قد بَنَيْتُه ... من الصَّفا والمَرْوتينِ والحَجر

فأجابه بقصيدةٍ منها:

يا أيها القاضي الذي مُرادُهُ ... يأتي على وَفقِ القَضاءِ والقَدر

دَرَّ له ضَرْعُ الكلامِ حافلاً ... حتى احْتَوَى على المعاني واقْتَدَر

وَقْت دَر

وكان سببُ إجاحتِهِ أنَّه لما تقربَ من المَلكِ النَّاصرِ رأى أنَّه قد تأهلَ لولايةِ القَضاءِ مَرَّةً بعد الرَّيْمي، ثم أُخرى بعد مَوْتِ المجد، فلما صُرفت عنه بعدَ المجدِ بولايةِ الشِّهابِ أحمد الرَّدَّاد وقع بينه وبينه مناكَرَةٌ بسببِ أوقاف كانت بيدهِ، فأطلق لسانُه بالوَقيعَةِ في الرَّداد، وكان من أكابرِ الصُّوفية، وشَنَّع عليه وعلى ابن العَربي من أجْلِ أنَّه يَنْتَحل طريقته، ونظم في تكْفيرهِ قصائدَ اشتُهرت بالأقطارِ اليَمنيَّة، فتَغيَّر الناصرُ عليه من

أجْلِ ذلك، فإنَّه كان يُعَظِّمُ الصُّوفيةَ ويميزهُم على غيرِهم، ونهاهُ عن الوَقيعةِ فيهم فلم يَنْتهِ، فهدَّدَه بأخذِ مالِهِ ونَفْيه إلى وطنِهِ، فلم يَرْعو، فهمَّ عندَ ذلك أن يَبْطشَ به وبمن معه، ففرَّ إلى مأمنٍ لهم من استجارَ به أمن، وكتَب إلى النَّاصر كتابًا أولُه قولُه تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت] فوقع عليه بخطه: أبى اللهُ يا مَخْذولُ إلا أن تكُونَ ممَّن قال الله فيهم ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦﴾ [التوبة].

وقال مُعارضًا لأبي[1] الطُّغَرائي:

زيادةُ القَولِ تَحكي النَّقصَ في العَملِ ... ومَنطقُ المرءِ قد يَهديه للزَّلَلِ
إنَّ اللِّسانَ صغيرٌ جُرمه ولهُ ... جُرمٌ عظيمٌ كما قد قيلَ في المَثلِ
فكم نَدمتَ على ما كُنتَ قُلتَ به ... وما نَدمتَ على ما لم تكُن تَقُلِ
وأضْيقُ الأمرِ أمرٌ لم تَجد معه ... فَتىً يُعينُكَ أو يَهديكَ للسُّبُلِ
عَقلُ الفتَى ليس يُغني عن مُشاورةٍ ... كَعفةِ الخَودِ[2] لا تُغْني عن الرَّجُلِ
إنَّ المُشاورَ إما صائبٌ غَرضًا ... أو مُخطئٌ غيرُ منسوبٍ إلى الخَطلِ
لا تَحْقرِ الرَّأي يأتيكَ الحقيرُ به ... ما النَّحلُ وهو ذُبابٌ ضائرُ العَسلِ
ولا يَغُرَّنكَ وُدٌّ من أخي أملٍ ... حتى تجرِّبه في غَيْبةِ الأملِ
إذا العَدوُّ أحاجته الإخا عِلَلٌ ... عادت عَداوتُه عند انقضا العِلَلِ
لا تَجْزَعنَّ لخَطبٍ ما به حيلٌ ... تُغني وإلا فلا تَعْجز عن الحِيلِ
لا شيء أولى بِصَبْرِ المرءِ من قَدَرٍ ... لابُدَّ منه وخَطبٍ غيرِ مُنْتقلِ

---

(١) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه، والطغرائي هو أبو إسماعيل الحسين بن عليّ بن محمد الأصبهاني، توفي سنة أربع عشرة وخمس مئة قتلاً (وفيات الأعيان ٢/ ١٨٥ - ١٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٥٤ - ٤٥٥).
(٢) الخود: الفتاة الحسن الخَلْق الشابة.

لا تَحْزننَّ على ما نِلْتَ حيثُ مضى ... ولا على فَوت أمرٍ حيثُ لم تَنلِ
فَليسَ يُغني الفتى في الأمرِ عُدَّتهُ ... إذا تَقَضَّت عليه مُدَّةُ الأجَلِ
وقَدْرُ شُكرِ الفتى للهِ نِعْمتهُ ... كَقَدرِ صَبر الفتى للحادثِ الجَللِ
وإنَّ أخْوفَ نَهجٍ ما خَشيتَ به ... ذَهابَ حُرِّيةٍ أو مُرتَضى عَملِ
لا تَفْرَحنَّ بِسَقطاتِ الرِّجالِ ولا ... تَهزأ بَغْيركَ واحذرْ صَولةَ الدُّولِ
إنْ تأمنِ الدَّهْرَ أن يُعْلي العَدوَّ فلا ... تَسْتأمنِ الدَّهرَ أنْ يُلقيكَ في السَّفلِ
أحقُّ شيءٍ بِردٍّ ما تُخالفهُ ... شَهادةُ العَقْلِ فاحكمِ صَنْعةَ الجَدَلِ
وقيمةُ المرءِ فيما كان يُحسنهُ ... فاطلب لِنَفسكَ ما تعلو به وَسَلِ
اطلب تَنل لَذَّةَ الإدراكِ مُلْتمسًا ... أو رَاحةَ اليأسِ لا تَرْكن إلى الوَكلِ
فكلُّ داءٍ دَواهُ ممكنٌ أبدًا ... إلا إذا امْتَزَجَ الإقتارُ بالكَسَلِ
والمالَ صُنهُ وَوَرِّثهُ العدوَّ ولا ... تَحتاجُ حيًا إلى الإخوان في أُكُلِ
وخيرُ مالِ الفَتى مالٌ يَصُونُ به ... عِرْضًا ويُنفقُه في صَالحِ العملِ
وأفضلُ البِرِّ ما لا مَنَّ يَتبعهُ ... ولا تَقَدَّمه شيءٌ من المَطلِ
وإنَّما الجُودُ بَذْلٌ لم تُكاف به ... صُنْعًا ولم تَنْتظر فيه جَزا رَجُلِ
إنَّ الصَّنايع أطواقٌ إذا شُكرت ... وإنْ كُفرنَ فأغلالٌ لمُنْتحلِ
ذُو اللؤمِ يُحصر مهما جِئتَ تسألُهُ ... شيئًا ويَحصرُ نُطقُ الحرِّ إنْ يَسلِ
وإنَّ فَوتَ الذي تَرجُو لأهْوَنُ من ... إدراكه بلئيمٍ غير مُحْتفلِ
وإنَّ عندي الخطا في الجُودِ أفْضلُ من ... إصابةٍ حَصَلت بالمنعِ والبَخلِ
خَيرٌ من الخيرِ مُسديه إليكَ كما ... شَرٌّ من الشرِّ أهْلُ الشَّرِّ والدَّخَلِ
ظواهرُ العَتبِ للإخوان أهْوَنُ من ... بواطنِ الحِقدِ في التَّسديدِ للخَلَلِ
دَع الجَموحَ وسامحهُ بكُلٍّ ولا ... تركب سوى السمحِ واحذر سقْطة العَجلِ
لا تَشْرَبنَّ نقيعَ السُّمِّ مُتَّكلاً ... على عَقاقيرَ قد جُرِّبنَ في العَملِ
والقَ الأحبَّةَ والإخوانَ إن قَطَعوا ... حَبلَ الودادِ بحبلٍ منك مُتصلِ

فأعْجزُ الناسِ حُرٌّ ضاعَ من يده صَــديــقُ وُدٍّ فلــم يَــرْدُدهُ بــالحِيــلِ
واسْتَصْفِ خِلَّكَ واسْتَخلصهُ أهونُ من تَبديلِ خلٍّ وكيفَ الأمنُ بالبَدَلِ
واحمل ثلاثَ خصالٍ من مَظالمهِ تَحْفَظــه فيهــا ودع مــاشئتــهُ وقُــلِ
ظُلمَ الدَّلالِ وظُلمَ الغَيظِ فاعفُهما وظُلــمَ هَفْــوتــهِ واقســط ولا تَمِــلِ
وكُن مع الخَلْقِ ما كانُوا لخالِقِهم واحــذر مُعــاشــرةَ الأوغــادِ والسَّفِــلِ
واخشَ الأذى عندَ إكرامِ اللئيم كما تخشى الأذى إنْ أهَنتَ الحُرَّ في حَفلِ
والغَدرُ في النَّاسِ طبعٌ لا تَثِق بِهِمُ وإنْ أبيتَ فخذ في الأمنِ والوَجلِ
مـن يَقْظـةٍ بـالفتـى إظهـارُ غَفْلَتـهِ مـع التَّحفُّـظ مـن غَـدْرٍ ومـن خَتـلِ
سَلِ التجاربَ وانظُر في مراءَتها فلِلْعَــواقــبِ فيهــا أشبــهُ المَثــلِ
وخَيرُ ما جَرَّبتهُ النفسُ ما اتَّعَظت عن الوُقُوعِ به في العَجزِ والوَكَلِ
فـاصبـر لـواحـدَةٍ تـأمـن عَـوَاقبهـا فَـرُبمـا كـانـت الصُّغـرى مـن الأُولِ
ولا يَغُـرَّنـكَ مـن مَـرْقـىً سُهُـولتُـهُ فَـرُبمـا ضِقـتَ ذَرعًـا منه فـي النَّـزلِ
ولــلأمُــورِ ولــلأعمــالِ عــاقبــةٌ فاخشَ الجزا بَغتةً واحذرهُ عن مَهلِ
ذُو العَقلِ يَترُكُ ما يَهوى لخَشيتهِ مــن العــلاجِ بَمكْـرُوهٍ مــن الخَلــلِ
مـن المُـروءةِ تَـركُ المَـرءِ شَهْـوتـهُ فــانظُــر لأيِّهمــا آثــرتَ فــاحتمــلِ
استحي من ذَمٍّ من إنْ يَدنُ تُوسعهُ مَدْحًا ومن مَدحِ من إنْ يَنأ يُرتذلِ
شَرُّ الوَرى بمساوي الناسِ مُشتغلٌ مثلَ الـذُّبـابِ يُـراعـي مَـوضـعَ العِلـلِ
لو كُنتَ كالقِدْحِ في التقويم مُعتدلاً لقــالــت النــاسُ: هــذا غيــرُ مُعْتـدلِ
لا يَظلـمُ الحـرُّ إلا مـن يُطـاولـهُ ويَظلـمُ النَّذلُ أدنـى منه فـي الصَّولِ
يا ظالمًا جارَ فيمن لا نَصيرَ له إلا المُهَيْمــنُ لا تَغْتــرَّ بــالمَهــلِ
غـدًا يَمُـوتُ ويَقْضـي اللهُ بينكمـا بحُكمــهِ الحــقِّ لا زَيــغٍ ولا مَيــلِ
وإنَّ أولى الوَرى بالعَفوِ أقْدَرُهم علـى العُقُـوبـةِ إنْ يَظْفـر بـذي زَلـلِ
حِلمُ الفَتى عن سَفيهِ القَوْم يكثرُ من أنصــارهِ ويــوقيــه مــن الغِيَــلِ
والحلمُ كسبٌ فما طبعٌ يجودُ به لقَــوْلـهِ خُلـقَ الإنسـانُ مـن عَجَـلِ

٣٤٥- أَسَنْدَمُر العُمريُّ، أحدُ المماليك النَّاصرية محمد بن قَلاوون[1].

تَرقى في الخِدَم، وصارَ من جُملةِ الأُمراء، ثم أُخرجَ لنيابة حَماة عوضًا عن تقطمر الأحمدي، ونُقل منها إلى نيابة طرابُلُس وعُزل بمَنْكلي بُغا الفَخْري، فقَدم القاهرةَ في مُحَرَّم سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة، ثم أعيدَ إلى حَماة في جُمادى الآخرة سنة خمسين، وتوجَّه منها بالعَسَاكر إلى سِنْجار سنة إحدى وخمسين مُقَدَّمًا عليها ثم عُزلَ عن حَماة بالأمير طازيرق في ذي الحجة منها، وقَدم إلى القاهرة فأُعيدَ إليها عوضًا عن طازيرق، فباشَرَها ثالث مَرَّةٍ في ذي الحجة سنة خمس وخمسين إلى أنْ عُزلَ بالأمير ركنِ الدِّين عُمر شاه في جُمادى الأولى سنة تسعٍ وخمسين، وقُبضَ عليه بدمشق سنة ستين وحُمل إلى الإسْكندرية، فسُجنَ بها إلى أن مات في مُحَرَّم سنة إحدى وستين وسبع مئة، وكان جَميلاً مُهابًا.

٣٤٦- أَسَنْبُغَا المَحمُوديُّ، الأميرُ سَيفُ الدِّين[2].

أولُ ما عُرفَ من أمْرِهِ أنه رَكبَ البَريد إلى الشَّام مُبشِّرًا بجلوسِ الملك النَّاصر حسن بن محمد بن قَلاوون على تَخْتِ الملك بعد قَتْلِ أخيه المُظَفَّر حاجِّي في شهر رَمضان سنة ثمانٍ وأربعين وسبعِ مئة، فَخَلف الأميرَ أرغُون شاه نائب الشَّام والعَساكر، ثم وَليَ نيابة طَرابُلُس عِوَضًا عن الأمير في صَفَر سنة ستين، وعُزلَ بالأمير زَين الدِّين أغلبك الجاشَنْكير الحاجب بحَلَب، وقُبضَ عليه وحُمل إلى الإسْكَندرية، فاعتُقل بها، ثم أُفْرِجَ عنه بعد خَلْع النَّاصر حسن، وأُنْعمَ عليه في الأيَّام المنصُورية محمد عند تَوجُّههِ إلى دمشق في شعبان سنة اثنتين وستين بإمرة طبلخاناه بحَلَب، فتَوجَّه إليها وأقامَ بها حتى ماتَ في جُمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبع مئة.

---

(١) ترجمته في: ذيل العبر للحسيني ٣٢٢، والدرر الكامنة ١/ ٤١٣.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٤١٢.

٣٤٧- (إِشَقْتَمُر) المارِدينيُّ، الأميرُ سيفُ الدِّين[1].

فلما[2] أقامَ الأميرُ يَلْبُغا في السَّلْطَنةِ الملكَ الأشرفَ شعبان بن حُسين في شعبان سنةَ أربعٍ وستين غَيَّرَ النُّوابَ، فولَّى الأميرَ إشقتمُر نيابةَ حَلَب عوضًا عن الأمير سيفِ الجين قُطلُوبُغا الأحمدي بحُكمِ وفاته، فأقامَ في النيابةِ سنة ونصف، وعُزلَ بالأميرِ سيفِ الدِّين جُرْجي الإدريسي الناصري في رَجبٍ سنةَ ست وستين، ثم عُزلَ جُرجي بالأميرِ سَيفِ الدِّين مَنْكلي بُغا الشَّمسي، واستقرَّ الأميرُ إشقتمُر في نيابة طَرابُلُس عوضًا عن الأميرِ قَشْتَمُر المنصوري بحُكم إحضاره إلى القاهرة. ثم طُلبَ الأميرُ مَنْكلي بُغا الشَّمسي من حَلبَ وعَملَ أتابكَ العساكرِ بديارِ مصر، واستقرَّ عوضهُ في نيابة حَلب الأميرُ عَلاءُ الدِّين طَيْبُغا الطَّويل النَّاصري، فلما مات الطَّويلُ وَليَ حلبَ عوضه الأميرُ سيفُ الدِّين أسن بُغا ابنِ البُوبَكري، فأقامَ ستةَ أشهر، ووَليَ الأميرُ قَشتمُر المنصوري عوضه حلبَ فقُتلَ في وقعةِ العرب، وأعيدَ الأميرُ إشقتمُر في سنةِ إحدى وسبعين، ثم عُزلَ بالأميرِ عز الدِّين أيْدمُر الدَّوادار الناصري بعد سنتين في أول المُحرم سنةَ ثلاثٍ وسبعين، ثم أعيدَ الأميرُ إشقتمُر إلى نيابةِ حَلَبَ ثالثَ مرَّةٍ عوضًا عن الأميرِ أيْدَمُر في سنةِ أربع وسبعين، وعُزل بالأمير بَيْدمُر الخُوارزمي، ونُقلَ منها بعدَ أشهُرٍ إلى نيابَةِ الشام. وأُعيدَ الأميرُ إشقتمُر في سنةِ خمسٍ وسبعين وتَوجَّه في سنةِ ستٍّ وسبعين بعسكرِ حَلبَ لأخذِ سِيْس ونازلها شَهرين، فطلبَ تكْفور الأمانَ فأمَّنه، ونزل الأرمنُ من القَلْعةِ، وأُعْلنَ فيها بكلمة الإيمان، ورُفعت بها أعلامُ السُّلطان، وأقيمَ بها من يَحْفظها، وعادَ الأميرُ إشقتمُر ومعه التّكْفور وجماعةٌ من أمرائهِ وأجنادهِ إلى حلب،

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٦٨٧، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٣٠٦، والدر المنتخب، الترجمة ٣٢٤، والدرر الكامنة ٢/ ٣٦٥، وإنباء الغمر ٢/ ٢٩٨ و٣٦٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٨٧، والدليل الشافي ١/ ١٣٤، ووجيز الكلام ١/ ٢٩٣.

(٢) ترك المصنف فراغًا قبل هذا، ولم يعد إليه.

وبعثَ بهم إلى السُّلطانِ، فقال فيه الأديبُ شَرفُ الدِّين أبو بكر ابن زَينِ الدِّين عُمر ابن الوردي من أبيات:

يـا سَيِّدَ الأُمـراءِ فَتْحُـكَ سِيْسـا سَـرَّ المسيـحَ وأحْـزَنَ القِسِّيسـا
والمُسلمونَ بذَاكَ قد فَرِحُوا وقد حَمـدوا عليـه الـوَاحـدَ القُدُّوسـا

ثم عُزلَ إشقتمُر من نيابَةِ حَلَبَ في رَبيعِ الأولِ سنة ثمانين وسبع مئة بالأميرِ سيفِ الدِّين مَنْكلي بُغا الأحمدي البلَدِّي الأشرفي، ثم قُبض عليه بعد أربعةِ أشهُرٍ، واستقرَّ عِوَضهُ الأميرُ تَمُرباي الأشرفي في رجب سنةَ ثمانين، وخرَجَ مع العسكر إلى التُّركُمان في ذي القَعْدةِ من السَّنة، ثم عُزلَ في جُمادى الأولى منها سنةَ إحدى وثمانين، وأُعيدَ الأميرُ إشقتمُر إلى نيابَةِ حَلبَ خامسًا، ثم نُقلَ بعدَ عشرةِ أشهرٍ إلى نيابةِ دمشقَ عوضًا عن الأمير بَيْدمُر في رَبيعِ الأول سنةَ اثنتين وثمانين إلى أن عُزلَ في المُحرَّمِ سنةَ أربع وثمانين، ورُسمَ لإشقتمُر أن يقيمَ بالقُدْس، فأقام بالقُدْسَ خمس سنين إلا أشهرًا، ثم أُعيد إلى نيابَةِ دمشقَ في شَوَّالِ سنةِ ثمانٍ وثمانين بعد مَسْكِ بَيْدمُر، وعُزل في صَفَر سنةَ تسع وثمانين بحُكْمِ عَجزه بسبب وجَعِ رِجْلَيهِ، وأُمرَ بالمُقام بحلَبَ فأُقيم بها إلى أن ماتَ في شَوَّال سنة إحدى وتسعين وسبع مئة ودُفنَ بتُربَتهِ، وكان في حَلَب كبيدمُر في الشَّام، وكان بينهما عَداوةٌ شَديدة.

٣٤٨- أعظمُ شاه بن إسكندر شاه ابن شمس الدِّين، مَلكُ بَنْجالةَ من الهند، السِّجستانيُّ الأصل[١].

وذلك أنَّ بلادَ الهند قسمان: قسمٌ بيد أهل الكُفرِ، وقسمٌ بيد المُسلمين. وكانت قاعدةُ الملكِ مدينةَ دَله، وما عَداها فعِمَالات[٢]،

(١) ترجمته في: السلوك ٤/ ٧٧٤، والعقد الثمين ٣/ ٣٢٠، وإنباء الغمر ٧/ ٣٣، وذيل الدرر، الترجمة ٣٨٥، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٠، والضوء اللامع ٢/ ٣١٣، ووجيز الكلام ٢/ ٤١٧.

(٢) العمالة: المقاطعة أو الإقليم أو الولاية.

فلما ماتَ الملكُ فَيرُوزُ شاه بن نُصرةِ شاه قامَ من بعده مملوكُه مَلُو، فقدمَ عليه الأميرُ تَيْمورلَنْك في سنةِ اثنتين وثماني مئة وخَرَّب دَله، وقد فَرَّ عنها مَلُو، فلما سارَ عنها تَمرْلنك عادَ إليها مَلُو ومَضَى عنها إلى مُلْطان، فخَرَج عليه خَضِر خان بن سُليمان، وحاربَهُ فقَتل مَلُو ومَلَك خَضِر خان، وسارَ من المُلْطان إلى دَله، وقد قامَ بها دَوْلةُ يار وحَصَرها، ففرَّ منه دولةُ يَار، واستولى خَضر خان على مملكةِ دَله حتى ماتَ، فقامَ من بعده ابنهُ مُبارك شاه بن خَضر خان.

هذا وقد انقسَمَت ممالكُ الإسلام بالهند بعدَ أخذ دَله، فصارَ بها عدَّةُ مُلوك، أجلُّهم ملكُ بَنْجالة وكَلْبَرجةَ وبُزُرات.

فأما بَنْجالة فإنها مملكةٌ في طَرفِ بَحْرِ الهند، فقامَ بها شمسُ الدِّين من أهْلِ سِجستان حتى ماتَ، فقامَ بعده ابنهُ إسكندر شاه ثم ماتَ، وقامَ بعده ابنهُ غياثُ الدِّين أعظَم شاه، وفَخُمَ أمرُه، وكان له حَظٌّ من العِلْم، ويَدٌ في فِعل الخَيرِ، ومعروفٌ ظاهرٌ بمكةَ والمدينةِ، ما بين أموالٍ يبعثُ بها فتُفَرَّقُ في الناسِ، بحيثُ عمَّ النفعُ بها، وأنشأ بمكةَ مدرسةً عند بابِ أُمِّ هانىء من المَسجدِ الحرام، وأنشأ بالمدينة النبوية مدرسةً عند بابِ السَّلام في موضعٍ يُعرفُ بالحِصن العَتيق، ووقف عليهما عقارًا، وماتَ في سنةِ أربعَ عشرةَ وثماني مئة.

ومَلكَ بعده ابنهُ سيفُ الدِّين حمزةُ، فثارَ عليه مملوكُه شهابٌ وقَتَله، فلم يتهنَّ بعده، وأخذه الكافر فَندُو، ومَلكَ بَنْجالة وما معها، وخَرَّب المساجدَ، وأزالَ كلمةَ الإسلام، فَسلَّطَ الله عليه ولَدهُ فقتلَهُ، ومَلَك بَنْجالة وأسْلَم وتَسَمى محمدًا، واكتنى بأبي المُظَفَّر، وتلقَّبَ بالسُّلطانِ جَلالِ الدِّين، وجَدَّدَ ما دَثَر في أيام أبيه من المساجد، وأقامَ معالمَ الإسلام، وبعثَ رُسُلهُ إلى مكةَ في سنةِ اثنتين وثلاثين وثماني مئة بأموالٍ لِتُفَرَّقَ في أهلها، وبعثَ إلى السُّلطان الملك الأشرفِ بَرْسْبَاي بمصرَ هديةً فقدمَ بها رسولاه سُهَيل ومَرغُوب في سنة ثلاثٍ وثلاثين،

ومعهما كتابُه يرغبُ فيه أن يُجهَّزَ إليه التقليدُ الخَليفتي بسَلْطَنةِ الهِند كما كان يُجَهَّزُ لملوكِ دَله، فأُجيبَ إلى ذلك، وكُتبَ له التَّقْليدُ عَن أميرِ المؤمنين المُعْتضِدِ بالله داود، وجُهِّزَ إليه التَّشْريفُ، فوصلَ ذلك إليه، وصارَ به سُلطانَ الهِند، فبعثَ بهديةٍ جليلةٍ إلى الخَليفة والسُّلطان في سنة أربع وثلاثين.

وأما كَلْبَرجةَ فكان قد بَعثَ إليها محمد شاه صاحبُ دَله رجلاً يقال له حسن بَهْمَن، فأخذها له، وأقام بها نائبًا عنه حتى ماتَ، فقام بعده ابنه أحمد بن حسن بَهْمن حتى مات. فقامَ بعده ابنهُ فيروزُ شاه بن أحمد بن حسن بَهْمن، ثم قام بعده أخُوه شهابُ الدِّين أبو المَغَازي أحمد بن أحمد ابن حسن بَهْمن.

وأما بُزُرات وكَنْبايه فوَليَهما مُظفرُ خان من قِبَلِ فيروز شاه بن نُصرة شاه ملك دَله، وكان ساقيًا عندهُ، وألزمهُ أن يحملَ إليه من كَنْبايه ألف ألف تَنْكة حمراءَ، عنها ثلاثة آلاف ألف دينار وخمس مئة ألف دينار مصرية، وكان مُظفرٌ كافرًا، وله أخٌ اسمُه لاكه من عُظماء الكَفَرة، فوَليَ مظفرُ خان كَنْباية مُدَّةً، وقَدمَ تَيْمورلنك دَله فقامَ تَترخان بنُ مُظفر خان على أبيه وسَجنه، فوثَبَ عمُّه لاكَه عليه وأخرج أخاه مُظفرًا من السِّجن وأعاده إلى مُلكهِ وقَتل تَتَرخان.

فلما كان في سنةِ عشرٍ وثماني مئة وثَبَ أحمد خان بن تَترخان وقَتَل جدَّه مُظفر خان، وأحرقَ لاكَه عَمَّ أبيه، وتلقبَ بالسُّلطانِ حتى ماتَ، فقام بعده ابنهُ السُّلطان شهابُ الدِّين أحمد بن السُّلطانِ أحمد بن تَتَرخان بن مُظفر خان. وما عدا هذه الممالكَ الثلاثَ فإنَّها دونها، وهي: ديوه، ومهايم، وتَانة، ونحوُ ذلك مما هي بأيدي المسلمين.

وهذه صُورةُ الحالِ ببلادِ الهِند إلى آخرِ سنةِ أربعٍ وثلاثين وثماني مئة.

وبمهايم الآن قُطبُ الدِّين بن نُصْرَةِ رانة، وهو فقيهٌ حنفي يقرىء

الفقه وغيرهُ، ومعنى رانة بالهندية: المَلك، وبتانَةَ غَلْقُ رَانة، وهو فقيهٌ حَنفي فاضل، وبمملكة أعالي قِشْمير السُّلطانُ إبراهيم، وما عدا هؤلاء فإنهم كُفَّار.

٣٤٩- أَلْطُنبُغا شَقَل، أحدُ المماليك(١).

تَنقلَ في خِدْمَةِ الأميرِ شَيخ المَحْمُودي حتى تقدَّمَ عندهُ وهو نائبُ الشام، وبعثه في الرِّسالةِ إلى السُّلطانِ الملكِ النَّاصرِ فَرَج بن بَرْقوق غيرَ مَرَّةٍ في مُهماته، فاستماله السُّلطانُ فمالَ إليه، وتَوجه في بعضِ سفراتهِ من القاهرة، فبلَغَه تَغيُّرُ الأميرِ شيخ عليه، فعاد من أثناءِ الطريق سَريعًا إلى السُّلطانِ واختصَّ به، فأقطعه إقطاعًا بديار مصرَ وإقطاعًا بالشَّام، وأنعمَ عليه بإمْرة، وما زالَ خَصيصًا بـه حتى قُتلَ بوقْعَةِ اللَّجون يـوم الاثنين ثالثَ عشر المُحرَّم سنة خمس عشرةَ وثماني مئة هو والأميرُ مُقْبلٌ الرُّومي.

وكان شَقل هذا من أهْلِ الشَّرِّ والفِتَن، وهو أكبرُ أسبابِ الفِتَنِ التي كانت بين النَّاصرِ وشَيْخٍ حتى زالت دولةُ النَّاصرِ، وقُتل كما ذُكر في ترجمته.

٣٥٠- أميرُ غالب بن أمير كاتب بن أمير عُمر، العميدُ ابن العميد أميرِ غازي، همامُ الدِّين ابن قوامِ الدِّين، الأَتْقَانيُّ الأتراريُّ الحَنفيُّ(٢).

كان أبوه من عُلماءِ الحَنفية، وقَدِمَ القاهرةَ، ودرَّسَ بالمَدرسةِ الصَّرْغَتْمشية، وتمكن من أمراءِ الدَّولة، ووَليَ الهُمامُ هذا قَضاءَ القُضاةِ الحَنَفية بدمشقَ عِوَضًا عن القاضي نَجْمِ الدِّين ابن العزِّ، وأخذَ منه بتَعْيينِ

---

(١) ترجمته في: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١٩، والضوء اللامع ٢/ ٣٢٠.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢/ ٤٨٣، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٩٥، والدرر الكامنة ١/ ٤٤٥، وإنباء الغمر ٢/ ١٠٨، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢٩٤، والدليل الشافي ١/ ١٥٥، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٥٧، ووجيز الكلام ١/ ٢٦٢، وبغية الوعاة ١/ ٤٥٩، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨٣، والفوائد البهية ٥٠.

سَبَقة تدريس الخَاتُونيةِ والقَصَّاعين والظَّاهرية، فسارَ فيه سيرةً عجيبةً رفع فيها القواعدَ، وحكمَ بِعلْمه، إلا أنه كان جوادًا يعتمدُ على نُوَّابه، ويَتَخلّى عن الحُكْمِ لقلةِ عِلْمه، ثم عُزِلَ في رَبيعِ الأوَّل من سنة أربع وثمانين وسبع مئة، وتُوفي في شهر ربيع الآخر سنةَ أربعٍ وثمانين وسبع مئة بدمشقَ ولم يبلغ الخمسين.

٣٥١- أَنسُ بن عليٍّ بن محمد بن أحمد بن سعيد بن سالم، بَدرُ الدِّين أبو حمزةَ الأنصاريُّ[(١)].

أُحضر على ابن القَيِّم وعلى غيره، وطلبَ بنفسه، فأكثر عن أصحاب التقيِّ سُليمان، ولازم شيخنا ابن المُحبِّ فمَهَر وخَرَّجَ، مع التيقُّظِ والنَّباهة والمعرفةِ بالوثائق، والاعتناء بالأدبيَّات والمُروءة.

تُوفي عن نحوِ ستين سنة في رَجَب سنةَ سبع وثماني مئة.

٣٥٢- آنص، وتقولُ العامة: أَنَس، العثمانيُّ، الأميرُ شَرفُ الدِّين أبو المعالي، والد المَلكِ الظَّاهرِ بَرْقوق[(٢)].

قَدِمَ به الخُواجا فَخرُ الدِّين عثمان من بلادِ الجَرْكس على وَلده بالقاهرة في يوم الثَّلاثاء ثامن ذي الحجةِ سنةَ اثنتين وثمانين وسبع مئة، وابنُه يومئذٍ الأمَيرُ الكبير أتابَكُ العساكر في أيام المَلكِ المنصور عليِّ ابن الأشرفِ شعبان بن حُسين بن محمد بن قلاوُون، فخرجَ إلى لقائه ومعهُ سائرُ أمراء الدَّولةِ إلى أن لَقيه بالعِكْرشا فيما بين سِرْياقُوس والبئرِ البَيْضاء، وتعانقا وتباكيا بعدما نَزلا إلى الأرض؛ ثم ركبا ونزلا بقُصُور سِرْياقوس، وكانت إذا ذَاكَ عامرةً، فوجدا الأسْمِطةَ قد مُدت، فأُقعِدَ

---

(١) ترجمته في: ذيل التقييد ١/ ٤٨٦، وإنباء الغمر ٥/ ٢٢٨، والمجمع المؤسس، الترجمة ٤٦١، والضوء اللامع ٢/ ٣٢٣.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٤٦٢، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٥٢٤، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٧٠، وإنباء الغمر ٢/ ٦٦، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢٠٣ و٢١٨، والدليل الشافي ١/ ٥٦، وبدائع الزهور ١/ ٣٠١، ووجيز الكلام ١/ ٢٥٩، وشذرات الذهب ٦/ ٢٧٩.

الأميرُ أنس بصَدْرِ السِّماط، وجلس الأميرُ عِزُّ الدِّين أيْدَمُر عن يمينه والأميرُ سيفُ الدِّين آقْ تَمُر عبدالغني عن يَساره، وحَضَر سائرُ أهْلِ الدَّولة من القُضاة والوُزراء والأعيانِ والكُتاب إلى خِدْمَتهِ، فلما أُذِّنَ للظُّهر ركبَ والناسُ بين يَديهِ إلى القاهرةِ، فشَقَّ القَصبةَ في موكبٍ جليل وولدُه إلى جانبه، والخُواجا عُثمان بتَشْريف سني، وقد أوقدت الحوانيتُ بالشُّموع والقَناديلِ على العادة، فخرجَ من باب زَويلة إلى الحَرَّاقةِ من الإسْطَبْل السّلطاني، فأقامَ شهرًا، وماتَ الأميرُ أَيْدَمُر الشَّمْسي فأُنعمَ عليه بإقْطاعه وإمرتهِ، وصارَ أحد الأمراءِ الأُلوف.

ثم إنَّ الملكَ المنصورَ ماتَ وأقيمَ من بعده في المملكةِ أخُوه الملكُ الصالحُ زينُ الدِّين حاجِّي، فمات الأمير أنس في يوم السّبت ثامن عشرَ شوال سنةَ ثلاثٍ وثمانين وسبع مئة، فدُفِنَ خارجَ باب النَّصرِ بتربَةِ الأمير يُونس الدَّوادار، وكانت جنازتُه عظيمةً. ثم نُقل في ليلةِ الرابع عشرَ من جُمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثمانين وسبع مئة إلى قُبةِ المدرسةِ الظَّاهرية بَرْقُوق بين القَصْرين فقُبِرَ بها، ورُتِّب القُراءُ عند قَبْرهِ إلى اليوم.

وكان شيخًا مُسنًا أغْتَمَ لا يَعْرفُ سوى اللِّسان الجَرْكَسيِّ، وتَركَ من الأولادِ المَلكَ الظَّاهرَ بَرْقُوقَ وأُخْتيه. وسيردُ في هذا الكتاب إنْ شاء الله لكل منهم ترجمة.

٣٥٣- إيْدَكُو ملك التُّرْك[١]، وتُدعى قبيلتُه قُونْكرات[٢] من أرضِ الدَّشْت.

تَرقَّى إلى أن صارَ من أُمَراءِ الخَانِ تُوقْتَاميش، وأحد رُؤوس أُمراء المَيْسَرة المُعَدِّين لمُهِمَّات الأُمور، وللمَشورةِ والرَّأي إلى أن أَحَسَّ من

---

(١) ترجمته في: الدليل الشافي ١/ ١٦٥، والضوء اللامع ٢/ ٣٢٥.

(٢) جاء في الحاشية تعليق نصه: «يوجد في لغة المغل ثلاثة أحرف على الولاء ساكنة».

الخان بتغيُّرٍ عليه، فخافَ شدَّةَ بأسهِ، وأخذَ حِذْرَهُ منه، واستَعدَّ للفِرارِ عنه، إلى أنْ عاقَرَه الخَمْرَ في بعضِ اللَّيالي، فلمَّا غَلب السُّكرُ على الخان قال له: يا إيدكُو، إنَّ لي ولكَ يومًا، فقال له إيدكو: أُعيذُ مَوْلانا الخانَ أن يحقدَ على عَبده، وأظهرَ له من الذِّلَّةِ والخُضوعِ ما أوجَبَ كَفَّه عن البَطْشِ به، ثم بعد هُدُوٍ من الليل استغفل الخانَ وخَرجَ كأنَّه يُزيلُ حاجَةً في الخَلاء، وأتى إلى الإصْطَبل السُّلطاني، ولم يَزل به دائمًا فرسٌ مُسْرَجٌ مُلْجمٌ لما عساهُ يكونُ من المُهماتِ السُّلطانية، فركبه وقال لبعضِ ثقاته: من أرادني فَلْيَلْحَقني عندَ الأميرِ تَيْمور بعد أن أبْعُدَ عن هذا المكان. ثم جَدَّ في السَّوق فلم يَفْطن به الخانُ حتى قَطعَ مسافةً بعيدةً، فبعثَ في طَلبه فلم يُدركوه، ووصلِ إلى تَيْمور، وقَبَّل يده، وأخبره بخَبرهِ، وأخذَ يُغريه بتُوقْتَاميش ويُحَرِّضُه على أخْذِ بلاده، ويُرغِّبه في كثرةِ أمواله، ويُهَوِّنُ من أمرهِ، ويضعُ من عساكره، وأنَّهم أوباشٌ وأخلاط، وكانت الدَّشْتُ إذ ذاك عامرةً بالتَّتار، غاصةً بمواشيهم، قد انتشرت قبائلُ التُّرك بأقطارها، وهي أرْجاءٌ فسيحةٌ، صَحيحةُ الهواء، كثيرةُ الماء، لا يزالُ أهلُها في رَحيلٍ ومسيرٍ، وجَميعُهم رُماةٌ بالسِّهام، ولغتُهم أفْصَحُ لُغاتِ التُّركِ، ولنسائِهم جمالٌ بارع، وفيهم رؤساءُ وأكابر، وبواطنهُم سَليمةٌ من المَكْرِ والغِشِّ، ومَسيرهم على العَجَل، يجرُّونها بالدَّواب، وبلادهُم أمينةٌ مع سَعتها، تخرُجُ القافلةُ من خُوارزم فتسيرُ في أمْنٍ إلى قيريم التي يُقال لها القِرم، ومسيرةُ ذلك نحوُ ثلاثةِ أشهُر لا تَحمل فيها زَادًا ولا عَلفًا ولا ماء، ولا تحتاجُ إلى خَفيرٍ لكثرةِ سُكَّانها، ووُفور الأمن عندهم، وخروج المآكلِ والمشاربِ عن الحدِّ في كثرتها، لا تنزلُ القافلة إلا على قَبيلةٍ تكرمُها وتقومُ بضيافَتِها طولَ هذه المسافة، وكانت أولاً يُقال لها دَشْتِ قَبْجاقُ، والدَّشتُ باللُّغةِ الفارسية: البرِّية، ثم عُرفت بِدَشْت بَرَكة، وهو بَرَكة بن دَوْشي بن باطُوخان بن جَنْكِزخان، وهو أوَّلُ من أسْلَم من أولاد جَنْكز خان، وكان إسلامُه على يد الشيخِ شمس الدِّين البَاخَرْزي

فنشرَ بالدَّشتِ لما مَلكَ دينَ الإسلام وحملَ قومه على الدُّخول فيه، فأسلموا بعدما كانوا عُبادَ أصنام، وعَمر مدينة سَراي، وجعلها دارَ مُلكِهِ، فصارَ من حينئذ يُدعى دشت بَرَكة. فوقع كلامُ إيدكو من تَيمورَ بمَوْقع، وسارَ إلى الدَّشْتِ بعساكرَ لا تُعَدُّ كثرةً، وقد جَمع له الخانُ تُوقْتَاميش جَمعًا عظيمًا ما بين فُرسانٍ ورجالة، وزحفا للحَرْب، فانهزمَ تُوقْتَاميش بعدَ وقعةٍ شنيعةٍ، وغَنمَ تيمورُ ما لا يَدْخُل تحتَ حَصر، وعاد وقد عَظُمَت عندهُ مكانةُ إيْدَكُو. فلما نَزلَ سَمَرْقَند خافهُ إيْدَكُو وأخذَ يُعملُ الحيلةَ في الخلاصِ منه، فبعثَ سِرًا إلى أقاربهِ وجيرانه وقبائلِ المَيْسرة كُلِّهم أن يَرْحلوا عن مواضِعهم وينزلوا في أماكنَ عيَّنها لهُم صعبةِ المسَالكِ ليتحصَّنوا بها من تَيمور، وخوَّفَهم منه أنه يُريدُ قَتْلهم. فلما فَعَلُوا ما رَسَم لهم رجعَ إلى تَيمُور ليخدعه، وقال: يا مَولانا الأميرَ، أيَّدَكَ اللهُ، إن لِي من الأهلِ والأقارب والأتباع والعشيرة جمًّا غفيرًا، وهم في الحقيقة عَضُدي وساعدي، ولا آمنُ عليهم أن يَبْطشَ بهم الخانُ تُوقْتَاميش فَيُفْنيهم حَنقًا مني، لأني امتنعتُ عليه بخدمَتكَ، وأني صرتُ من جماعتك، فإن اقتضت الآراءُ الشريفةُ إرسالَ أحدٍ إليهم بمرسوم شريفٍ يُطَيِّبُ خواطِرَهم، ويؤمِّنُهم حتى يرحلوا بأهليهم إلى خدمَتكَ ويصيروا من جُملةِ عبيدك ليتمكنَ العبدُ بهم من بَياضِ وجههِ في القيام بحُقوقِ الطَّاعة.

فمشت خديعتُهُ على تَيمورَ، وقال: أنتَ تذهب إليهم وتأتي بهم. فسألَ أن يُضافَ إليه واحدٌ من الأمراءِ ليساعدهُ ويشهدَ له بما يَبْذُلُ فيه جَهده من الخِدْمة، وأن يُكتبَ على يديهما مراسيمُ بما تَقْتضيهِ الآراءُ الشَّريفة، فعين له تيمورُ أميرًا، وكتبَ له مراسيمَ بطَلَبهم وسارَ.

ثم إن تيمور نَدم على تخليةِ سبيلِ إيْدَكو، واستدرَكَ فارطَه، وكتبَ إليه أن يَرْجعَ ليوصيه بأمرٍ عَنَّ له، فعندما جاءهُ القاصدُ بذلك أمرَ الأميرَ الذي معه أن يَرجع وأظهرَ ما في نَفْسه، ومضى، فلم يَجد ذلك الأميرُ سبيلاً إلى رَدِّه، وعادَ إلى تيمور فكاد يتحرَّقُ من الأسف، ولم يُعْلَم أن

أحدًا خَدع تيمورَ فانْخَدَعَ له إلا إيدكو هذا.

وما زالَ إيْدَكو حتى نزلَ بقومِهِ واستعدَّ لقتالِ تُوقْتَاميش، وسارَ إليه، فكانت بينهما خمسَ عشرة وقعة حتى ضَعُفَ تُوقْتَاميش؛ وذلك أن مُعْظمَ عَسْكره سارَ مع تَيمور، وانحازت عنه جماعةٌ كثيرةٌ يقالُ لها قرابوغدان، ومَضوا بأجْمَعهم إلى بلاد الروم والرُّوس، وخامَرَ عليه أحدُ رُؤوس الميمنة، ومعه قبيلته آق تَاو، فمضوا إلى بلادِ الرُّوم، ونزلوا أدْرَنَه. وبهذه الأسبابِ خَربتِ الدَّشْتُ وخَلَت بعد تلك العمارة حتى صارت قفارًا حتى لـو سَلَكها الآنَ أحـدٌ بغيرِ دليل لهلكَ، فإنها في الصَّيْفِ تَسْفي الرياحُ تلك الرِّمالَ العظيمةَ حتى تخفي الطُّرقَ على المارِّ، وفي الشتاء تتراكمُ بها الثلوجُ حتى تغطيها بأسْرها لأن جميعَ أرضها مهامه[1].

ثم لما كانت الوقعةُ الخامسة عَشرةَ غلب فيها تُوقْتَاميش وانهزم إيْدَكو وتشتتت جموعُه، وغَرقَ هو ونحو خمس مئة من أخصائه في تلكَ الرِّمال، فلم يُوقَف له على خَبر، واستبدَّ تُوقْتَاميش بالمُلْكِ، وصفا له دَشْتُ بَرَكة، وهو مع ذلك يُبالغُ في الفَحْصِ والتفتيش عن إيدكو مدة ستةِ أشْهرٍ حتى أيسَ منه، وغلبَ على ظنه أنه هَلَكَ.

هذا وإيدكو يجولُ في تلكَ الرِّمال التي في شمالي الدَّشت، ومن عِظَمها يتيهُ فيها طيرُ السماء ووَحْشُ الفلا، لأنه لا تُدركُ لها غَاية، ولا يمكنُ سُلوكُ مواضعَ كثيرةٍ منها، فإنَّه من وَقَفَ بها غرقَ في الرَّمْلِ حتى يغيبَ في نُزوله بقاعهِ وأسفله وغَوْصه في تُخومه. فما زال إيدكو بهذه الرمال ويَبْعثُ من يكشفُ له عن أحوالِ الخان رجاءَ أن يجد فرصةً للوثُوبِ به حتى بلغه أنه قد انْفَرَد عن عَسْكره وجماعته في مَتَنَزَّهٍ له، فلم يشعر تُوَقتاميش إلا وإيدكو قد هَجم عليه بَغْتةً، فثارَ إليه وقاتلَهُ ساعةً، ثم تكاثروا عليه فقتلوه. وهذه هي الوقعة السادسةَ عشرة مع إيدكو.

---

(١) أي: صحارى.

ومن حيئنذ غَلَبَ إيدكُو على الدَّشْتِ وتشتتَ أولاد تُوقْتاميش في الآفاق فوَلَّي إيدكو جماعةً منهم قُوتْلِيغي تيمور خان وأخُوه شادي بيك خان، ثم فولاذ خان بن قُوتليغي تَيمور، ثم أخوهُ تَيمور خان لأنه لابُدَّ عندهم من إقامَةِ أحدٍ من ذُرِّيَةِ جَنْكز خان.

فلما ماتَ تَيمورلنك ثار إيدكو من جهة ومَلكَ خُوارزم ووصلت عساكرُه إلى ما حَوْل بُخارى وهو مَوْقع بالجُغْطاي.

وفي أيام تيمورخان هذا تخبطتِ الأمورُ فخالفَ على إيدكو، وجَرَت فتنٌ كثيرةٌ وحروب مُبيرة، وبينا هم في تلكَ الفِتَن إذ ظَهرَ جلالُ الدين بن الخان تُوقتاميش في سنةِ أربعَ عشرةَ وثماني مئة، فتفاقم الشرُّ، واتَّضَع جانبُ إيدكو وضعُف حالُهُ، ثم قَتَلَ قُوتليغي تَيمُور، وعَظُمَ الشقاقُ بين ملوكِ قِبْجاق حتى ماتَ إيدكو غريقًا جَريحًا في نهرِ سَيْحون بسراي جُوق في[1] . . .

وكان أحدَ رجالاتِ العالم، صاحبَ أخبارِ غريبةٍ ونوادرَ عجيبة ومَكائدَ في أعدائه صائبة، وأفكارٍ بَديعة، ووقائعَ وسياساتٍ في غاية الجودة.

وكان أسمرَ رَبْعةً، شُجاعًا مُهابًا، جَوادًا، له رأي صائب، يحبُّ العلماءَ ويُقَرِّبُ أهلَ الخير والصلاح.

وكان صَوَّامًا قوامًا مواظبًا على متابعة شرائع الإسلام، وكان له عشرون ولدًا مُلوكًا ما منهم إلا من لهُ عملٌ بمفرده وجُنْدٌ يطيعه، وأقامَ في الدَّشت عشرين سنةً حاكمًا، فكانت أيامُهُ غُرةً في جبينِ الدَّهْر لكثرةِ آثاره الجميلة، وهو الذي مَنعَ الطَّطَرَ من بَيعِ أولادهم، فلذلك قلَّ جَلْبُهم إلى الشام ومصر.

---

(١) تركها المصنف بياضًا، وفي الضوء اللامع أن ذلك كان سنة ٨١٤ هـ.

٣٥٤- أَيْدَمُر، الأمير عز الدين الدوادار الناصريُّ، أتابك العساكر المصرية[١].

أصله من مماليك أبرك ابن الناصر، وتنقل في الخِدَم، وحظي عند الناصر حسن وجعله دويداره، ولم يكن في آخر أيام الناصر أحظى من أربعة أُمراء: يَلبُغا الخاصكي، وطَيْبُغا الطويل وباربمُر العمري وأيدمر الدَّوادار. فلما زَلَّ يَلبُغا على السلطان ببر الجيزة كان أيدمُر مع السُّلطان وهرب معه، فلما قبض يَلبُغا على السُّلطان وقتله، نفى المذكور إلى الشام وولاَّه نيابة البيرة، فأقام بها إلى أن قُتل يَلبُغا، نقل المذكور إلى نيابة بهنا ثم إلى نيابة غزة، ثم في ذي الحجة سنة سبعين وَلِيَ نيابة طرابُلُس واستمرَّ بها إلى أن طُلبَ في المحرم سنة ست وسبعين إلى مصر وجُعل أتابك العساكر عن أُلجاي اليوسفي.

قال بعضهم: وكان مهابًا سيوسًا، كان يبدأ النَّاسَ بالسَّلام، ويتبع الأحكام الشرعية. توفي في ذي القَعْدة سنة ست وسبعين. أما:

٣٥٥- عز الدين أيْدمُر الشمسي النَّاصري[٢].

فهو أحد مُقدمي الألوف بالديار المصرية ورأس المَيْمَنة، وقد أنعمَ عليه أستاذُه الملك الناصر بطبلخاناه وبعده أُعطي تقدمةً واستمرت بيده، واتعد رأس المَيْمنة، واستمرَّ على ذلك، وكان كَيِّسًا.

ولما حجَّ الأشرف كان من جملة الأمراء الذين أقاموا بمصر وهو نائب الغَيْبة، فغلبَ عليهم الممالك وأخذوا مصر.

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢٤٤، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٨٧، والدرر الكامنة ١/ ٤٥٨، وإنباء الغمر ١/ ١١٤، ولحظ الألحاظ ١٦٣، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٣٤، وبدائع الزهور ١/ ١٥٠.

(٢) ترجمته في: ٣/ ٤٦٢، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٥٠٨، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٧١، وإنباء الغمر ٢/ ٦٧، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢١٩، والدليل الشافي ١/ ١٦٩، ووجيز الكلام ١/ ٢٥٨، وبدائع الزهور ١/ ٣٠١.

توفي مطعونًا في صَفر سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة.

٣٥٦- أيوب بن موسى بن عباس الرَّاشديُّ الشاميُّ(١).

سمع «صحيح مُسلم» من الشريف عز الدِّين الموسوي، وسمع «صحيح البُخاري» من نور الدِّين عليّ بن محمد بن هارون، ومن ست الوزراء.

ومات في تاسع شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وسبع مئة.

٣٥٧- أويس ابن الشيخ حسن بن حُسين بن آقبغا بن أيلكان، القان صاحب بغداد وتبريز(٢).

فأقام في الملك بعد أبيه سنة سبع وخمسين وسبع مئة، فملك منه جانبك بن أزبك ملك الشمال تبريز في سنة ثمان وخمسين، وأقام عليها ابنهُ بَرْدي بك، وعادَ فمرض في طريقه، فكتب أمراؤه إلى بَردي بك يَسْتدعُونه، فسارَ من تبريز وأقامَ عليها أخَيْجُوج، فوثبَ عليه أُويس من بغداد، وجَدَّ في المسيرِ حتى غلب عليها فجمعَ عليه أخيْجُوج وأخرجه منها، فسارَ إليه شاه شُجاع بن محمد اليَزْدي من أصبهان وقاتلهُ فقتلهُ وملك تبريز، فسارَ إليه أويس وغلب عليها واستقرت بيده حتى مات سنة ست وسبعين وسبع مئة بعد تسع عشرة سنة من ملكه تبريز، وقد أناف على الثلاثين سنة، وتركَ خمسة أولاد هم حسن وحُسين وعلي وأبو يزيد وأحمد، فأقيمَ منهم بعده حُسين بن أويس.

---

(١) ترجمته في: ذيل العبر للحسيني ٣٣٧، وذيل التقييد ١/ ٤٨٢، والدرر الكامنة ١/ ٤٦٣.

(٢) ترجمته في: السلوك ٣/ ٢٤٤، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٣٨٦، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٧٦)، والدرر الكامنة ١/ ٤٤٨، وإنباء الغمر ١/ ١١١، ولحظ الألحاظ ١٦٣، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٣٣، ووجيز الكلام ١/ ٣١١، وبدائع الزهور ١/ ١٥٠، وشذرات الذهب ٦/ ٢٤١، ودائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ٣/ ١٦٢.

٣٥٨- أبو يزيد[١] خَوندكار بن مُراد بن أُرخان بن أردن عليّ[٢] بن عثمان بن سَلمان بن عثمان، ملك الروم[٣].

يقال: إنَّ أصل بني عثمان من الحجاز، وأنَّ عثمان الأول قَدمَ من المدينة النبوية إلى بلاد قَرمان ونزل قونيا فارًا من غَلاءٍ كان بالحجاز والشام، واتَّصل ببني قرمان وبأتباع السُّلطان علاء الدِّين كيتبادين كيخسرو وفي أعوام بضع وخمسين وست مئة، وتَزيا بزيِّ أهل قُونية، وصار يخرجُ مع السرايا إلى بلاد الروم ويغزوهم ويغنم منهم، فولد له بقُونية سَلمان ابن عثمان فسلكَ طريقة أبيه في الغَزْو مع السُّلجوقيَّة والقَرمانية وعُرف بينهم، وظهرت له فروسيَّة فافتتح عِدَّة حُصون.

وولد له ابنه عثمان بن سَلمان فعظم شأنهُ وصارت له أتباع كثيرةٌ، فخرجَ عن طاعة السُّلجوقية والقَرمانية، وواصلَ غزو الكُفَّار وافتتح برصا في حدود الثلاثين والسبع مئة واستوطنها، وافتتح ما يليها من الحصون والبلاد، فاتسعت أحواله وكثُرت أموالُه، ومات عن ابنه[٤] أردن

---

(١) هو بايزيد، والألف بعد الواو من «أبو» زائدة، وهي عادة لبعض النساخ يضعون هذه الألف، لذلك حذفناها، وسيأتي بصيغة الخفض «أبي».

(٢) في حاشية النسخة استدراك كتبه محمد أمين السابقي نصه: «ليس فيهم من يسمى أردن علي، والصحيح: مراد بن أورخان بن عثمان بن آرطغرل. وبعض الناس يذكر لهم نسبًا ينتهي إلى يافث بن نوح، وأصلهم من التتار، وكون أصلهم من عرب الحجاز غلط. وأول من تسلطن منهم عثمان، وكان من أمراء السلطان علاء الدين السلجوقي، واستولى بعده على ما بيده والتفصيل مسطور في كتب مفردة لهم. حرره الفقير محمد أمين السابقي، غفر له».

(٣) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ١٢٨، والنجوم الزاهرة ١٢/ ٢١٧ و٢٦٧، والضوء اللامع ١١/ ١٤٨، ونزهة النفوس والأبدان ١/ ٣٣٤ و٣٦٥ و٣٩٠ و٢/ ١٤٩، ووجيز الكلام ١/ ٣٦٩، وحسن المحاضرة ١/ ١٦٠، والبدر الطالع ١/ ٦٠، ودائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ٣/ ١٢٦ والطبعة الجديدة، النص الانكليزي ١/ ١١١٧.

(٤) في الأصل: «أبيه» خطأ بَين.

عليّ بن عثمان، فأربى على أبيه وفتحَ اللهُ على يديه عامة الحُصون والبلاد التي تلي خليج قُسْطنطينية، فحسدهُ ملوك الروم وخشوا تَسلطه عليهم.

وكانت مملكة الرُّوم إذ ذاك مُنْقسمة بين بني جماعة وهم أولاد أيدين أصحاب أيا سلوق، وبني أرتُنا[1] أصحاب قيصرية وسيواس إلى أطراف الأذاع، وبني قَرمان أصحاب قُونية ولارندة إلى تُخوم طَرَسُوس، وبني تكي أصحاب أنطاليا والعلايا، وبني كرميان أصحاب طنغرلو وبلاطية، وبني أبي يزيد أصحاب قَسْتمونيةَ، وبني إبراهيم أصحاب أرْزنكان. فنشر أردن علي العَدْل في أعماله وقَرَّب العُلماء والصُّلحاء وعَمَّر الخوانك والزَّوايا والتكايا.

وقام من بعده ابنه أُرخان بن أردن علي، فَعظُم شأنه وهاجر الناسُ إليه، فكثرت التجار وغيرُها ببلاده، حتى مات وتركَ ابنه مُراد بن أُرخان، وكان طُوالاً أسمر اللَّون أقنى الأنف أحنى، فلم يرضِ بما في يده مما فتح آباؤه، وركبَ البَحرَ ولم يركبه أحدٌ من آبائه، وأخذَ ما يُقابل كالي بولي من البلاد التي هي قبلي خليج قُسْطنطينية، وعَدَّى إلى كالي بولي ونازلها حتى أخذها، وبثَّ جيوشه فيما وراء الخليج ففتح أراضي قُسْطنطينية شيئًا بعد شيءٍ، حتى نزل عليها وحاصرها أشدَّ حصار، فأتتها نجدات الروم والفرنج والأفلاق والأنكر والرُّوس والبُلْغار والأرنويط في عِدَّة طوائف أخر، فأيدهُ اللهُ عليهم وثبته حتى أجابوه إلى حَمْل الجزية إليه، وقَرَّروا في كلِّ عام مَبلغًا يقومون به وعدةً من الخيل والرَّقيق، وأن يقيم بداخل قُسْطنطينية قاضٍ يحكم بين الرُّوم والمُسلمين بشريعة الإسلام،

---

(١) أرتنا دولة مغولية في شرق آسيا الصغرى، استقل مؤسسها علاء الدين بالحكم سنة ٧٣٦ هـ بعد وفاة أبي سعيد الإيلخاني، وحكم في آقسراي وقيسارية وسيواس وأماسية وكموشخانه حتى سنة ٧٥٣ هـ، ويظهر أن ابنه غياث الدين محمدًا وحفيده علاء الدين حكما بعده إلى سنة ٧٨٢ هـ (ينظر شترك، في دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية ١/ ٥٧٩).

وشرطَ عليهم أن قاضيه يحكم فلا يَنْقُضُ ملكُ قُسْطنطينية حكمهُ، وأنَّ له أن يحكم بنقضِ ما حكمَ به الملك فالتزموا له ذلك.

ثم تطاول حتى عَمر له بيتًا عظيمًا في أدرنابولي، وكثُرت في أيامه عمارة الجوامع والخَوَانك، وتزايدَ عدد الفقهاء والصُّلحاء في أعماله، ووالى إرسال الجيوشِ والعساكر لغزو طوائف الكُفر، حتى قام غالبهم بالجزية له، وصار لا يقيم ببلده بل لا يزال في الغزو والقتال. وبَنى له بكل مَنْزلة قصرًا وعَملَ به جميع ما يحتاج إليه من الفَرْش والأواني ونحوها بحيث لا يُحملُ إذا سافر شيءٌ من ذلك، بل يجد حيث ما نزلَ كلَّ ما يختاره.

وبالغَ في إظهار العَدْل وحملَ الكافةَ عليه، وجعلَ سائر الأمور مقرونة بأحكام الشَّرع، فكان لا يتعاطى هو ولا أحدٌ، سوى القُضاة شيئًا من الأحكام بين الناس. وصارت أموال أعماله كلها تُحملُ، ما يتحصل من معادنها وغنائمها وعُشورها وخراجها إلى بيت المال. وأقامَ على بيت المال رجلاً أجمعوا على عِلْمه ودينه. وصار الوزير وأمراء الدولة وجميع الشادِّين إنما وظيفتهم استخراج الأموال من جهاتها وحملها إلى بيت المال.

ورَتَّبَ للقُضاةِ وكُتَّابهم ونيابهم حتى لرسلهم ما يكفيهم بمعاليمَ مُقَرَّرَة على بيت المال. فكان الرجل إذا شكا غريمهُ إلى القاضي على حقٍّ شرعي، كتبَ له في ورقة ليحضر، وكانت هذه الورقة تسمى عندهم نيشان القاضي، أي علامة القاضي، فلا يستطيع أحد مخالفة تلك الورقة، ولو كان السُّلطان هو المطلوب، بل يُبادر عندما يراها ويحضر مع غَريمه إلى القاضي حتى يمضي فيه حُكمه. وشرط على القضاة ونواب الممالك أنَّ من وَليَ عملاً في شهر من السنة، فإذا أدركه ذلك الشهر من قابل، جلسَ بجامع البَلَد وطلبَ أكابر أسواق المدينة التي هو قاضيها أو أميرُها، فيحضر كبيرٌ من كل سُوق ومعه أهل سوقه، وتحضر سائر الطوائف بأكابرها ويكتبون جميعُهم مَحضرًا بسيرته فيهم أيام ولايته

عليهم، ثم يتوجَّه بالمَحْضر إلى السُّلطان، فإذا قُرِىء عليه إما يعيده إلى عمله أو يصرفُه عنه ويولِّي غيرَهُ. وأكثر ما كان يستمر بالحاكم في بلد من أعماله عامين.

وجعل أيضًا في كل عملٍ من أعمال المملكة كاتبًا يكتب متحصِّل البَلَد من العُشر، وهو مال السُّلطان، ولا يؤخذ من الزُّرَّاع غير العُشر بغير زيادةٍ عليه، ومنه يصرفُ كُلف المُباشرين والقُصَّاد لا من مال الفلاَّحين. ويتحصَّل أيضًا من كلِّ عمل خراج الثِّمار والزيتون ونحو ذلك من الغُروس، وكان حاصل كلِّ معاملة في جامعها. وفيه أيضًا أسماء جميع أهل القُرى والضياع ومبلغ ما على كل واحدٍ منهم من عُشرٍ أو خراج، فإذا ظلمَ أحدٌ الفلاحَ في شيء مما عليه من الخراج أو العُشر، وقفَ لقاضي معاملته وشكى حالهُ، فيكشف عند ذلك القاضي عن اسمه ويحرَّر أمرُه، فإذا تبيَّن أنه قد ظَلَمَ أخرج مرسوم السلطان بأنَّ من ظهر عليه أنه ظلَمَ أحدًا في قليل أو كثير، ولو كان العامل أو أمير البَلَد، فإنَّه يعلَّق منكوسًا حتى يموت، ويؤخذ جميع ماله لبيت المال، فلذلك تناهى الناسُ كافة عن الظُّلْم في جميع مملكته.

وكان مع ذلك حسن الاعتقاد في أهل الدِّين والعلم من الصُّلحاء والعُلماء، يبالغُ في ذلك حتى يخرج في اعتقادهم عن الحدِّ.

ثم لما عَظُمت نكايته لأهل الكُفر من الرُّوم والفِرَنْج، انتدب له ملكُ الأز وسار لحربه في نحو ثلاث مئة ألف، فلما التقى الجَمْعان قصدَ بنفسه الملك مراد وهو واقف تحت عَلمه، وحمل عليه حملةً مُنْكرة حتى قبضَ عليه وصارا يتعالجان على فَرَسيهما والعَسكران يتقاتلان، فألقى الكافر مراد بن عثمان عن فَرَسه ووقعَ عليه وضربه بخنجر معه فلم يتمكَّن منه، فأخذَ يضربُ بما على رأسه من الخوذة حتى أفسدَ وجههُ. هذا والسُّيوف الإسلامية تدقه دقًا حتى جَعَلُوه قطعًا، وحملوا مُرادًا إلى المُخَيَّم وهو يجودُ بنفسه، فأشار بولاية ابنه أبي يزيد بن مُراد بعده، وأن يُمْسك ابنُه صوجي بن مُراد ويُقتل فإنَّ أمه نصرانية، وقد دخلَ بلادَ الكُفر

مرارًا وتنصَّرَ وجَرَّ عليَّ مُلوك النَّصارى وقاتلني، ثم مات.

وقد ملك نحو عشرين سنة، فللحال بعثوا إليه أنَّ أباك في حياض المَلَك وقد فَوَّض إليكَ المُلْك من بعده فاحضر لتدركه. فعندما دخل المخيَّم على أبيه، قبضَ القوم عليه وقطعوا رأسهُ وعَلَّقوه على المُخيَّم.

وأجلسوا أبا يزيد وقاموا بين يديه، فصارَ الناس إذا أقبلوا على المُخَيَّم ورأوا رأسَ صوجي وشاهدوا أبا يزيد جالسًا دخلوا في طاعته، حتىتوطَّد أمره وعاد إلى برصَا وذلك في سنة ست وتسعين وسبع مئة. فخالف عليه من حوله من المُلوك لمحبَّتهم في أخيه صوجي، وجمعوا لحربه وقصدوه وحاربوه من بُكرة النهار إلى العَصر، فكانت الدائرة له عليهم، وقبضَ على جميع تلك المُلوك وأوقَفَهم بين يديه، وفيهم عيسى باك متملِّك أيا سلوق، وكان عريقًا في المملكة ولديه عِلمٌ، فعتبه دُونهم، ثم أفْرج عنهم جميعًا، وأمرهُم أن يُسْتَدعوا بِنسائهم وأولادهم وأموالهم وأهاليهم ويتوجهوا كلهم إلى مدينة أزْنيك ليقيموا بها أبدًا ما بقوا، ولم يتعرَّض لمالِ أحدٍ منهم ولا لأملاكه، وأرسلهم عن آخرهم إلى مدينة أزْنيك، وبعث إلى ممالكهم نُوَّابًا من جهته إلا ابن قَرمان فإنه كان زوج أخته فشفعت فيه عنده فأعاده إلى بلاده، وعادَ منصورًا مظفَّرًا إلى برصا.

فلما استقرت دولته أخذ ممالك قَرمان وقَتلَ ملكها علاء الدِّين وأسر ولديه، واستولى على مملكة منتشا وصارُوخان، فقويت شوكتُه واتَّسعت مملكتُه من حدود جَبل بَلْقان من ممالك النَّصارى وإلى ممالك أرزنجان.

وعَمر في برصا جامعًا جليلاً إلى الغاية، وجعله من الرُّخام، فَرَخم أرضه وظاهرَ أسواره وباطنها. وجعل الماءَ في سَطحه وينزلُ منه إلى الجامع فيجري في عدة أماكن. وعَمر مارستانًا، وأنشأ في ميناء كالي بولي مئتين وثمانين غرابًا[١] وشحنها بالأسلحة والآلات الحَربية

(١) نوع من السفن.

وبالأزْودة والمقاتلة، حتى أنه كان إذا نَفَرَ بالرَّحيل وقت الظهر، خرجت الأغْربةُ المذكورة كُلُّها سائرة إلى حيث يريد في الحال فلا يؤذَّن للعَصْر من ذلك اليوم إلا وقد بَعدت في البَحر عن الميناء. وجعل في كاليبولي عدَّة حَواصل لا تزال الصُّنَّاع بها تَعْمل البشماط[1] ونحوه من زاد المسافرين بحيث إنه إذا أرادَ الغزوَ بنفسه أو بإرسال عساكره لا يتعوّق ساعة واحدةً بل يجد جميع ما يُحتاج إليه مُهَيَّئًا.

وعُنِيَ بالاستكثار من الكلابزيَّة حتى بَلَغت عدتهم نحو اثنين وعشرين ألف كلابزي، مع كُلِّ واحدٍ منهم قوس وطبر، فكان أبـو يزيد إذا مَرَّ بغابةٍ، والغابات في تلك البلاد تعظم إلى الغاية، فيتقدَّم أمره إلى الكلابزية بقَطْعها، فللحال يأتوا عليها حتى لا يدعوا بها أصلاً قائمًا.

واشتُهِرَ ذكرهُ وبَعُدَ صيتُهُ، وكاتبه السُّلطان الملك الظاهر بَرْقوق وبعث إليه بالخيول المسومة وعليها السُّروج والكَنابيش الذَّهب، وحَملَ إليه الهَدايا الجليلة. وأرسلَ له مرةً الأمير حسام الدِّين حسن بن عليّ الكجكني، ومرةً الأمير طولو. ولم يزل هو يبعث إلى السُّلطان التقادم الجليلة.

ولم يبقَ أحدٌ من الملوك المجاورة له حتى كاتبهُ وهاداه، فسمت هِمَّته إلى أخذ الممالك. وذلك أنَّ قرايُلُوك لما قتل القاضي برهان الدِّين أحمد صاحب سيواس في سنة ثماني مئة ونازل سيواس ليأخذها فقاتله أهلها وكتبوا إلى أبي يزيد يرغبون إليه أن يملك مدينَتَهُم، فسار إليها وملكها واستنابَ بها ابنهُ سَلمان وسار إلى أرزنجان فملكها وقد فَرَّ منه حاكمُها طهرتن إلى تيمورلنك وهو بأذربيجان. وجالَ في تلك البلاد حتى توهم منه السُّلطان الظاهر بَرْقُوق.

---

(١) نوع من أنواع الكعك، ويعرف بالعامية العراقية اليوم «البقصم» (ينظر معجم دوزي ١/ ٣٥٦).

وأخبرني عنه الأمير حسن الكجكني رحمه الله أنه قال: ما أخشى من تمرلنك فإني أجد كلَّ أحدٍ يساعدني على مُحاربته وإنما أخشى عليكم ابن عثمان. وما مات السُّلطان رحمه الله إلا والإرجاف قويٌّ بحركة أبي يزيد إلى نحو بلاد الشام.

فاتفق أنَّ تَيمورلنك لما أخذَ العراقَ والشامَ التفت إليه، وأوَّل ما بدأ به في أمره أن كتبَ إليه وقد نزلَ بقراباغ يَرْغبُ في مُصاهرته، فلم يجامل وخاشنهُ في مكاتبته. فكتب تيمور وهو يرعد ويبرق ويأمرُهُ أن يُخْرجَ أحمد بن أويس وقرا يوسف من مملكته وإلا وإلا، ويقول إنَّكَ ابن رجل تُركماني من أينَ أنت والمُلْك، وأنتَ تَدَّعي أنك مُسلم مجاهد فكيف تتخذ النَّصارى جُنْدك وترزقهم من مال المُسلمين وترسلهم إلى سيواس يَرْمون المُسلمين بالسِّهام. فأجابه بما تعوَّدَهُ من مخاشنته واستدلَّ بأنَّ رسولَ الله ﷺ استعانَ بالطُّلقاء وهم مُشركون في حَرْب هوازن يوم حُنين وببعض بني قَيْنقاع وهم يَهُود، وكان ذلك من تنميق شمس الدِّين محمد ابن الجَزَري الدِّمشقي، وقد فَرَّ إليه من القاهرة فحظي عنده لتمكنه منه. فأجمع تَيمور على المَسير إليه وسارَ من قراباغ يريدُ أخذَهُ، فاستعدَّ له أبو يزيد وكان على مدينة إستنبول محاصرًا لها، فتقدَّم إلى عساكره بالتأهُّب، واستعان بالعُلوج من النَّصارى وطلب التَّبار، وهم أرباب مواشي حتى أنَّ منهم من له عشرة آلاف بَعير وعشرة آلاف فَرس، ولهم من الأغنام ما لا يُوصف كثرةً ومن الأبقار قطائع لا تُعد، وهم عدد كثيرٌ جدًا، بحيث يقال: إنَّهم ثمانية عشر ألف بَيت، فأتوه بأجمعهم. وعرضَ عساكره على مدينة آقْشهر، فيقال: إنها بلغت سبع مئة ألف فارس وثلاث مئة ألف راجل، وأنه هلكَ تحت الأقدام يومئذ من شدَّة الزحام خمسة وعشرون رَجُلاً. وسار يريد تَيمور مدة خمسة عشر يومًا، فخدعهُ تَيمور وكتب له: أنت رجل مجاهدٌ غازي في سَبيل الله، وما لي غرض في قتالك، لكن أريد أن تقنع بما كان مع أبيك وجدِّك من البلاد، وآخذ أنا بلاد الأمير أَرَتْنا وهي التي كانت في أيام السُّلطان أبي سعيد فمشى ذلك على أبي

يزيد ومالَ إلى مصالحته، فلم يشعر حتى بَلَغَهُ نزول تَيمور على مدينة كماخ، وقَتل أهلها وسَبْي حَريمها وتَخْريبها، فجدَّ في المَسير إلى لقائه حتى دَنا منه، فكادَهُ تَيمور ورجعَ، فظن أبو يزيد أنه قد خافَ منه فانهزمَ، وإذا به قد سَلَكَ طريقًا من وراء أبي يزيد وساق بعساكره في بلاد الرُّوم مسيرةَ ثمانية أيام حتى نزلَ على مدينة عَمُورية، وهي التي يقال لها أنكورية، وحاصرها وألقي فيها النَّار، فعندما بلغ أبو يزيد ذلك ساقَ بعساكره مُدَّة ثمانية أيام حتى أشرف على تَيمور. وقد بلغَ منه التَّعبَ والجهد وتقطَّعت عساكرُهُ، وتأخَّرَ أكثرهم عنه، وتَلفت خيولُهم فحالَ ما وصلَ أبو يزيد لهذه الحال، ركب تَيمور بمن معه لمحاربته، وذلك أول يوم من المُحرم سنة خمس وثماني مئة، فاقتتل الفَريقان في يوم الأحد خامسه من أول النهار إلى العَصر، وتَيمور مشرف على مكان مرتفع يرتِّب عساكرَهُ، فبلغت عدة من قُتلَ من الفريقين نحو الثمانين ألفًا. وتَعيَّن الغَلب لأبي يزيد وظنَّ هو ومن معه أن تَيمور يفرُّ وينهزمُ وإذا بكمينٍ قد خرجَ في آخر النَّهار يكون نحو المئة ألف وصدمَ الأمير سَلمان بن أبي يزيد، فانكسر وفرَّ على وجهه في ثُلث العَسْكر، فانكشفت المَيْمَنة وتزلزل القَلْبُ، ومضى سَلمان في نحو مئة ألف إلى جهة بُرصا، وأحيط بأبي يزيد ومن ثبت معه، وأُخذوا جميعًا وأُحْضروا إلى تَيمور، وقد تفرّقت عساكر أبي يزيد وتمزَّقت، وأصحابُ تيمور تَقتلُ وتأسرُ، فلولا أنَّ الليل حالَ بينهم لما بقي من العُثمانية أحد.

ولما جيء بأبي يزيد، أوقفه تَيمور وقَرَّعه ووبَّخَهُ، ووكَّل به جماعة، وأرسلَ وبعثَ من الغَد في طَلب المُنْهزمين فأخذَ منهم نحو الثلاثة آلاف. وامتلأت البلاد بأصحاب تَيمور تقتل وتَنْهب وتَسبي وتأسر وتخرِّب وتُحَرِّق، وتُنوِّع للناسِ أنواعًا من العَذاب حتى دخلوا بُرصا فما عَفُّوا ولا كَفُّوا وحَرَقوها بالنَّار.

وذكر جامع سيرة تيمور أنه لما أخذَ بغداد في ذي الحجة سنة ثلاث وثماني مئة، نَزَل قراباغ وكتبَ إلى أبي يزيد بن عثمان بسبب أحمد بن

أويس وقرا يوسف أن يخرجهما من مملكته وإلا قَصده، وأكثرَ من تهديده. فأجابه بجفاء وخُشُونة وحلفَ في آخر كتابه بالطَّلاق الثلاث أنه إن جاءَ إليه لا يفرُّ عنه. فأنكر تَيمور ذكره النِّساء وقال: هو مَجْنون أحمق. ثم عرض جندهُ وسار.

وقد قَدِمَ حفيدُه ووَليُّ عهده محمد سُلطان بن جَهان كير بن تَيمور إلى قَلْعة كماخ، وهي نصف يوم عن أذربيجان، فنزل عليها، وكانت بحيث لا يقطع السَّهم عرض خَنْدقها، ولا يَهْتدي إلى التَّوصل إليها من يحاصرها لأنَّ في أحد جوانبها الفُرات وفي الجانب الآخر نَهرٌ عريضٌ يصبُّ في الفرات، وفي الجهتين الأُخريين هضباتٌ عجيبة. فأمر تَيمور بقَطْع الأخشاب من تلك الغابات التي هناك، وهَدمَ البيوت وقطع الأشجار في زمن يسير وطرحَ ذلك كلَّهُ في النهر حتى طَمَّه بالخَشب، فألقى أهلُ القَلْعة عليها النَّار فاشتعلت، فأمر تيمور بالتُّراب والأحجار فأُلقيت على النَّار في ساعةٍ واحدةٍ، ثم طمَّ الوادي بالحَصَا والأحجار، وعَبَرت عساكرُه فوقها حتى تمكنوا من السُّور وتسلَّقوا في السَّلالم إلى القَلْعة، فطلبَ أهلُها الأمان فأخذوهم وما مَعهُم في شَوال سنة أربع وثماني مئة، ثم أمرَ بنقل ما كان في الوادي من الأخشاب والأحجار فنُقِلَت بأسرها حتى عاد الخَندق كما كان، وأقامَ بالقَلْعة من يثقُ به، وكتبَ إلى أعماله يُبَشِّر بفتح قَلْعة كماخ، وجعل عنوانها كلها:

بحد سُيوف داميات لدى الوغى فتحنا بحمد الله حِصْنَ كماخ

وكتبَ فيها ابن عُثمان وكتابه إليه وكيف رَدَّ جوابهُ ومن جُملته: إنا ما جَفَوْناه ولا تعدَّينا عليه ولكن وقعنا له القَوْل وتَلَّطفنا إليه، وقلنا له يُخْرج من قروح مملكته مادة الفساد وهي أحمد الجلائري وقرا يوسف التُّركماني، اللذان أخربا البلاد وأهلكا العِباد، والرِّضى بالمَعْصية مَعْصيةٌ، والإقرارُ على الكُفر كفرٌ. والفاسق المَحْرُوم البائس شرٌّ من الفاجر الظلوم المُلابس، فصارا في الفَسادِ وزيريه وهو الأمير، وفي العِناد صغيريه وهو الكبيرُ، وعاشراهُ على ذلك ووالياه، فلبئسَ المَوْلى ولبئس

العَشير، فأفْسداهُ وما انصلحا، وخَسراه وما رَبحا، فكأنَّه عَنى شأنهم من أظهرَ قولَهُم وشانَهُم بقوله:

وما يَنْفعُ الجَرْباء قرب صَحيحة   إليها ولكن الصَّحيحة تجَرْبُ

ولم يَزَل على طريقته العَرجاء، فأشبه لما أجارهم مجير أُمِّ عامر العرجاء، فنهيناهُ فما انتهى، ونَبَّهناهُ فما ارعوى، فأريناهُ العبرَ في غيره فما اعتبر، ونـاداه لسانُ انتقامنا من المُخالفين الحَذَرَ الحَـذر، وكُنا وَضعنا اسمه مع اسمنا على عادة حِشْمتنا وأدبنا في المُراسلات ورَسْمنا، فتعدَّى طورَهُ، وأبدى جَوْرَهُ، وكان في بعض مُراسلاته وما وضعَهُ في مكاتباته، كتب اسمه تحت اسم طَهْرتن، وهذا هـو الواجب عليه والحسن، ولا شكَّ أنَّ طَهْرتن بالنسبة إلينا كبعض خَدَمنا وأقلِّ حَشمنا ثم إنَّهُ - أعني أبا يزيد - لما طالعَ كتابنا وردَّ جوابنا، وضعَ اسمه فَوْق اسمنا بالذَّهب، وهذا لما فيه من كثرة الحَماقة وقِلَّة الأدب. ثم ذكر باقي الكتاب.

فلما بلغَ ابن عثمان توجُّهُ تَيمور إليه، استعدَّ لقتاله، وكان على مدينة إستنبول محاصرًا لها وقد قارب أن يفتحها، فتقدَّم إلى رؤساء عَساكره أن يتأهَّبوا لقتاله واستعانَ بالعُلُوج النَّصارى، وطلب التَّبار وهم أصحاب مواشي فربما كان للواحد منهم عشرة آلاف جَمَل وعشرة آلاف فَرَس، ولهم من الأغنام والأبقار ما لا يُحصى، وهم يُصَيِّفُون ويشتون في بلاد الروم وبلاد قَرَمان إلى ضواحي سيواس، ولملوك تلك الأقطار عليهم عوائد، وفيهم إحسان وبرٌّ لمن يقصدهم، وهم عدد كثير يقال: إنهم ثمانية عشر ألف طائفة، فأتوا إلى ابن عثمان بأجمعهم، وكان تَيمور قد تَلَبَّثَ عن المَسير، وكتب إلى أكابر التَّبار المَذْكورين يفجدهم عن ابن عثمان، ويذكرهم بأنه وإيّاهم يُنْسبون إلـى أبٍ واحدٍ. ويشنِّع عليهم طاعتهُم لابن عثمان فإنَّهم أحقُّ بالمُلك منه وأولَى به، ووعدهم أنه إذا زال ابن عثمان عن بلاد الرُّوم جعَلَهُم عوضه ملوكًا بها، وأغراهم به وحثهم على أنهم إذا وقعَ المصاف انحازوا إليه، فمشت خدعةُ عليهم

واطمأنُّوا إليه لطمعهم في تملُّك بلاد الرُّوم.

فلما تهيأ أمر ابن عثمان سارَ في شهر رمضان من استنبول، وعَزْمه أن يردَّ تَيمور عن الدُّخول إلى بلاده، وأنَّه يَلْقاه على ضواحي سيواس، فسلكَ في مسيره إليه غير الطريق الجادة، فخالفه تَيمور في الطريق وسلكَ الجادة وهي ذات خِصْب ودعة، فلم يَشعر ابن عثمان إلا وتَيمور ينهبُ بلاده ويسبي أهلها، فكاد يموتُ غَيْظًا، ورجعَ من طريقه فجدَّ في مسيره وهو في أرض مُجدبة، فلم يدرك تَيمور إلا وقد جَهدهُ وعساكرَهُ وَوَهنهم الجُهد، وقد نَزَل تَيمور أنقرة، وهو وجميع عساكره في راحة ودعة وعَيش رَغيد وماء كثير، ونزل ابن عثمان على غير ماء فكادت عساكره تهلك عَطشًا. فلما تراءَى الجَمْعان واصطفا للحرب كان أول شيء نزل بابن عثمان من البلاء أن خامرت التَّبار عليه بقَضِّها وقَضيضها ولحقوا بتَيمور، فَفَتَّ ذلك في عَضُده. ثم تلاهم الأمير سَلمان، وهو أكبر أولاد أبي يزيد، ومضى عن أبيه ببقية الجَيْش يريدُ مدينة بُرصا دار مُلْكهم، وذلك أنه لما رأى التَّبار خامروا وهم معظم جيشهم، حتى يقال إنَّهم كانوا نحو ثُلُثي عَسْكر ابن عثمان، علم بزوال أمر أبيه، فَتَحَيَّزَ بمن بقي من العَسْكر يريد النجاة، فلم يبقَ مع أبي يزيد سوى المشاة، وقليل من الفُرسان لا يبلغ مجموعهم خمسة آلاف، فثبت وثبتوا حتى أحاطت بهم التَّمريَّة، فصدفوا بالضرب بالأطبار والمشايحة في السيوف إلى أن أفنوا أمثالهم، هذا وسهام التَّمرية ترشقهم إلى أن صاروا كالقنافذ.

واستمر القتال بين الفريقين من ضحوة نهار الأربعاء سابع عشري ذي الحجة سنة أربع وثماني مئة إلى وقت العَصر، فَكَلَّت أصحاب أبي يزيد، وكَثُرت عليهم عساكر تيمور وقد ضاقَ عنهم الفضاء، يدقُّونهم بسيوفهم ويطعنوهم برماحهم، وهم يدافعون القوم عن أنفسهم، حتى صرعوا بأجمعهم. وأخذَ أبو يزيد قبضًا باليد، على نحو ميل من مدينة أنقرة، وقد هلك غالب من كان في عسكره من العَطش، فإنَّ الوقت وافقهُ ثامن عشري تموز.

فوصل سَلمان إلى برصا دار مُلْك أبيه، وحملَ ما قدر عليه من المال والحريم، وركب البَحر إلى أدرنة، فتلاحق به جَمع كبيرٌ من النَّاس. وكان تَيمور بعثَ شيخ نور الدِّين إلى برصا على عَسكر، ثم تبعهم فدخلها وأخذ ما وصلت إليه قدرته من الأموال والحرم، وخلعَ على أمراء التَّبار المذكورين وفرقهم على أمرائه، وسَبَى وأسر وقتل ونهب هو وعساكره. وصار يوقف أبا يزيد ويسخر منه ويُبكِّته. ثم جلسَ لمعاقرة الخَمر في أعيان دولته وطلب أبا يزيد طلبًا مزعجًا فجاء يَرسف في قيوده، وهو يرجف ظنًا منه أنه يقتل فلما رآه تيمور أمره فجلس وأخذ يحادثه ويؤنسه، ثم سقته جواريه وحظاياه اللاتي أخذهن تيمور، فازداد كمدُه وتضاعف همُّه، وإنما أراد تيمور نكايتهُ بذلك. ثم أمر به فأعيد إلى مكانه، بعد أن أخرج تيمور محمدًا وعليًا ابنا علاء الدِّين ابن قَرَمان وخلعَ عليهما وولاهما بلاد قَرَمان نكايةً في أبي يزيد، فإنه كان قتلَ أباهما علاء الدِّين وسجنَ ولديه المذكورين حتى أخرجهما تَيمور لما ملكَ برصا.

ثم سار تيمور من برصا ومعه أبو يزيد في قفص من حديد، وفي رجليه قَيْد ثقيل ليصل به إلى سمرقند، فمات في القَفص على مدينة آق شهر من بلاد الرُّوم. وأقاموا ستة أشهر يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

وقد عَدَّى الأمير سَلمان إلى بَرِّ قُسطنطينية، ومات أبو يزيد في الأسر لأيام من ذي القَعْدة سنة خمس وثماني مئة. فكان مدة تملكه بعد أبيه تسع سنين. ولم يتلقب هو ولا أحدٌ من آبائه بلقبٍ ولا دُعي بملكٍ ولا سُلطان، بل كان يقال له الأمير، وإذا بالغوا في تعظيمه قالوا خَوندكار.

وكان أبو يزيد شجاعًا عجولاً كثير الحَرَكة، بحيث إذا تكلَّم في صدر مجلسه لا يزال يتحرّك حتى يصل إلى طَرف المجلس، إلا أنه كان

عادلاً غازيًا مُهابًا إلى الغاية، كريمًا محبًا لأهل العلم وأهل الصَّلاح، كثير المال بحيث يبلغنا عنه من ذلك ما يُسْتَحيا من حكايته.

أخبرني الشيخ حسام الدِّين حسن بن عليّ الكجكني رحمه الله، أنه دخلَ معه الحَمَّام لما توجه في الرسالة، فإذا الحوض الذي يغتسل منه جميعه من الفِضة.

وأخبرني الطبيب الفاضل شمس الدِّين محمد بن الصَّغير، وكان قد بعث به السُّلطان الملك الظاهر إليه، أنَّ أبا يزيد غزا الأفلاق وأخذهم فوجد أعتاب أبوابهم وسكفاتها من فِضة، وذلك أنَّ معدن الفِضة عندهم. قال: فرجع العَسْكر ومعهم من الفضة شيء لا يكاد ينحصر كثرةً.

وأخبرني الأمير حُسام الدِّين أن أبا يزيد يجلس في غالب الأيام بكرة النَّهار في براح مُتّسع، وتقفُ الناس على بعد منه بحيث يراهم، فمن كانت له ظُلامة رفعها إليه. وأنَّ رجلاً شكا إليه مَرَّةً رجلاً أنه فَرَّق بين نسائه ومَرّ بينهنَّ، وقد توجَّهن إلى الحَمَّام، فأمر به فَشُنق، يريد بذلك ألا يتعرض أحد لحريم أحد. هذا وله موضع يُعْرف بالبازار، معدٌّ لبيع الخَمْر ووقوف البغايا والأحداث، لا ينكر على أحد ما يفعل فيه، وأنما الإنكار على التعرَّض للحريم الصَّيِّنات.

قال: ووقف له مرةً رجلٌ يشكو بعضَ العَسْكر أنه مَرَّ بفرسه في زَرْعه، فأمر به فَشُنقَ، يريد بذلك ألا يتعرض أحد لمال أحد، بحيث كان يوجد الحمل من البضائع مطروحًا في البرية ولا يتجاسر أحد على أخذه. وكان أقصى ما يطلب من الإنسان ألا يخون، وما شاء من الشهوات فعل من غير إنكارٍ عليه، فإنَّ الزنا واللِّياطة وشرب الخَمْر وأكل الحَشِيشة عندهم فاشٍ ظاهر. غير أنَّ من عُرف عندهم بدين أو عِلْمٍ بالغوا في إكرامه وتَعْظيمه.

وأخبرني الأمير حسام الدِّين أنَّ أبا يزيد إذا جلسَ في مَجْلسِ مُلْكه، قَدَّم إليه بعض وزرائه صَحْنًا من ذَهب فيه هندام لحم فيأكل منه حاجته،

ثم يتناول مِنْديلا من حياصته ويَمْسحُ به يديه وفَمَهُ، ثم تُفَرَّق اللُّحوم في العساكر. وأنه قُدِّمت له مرة بقرة قد شُويت بعد سَلْخها على الجوكه كما هي من غيرِ أن تقطع فكانت من ألذِّ ما أكل. وأنه أراه آلةً إذا مَضَى من النهار أو اللَّيلِ ساعةٌ، انفتح باب وسقطت منه بُنْدقة من حديد، وإذا كان عند طلوع الفَجْر أو غروب الشمس انفتح باب وخرجت جوقة مغاني تَرن، وأنَّه يوجد في ظاهر برصا وجبالها من شجر التِّين وكُروم الأعناب وأشجار الفواكه شيء كثير غير مملوك لأحد يَعيشُ فيه الفقراء.

وأخبرني الطبيب شمس الدِّين أنَّ بُرصا هيئة بُسْتان كبير فيه بيوت من الخشب، وأنَّ السِّعْر بها رخيصٌ فَيُباع لحم الضأن ستة أرطال بدرهم.

وكانت عادة أبي يزيد ألا يتعرض لأموال أحد من رعيته، فمن مات ولا وارثَ له يتولَّى القاضي أمر ما خَلَّفه. ولا يُؤْخَذُ من التجار في جميع مملكته مُكسٌ البتةَ، وأنَّ من خرجَ معه لغزوٍ وكَسَبَ ما عسى أن يكسبَ لا يتعرَّض لأخذ شيء منه. وكان إذا خرجَ إلى غزو خرجَ معه النَّاسُ على اختلاف طبقاتهم من العامة والباعة ونحوهم، فلذلك كانت جموعه كثيرة.

ويوجد في جميع مملكته التكايات في كل بلدٍ، وهي بيوتٌ مُعَدة للواردين، يوجد بها من اللَّحم والطَّعام والخُبْز ما يقوم بحال الوارد مُدة إقامته، واحدتها تكية. وبالجملة فكانت محاسنه كثيرة.

وقام من بعده لمملكة بُرصا ابنه الأمير سَلمان، وجَرَى على عادة آبائه، وذلك أنه ترك من الأولاد عيسى ومصطفى وموسى ومحمد وسَلمان وهو أكبرهم، فطلب كلُّ واحدٍ منهم ناحيةً في طائفة معه من عسكر أبيه، فكان محمد وموسى بقلعة أماسية ويقال لها خَرْشنة. ثم إنَّ سلمان قَتَلَ فيما بعد أخاه عيسى، فقتل موسى سَلمان، وقتل محمد موسى، ثم مات محمد في أوائل سنة أربع وعشرين وثماني مئة. وأما مصطفى فإنه فُقدَ، فَقُتلَ بسببه جماعةٌ، ولم يُعرف له خبرٌ.

وكان الذي قام بعد أبي يزيد بأمر المملكة سَلمان لأنَّه أكبر وَلَده، وأقام بِبَرِّ القُسطنطينية في مدينة أَدْرَنه وكالي بولي، وقام أخوه عيسى بمدينة بُرصا، وتحاربا فقتلَ عيسى واستبدَّ سَلمان بمملكة أبيه، فثارَ عليه أخوه موسى وحاربه فقتلَ سَلمان، وملك بعده أخوه موسى بِبَرِّ أَدْرَنه، وقام أخوه محمد كرجشي ببرصا، وتحاربا، فقتل، موسى واستبدَّ محمد كرجشي بالمملكة حتى ماتَ فأُقيم بعده ابنه مُراد بن محمد كرجشي بن خوندكار أبي يزيد بن مُراد بن أرخان بن أردن علي بن عُثمان.

حرف الباء

٣٥٩- بادار العَجَميُّ، واسمه أحمد، الشيخ القدوة شهاب الدِّين[١].

كان في ابتداءِ أمرهِ طَباخًا، ثم انقطع وسَلَك، فَظَهرت له أحوالٌ وأبدى مقالاتٍ في العِرْفان. وقفتُ له على شَرْحِ أبياتٍ لابن العَربي على طريق الصُّوفية دَلَّ على تمكُّنهِ في المعارف الإلهية، أملاهُ بعد عماه، مع أنَّه أُمي لا يكتبُ ولا يقرأ المكتوبَ، وكان أمره عَجبًا، فإنَّه كان يُخبر من يدخل عليه بما أضمرهُ في نفسهِ وما يصيرُ إليه. أخبرني عنه الثِّقَة مُقبل الشَّامي عنه بذلك، وأنَّه قال له: ليس هذا عن كَشف وإنَّما هو شيءٌ استعدته من كلام ابن العَربي. وعندي أنَّه ورَّى بذلك ليهضم نفسَهُ.

وكان قد صَحِب الشَّريف حَيْدر بعدما جَهَد في طَلبهِ ففتحَ له على يده، وقَدم القاهرة وأقام بها زَمانًا وقد اشتُهر، وقصدَهُ النَّاسُ للتبرك به، فشاهَدُوا منه وسمعوا ما عجبوا به، ثم كُف بَصرُه في آخر عُمُره، وأقام ببيت المَقْدس مُدةً حتى مات به وقد أناف على السَّبعين سنة ثمانين وسبع مئة، وهو أحد الأفراد الذين أدركتُهم.

٣٦٠- بديعُ بن نَفِيس الدَّاوديُّ التِّبْريزيُّ، صَدرُ الدين[٢].

أسلمَ بإسلام أبيه نَفِيس رأس الجالُوت، وتَقدم في الطِّب، فلما تقلد السُّلطان بَرْقُوق سَلْطنة مصر جعله شريكًا لشيخنا علاء الدين بن صَغير في رياسة الأطباء، فباشرها حتى مات في يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رَبيع الأول سنة سبع وتسعين وسبع مئة.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ١/ ٢٧٩، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٩٣، وشذرات الذهب ٦/ ٢٦٥.

(٢) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٦٢، والدرر الكامنة ٢/ ٤، وإنباء الغمر ٣/ ٢٥٨، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٤٤.

وكان إمامًا من أئمة عُلماء الطِّب والحِساب والنَّجامة وغير ذلك من الفُنون المُخْدِعة.

٣٦١- بَدْرُ بن عبدالله الحَبشيُّ، من عُتقاء الطواشي سابق الدِّين مِثْقال[١].

كان بَوابًا بالمدرسة السَّابقية، وهو من أهل الخَير والدِّيانة. تُوفي بعد سنة ثماني مئة.

أخبرني أنه من وَلَد بعض أجناد الحطي مُتملك الحبشة، وأنهم إذا تَوقَّف نُزول المطر ببلادهم عن وَقْته أحضرَ الحطِّي طائفةً معروفة وأمرهم أن ينزلوا بالمطر فتمتنعُ من ذلك، فلا يزال يعاقِبُهم حتى يقع المطرُ، وعندهم أنَّ هذه الطائفة تَسْحر المطر حتى لا يَنْزلَ. وأخبرني أنه شاهد ببلادِ الحَبشة حَيَّة تنتصبُ بأعْلَى الجَبَل وتَمتدُّ مُنحنيةً فتَصيرُ على قَدْر قَوْس قُزح. وأنه شاهد شجرةً يستظلُّ بها مئتي فارس.

وكان رحمه الله ثقة، صدوقًا، شديدًا في الله، يُوثَقُ بقولهِ وأمانتهِ، صحبناه سنين.

٣٦٢- بَرْقُوقُ بن آنص، السُلطان الملك الظَّاهر سَيْف الدِّين أبو سعيد ابن الأمير[٢] . . . الدِّين العُثمانيُّ أولُّ ملوك الجراكسة[٣].

٣٦٣- بَركة، ويعرف بالسَّيِّد برَكة[٤].

تمكن من الأمير تيمورلنك تمكنًا زائدًا، وحكم في عامة ما استولى عليه، وقد اختُلفَ في أمره، فقيل: إنَّه مَغْربي، وإنَّه كان حجامًا بالقاهرة

---

(١) ترجمته في: الضوء اللامع ٣/ ٣.

(٢) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه.

(٣) ترك المصنف بعد هذا فراغًا ولم يعد إليه، وقال السخاوي في الضوء اللامع ٣/ ١٢: «ذكره المقريزي في عقوده، وبيض له». وانظر ترجمة برقوق في العقد الثمين ٣/ ٣٥٧، وإنباء الغمر ٤/ ٥٠، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢٢١، والضوء اللامع ٣/ ١٠، ووجيز الكلام ١/ ٣٣٤، وشذرات الذهب ٧/ ٦.

(٤) ترجمته في: شذرات الذهب ٧/ ٤٣.

مُدة ثم سارَ منها إلى بلاد المَشْرق ودخل مدينة سَمَرقند وادعَى بها أنَّه شريفٌ عَلويٌّ فعظُمَ بها قَدْرُه وصارَ من أعيان الناس فيما وراء النَّهر، وقيل: بل هو من أهل مكة، وقيل: من أهل المدينة النَّبوية. فلما قتَلَ تَيمورلنك السُّلطان حُسين صاحب بَلْخ في سنة إحدى وسبعين وسبع مئة وسار إليه الخان تُوقياميش ليُحاربه. تلاقيا على أطراف تركستان، فاشتدت الحرب بينهما حتى قُتل أكثر التَّمرية، وهمَّ تيمور أنْ يَنْهزمَ ووقف في حَيرةٍ، وإذا بالسَّيد بَرَكة قد أقبل إليه على فَرسٍ، فقال له تيمور: يا سيد السَّيد، جيشي انكسر. فقال له: لا تَخَفْ، ثم نَزَل عن فرسه ووَقَف على رِجْليه يدعو، ثم تناول مِلءَ كَفِّه من الحَصْباء ثم رَكب فرسه ورَمى تلك الحَصْباء في وجوه التُّقومشية وصرخَ بأعلى صوته: ياغى قاجدي، فصرخَ بها معه تَيمور فامتلأت بتلك الصَّرخة آذان التَّمرية وأقبلوا بأجمعهم مُسرعين إليه، فحملَ بهم تَيمور على القَوْم حملةَ رجلٍ واحد وما منهم إلا وهو يصرخ ويقول: ياغى قاجدي، وقد شَهَروا سيوفهم يضربون بها من بين أيديهم، فانهزم القومُ منهم أقبحَ هزيمة، وتركوا ما معهم بأجمعِهِ، والتَّمرية قد رَكبت أقفيتَهُم تَقتلُ وتأسر، فحاز تيمور من المال والمواشي ما يَجلُّ وصفُه واستولَى على تركستان وبلاد نهر خُجَنْد وعادَ إلى سَمَرقند سالمًا غانمًا ومعه السَّيد بَرَكة، ولا أحد يُدانيه في منزلته عنده، فقال له: تمنَّ عليَّ، فطَلَب منه أن يُقطعه أندَخوْي وأعمالها من ممالك خُراسان، فأقطعَهُ ذلك، واستمرَّ في يده ومن بعده لأولاده وذُريته، وما زال مع تَيمور، وقدم إلى دمشق صحبته.

٣٦٤- بَرْسْباي الدُّقماقيُّ السُّلطان الملك الأشرف سَيف الدِّين أبو النصر الجَرْكسيُّ[١].

سُبيَ من بلاده بعد أن أسلمهُ أبوه وهو صَغير إلى حَدَّاد، فكان يَنفخُ

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٩/ ١٦، والنجوم الزاهرة ١٤/ ٢٤٢، والضوء اللامع ٣/ ٨، ووجيز الكلام ٢/ ٥٥٤، وشذرات الذهب ٧/ ٢٣٨.

عنده بالكُور ليجد ما يتقوت به، فإن أباه كان مُقلاً، ويقال: إنَّه باعَهُ فاشتراه يهودي اسمه صادق خدمَهُ مدةً، ثم جُلبَ فتنقل في أيدي التُّجار حتى اشتراه الأمير سَيف الدِّين دُقماق نائب مَلَطية، فأقام عنده مدةً ثم بَعث به مع تَقْدمةٍ إلى الظَّاهر بَرْقوق فأنزله بالطباق بقَلْعة الجَبَل مدةً، ثم أخرج له خَيْلاً وصار يركبُ وينزل إلى أن مات السُّلطان، فانتمى في الأيام النَّاصرية فرج بن بَرْقوق إلى الأمير جَرْكس المُصارع وعَمِلَ من جُملة سُقاة السُّلطان إلى أن خرجَ فارًا إلى الشام في جُملة من خرجَ من المماليك في تلك الفتن، وصار من جُملة أتباع نَوْروز الحافظي، وتَغلَّب معه في أطوار تلك الفِتن، ثم استحال هو وطَطَر على الأمير نوروز وصارا في جملة الأمير شيخ المَحْمودي، فلما قُتل السُّلطان الملك النَّاصر فرج بدمشق قدما مع الأمير شيخ إلى ديار مصرٍ فلما تَسلطن أنعمَ على كل واحد بأمرةٍ، ثم أخرج الأمير بَرسْبَاي إلى كَشف الجسور، ثم ولاه نيابة طرابُلُس في ربيعٍ الآخر سنة إحدى وعشرين، فواقعَ التُّركمان، فكسروه كسرةً قبيحةً فغضب عليه السُّلطان الملك المُؤيد شيخ وسجنه بقلعة المَرْقَب مدة، ثم أفرجَ عنه وعَملَهُ من جُملة أمراء دمشق، فأقام بها على إمرته حتى مات السُّلطان المؤيد شيخ، وأقام من بعده الأمير طَطَر، فقبضَ عليه الأمير جَقْمق نائب الشَّام وسجَنَهُ بقلعة دمشق من أجل أنه معروف بصُحْبة الأمير طَطَر، فإنَّ بينهما قرابةٌ قريبة.

فما زال برسباي مسجونًا حتى ثار الأمير ألطنبُغا القُرمُشي على جَقْمق وأخرجه من دمشق، وأفرجَ عن برسْبَاي، وبعقب ذلك دخل الأمير نظام المُلْك طَطَر إلى دمشق، فأكرمه وسار به معه إلى حَلَب وبعثَهُ منها حتى أحضر جَقْمق من صَرْخد.

فلما عاد الأمير طَطَر إلى دمشق وتَسَلْطَنَ بها عَملَ بَرسباي دَوَادار السُّلطان بأمرية مِئَة تَقدمة ألف، وقَدم معه إلى قلعة الجبل وباشرَ الدَّوادارية يَسيرًا، وقد مَرض السُّلطان الملك الظَّاهر طَطَر وعهد إلى ولده الأمير ناصر الدِّين محمد، وأن يكون قائمًا بدولته الأمير جَانِبَك الصُّوفي

والأمير بَرسباي لالا، وحَلَّفَ الأمراءَ على ذلك، فأقام الأمير بَرسْباي عند السُّلطان في القلعة وترك النُّزول إلى داره، وكان الأمير جانبك مقيمًا بباب السلسلة.

فلما مات السُّلطان في يوم الأحد رابع ذي الحجة وأُقيم ابنه في السَّلْطنة من بعده، ولُقِّب بالملك الصالح وعُمره نحو العَشْر سنين، أقام الأمير جانبك الصُّوفي بالحَرَّاقة من باب السِّلْسلة وانضمَّ إليه مُعْظم الأمراء والمماليك وأقام الأمير بَرسباي في القَلْعة في عدةٍ من الأمراء، والمماليك منهم الأمير طَرَباي حاجب الحُجاب، والأمير قَصْروه رأس نوبة، والأمير جَقْمق العَلائي نائب القَلْعة، فاجتمع المماليك لطلب النَّفقة من الأمير جَانِبَك الصُّوفي، فوعدهم بها بعد عشرة أيام ولم يُعين لهم مقدار ما ينفق فيهم، وبعث إلى الأمير بَرسْباي أن يَنْزل من القلعة هو والأمير طَرَباي والأمير قَصْروه، وأنْ يسكنوا في دورهم على العادة ويقيم الأمير جَقْمق عند السُّلطان فنزل الأمير طرباي مُظهرًا أنه في طاعة جانبك، وهو في باطن الأمر مع الأمير بَرسْباي، وجعل يَسْتميلُ كثيرًا من المماليك له إلى أن كان يوم عيد النَّحر أخرج الأمير بَرسْباي بالصَّالح بن طَطَر إلى جامع القَلْعة وصَلَّى به صلاة العيد ومعه الأمير قَصْرَوه، ثم مَضَى به بعد الصَّلاة والخُطبة حتى ذَبح الأضاحي على العادة. وبينا هو في ذلك إذ رَمَى بعضُ المماليك بالنُّشاب من أعلى القَلْعة على الأمير جانِبَك وهو بالحراقة من باب السِّلسلة فاضطربَ النَّاس، وأُغْلِقَ باب السِّلْسلة ودُقَّت الكُوسات حَرْبيًا، وأُغلق باب زويلة خَوْفًا على القاهرة من النَّهْب، فخرجَ الأمير طَرَباي من داره تجاه باب السِّلْسلة في جمع كبير وعليهم آلة الحَرْب ومعه الأمير جَقْمق، ومَضَى حتى طلع إلى الأمير جانبك بالحراقة وأخذ يَلُومه على تأخره عن الطُّلوع لصلاة العيد عن السُّلطان بجامع القلْعة، وما زال يخدعه حتى انخدعَ له، ورَكب معه لِيَشْتَوروا في بيت الأمير بَيْبُغا المُظَفَّري على ما يعملوه. وكان الأمير بيبغا قد تأخَّر عن الرُّكوب وأقام في داره، فمضوا وركب مع الأمير جانِبَك

الأمير يَشْبُك أمير آخور، فما هو إلا أن صاروا بداخل بيت الأمير بيبغا المُظَفَّري إذا بباب الدَّار قد أُغْلقَ وأُحيط بجانبَك الصُّوفي ويَشْبُك، وقُيِّدا وحُملا إلى القَلْعة ونُودي بالنَّفَقة في المماليك، فلم يتحرك مُتَحرك وسَكنت الفتنة كأن لم تكن، ونُودي في الشوارع بالأمان، فقد قُبضَ على أعداء السُّلطان، فَفُتح باب زويلة واطمأنَّ الناسُ بعد ما كان في ظَنِّهم أنَّ الفتنة تطول وتَعْظُم، وكلُّ ذلك إلى ضحى النهار.

وأصبح الأمير برسباي في تدبير أمور الدولة وبعث بجانبك ويَشْبك إلى سكندرية[1] فَسُجِنا بها، ثم أخرج في يوم الخميس سادس عَشرة بالسُّلطان إلى القَصْر وقد اجتمعَ الأُمراءُ وغيرُهم من أهلِ الدَّولة للخدمة على العادة، وخُلعَ على الأمير بَرسْباي واستقرَّ نظام المُلْك، وفوَّض إليه الخليفة أمور المملكة بأسرها ليقوم بها حتى يبلغ السُّلطان رُشْدهُ، وحكم بصحة ذلك قاضي القُضاة زَيْن الدِّين عبدالرحمن التَّفْهني، وخُلعَ على الأمير سُودُن من عبدالرحمن[2] واستقرَّ دوادار السُّلطان عِوَضًا عن الأمير نظام الملك بَرسْباي، واستقر الأمير طرباي أميرًا كبيرًا أتابك العساكر عِوضًا عن جانبك الصُّوفي، واستقر الأمير جَقْمق العَلائي حاجب الحُجاب عِوَضًا عن الأمير الكبير الأتابك طَرَباي، واستقر الأمير قَصْروه أمير آخور عِوَضًا عن يَشْبُك، واستقر الأمير أزبَك رأس نَوْبة عِوَضًا عن الأمير قَصْروه وخُلعَ على الجميع.

وقد تقرر الحال على أنْ يكون تَدْبير الدولة وسائر أمور المملكة بين الأمير نظام الملك بَرسْباي وبين الأمير الكبير الأتابك طَرَباي شرْكةً، وأن يكون سُكْنَى الأمير طَرَباي بداره تحت القَلْعة تجاه باب السِّلْسلة، وأن يُقيم الأمير نظام المُلك بَرسْباي بالأشرفية من القَلْعة، وأن يحضُرَ

---

(١) هكذا بغير ألف، والمتأخرون يلفظونها بأشكال مختلفة منها هذا الشكل.

(٢) استعمل كُتَّاب المماليك «من» بين الاسمين، لتدل على نسبة المملوك لسيده، وهي كثيرة الاستعمال في هذا العصر.

الأمير طَرَباي وسائر الأمراء وأرباب الدولة الخِدْمة عند الأمير نظام الملك بَرسْباي بالأشرفية. ثم خرج جميع الأمراء وأرباب الدَّولة من الخِدْمة السُّلطانية بالقصر مشاةً في خدمة الأمير نظام الملك بَرسْباي حتى دخل الأشرفية التي هي سُكناه، وعُملَت الخِدْمة بين يديه بها، فَصَرَّفَ الأمورَ ومَشَّى الأحوالَ على حسب اختياره ومُقْتَضَى رأيه، واستمر له الأمر على ذلك من غير مُنازع ولا مُعارض.

ثم ورد الخبر بأنَّ الأمير تغري بردي بن قَصْروه نائب حَلَب خرجَ عن الطاعة، فَوَقَعَ الشُّروع في النَّفقة على المماليك حتى عَمَّوهم، وهم ثلاثة آلاف ومئتا مملوك، لكلٍّ واحد خمسون دينارًا. فوردَ الخبرُ أنَّ الأمير تِنبَك البجَاسي نائب طرابُلُس لما كُتبَ له باستقراره في نيابة حلب سار إليها وقاتل تَغْري بَرْدي بن قَصْروه وهزمَه، وملك منه حَلَب، فدُقَّت البَشائرُ لذلك أيامًا، وكفَى الله الأمير نظام الملك أمر تَغْري بَرْدي بعد ما كان منه في همٍّ كبيرٍ، فقبضَ على الأمير قُرْمُش أحد أمراء الألوف، وأُخرج إلى دِمْياط، وأُنْعِمَ بتَقْدمته على يَشْبك السَّاقي الأعْرج، فبدا الشرُّ بين الأمير طَرَباي وبين الأمير نظام الملك برسْباي، وقبضَ الأمير نظام الملك على الأمير سُودن ابن الحَمَوي من أُمراء الألوف، وعلى الأمير قَنْصُوه أحد أُمراء الطَّبلخاناه، وهما من جماعةِ الأمير طَرَباي فَكَثُرت القالة، وأخذ الأمير طَرَباي في الاحتراز، واجتمع عليه لفيفةٌ من خَوَاصِّه وحَذَّروه أن يصعدَ إلى الخِدْمة على عادته، فلم يوافقهم ظنًا منه أنَّ الأمير نظام الملك لا يقدر على مقابلته بسُوء، وعَيَّره أنه لم يزل من ابتداء أمره مُتَميزًا على بَرسْباي منذ مات الظَّاهر بَرْقوق ومُقدَّمًا عليه في جميع الحالات، وأنَّه هو الذي استمالَ له المماليك وفَخَّذَهم عن جانِبَك الصُّوفي، ثم خَدَعَ جانِبَك حتى نزل من الإصْطبل ثم قبض عليه ورأى أنه لولا ما فعلَ ما تَمَّ لِبَرسْباي أمرٌ. ثم صَعدَ إلى القلعة وحَضَر الخِدْمة فعندما جَلَس أشارَ الأمير نظام الملك بَرسْباي بالقبْض عليه، فجذَبَ سيفَهُ ليدفع عن نفسه، وقامَ فغلبوا عليه، وبدره بَرسْباي بالسَّيف يضربه

به، فوقعت الضربة في يده كادت أن تقطعها، وأُخرج إلى السِّجْن، ثم حُمل من الغد يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول إلى إسكندرية مقيَّدًا فسُجن بها ولم يتحرك لمسكه اثنان.

وخلا الجو لنظام المُلْك وبعثَ في طلب الأمير تَنِبَك مِيق نائب الشام، فقَدمَ في سادس ربيع الآخر فخلع عليه، وتحدَّثَ معه في سَلْطنته، فوافقَهُ على ذلك، فاستدعى الخليفةَ والقُضاة وجميعَ الأُمراء وأرباب الدَّولة، فبايعه الخليفة بعدما خَلَع الصَّالح محمد بن طَطَر، وتَلَقَّب بالسُّلطان الملك الأشرف أبي النَّضْر بَرسْباي، ونُودي بذلك في القاهرة وغيرها، وذلك في يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثماني مئة.

وكان في ولايته هذه موعظةٌ وذِكْرى لأولي الألباب، وذلك أنَّ الملك المؤيد شَيْخ أنشأ ططر وآواه بعدما كان من آحاد المماليك الهاربين من الناصر فَرَجٍ خَوْفًا من القَتْل، ثم رَقَّاه وجعلَهُ من أكبر الأُمراء، وائتمنَهُ على مُلْكه وكَفَالة وَلَده، فقامَ من بعد مَوْت المؤيد بكفالة وَلَده المظفر أحمد، فلم يفِ بعهد المؤيد وغَدَرَهُ في وَلده وخَلَعَهُ وتَسَلْطَن عِوَضه، ثم سجنَهُ وأمَّهُ في دارٍ بالقَلْعة حتى إذا جاءه الموتُ عهد إلى ولده محمد، واستأمن قريبه بَرسْباي عليه، بعدما كان بَرسْباي بدمشق من آحاد أُمرائها، وأقصى أمانيه أن يُبْقي عليه المؤيد شَيْخ مهجتَهُ، فآواه طَطَر لما دخل دمشق وهو نظام المُلْك وجعله من أكبر أُمراء مِصْرَ، فقام بأمر الصالح بن طَطَر كما قام طَطَر بأمر المُظفر بن شيخ، ثم فعل كما فعل طَطَر، ونبذ عهدَهُ كما نبذ هو عهد المؤيد شَيْخ، وخَلَعَ ابنهُ كما خلع ططر ابن المؤيد شَيْخ وتَسَلطن، وأودع ابن طَطَر وأمه بدارٍ في القَلْعة، كما أودع طَطَر بن شيخ وأُمَّه ليجزي الله كُلَّ نَفْسٍ بما كَسَبت.

ثم خلع السُّلطان الملك الأشرف بَرسْباي على الأمير بَيْبُغا المُظَفَّري وعلى الأمير آقبُغَا التِّمْرازي، واستقرَّ أمير مَجْلس عِوَضًا عن الأمير

قُجُق[1]، وأفْرجَ عن جماعة من أُمراء العَشَرات كانوا في السِّجْن، ومنعَ النَّاس بأجمعهم من تَقْبيل الأرضِ له، وأمر أن يكون عِوَضَ ذلك تقبيل يده، ثم أبطلَ ذلك بعد قليل، وعاد النَّاس إلى تَقْبيل الأرض على العادة. ثم بعث عسكرًا في جمادى الأولى إلى بلاد الصَّعيد لكثرة الفِتَنِ هناك ونَهْب البلاد، وتَعَذُّر أخذ الخَراج.

هذا وقد أجدبت بلاد حوران من معاملة دمشق وبلاد الكَرَك والقُدس والرَّملة وغَزَّة لعدم المَطَر، ونزحَ أهلُها من شِدَّة الجُوع، وكَثُرَ الوباءُ ببلاد حَلَب وحماة وحِمْص، فهلكَ فيه خلائق ومنع السُّلطان اليهودَ والنَّصارى من الخِدْمة في دواوين السُّلطان ودواوين الأمراء، ثم انتقضَ هذا الأمرُ وباشروا الخِدْمة على عوائدهم، ومَنَعَ من شراء الثِّياب البعلبكية والشَّامية والمَوْصلية بالنَّسِيئة، وألا تُشترى من أربابها إلا بالثَّمَن النَّاضِّ، ثم انتقضَ ذلك بعد قليل وعاد الأمرُ كما كان، ونُودي في شهر رجب بالإذْن للناس في التَّوجُّه إلى مكة، فسُرَّ النَّاسُ بذلك، ثم انتقضَ وبَطَل، فلم يُمَكَّنُوا من السَّفَر.

وفيه جلس السُّلطان للحُكْم بين الناس على عادة الظَّاهر بَرْقوق ومن بعده في يومي الثُّلاثاء والسَّبت بالإصطبل، وقَدِمَ الخَبرُ بمخامرة الأمير إينال نائب صَفَد وأنَّه أخرجَ من كان مَسْجونًا بقَلْعتها من الأُمراء، وقَبَضَ على عِدَّةٍ من أُمراء صَفَد وأعيانها، فكتب إلى الأمير مُقْبل أتابك دمشق بنيابة صَفَد، وخُروج الأمير تَنِبَك مِيق نائب الشَّام بالعَسْكر لقتال إينال، فبادرَ إينال وقَدِمَ إلى دمشق مُتَراميًا على الأمير تَنِبَك مِيق في إصلاح حالهِ مع السُّلطان، فبعثَ يَشْفعَ فيه فَسُرَّ السُّلطان بذلك ودُقَّت البشائر.

هذا وقد كَثُرت الحُروب والغارات والنَّهْبُ والتَّخْريب ببلاد الصَّعيد من عُرْبانها، ووقعت حرب بين نائب غَزَّة الأمير يونس وبين عَرَب جرم، فقتلوا عِدَّةً من عَسْكره وهَزَموه.

---

(١) قيده السخاوي في الضوء اللامع ٦/ ٢١٢ بضمتين.

وفي شعبان أخرج وقف المدرسة القَمْحيَّة بمصر، وأُنْعمَ به إقطاعًا لمملوكين من مماليك السُّلطان، وأُهين مُدَرِّسوها فكَثُرت وقيعة العامة في القضاة لما ظَهَرَ للنَّاسِ من مَقْت السُّلطان وأمرائه لهم وذَمِّهم.

ثم كان وفاء النيل ست عشرة ذراعًا في تاسع عشري أبيب قبل شهر مِسْري بيوم، وذلك من النَّوادر.

وأُخرجَ بالمُظَفَّر أحمد ابن المؤيد شَيخ من قَلْعة الجبل ومعه أخوه، وحُملا إلى سكندرية، فكان في ذلك مُعتَبَرًا لمن اعتبرَ، فإنَّ المؤيد أخرجَ أولاد النَّاصر فَرَج من القَلْعة إلى الإسكندرية، فجوزي بأن أخْرجَ اللهُ ولَدَيه إلى سكندرية.

وكَثُر عيث الفرنج بالسواحل وطرقوا ميناء الإسكندرية وأفسدوا بها.

وفي شهر رمضان رَسَمَ السُّلطان ألا يُنْزلَ أحد من الفُقهاء عن وظيفة بمالٍ، فلم يتم ذلك وانتقضَ بعد قليل، وأُغْلِقت كَنيسة القمامة بالقدس.

وفي شوال رُفعت يد قاضي القضاة زين الدين عبدالرحمن التَّفْهني عن وَقْف الطَّرْحاء، ثم أُعيد إليه أيام، ورُفعت يد قاضي القضاة ولي الدين أبو زُرْعة ابن العراقي عن وقف قراغوش، ووليه التَّاج والي القاهرة واستمرَّ. وأُعيدَ مَكْس دار التُّفَّاح الذي أبطلَهُ المؤيد شَيخ. وقَدِمَ من صَفَد ثلاثون مملوكًا ممن أُسِرَ من أصحاب إينال نائبها، فَوُسِّط أحدُهم وقُطِعَت أيدي باقيهم، وأُخرجوا من يومهم إلى بلاد الشام فمات كثير منهم في الطريق.

وكان من خبر صَفَد أنَّ الأمير مُقْبل حَصَرها حتى نزل إليه الأمير إينال في رابع شوال بأمان، فَخَلَع عليه خِلْعةً بعث بها السُّلطان ليستقر من أُمراء طرابُلُس، وعلى ذلك أمن حتى نزل، فلم يتم لُبْسه الخِلْعة حتى قُبضَ عليه وقُيِّدَ ثم عُوقبَ وقُتلَ، وَوُسِّطَ من أصحابه مئة رجل، وبُعثَ

منهم بثلاثين رجلاً كما ذُكرَ. وفيه أُنْزِلَ بتغري بردي بن قَصْرَوه من قَلْعَة بَهنسا بأمان، فقُيد وحُمل إلى قلعة حَلَب.

وفي ذي الحجة توجه من يَنْبع صُحبة الحاج من المماليك صُحبة جَانِبَك الخازِنْدار، وطَرَقوا الشَّريف مُقْبل أمير يَنْبع وقد عَزَلَهُ السُّلطان، فقاتَلُوه وقتلوا عدةً من بني حسن وغيرهم، وهزموا مُقْبلاً ونَهَبوا مالهُ وحُلي نسائه شيئًا كثيرًا.

وفي صَفَر سنة ست وعشرين أُخْرِجَ الأمير قَصْرَوه إلى نيابة طرابُلُس عِوَضًا عن الأمير إينال النَّوْروزي، وأُنْعمَ على إينال بإمرتِهِ وإقطاعِهِ.

وثارت في شهر ربيع الأول ريحٌ شديدةٌ طول يوم الثُّلاثاء خامس عشرينه، ثم ظهرت صُفْرة قبل غُروب الشَّمْس بنحو ساعة حتى عَمَّت الجُدْران والأراضي، ثم اظلمَّ الجو بحيث لا يُبصر الإنسان كَفَّهُ واستمرت الظُّلْمةُ قَدْر ساعة، وسَارت عن القاهرة بريحٍ قاصفٍ كادت الدُّور تَسْقط منها ولم تَزَل الرِّيحُ طول ليلة الأربعاء وعَمَّت الظُّلْمة أرضَ مِصْرَ بأسرها حتى وَصَلَت إلى دِمياط والإسكندرية وجميع الوجه البَحْري وبعض بلاد الصَّعيد، فكان أمرًا مَهُولاً. وكَثُرَ الوَبَاء بدمشق وصادر السُّلْطان جماعة من أعيان أهلها، فَحُملَ منهم مالٌ كثير جدًا. وأُوقعت الحَوْطة على خُيول أهل الغَرْبية والبَحْرية وعامة الوجه البَحْري من أرض مِصْرَ، وسيقت إلى إصطبل السُّلطان. ونزل بالمدينة النبوية جَرَادٌ عظيمٌ أكلَ حتى الأسابيط من فَوْق النَّخْل، فَعَظُم البلاءُ بالنَّاسِ ونزحَ مُعْظم أهلها، فمات أكثرهم جُوعًا وعَطَشًا، وخَربت مُعاملة كَرَك الشُّوبك، وتَشَتَّتَ أهلُها في الأَقْطار، وكَثُرَ الرَّخاء بديار مصر حتى أُبيعَ القَمْح ثلاثة أرادب بدينار وأُبيع الخُبْزُ كل ستين رغيف بدرهم فِضَّة. واستقرَّ الأمير جَقْمق العَلائي أمير آخور عِوَضًا عن قَصْرَوه نائب طرابُلُس بعدما أقامت شاغرة مُدَّة.

وفي جُمادى الأُولى شَمل أهلَ الصَّعيد بلاءٌ عظيمٌ من أخْذِ الأمير

أرْغون شاه أُستادار أموالهم ومواشيهم، فاختلَّ من ذلك جميع تلك البِلَاد، ومات من بلاد الشام عالمٌ عظيم بحيثُ كان عِدَّة من مات من أهل صالحية دمشق خاصة زيادة على خمسة عشر ألف إنسان، وبَلَغَت عِدَّة من وردَ اسمُهُ ديوانَ المواريث بدمشق من الأموات نحو الثمانين ألفًا مُعْظَمُهم أطفالٌ وعبيدٌ وإماءٌ، وعَمَّ الوباءُ مُعَاملة دمشق والسَّاحل وفِلَسْطين حتى كادت الدُّور أن تخلو.

وفي شعبان فَرَّ الأمير جَانِبَك الصُّوفي من سِجْنه بالإسكندرية، فلم يُقْدَر عليه، ولا عُرِفَ له خَبَر، فَشَقَّ فِراره على السُّلطان وعاقبَ بسبب ذلك جماعة. واستقرَّ الأمير جِرْباش قاشُق حاجب الحُجَّاب عِوَضًا عن الأمير جَقْمَق العَلائي، وكانت شاغرة مدةً، وكُتِبَ باستقرار الأمير تِنِبَك البَجَاسِي نائب حَلَب في نيابة الشَّام بعد موت تَنِبَك مِيق، واستقرَّ الأمير شار قُطْلُو نائب حَماَة في نيابة حَلَب، واستقر الأمير جُلْبان أمير آخور المَلِك المؤيد شيخ في نيابة حَماة، وهو يومئذٍ أحدُ أمراء دمشق.

وفيه جَرَى الماء في خَليج الإسكندرية وقد حَفَرَهُ السُّلطان على يد الأمير جَرِباش قاشُق، وكانت عدة من حَفَرَهُ من رجال النَّواحي ثماني مئة وخمسة وسبعون رجلاً في مُدَّة ثلاثة أشهر، فَسُرَّ به أهل الثَّغْر.

وفي ذي القَعْدة قَدِمَ من بلاد الجَرْكس طائفةٌ منهم إخوان من إخوة السُّلطان، فخرجَ الأمراءُ حتى يلقوهم.

وفيه مُنعَ النَّاسُ من طَبْخ السُّكَّر، ورُسمَ أن يتولى عَمَلهُ ودولبته في المَطَابخ وبيعه السُّلطان وحده، فنزلَ بالنَّاسِ من ذلك ضِيْقٌ شديدٌ، واستمر أيامًا، ثم أُفرج للنَّاسِ عن ذلك.

ونُودي بعرض الأجنادَ البَطَّالين ليَجَّهزوا إلى غَزْو مكة بعد النَّفَقة عليهم، فاستُشْنعَ ذلك.

وبلغَ أبرم بن داود بن سَيف أرعد مَلِك الحَبَشة غَلْق كنيسة قُمامة بالقُدس، فقتل من في بلاده من رجال المُسْلمين، واسترقَّ أولادهم

ونساءَهُم وعَذَّبَهُم عَذابًا شديدًا، وهَدَم ما في مملكته من المَسَاجد، وركبَ إلى بلاد جَبرْت، فأوقعَ بالمُسلمين وأسر النِّساء والأولاد، وهَدَمَ المساجدَ، فكانت مَلْحمةً عظيمة على المُسْلمين، قُتلَ فيها منهم عالمٌ عظيمٌ لا يُمكن حَصْره.

وفي محرم سنة سبع وعشرين استقرَّ الأمير سُودُن من عبدالرحمن الدَّوادار في نيابة الشَّام عِوَضًا عن تَنِبَك البَجَاسي وقد خامَرَ على السُّلْطان، واستقرَّ الشريف علي بن عِنان بن مُغَامس في إمْرَة مكة عِوَضًا عن الشريف حسن بن عَجْلان، واستقرَّ الأمير قَرْقَماس الشَّعْباني شَريكه.

وفي صَفَر كانت لأُمراء دمشق حَرْب مع الأمير تَنِبَك البَجَاسي آلت إلى قَتْله فدُقَّت البَشَائر بقَلْعة الجَبَل بعد أن كان السُّلطان قد عَزَمَ على السَّفَر إلى الشام بسبب ذلك:

وفي ربيع الأوَّل فُتحت كَنِيسة قُمامة بالقُدس. وخَرَجت التَّجْريدة إلى مكة صُحْبة علي بن عِنان. واستقَرَّ الأمير أزْبك دوادارَ عِوَضًا عن الأمير سُودُن من عبدالرحمن. واستقرَّ الأمير تَغْري بَرْدي المَحْمودي رأس نوبة عِوَضًا عن الأمير أزْبك.

وفي شَهْر ربيع الآخر خَتَنَ السُّلطان ولدهُ الأمير ناصر الدين محمد وعَمِلَ لختانه مُهَمًّا جَمَعَ فيه الأُمراء وما منهم إلا من نَقَطَ بمبلغ ذَهَب، فجمعَ السُّلطان ذلك وأعطى منه المُزَيِّن مئة دينار وأخذ ما بَقِيَ.

وفي جُمادى الأُولى تَشَدَّدَ السُّلطان في مَنْع الفُقهاء من النُّزول عن الوظائف وتَهَدَّدَ فيه بالضَّرْب، وصُودِرَ أعيان دمشق وأُخذَ منهم مالٌ كثيرٌ وهي ثالث مُصادرة. وكان بمكة وبَاءٌ كبيرٌ مات فيه نحو ثلاثة آلاف نَفْس. وجُمعَ القُضاة بالقاهرة لأخذِ السُّلطان زكَوات أموال النَّاس، فلم يتم ذلك.

وفي شعبان تُتبِّعت البَغَايا وأُلزمن بالزَّواج، ثم بَطَل عن قريب.

وفيه كَثُر الوَبَاء بدِمْياط، فمات جماعةٌ كبيرةٌ.

وفي شهر رمضان سارت تَجْريدة في النِّيْلِ لتعبرَ بَحْر المِلْح إلى طرابُلُس وتَمرَّ في سواحل الشام لأخذ الفِرَنْج المتعَرِّضَة في البَحْر لأخذ مَراكب المُسلمين.

وفي شوال قُبضَ على الأمير الكبير بَيْبُغا المُظَفَّري، واستقر عوضه الأمير قُجُق، واستقرَّ الأمير إينال النَّوروزي أمير سلاح عِوَضًا عن الأمير قُجُق. وأُنْعمَ بإقطاع بَيْبُغا المُظَفَّري على الأمير تَغْري برْمِش نائب القَلْعة، واستقر الأمير إينال الجكمي أمير مَجْلس بعدما أُحضر من نَفْيه بالقُدس، وذلك عِوَضًا عن الأمير إينال النَّوروزي.

وفي محرم عاد المُجَرَّدُونَ في البَحْر بغنيمةٍ وعِدَّة أسرى، وقد وصلوا إلى الماغُوصة، ومَرُّوا منها إلى اللَّمَسون من جزيرة قُبْرُس، فقاتلوا أهلها وقتلوا منهم وأسروا وغَنموا. ونُودي بخروج أهل الرِّيف من القاهرة إلى نواحيهم ثم بَطَل ذلك.

وفي محرم سنة ثمان وعشرين رُسمَ بتجهيز تَجْريدة إلى مكةَ ووقعَ الاهتمامُ بإنشاء مراكبَ حَرْبية لغَزْو الفِرَنج.

وفي شهر ربيع الأول سار الأمير أدم بُغا أحد أمراء العَشَرات على تجْريدة إلى مكةَ عِدَّتُها مئة مملوك. وتوجه سعد الدين إبراهيم بن المَرة لأخذ مكوس التجار الواردة من الهند إلى جُدَّة ساحل مكة، وذلك أنَّ الظُّلم شنع بِعَدَن، فوردَ من الهند إلى جُدَّة بحارٌ يقال له: إبراهيم، في سنة خمس وعشرين بمركب فيها بضائع، ثم عادَ بعد ذلك من قابل، فرفق بهم الأمير قَرْقماس، وعاد في سنة ثمان وعشرين ومعه أربعة عشر مَرْكبًا مَوْسُوفة، فبعث السُّلطان ابن المَرة لأخذِ عُشُورها، فاستمرَّ مجيئهم في كُلِّ سنة حتى بَلَغت عدة المراكب الواردة زيادة على سبعين مركبًا يتحصل منها مالٌ عظيم، وخَرب بَنْدر عَدَن، وصارت جدة بَنْدرًا عظيمًا.

وفي شهر رَجَب أُنْفِقَ في الغُزاة المُجَرَّدين، وهم ست مئة رجل، مبلغ عشرين دينارًا لكل واحدٍ، وأُخرج في البَرِّ إلى طرابُلُس ثلاث مئة فَرَس، ثم سارت الأغْربة من ساحل بُولاق وعِدَّتها ثمانية أغربة ومُقَدَّمها الأمير جَرِباش حاجب الحُجَّاب.

وفي شعبان أُعيد الحَجْرُ على السُّكَّر ومُنعَ الناس من بَيْعه.

وأفرج عن الأمير طَرَباي من سِجْنه بالإسكندرية، وأُنْعِمَ عليه بألف دينار، ورُسمَ أن يقيم في القُدس غير مُضيَّق عليه.

وفي شَوَّال وردَ الخَبرُ بنُصْرة الغُزاة المُجَرَّدين على الفِرَنج، وذلك أنهم توجهوا إلى طرابُلُس وساروا منها في بضع وأربعين مَرْكبًا إلى الماغوصة حتى خيَّموا ببرِّها، وقد دخل متملكها في طاعةِ السُّلطان، وشَنُّوا الغارةَ في يوم الأحد العِشْرين من شهر رَمضان على ما في غَرْبي قُبْرُس من البلاد، فقَتَلُوا وأسروا وحَرَّقوا وغَنِموا، ثم عادُوا وأقْلَعُوا ليلة الأربعاء وتركوا في البر أربع مئة مُقاتل يسيرون بحذائهم، فقَتَلُوا وأسروا وحَرَّقوا، ثم ركبوا البَحْر وقاتلوا عَشرة أغْربة وقَرْقُوزة، فهزموا من بها، ثم أرسَوْا بساحل المَلاَّحة، فأتتهم الفِرَنْج في عِدَّة أغربة، فقاتلوهم قتالاً شديدًا حتى هزموهم وباتوا ليلة الجُمُعة، فَصَبَّحهم يوم الجُمعة أخو مُتَمَلِّك قُبْرُس على عَسْكر، فقاتلوه وهَزَموه، وقد قَتَلُوا من أصحابه عدةً كثيرة. ثم ساروا فُرْسانًا ورجالاً يوم السبت في البَرِّ فقتلوا وأسروا وحَرَّقوا وغَنمُوا ما ملأ أيديهم وعادُوا، فركبوا البَحْر وأتوا عائدين، فقدموا في خامس عشري شوال بألفٍ وستين أسيرًا وبغنائم يحملها مئة وسبعون حَمَّالاً وأربعون بَغْلاً وعشرة جمال، فكان يومًا مَشْهودًا، ثم بيعت الأسرى في الناس.

وفيه أُفْرجَ عن الأمير بَيْبُغا المُظَفَّري، ونُقلَ من سِجْنه بالإسكندرية إلى دِمْياط وجُهِّزَ له فَرَسٌ يركبه هناك.

وفي ذي القَعْدة خَرَّبَ السُّلطان خَرَائب الطَّطَر بقَلْعة الجَبَل، وكانت مساكن كثيرة قَدْر بَلَد كبير فَدُثرت.

وفي ذي الحجة قَلَّ وجود الخُبز بالأسواق، فَصَاحت العامة على بَدْر الدين محمود العَيْني مُحْتَسِب القاهرة، ففرَّ منهم إلى القَلْعة وشكاهم إلى السُّلطان، فأُركبَ عِدَّة من الأُمراء إلى باب زويلة فأخَذُوا جماعةً مِمَّن مَرَّ هناك وأتوه بهم، فَضَرَبُهم وقَطَعَ آنافَهُم وآذانهم، وسجَنَهُم ليلةً، ثم أفرجَ عنهم، وعِدَّتهم اثنان وعشرون رَجُلاً ما بين شَريف وتاجر، فتنكرت القُلُوب لذلك، ثم عُزِلَ العَيْني عن الحِسْبَة بالأمير إينال الشَّشْماني في محرم سنة تسع وعشرين.

وقدم الشَّريف حسن بن عَجْلان من مكة فأكرمَهُ السُّلطان وخلعَ عليه بإمارةِ مكة، وأُلزم بحمل ثلاثين ألف دينار يحملها من مكة ويقيم هو رَهينة بالقاهرة حتى يحضر المال، فكان هذا من أشْنَع ما سُمِعَ به.

وفي هذا الشهر أُحْدثَت مَظْلَمة لم يُسْمع بأقبح منها، وهي أنَّ التجار الواردة من بلاد الشَّام إلى مكة ومن العراق، وغيرها من البلاد أُلزموا بأجمعهم أن يحملوا إلى القاهرة ما اشتروه من جُدَّة من بَضَائع الهند حتى يؤخذ منهم مَكْسُها، ثم يتوجهوا من القاهرة إلى بلادهم، فنزلَ بهم من ذلك بلاءٌ عظيمٌ، واستمرَّ ذلك.

وفي صَفَر مُنعَ النَّاسُ من المعاملة بالدَّنانير الإفْرَنْتيَّة، وهي التي تُضْرَب ببلاد الفِرَنج، فلم يَمْتَنعوا.

وفيه شنع المَوْتُ في البَقَر والجاموس، فقَلَّت الألبان والأجبان، ومـا زالت قليلة مُدة أيام السُلطان، وعَزَّ مع ذلك وجود اللَّحْم وارتفعَ سِعْر الغِلال بأرض مِصْرَ وغَزَّة والرَّمْلة وجميع بلاد السَّاحل ودمشق وحَمَاة.

وفـي شهر ربيع الآخر استقرَّ الأمير يَشْبُك السَّاقي الأعرج أميرَ سلاح بعد مَوْت إينال النَّوروزي، وأُحْرقت الحارة الجودرية بالقاهرة، لأنه قيل: إن جانِبَك الصُّوفي اختفى بها، وعُوقب بعض الناس بسببه.

وفي شهر رَجَب سارت الغُزاة في النِّيل مع الأمير تَغْري بَرْدي

المَحْمودي رأس نَوْبة، ومعه من الأُمراء الأمير إينال الجَكمي أمير مَجْلس، والأمير تَغْرِي برْمِش، والأمير مُراد خُجا، فمروا إلى رَشيد وأقْلَعوا في رابع عشرينه، فواقعوا الفِرَنج في البَحْر وهم في أربع مراكب وهَزموهم. ثم مَرُّوا إلى قَلْعة اللَّمسوها ومَلكوها عَنْوةً في شعبان وهدموها وغَنمُوا وقتلوا كثيرًا من الفِرَنْج، ثم ساروا، فلقيهم جَيْنُوس بن جاك مَلك قُبْرُس في جُمُوعه فكانت بينهم وبينه حَرْب، أسرُوه فيها هو وعِدَّةٌ من فُرْسانه، وقتلوا كثيرًا من جُمُوعه في أول يوم من شهر رَمَضان وغنموا ما ملأ أيديهم، ومضوا حتى أتوا مدينة الأفقسية، وهم يَقْتلون ويأسرون ويَغْنمون، فأخذوا قَصْر المَلِك ونَهبوا المدينة، ثم عادوا بالأسرى والغَنَائم، فقدموا في سابع شوال، وأُحْضرَ ملك قُبْرُس في قيوده وبين يديه الأسرى والغنائم إلى قَلْعة الجَبَل، فكَشَفَ رأسَهُ وخَرَّ على وجهه يُقَبِّلُ الأرضَ حتى مَثُلَ بين يدي السُّلطان قائمًا، فجعل يُعَفِّرُ وجهَهُ بالتُّراب، ويُقَبِّل الأرضَ، ثم غُشيَ عليه من هَوْل ما عاين، فإنَّ السُّلطان جَلَسَ في أُبَّهةِ مُلْكه، وقد حَضَر أهلُ الدَّولة وعِدَّة من رُسُل المُلوك، ثم أفاقَ فأُمِر به إلى مَنْزِلٍ بالقَلْعة قد أُعدَّ له، فأُنْزلَ إليه وطُولبَ بالمال، ثم أُقيمَ ثانيًا بين يدي السُّلطان، فلما رآه الأسرى صَرَخوا صَرْخةً عظيمة لمَّا رأوا به الذلَّة والصَّغار، وحَثوا على رؤوسهم التُّراب أسفًا وحُزْنًا عليه. وكانت قَنَاصِلَة الفِرَنْج قد أُحضرت، فَضَمنُوه للسُّلطان بمالٍ غير مُعَيَّن، ثم أُعيدَ إلى مَوْضعه حتى تَقَرَّرَ عليه مئة ألف دينار يقومُ بها ومئة ألف دينار يَحْملها إذا[1] عاد إلى بلاده، وأن يقومَ بمالٍ في كُلِّ سنةٍ، فأُجْريَ له راتبٌ يليقُ به وكُسِيَ ثيابًا سَرِيةً، ثم أُفْرِجَ عنه وخُلعَ عليه، وأُركب فَرَسًا بقماش ذَهب، ونزل إلى القاهرة، وأُنْزلَ في دارٍ قد أعدَّت له بالقاهرة، وزارَ كَنَائِسَ النَّصارى ومَعابدَهُم، ثم خُلعَ عليه وسارَ عائدًا إلى قُبْرُس في البَحْر، فوصلها وصارَ يَحْملُ المال والحمل المُقَرَّر عليه

(١) في الأصل: «إلى» خطأ، والصواب ما أثبتنا.

في كلِّ سنة حتى مات، وقام من بعده ابنه جُوان بن جينوس، فحمل ما كان يَحْملُه أبوه مُدَّة حياة السُّلطان.

وفي صَفَر سنة إحدى وثلاثين رُسمَ ألا يَزْرع أحدٌ قَصَب السُّكَّر إلا السُّلطان وحده، ثم بَطَل، وعادَ النَّاس إلى زِرَاعته على عادتهم.

وفيه كَمُل البُسْتان الذي أنشأه السُّلطان بخليج الزَّعْفران خارج القاهرة.

وفي شهر ربيع الآخر هَلَك كثيرٌ من الخُيول ببلاد الشَّام، وتُتُبِّعت بالقاهرة مواضع الفَسَاد، وأُريقت الخُمُور، وتَشَدَّدَ السُّلطان في المَنْع من بيع الزَّبيب لعَصِيره خَمْرًا، ومَنَعَ الفِرَنج من جَلْب الخَمْر وبيعه، فلم يتم ذلك، وعادوا لما نُهوا عنه.

وفيه قرَّرَ على كل حِمْل يُشْترى من البَهَار بجُدة ثلاثة دنانير، وسُمحَ للتجار بنَقْل بضائعهم من جُدة إلى حيثُ شاؤا من البلاد، وألا يُكَلَّفوا حَمْلها إلى القاهرة، ثم بَطَل ذلك.

وفي جُمادى الآخرة وردت هَدِيَّة ملك كَرْبرجا من الهِنْد، وهَديَّة مُراد بك بن عثمان ملك الرُّوم. وهُدمَ خان مَسْرور بالقاهرة، وقد صار للسُّلطان بطريقٍ عُمِلَت له، وأُعيدت عمارتُهُ.

وفي شعبان خَرجَت تَجْريدة إلى يَنْبُع.

وفي شهر رمضان طَرَقت عِدَّةٌ من الفِرَنْج الكينلان ميناء الإسكندرية في مَرْكبين فهزمه الله. وفي شَوَّال نزل السُّلطان إلى المارستان المَنصوري، ونظرَ بنَفْسه في أحوال المَرْضى وعادَ. وأخذَ السُّلطان وَقْف الجوكَنْدار تجاه المدرسة الصالحية بين القَصْرين بطريق عَمِلَها القُضاة له وهَدَمَهُ وأعادَ عَمِارتَهُ. وسارت تَجْريدة إلى مكة.

وفي ذي الحجة قُبضَ على الأمير أزبَك الدَّوادار وعلى عِدةٍ من الخاصَّكِيَّة وقد هَمُّوا أن يفتكوا بالسُّلطان، واستقرَّ الأمير أركماس الظَّاهري دوادارًا.

وفي المحرم سنة اثنتين وثلاثين سَقَطَ بناحية البَهنسا بَرَد في بَني عَدِي على قَدْر بيضة الدَّجاجة، فأهلكَ عِدَّة حيوانات. وتتبع الأمير قَرْقماس حاجب الحُجَّاب أماكنَ الفَسَاد خارج القاهرة، فأراقَ الخُمور وحرق الحَشيش. وألْزَمَ السُّلطانُ التُّجارَ بحَمْل بضائعهم بأجْمعها من جُدة إلى القاهرة ليؤخَذَ مَكْسها، فَحُملت ونزل بالتُّجَّار من ذلك بلاء عظيم، ومُنعوا مع ذلك من بَيْع البَهَار بالإسكندرية على الفرنج وأُلْزم الفِرَنج الواردين إليها بشراء الفُلْفُل من السُّلطان بمئة وعشرين دينارًا كُل حِمْل، وسعره يومئذ ثمانون دينارًا، فتضاعفَ البَلاءُ وعَظُمَ الخَطْب. وأُلْزم السَّماسِرة بالقاهرة ألا تُباع الثِّياب الواردة من المَوْصل وبَعْلبك ودمشق وتُنْسج من القطن إلا للسلطان وحده، وأُخذَ من هذا الصَّنْف عِدَّة ثياب قُوِّمت بأقل من ثَمَنها، فاشتد[1] الأمر على عامة التُّجار.

وفي صفر خرجت تَجْريدة لأخذ خُيول أهل الغَرْبية والبُحيرة لكثرةِ المَوْت في خُيول المماليك السُّلطانية.

وفي ربيع الأول نزلَ عِدَّة من مماليك السُّلْطان سكان الطِّباق بالقَلْعة إلى دار الأمير زين الدين عبدالقادر بن أبي الفَرَج أستادار، ونهبوا ما فيها وعَبَثُوا في طريقهم بالنَّاس، فأخذوا ما قَدروا عليه، وأرادوا نَهْب بيت الوَزير، ثم كَفَّهُم عنه مُقَدَّم المماليك، فكانت حادثةً شنيعةً، ولم يُنْكر السُّلطان عليهم ما فَعَلُوه، وأُعيد تَحْكير بيع السُّكَّر، ثم بَطَل ذلك. ومُنعَ من بَيْع الخيل لأرباب العَمائم، ثم بَطَل ذلك، وأُخذت خيول كثيرة للناس.

وفي جُمادى فَرَضَ الأستادار على النواحي مالاً ليستعينَ به على النَّفَقة في المماليك السُّلطانية، فنزلَ بأهل النَّواحي من ذلك بلاءً لا يُوصف، وتتبعَ والي القاهرة العَبيد ونَفَى طائفةً منهم، وألزمَ أهل النَّواحي بحَمْل شَعيرٍ كثيرٍ لعليقِ خُيول المماليك السُّلطانية سوى ما عليهم

(١) في الأصل: «فاشتدت»، خطأ، والصواب ما أثبتنا.

من الخَرَاج والمَغَارم، فاختلَّ حال المُزَارعين خَللاً فاحشًا خَربت منه البلادُ.

وفي شهر رَجَب ظهرَ من المماليك السُّلطانية في ليلة إدارة المَحْمَل من الفَسَاد ما لم يُعْهد، فكانت بينهم وبين العَبيد السُّود مُحاربة، قُتلَ فيها من قُتل، واشتدَّ الأمرُ على التُّجَّار في أخْذ الثِّياب المَوْصلية والعَاتكية والبَعْلبكية، ومُنعوا من بَيْعها إلا للسُّلطان فقط، وحُكرَ الحَطَب أيضًا ومُنعَ من بيعه إلا للسُّلطان، وحُجرَ أيضًا على غِلال أراضي مِصْر بأسرها ألاّ تُباع إلا للسُّلطان، كلُّ ذلك شَرهًا في جَمْع المال ومَقْتًا للنَّاس حتى لا تبقى لهم نِعْمة. ثم بَطَل الحَجْر على الغِلال وطُرحَت بضائع المَتْجَر السُّلطاني على الناس فمرَّ بهم من ذلك بلاءٌ شديدٌ.

وفي شعبان نَهَبت مماليك الطِّباق بيتَ الوزير كريم الدين عبدالكريم كاتب المَنَاخ. وقَدِمَ الأمير سُودُن من عبدالرحمن نائب الشَّام، فحملَ من الذَّهَب خمسة عشر ألف دينار سوى الخَيْل والثِّياب وغير ذلك، وقُرِّرَ عليه أن يَحْمل خمسين ألف دينار. وكانت فِتْنة بين المماليك الأجْلاب سكان الطِّباق وبين مماليك الأمير الكبير شارقُطلو ظهر فيها عَجزهم وعدم دُرْبَتهم بالحَرْب. وطَرَقَ ميناء الإسكندرية عِدَّةٌ من الفِرَنج في خمسة أغْربة فواقعَهُم المُسلمون وهَزموهم. وخرجت تجريدةٌ إلى الشَّام فيها أربعة من أُمراء الأُلوف وعِدَّةٌ من أُمراء الطَّبلخانات والعَشَرات، وكَثُرَ عَيْث المماليك السُّلطانية وفسادُهم، فقاتَلَهُم العَبيد السُّود مرارًا، واشتدَّ الأمرُ في شوال على النَّاس منهم، فمنعَ السُّلطانُ النَّاسَ من عَمَل الأعْراس والولائم خَوْفًا من المماليك أن تَهْجم على النِّساء وتأخذهن، فإنَّه قَصرت يَدُه عن رَدِّهم ورَدْعهم[١]. ووصل الأمراءُ المُجَرَّدون بمن معهم من المماليك السُّلطانية ونُوَّاب البلاد الشَّامية إلى مدينة الرُّها وبها الأمير هابيل ابن الأمير قَرَايُلُك، فحاصَرُوه وأخذوه ونَهَبُوا المدينة، فما

---

(١) في الأصل: «ردهن وردعهن» خطأ، والصواب ما أثبتنا.

عَفُّوا ولا كَفُّوا بل فعلوا من أنواع الفَسَاد ما لم يُسْمع بمثله إلا في أخبار تَيْمورلنك، فكانت هذه الحادثة من مُصيبات الدَّهر، كما قد بَسَطتُ خَبَرَها في كتاب «السُّلوك لدول المُلوك».

وفي سنة ثلاث وثلاثين عَمَّ الوَبَاء أرضَ مِصْرَ وغَزَّةَ وبلادَ الشام، فماتَ عالـمٌ عظيمٌ جدًا، ومع ذلك مَنَع[1] السُّلطان جميع التجار أن يبيعوا للفرنج فُلْفُلاً ولا غيره من بضائع الهِنْد وهُدِّدوا على ذلك، فصار الصِّنْف الهندي مَتْجرًا للسُّلطان يُشْتَرى له من جُدَّة ويُحمل إلى الإسكندرية، فيُلزم الفِرَنْج لشرائه على أن يكون كُل حِمْل من الفُلْفُل بمئة وثلاثين دينار وسِعْره في القاهرة بخمسين دينار الحِمْل، وطُرِحَ بالقاهرة السُّكَّر على النَّاس، فاشتدَّ البلاءُ وتَضَاعف الكَرْب مع ما نزل بالنَّاسِ من الوَبَاء الشَّنيع حتى قيل: إنَّه أُخْرجَ في يوم واحد من أبواب القاهرة زيادة على اثني عشر ألف مَيِّت، فأقل ما قيل: أنَّه ماتَ بأرضِ مِصْرَ مئة ألف إنسان والمُكْثِر يقول: أنَّ هذه العدة من القاهرة ومِصْرَ فقط، وإنَّه مات من النواحي مثلُها أو أكثر منها. وأهلكَ اللهُ في هذا الوَبَاء من المماليك السُّلطانية نحو الألف، فأراحَ الله منهم، وذَلَّ من بقي منهم بعد ذلك، ولله الحَمْد.

وفي مُحرم سنة أربع وثلاثين أُخْرجَت تجريدةٌ من القاهرة إلى الشَّام، ثم رُدَّت من سرياقوس، وأُخِذَ منهم ما أُنْفِقَ فيهم.

وفي رمضان سنة خمس وثلاثين أُحيط بما وجد في القاهرة ومصر والإسكندرية من الفُلْفُل للتجار وأُلزموا ببيعه للسُّلطان من حِسَاب خمسين دينارِ الحِمْلَ، هذا وقد ابتاعوا الحِمْل في أول السَّنة من السُّلطان لسبعين دينارًا، ومُنعوا بأجمعهم من شِرائه ومن بَيْعه بالإسكندرية للفِرَنْج فصارَ مَتْجرًا يختص السُّلطان به.

وفي شوال اشتُريت الغِلال من جميع أعمال مِصْرَ للسُّلطان وخُزنَت

(١) في الأصل: «فمنع»، ولا يستقيم المعنى.

لتباع للنَّاسِ بأغلى الأثْمان، ومُنعت السَّماسرة ببولاق ومصر أن يَبيعوا لأحدٍ من النَّاسِ قَدَح قَمْحٍ فما فَوْقه حتى ينتهي شراء السُّلطان.

وفي محرم سنة ست وثلاثين نزل عِدَّةٌ من الفِرَنْج على ميناء طَرَابُلُس الشام وأخذوا بها مَرْكَبين مَشْحونةً ببضائع المُسْلمين.

وفي شهر رجب توجه السُّلطان بعساكره إلى الشَّام بعدما نزلَ بأهل الصَّعيد والوجه البَحْري من أخْذِ أموالهم بسبب السَّفَر بلاءٌ لا يُوصف، فنزل حَلَب وسارَ منها يُريد قَرَايُلُك حتى نزلَ على مدينة آمد، وقاتل أهلها مدة خمسة وثلاثين يومًا، ثم عادَ بغيرِ طائلٍ إلى حَلَب، وقَدِمَ القاهرة بعدما دخل قَرَايُلُك في الطَّاعةِ من غير حُضوره إلى السُّلطان، فكانت حَرَكة غير جَيِّدة، تَلَف فيها مالٌ عظيمٌ.

وفي صَفَر سنة سبع وثلاثين أخذ الفِرَنْج للمُسلمين تسع مراكب قريبًا من طرابُلُس الغَرْب قد أوسقت ببضائع لها قيمة عَظيمة وأسروا من فيها.

وفي شهر ربيع الآخر ركب السُّلْطان ونزلَ بالمارستان المنصوري بين القَصْرين، وكشفَ عن أحواله على أنه يتولى أمورهُ بنفسه، ثم بَطَل ذلك.

وفي جمادى الآخرة وعكَ بَدَن السُّلطان فلزمَ الفَراش أيامًا ثم عُوفي.

وفي شعبان جُبيَ من أعمال مِصْرَ مالٌ جَمٌّ عن ثمنِ خُيول فُرضت على النَّواحي. وخَتَنَ السُّلطان ولدَهُ المَقَام الجَمَالي يوسف وعَمِلَ له مُهمًّا.

وفي شهر رَمَضان أخذ الفِرَنج من ساحل بَيْروت خمس مراكب فيها بضائع كثيرة للمُسلمين وأسروا من كان فيها. وقطعت مرتبات طوائف من النَّاس من دواوين السُّلطان، فنزلَ بأربابها من ذلك آلامٌ وضاقت بهم الأحْوال.

وفي شوال سارت تَجْريدة في البَحْر، فظفروا بغُرابين للفِرَنْج، وقَدِموا بغير طائلٍ. هذا وقد أخذ الفرنج في هذه السنة ثمان عشر[1] مَرْكَبا للمُسلمين فيها من البَضَائع ما يَجلُّ وَصْفُه، وأسروا منها خَلْقًا كثيرًا.

وفي صَفَر سنة ثمان وثلاثين كتب السُّلطان إلى مكةَ بألا يُؤْخذ من التجار الواردين إلى جُدَّة من الهِنْد إلا العُشْر، وأن يُؤخذ من التُّجَّار الشَّاميين والمصريين إذا وردوا جُدَّة ببضائع من اليمن عُشْران، وأنَّ من قَدِمَ جُدَّة من التجار اليَمَنيين ببضاعةٍ تُؤخذ منه للسُّلطان بغير ثَمنٍ، وقُرِىء هذا المَرْسوم تجاه الحَجَر الأسْود، فكان مُنْكَرًا شَنِيعًا وظُلْمًا فاحشًا. ثم إنَّ الشريف بَرَكات أمير مكة تَلَطَّف مع السُّلطان حتى أبطلَ ذلك.

وفيه نَهَبَ المماليكُ السُّلطانية بيت القاضي عبدالباسط بالقاهرة وبيت الوزير وغيرهُ، فاضطربت النَّاسُ وتوقعوا نَهْب المماليك الدُّور والأسواق، فكان أمرًا شنيعًا، ولم يَظْهر من السُّلطان إنكارٌ لذلك. وطُرِحَ في هذا الشهر وفي الذي بعده على النَّاسِ غلال كثيرة مما اختزنه السُّلطان، فذاقوا من ذلك بلاءً لا يُوصف، واشتدَّ المَنْع للتجار من بَيْع البَهَار من الإسكندرية على الفِرَنْج.

وفي جُمادى الآخرة خَرَجت عِدَّةٌ من الأُمراء إلى بلاد الصَّعيد لمُحاربة العُرْبان. وتُشُدِّدَ على الفُقهاء وأُلْزِموا أن يَعْملوا فيما يَلُوه من الوظائفِ بشُروط الواقفين، ثم بَطَل بعد قليل.

وفي شوال ظَهَرَ الأمير جانِبَك الصُّوفي الفار من السِّجْن في مدينة تُوقات من بلاد الرُّوم، وقامَ بإمرةِ التُّرْكمان وصار في جَمْع، فاشتدَّ قَلَق السُّلطان لذلك.

---

(١) في الأصل: «عشرة» خطأ، والصواب ما أثبتنا.

وفي شهر ربيع الآخر حُملَ رأس الأمير قَرَايُلُك صاحب آمد وماردين وأرْزَنْكان وكماخ، وقد قُتلَ في وقعة كانت بينه وبين إسكندر بن قَرَا يوسف صاحب تِبْريز وعِراق العَجَم، فكَفَى اللهُ السُّلطان أمر قَرَايُلُك وقَتَلَهُ له بيدِ غيرِه، فسكن روعه إلا أنه في قَلَقٍ من جهة جانِبَك الصُّوفي، وقيام الأمير ناصر الدين محمد بن دلغار نائب أبُلُسْتَيْن[1] معه. واشتدَّ الأمرُ على التجار في مَنْعهم شراءَ الفُلْفُل وبيعَهُ وخُتمَ على حواصِلِهم وأُحْضرَ تجار الشَّام إلى القاهرة بسبب ذلك، وغَرموا مالاً.

وفي شهر ربيع الأول سنة أربعين فَرَّ طُوغان بابن سَيِّدِهِ، وهو سُليمان بن أرْخَن بك بن محمد كرجشي بن عثمان، وبأُخته شاه زاده وجماعة يريدون بلادَ الرُّوم. وكان طُوغان هذا لَمَّا أن قُتلَ أُستاذُه أُرْخَن بك بن كرجشي في سجن أخيه مُراد ملك الرُّوم فَرَّ بولديه سُليمان وشاه زاده إلى حَلَب وشَكَا حالَهُما إلى السُّلطان، وهو بها في نَوْبَة آمد، فحملَهُم إلى قَلْعة الجَبَل وأجْرَى لهم رواتبَ تقومُ بهم إلى أن فَرَّ بهما، فبعثَ في طَلَبهم وقد ركبوا في غُراب ومَرُّوا في النِّيل يريدون المَسير منه في بَحْر المِلْح، وركبَ مَعهَم فـي الغُراب جماعاتٌ من النَّاس ما بين تاجرٍ وغيره، فظفرَ الطَّلَب بهم وسيقُوا إلى السُّلطان بعدما نُهبَ جميع ما كانَ معهم، فَوسَّطَ منهم ثمانية كانوا من جُمْلة المماليك السُّلطانية، ووَسَّطَ طُوغان لالا سُليمان ورجلاً آخر لتتمة عشرة، وسَجنَ سُليمان، وقَطَعَ أيدي سَبْعةٍ وأربعين رجلاً وضُربَ واحدٌ بالمقارع، فكانت من أشنع الحوادث، وأقاموا مدةً يسألون النَّاسَ حتى يجدوا ما يسد رَمَقهم ثم أمر بهم السُّلطان، فأُخرجوا من القاهرة في البَحْر إلى بلاد الرُّوم.

وفي ربيع الآخر أُلزم باعةُ اللحم من الضأن ألا يَشْتروا اللَّحْم إلا مما يَذْبحه السُّلطان من الأغنام، فاستمرَّ ذلك.

---

(١) مدينة ببلاد الروم.

وفي جمادى الآخرة رُسمَ بشراء ثلاثين ألف أردب قَمْح لتُخْزَن حتى تُباع على العادة. وابتيع للسُّلطان بالإسكندرية ألف حمل فُلْفُل بمئة دينار الحِمْل وقيمته دون ذلك بكثير، ورُسمَ بتجديد حَفْر خَليج الإسكندرية، فحُفِرَ بمالٍ جُبيَ من الأعمال.

وفي رجب حَلَّ بالناس في ليلةِ إدارة المحمل، وفي يوم إدارته من المماليك السُّلطانية بلاءٌ عَظيم، وفَعَلُوا بالحُرَم والصِّبْيان ما لا يجوز ذِكْره، فكان إدارة المَحْمل مَعْروفًا وإعانةً على إقامة شعائر الله، فصارَ في هذه الدَّولة الأشرفية من أنكَر المُنْكرات وأفجر الفُجُور، وكذلك تفاقم شَرُّ المماليك في ليالي شهر رَمضان من كَثْرة عبثهم وفَسَادهم.

وفي المُحرم سنة إحدى وأربعين نَهَبَ المماليك السُّلطانية بيتَ القاضي عبدالباسط وبيت الأسْتَادار وبَيْت الوزير.

وفي شهر ربيع الآخر كَمُلت عمارة الجامع الذي أنشأه السُّلطان بظاهر خانكاه سرياقوس.

وفي جمادى الأُولى قدم رأس جانِبَك الصُّوفي، وقد حاربه محمد ومحمود ابنا قَرَايُلُك وأخذاه، وقد جُرحَ فمات عندهم، فكادَ السُّلطان يطيرُ فَرَحًا. فأجرى اللهُ على ألسنةِ كثيرٍ من الناس أنه قد تَمَّ أمرُه وبَدَى زوالُه، فكان كذلك وذلك أنه بَطر النِّعمة، وقابل هذا الفَضْل العَظيم من كفاية الله له أمرَ عدوِّه وقَتْله من غير تَعَب ولا إخراج مالٍ بأن زادَ عتوُّهُ وظُلْمُه ومَقْتُه للناس، فأتاه اللهُ من حيث لا يَحْتَسِب، وأراه أعمالَهُ حَسَرات عليه، فسقَطَت شهوتُه للغذَاء، وضَعُفَ بدنُه وهو يتجلَّد، ومماليكه تُجَرِّع النَّاسَ الغُصَصَ لاسيما في ليلة إدارة المَحْمَل في شهر رَجَب وفي يوم إدارته، فإنَّهم أرادوا نهبَ المدينة وأخذ النِّساء والصِّبْيان سَبْيًا، فتجمَّعَ العبيدُ السُّود وقاتلوهم، فقُتلَ من العَبيد خمسة، وجُرحَ كثيرٌ من المماليك بعدما أُخذ للناسِ شيءٌ كثير، وامتدَّت هذه الفِتْنة بينهم وبين العَبيد أيامًا قُتلَ فيها طائفةٌ.

وخرَجَت ثمانية أمراء إلى بلاد الشَّام، ومُقَدَّمُهم الأمير قرقماس الشَّعْباني أمير سلاح لأخذ حَمزة باك بن قَرَايُلُك صاحب ماردين، وظهرَ أمرُ الله في السُّلطان من ليلة الثامن عشر من شهر رَجَب المَذْكور ولَزِمَ الفِرَاش مَرِيضًا، فلم يَزَل مرضُه يتزايد وقواه تَنْحَط ومَصَائبه في نفسه وبدنه وأولاده وجَوَاريه وطواشيته وحَظَاياه ومماليكه تَتَجَدَّد، وهو يَتَجَلَّد، فتارة يَرْكب ووجهه مُصْفَرٌّ وسحنته تُنبىءُ مما هو فيه من المَرَض، وتارةً يَعْجز فينحطُّ ويلازم الفِرَاشَ، وهو مع ذلك يستعجلُ العافية ويغالبُ القَدَر، ويَتَمادى فيما هو فيه من أخذ المال بكُلِّ وجهٍ، ومَقْتِ الرَّعية بما تَصلُ قُدرته إليه حتى مات في عَصْر يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين، وقد قارب السَّبعين أو بَلَغها. وقد عَمَّ ظُلْمه الرِّجال والنِّساء مُسْلمَهم وذمِّيَهُم؛ وذلك أنَّهُ لَمَّا طَبَقَ الوباءُ الأرضَ، فعمَّ ديار بكر وجميع بلاد الشام بأسْرها، ووقعَ بالقاهرة ومِصْرَ وشنع بقَلْعة الجَبَل في المماليك السُّلطانية سُكانِ الطِّباق، وفي جواري السُّلطان وطواشيه، كَثُرَ وَهْمُه فسأل من حَضَرَهُ من الفُقهاء والقُضاة يوم خَتْم قراءة «صحيح البُخاري» في أُخريات شهر رمضان عن الذُّنوب التي إذا ارتكبها النَّاسُ عُوقبوا بالطَّاعون، فذكرَ بعضُهم أنَّ الطَّاعون عُقوبة الزِّنا، وأتبعَ ذلك على أنَّ النِّساء يَمْشين في الأسواق مُتزينات، فأشارَ آخر بمنعهن من الخُروج من بيوتهن، فَظَنَّ السُّلطان أنه إذا فَعَلَ ذلك ارتفع الوَبَاء، فمنعهن وتَشَدَّدَ في ذلك، فامتنعنَ حتى لم يُر بشوارع القاهرة امرأة، فنزلَ بالأرامل وذَوات الأسباب ومن لا قَيِّم لها ومن تَطُوف تسألُ الناسَ بلاءٌ كبيرٌ، وتَعَطَّلَت الأسواقُ لبوار عِدَّة بضائع لا تَنْفق إلا على النِّساء. وأخرجَ السُّلطان مع ذلك جميعَ من في الحُبوس، وأمر بإغلاقها، فأُغْلِقت وانسابت السُّرَّاق والزُّعارُ وقُطَّاع الطريق في البَلَد وضواحيه تعبثُ وتَسْرق، وامتنعَ من له دَيْنٌ على أحدٍ أن يطالبه، فضاعت بذلك حقوق كثيرة، وتَعَطَّلَت مَصالح عَديدة، وأقامَ دولات خُجا مُحْتسبًا لأنَّه عنده ليسَ بمُسْلم ولا يخاف الله، فبطشَ في النَّاسِ بطشَ الجَبَّارين. وأقامَ

السُّلطان رَجُلاً من أراذل العامَّة يتَحَدَّث في مواريث اليَهُود والنَّصارى ليحصل له منهم مالاً كبيرًا، فأفحشَ فيهم وأخرقَ بكبارهم حتى أنَّه يوم عيد الفِطْر لم يكد يوجد فيه مَسْرور، بل شَمل الحُزْن والضِّيقُ والضَّرَرُ جميعَ النَّاس بالقاهرة ومصرَ وما بينهما من كَثْرة الأموات والمَرْضى، وتَعَطَّلت الأسواقُ جُملةً إلا من شراءِ الأكْفان، وما لابُدَّ للموتى منه. وعَسفَ متولي الحِسْبة ومَنَعَ السُّؤال في الطُّرقات، وذلك أنَّ السُّلطان فَرَّقَ مالاً يسيرًا فتكاثر الفُقراء على متولي تَفْرقة ذلك حتى ألْقَوْهُ عن فَرَسه، فحنقَ السُّلطان ورسمَ ألا يَسْتَعْطي إلا الزَّمْنى وأرباب العاهات فقط، وأنَّ من سأل سوى هؤلاء استُعْملَ في الحَفِير، فامتَنَعُوا من سؤال النَّاسِ في الطُّرقات.

ومن عَجَلتِه في العافية من المَرَض وحِرْصه على الحياة وَسَّطَ طَبيبيه، فإنَّه لما رأى مَرَضه يتزايد وقواه تَنْقص ظَنَّ أنَّ ذلك من تَقْصير الأطباء وسوء مُعَالجتهم، فأمر بالعَفِيف رئيس الأطباء وبزين الدين خَضِر فوسِّطا، ولم يَقْبل فيهما شفاعةَ أحدٍ. ومن حينئذٍ تزايدَ البلاءُ، فعهدَ إلى ولده من بَعْده، وأنفقَ فيمن من بَقِيَ من المماليك بعدما مات منهم نحو الألف مَمْلوك، ومات من الدُّور السُّلطانية زيادة على مئة وستين جارية، وماتَ مئة وستون طَواشي، وسَبْع عشرة حَظِيَّة من حَظَايا السُّلطان، وسبعة عشر وَلَدًا بحيث لم يتأخر له من الأولاد سوى الملك العزيز يوسف ولَيِّ عهده، وابنةٍ صَغيرةٍ فقط. وأقامَ زيادة على عشرين يومًا وهو ينازع بعدما حَصَل له ماليخوليا كَثُر منها هذره وهَذَيانه، فمن لُطْف الله بعباده أنَّهُ كان يَغيب زَمانًا، فلا يَعْقل ثم يرجع إليه حِسُّه قليلاً فيهذي، ثم يغيبُ حتى ماتَ ولم يَعْتِق أحدًا ولا تَصَدَّق بمالٍ إلا في أوائل مَرَضه، فإنه فَرَّق نَزْرًا يسيرًا، ولا أبطلَ مَظْلمةً ولا أمرَ بمعروفٍ، بل كان أسوأ الناس سريرةً لما اشتمل عليه من مُعاداة رعيَّتِهِ وإظهار بُغْضهم والإعلان بمقتهم، فيضعُ من الأشراف ويُهينهم ويُوقفهم بين يديه، ولم تَجْر بذلك عادة، بل كانت المُلوك من قَبْله إذا حَضَر مجلسَ أحدهم شريفٌ أُجْلس

فوقَ جميع الناس. وعُرِفَ عنه أيضًا إذا تحاكم إليه شريفٌ مع آخر أنه يتحامل على الشَّريف ويزعمُ أنَّ الأشراف تَظْلمُ النَّاسَ. وكان إذا تَحَاكم إليه ذِمِّيٌّ ومُسلم نَصَرَ الذِّمِّيَّ لأنه كان يزعم أنَّ الذِّمِّي لا يَقْدر أن يَظْلمَ مُسْلمًا. وأذهب حُرْمة مكةَ شرَّفها الله تعالى، فإنه صَيَّرها دار مُكسٍ يُحْملُ منها في كُلِّ سنة عشرات آلاف دنانير مما يُؤخذ من التُّجَّار بجُدة ومما فَرَضَهُ على الشَّريف بَرَكات مما ألزَمَهُ به حتى وَلاَّه بعد أبيه إمارةَ مكة، ومما ألزمَهُ به مما بَقيَ على أبيه حسن بن عَجْلان. وأفْحَش أيضًا في أُمراء المدينة النَّبَوية وقُضاة مكة، فإنه كان لا يولِّي أميرًا بالمدينة النَّبَوية من أشراف بني حُسين إلا بمالٍ كبيرٍ يقوم له به. ومع ذلك فيأخذُ بعضُ أعيان أهل الدَّولة إقطاعَ أمير مكة وإقطاعَ أمير المدينة على أنه استأجَرَهُ، فيدفع له في الدِّرْهم فَلسًا مع سب وَكيله وإهانته، وكذلك قضاة مكة إنما يُولِّيهم بمالٍ يقومون له به سِوَى ما يأخذه أهلُ دولته، وكذلك نُوَّاب الشَّام وولاة أعمال مِصْرَ، وشيوخ العُرْبان، وقُضاة القُضاة وغيرُهم، إنما يُوَلِّيهم بمالٍ يَقُومون له به ولأهل دولته، لا جَرَمَ أنَّ ولاة كل أمرٍ ساءت سيرتهم في أيامه وشَنعت قالة العامَّة فيهم، واقتدَى به في مَقْت رعيته من الفُقهاء والكُتَّاب والتُّجار والفَلاَّحين جميعُ أهل دولته من الأُمراء والمماليك وصاروا يَجْهَرُون بسَبِّهم ويَصْرخون بذَمِّهم، وكذلك تبعوه في الشُّح حتى في المأكل، والطَّمَع في القَليل والكَثير من المال بحيث ظهرت الفاقة في عامة النَّاسِ، وتنافسَ الأعيان في البُخْلِ، كما كانوا من قَبْلهم يتنافسون في المَكَارِم، وتوزَّعوا أنواعَ الرَّذائل والدَّنَاءات حتى كَسدت في أيامهِ جميعُ العِلْمية والعَمَلية بحيث لم يُرْجَ فيها سوى مُضْحك يُقال له مَسْخرة أو عَوْن لهم على مَظْلمة يَجْمعُ لهم منها المال بكل طريقٍ حتى أنه كان يَجْهر من له تَصَرُّف في الدَّولة بحضرةِ الملأ من النَّاس، فيقول: العِلْمُ والدِّين ليس بشَرْط في القاضي، والسُّلطان لا يريد من القاضي وَرَعًا ولا عِفَّةً إنما يريدُ المالَ، ونحو هذا من القول المُنْكر، وخَربت في أيَّامه أعمال مِصْر والشَّام خَرَابًا لا يكـاد يُتدارك إلا أن يشاءَ اللهُ لِشِّدة جَوْر

الوُلاةِ والعُمَّال، وكَثْرة أخذهم الأموالَ من الفَلَّاحين، وضُمِّنَت الفَوَاحش في أيامه بالأموال فـي دمشقَ وحَلَب والإسكندرية، كما قد بَسَطتُ الكلامَ عليه في كتاب «السُّلوك لدول الملوك»، والله أعلم.

٣٦٥- بُزْلار العُمريُّ الأمير سَيفُ الدِّين النَّاصريُّ، أحدُ المماليك النَّاصريَّة حسن[١].

رُبِّي صَغيرًا مع أولاد السُّلطان، وقَرأ وكتَبَ وتأدَّبَ، وجادَ خَطُّه واشتغل بالعِلْم وشارك في فُنُون منه لاسيما في عِلْم النُّجوم، فإنَّه كان له منه حَظٌّ وافرٌ، وتَقَدَّم مع ذلك في أنواع الفُروسية من الرُّمح والنُّشَّاب واللَّعب بالرُّمح وبالسَّيف.

وكان ذكيًا فَطنًا كيِّسًا شُجاعًا، فترَقَّى بعد السُّلطان حسن حتى وَليَ ثَغْر إسكندرية، ثم أُخرج إلى طرابُلُس مَنْفيًا، وأُنعم عليه فيها بأمرةٍ، فلم يَزَل حتى قام الأمير يَلبُغا النَّاصري نائب حَلَب على الملك الظَّاهر بَرْقَوق وجمع العساكر لحربه، كان ممن انضَمَّ إليه وقَدِمَ معه إلى القاهرة، فَولاَّه نيابة الشَّام.

٣٦٦- بِشْر بن إبراهيم بن محمود بن بِشرْ البَعْلبكيُّ[٢].

وُلدَ في ذي القَعْدة سنة إحدى وثمانين وست مئة، وأُسمع على التَّاج عبدالخالق البَعْلي «سنن ابن ماجة» وعلي بن مُسْرف، وعلى زينب بنت شُكْر. وحَدَّث ومات في المُحرم سنة إحدى وستين وسبع مئة.

٣٦٧- بطرُه بن الهَنْشه بن بِطرُه بن هِرَّانْدُه بن شانجُه بن هِرَّانْدُه ابن هِرَّانْدُه الأَحول بن الفنش، من ولد أذفونش بن بيطري، ملك الجلالقة وصاحب قَشْتالة أحد ملوك الجلالقة النَّصارى.

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٣٠٧، والدرر الكامنة ٢/ ٩، وإنباء الغمر ٢/ ٣٦٥، والنجوم الزاهرة ١١/ ٣٨٤.

(٢) ترجمته في: وفيات ابن رافع السلامي ٢/ ٢٢٨، وذيل التقييد ١/ ٤٨٨، وتاريخ ابن قاضي شهبة (وفيات ٧٦١)، والدرر الكامنة ٢/ ١٢، وشذرات الذهب ٦/ ١٩٠، وتنظر اللمحة البدرية ٤٧ و٥٦، و٦٦ و٧٤ و٨١ و٩٦ و١٠٨ و١١٩.

اعلم أنَّ جَزيرة الأندلس في زَمَننا بيد أربعةِ ملوك من النَّصارى هم: ملك قَشْتالة، وملك البُرتقال، وملك نَبْرة، وملك بَرْشلونة. فملك قَشْتالة تَشْتمل مملكته على أعمالِ جلِّيقيَّة كلها مثل: قَشْتالة وغليسيَّة والفُرَنْتَيرة وهي بسيطةُ قُرطبة وإشبيلية وطُلَيْطُلة وجَيَّان وهي مملكة واسعة تأخذ في حُرْفي الجزيرة من الغَرْب إلى الشَّرق. وملك البُرتقال تلي مملكتُه مملكة صاحب قَشْتالة من جانب الغرب، ويقال لها: مملكة أشبونة، وهي مملكة صغيرة. وملك نَبْرة تَلي مملكتُه مملكة صاحب قَشْتالة من جهة الشَّرق، ويقال لملكها: ملك البشكنس، وهي أيضًا مملكة صغيرةٌ، وهي فاصلة بين مملكة قَشْتالة ومملكة بَرْشلونة، وملك بَرْشلونة هو صاحب الأعمال الشَّرقية من جزيرة الأندلس من لَدُن أحراز المَريَّة إلى بَرْشلونة وما وراءها.

وكانت جزيرة الأندلس بيد القُوط والجلالقة حتى فَتَحها الله على المُسلمين، وقَتَلوا ملكهم لِذْريق، فانحشر النَّصارى إلى جلِّيقيَّة ونَزلُوا بها، ووَليهم مُلوك كانت لهم وللمسلمين حروبٌ تضمنتها كتبُ التَّاريخ، فلما كانت دولة المُوَحِّدين صارَ أمر النَّصارى فيما هناك يرجع في عَهْد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبدالمُؤمن بن عليّ إلى ثلاثة من ملوكهم هم: ألفنش والبَبْبوح وابن الرَّنْك، وكبيرُهم هو ألفنش، فلما ضَعُف أمر المُوَحِّدين استولى ألفنش على جميع ما افتتحه المُسْلمون من معاقل الأندلس، ثم هَلَك ووَليَ بعده ابنه هِرَّانْدُه الأحول، وهو الذي ملك قُرْطبة سنة ثلاث وثلاثين وست مئة من يد المُتوكل محمد بن يوسف بن محمد بن هُود، ثم مَلك إشْبيلية بعدما نَزلها سنتين حتى أخذها صُلحًا في سنة ثمان وأربعين، وأخذَ طُلَيطُلة وشلْب وطَلَبيرة، ثم مَلك مُرْسية، ولم يزل يقتطعُ ممالك الأندلس كُورةً كُورةً وثَغْرًا ثَغْرًا، إلى أنْ لجأ المسلمون إلى سَيف البحر ما بين رُنْدَة من الغَرْب وإلْبيرة من شَرق الأندلس نحو عشرة مراحل من الشَّرق إلى الغَرْب في عرض نحو مرحلة ما بين البحر والجُرف، وهي بيد ابن الأحْمر وعلى عَهْدِهِ زَحَفَ مَلك أرغون ومَلك

شرق الأندلس كلَّهُ: كَشَاطِبة ودانية وبَلَنسية وسَرَقُسْطة، وسائر الثُّغور والقواعد الشَّرقية، وانحاز المسلمون إلى سَيف البحر، ومَلَّكوا عليهم ابن الأحمر محمد بن هُود، ثم هَلَك هِرَّانْدُه ووَليَ ابنه هِرَّانْدُه بن هِرَّانْدُه بن ألفنش، وفي أيامه أجاز يعقوب بن عبدالحق المَريني صاحب فاس عِدَّة من بني مَرين نَجْدة لابن الأحمر، فلقوا ذُنُّنَة من أقماس بني أدفونش بوادي لُك، فقتلوه وهَزموا من معه في سنة ثلاث وسبعين وست مئة. وكَثُرت غارات بني مرين على بلاد النَّصارى، ثم إنَّ شانْجُه بن هِرَّانْدُه خالفَ على أبيه، ففَرَّ هِرَّانْدُه إلى السُّلطان يعقوب، وقَبَّل يَدَه، فأنزله ومَدَّه بالمال والجيش، ورَهَن في المال تاج سَلَفه، ثم هَلَك سنة ثلاث وثمانين. واستقلَّ ابنه شانْجُه بالمُلك، ووَفَد على السُّلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق بالجزيرة الخَضْراء، وعَقَد معه الصُّلح ثم نقَض وحاصرَ طَريفًا ومَلَكَها، ثم هَلَك سنة ثلاث وتسعين. ووَليَ ابنه هِرَّانْده ابن شانْجُه وهَلَك سنة ثنتي عشرة وسبع مئة، فأُقيم ابنه بطره بن هِرَّانْدُه ابن شانْجُه هِرَّانْدُه بن ألفنش، وهو صَغيرٌ وكَفَله عمُّه جوان بن شانْجُه بن هِرَّانْدُه وهلكا جميعًا على غَرْناطة عند زَحْفِهما إليها سنة ثمان عشرة وسبع مئة، فوَليَ ابنه الهنشه بن بِطره صَغيرًا، وكَفَله زُعماء دَوْلتهم، ثم استبدَّ بأمْره وزَحَف إلى السُّلطان أبي الحسن وهو محاصرُ طريف سنة إحدى وأربعين، فكان ما كان من تَمْحِيص الله عباده المؤمنين، ثم هَلَك الهنشه وهو محاصرٌ جَبَل الفتح في الطَّاعون الجارف سنة إحدى وخمسين، فمَلَك بعده ابنه بِطرُه بن الهنشه بن بِطرُه بن هِرَّانْدُه صاحب الترجمة، وفرَّ أخوه القمط، ويقال: القند بن الهنشه من أخيه خوفًا على نفسه من القَتْل، ونَزَل بَرْشلونة، فأجاره ملكها من أخيه، وزحف إليه بِطرُه مرارًا وتَغلَّب على كثير من أعمالِه، وحاصر بَلَنسية مرارًا. فانتقض الجلالقة على مَلِكِهم بِطرُه في سنة ثمان وستين لعسفهِ وسوءِ ملكته، واستدعوا أخاه القند من بَرْشلونة، فجاء وقاموا بأمره، ففرَّ منهم بِطرُه إلى جهة المسلمين، واستجارَ بالسُّلطان أبي عبدالله محمد ابن الأحمر

صاحب غَرْناطة، فسارَ معه ونازلَ كثيرًا من بلاد الفُرَنْتَيرة مثل: جَيَّان وأُندة وغيرها، وعاثَ في بسائطها، ونازلَ قُرطبة وخَرَّب أعمالها وعاد فلَحِقَ بطِرُه بسُلطان الفِرَنْجة الأعظم في ناحية الشمال من وراء جزيرة الأندلس، وهو صاحب جزيرة أنكَلَطِرَّه[1]، ويُسمى بنس[2] غالِس، ووَفَد عليه مُسْتَصرخًا به، فتزوج بنس غالس بابنة بطرُه وبعَثَ معه بابنه في أُمم من الفِرَنْجة لا تُحصى، فسار بهم حتى ملَك قَشْتالة والفُرَنْتيرة وهي بسيطة قُرطبة وإشْبيلية وطُلَيطُلة وغيرها. ففَرَّ منه القند، وأقامت جُموعُ البنس مع بِطرُه ليالي قلائل، ثم أصبحوا جميعًا وقد ضَربهم الله تعالى بحُمى تَعفَّن منها قَملٌ انتظمت منه جميع أبدانهم، فكان الرجلُ منهم، وقد تكلل بالقَمْل من مَفْرق رأسه إلى أقدامه، فمات في مدة ثلاث ليال معظمُهُم، وفَرَّ ابن البنس بمن بقي إلى أبيه، فكانت هذه من أعجب الحوادث وأغرب الكائنات، ولقد عَدَّها أولو النُّهى من مُعجزات رسول الله ﷺ، فإنَّه لو لم يكن هؤلاء من عَدْوَة الأندلُس ما تركوا بها مُسلمًا، ورَبُّك على كل شيء قدير.

فلما رَجَع ابن البنس زَحَف القُند بمن معه إلى أخيه، فملك البلاد وحاصرَ أخاه بطرُه في بعض حُصُون جِلِّيقيَّة، ثم تَراسلا في الصُّلح، ونَزَل إليه، فأخذ القُند في سبِّ بِطرُه واقْتَحم عليه فتعاركا مَليًّا حتى صَرَع بطرُه أخاه القُند وألقاه إلى الأرض وعَلاه، ولم يكن مع أحدهما سلاح، فتَقَدَّم بعض خُدام القُند إليه، وناوله سكِّينًا فَبقر بها بطن أخيه بطرُه فتَخلَّى عنه، القُند فأجهزَ عليه حتى هَلَك وملك بعده، وأمر بالغُلام الذي ناوله السكين فشُنق، لأنَّ العادة عندهم أن من قَتَل مَلكًا أو أعانَ على قَتْله يُقتل، وكان قَتْلُ بِطرُه سنة ثنتين وسبعين وسبع مئة، وقد قيل: إنَّ القُند لما حَصَر أخاه بِطرُه وأشرف على أخذه بَعَث بطرُه إلى بعض أكابرهم سِرًّا يسأله أن يَنْزل

---

(١) يعني: انكلترا.

(٢) يعني: برنس، وهو الأمير.

في جُواره، فأجابه إلى ذلك، فنَزلَ ووُشي به إلى القُند، فكَبَسَهُ وقتلهُ كما تَقَدَّم.

ولما استولى القند على مُلْك بني أدفونش استنزل ابن أخيه بِطرُه من قرمونة، وقد كان اعتصمَ بها بعد هلاك أبيه مع وزيره مَرَّتين، واستقامَ له مُلْك قشتالة، فتَحرك عليه بنس غالس مَلك الفِرَنج، وكان قد ولد له من ابنة بِطرة ولدٌ ذكر، فرأى أنَّه يرثُ مُلْك جَدِّه بِطرُه على ما هي عادتهم في تَملُّك ابن البنت، وطعن في القُند بأنَّه لم يكن لرِشدةٍ وإنَّما هو ابن زِنْية، وحاربهُ حتى مات سنة إحدى وثمانين وسبع مئة. فأُقيم بعده ابنه دُن جوان، وفَرَّ غُومس ابن القُند من أخيه غُومس إلى غَرْناطة، ثم مَضَى إلى نواحي قَشْتالة ولَحِق بالبُرتقال، وجمع لحرب أخيه، فسارَ إليه دُن جوان فهزَمَهُ البُرتقال في سنة ثمان وثمانين، ثم عاد غومس إلى أخيه، وقد تصالحا، فجمع دُن جوان وزَحَف إلى البُرتقال وهزمَهُ، ومَلَك منه أُشبونة، ثم مات سنة إحدى وتسعين، وأُقيم بعده ابنه بِطرُه بن دُن جوان ابن القُند وهو صغيرٌ، فقام بإمرة المركيش خال جده القُند بن الهنشة، وفِتَنهم مع البنس غالس مُتَّصلة.

٣٦٨- بِطرُه من ولد جاقمه بن بِطرُه بن أذفونش بن رَيْمَنْد بن برِّيل بن شَنِّير، ملك بَرْشلونة[١].

اعلم أنَّ بَرْشلونة شرقي الأندلس، وهي مملكةٌ واسعة تشتمل على بَرْشلونة وأرغون وشاطبة وسَرَقُسطة وبَلَنسية وجزيرة دانِيَة ومَيُورْقة وغير ذلك. وأهلُ بَرْشلونة فِرنج، وكان القُوط في الدَّهر الأول من تحت أيديهم، ثم اعتزُّوا عليهم وامتنعوا فصارت بَرْشلونة من ممالك الفِرنج إلى أن جاءَ اللهُ بالإسلام وفتح المسلمون جزيرة الأندلس وأخذوها من القُوط، فتقاعد الفِرنج لنصرهم لتلك العداوة، ثم إنَّ المسلمين زَحَفوا بعد غلبهم القُوط إلى الفرنج، فأزعجوهم عن بَرْشلونة وملكوها، ثم تجاوزوا الدروب من ورائها إلى البسائط بالبرِّ الكبير، فملكوا اجْرُنْدَة

---

(١) تنظر اللمحة البدرية ٤٧ و٥٦ و٦٦ و٧٥ و٨٢ و٩٦ و١١٩.

وأريونة، وما والى ذلك. ثم مَلَك الفِرنج بَرْشلونة سنة ثمانين ومئة من الهجرة من أيدي المسلمين وصارت تحت إيالة مَلك رُومة وهو قَارْلُه الأكبر، وكان من الفِرنج الجَبابرة، فأقامت كذلك مُدَّةً. ثم استبد ملوك بَرْشلونة بها وغزاهم المنصور محمد بن أبي عامر ودَوَّخ أعمالهم وخَرَّب بَرْشلونة، وكان مَلِكها إذ ذاك بَرِّيل بن شَنِّير، فلما هَلَك ترك ثلاثة من الولد هم: قُلتُه ورَيْمُند وأرْمَنْقود، فاقتسموا أعمال بَرْشلونة، فمات كبيرهم قُلْته، فقام بعده أخوه رَيْمُند بمُلْك بَرْشلونة وأخوه أرْمَنْقود بثُغُورها، ثم هَلَك أرْمَنْقود سنة أربع مئة. وانفرد رَيْمُند بمُلْك بَرْشلونة حتى هَلَك سنة بضع عشرة وأربع مئة، فقامَ بعدَهُ ابنه بِلَنْقير وكَفَلته أمه وتَغَلَّبت على ثَغْر طَرْطُوشة واتَّصل المُلك في عَقِب برمند، حتى كان جاقمة بن بِطره بن أدفونش بن برمند فملك بَلنسية في آخر دولة المُوَحِّدين بني عبدالمُؤمن ابن عليّ، ثم كان من عَقِبه بِطره صاحب الترجمة مَلك بَرْشلونة سنة بضع وعشرين وسبع مئة، وأقامَ نحو سبعين سنة في المُلك وهلك سنة سبع وثمانين وسبع مئة، قتله أخوه إندريك بإشْبيلية، وقامَ بعدهُ ابنه الدُّك فردريك، وانفرد أخوه مَرْتين بن بِطرُه بمُلْك سَرَقُسطة، ثم سار بعد ذلك بأعوام ومَلَك جزيرة صِقِلِّية، فلما مات إندريك وَليَ بعدَهُ ابنه جوان بن فدريك، وقتله فرسٌ على وادي الحِجَارة وهي مدينة فوق طُلَيطُلة بخمسة أيام، وذلك أنَّه كان راكبًا في عساكره، وتَقَنْطرَ عن فَرسه وبقيت رجلُه في الرِّكاب والفرسُ يَعْدو به حتى هَلَك، فقام من بعده ابنه دون إندريك بن جوان حتى مات. فقام من بعده ابنه دون جوان بن إندريك بن جوان بن فدريك، وخَرَج فرنادوا بن أندريك بن جوان قَتِيل الفَرَس من بلاد ألفونش، وسارَ من إشْبيلية لمُحاربة القَطْلان أهل بَرْشلونة وقد مات ملكهم مَرْتين، فغلبهم وملك بَرْشلونة وغيرها حتى مات، فقام من بعده ابنه ألفنسو بن دون فرنادوا.

٣٦٩- بكْتَمُر السَّعديُّ، الأمير سيفُ الدِّين، أحدُ مماليك الأمير سعد الدِّين إبراهيم بن غُراب[١].

رُبِّي في دار مَولاه بين نسائه وأولاده، وعَلَّمه القُرآن، ثم أعتقَهُ فنشأ على أحسن طَريقةٍ إلى أن ماتَ مَولاه فترَقَّى فِي الأيام النَّاصرية فَرَج، وصارَ من أُمراء الطَّبْلخاناه في الأيام المُؤيدَّية شيخ، وتوجَّه إلى اليَمَن رَسولاً في الأيام الأشرفية بَرْسْباي، وَتجرَّد إلى المدينة النَّبوية وجاورَ بها، وفي جميع ذلك تُشْكر سيرتُهُ حتى مات في ليلة الخميس ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وثمان مئة.

وقد صَحِبني سَفرًا وحَضَرًا سنين، فبلَوتُ منه ديانةً، وصيانةً، وعِفَّةً، مع شَجاعة وفروسيةٍ، ومعرفةِ شيء من الفِقْه. وعنه أخذتُ كيفية اختفاء النَّاصر فَرَج، فإنَّه كان رفيقهُ، وما أَظنُّهُ تَرَك في أبناء جِنْسه مثلَهُ.

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ١٥٢، والضوء اللامع ٣/ ١٧.

حرف التاء

٣٧٠- تاشفين بن عليّ بن عُثمان بن يعقوب بن عبدالحق، السُّلطان أبو عُمر ابن السُّلطان أبي الحسن المَرينيُّ، صاحبُ فاس ومَلكُ المَغْرب[١].

أقامه الوزير عُمر ابن الوزير عبدالله بن عليّ في ليلة السابع من ذي القَعْدة سنة ثنتين وستين وسبع مئة، وقاتلَ السُّلطان أبا سالم إبراهيم بن أبي الحسن حتى استوسَقَ له الأمرُ، وقُتلَ أبو سالم كما تَقدَّم في تَرْجمته[٢]، واستقل عُمر بن عبدالله بمُلْك أبي عُمر تاشفين يُموه به على النَّاس فخَشُن سُليمان بن وَنْصار مُقدَّم المَوَالي والجُنْد لغَرسيَه بن أنطون قائد الجند اغتيال عُمر، وإقامة سليمان بن داود في الوزارة، وكان في الاعتقال، فبلَغَ ذلك عُمر، فقَرَّر مع إبراهيم البَطْروجي قائد المَوْكب السُّلطاني ويحيى بن رَحُو شَيخ بني مَرين وصاحب شُوراهم الفَتْك بغَرسيه ونصاراه، فلما غَدا إلى القَصْر على العادة، وأدخلَ معه طائفة من النَّصارى ليُمضي ما عَزَم عليه من الفَتْك بعُمر، بادرَ عُمر وأمرَ به، فثارت بنو مَرين وقتلوه ومن معه من النَّصارى بعد جَوْلة، فاضطرب الناسُ بالبلد، وقتلوا جند النَّصارى حيث وجدوا من سكك المدينة، وزَحَفوا إلى محلتهم فركبوا بني مَرين، وانتهبت بيوت النَّصارى بعدما قَتَلَ النَّصارى كثيرًا من غوغاء العامة، وقوي عُمر، وقبضَ على سُليمان بن وَنْصار وقَتَلَهُ، وصار يحيى بن رَحُو صاحب الشورى ومعه بنو مَرين في حِزْب. وقد تَرفَّع على الوزراء وأهل الدولة، فاختلف رأيه ورأي عُمر، وتنافَسَا حتى خالفوا عليه ورَكبوا مع كبيرهم يحيى بن رَحُو ودعوا لعبدالحليم بن أبي عليّ المَدْعو حَلِّيْ، فأطلق عُمر بن عبدالله الوزير

---

(١) تنظر اللمحة البدرية ١١٨.

(٢) تقدم برقم (٣٩).

مسعود بن رَحُو بن ماساي من السِّجن، وبعثه إلى مَرَّاكُش ليجلب له إن حُوصر، وكان عبدالحليم المدعو حَلّي بن أبي عليّ بن أبي سعيد عُثمان ابن يعقوب بن عبدالحق في عِدَّة من بني أبيه بغَرْناطة من الأندلس، فبعث أبو حَمُّو موسى بن يوسف العَبْدوادي صاحب تِلِمْسان يُرغِّب ابن الأحمر صاحب غَرْناطة، حتى بعثَ عبدالحليم وإخوته ليغيظ السُّلطان أبا سالم بذلك، فجهزهم ونَصَّب عبدالحليم لِملْك المَغْرب، فبلغه مَهْلَك أبي سالم ووافَت رُسُلُ بني مَـرين بطلب عبدالحليم، فقامَ بأمرهِ وجَهَّزه بما يَلِيق به، وبعثه، فتلقته مَشْيخةُ بني مَرين بتَازَى، ونزلُوا به على البَلَد الجديد يوم السبت سابـع المُحرَّم سنة ثلاثٍ وستين وسبع مئة، وقاتلوا من في البلد سبعة أيام، فبَرزَ عُمر بن عبدالله في يوم السبت الرابع عشر منه بسُلطانه أبـي عُمر وقاتلهم وهزمهم، فلحق عبدالحليم وإخوته بتازَى.

هذا وقد بَدَى لعُمر بن عبدالله أن بعثَ في طلب أبي زيَّان محمد ابن الأمير أبي عبدالرحمن بن أبي الحسن، وكان عند طاغية الفِرَنج بإشبيلية خَوفًا من السُّلطان أبي سالم، فخرجَ منها أول المحرم المَذْكور ونزلَ بسبتة، فلما بَلَغ ذلك عُمر بن عبدالله خَلَع أبا عُمر تاشفين من المُلْك وسَجَنهُ مع حُرمه، واستدعى أبا زيَّان وبعث إليه ببَيْعَتهِ، وبآلة المُلْك، وأخرجَ العساكر إلى لقائه حتى قَدم ظاهر فاس في نصف صفر كما ذُكِرَ في ترجمته، وكانت مدة أبي عُمر نحو شهرين تحت الحَجْر.

٣٧١- تَتَر بنت العزِّ محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن المُنَجَّى التَّنُوخية، أم بكر أخت فاطمة(١).

ولدت سنة أربع وثلاثين وسبع مئة، وأُحْضرت في الرابعة على أقش الشِّبلي، وزَينب بنت الكمال وغيرها، وحَدَّثت.

ماتت في شعبان سنة ثلاثٍ وثماني مئة.

---

(١) ترجمتها في: ذيل التقييد ٢/ ٣٦٠، وإنباء الغمر ٤/ ٢٨١، والمجمع المؤسس، الترجمة ٧١، والضوء اللامع ١٢/ ١٥.

٣٧٢- تجار بنت ناصر الدِّين محمد بن مُسلَّم[١] بن حُسين بن مُسلَّم البالسيِّ المِصْريِّ، كبير التُّجار في زَمَنه[٢].

وُلدت في وسط سنة ست وستين وسبع مئة، وأجازَ لها في شَوَّال منها العز ابن جماعة، وحَدَّثت.

تزوجَ بها سراج الدِّين الخَرُّوبي التَّاجر، فأقامت عنده زيادةً على ثلاثين سنة، وماتت في[٣] ....

٣٧٣- تَغْري بَرْدي[٤] البَشْبُغاويُّ، الأمير سَيفُ الدِّين، أحدُ المماليك الظَّاهرية بَرْقُوق[٥].

كان رُوميَّ الجنس جُلب صَغيرًا، فاشتراه السُّلطان ورَقَّاه في خِدَمه حتى صار من جُملة أُمراء العَشرات، ثم أنعمَ عليه بطبلخاناه، ونَقَلَهُ من الطَّبلخاناه إلى إمرة مئة تَقْدمة ألف في نصف شهر رمضان سنة أربع وتسعين وسبع مئة، ووَلاَّه نيابة حَلَب في نصف ذي الحجة سنة ست وتسعين عِوَضًا عن الأمير جُلْبان، ثم عزله بالأمير أرغون شاه نائب طرابُلُس في ثاني عشري المُحرَّم سنة ثمان مئة، وأنعمَ عليه بتَقْدمة ألف فقَدِمَ قلعة الجَبَل في النِّصف من صَفَر، فخُلعَ عليه وأُخْرجَ له خمسة أرؤس من الخَيْل بقماش ذَهَب وحُمِلَ له خمس بُقَج ملآنةً من القماش ما

---

(١) قيده السخاوي في الضوء اللامع ١٢/ ١٦.

(٢) ترجمتها في: المجمع المؤسس، الورقة ١٩٣، والضوء اللامع ١٢/ ١٦.

(٣) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه لتأخر وفاتها عن وفاة المصنف، وورخ السخاوي في الضوء اللامع وفاتها في شعبان سنة ثمان وأربعين وثمان مئة.

(٤) حاشية في جـ: أصله تكرى ويرى معناه الله أعطى، يعني عطاء الله وهي كلمة تركية وهذه الغين ليست غينًا ولا كافًا كما رسمت في السطر وفوقه بل هي حرف غير الثمانية والعشرين يكتب كافًا وينطق به بين الغين والكاف الأعجمية، ومثله الاسم الذي بعده ومعناه الله أعطاه بزيادة هاء على ما قبله. وهنا في الموضعين الباء بدل عن الواو لأنه قد عرَّبه على رأيه.

(٥) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٨٣، والضوء اللامع ٣/ ٢٩، ووجيز الكلام ٢/ ٤٢٣، وشذرات الذهب ٧/ ١٠٩.

بين صُوف مُربع وحرير إسكندري وسمَّور وغير ذلك، فحمل في سابع عَشَرِه تَقْدمةً جليلةً فيها عشرون مملوكًا غِلْمانًا مُبْدعي الحُسن ومبلغ ثلاثين ألف دينار ذَهبًا ومئة بُقْجة قِمَاش فيها من أنواع الحَرير والصُّوف والفَرْو وغير ذلك، وعشرين فَرَسًا من عِتَاق الخَيْل وعِدَّة جمَال بَخاتي وعِرَاب، فخُلعَ عليه في سَلْخ شَهْر رَجَب منها. واستقرَّ أمير سِلَاح حتى مات السُّلطان، وقد عَملهُ أحد أوصيائه.

ثم وَلأّه النَّاصر فَرَج بن بَرْقُوق نيابةَ الشَّام وهو متوجهٌ لقتال الأمير تَيمورلنك في العشرين من شهر ربيع الآخر سنةَ ثلاث وثمان مئة بمدينة غَزَّة، فقَدمَ دمشق مع السُّلطان وعادَ معه مَهْزومًا إلى القاهرة. ثم سارَ منها إلى دمشق بعد رحيل تَيمور عنها في سابع شعبان من السنة المذكورة، وباشر النِّيابة والبلاد قد خَربت إلى أن كتبَ بالقَبْض عليه، ففرَّ في ليلة الجُمُعة ثاني عشري المحرم سنة أربع وثمان مئة إلى حَلَب، فأكرمه الأمير دمرداش نائب حَلَب وأنزلهُ فكتب إليه بتوجهه إلى القُدس بَطَّالاً بعد أن أخذ ما وُجدَ له، فلم يُوافق، وأقامَ مع دمرداش إلى أن قَدِمَ الأمير شَيْخ المَحْمودي لما وَليَ نيابة دمشق في سادس عشر المُحرم سنة خمس وثمان مئة فبالغَ في إكرامهِ وأنزلَهُ بدمشق ثم جَهَّزَهُ إلى القاهرة في أول صَفَر، فقَدمَ على السُّلطان قَلْعة الجبل في آخره فأنعمَ عليه بتقدمة ألف، ثم وَليَ نيابةَ الشام ثانيًا والسُّلطان على محاربة شَيخ ونَوْروز بالكَرَك، وتوجه إليها فقَدِمَها في سادس المُحرم سنة أربع عشرة وثمان مئة، ومَضَى شَيـخ لنيابة حَلَب ونوروز لنيابة طرابُلُس، فساسَ الأمور حتى سَكَنت تلك الفِتَن بعد استعارِ نارها، إلى أن خرجَ السلطان إلى الشام.

وقد مرض تَغْري بَرْدي، يقال: إنه سُمَّ فمات بدار السعادة في يوم الأربعاء النصف من مُحرم سنة خمس عشرة وثمان مئة والسُّلطان إذ ذاك بدمشق فأحاط بجميع موجوده وكَثُرَ أسف النَّاسِ على فَقْده، فإنه كان سَيُوسًا لَيِّنًا عارفًا لما هو فيه.

٣٧٤- **تَغْري بَرْمِش بن يوسف بن عبدالله زَيْنُ الدِّين أبي المحاسن التُّركمانيُّ الفقيه الحَنفيُّ**[1].

صحبتُه من مَجلس الأمير شيخ الصَّفَوي، وكان قد رضي من دينه وأمانته بالحَطِّ على ابن العَرَبي الصُّوفي، وجعلَ ذلك له سُوقًا، مع عدم معرفته بالمقالة التي يُنكرها أهلُ العلم على ابن عَرَبي، وكان يُرْمَى في نَفْسه بشنيعةٍ، وله حَظٌّ من الأمراء، وتوفي بمكة في ليلة الأربعاء مستهل مُحَرَّم سنة ثلاث وعشرين وثمان مئة فَمُستراح منه.

وكان قد قدم القاهرة شابًا، وقرأ على شيخنا الجلال التَّباني، فما بلغ ولا كادَ لبُعْد فَهْمه وقُصور هِمَّته، ثم داخلَ المماليك والأُمراء في الأيام الظاهرية بَرْقوق والأيام النَّاصرية فَرَج، فعرفَ الملكُ المؤيد شَيخ المَحْمودي وهو مَمْلوك، فلما تَسَلْطَن نفقت له في أيامه سُوق، وكُتبَ له مرسوم بتَغْيير المُنْكرات المُجْمع على تحريمها، فقَدمَ مكةَ وتَعَاظم بها مع دناءة وتَمَصْلُح، وهو مُصرٌّ على رَذَالته حتى انكشفَ للناس سِتْره، وظهرَ مَكْنُونه وسِرُّه، فانطلقت الألْسُن عليه بالنَّكير وتناولتهُ ألْسِنةُ الصَّغير منهم والكبير، فإنَّه كان مع دائه الباطن قليل المُداراة للنَّاس، شديدَ الانتقام في ظَفَرِه لمن يُعَارضه في مَقَاصِدِه ومَخَازيه، ويقوم مع أغْراضه أتمَّ قيام، ولا يرجع إلى رأي عاقلٍ ولا مَشُورة نَاصحٍ، سَمَحَ اللهُ له وتَغَمَّدَ زَلَلَهُ، فلقد صَحِبَني سنين، وأخبرني بدائه الباطنَ من لا أشكُّ في أخباره.

٣٧٥- **تُقْطاي النَّاصري الأمير عِزُّ الدين الدَّوادار**[2].

أحد المماليك النَّاصرية محمد بن قلاون، وأنعمَ به على الأمير يَلْبُغا اليَحْياري ليكون دَوادَاره، فما زالَ معه في خدمته، فعُرفَ بالرَّزانة

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٧/ ٣٩٤، والمجمع المؤسس، الورقة ١٩٣، والضوء اللامع ٣/ ٣١، ووجيز الكلام ٢/ ٤٦٢، وشذرات الذهب ٧/ ١٥٩.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٥١ و٣٢٨، ووجيز الكلام ١/ ١٠٥.

وحُسن الخُلُق والمودَّةِ والموافاةِ لأصحابه، فأسلمَ يَلْبُغا قيادَهُ إليه، فوليَ أمورَهُ كلها، ثم أُنْعمَ عليه في الأيام الكاملية شعبان بن محمد بن قلاون بإمرة عَشرة في دمشق، ثم نُقلَ إلى إمرة طَبلخاناه في الأيام المُظَفَّر حاجي ابن محمد، فلما خرجَ يَلْبُغا على المُظَفَّر قُبِضَ على تُقْطاي وحُملَ إلى الإسكندرية، فسُجنَ بها، ثم أُفرجَ عنه بشفاعة الأميرين شَيْخُو صَرْغَتْمُش في شعبان سنة ثمان وأربعين، وأُنعمَ عليه بإمرة عَشرة، وتزوَّجَ بالقاهرة أخت الأمير طاز، ونُقلَ إلى إمرة طَبلخاناه، وكَثُرَ اختصاصه بالأمير شَيْخُو، وحَجَّ مع الأمير طاز وقَدِمَ مُبَشِّرًا بالقَبْض على المجاهد صاحب اليَمَن فَخَلَع عليه السّلطان الملك الناصر حسن بن محمد، ووصلَهُ.
وخرجَ مُسفرًا للأمير بَيْبُغا آروس لَمَّا وَليَ نيابةَ حَلَب وعادَ، فجعلهُ السُّلطان الملك الصَّالح صالح بن محمد دوادارًا عِوَضًا عن طَشْبُغا، وتوجه إلى دمشق في رَجَب سنة ثلاث وخمسين في مُهِمٍّ سُلْطاني، وعادَ ثم توجَّه إليها بتَقْليد الأمير طُنيْرَق نيابةَ حَمَاة، والأمير بدر الدين نيابة طرابُلُس، والأمير شهاب الدين بن صُبح صَفَد، فقَلَّدَهُم، ثم عادَ وتوجَّه في خِدْمة السُّلطان الملك الصالح صالح إلى الشام في نَوْبة الأمير بَيْبُغا آروس، وسارَ صُحْبة الأُمراء إلى حَلَب خَلْفَ بَيْبُغا آروس وعادَ معهم، وقَدِمَ في خدمة السُّلطان إلى القاهرة، ثم عاد إلى الشام في ذي الحجة منها، ومَضَى ليُجَهِّز العساكر من حَلَب خلف بَيْبُغا آروس وأحمد بَكْلَمُش، فَعندما وصلَ إلى حَلَب قَدِمها أحمد وبكلمش مَمْسُوكين في ثاني عشرينه، فَحَزَّ رأسيهما وجَهَّزَهُما إلى القاهرة. ثم قَدِمَ بَيْبُغا آروسَ أيضًا في ثالث عشري المحرم سنة أربع وخمسين، فَحَزَّ رأسهُ، ومضى به إلى السُّلطان. ثم قَدِمَ إلى الشام وتَوجَّه من حَلَب بالعساكر صُحْبة الأمير أرْغُون الكاملي إلى البلاد الرُّومية حتى وصلوا إلى قَيْصرية. فلما قُبِضَ على ابن دُلْغَادر وعادت العساكر قدم تُقْطاي بالخبر، فأنعمَ عليه السُّلطان بإمرة مئة تَقْدمة ألف وزادهُ بَلَدَيْن، فعَظُم قَدْرُه واشتُهرَ ذِكْرهُ إلى أن خرج الأمير شَيْخُو في يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين،

فكان من جُملة من رَكِبَ إلى قُبَّة النَّصْر خارج القاهرة، وتظاهر بالتَّعَصُّب الزائد، فلما ماتَ الأمير شَيْخُو في سادس عشري ذي القَعْدة منها قُبِضَ على تُقْطاي هذا وعلى خليل بن قوصُون، وقَطْلُوبُغا الذَّهبي وقُجا أمير شكار وحُملوا إلى إسكندرية وسُجنوا بها، واستَقَرَّ غُلمدار عِوَضه دوادارًا، ثم أُفْرِجَ عنهم بعد قليل، وأُخْرِجَ تُقْطاي إلى طرابُلُس ومعه طَيْبُغا البُوبكري مُقَدَّم البَريدية ليكون من جُملة بحرية القَلْعة على إقطاع عَبْره خمسة آلاف دِرْهم، فأقامَ بطرابُلُس زيادة على شَهْرين، ونُقِلَ إلى دمشق، فأقامَ بها قليلاً، ثم أُعيدَ إلى طرابُلُس فأقامَ بها حتى مات في آخر المُحَرَّم سنة ستين وسبع مئة.

٣٧٦- تُقْتمش، وصوابه توقْتَاميش[١] بن بَرْدي بك بن جاني بك ابن أرتك بن طغرُلجاي بن مَنْكُوتَمُر بن طُغاي بن باطُوخان بن دوشي خان بن جَنْكيزخان بن بيسكوكي بَهَادر بن تربان بن تَبَل خان بن تُومَيْنه بن باي سنقر بن تيدُو بن ذو تُوم متن بن بعُا بن بُوذ بخر بن ألان قوا، وهي المرأة التي ولدت بوذبخر بزعمهم من غير أب[٢].

وقد تقدَّمَ في ترجمة تَيمور كوركان[٣] بعضَ خَبَر جَنْكز خان، وأنَّه عَيَّن لولده دوشي خان مملكة خُوارزم ودَشْت القَفْجاق وهي مملكة مُتَّسعة في ناحية الشمال من المَعْمور أخذَهُ من خُوارزم إلى ساركند وجَنْد وصراي ومدينة ماجَرْوَازاق وسُرداق وبُلْغار وباشْقَرد وجولمان، وتنتهي حدود هذه المملكة في الجنوب إلى حدود بلاد القُسْطنطينية، وهي مملكةٌ قليلةُ المُدُن كثيرة العمارة. ومات دُوشي بن جَنْكز خان في حياة أبيه، فملكَ بعده ابنه باطُوخان، ويقال: صاين خان ومات سنة خمسين

---

(١) كتبه الناسخ في الحاشية بحروف منفصلة لضبطه.

(٢) تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٥١٢ و٥٤٢ و٥٥٦، ودائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية ٥/ ٤٠٧، والطبعة الجديدة، النص الإنكليزي ١/ ١١٠٥ و١١٨٧ و٢/ ٤١ و٤٤.

(٣) هكذا في الأصل، وترجمة تيمور بعد هذا.

وست مئة، فولي أخوه صرطق سنتين، ومات سنة ثنتين وخمسين، وملك أخوه برَكة، وقيل: إنه لم يكن لصرطق عقب، وكان لأخيه باطوخان ولدان هما تدان وبَرَكة، وكان تدان مُرَشَّحًا للمُلْك، فعدَل عنه أهلُ الدَّولة وأقاموا أخاه بَرَكة. ففي الخبر الأول: إنَّه بركة بن دوشي، وفي الخبر الثاني: إنَّه بركة بن باطو بن دوشي.

ولما ملكَ بَرَكة أسلم على يد الشيخ شمس الدين الباخَرْزي وحمل قومَهُ على الإسلام، وبَنَى المساجد والمَدَارس في جميع أعماله، وقَرَّب العُلماء ووصلَهُم، وقيل: بل أسلم في أيام أخيه باطو، وبعث أخاه باجو فقاتلَ ملك اللمان من الفِرَنج، فانهزم ومات. ثم حدثت بين بركة وبين قبلاي بن طولى بن جَنْكيزخان صاحب التَّخت، فتنة انتزعَ فيها بركة الخاقانية من عَمَل قبلاي ووَلَّى عليها ابن أخيه سَرْخاد بن باجو، ثم قَتَلَهُ لممالأته عَمه هُولاوو عليه، ووَلَّى مكانَهُ أخاه، فَزَحَف إليه هُولاوو وحارَبَهُ على نَهْر آثل سنة ستين، ومات بعدها سنة ثلاث وستين.

ووَليَ بعده ابنه أبغا بن هولاوو، فسار لحرب بَرَكة، فبعث إليه سَنْتَاي بن بانيقاي بن جقطاي بن جنكزخان ونوغُيُه بن ططر بن مغل بن دوشي خان بن جَنْكيزخان، فأحجمَ سنتاي[1]، وانهزم أبغا بن نوغُيه.

ومات بَرَكة سنة خمس وستين، فوَليَ مكانه ابن أخيه مَنْكُوتَمُر بن طُغاي بن باطو بن دوشي خان، وطالت أيامُه، وسار سنة سبعين إلى القُسْطنطينية لمحاربة يشكرني، فأذعنَ له ورجعَ. ثم سارَ سنة ثمانين إلى الشام عَوْنًا لأبغا بن هولاوو ونزل بين قيسارية وأبلستين وقَطَعَ الدَّرْبَنْد ومَرَّ بابغا وهو مُنازل الرَّحْبة، وتَقَدَّمَ مع أخيه مَنْكُوتَمُر بن هولاوو إلى حماة فنازلوها، فلقيهم السُّلطان المنصور قلاوون وهزمَهُم، فمات مَنْكُوتَمُر في إثر ذلك سنة إحدى وثمانين، وملك بعده ابنه تدان مَبْكو بَصَراي خمس سنين، ثم تَرَهَّبَ وخرجَ عن المُلْك سنة ست وثمانين، فملك بعده أخوه تلابغا واستدعى نوغيه بن طَطَر بن مُغل بن دوشي

(١) في الأصل «سنتان» خطأ بين.

خان، فسار معه إلى بلاد الكُرد، وعاثوا في نواحيها، فهلك أكثر عَسْكر تلابغا في عَوده من البَرْد والجُوع، ونَجَا تلابغا إلى بلاده سالمًا، فاتهمه تلابغا وهَمَّ به، فاستمال نوغيه جماعةً من إخوة تلابغا منهم: طقطاي وبُرْلك وصَراي بُغا وتَدان بنو مَنْكُوتَمُر بن طغاي، فقتلوه سنة تسعين وست مئة. وقام أخوه طُقْطاي مكانَهُ، فتنكر أيضًا لنوغاي وحاربَهُ، فهزمَهُ نوغاي واستولَى على بلاد الشَّمال، وملك مدينة القرم، فاعتضدَ تقطاي بأباجي بن قرمش وبأخيه قراجى وجماعةٍ من أُمراءِ المُغْل وحارب نوغاي في سنة تسع وتسعين وهزمَهُ وقتلَهُ وباعَ أسراهم، فَحُملَ منهم كثيرٌ إلى مصر وصاروا من جملة عَساكرها.

وقام بعد نُوغاي ابنه جكا، وقتل أخاه فَهَمَّ به أصحابه، ففرَّ من بلاد ألآن والرُّوس إلى بلادِ آص، وجمع وغَلَب أعداءه، فأمدَّهم طقطاي[1] حتى هزموه إلى بلاد أولاق، فقُتلَ سنة إحدى وسبع مئة، فقوي طقطاي بعد قتل جكا بن نوغاي، وقَسَّم أعماله بين أخيه صَرَاي بُغا وبين ابنيه مَنْكلي بُغا وإيل بَصَار، ومات سنة اثنتي عشرة، ورسُلُه بمصر عند السُّلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فجهَّزهم إلى بلادهم.

وكان قد قامَ نائب طُقْطاي واسمه قَطْلُقتَمُر، وبايعَ لأزْبك بن طغرلجاي بن مَنْكُوتَمُر، فأسلم وولَّى قَطْلُقتَمُر خُوارزم وبَعَث لغزو بلاد بوسعيد في سنة تسع عشرة وأمدَّ يسول بن بُواق بن سَنْتُولن بن ملكوقان ابن جقطاي بن جنكزخان ملك خُوارزم بعَسْكر مع قَطْلُقتَمُر حتى حارَبَ عساكر خُراسان ليأخُذَها من بوسعيد، فمات بو سعيد وعَزَل أزبك قَطْلُقتَمُر سنة إحدى وعشرين، ثم رَدَّه سنة أربع وعشرين.

ومات أزْبك سنة ثنتين وأربعين، فوَليَ ابنه جاني بك بن أزْبك فملك خُراسان سنة ثمان وخمسين ثم زَحَف إلى أذربيجان وتوريز، وقد تَغلَّب عليها بعد موت بوسعيد الشيخ حسن الصَّغير بن دمرداش بن جوبان وأخوه الأشرف من بعده، وملكهما، وعاد إلى خُراسان بعدما وَلَّى ابنَهُ

---

(١) يكتب بالطاء في أوله والتاء، فالعرب يقلبون التاء طاءً عند التعريب غالبًا.

بَرْدي بك على تَوْريز، فمات في طَريقه سنة سبع وخمسين، فاستناب بَرْدي بك بن جاني بك على تَوْريز وسارَ إلى صراي فملَك بعد أبيه ثلاث سنين ومات سنة تسع وخمسين، وتَرَك ابنه تُقْتَمش صاحب التَّرجمة صَغيرًا، فأُقيم مَلكًا، وكانت أخته جانم بنت بردي بك تحت أمير من أكابر أُمراء المُغْل اسمه ماماي وإليه ولاية مدينة القرم، وهو بها، فثارَ أُمراء الدَّولة بأعمال صراي، وفَرَّقوا الكَمِلةَ واستَبدُّوا بأعمالهم، فتَغلَّب صَلْجي شَركس على ناحية هَج طرخان وتَغلَّب أَرَصْ خان وألبك خان على الأعمال، وكانوا يُسمَّون أُمراء المَيْسرة، فخرجَ ماماي بالقرم ونَصَّب صَبيًّا من وَلَد أزبْك اسمه عبدالله يُريد صراي، فهربَ منها تُقْتَمش إلى جبال خُوارزم، فاستولَى ماماي على كُرسي صَرَاي وأجلس عليه الخان عبدالله، فثَارَ أميرٌ آخر ونَصَّب آخر من أولاد القان اسمه قَطْلُقتمُر، فَغَلَب ماماي، وقتلهما.

وسارَ تُقْتَمش إلى ما وراء النَّهر، وقد ثار هنالك تيمور ونَصَّب صَبيًّا اسمه محمود أوْصلغتمش، وتَزوَّج أمه واستَبَدَّ عليه، فتنافس الأُمراء المُتغلبون، وزَحَف صَلْجي شركس إلى ماماي وغَلَبه، ومَلَك صراي، فلَحق ماماي بالقِرم واستبدَّ بها، فبَعَث أَرَصْ عساكره من نَواحي جبال خُوارزم، فحصرت هج طرخان، فدفعهم صَلْجي وهزمهم عن هج طرخان، وبينا هو في هذه الفِتْنة إذ زَحَف إليه ألبك خان، وملَكَ صَراي من يده أيامًا وهَلَك، فقام من بعده ابنه قان بيجان بصراي، فزَحَف إليه أَرَصْ من جبال خُوارزم وغَلَبه على صَرَاي، وقد هَرَب قان بيجان بن ألبك خان إلى عملهم الأول واستقَرَّ أَرَصْ بصراي وماماي بالقِرم، وذلك في حُدود أعوام ستة وسبعين، وتُقْتَمش في خِلال ذلك مُقيمٌ في ما وراء النَّهر حتى بَعَث معه الأمير تَيْمور العساكر، فسارَ بها حتى بَلَغ جبال خُوارزم لقيته عساكر أَرَصْ وهزمتهُ، فعادَ ومات أَرَصْ عَقيب ذلك، فسارَ تيمور مَدَدًا لتُقْتَمش حتى بَلَغ حُدُود عمله ورَجَع فاستولى تُقْتَمش على أعمال أَرَصْ بجبال خُوارزم ومَضَى إلى صَرَاي، فملكها واسترجع ما

تَغلَّب عليه ماماي وملك أعمال صَلْجي شركس وجميع ما كان بأيدي المُتغلبين، ومَحَى آثارهم، وسار إلى ماماي فهرب، ولم يُوقف له على خَبَر، ثم صَحَّ موته.

واستَوْسَقَ المُلْك بصراي وأعمالها لتُقْتَمش بن بردي بك، كما كان لِسَلَفه إلى أن تَغلَّب تيمور على بُخارى وسَمَرْقَند وبلاد خُراسان وبلاد فارس، فبلَغَه وهو بشيراز أنَّ تُقْتَمش قَصَد بُخارى وسَمَرْقَند، فسارَ حتى واقعه، فخامَرَ على تُقْتَمش بعضُ جماعته مع أغلان بلاط من أُمرائه، فانهزم بعضِّ حَرْب[1]، فولَّى تَيْمور ذلك الأمير أغلان بلاط على بلاد سُلْطانِهِ تُقْتَمش ورَجَع، فملك أغلان بلاط مدينة صَرَاي، وفَتَك في أصحاب تُقْتَمش، فجمع له تُقْتَمش وزَحَف إليه، ففَرَّ منه وملكَ صَرَاي، وصار أغلان بلاط إلى القِرم، فخَرَج إليه وحاصره، فثارَ بصراي ابنُ امرأة تُقْتَمش ومَلَكها، فتَرَك حصار القِرم، وعاد حتى انتزعها من يده، وبَعَث إلى القِرم غير مَرَّة العساكر حتى قَتَل أغلان بلاط وملكها.

وسار تيمور ومَلَك بغداد، وقَصَد الشَّام في سنة ست وتسعين، وقد بَعَث السُّلطان الملك الظَّاهر بَرْقُوق يَحثُّ تُقْتَمش على أخذ تَيمور، وقد بَلَغ الرُّها، فرجع إليه وواقعه عدة مرار وهو يَظْهرُ عليه إلى أن هزمَهُ فنَجَى بحُشَاشَته إلى آروس من قبائل التُّرك، وقد تَخلَّى عنه جميع من كان معه من المُغْل، فأقامَ بينهم.

وذكرَ جامع سيرة تَيمور أنَّ الخان تُوقتامِيش لما بلغه ما جَرَى على السُّلطان حُسين صاحب بَلْخ من تَيمور وقَتْله إياه في شعبان سنة إحدى وسبعين وسبع مئة، غَضِب له وجمع لحرب تَيمور وسارَ إليه من جهة سغناق وأُترار، فخَرَج إليه تَيمور من مدينة سَمَرْقَند حتى تلاقيا في أطراف تُركستان قريبًا من نَهْر خُجَنْد وهو نهر سَيْحون، فاشتَدَّت الحَرْبُ بينهما حتى كادت جُموع تيمور تَعْفَى من كثرة من قُتل منهم وتَفَرَّقوا عنه وعَزَم

---

(١) عض الحرب: شدتها.

على الفِرار، ثم تراجع إليه أصحابُه، فحمَلَ بهم حملةً مُنكرة، وهم بأجمعهم يصرخون: باغي قاجْدِي، ويضربون بسيوفهم أصحاب تُوقتاميش حتى هزموهم، ومَرُّوا على وجوههم وهم مُنْهزمون لا يلوون على شيءٍ، فحازَ تَيمور من المواشي والأموال مالا يُوصف كثرةً، واستولى على تُركستان وبلاد نَهر خُجَنْد.

ثم إنَّ إيدكو أحد أُمراء المَيْسرة خالف على تُوقتاميش وفَرَّ من بلاد الدَّشت إلى تيمور، وحَرَّضه على قتال تُوقتاميش، فسار في عساكر كثيرة جدًّا وجمع له تُوقتاميش فرسانَهُ ورجالَهُ حتى تَراءَى الجَمْعان، تَقدَّم إلى تُوقتاميش أحد أُمراء الميمنة وطَلَب منه أنْ يُمكِّنه من قَتْل أمير من عُظماء أُمرائه بدم له عنده، فقال له: تَمهَّل عليَّ حتى نَفْرُغ من هذه النَّازلة وأُسلمه إليك، فقال: لابُدَّ وأن تمكنني منه الساعة حتى أقتلَهُ، فأخذ يلاطفه ويستمهله، وهو يأبى، ثم إنَّه وَلَّى وجميع قبيلته التي تدعى آق تاو ومَرُّوا بأثقالهم وأهاليهم إلى بلاد الرُّوم ونَزَلوا بأدرنة، فاستوطنوها، وبمُضِيِّهم عن تُوقتاميش اختَلَّ أمرُه، لكنه ثبتَ وقاتلَ بمن بَقي أشدَّ قتالٍ حتى استحرَّ القَتْل فيهم، فتفرقوا عنه وانهزمَ، فاستولى تَيمور على قبائل الدَّشت كلِّها وانتشرت عساكره تَعِيث وتُفْسد عَيثَ الذِّئاب الضارية في الغَنَم التي لا راعي لها، وجمع تيمور الغنائم العظيمة وأباحَ لمن معه النَّهب والأسْر والسَّبْي، فانتهبت طراشنة إلى أزاق وهَدَم مدينة سراي ومدينة سراي جوق ومدينة حاجي طرخان وغيرها، ورَجَع إلى سَمَرْقَند، فخدعه إيدكو وسار عنه إلى جماعته واستعد لقتال تُوقتاميش وقاتلَهُ، فكان بينهما أربع عشرة وقعة ضعف فيها توقتاميش، وذلك أنَّ معظم عساكره سار مع تَيمور وانحازت عنه طائفةٌ كبيرة من عساكره، يقال لها: قرابوغدان وسارت إلى بلاد الرُّوم وبلاد الرُّوس، ثم تراجع إليه أمرُهُ وأوقعَ بإيدكو الوقعة الخامسة عشرة، فَمَزَّقَهُم وأكْثرَ من القَتْل فيهم، ومَضى إيدكو على وجهه مُنْهَزمًا في نحو الخَمس مئة من خواصه واختفى، فلم يوقف له على خبرٍ وهو مُتَحسس حتى بلغه أنَّ توقتاميش

بعد ستة أشهر خَرَج مُنْفردًا إلى مُتَنَزَّه له، فطَرَقه بَغْتة وقاتله وقتلَهُ واستولى على ممالك الدَّشت، وتَفَرقت أولاد تُوقتاميش في الآفاق، فمضى جلالُ الدِّين وكريم الدِّين بَرْدي إلى الرُّوس، ومضى كوباك وبقية إخوته إلى سغناق، ثم ظَهَر جلال الدِّين في سنة أربع عشرة وثمان مئة، وكانت قتلة توقتاميش في[1] . . . .

٣٧٧- تَيمور كوركان بن تَرْغاي بن أبغَاي[2].

وهو المشهور بين جماعته، وقد أملى عليَّ بعضهم أنَّه تيمورة بن آيسن قُتْلُغ بن زَنْكا بن سَنْبا بن طارم بن طُغْرل بن قَلِيج بن سنقور بن كنجك بن طوسيوقا بن ألتان خان.

وُلد سنة ثمان وعشرين وسبع مئة تخمينًا.

اعلم أنَّ التُّرك من وَلَد غومر بن يافث بن نُوح عليه السَّلام على ما وقع في التَّوراة، وقيل: من وَلد طيرس بن يافث، وقيل: من تُرك بن غامور بن سوسل، فلم يذكره أحد ممن يُعتد به في بني يافث. والتُّرك أجناس وطوائف، منهم الرُّوس والأغلان، ويقال: ألأَن والخَفْشاخ، وهم القَبْجَق، والهياطلة والخُلَنْج والغُز، وهي لفظة مُعرَّبة أصلها الخُوز، وهي من أجناسهم بهذه الصَّيغة في لُغتهم، فعَرَّبتها العرب إلى صيغة الغُز، ومن التُّرك الخَطَا وكانوا بأرض كمغاج وهي بلاد تُركستان وكاشْغَر وما يليهما من وراء النهر، ويمك والغَور وشركس وأزكش والطَّطَر وهم الطَّغَرغَر وأنكر وهم مجاورون الرُّوم ولهم أجناس أُخر.

---

(١) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٥/ ٢٣١، وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٤٧٣-٤٧٧ و٥٠٣ و٥٠٨ و٦٠٤، والضوء اللامع ٣/ ٤٦، ووجيز الكلام ١/ ٣٨٠، والنجوم الزاهرة ١٢/ ٢٥٣، والمنهل الصافي ١/ ١٥٢، وشذرات الذهب ٧/ ٦٢، ودائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ٦/ ١٥٩ و١٦٤، والطبعة الجديدة النص الإنكليزي ١/ ١٤٧ و١١٨٧ و١١٠٥ و٢/ ٤١ و٤٤، وينظر كتاب «عجائب المقدور»، لابن عربشاه.

وجمهور أُمم التُّرك يَسْكُنون فيما وراء النَّهر شَرقًا إلى البَحْر المُحيط ما بين الجنوب إلى الشّمَال من الإقليم الأول إلى السابع، والصِّين في وسط بلادهم، وكان الصِّين أولاً لبني صيني من بني يافث، ثم صار للتُّرك واستولوا على معظمه إلا قليلاً من أطرافه على ساحل البَحْر.

والتُّرك رَحَّالة وأكثرهم في المفازة التي بين الصِّين وبلاد تُركستان، وكان لهم في القديم دولة، ويقال لملكهم: أفراسياب، ولهم مع الفُرس حروبٌ، ثم حاربتهم العرب في الإسلام، ومَلَكوا أطراف بلادهم، وفَرَضوا عليهم الجِزْية وبقيت لهم دولة ببلاد تُركستان وكاشْغَر، ويقال لمن مَلَكَهُم: الخان، وحاربتهم الملوك السَّامانية فيما وراء النَّهر إلى أن تلاشت دولتهم ودولة بني سامان جميعًا.

ثم ظهر بني سُلْجوق، وغَلبوا ملوك التُّرك بعد المئة الرابعة من الهجرة، وامتدت مملكتهم ما بين الهِنْد ونهاية المَعْمور في الشَّمال، وما بين الصِّين وخليج القُسْطنطينية بالغَرْب مع اليمن والحجاز والشَّام، وأكثر بلاد الرُّوم من مئتي سنة. ثم تلاشت دولتهم وانقرضت وكان بعد خروج السُّلجوقية إلى خُراسان قد خلفهم في بلادهم بضواحي تُركستان وكاشغر من أمم التُّرك أمة الخَطَا ومن ورائهم أمة الطَّطَر ما بين تُركستان وحُدود الصِّين، ولم يَقْدر ملوك الخانية بتُركستان على دفاعهم عنها عَجْزًا عن ذلك، فكان أرسلان خان محمد بن سُليمان يُنْزلهم مشايخ على الدُّروب ما بينه وبين الصِّين، ويُقْطعهم على ذلك.

ثم زَحَف من الصِّين ملك التُّرك الأعظم كوخان في سنة ثنتين وعشرين وخمس مئة، فانضم إليه أمم الخَطَا، فلقيهم الخان محمد بن سُليمان بن داود بُغْراخان صاحب تُركستان وما وراء النَّهر من الخانية، وهو ابن أخت السُّلطان سَنْجر بن ملكشاه السُّلجوقي صاحب خُراسان، فهَزَموه ثم هَزموا سَنْجر في سنة ست وثلاثين، واستولى كوخان على ما وراء النَّهر ومات سنة سبع وثلاثين، فملكت بعده بنته، ثم بعد موتها أُمها زوجة كوخان وابنه محمد بن كوخان، ثم محمد بن محمد وانقرض

ملكهم باستيلاء الخَطَا على ما وراء النهر.

ثم غَلَب على خُوارزم علاء الدِّين محمد بن تكش وتَلقَّب هو وبنوه من بعده بخُوارزم شاه، فاستصرخَ به ملوك الخانانية فيما وراء النَّهْر على الخَطَا، فعبرَ إليهم سنة ست وست مئة وملكهم حينئذ طاينكوه، فأسره خُوارزم شاه وملكَ جميعَ بلاد الخَطَا ومَحَى آثار الخانية وأزال مُلْكَهُم مما وراء النهر.

هذا وقد نزل الطَّطَر في حدود الصِّين ما بينها وبين تُركستان وملكهم يومئذ كُشلي خان، وحاربوا الخَطَا، فبَعَثوا إلى خُوارزم شاه يستمدونه عليهم، فأوقع بالخَطَا وهَزَمهم ومَزَّقهم، فلما تَفرَّغ له كُشلي خان وأخذ كاشْغَر وبلاد تُركستان، خَرَج المُغْل على كشلي خان ومَلِكهم جَنْكزُ خَان، وهو جنكز خان بن بيسوكى بهادر بن تربان بن تَبل بن تومِنيه ابن باي سنقر بن طبدو بن ذو تَوْم متَن بن بُغابن بُوذ نْجَر بن ألآَن قو. وبَعَث جنكز إلى خُوارزم شاه في سنة خمس عشرة وست مئة بهدية يَطْلُب موادعته والإذن للتُّجار في التَّردد ما بينهما، فأجابه إلى ذلك، فقدم إلى أُترار تاجرٌ من بلاد جنكز خان، فأخذَ مالَهُ وقتلَهُ، فبعث جنكز خان يُنكر ذلك، فقَتَلَ رُسُلَهُ، فزحف جنكز خان ومَلَكَ أُترار وبُخارى وسَمَرْقَند في سنة بضع عشرة وهزموا خُوارزم حتى مات شريدًا.

فملك جنكز خان عامة البلاد وأصل نسبه الذي يرجع إليه ألآَن قو، وهي امرأة تزوجت وولدت ولدين هما: بكتوت ويبتكوت، ومات زوجها ولم تتزوج بعده، فظَهر بها حَملٌ بعد مدة، فأنكرَ عليها قومُها، فزعمت أنَّ نُورًا دَخَلَ فَرْجها ثلاث مَرَّات، فحملت من ذلك، وأنَّها حُبْلى بثلاث ذُكور، فإن صدقت وإلا فافعلوا ما بَدَى لكم، فولدت ثلاث ذكور وهم: يُوقَن وقوناغي وبُوذ نْجَرْ، فسمُّوا النُّورانيين. ومن ولد بُوذ نْجَرْ جنكز خان، ولذلك يقولون له ابن الشَّمْس.

وكانت الصِّين دَوْر مملكتها تسعة أشهر. قد قُسمت بستة أجزاء كلُّ

جزء منها مسيرة شَهْرٍ ونصف، ويلي كل جزء مَلِك يقال له خان، ولجميعهم ملك كسر، يقال له: الخان الأعظم، ويقيم بكوغاج وهي وسط الصِّين، فكان من خاناتهم دُوشي خان وتحته عمه جنكز خان، فلما مات أقامت زوجته عوضه ابن أختها جنكز خان في الخانية، فلم يرض به الخان الأعظم وقاتلَهُ فغَلَب، فاحتاج إلى مصالحة جنكز خان، فقوي ومَلك مواضع الخانات الستة، وحارب خُوارزم شاه، ويقال: كان اسمه تَموجين وأنه خَدَم أونك خان ملك الطَّطَر حتى اختص به، ثم تنكر عليه، ففَرَّ منه واتبعه أونك فقاتلَهُ وهزمه وغَنِمَ ما معَهُ، فقويَ وجَمَعَ عليه، فأطاعته قبيلتان عظيمتان من المُغْل هما: أوَبْرات وتَنقُورات، وحارب أونك فقتله وصار ملك الطَّطَر بأسرها، وتَسمى جنكز خان، وكتب «الياسق» ضَمَّنه أحكام سياسته، ولم يكن يَتدينُ بدين، وإنَّما كانت ديانته وديانة آبائه المجوسية، فلما ملك قَسَّم ممالكه بين أولاده، فأعطى ابنه طوسي بلاد فيالق إلى بُلْغار وهي دَشْت القَفْجاق، وأضاف إليه أرَّان وهَمَذان وتِبْريز ومَرَاغة، وأعطى ابنه أوكداي حدود أيْمل وقَرَاباق وجعله وليَّ عهده، وأعطى ابنه جقطاي من الأنغور إلى سَمَرْقند وبُخارى وهي ما وراء النهر، ولم يُعط طُولي شيئًا، وأعطى لابنه أوتكين نُوين بلاد الخَتَا[1]، وكان كرسيه مدينة قراقروم، وهي ما بين الخَطَا وبلاد الأيغُور، وهي تُركستان وكاشْغَر، ومات ولده طُوشي، ويقال: دُوشي في حال حياته وخَلَّف من الولد باطو وبَرَكة، ومات طُولي أيضًا في حياته، وخَلَّف منكو وقبلاي وأريبك وهولاوو.

فأما مُلُوك التخت بقراقروم، فإنَّ جَنْكز خان لما مات استقل أوكداي بن جنكز خان بالتَّخت، وبدشت القَفْجاق وما معه، وكان أصغر ولده، وانتقلَ إلى قراقروم وأعطى ما كان بيده لابنه كَبُوك، ثم ماتَ فورث التَّخْت ابنه كبوك بن أوكَداي، وهلكَ وهو سائر لمحاربة باطو بن دوشي خان، فَسُئلَ باطو أن يلي التَّخْت، فلم يفعل وجعله لأخيه

---

(١) يعني: الخطا.

منكوقان، فقام منكوقان بن طُولي بن دوشي ومعه أخواه قبلاي وهولاوو ابنا طولي حتى أخذَ التَّخت بمعاونة بَرَكة طوشي بن دوشي، فأسلم بَرَكة على يد الشيخ شمس الدِّين الباخَرْزي لما مَرَّ ببخُارى ودان بطاعة الخليفة المُسْتَعْصم، وكان جداي وهو جقطاي بن جنكز خان لم يتمكن من مملكة ما وراء النهر، فولَّى منكوقان أولاد جقطاي عمِّه ما وراء النهر إمضاءً لوصية جده جنكز خان لأبيهم التي ماتَ دونها، وجَهَّز أخاه هولاوو لقتال الإسماعيلية، فحسَّن له أن يستولي على أعمال الخليفة، فأذِنَ له فيه، فلما بلغ ذلك بَرَكة بن دوشي أنكرَ على أخيه باطو الذي وَلَّى منكوقان قَصْد بلاد الخليفة وفاء له، فبَعَث باطو يمنع أخاه هولاوو من ذلك، فأقام فيما وراء النَّهْر سنتين حتى مات باطو ووَليَ بَرَكة، سار هولاوو وواقع بالملاحدة وأهل هَمَذان واستباحَهُم، ومضى إلى بَرَكة بدَشْت القَفْجاق، فتواقعا فكانت على هولاوو وهَمَّ بالهَزِيمة، ولم يفعل، وعاث في بلاد بَرَكة، فصارت بينهما عداوة تمادت فيما بعد وتوجه هولاوو إلى بغداد، فقتل الخليفة، وكان ما كان، فصار ببغداد نائبًا عن أخيه حتى ماتَ منكوقان في سنة ثمان وخمسين وست مئة.

ثم قام بعد منكوقان أخوه أريبَكان بن طُولي ثم أخوهما قبلاي ومات سنة ثمان وثمانين وست مئة، ثم دمرقان، ويقال: تمرقان، ثم تمرباي تتربي كبرى، ثم كيان قان، ثم سند مُرقان بن طرمالا بن أجم كم ابن قبلاي بن طولي.

وأما ملوك تُركستان وكاشْغَر وما وراء النهر فإنَّ جنكز خان أوصَى بها لولده جقطاي، فلم يتم ذلك، فلما وَليَ منكوقان بن طولي التَّخت وَلَّى منكوقان بن جُقْطاي، فلما مات مَلَك ابنه هولاوو بن منكوقان بن جقطاي، ثم ابنه مبارك شاه، ثم غَلَب عليه قيدو بن قاشى بن كبوك بن أوكداي بن جنكز خان ونازع قبلاي بن طولي صاحب التَّخت وحاربَهُ فثار براق بن بسنْتُو بن منكوقان بن جقطاي وغلَب قيدو واستَبدَّ بمُلْك آبائه حتى ماتَ. فوَليَ بعده ابنه دوا، ثم مَلَك بعد دوا ابنه كبجك، ثم اسنبغا

ابن دوا، ثم كبك بن دوا، ثم أل جكداي بن دوا، ثم مَلَك دراتمور، ثم بعده ترما شيرين، ثم توزون بن أوْباكان، ثم بيساور بن أرْكتمر بن بغاتمر ابن براق بن بسنْتُو، واضطرب مُلْكهم من بعد ترماشيرين إلى أن مَلَك جنغضو بن دراتمر بن حَلْوَا بن براق بن بسنْتُو، وكانوا بأجمعهم على دين جنكز خان، وأول من أسلم منهم ترما شيرين إلى سنة خمس وعشرين وسبع مئة.

وأما ملوك خُوارزم ودَشْت قَبْجاق فوَلِيَ دوشي بن جنكز خان في حياة أبيه، ثم باطوخان بن دوشي خان، ويقال صاين خان ومات سنة خمسين وست مئة، فملك صرطق بن دوشي خان مدة سنتين ومات سنة ثنتين وخمسين، فقام بركة بن دوشي خان، ويقال بركة بن باطوخان بن دوشي خان وأسلم على يد الباخرزي، وقاتل قبلاي صاحب التَّخْت وغلب على الخانية، وولَّى على عمل قبلاي غيره حتى مات سنة خمس وخمسين، فقام بعده منكوتَمُر بن طغاي بن باكوخان بن دوشي خان حتى مات سنة إحدى وثمانين فوَلِيَ بعده ابنه تدان منكو وترك المُلْك وتَزهَّد في سنة ست وثمانين، وصحب الفقراء فملَكَ أخوه تلابغا حتى قُتل سنة تسعين وست مئة، فوَلِيَ أخوه طقطاي بن منكوتَمُر حتى مات سنة ثنتي عشرة وسبع مئة، وجَرَت لـه خطوب وحروبٌ، فأقيم بعده أزبَك بن طغرل جاي بن منكوتَمُر، ووقعت الفِتْنة بينه وبين بوسعيد حتى مات سنة اثنين وأربعين فوَلِيَ ابنه جانـي بك ومَلَك خُراسان سنة ثمان وخمسين، ثم مَلَك تِبْريز ومات سنة سبع وخمسين، فوَلِيَ ابنُه بَرْدي بك حتى مات سنة تسع وخمسين، فأُقيم ابنه تُوقتاميش وهو صغيرٌ، فقامَ بأمرِهِ ماماي زوج أخته جانم بنت بَرْدي بك، وتَغلَّب جماعة من المُغْل على الأعمال. ثم خَلَعَ ماماي تُوقتاميش ونَصَّب صَبِيًّا من وَلَد أزبك اسمه عبدالله، ففَرَّ تُوقتاميش من مدينة سَرَاي وملكها ماماي، فثار عليه بعضُ أمرائه ونَصَّب قطلوتَمُر، فقاتله ماماي، وقتلَهُ وقتل سُلْطانه، فلَحِقَ تُوقتاميش بما وراء النهر كما ذُكرَ في ترجمته، وتلاشت دولة جنكز خان بجميع النواحي.

ظهر تَيمورلنك في حال اختلاف وافتراق، وقد قامَ ببخُارى الأمير حُسين بن المُغْل وقام الحاج حُسين صوفي بخُوارزم وهو من الطَّطَر، وتَغلَّب ماماي على الخان تُوقتاميش وثارَ صَلْجي شركس بناحية هج طرخان، وثار أرَصْ خان وألبك خان في أعمال أخر.

ثار تيمور، وكان أبوه ترغاي من أحاد النَّاس يَسْكن ما وراء النهر، فقيل: كان إسكافًا، وقيل: بل كان أبوه أمير مئة عند السُّلطان حُسين صاحب مدينة بَلْخ، وأحد أركان دولته، وأنَّ أمَّهُ من ذُرِّية جنكزخان، وقيل: كان للسُّلطان حُسين أربعة وزراء، فكان تيمور ابنَ أحدهم، وهو من قبيلة بولاس.

ووُلد تيمور في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بقرية تُسمى خواجة إيلْغَار من عَمَل كش إحدى مدائن ما وراء النهر، وبُعد هذه القرية عن مدينة سَمَرْقَند يوم واحد، وقيل: إنَّه رُؤي ليلة وُلد كأنَّ شيئًا يشبه الخُوذَة تراءى طائرًا في عَنَان السَّماء، ثم سَقَط إلى فضاء وانتشرَ على الأرض فتَطَاير منه جَمْر وشررٌ وتراكم حتى ملأ البَدْو والحَضَر، وأنَّه عندما خرجَ من بطن أمه وُجدت كَفَّاه مملوئتين دَمًا، فزجروا أنَّه تُسفك على يديه الدِّماء.

وأول ما عُرف من حاله أنَّه كان يَتَحَرَّم، فسَرَقَ في بعض الليالي غَنمةً، وحَمَلها ليمرَّ بها، فانتبه الرَّاعي، وضربَهُ بسَهْم أصاب كتفه، ثم رمَاهُ بآخر، فوقع على فخذه فصار أعرج، فقيل له تَيمورلنك[1]، وصَحِبه في تَحَرُّمه جماعةٌ بلغت عِدَّتهم نحو الأربعين رَجُلاً منهم عباس وجهان شاه وقمارَى وسُليمان شاه وإيدكو تيمور وجاكوا وسيف الدِّين، فكان في حال تَلَصُّصه وقَطْعه الطَّريق يقول لأصحابه: لابُد أن أملك الأرض وأقتل ملوكَ الدُّنيا، فيسخرُ منه بَعْضُهم، وكان بمدينة كش رجل

---

(١) وقال السخاوي في الضوء اللامع ٣/٤٦: «تيمور وهو تمرلنك... الأعرج، وهو اللنك بلغتهم، فعرف بتمراللنك، ثم خفف فقيل: تمرلنك».

مُعْتَقَد يقصده النَّاس للتبرك به وبدُعائه يقال (له)[1]: الشيخ شمس الدِّين الفَاخُوري، فعَمَد تيمور إلى ثَوْب له من قُطن لا ثَوْب له سواه، فباعه واشترى به شاةً من المَعْز ودَخلَ بها إلى الشَّيْخ وقَدَّمها له، وكان في وظيفة الذِّكْر هو وفقراؤه، فَوقَف تَيمور على قدميه حتى فرغوا من الذِّكْر، ثم تَقدَّم وقَبَّل يدي الشَّيْخ ورجليه يسأله الدُّعاء، فأطرقَ الشيخُ ساعةً ثم رَفع رأسه وقال للفُقراء: قد قَصَدَنا هذا الرَّجُلُ في طلب ما لا يُساوي عند الله تعالى جَناح بَعُوضة فأمدُّوه بالدُّعاء، ودَعَا له وأَمَّنَ الجماعةُ على دُعائه، ثم انصرفَ عنه تَيمور، فكان يقول دائمًا: جميع ما نِلْتُه من السَّلْطنة وفتحتُه من البلاد إنما هو بدعوة الشيخ شمس الدِّين الفاخوري وبهمة الشيخ زَيْن الدِّين أبي بكر الخوافي، وما لقيت بركةً إلا بالسيِّد بَرَكة. واتفقَ أنَّه تاه في بعضِ تَحَرُّماته عن الطَّريق حتى كاد يهلك جُوعًا وعَطشًا مدة سبعة أيام، فوقع بعد هذه المدة على خَيْل السُّلطان حُسين حاكم بَلْخ، فأنزله الجَشَّاري[2] وأطعمه وسقاه، وكان لتيمور معرفة تامَّةٌ في الخَيْل، فأعجب به الجَشَّاري وصحبه مدة، ثم بَعَث بخيول إلى السُّلطان، فَعرَّفه به، فأنْعم عليه وأعاده إلى الجَشَّاري، فلم يزل عنده حتى مات، فولاَّه السُّلطان عِوَضه على جِشاره، ثم تَرَقَّى من ذلك حتى عَظُم وتزوج أُخت السُّلطان، فاتفق أنَّها غاضبته ذات ليلةٍ، فعَيَّرته بما كان عليه من سُوء الحال، فقَتَلها وخَرَج هاربًا وأظهرَ العِصْيان على السُّلطان حتى استولى على ما وراء النَّهر، وتزوجَ بنات المُلوك، فزيد في ألقابه كوركان ومعناه عند المُغْل: الصِّهْر، فصار يقال له: تَيمور كوركان، أي صِهر المَلِك، ولم يَزَل من صغره لَبيبًا حازمًا مُتراميًا على طلب المعالي حتى يقال: إنَّه كان يقول في صغره لأولاد الوزراء والأُمراء: إنَّ جَدَّتي رأت منامًا تَعْبيره: أنَّه لابُدَّ أن يظهر من ذُرِّيتها من يُدوِّخ البلادَ ويملكُ

---

(١) إضافة لابد منها.

(٢) الجشاري: صاحب الموضع الذي ترعى فيه الخيول.

الأرضَ وهو صاحب القِرَان، وهو أنا، وقد قَرُب الوَقْت، فعاهدُوني على القيام معي، فيحبُّوه ويعاهدوه على ذلك، وهم يَسْخَرُون به، وما زال يُكثر من هذا الكلام وشِبْهه حتى اشتُهِرَ عنه ذلك بين النَّاس وتَنَاقَلُوه إلى أن بَلَغ السُّلْطان، فَعزم على قَتْله، وبلَغَهُ ذلك، فخرج هاربًا وصارَ ينتقل من قَوْم إلى قَوْم، فإذا نَزَل بقوم يَسْتَضِيفهم سألَ الذي أضافَهُ عن اسمه واسم أَبيه وشُهْرَته، ثم يقول له: أنا أستولي على الممالك، فإذا سمعت بي فأتني بعلامة كذا وأمارة كذا، فإني أكافئك، فلما انتشر ذكرُهُ وشاعَ خبرُهُ جاءه النَّاس من كلِّ جهة بالأمارات والعلائم الذي ذكرها لهم، فوفَّى لهم بما وعَدَهم به، وأنزلَ كلَّ أحد منهم منزلته التي تليقُ به.

وكان ابتداء أمره وخروجه بعد سنة ستين وسبع مئة، وأنَّه قَتَل السُّلطان حُسينًا في شعبان سنة إحدى وسبعين، ومن حينئذ استقل بالمُلْك حتى مات مدة ست وثلاثين سنة. وكان ابتداء تَحرُّمه هو وأصحابه لما خَرَج لذلك في بلاد ما وراء النَّهر، ثم تَنَبَّه النَّاسُ له، فهَرَب وقطع جَيْحون يُريد بلادَ خُراسان، فتَحرَّم هناك، ولزم نَواحي سِجِسْتان ومفاوز باورد وماخان مُدَّة يُخيف بها السَّبيل ويقطع الطَّريق على من يصدفه، فقَصَد في بعض الليالي حائطًا من حوائط سِجِسْتان، وقد اشتدَّ به وبأصحابه الجوع، فأخذ رأسًا من غَنَم، فرماه الراعي بسَهْم كما تَقَدَّم، حتى بطل نصفه، ثم أدركه وقَبَض عليه وحمله إلى السُّلطان حُسين صاحب هَرَاة، فضربه وأمر بصلبه بعد قَتْله، فشَفَع فيه ولده غياث الدِّين، فعفى عنه، وأخذه غياث الدِّين وضَمَّه إليه وداواه حتى برىء من جراحته ولزم خدمته، حتى ارتفعت درجته، وبعثه السُّلطان على جيش لمحاربة نائب السُّلطان بسِجِسْتان، فحاربه وقَبَض عليه واستخلصَ الأموالَ واستخدم عَسْكرًا ومَضَى بهم إلى ما وراء النَّهر، وقيل: بل استمر في خدمة غياث الدِّين حتى مات أبوه وملك بعده، ففَرَّ منه، فبَعَث في طلبه الخَيْل حتى وَصَل بمن معه إلى جَيْحون وهو في قوة زيادته، فمن شِدَّة خوفه أقتحمَ هو ومن معه النَّهر بخيولهم، وقطعوه سبحًا، وأقاموا هنالك

يقطعون الطَّريق ويأخذون من مَرَّ. ثم إنه توجه بمن معه إلى مدينة نَخْشَب حتى وقفوا وراء سُورها ليلاً، ثم عَبَروا من ممر الماء إلى داخل المدينة ومضوا إلى بيت الأمير وقد خَرَج إلى بستانه، فأخذوا ما وجدوا من السِّلاح والخَيْل وقتلوا من في البيت، فوقعَ الصوت حتى بلغ الأمير الخبرَ، فركب يريدهم، فبادروه وهَجَمُوا هجمةً قويةً وصَدَموا بابَ المدينة صَدْمةً واحدةً وخرجوا منها سالمين، فعاثوا فيما هنالك وقد كثروا حتى بلغوا نحو الثلاث مئة رجل، فخرج إليهم عَسْكر المدينة فكَسَرُوه، ثم تَغلَّبوا على حِصْن وجعلوه مَعْقلاً لهم يمتنعون به، فبَعث تيمور إلى ولاة بلخشان وكانا أخوين قد مَلَكا بعد موت أبيهما يدعوهما إلى طاعته، فأجاباه وكانت المُغْل قد نَهَضت من جهة المَشْرق على السُّلطان حُسين وكبيرهم يومئذ الخان قمر الدِّين، فسار إليهم وعَبَر جَيْحون وقاتلهم، فكسروه، فبَعث تيمور يدعوهم إليه، فأجابوه ودَخَلوا في طاعته ورَجَعوا إلى بلادهم، فقويت بهم شَوْكة تَيمور، وخافه السُّلطان حُسين، وتَوجَّه لقتاله في عَسْكر عظيم حتى وَصَل قاغلفا وهو موضع ضيقٌ يَسيرُ الراكب فيه ساعةً وفي وسطه باب إذا أُغلق وأُحمي لا يُقدر عليه، وحوله جبالٌ عالية، فَمَلك العسكر فَمَ هذا الدَّرْبَند من جهة سَمَرْقَند، ووقف تَيمور بمن معه على الطَّرَف الآخر وفي ظَنِّهم أنَّهم قد حَصَرُوه وضَيَّقوا عليه، فتركهم ومضى ليلاً من طريق مجهولة، فسار ليلة في أوعار مُشقةٍ حتى أدركهم في السَّحر، وقد شَرَعوا في تَحْميل أثقالهم على أنَّ تيمور قد انهزم خوفًا منهم، فأخذ يَكيدُهم بأنْ نَزَل هو ومن معه عن خيولهم وتركوها تَرْعى في تلك المُروج وناموا كأنَّهم من جُملة العَسْكر، فمَرَّت بهم العساكر وهم يظنون أنَّهم منهم قد قَصَدوا الراحة، فلما تكامل مُرور العَسْكر ركب تَيمور بمن معه أقفيتهم، وهم يصيحون وأيديهم تَدقُّ بالسيوف دقًا، فاختبطَ النَّاسُ وهم مُجدون في قتلهم حتى أكثروا من القَتْل، فانهزم السُّلطان لا يَلْوي على شيء ومضى إلى جهة بَلْخ، فأحاطَ تيمور بما كان معه وضَبَط الأثقال وجَمَع الأموال، ولَمَّ من بَقي من

الناس، فَعَظُم جَمْعُه وكَثُرت أمواله، واستولى عند ذلك على ممالك ما وراء النَّهر ورَتَّب جنوده ومَلَك الحُصون وكتب إلى شير عليّ نائب السُّلطان حُسين بسَمَرْقَند يستميله، فمال إليه على أن تكون المَمْلَكَة بينهما نصفين، فاقتسما تلك الأعمال، ثم قَدم عليه شير عليّ، فأكرمه وأمضى له ما وافقه عليه، وسار يريد بلخشان، فتلقاه ملكاها بالهَدَايا والتَّقَادم، وأمدَّاه بعَسْكر ومضيا معه إلى بَلْخ، فنَزَل عليها وحَصَرها وبها السُّلطان حُسين إلى أن ضَعُف حاله وسَلَّم نفسَهُ، فقبَض عليه ورَدَّ صاحبي بلخشان إليها مُكرمين وعاد إلى سَمَرْقَند ومعه السُّلطان حُسين، فنَزَلها واتخذها دار مُلكه، وأخذ في تَمْهيد قواعد دولته. وقَتَل السُّلطان حُسين في شعبان سنة إحدى وسبعين، وأقام عوضه من ذُرية جنكزخان رجلاً يقال له: سيُورغاتمش، وعَملهُ السُّلطان، ولم يجعل له شيئًا من الأمر، وجَعَل عليّ شير نائب سَمَرْقَند وصار يستشيره ويأخذُ برأيه.

وكان الخان تُوقتاميش سُلطان الدَّشت والتَّبار لما بلغه ما جَرَى على السُّلطان حُسين غَضِب له وجمع عَسَاكره وخَرَج يريد قتال تَيمور، ومضى من جهة سغناق وأُترار، فجمع له تَيمور وسار من سَمَرْقَند، فالتقيا بأطراف تُركستان قَريبًا من نَهر خُجَنْد وهو نَهرُ سَيْحون، فاشتدت الحَرْب بينهما وكَثُرت القَتْلى من عَسْكر تَيمور حتى كادت تَفْنَى، وعَزَم على الهزيمة، وإذا هو بالسيد بَرَكة قد أقبلَ إليه على فَرَس، فقال له تَيمور وقد جهده البلاء: يا سيدي السَّيِّد جَيْشي انكسر، فقال له: لا تخف، ثم نَزَل عن فَرَسه وتناول كَفًا من الحَصَى، ثم ركب فَرَسه ورَمَى في وجوه جماعة التُّوقتاميش وصرخ قائلاً: ياغَى قَاجْدي، فصرخ بها أيضًا تَيمور فامتلأت بصرختيهما آذان التَّمرية، فأتوه بأجْمَعهم بعدما كانوا ولَّوا عنه هاربين، فكرَّ بهم تَيمور كرَّةً واحدة وما منهم أحد إلا وهو يصرخ ويقول: ياغَى قَاجْدي، ويَضْرب مع ذلك بسيفه فيمن أمامَهُ، فانهزمَ عَسْكر تُوقتاميش وهم في أقفيتهم يقعون فيهم بسيوفهم حتى مَرُّوا

هاربين وتَرَكوا جميعَ ما معهم، فغَنِم تَيمور ومن معه من الأموال والمواشي ما (لا)[1] يكاد يُوصف كثرةً وأسروا خلائق، وعاد إلى سَمَرْقَند وقد استولى على تُركستان وبلاد نهر خُجَنْد.

ثم وقع بينه وبين عليّ شير وصار كلٍ منهما في طائفة، فاغتالَهُ تَيمور وقَبَض عليه وقتله، فقويت شَوْكته وعَظُم عَسْكره، وكان في مدينة سَمَرْقَند جماعات من الزُّعَّار[2] ما بين مصارعين ومثاقفين وملاكمين ومعالجين، وهم فرقتان متعاديتان لا يزالان يقتتلان من قديم الزَّمان، ولكل فرقـة رئيس يرجع أمرها إليه، فكان تَيمور يخافهم لما كان يَظْهُر من عنادهم وخلافهم، فإنَّه كان إذا خَرَج عن مدينة سَمَرْقَند وجعل عليها نائبًا ثاروا عليه وخلعوه أو خرجوا مع النَّائب وأظهروا المُخالفة، فما يرجع تَيمور إلا وقد انفرطَ نظام دولته واحتاج إلى تَمْهيدٍ جديد وإلى أن يقتل جماعة ويعزل جماعة. فلما تكرر هذا من عِنادهم ضاقَ بهم ذرعًا وأخذ في التَّدْبير والاحتيال عليهم، فشَرَع في بناء سور وجمع النَّاس بأسرهم للعمل فيه بحيث لم يترك صغيرًا ولا كبيرًا حتى استعمله فيه وجَعَل النَّاس طوائف عديـدةً وأقام على كلِّ طائفة منهم كبيرًا يرجع أمرهم إليه وميز هؤلاء الزُّعَّار وجعلَهُم علـى حدة، ورتب من ثقاته جماعة وأوصاهم بأنَّ من بعث به إليهم من الزُّعَّار قتلُوه وصار يَسْتدعي بالواحد من أعيانهم ويناوله بيـده الكأس ويَخْلَع عليه من أفخر ملابسه، ثم يأمره بأن يسير إلى تلك الجهة التي قد عَيَّنها لهم، فعندما يصل إلى جهته المعنية له قَبَض عليه أولئك المُعَدُّون بها وقَتَلوه حتى أتى على جميعهم، فانقطعت آثارهم من سَمَرْقَند ولم يبق له في ما وراء النَّهر منازع.

وصار بيده ممالك سَمَرْقَند وهي ما بين نهري بلخشان وخُجَنْد

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) جمع أزعر، وهم الشطار والعيارون.

وسَمَرْقَند وولاياتها سبعة تومانات، ومملكة آنركان وهي تسعة تومانات، والتومانات عبارة عما تُخرج عشرة آلاف مُقاتل.

ومُدن ما وراء النَّهر المشهورة سَمَرْقَند وسُورها القديم اثنا عشر فرسخًا. وبَنَى تَيمور من غَرْبها قصبةً سماها: دمشق، مسافتها عن سَمَرْقَند نصف يوم، ومرغينان وخُجَنْد وهي على ساحل سَيْحون، وتِرْمذ وهي على ساحل جَيْحون، وتخشت، وكش، وبُخارى، وأندكان. ومن الولايات بلخشان وممالك خُوارزم وإقليم صغانيان.

فلما صَفَت له ممالك ما وراء النَّهر شَرَعَ في أخذ البلاد بالحِيَل[1]، فأول ما بدأ به أن صاهرَ المُغْل، فتزوَّجَ بابنة ملكهم قمر الدِّين وقَصَد بذلك أن يأمن شرَّهم، فإنَّهم جيرانه من جهة الشَّرق، ثم عَزَم على المَسِير إلى ممالك خوارزم، فإنَّهم جيرانه غَرْبًا، وتَخْتُ مُلكها مدينة جُرْجان، وبهذه المملكة مدنٌ عظيمة وسُلطانها يقال له: حُسين صُوفي، وتوجه إليها ونَزَل على أطرافها ونهَبَها، وقد غاب عنها السُّلطان حُسين. ثم عاد إلى مملكته وسار إليها مرةً ثانية في جَمْع كبيرٍ وحاصرها وقد غاب عنها أيضًا السُّلطان حُسين، فخرَجَ إليه من أهلها تاجرٌ يقال له: حسن سوريج، فصالَحهُ على مالٍ بَلَغ حِمْل خمسين بَغْلاً دراهم، ثم رَحَل عنهم.

وأقامَ بمملكته وكتب إلى غياث الدِّين سُلطان هَراة، وهو الذي شَفَع فيه عند أبيه السُّلطان حُسين، وأمره أن يَدخُل في طاعته، وأن يحملَ إليه المال وهَدَّدَهُ فأجابه بأنَّك كنت خادمي وفي نِعْمتي وأنا الذي خَلَّصْتك من القَتْل وفَعَلْتُ معك كذا وكذا، وعَدَّدَ أياديه التي فَعَلها له. فلما وَقَف تيمور على جوابه سار إليه في تعبئة كبيرةٍ وعَبَر جَيْحون، فلم يكن لغياث الدِّين[2]، فجمع أهل النواحي بمواشيهم حول هَرَاة وخَنْدَق

(١) في الأصل: «الخيل»، مصحف.
(٢) كذا في الأصل، ولعل بعده كلامًا سقط من الناسخ.

على البَسَاتين من ورائهم وفيها عامة النَّاس وامتنع هو والخاصة في القَلْعة، فأحاطت عساكر تَيمور بدائر الخَنْدق وضايقوا المدينة حتى اشتدَّ الأمر بالنَّاس وجَهَدهم البَلاَءُ واختلطت بهم مواشيهم، وغَصَّ البَلَدُ بالزِّحام وماتت المواشي جُوعًا وكَثُر الاضطراب والصُّراخ من الجُوع، فطلب غياث الدِّين الأمان، فحَلَف تَيمور، ونَـزَل إليه فدخل تَيمور المدينة واحتوى على القَلْعة بما فيها. وكان قد توجه لزيارة الشيخ زَيْن الدِّين أبي بكر الخوافي بقصبة خواف، وكان عالمًا عاملاً له كَرَامات مشهورة، فلما دَخَل عليه قَبَّل رجليه، فوضع الشيخ يديه على ظَهْره، ثم جَلَس تَيمور بين يديه وقال له: يا سيدي لم لا تأمرون ملوككم بالعَدْل وتنهونهم عن الجُور، فقال: أمرناهم، فلـم يأتمروا، فسلطناك عليهم. ثم خَرَج وجَدَّ حتى قبضَ على غياث الدِّين ملك هَرَاة واستولى على أعمالها ورَجَع إلى سَمَرْقَند ومعه غياث الدِّين، فسجنه حتى مات جُوعًا وعطشًا.

ثم عاد إلى خُراسان ونَزَل على مدينة سِجِسْتان، فخرج إليه أهلُها وصالَحُوه على أن يدفعوا إليه ما عندهم من السِّلاحِ، فلما أخرجوه إليه حَلَّفهم أنَّه لم يبق عندهم من السِّلاح شيءٌ، ثم وَضَع فيهم السَّيف حتى أفناهم وخَرَّب المدينة، وقَطَع أشجارها حتى لم يَبْق بها داع، ولا ترك فيها عمارة ولا شَجَرة، ثم رَحَل إلى مدينة سيزوار وحاكمها يومئذ حسن الجوري وهو رافضي، فخرج إليه بتقادم جليلة، فأقَرَّه على عمله واستدعى من سيزوار بالسيد الشَّريف محمد السَّرْبَدال يعني الشَّاطر كبيرُ الطائفة السَّرْبَدالية، وكان شَاطرًا، فلما رآه تَيمور قامَ إليه وعانَقَهُ وبالغ في إكرامه واستشاره في كيفية أخذه ممالك خُراسان، فأشار عليه باستمالة خواجا عليّ ابن المؤيد الطُّوسي. وكان خواجا هذا رجلاً شَهْمًا جوادًا وهو رافضي إمامي يكتبُ أسماء الأئمة الاثني عشر على سِكَّةِ دَرَاهمه ودنانيره ويذكرهم بأسمائهم في خُطبته. ثم انصرف السيد محمد

السَّرْبَدال عن تَيمور وبعث من فوره إلى خواجا عليّ ابن المُؤيد يَحثُّه على طاعة تَيمور ويُرغِّبه فيها فعبأ في الحال الخَدَم والتَّقادم وضَرَب السِّكَّة وخطب باسم تَيمور على منابره في أعماله وقامَ مُنْتظرًا ما يَرد عليه من قِبَله، وإذا بكتاب تَيمور قد وردَ عليه وهو يتلطف به ويستدعيه، فنهض سريعًا بتقادمه ودَنَانيره ودراهمه المَضْروبة باسم تَيمور، وتوجه إليه، فبَعث تَيمور أمراءَهُ وخواصه حتى لقوه وأتوا في خدمته، فسرَّ تَيمور بقدومه وقبلَ هديتَهُ وخلَع عليه وبالغ في تعظيمه ورَدَّه إلى ولايته، فلم يَبْق عند ذلك بخُراسان أمير مدينة ولا نائب قَلْعة ولا مَن يُشار إليه إلا وأقبلَ إلى تَيمور، فمنهم أمير محمد حاكم باورد، ومنهم حاكم سَرْخَس، فانتشرت عند ذلك سُمْعة تَيمور في الآفاق، وقويت مهابته وعَظُم قَدْرُه وبَلَغت دعوته مازَنْدران وكيلان وبلاد الرَّي والعراق، وخافَهُ القريبُ والبعيدُ، وذلك كلُّه بعد قتل السُّلطان حُسين بنحو سنتين إلى آخر سنة عَذَاب[1] وهي سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة.

فلما صَفَت له ممالك خُراسان مع ممالك ما وراء النَّهر توجه إلى بلاد العراق وكَتَبَ إلى شاه شُجاع بن محمد بن مُظفر اليَزْدي صاحب شِيراز وعِراق العَجَم يدعوه إلى طاعته وأنَّه يحمل إليه المال ومن جملة كتابه: إنَّ الله تعالى سَلَّطني على ظَلَمة الحُكَّام وعلى الجائرين من مُلوك الأنام، ورَفَعني على من ناوأني، ونَصَرني على من خالفني ومن عاداني، وقد رأيتَ وسَمِعتَ، فإن أجبتَ وأطعتَ فبها ونعمت، وإلا فاعلم أن في قَدَمي ثلاثة أشياء الخَراب والقَحْط والوَبَاء، وإثم ذلك كلِّه عائد عليك ومَنْسوب بأجمعه إليكَ، فلم يسع شاه شُجاع إلا مهادنته ومهاداته ومصاهرته، فزَوَّج ابنته بابن تَيمور، فلم يتم ذلك وحَدَثت بينهما شرورٌ بواسطة الواسطة بينهما، ومع ذلك فما زالت المُجاملة بينهما مدة حياة

(١) مجموع حروف كلمة عذاب بحساب الجمل ٧٠ + ٧٠٠ + ١ + ٢ = ٧٧٣.

شاه شُجاع، فلما أدركه الموتُ قَسَّم مملكته بين أولاده وأقاربه، فأعطى ابنه زين العابدين شيراز كرسي المملكة وأعطى أخاه أحمد كرمان وأعطى ابن أخيه شاه يحيى يَزْد وابن أخيه شاه منصور أصبهان، وأسندَ وصيتَه إلى تَيمور، فلم يكن بعد موته غير قليل حتى اختلفوا فسار شاه منصور من أصبهان وقَبَض على زَيْن العابدين وملك شِيراز وسَمَلَ عيني زَيْن العابدين، فغضب تَيمور لذلك، ثم إنَّه سار إلى خُوارزم مرةً ثالثة، فمر من خُراسان على طريـق إستراباد وكان أيضًا سُلطان خُوارزم حُسين صوفي غائبًا عنها، فصالحه حسن سوريج حتى رَحَل عنه، فلما عاد السُّلطان حُسين صُوفي إلـى خُوارزم قَتَل حسن سوريج وولده وألقاهما إلى أسد فأكلهما، وخَرَّب ديارَهُما واحتوى على أموالهما وذلك أنَّه بَلَغه عن ابن حسن أنَّه في غيبته فَجَر بحَظِيَّته، فلم تَطُل أيامه بعد ذلك ومات، فقام من بعده ابنه يوسف صوفي وكان تيمور قد زوج ابنه جِهان كير بابنة حسن صوفي، فولدت له محمد سُلطان الذي مات بآقشهر من بلاد الرُّوم.

ثم إنَّ يوسف صوفي ماتَ عن قليل، فسار تَيمور إلى خُوارزم وأخذها وقَتَل مَلِكها وخَرَّبها، ونقل أكثر ما فيها إلى سَمَرْقند، وذلك في سنة ثلاث وسبعين. ثم كَتَبَ تَيمور إلى شاه وَلي صاحب مازَنْدران وأُمراءِ تلك النَّواحي مثل إسكندر الجَلاَّبي وأرْشِيوَنْد وإبراهيم القُميِّ يستدعيهم للقُدوم إليه بتقادمهم، فاعتذر إليه كل من إبراهيم وأرْشِيوَنْد وإسكندر. أما شاه ولي فإنَّه أساء الرَّدَّ وكتب إلى شاه شُجاع بن محمد بن مُظفر اليَزْدي صاحب عِراق العَجَم وكِرمان وإلى السُّلطان أحمد بن أُويس صاحب بغداد وتَوْريز يحثهما على محاربة تَيمور، فلم يلتفت شاه شُجاع إلى قوله وهادنَ تَيمور كما تقدم، وأما ابن أويس فأجاب بأنَّه وحده يقاوم تَيمور، فاستعدَّ شاه وَلي للقاء تَيمور وبَرَز إليه، فانهزم بعد وقعة كبيرةٍ ومضى إلى الرَّي فقتَلَهُ متوليها جوكار وبعثَ برأسه إلى تَيمور.

وكان ببعض أعمال مازَنْدران رجل يقال له: أبو بكر الشَّاسْبَاني من قرية يقال لها: شاسْبَان له قوة وشجاعة وله في التَّبار عدة وقائع، أفنى فيها منهم كثيرًا من أبطالهم وبُلي منه تَيمور ببلاء عظيم وابتُلي أيضًا بسيدي عليّ الكُردي وبأمَّث التُّركماني. فأما أبو بكر فإنه لقي عَسْكر تَيمور في بعض مَضَايق مازَنْدران، فأحاط به الجقطاي من كُلِّ مكان وسدُّوا عليه المَخْلَص حتى التجأ إلى جُرْفٍ يقابله جُرف وبينهما مَهوًى عميق جدًا سعته ثمانية أذرع، فنَزَل عن فرسه ووَثَب من إحدى الجُرْفين الذي هو واقف عليه إلى الجُرف الآخر وعليه سلاحه ومَضَى سالمًا حتى لحق بجماعته وكَرَّ على الجقطاي، فكادَ من كَثْرة وقائعه بهم أن يَفْنيهم. وأما سيدي عليّ فإنَّه أحد أمراء الأكراد وله عشيرة وهو ممتنع بجبال شامخه مَنِيعة، فكان يشن بجماعته الغارات على عسكر تَيمور، ويأخذ ما يقدر عليه منهم ويرجع إلى موضعه، وما زال على ذلك حتى مات سالمًا من التَّمرية. وأما أَمَّث التُّركماني، فإنه من تُركمان قَرَاباغ، ولا يزال هو وأبناؤه يحاربون أميران شاه وعساكر تَيمور حتى أبادوا منهم طوائف كثيرة جدًا إلى أن دَلَّ بعض جماعته أميران شاه على عورةٍ له، فبَيَّته وقَتَله وابنيه.

وكان عراق العَجَم قد استقرَّ بعد شاه شُجاع واختلاف أهله من بعده بيد شاه منصور، فلما خَلصت ولاية مازَنْدران لتيمور سارَ لمحاربته وأظهر أنَّه قد غَضِب لزَيْن العابدين بن شاه شُجاع من أجل أنَّ شاه منصور أخذ منه شيراز، فبرز إليه شاه منصور في ألفي فارس بعدما حَصَّن شِيراز، ففرَّ منه أمير يقال له: محمد بن زَيْن الدِّين إلى تَيمور بأكثر العَسْكر حتى بقي في أقل من الألف، فقاتل بهم يومه إلى الليل، ثم مَضى كُلٌّ من الفريقين إلى معسكره، فبَيَّت شاه منصور التّمرية، فيقال: إنَّه قتل منهم في تلك الليلة أكثر من عشرة آلاف، ثم انتخب من فُرْسانه خمس مئة فارس، وقاتل بهم من الغد وقصد تَيمور، ففرَّ منه واختفى بين النِّساء، فأحاطت به التَّمرية، وهو يُقاتلهم حتى كَلَّت يداه وقُتلت أبطاله فانفرد عن

أصحابه وألقى بنفسه بين القتلى فظَفَرَ به بعضهم وقَتَلَهُ وأتى تَيمور برأسه، فقَتَل قاتلَهُ وجميع من يلوذ به. وكتب إلى ممالكه يُعلمهم بوقائع شاه منصور وقَتْله، فقُرئت في المجامع والمحافل.

واستولى تَيمور على ممالك فارس وعِراق العَجَم وكتب يستدعي أقارب شاه شجاع ومُلوك تلك الأقطار، فوصل إليه سُلطان أحمد من كِرمان وشاه يحيى من يَزْد وعَصَى عليه سُلطان أبو إسحاق في سيرجان، فأكرمَ من أتاه وطَرح على شِيراز وأعمالها مال الأمان ثم مضى إلى أصبهان وأحسنَ إلى زَيْن العابدين بن شاه شُجاع ورَتَّب له ما يكفيه. فلما نَزَل على أصبهان خَرَج إليه أعيانُها وصالَحُوه على مالٍ عَظيمٍ حُمِلَ إليه بعد شَدَائد نزلت بالنَّاس لا تُوصف من إهانتهم وعُقوبَتهم والفُجور بِنسائهم وأولادهم. ثم إنَّهم لشدة ما حلَّ بهم اتفقوا على الإيقاع بالموكَّلين بهم وقَتَلُوا منهم نحو الستة آلاف وعصوا في المدينة، فأمر تَيمور بسَفْك الدِّماء وسَبْي النِّساء ونَهْب الأموال، فَجَرى من ذلك ما لا يمكن وصفه لشناعته، وخَرَّب المدينةَ وحَرَّق غُرُوسها، ولم يَدَع بالمدينة داعيًا ولا مُجيبًا، فيقال: إنَّ عدة القَتْلى ست مئة ألف إنسان، فاستغاثَ بعضُهم، والنَّاس تُقْتل برجل من أمراء تَيمور وطُلبَ منه أن يشفعَ فيمن بَقيَ، فأمَرَهُ أن يَجْمَعَ الأطفال الذين طُرِحُوا ويجعلهم على طريق تَيمور لعله يرق لهم ويَرحمهم، فجمعوا آلافًا في موضع واحدٍ، فلما مَرَّ بهم تَيمور وقد ركب في قَتْل من بَقي، ووقف عليهم وتأمَّلَهُم ثم سار عنهم ولم يرق لهم ومالَ بمن معه على من بقيَ (من)[1] النَّاس حتى أفنوهم. ثم جَمَعَ الأموال ورجع إلى سَمَرْقَند. وبعث في أثناء ذلك عِدَّةَ سَرَايا، فقتلت وأسَرَت ونَهَبَت وخَرَّبَت، فلما نزلَ سمرقند بعثَ ابن ابنه محمد سُلطان بن جهان كير مع كَبير دولته الأمير سيف الدين إلى أقاصي مملكته بأطراف المُغْل، وهم وراء سَيْحون في الشرق آخذًا في نحو ممالك

(١) ما بين الحاصرتين إضافة لابد منها، كأنها سقطت من الناسخ.

الموغول[1] والجتا والخَطَا نحوًا من مَسِيرةِ شَهْرٍ عن ممالك ما وراء النهر، فَمَهَّدُوا ما هناك وبنوا عدةَ قلاع حتى بلغوا أقصاها، وهي بلد تُدْعَى إسْبَاره، فبنوا فيه حِصْنًا منيعًا وأُزيحت من تلك الديار طوائف المُوغول والخَطَا، وخُطبَ لتيمور ابنه بعض عُظماء ملوكهم بسفارة أمير يُدْعى الله داذْ وهو أخو سيف الدين المَذْكُور، وهو الذي استُوليَ استخلاصَ الأموال من أهل دمشق، كما يأتي ذِكْره إن شاء اللهُ تعالى، ثم أمر تَيمور ببناء مدينة على طَرَف سَيْحون من ذلك الجانب وعَقَدَ إليها جَسْرًا على النَّهْر بالمراكب سَمَّاها شاه رخية.

ثم لما تَمَهَّدَت له البلاد وتوطدت ممالك تُركستان إلى بلاد خُراسان، جاءه الملوك والأُمراء والأعيان من كلِّ جانب وسَلَّمُوه ما بأيديهم ومن جملتهم إسكندر الجَلاَّبي من ملوك مازَنْدران، وأرشيونْد الفارس كُوهي صاحب الجبَال، وإبراهيم القُمِّي، وأطاعَهُ السُّلْطان أبو إسحاق من سِيْرجان[2]، فاجتمعَ عنده من مُلُوك عراق العَجَم سبعة عَشَر مَلَكًا ما بين سلطان وابن سُلطان وابن أخي سُلطان، مثل سُلطان أحمد أخي شاه شُجاع وشاه يحيى ابن أخي شاه شُجاع سِوَى ملوك مازَنْدران وسوى أرشيوند وإبراهيم من ملوك خراسان، فاجتمعوا يومًا عنده في خَيْمةٍ، وقد تآمروا على قَتْله، فتفرَّسَ ذلك فيهم ففضَّ الجمع وأقام عَدَّة أيام، ثم جلسَ جُلُوسًا عامًا وقد لبس ثيابًا حُمرًا واستدعى بهؤلاء المُلوك السَّبعة عشر، فأتوه بأجمعهم، فلما تكاملوا عنده أمَرَ بهم، فقُتِلُوا عن آخرهم في ساعةٍ واحدةٍ، واستولَى على بلادهم وأموالهم، وقَتَلَ جميعَ أولادهم وأحفادهم وأجنادهم بحيث إنه كان إذا سَمِعَ بأحدٍ له بهم نَسَب أو سَبَب قَتَلَهُ ورأى أنه إذا مَحَى آثار هؤلاء تصفو له الممالك، فكان كذلك لأنَّ بلاد العَجَم كثيرة المُلُوك والأُمراء والأكابر، وبها مَدَائن

---

(١) هكذا رسمها في الأصل.

(٢) بلدة بين كرمان وفارس، وهي قصبة كرمان، كما في معجم البلدان.

وحُصون عديدة، وهي بلادٌ مُتَّسعةٌ جدًا، وفيها من الأبطال والشُّجْعان أممٌ لا تُحْصى.

وجَلَسَ للشراب مَرَّةً ومعه إسكندر الجَلاَّبي في آخرين، فقال له: تَرَى إذا أنا متُّ من تراه يتعرض لأولادي؟ فقال له وقد غلب عليه السُّكْر: والله أنا أول من ينازع أولادك المَشَائم، وكذلك أرشيوند وإبراهيم، فإن خَلص مني أحدٌ، فإنه لا يَخْلص من مَخَاليب أرشيوند وإبراهيم، وكانا غائبين، فلما صَحَا إسكندر لامَهُ أصحابُه على ما كان منه في سُكْره من الكَلاَم المذْكور، فقال: لا مَفَرَّ من القضاء، وتَرَبَّصَ به تَيمور يريد أن يقع أرشيوند وإبراهيم في قَبْضَتِهِ، ففرَّ منه إسكندر وإبراهيم، فأما إسكندر، فلم يُعْرَف له خَبَر وأما إبراهيم القُمِّي، فمات على فراشه. وقَبَضَ تَيمور على أرشيوند. ويقال: إن كلام إسكندر في سُكْره كان سببًا لقَتْل المُلوك المذكورين وأولادهم.

ثم لما صَفَت لتَيمور ممالك العَجَم بأسرها ودانت له المُلُوك وانتهت مراسيمه إلى حُدود عراق العَرَب جَهَّزَ عساكِرَهُ إلى سُلطانية، فبعث أحمد بن أُويس بالأمير سَنْتاي على عَسْكرٍ، فالتقيا على سُلطانية واقتتلا، فانهزمَ سنتاي ورجع تَيمور إلى بلاده. ثم سار من سمرقند إلى أعمالها وبنى حواليها قَصبات عديدة سَمَّاها بأسماء المدن الكبار كدمشق ومِصْرَ ونحو ذلك. هذا وقد صفت له سمرقند وولاياتها فيما وراء النَّهر وتُركستان وبلادها، وجعل نائبَهُ عليها الأمير خُداي داد[1]، وصَفَت له خُوارزم وكاشْغَر وهي في مَخْر ممالك الخَطَا، وصَفَت له بلخشان، وأقاليم خُراسان وغالب ممالك مازَنْدران ورُسْتُمدار، وزاولستان، والرَّي، وغَزنِي[2]، وإستراباذ، وسُلطانية، وبلاد الغُور، وعِرَاق العَجَم،

---

(١) يلاحظ أن «الله داد» بمعنى «خداي داد»، لكن سيأتي في أثناء الترجمة أن «الله داد» و«خداي داد» أخوان، وهما من أمرائه الكبار.

(٢) هكذا كتبها وهي غزنة التي ينسب إليها الغزنويون، في أفغانستان.

وفارس، ولم يَبْقَ له بشيءٍ من هذه الممالك مع سعتها منازع، بل في كُلِّ مملكةٍ منها وَلَدُه أو وَلَدُ ولدِهِ، أو نائبٌ من ثِقَاته، فاتسعت مملكتُه، وقَويَت مهابتُه واشتدت الأراجيف به في أقطار الأرض، وخافَهُ البعيدُ عنه وهو مَشْغُول في إنشاء البَسَاتين وعِمَارة القُصُور بسمرقند، وقد آمنت منه تلك البلاد واطمأنت الثُّغور.

ثم جمعَ عساكره بسمرقند وأمرَ بعَمَلِ قلانس اخترعها وألبسهم إياها وسارَ بهم ولا يَعْلم أحدٌ أينَ يريد في مَسِيرِهِ، وكان قد أعدَّ في كل مملكة دِشارًا[1] فلما رحلَ عن سَمَرْقند أشاعَ أنه يريد خُجَنْد وبلاد التُّرك، ثم إنه اختفى، فلم يُعْلَم له خَبَرٌ وصار يُجَرِّب البلادَ بَلَدًا بعد بلد في أسرع زَمَنٍ من شِدَّة سَوْقه. وكُلَّما وقفَ تحتَهُ أو تحت من مَعَهُ فرسٌ تَرَكَهُ حتى ظهرَ في بلادِ اللُّور بَغْتَةً على حين غَفْلَةٍ من أهلها، فأحاطَ بقلعتها، ويقال لها: بَرُوجَرْد[2] ويُدْعَى حاكمها الملك عز الدين العَبَّاسي وحَصَرها حتى طَلَب عز الدين الأمان فآمَنَهُ ونزل إليه، فقبضَ عليه وبعثَ به إلى سمرقند واستولى على بلاد اللُّور، وهي بلاد عامرةٌ كثيرةُ الفواكه وتُجاور هَمَذان. ثم سار حتى طَرَقَ هَمَذان بَغْتَةً، فخرجَ إليه أهلُها وصالحوه على مال جَمَعُوه له، وأقامَ حتى أتاه عسكرهُ. وأمَّا عزُّ الدين ملك اللُّور، فإنَّه أقام مدة في سَمَرقند، ثم خلفه تَيمور وردَّهُ إلى بلاده وألزَمَهُ بمالٍ يحمله إليه.

ولما أخذَ تَيمور بلاد اللُّور، وأقامَ على هَمَذان بعث أحمد بن أويس أموالَهُ وأهلَهُ مع ولده طاهر إلى قَلْعة النَّجَا، فسارَ تَيمور إلى تِبْريز ونَهَبها وبعثَ عَسْكرًا إلى قلعة النَّجَا ومَضَى هو إلى بَغْداد، فطرقها بَغْتَةً ليلة الحادي والعشرين من شَوَّال سنة خمس وتسعين وسبع مئة، وأخذَ

---

(١) الدشار: مجموعة بيوت (معجم دوزي ٤/٣٥٧).

(٢) هكذا هي مقيدة في الأصل تقييد القلم بفتح الجيم، والمحفوظ في كتب البلدان، ومنها «معجم البلدان» و«مراصد الاطلاع» كسر الجيم.

أموالَ أهلها، وسارَ يريد ديار بَكر وأرْزَنْجان، فملك ديار بكر.

وعصَت عليه قَلْعة تكريت، فنزل عليها وَحَصَرَها من يوم الثلاثاء رابع عشر ذي الحِجَّة حتى أخذها، في صَفَر سنة ست وتسعين وسبع مئة بالأمان، ونزلَ إليه متوليها حسن بن يول تمور، وقد تَدرَّع بكَفَنِه وحملَ أطفالَ أولاده بعد ما حَلَف له تَيمور ألا يُريق دَمَهُ، فقبضَ عليه وبعث به إلى حائط، ثم أُلقيت عليه فهلكَ، وقتَل من كان في تكريت وقَلْعتها من الرِّجال وسَبَى النِّساءَ والأولادَ، وعاثَت عساكرُهُ فيما هناك تَقْتل وتأسر وتَسْبي وتَنْهب وتُخَرِّب.

ثم سارَ إلى المَوْصل ونَزَلَ عليها يوم الجُمُعة حادي عشري صَفَر سنة ست وتسعين، فنهبها وخَرَّبها. ومضى إلى رأس عَيْن فنهبها وأسر أهلَها. وسار إلى الرُّها، فنزل عليها يوم الأحد مستهل شهر ربيع الأول حتى أخذَها في ثاني عشرينه بعدما أتلفَ ظواهرها. وانتشرت عساكرُهُ في ديار بَكْر فما عَفُّوا ولا كَفُّوا.

ونَزَلَ على ماردين، فنزل إليه السُّلطان الملك الظاهر مجد الدين عيسى، وقد جَمَعَ أهلَهُ وأموالَهُ وأعيانَ دولته بالقَلْعة واستخلفَ ابنَ عَمِّه وزوج ابنته المَلِك الصَّالح شهاب الدين أحمد بن إسكندر وأكد عليه وعلى من معه ألا يُسَلِّموا القَلْعة لتَيمور ولو قُتِلوا دونها. فلما مَثُل بين يدي تَيمور في آخر ربيع الأول ألزمَهُ بتسليم القَلْعة له، فاعتذرَ بأنها في يد غيره، فلم يَقْبل عُذْرَهُ وقبضَ عليه وقاتلَ أهل القَلْعة حتى أعياه أمرُهُم، فَخَرَّب ظواهر المَدِينة وما بينها وبين نَصِيبين إلى المَوْصل. ثم سارَ عنها وطرقها سَحَرًا يوم الثلاثاء ثاني عشر جُمادى الآخرة وأخذَ المدينةَ عَنْوةً ووضع السَّيْف فيمن بقي منها، وقد ارتفعَ النَّاسُ إلى القَلْعة، فأسرفَ في القَتْل والسَّبْي والنَّهْب حتى امتلأت المدينة بالقَتْلى وأهلُ القَلْعة يرمون بالسِّهام والنُّفُوط، ثم هَدَمَ سورَها بأجمعه.

ورحل يريدُ آمد، وقد قدم بين يديه سُلطان محمود، فحصرها

خمسة أيام حتى نزل عليها تَيمور فما زال بالبَوّاب حتى فتحَ له البابَ، فدخل المدينةَ ووضعَ السيفَ حتى أفنى جميعَ رجالها وسَبَى نساءَها وأولادها. وكان قد دخلَ منهم إلى الجامع نحو الألفينَ فقتلوهم عن آخرهم، وحَرَقُوا الجامع، ورحل، وقد صارت آمد خَرَابًا بَلْقعًا. فنزل على قَلْعة أونيك وحاصرها حتى أخذها، وقَتَل من فيها.

ثم رحل في سابع ذي القَعْدة عائدًا إلى بلاده ومعه الظَّاهر صاحب ماردين في أسوأ حال حتى نزلَ سُلطانية فسجنَهُ بها وضَيَّقَ عليه، وتوجَّه يريدُ دَشْت قَبْجاق. ثم عادَ إلى سُلطانية في شعبان سنة ثمان وتسعين، فأقام بها ثلاثةَ عشر يومًا. وسار إلى هَمَذان، واستدعى بالظَّاهر من السُّلطانية مُكَرَّمًا، فقَدِمَ عليه في سابع عشر رمضان، فخلعَ عليه وجَهَّزَهُ، وأنعمَ عليه وأعاده إلى ماردين.

ثم رجع وقد استولى على عِرَاقي العجم والعَرَب، وقَدِمَ عليه إبراهيم شيخ الدَّرْبَنْدي وسَلَّمَهُ ما بيده من الأقاليم، فقصدَ دَشْت قَبْجاق من طريق الدَّرْبَند حتى وصلَ إليه في عساكر لا تُعَدُّ فَلَقيه تُوقتاميش في جَمْع كبيرٍ، فخامَرَ عليه أحد رؤوس المَيْمَنة ومضى في جماعةٍ كبيرةٍ إلى بلادِ الرُّوم، فاختلَّ لذلك عسكر تُوقتاميش، لكنه ثبتَ وقاتَلَ بمن معه قتالاً شديدًا قُتلَ فيه خلائق. وانهزمَ لتفرق عساكره عنه، فاستولى تَيمور على قبائل الدَّشْت بأسْرها، وانتشرت عساكرُهُ تَعِيث وتُفْسد على عادتَها عَيْث الذِّئاب الضَّارية في الغَنَم التي لا رَاعي لها. وجمع تَيمور الغنائم فحمل هو ومن مَعَهُ من الأموال وأسروا وسَبَوا وساقوا من الدَّوابِّ ما لا يُقَدَّر قَدْره، ووصلت طَراشَتُه[1] إلى آزاق، وهَدَم مدينة سَرَاي ومدينة سَرَاي جُوق ومدينة حاجي ترخان وغيرها.

ثم رجع إلى سَمَرْقند، فلم تَطُل إقامتُهُ بها وخرجَ منها فقطعَ جَيْحون ومضى إلى خُراسان، ثم إلى أذَرْبيجان، فدخل في طاعته طَهَرْتن

---

(١) لعلها جمع طارش، وهي تستعمل في العامية العراقية بمعنى مبعوث.

حاكم أرْزَنجان. وقصدَ مدينة الرُّها، فخرجَ إليه بعضُ أعيانها وصالَحَهُ عن نهبها بمالٍ حَمَلهُ إليه، فكفَّ عنهم. وكَتَبَ إلى القاضي برهان الدين أحمد صاحب سِيواس وقَيْصرية وتوقات، يُرهبه سَطْوته ويأمره بإقامة الخُطْبة باسم محمود خان أُوسيُور غَاتَميش وباسمه هو، ويضرب سِكَّة الدَّنانير والدَّراهم باسمهما، وجَهَّزَ إليه رُسُلَهُ، فقبض عليهم القاضي برهان الدين وقَطَعَ رؤوسَ بعضهم وعَلَّقَها في أعناق الآخرين وشَهَرَهُم، ثم وَسَّطَهُم فغَضِبَ تَيمور ورجعَ عن بلاد الشَّام من الرُّها لنزول السُّلطان الملك الظاهر بَرْقوق صاحب مصر والشام والحجاز في عساكرِ عظيمة بَلَغت عدتها ست مئة ألف بمدينة حَلَب يريد لقاءه. فلما بلغَ الظاهر رجوع تَيمور من الرُّها بعث الأمير تَنم نائب الشَّام في أثره، فسار إلى أرْزَنجان، فعادَ ولم يَلْقه.

فمضى تَيمور عائدًا إلى بلاده، فبلغه موت فيروز شاه ملك الهند عن غير ولد، وأنَّ أمرَ النَّاس بمدينة دِلِه في اختلافٍ، فإنه قام بدِلِه وزيرٌ يقال له: مَلو، فخالف عليه أخوه سَارنْك خان متولي مدينة مُولتان، فاغتنمَ عند ذلك تَيمور الفُرْصة، وسارَ من سَمَرْقند في ذي الحجة سنة ثمان مئة إلى مُولتان وحَصَرَ سارنْك وكان في عَسْكرٍ كبيرٍ، ومعه ثمان مئة فيل، فأقامَ على مُضايقته وقِتالهِ ستةَ أشهر حتى مَلَكَ المُولتان، وجدَّ في السَّيْر منها يريد مدينة دِلِه وهي تحت الملك العظيم، فخرج إليه مَلُو وقَدَّم بين يدي عَسكره الفِيَلَة، وجعل على كل فيل منها بُرْجًا فيه عِدَّةٌ من المقاتلة وقد أُلبِسَت تلك الفيلة البَرْكستونات[1]، وعَلَّقَ عليها من الأجراس والقَلاقل ما يهول صَوْته، وشَدُّوا في خراطيمها عِدَّةً من السيوف المُرْهَفَة وسارت العساكر من وراء الفِيَلَة لتُنَفِّرَ هذه الفيلةُ خُيول تَيمور وتُجَفِّلها بشناعةِ مَنْظرها، وتَهْويلِ أصوات أجراسها، وشِدَّة صَرَخاتها المُزْعجة وقوة رَمْي المُقاتلة التي فَوق ظُهُورها وعِظَم نكايتها.

---

(١) هي جلال مزركشة (دوزي ١/٣٠٨).

فكادَهُم تَيمور بأن عَمِلَ آلافًا من شَوْكات الحديد مُثَلَّثة الأطراف، ونَثَرَها في مَجَالات الفِيَلَة وجعل على خَمس مئة بَعيرٍ أحمال القَصَب المَحْشُو بالفتائل المَغْمُوسة بالدُّهْن، وقَدَّمها أمامَ عَسكره. فلما ترائى الجَمْعان وزَحَفَ الفريقان للحَرْب أضرمَ في تلك الأحْمال النَّارَ وسَاقها على الفِيَلَة وفزعت تلك الأباعر من شِدَّة حرارة النَّار ونَخْس سَوَّاقِيها وحَمَزَت[1].

هذا وقد أكْمَنَ تَيمور كمينين وزحفَ بعساكره قليلاً قليلاً وقت السَّحَر. ثم رجع يُوهِمُ القَوْمَ أنه انهزمَ منهم ونكبَ عن طريق الفِيَلَة كأنَّ خيولَهُ قد جَفَلت منها، وقَصَدَ المواضع التي نَثَر فيها الشَّوْكات الحديد، فمشت حيلتُهُ على الهِيد[2]، وعَطَفُوا بالفيلة وهم يَسُوقونها أشَدَّ السَّوْق وراء عساكره حتى وقعت على ذلك الشَّوْك الحديد واستقبلتها تلك الجمَال، وقد اشتدَّ لَهَب ما على ظُهُورها من النِّيران وتَطَاير شَرَرُها في تلك الآفاق، وشنع رُغاؤها من شِدَّة نَخْسِها في أدبارها. وقد أحَسَّت الفِيَلة بخُشُونة ذلك الشوك، فاضطربت ونكَصَت على أعقابها تُحطِّم من وراءها من العساكر، فخرج عند ذلك الكمينان من جنبتي العَسْكر وخَطَمَ تَيمور بمن معه، فكان أمرًا مَهُولاً وصارت القَتْلَى كالجبال، وسالت أنهارٌ من دمائِهم حتى أتى القَتْل، ثم تراجعت الهُنُود وتَرَاموا، ثم إنهم تَصَافُّوا واجتلدُوا بالسيوف وتطاعنوا بالرِّماح زَمَانًا، ثم كانت الكَسْرة عليهم عندما قُتلَ أعيانُهم وأبطالُهم، فانهزم باقيهم وفَرَّ مَلُّو، فجمع تَيمور الفِيَلة وما قَدر عليه من الغَنَائم ونَزَل على مدينة دِلِه وحَصَرَها أشدَّ حَصْرٍ حتى أخذها من جرانِها واستولى على تَخْت المَلِك الأعظم واستصفَى على ذَخَائره وأمواله وجَرَت عَسَاكرُه على عادتها في القَتْل والأسْر والسَّبْي والنَّهْب والتَّخْريب.

وبينا هو في ذلك إذ بَلَغَهُ موت السُّلطان الملك الظاهر بَرْقوق

---

(١) حمزت: لذعت.

(٢) هكذا في الأصل، فكأنه يريد: الهنود.

صاحب مصر والشَّام والحِجَاز وموت القاضي برهان الدين صاحب سيواس وقَيْصرية وتُوقات، فرأى أنه بعد موتهما أن قد ظَفَر بممالك الرُّوم والشَّام ومِصْرَ وكاد أن يطيرَ فَرَحًا لخلوِ الجَوِّ له من مُعاندٍ ومُمانع، فَنَجَّزَ أمورهُ بسرعة واستناب بدِلِه من اختارَهُ وسار بأموالٍ يجلُّ وصْفُها حتى قَدِمَ سَمَرْقند، وخَرَجَ منها عَجلاً يطوي البلادَ طيًّا في أوائل سنة اثنتين وثمان مئة، فنزلَ خُراسان ومضى منها واستخلف ابنه أميران شاه على تِبْريز وأعمالها، فنزلَ على قَرَاباغ في سابع عشر شهر ربيع الأوَّل منها، فقَتَل وسَبَى، ورحلِ في يوم الخَمِيس ثاني جُمادى الآخرة، فأخذ مدينة تَفْليس وعَبَرَ بلاد الكُرْج، فأسرفَ وهو المُسْرفُ في القَتْل.

وقَصَدَ بغداد فَفَرَّ منها السُّلطان أحمد بن أويس في ثامن عَشَر شهر رَجَب إلى قَرَا يوسف، فتمهل تَيمور عن المَسِير إلى بغداد، فعادَ إليها أحمد ويوسف، ثم خَرَجا يريدان بلادَ الرُّوم، فلم يزل تَيمور مُدَّة فَصْل الصَّيْف ببلاد التُّركمان، ثم سارَ إلى ماردين فَعَصَى عليه الظاهر عيسى، فتركه ومضى إلى سِيواس وقد فَرَّ عنها سَلمان بن أبي يزيد عثمان، فَحَصَرها ثمانية عشر يومًا حتى أخذَهَا في خامس المحرم سنة ثلاث وثماني مئة، وقبضَ على مُقَاتلتها وهم ثلاثة آلاف وحَفَرَ لهم سِرْبًا وألقاهم فيه وطَمَّهم بالتُّراب بعدما كان حَلَف لهم ألا يريق لهم دَمًا. ثم وَضَعَ السَّيْفَ في أهل المَدِينة، فقتلَ وأسرَ وسَبَى ونَهَبَ وخَرَّب حتى مَحَى رسومَها وأقْفَرَها من سُكَّانها.

ثم سار إلى بَهَسْنَى ونَهَبَ ضواحيها وحَصَرَ قَلْعَتها ثلاثة وعشرين يومًا حتى أخذها ومضى إلى مَلَطْية، فَدَكَّها دَكًّا. ونزلَ على قَلْعة الرُّوم، فلم يتمكن منها لمدافعة متوليها الأمير ناصر الدين محمد بن موسى بن شهر له، فتَركَها وقَصَدَ عينتاب، ففر نائِبُها أركماس، فكتبَ تَيمور إلى النُّوَّاب وقد نَزَلوا بمدينة حَلَب بأن يُقيموا له الخُطْبَة باسمه واسم محمود خان، ويبعثوا إليه أطلابيش زوج بنت أُخته. وكان قد قَبَضَ عليه في

الأيام الظاهرية بَرْقُوق وسَجَنَهُ بقَلْعة الجَبَل. فعندما وردَ رسولُه بالكتاب إلى حَلَب بَدَرَ الأمير سودون نائب الشام وقتلَهُ قبل أن يَسْمع كلامَهُ، ثم خرجَ بالعَسْكر يريدُ القتال، فنزل تَيمور خارج حَلَب يوم الخميس تاسع شهر ربيع الأول، وقد سار من عينتاب إلى حيث نَزَلَ سبعة أيام، ثم قَدَّمَ نحو الألفي فارس، فبرزَ لهم ثلاث مئة قَتَلُوا منهم وهَزَمُوهم، فبعث تَيمور يوم الجُمُعة خمسة آلاف، فقاتلوهم يومهم كُلَّهُ إلى اللَّيل. فلما كان يوم السَّبت حادي عشره ركب بعساكره التي جمعها من رجال تُوران، وإيطال إيران، ومن بلاد تُرْكستان، وبَلخشان، والدَّشْت، والخَطَا، والمُـوغـول، والجتـا، وخُجنـد، وأنـدكـان، وخُـوارزم، وجُـرْجـان، وصَغانيان، وشادمان، وفارس، وخُراسان، والجِيْل، ومازَنْدران، والجبال، ورُسْتمدار، وطالقان، وخُوز، وكرمان، وأصبهان، والرَّي وغَزْني، وهَمَذَان، والهِند، والسِّنْد، ومُولتان، واللُّور، والعور، وشَهْرزور، وعَسْكر مُكْرَم، وجُنْدَي سابور، والتُّركمان، ورعاع العَرَب، وهَجَم العَجَم، وعُبَّاد الأوثان والمَجُوس، والأوتان عَشائر الحذم من سائر الأجْناس، ولا يُحْصَى عَدَدُهم، وقَدَّمَ الأفيال بمقدمته، يناوشونها القِتَال، فأحاطَ بقيةَ عَسْكره بهم، وكان هذا على قرية جيلان فَفَرَّ دمرداش نائب حَلَب وكان على المَيْمَنة، فانكَسَر العَسْكر وركب تَيمور أقفيتَهُم حتى وصلوا باب المدينة فهجموه يدًا واحدةً وداسُوا بعضَهُم بَعْضًا حتى امتلأ ما بين عَتَبَة الباب وأسكفته بأجسام بني آدم، ولم يمكن الدخول منه، فتَشتت النَّاسُ في البلاد وكَسَرَ العَسْكر الحَلَبي باب أنطاكية من أبواب المدينة وخَرَجُوا منه سائرين إلى دِمشق، فوصل قَفْلُهم في أسوأ حال، وصعد النُّواب وجماعةٌ من النَّاس إلى قَلْعة حَلَب بأموالهم، فعاثت التَّمرية في المَدِينة على عادتها، تقتلُ وتأسرُ وتنهبُ وتَسْبي إلى أن أخذت القَلْعة يوم الثلاثاء رابع عَشَرِهِ بالأمان، فنزل إليه نُوَّاب البلاد الشَّامية، فقبض منهم على الأمير سودون نائب الشَّام والأمير شَيْخ نائب طرابُلُس

والأمير ألتونبغا نائب صَفَد والأمير عُمر ابن الطَّحَّان نائب غَزَّة وقَيَّدَهُم وخَلَعَ على الأمير دمِرْداش نائب حَلَب، ثم صعدَ القَلْعة من الغَد وطَلَب في آخر النَّهار الفُقهاء، فوقفوا بين يديه ساعةً، ثم أمَرَهُم فجلسوا، وأشار لإمَامهِ شمس الدين عبدالجَبَّار، فسألهم عن قَتْلاه وقَتْلاهم من الشَّهيد منهم؟ فابتدرَ لجوابه محب الدين محمد بن محمد ابن الشِّحْنة، وقال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن هذا، فقال: «مَن قاتلَ لتكون كلمةُ الله هي العُليا، فهو الشَّهيد». فأعجبَهُ ذلك وحادَثَهُم، فَطَلَبُوا منه أن يَعْفُوَ عن الناس ولا يقتلِ أحدًا فآمَنَهُم جميعًا وحَلَف لهم ألا يقتلَ أحدًا. ثم أخذَ جميعَ ما في القَلْعة، ونزل، ثم عاقَبَ من غده أهلَ القَلْعة أشد العُقُوبة، واستخلصَ الأموالَ، فحاز من القَلْعة ما لا يُحَدُّ ولا يُوصف، حتى لقد قال بعض كُتَّابه: ما أخَذَ من مدينةٍ قَطُّ ما أخَذَ من هذه القَلْعة ثم صنَعَ وليمةً بدار النِّيابة وبها نَزَل، وَقَفَ فيها جميعُ المُلُوك في خِدْمته وأدارَ عليهم الخَمْرَ فشربوها والنَّاسُ في عَذَابٍ وعِقَابٍ وسَبْيٍ وقَتْلٍ وأسرٍ، وجوامعُهم ومدارسُهم وبيوتُهم في هَدْمٍ وحَرْق وتَخْريب إلى آخره.

ثم سار عن حلب أول يوم من شَهْر ربيع الآخر سنة ثلاث وثماني مئة بعد أن بَنَى عِدَّةَ مآذن من رؤوس بني آدم ونزل على مدينة حَمَاة في العِشْرين منه. ومَرَّ على حِمْص، فلم يتعرَّض لها، وقال: وهبتُها لخالد ابن الوليد رضي الله عنه، ونزل على مدينة بَعْلَبَك، فَنَهبها حتى أناخَ بظاهر دمشق من دَارَيَّا إلى قطنا والحولة وما يلي تلك الجهات.

وكان السُّلطان الملك النَّاصر فَرَج بن بَرْقُوق قد قَدِمَ دمشق بعساكر مصر في عاشره، فماتَ الأمير سُودون نائب الشَّام في أسر تَيمور على قبة يَلْبُغا ظاهر دمشق، وهربَ الأميرُ شَيْخ نائب طرابُلُس إليها، فقتَلَ تَيمور المُوَكَّلين به، وكانوا ستة عشر رجلاً بعدما هرب الأمير دمِرْداش نائب حَلَب من قارا، فكانت بين الفريقين مناوشات، قُتلَ فيها جماعة، وأخَذَ تيمور يكيد الجماعات، فبعثَ إليهم ابن أُخْته سُلطان حُسين في صورةِ أنه قد خامَرَ عليه فمَشَى ذلك على أهل الدَّولة، ونَظَمُوه في سِلْكهم حتى

عرفَ أحوالَهُم، ثم أظهرَ تَيمور أنَّهُ قد خافَ من القَوْم، فرحل كأنَّهُ راجع عنهم، فأعانُوه على أنْفُسهم ورَحَلَ الأمراء بالمَلِك النَّاصر في ليلة الجُمُعة حادي عشرينه إلى مِصْرَ وتَبِعَهُ كثيرٌ من العساكر كما ذُكِرَ في ترجمته، فأحاط تَيمور بالمدينة وانتَشَرت عساكرُهُ في ظواهرها تَتَخَطَّف الهاربين، فصارَ تَيمور يُلْقيهم تحتَ أرجل الفِيَلة حتى خرج أعيان المدينة إليه يطلبون الأمان، فأوقفَهُم ساعةً، ثم أجْلَسَهُم وقَدَّمَ إليهم لحمًا ليأكلوه وآمَنَهُم، وخَلَعَ عليهم، فاطمأنوا لهم، وألزمَهُم حتى أخرجوا إليه أموالَ عساكر مِصْرَ الفارين وجميع ما هو مَنْسوب إليهم، وألزَمَهُم بعد ذلك بفريضةٍ فَرَضها عليهم، ونَدَب لذلك من أصحابه رجلاً يقال له: الله دَاد، فاستخرج ذلك بحضور دواوينه وكُتَّابه وأعوانه وقد نادى في المدينة بالأمان والاطمئنان وألاّ يتعدى أحدٌ على أحد، فاتفق أنَّ بعض الجَقتاي نَهَبُوا شيئًا من السُّوق، فَشَنَقَهُم وصَلَبَهُم برأس سُوق البُزُوريين، فَمَشَى ذلك على النَّاس من خُدَعه، وسُرُّوا به سُرورًا زائدًا، وفَتَحوا أبوابَ المدينة، فَوُزِّعت الأموالُ على الحارات وجَعَلُوا دار الذَّهَب موضع المُسْتَخْلَص، ونزل تَيمور بالقَصْر الأبْلَق من المَيْدان، ثم تَحَوَّل منه إلى دارٍ وهَدَمَهُ وحَرَقه وعَبَرَ المدينة من باب الصَّغِير حتى صَلَّى الجُمُعة بجامع بني أمية، وقَدَّمَ القاضي الحَنَفي محيي الدين محمود بن الكشك للخُطْبة والصَّلاة وجَرَت مُنَاظرات بين عبدالجبار وبين فُقَهاء دمشق وهو يُتَرجم عن تَيمور، منها: وقائع علي بن أبي طالب ومُعاوية رضي الله عنهما، ويزيد بن مُعاوية والحُسين بن علي حاصلها أنه ادَّعى أنَّ مُحاربة معاوية لعلي وقَتْل يزيد للحُسين؛ إما كُفْرٌ إن استحَلاَّه، وإلا فهو فِسْقٌ وأنَّ ذلك كان بمظاهرة أهلِ دمشق وبلاد الشَّام، فإن كانوا استَحَلُّوه فهم كُفَّارٌ وإلا فَهُم بغاةٌ عُصاة، وأنتم الآن على مَذَاهب أولئك، فأجابوه بأجوبة رَدَّ بعضَها وأُعجِبَ ببعضها، وغَضِبَ من القاضي شمس الدين محمد النابُلُسي الحَلَبي فأقامَهُ وأمر ألا يَدْخُل عليه بعد اليوم، ثم قام من

الجامع. وَجَدَّ في حِصَار القَلْعة وبَنَى تجاهها بِنَاءً يُشْرِفُ عليها. وقاتلت عساكره مع جهان شاه أحدُ أُمرائه من في القَلْعَة ونَصَبَ عليها المَجَانيق، ثم نَقَبُوا القَلْعة وغَلَقُوها حتى أُخِذَت بالأمان بعد محاصرتها ثلاثة وأربعين يومًا. فجمعَ تَيمور ما كان فيها وعاقَبَ أهلَها أشدَّ عِقَاب وتَتَبَّعَ من كان بدمشق من الصَّنَائعية في سائر الأعمالْ وانْتَقَى الفُضَلاء منهم. وأمرَ فَنُسِجَ له قباء من حريرٍ وذَهَب، لم يُرَ مثلُه في حُسْنه. وبَنَى بمقابر باب الصغير قُبَّتين على قُبور يقال: فيها بعض أُمَّهات المؤمنين. وأمر أن يؤتَى بمن في البَلَد من العَبيد السُّود، فجمع منهم عَدَدًا كبيرًا، فلما استصفَى أموالَ النَّاس أمر بعقوبةِ الأعيان من النَّاس، فنزل بهم بلاءٌ لا يُوصف ثم أباحَ لمن مَعَهُ النَّهْب والسَّبْي والقَتْل والإحْرَاق، فهجموا المدينةَ ولم يَدَعوا بها شَيئًا قدروا عليه، ثم عَذَّبُوا النَّاسَ على إظهار خباياهم بأنواع العَذَاب وسَبَوا النِّساء والأولاد وفجروا بالفريقين جَهَارًا من غير تَسَتُّر مدة ثلاثة أيام، وخَرَجوا بالنِّساء مَرْبُوطات بالحِبال وأضرموا النَّارَ في المباني بأسْرها، فاحترقت بأجمعها.

ثم رَحَلَ تَيمور يوم السبت ثالث شعبان ومعه ومع جميع من مَعهُ ما عَجَزُوا عن حَمْله مع كَثرتهم، وألقوا منه في طُرُقهم ومَنَازلهم ما لا يُحَدُّ سوى ما احترق بالنَّار. فمر بحِمْص ونَهَبَ قُراها خاصة ونَهَبَ مدينة حماة، وأسر رجالها وسَبَى نساءَها ونَزَلَ على ناحية الجبول في سابع عشرهِ، واستدعى ما كان بقَلْعةِ حَلَب وعَبَرَا الفُرات، ونَهَبَ الرُّها واستدعى الظَّاهر عيسى من ماردين ، فاعتذرَ عن الحضور إليه، فنزلَ على ماردين يوم الاثنين عاشر شهر رَمَضان وأقام بدُنَيْسر وبَعَث، فَحَضَر المدينةَ وقد انحشرَ أهلُها مع أهل الضَّواحي بالقَلْعة إلى يوم الخميس العِشْرين منه وقد أعْياه أمرُ القَلْعة لحصانتها وامتناعها، فَخَرَّبَ أسوارَ المدينة وهَدَمَ مَسَاكنَها وجوامِعَها ومآذِنها.

وسارَ يريد بغداد في يوم الخميس العشرين من شهر رَمَضان، وبَعَثَ أثقالَهُ إلى سمرقند، صُحْبة الله داد فقدمها بمن معه يوم الثلاثاء ثالث عَشَر

المحرم سنة أربع وثماني مئة.

وأما تَيمور فإنَّهُ وَلَّى مدينة آمد عثمان قَرَايُلُوك وخَرَّبَ نَصِيبين، وهَدَمَ سُورَها، ونزلَ على المَوْصل، وأنزلَ بأهلها بلاء الله، ثم وهبها لحُسين بيك بن بير حُسين، وأوهَمَ أنَّهُ سائرٌ إلى سَمَرْقند يوري بذلك عن بغداد. وكان أحمد بن أويس قد استنابَ ببغداد أميرًا يقال له فَرَج، وتَوَجَّه هو وقَرَا يوسف نحو بلاد الرُّوم، ثم إن تَيمور بعثَ أمير زادة رُسْتُم ومعه عَسكرٌ عِدَّتُهم عشرون ألفًا لأخذ بغداد، ثم تبعه بمن بقي معه وحاصرَ بغدادَ وقاتَلَ أهلَها حتى أخَذَها عَنْوةً يوم عيد النَّحْر، ووضعَ السَّيف في النَّاسِ وألزم جميعَ من معه أن يأتيه كُلُّ واحدٍ منهم برأسين من رؤوس أهلِ بغداد، فجرى عند ذلك من القَتْل ما سالت منه الدِّماء أنهارًا، حتى أتوه بما أرادَ، فَبَنَى من تلك الرؤوس مئةً وعشرين مأذنة، فيقال: إنه بَلَغت عدة من قَتَل في هذا اليوم صَبْرًا تسعين ألفَ إنسان، سِوَى من قُتلَ في مُدَّة الحِصار وسوى من قُتلَ عندما دَخَلت البلد في المضايق، وسوى من ألْقى نفسَهُ في دجلة فغرق، وذلك عددٌ لا يُحصيه إلا الله سُبحانه وتعالى. وفَجَر التَّمُرية بالنِّساء والغِلْمان جَهارًا ومنهم من عَجَزَ عن إحضار رؤوس الرِّجال فقطعوا رؤوس النِّساء وفيهم من قَطَعَ رؤوس من معه من أهلِ الشَّام حتى أتى تَيمور بما عليه من ذلك، ومنهم من وقف في الطُّرقات وتَصَيَّدَ من مَرَّ به من الرِّجال حتى قَطَعَ رؤوسَهُم، فكان يومًا مَهُولاً، أنزلَ اللهُ فيه من بلائه بأهلِ بغداد ما لا يُمكن شَرْحه. وركَبَ أميرُ فَرَج سفينةً ومَرَّ في دجلة هاربًا، فأدركه التَّمرية ورموه بالسِّهام، فانقلبت سَفِينته وغرق بمن مَعهُ.

فلما أقفرت بغداد من سُكَّانها وحمل أصحاب تَيمور جميعَ ما كان بها من الأموال والأمتعة وغيرها وقَعَ الهدمُ فيها حتى سووا بها الأرضَ وجَعَلُوا عاليها سافلها، وأسَرُوا من قد بقي فيها، وساروا إلى قَرَاباغ، فَنَزَلَ بها تَيمور وكَتَبَ منها إلى أبي يزيد بن عثمان أن يُخْرجَ أحمد بن

أويس وقَرَا يوسف من مَمْلكة الرُّوم وإلا قَصَدَهُ، وأنزلَ به ما أنزلَ بمن تَقَدَّم ذِكره. فردَّ جوابَهُ وخاشَنَهُ في المُخاطبة، فسارَ تَيمور يريده، وبعثَ بين يديه حفيدَهُ (محمد سلطان بن)[1]جهان كير بن تَيمور إلى قَلْعة كماخ، فأخذها في شَوَّال سنة أربع وثمان وكتب إلى أعماله بفَتْحها. وكان عنواناتها كُلها:

بحدِّ سيوفٍ دامياتٍ لَدَى الوَغَى فَتَحْنَا بحمد الله حِصْن كماخ

وَذكَرَ فيها ابن عثمان وكتابه إليه وكيف رَدَّ جوابَهُ. وكان لما بلغ ذلك ابن عثمان وهو على حِصَار إسْتَنبول جَمَعَ أصحابَهُ وعُلُوجَهُ النَّصارى وطوائف الطَّطَر، فأتوه بمواشيهم، فلمَّا تكامل جَمْعه بعثَ تَيمور إلى الطَّطَر يَخْدعهم حتى انخدعوا له، وواعدو أنهم يَتَحيَّزوا إليه عند اللقاء. وسارَ ابن عثمان في شهر رَمَضان وفي ظَنِّه إنه يَلْقى تَيمور خارج سيواس ويردَّه عن عُبور أرض الرُّوم، ومَشَى في أرض غير مَسْلوكة، فخالفه تَيمور وسلكَ الجادَّة وهي ذات خِصْب وماءٍ وسَعةٍ، حتى لم يَشْعر به ابن عثمان إلا وقد نَهَبَ بلادَهُ وسَبَى نساءَها وقَتَلَ رجالها، فقامت قيامتُه ورجعَ من طريقه، وجَدَّ في المَسير وهو بأرضٍ مُجْدبة، فما أدرك تَيمور إلا وقد بَلَغ منه ومن عساكره التَّعَب مَبْلغًا أوهن قِوَاهم. وقد نَزَلَ تَيمور على مدينة أنْقَرة، وهو وعساكرُه في راحةٍ ودَعةٍ وسعةِ عَيْشٍ وخِصْب وكَثْرةِ ماءٍ. ونَزَلَ ابن عثمان على غير ماءٍ، وقد كادت عساكره تهلك عَطشًا، فلما تدانوا للحَرْب كان أول بلاء نَزَل بابن عثمان أن خامرت عليه الطَّطَر بأسْرها وصارت مع تَيمور عليه، فَفَتَّ ذلك في عَضُده؛ لأنَّهم مُعْظم عَسْكره، ثم تلاهم سلمان وَلَدُه ابن أبي يزيد، ورجعَ عن أبيه بباقي العَسْكر إلى مدينة برصا دار مُلْكهم، فلم يَبْق مع أبي يزيد سِوَى المُشاة وبعض فُرسان يبلغ الجَمْع نحو خمسة آلاف، فثبتَ بهم حتى أحاطت به عساكر تَيمور، فَصَدَق وصَدَقَ من معه في ضَرْبهم بالطبر والسَّيْف بحيث

(١) ما بين الحاصرتين إضافة منا لا يصح النص إلا به، فكأنها سقطت من الناسخ.

أفنوا من التَّمرية أضعافهم. هذا وسِهَامُ القوم تَرْشُقهم حتى صاروا كأنهم القَنَافذ، واستمر القِتَال بَيْنهُم من ضُحَى يوم الأربعاء إلى العَصْر، فَكَلَّت العثمانية وكَثُرت عليهم التمرية يَضْربونهم بالسُّيوف ويَطْعَنُونهم بالرِّماح إلى أن صُرعوا في مَوَاقفهم عن آخرهم. وأُخِذَ أبو يزيد قَبْضًا باليَد على نَحو مِيلٍ من مدينة أنقرة في يوم الأربعاء المَذْكور سابع عشري ذي الحجة سنة أربع وثمان مئة، وقد قُتلَ أكثر عَسْكره بالعَطَش، فإنَّهُ كان ثامن عشري تموز. ودخل سَلمان بن أبي يزيد بمن مَعَهُ مدينة برصا، فَحَمَلَ ما فيها من الأمْوال والحَرِيم ونحو ذلك وعَبَرَ إلى بَرِّ أدْرَنة، وتَلاحق به النَّاسُ فصالحَ أهلَ إستنبول وبَعَثَ تَيمور عدةً كبيرةً إلى برصا مع شَيخ نور الدين، ثم تَبعهم فأخذَ ما وجدَ بها من الأموال والنِّساء والصِّبيان، وخَلَعَ على أُمراء الطَّطَر الذين خامروا عليه، وفَرَّقَهُم على أُمرائه وامتدَّت أيدي أصحابه، فما عَفُّوا ولا كَفُّوا. وصارَ تَيمور يُوقف أبا يزيد بن عثمان في كل يوم بين يديه ويَسْخَر به ويُبَكِّتُهُ. وجَلَسَ مَرَّةً يُعاقِرُهُ الخَمْرَ مع أُمرائه وطَلَب أبا يزيد طَلَبًا مُزْعجًا، فجاءَ يرسفُ في قيودِه وهو يرجف، فأجلَسَهُ وأخذَ يحادثه ويؤانِسُه ثم سَقَاهُ من يد جواريه وحَظَاياه، فازداد كَمَدًا وتَعَاظم غَمُّه، لأنَّ تَيمور أراد نكايتَهُ برؤية حظاياه مع غيره، ثم أقامَهُ إلى حيث كان. وقَدِمَ إسفنديار بن أبي يزيد أحد مُلُوك الرُّوم على تَيمور بتَقَادم سنية فأكرَمَهُ وأعادَهُ إلى مملكتِهِ بقَسْطمونية وغيرها، وأخرجَ محمدًا وعَليًّا ابني عَلاء الدِّين بن قَرَمان من سِجْن أبي يزيد بن عثمان وخَلَعَ عليهما ووَلاَّهُما بلادَ أبيهما، وأُلْزِمَ كلٌّ منهم بإقامة الخُطْبة وضَرْب السِّكَّةِ باسمه واسم محمود خان. ثم شَتَّى في مُعَاملة مُنْتشا، وانبثت عساكره في تلك الأقطار، تَقْتُل وتَسْبي وتأسر وتَنْهب وتُجاهرُ بكلِّ قَبيح حتى عَمَّ الفَسَادُ جميعَ تلك البلادِ ولم يَبْق من أهاليها إلا نحو الرُّبع، وهلكَ باقيهم. وحَصَرَ قَلْعة أزْمير حتى أخذَها يوم الأربعاء عاشر جُمادى الآخرة سنة خمس وثمان مئة وهي في وسط البَحْر، وقتلَ رجالها وأسرَ

نساءَها وصِبْيانها وبنى من رؤوس القَتْلى منارات عديدة، واحتوى على ما بها من المال والأمْتعة.

وكان قد استدعى من سَمَرْقند بحَفِيده وولـي عَهْده محمد سُلطان ابن جهان كير وبالأمير سَيف الدِّين وأتباعه وهو أحد رفقائه من مبدأ أمره، فجعلَهُ أكبر أركان دولته وبعثَهُ إلى مدينة إشباره وهي بتخوم بلاد المُغْل وأقصى مملكة تَيمور مما يلي أول بلاد الخَطَا، فقَدِمَ بسُلطان محمد إلى خُجَنْد وقَطَعا سَيْحون حتى عَبَرا سَمَرْقَند واستنابا بها خواجه يوسف، ثم خَرَجا منها، فمات سيف الدِّين في خُراسان، وقَدِم محمد سُلطان على جَدِّه تَيمور، فماتَ على آقْشَهر من بلاد الرُّوم، فاشتدَّ حُزْن تَيمور عليه ولبسَ عَسكره كلُّهم السواد، وحمله في تابوت إلى سَمَرْقَند وكتب بأن يتلقاهُ جميعُ أهلها بالنَّوح والبُكاء، وإقامة شرائط العَزَاء، وألا يَبْقى أحد حتى يَلْبس من فَرْقه إلى قَدَمِهِ السَّواد. فلما قدمت رِمَّته إلى سَمَرْقَند خَرَجوا بأجمعهم، وقد انغَمَسُوا في السَّواد لملاقاتهم، فصار الشَّريف والوَضِيع والدنيء والرَّفيع لابسٌ السَّوادَ، حتى دفنوه بمدرسته داخل المدينة، وذلك في سنة خمس وثماني مئة وعليه دُفن تَيمور لَمَّا مات.

وكان تيمور لما بَعَث أثقالَهُ من ماردِين صُحْبة الله داذْ وتوجه هو إلى بغداد، ثم عَدَاه أنَّه أخذ لنفسه من أموال دمشق شيئًا عظيمًا، فتغير عليه وكتبَ بتوجهه من سَمَرْقَند إلى مدينة إشباره عِوَضًا عن أرغون شاه، فسارَ في الحال كأنَّه مَنْفي إليها وشَرَع في قتال الموغول، ثم كتب إليه تَيمور من بلاد الرُّوم يأمره أن يصف له تلك الممالك ويذكر له هيئة طُرُقها ومسالكها وكيفية مُدنها وقُراها وقِلاعِها ومَفَاوِزها وأوعارها وصحاريها ومياهها، ويذكر له قبائلها وأعدادَهم ومواضعَ سُكْناهم، وأوقات تَنَقُّلهم في بلادهم، وصفة مضايق طرق تلك البلاد ومراحلها ومنازلها وما فيها من أراض خاليه وأراضٍ آهلة، ومسافة ما بين كلِّ منزلة ومَنْزلة، وكيفية

المَسْير في جهة ممالك الشَّرق وممالك الخَطَا إلى سَمَرْقند، فبعث له ذلك كلَّه ما بين وَصْف وصورة بأجمعه في عِدَّة أوراق ألصقها وجعلها مُرَبَّعة، فاشتملت على ذِكْر المِهَاد والجِبَال والأراضي العامرة، وصفات سُكَّانها وهيئة مُدُنها، وما فيها من المياه والمَزَارع ومسافة طُرُقها ومتأهلها، وما فيها من الأراضي الخالية، وأسماء جميع أماكنها، وتعيين طُرُقها ومَيَّز ألوانها بما يُحاكيها من الأصباغ حتى كأنَّه مشاهدٌ ذلك عَيَانًا وبعث به إليه، فقَدِم عليه وهو ببلاد الرُّوم.

فلما انتهت أغراضُهُ من بلاد الرُّوم ومات أبو يزيد على آق شَهْر وهو مَسْجون في قَفْصٍ من حديد ومُقَيَّدٌ بقيد ثَقِيل، وولي العَهْد محمد سُلطان على آق شَهْر أيضًا عَزَم على الرحيل وقد أضمرَ الغَدْر بالتَّبَار الذين خامروا على أبي يزيد بن عثمان وأقبلوا إليه، وأمر بهم فجاؤا إليه، وقال: قد أضَرَّ بنا المقام، فَلْنَسِر إلى ضواحي سيواس ونقرر كلا منكم على حَسب ما يَقْتضيه رأينا، فإنَّه لابُد من النَّظر في تَدْبير هذا الإقليم وحَصْر مدائنه وقلاعه وضياعه وحِسَاب تَوَامينه وإقطاعاته، فإذا تبين لنا ذلك كلُّه فَحَصْنا عن أكابركم وأحصيناكم بأجْمَعكم ثم أقطعناكم بلادَ الرُّوم. فمشى عليهم ذلك من مكْره بهم، وخَدْعه لهم وسُرُّوا به سُرورًا زائدًا. وساروا بأجمعهم إلى سيواس، فلما نزلها جَلَسَ مَجْلسًا عامًّا وطلب أكابر التَّبَار وكلَّ من يَخْشاه منهم ليقطعهم بلادَ الرُّوم بزَعْمهم، فلما أتوه أمرهم فَجَلَسُوا وأخذَ يُبَاسطهم ويؤانسهم ويُثني عليهم ويقوِّي عزائمهم، وقال: قد كَشَفتُ عن بلاد الرُّوم وجهاتها حتى اتَّضَح لي أمرُها وقد أهلكَ اللهُ عدوكم أبا يزيد، وأنا أفرض إليكم أمرها، لكني أُعلمكم أنَّ أولادَ أبا يزيد لا يتركونكم لابد أن يحاربوكم لأنَّهم لا يرضونكم أن تُشَاركوهم في البلاد وهم مع ذلك أقوى منكم وأشدُّ وأكثر، فلابُد لكم أنتم من كبير يجمع أمركم ويَضْبط أحوالكم ويفحصُ عن خيلكم ورجالكم ويتفقدُ سلاحكم، فَمَشى ذلك عليهم ورضوا به واطمأنوا إليه، ثم قال لهم: ولابد أن يَذْكُرَ لي كلُّ واحد منكم أولادَهُ وأهلَهُ وأتباعَهُ

ويُحضر عندي خيولَهُ ورجالَهُ وسلاحَهُ وأولاده وأتباعه، حتى أنظر في قَدَر ما يحتاج إليه فأُعين له كفايتَهُ، ومن كان منكم له حاجةٌ أو رَغْبة في شيء أو ضَرُورة، فليبدِ ذلك لي حتى أُبَلِّغه أغراضَهُ وأقضي ضَروراته كلَّها. فازدادوا بذلك فَرَحًا وعَظُم ركونهم إليه وهم لا يَشْعرون، ثم قال لهم: أولُ ما تبدؤون به أن تَعْرضوا عليّ سلاحَكُم جميعه حتى أُكمل ما يحتاج إليه وأُصلح ما وَهَى منه، فبادروا إلى ذلك، وأتوه بجميع ما لهم من السِّلاح وطرحوه بين يديه حتى صار كالجبل العَظِيم، فلما علم أنَّه لم يبق بأيديهم شيءٌ من السِّلاح أمر كل من عنده أحد من التَّبَار المذكورين أن يقبضَ عليه، فللحال قَبَض أصحابُهُ على جميع من عندهم من التَّبَار وأوثقوهم، وقد رَفَعَ سلاحَهم الذي أحضروه إلى زَرْد خاناتِهِ ورحل سَريعًا.

وقد قيل: إنَّ أبا يزيد بن عثمان كان أوصاه قبل موته ألا يَقْتُلَ رجال الرُّوم وألا يُخرب بلادَ الرُّوم، وأن يخرج التَّبَار من أرض الروم، فلم يقبل من وصيته إلا إخراج التَّبَار فقط لموافقة ذلك غرضَهُ.

فلما رحل تَيمور كان لا يَمُر بقريةٍ ولا يدخلُ مدينةً إلا خرَّبها ونَهَبَ ما فيها وسَبَى نساؤَها وأولادها حتى نزل أرْزَنجان، فخلعَ على عثمان قَرَايُلُوك وأقرَّه على ولايته، وسارَ إلى بلاد الكُرْج وهي ذات قِلاع وفيها مدينة تَفْليس ومدينة طَرَابزون ومدينة آب خاص وهي تَخْت ملكهم، فامتنعت عليه هذه المواضع، وأقامَ على حصارها ونَزَلَ على مغارةٍ في جبلٍ بابُها في وَسَطِ جُرفٍ شاهق لا حُكْمَ للمَنْجنيق على سَقْفها، وهي في غايةِ الارتفاع والعُلو عن الأرض، ومدخلها خفيٌّ جدًا، فلما أعياه أمرها صَنَعَ توابيت على هيئة الدَّبَابات مُعَلَّقة بسلاسل الحديد، وملأها رجالاً مُسَلَّحين، ثم أدلاها من أعلى الجَبَل حتى حاذت المَغارة، فرموا من فيها بالسِّهام ومكاحل النِّفْط وناوشوهم بالكَلاليب، وهم في المَغَارة يدافعوهم عن دخولها إلى أن وَثَب واحد من التَّوابيت يقال له: لُهراسب ومَلَكَ بابَ المغارة وقاتَل أهلَها حتى أدخل رِفْقَتَهُ إليه، فملكوها وما فيها.

ونَزَلَ على قَلْعةٍ شاهقةٍ مَنِيعة يقال (لها)[1]: كل كورقيب، ومعناه تعال انظر وارجع، كأنَّه يقول: إنَّ الوافد عليها لا يَناله منها سِوى نَظْرةٍ إليها وهي مَبْنيةٌ على قُلَّة جَبَل وطريقُها عَسرٌ، وبعد مَشَقةٍ زائدة يَنْتهي السالكُ فيها إلى جُرف مَقْطوع بينه وبين باب الحِصْن جَسْر إذا رُفع لا يُمْكن الوصول إليها بوجه، وليس بقُرْب هذه القَلْعة موضعٌ يُنزل فيه، وإنَّما حواليها جُروف وهِضَاب وعقاب، فَنَصَبَ تَيمور خيمتَهُ بحيثُ يراها ويسمع كَلامَ من فيها، ووَصَل بحصارِها جماعةً، فصارَ أهلُ القَلْعة يرفعون الجَسْر بالنَّهار فيكون حظُّ أصحاب تَيمور منها مُجرَّد النَّظر فقط من غير أن يَقْدروا منها على شيءٍ ولا تصل سهامهم إليها، فيظلون نهارهم كذلك، ثم يَرْجعون إلى خيامهم بالليل، فيضع عند رجوعهم النَّصارى أهلُ القَلْعة الجَسْر ويَنْصرفون في حوائجهم. وكان في عَسْكر تيمور شابان يتحاربان دائمًا في مَيْدان الشجاعة، فاتفق أنَّ أحدَهما صادف عِلْجًا من عُلوج الكُرْج معروفًا بينهم بالفُروسية والشَّجاعة وله جُثَّة عظيمةٌ وقدٌّ طَويلٌ، فقاتَلَهُ وقتلَهُ وأتى به إلى تَيمور، فأُعجب به ورفعَ منزلتَهُ، فامتعضَ صاحبُهُ لذلك وأحبَّ أن يضاهيه في فِعْله، واسمُهُ بير محمد ويُعرف بقَنْبر، فرصَدَ جَسْر القَلْعة وتَسلَّقَ من مكانٍ صَعْب ومَشَى من ضِيقهِ على بَطْنه، ثم وَثَب عند أخْذهم في رَفْع الجَسْر، فقطعَ حِبَالهُ، فلم يتمكنوا من رَفْعه وصارَ بابُ القَلْعة مفتوحًا، وهو يَرْميهم وهم يَرْمونه بالسِّهام والأحْجار وهو لا يَردُّ ولا يلتفت عنهم حتى ارتفعَ النَّهار، فرأى تَيمور من خَيْمته على بُعد وهو وإياهم يَتَواثبون على باب القَلْعة ولا عِلْم له بما صنَعَ قَنْبر، فبعث لكشف الخَبَر جماعةً، فإذا بقَنْبر يُعارك النَّصارى وقد عجزوا عن رَفْع الجَسْر وولوا يُدبِّرون الدُّخول إلى الحِصْن، فزاحَمَ قَنْبر ودخلَ مَعَهم ومنعهم من غَلْق الباب، وهم يدقونه بسيوفهم دقًا وهو يُدَافعهم إلى أن أدركوه وهو بآخر رَمَق، فَخَلَّصوه من أيديهم واقتحموا

---

(١) إضافة منا لابد منها.

القَلْعة ومَلَكُوها وما فيها وسَبَوا حريمها وأولادَها، فأعجب تَيمور بقَنْبر ووجدَ به ثمانية عشر جُرْحًا فحمله إلى تِبْريز حتى داووا جراحَهُ وعادَ إليه فخلعَ عليه وعَمِلَهُ من جُمْلة الأُمراء أمير مئة وتَقْدمة ألف.

ولما أُخِذَت هذه القَلْعة انبثت التَّمْرية في بلاد الكُرْج تَقْتل وتأسر، وتَسْبي وتَنْهب وتُخرِّب إلى أن تَشَفَّعوا بإبراهيم شيخ الدَّرْبَندي حاكم شِرْوان، فَقَدِمَ على تَيمور وقَبَّل له الأرض، ووقف على قَدَميه، واستأذن في الكلام، فأذِنَ له فشفعَ في الكُرْج على مالٍ يقوم به عنهم، فشَفَّعه فيهم ورَحَل إلى قَرَاباغ، وشَتَّى هناك في سنة ست وثماني مئة.

ثم رَحَل في أول فَصْل الرَّبيع يريد سَمَرْقَند، فمرَّ من أذربيجان على خُراسان، فنزلها وأتته الملوكُ والمَرَازبةُ من وراء النَّهر وغير ذلك من الأقاليم يهنئونه بفَتْح الهِنْد والعراق والرُّوم والكُرْج والشَّام وحَمَلُوا إليه التَّقَادم الجليلة والهَدَايا السَّنِيَّة والإقامة الكَثِيرة، ووفدَ إليه الأشراف والعُلماء والمَشَايخ والرُّؤساءُو فمَهَّد أمورَهُ وسَيَّرَ كُلاًّ منهم إلى ما رآه أهلاً له.

ثم سارَ حتى وَصَل نهر جَيْحون وقد أُعدت له السُّفن، فجازَهُ ولَقي من خرج إليه من سَمَرْقَند فرحَّب بهم ودخلها أول سنة سَبع وثماني مئة، وأذِنَ لعساكر البلاد فَلَحق كلٌّ بموضعه وردَّ أهلَ ما وراء النَّهر إلى بلادهم، وأخذَ في تَفْريق التَّبَار الذين خامروا على ابن عثمان وأتوه، فبعث بهم إلى الثُّغور، فأنزل عدةً منهم بكاشْغَر، فيما بين حد الخَطَا وحد بلاد الهِنْد، وبَعَث طائفةً إلى دُويرة في وسط بحيرة تدعى آسي كُول، وهو ثَغْر ما بين ممالكه وبين الموغول يريد بذلك تمزيقَهُم حتى تَذْهب قوتُهم. وبقيت منهم طائفة، فأضافها إلى أرغون شاه وبعثَهُ بهم إلى ثُغور الدَّشت وحُدود خُوارزم. وهذه كانت عادته في مَكْره وتَلَاعبه بالنَّاس إنَّه إذا بَنَى قَلْعةً في قُطْرٍ من الأقطار أو أَسَّسَ مدينةً أنزل بها من عَسْكره من يكون من أهل بلد هي أبعد البلاد عن تلك القَلْعة أو المدينة، وينقلُ أهلَ البلاد التي يأخذها إلى بلادٍ تكون في غاية البُعد عنها

حتى أنه لما استولى على أعمال تِبْريز استناب بها ابنه أميران شاه وجعل معه عدةً من الجقطاي الغِلَاظ الشِّداد منهم خُداي دادْ أخو الله دادْ ليُبعد ما بينهما. ونَقَل إلى أطرافِ تُرْكستان وبلاد الخَطَا طوائفَ من عساكر العِرَاقَين والهِنْد وخُراسان ووَلّى رجلاً من أهل دمشق يقال له: عبدالرحمن التَّكْريتي ويعرف بسماقة، مدينةَ سيرام وهي في الشَّرق من سَمَرْقَند على مسافة عشرة أيام منها، وسماقةُ هذا كان قد انتَمَى إليه وهو على دمشق ودَلَّه على عورات الناس، فأخذه معه، وممن انتمى إليه أيضًا بدمشق شخص من آحاد النَّاس اسمه أحمد، فسمى نفسه يَلْبُغا المجنون، وصار من أعوانِهِ وسارَ معه، فولاّه نيابة بلكي تلاس، وهي وراء سيرام بنحو أربعة أيام وهما كورتان صغيرتان وراء نهر سَيْحون من جملة معاملة تُركستان، وإنَّما أراد بولايتهما مع حَقَارتهما أن يقال في ممالك الدُّنيا عنه: إنَّ عندَهُ رؤساء الشَّام والعراق من العَرَب والعَجَم وقد صاروا في خِدْمته.

فلما فَرَغ من أمور عساكره شَرَع يتفقد ما حَدَث في غيبته من أمور البلاد والرَّعايا، ويَفْحص عن أحوال ممالكه، ويُدَبِّر أطرافَ أعماله وثُغورها ويَعْمل مصالحها بحيث كان يتفقد أحوالَ صِغَار أهلِ مَمْلكته، كما ينظر في أحوال كِبَارهم ويضعُ الأشياء في محلها ويبالغُ في إكرام السَّادة الأشراف ويُعَظِّم مَشَايخ الفُقراء أهلَ الصَّلاح، ويُجلُّ العلماء، ويتتبع أهلَ الشَّرِّ والفَساد حتى يَمْحو آثارهم ويَقْطع دابرَهُم، ويبغض الزُّناة والسُّرَّاق ويَقْتلهم، ويُمَشِّي أمورَهُ كُلَّها إلى أحْكام توراة جنكز خان، ولا يَخْرج عنها في شيء من الأشياء، بل هي عنده الشَّرْع المُقَرَّر، ولذلك أفْتَى غيرُ واحدٍ من عُلماء العَجَم العارفين أنَّه كافر.

ثم لما تَمَّت أغراضُهُ وتَمَهَّدت أمورُه، شرعَ في تزويج حفيده أولو بيك بن شاه رُخ الذي هو الآن حاكم سَمَرْقَند عن أبيه شاه رُخ بن تَيمور فأمر أهل سَمَرْقند أن يعملوا الزِّينة، ورفعَ عنهم الكُلَف والمَغارم ورسمَ ألا يَشْهر أحدٌ سَيفًا ولا يُخاصم أحدٌ أحدًا، وأن يَخْرجوا بزينتهم

التي عَمِلُوها إلى موضع على نحو ميل من سَمَرْقند يقال له: كان كل، وهو من حُسن رياضه وتَدَفُّق أنهاره كأنَّما هو قطعةً من الجَنَّة، وهو مبدأ سغد سَمَرْقَند المَشْهور بأنه أحد مُتَنَزَّهات الدُّنيا، ومن سَعَة هذا الموضع تَصيرُ عَساكر تَيمور فيه مع كَثْرتها كالقَطْرة في الماء. ثم أمر الملوكَ والسَّلاطين وأربابَ التِّيجان فخرجوا، وقد عَيَّن لكلٍّ منهم في ذلك المَرْج موضعًا، ورَتَّبهم مَيْمنة ومَيْسرةً ووراء وأمامًا، وأمرَهُم جميعًا أن يُظْهرَ كلُّ أحدٍ منهم ما يمكنه من التَّجَمُّل، وينصبُ جميعَ ما لَهُ من الخِيام والقِباب ويُزَيِّنها بأنواعِ الزِّينةِ. ثم رَتَّب من هو دون الملوك والأعيان والأكابر ورؤوساء الأمراء في مواضع عَيَّنها لهم، فأخرجَ كلُّ أحد ما حَوَاه وتفاخروا في ذلك وتنافسوا فيه، وما أبْقَى أحدٌ منهم مُمْكنًا في إظهارِ ما جَمَعَهُ من الأقاليم من الجَوَاهر بأنواعها والتُّحَف على اختلافها. ونَفَائس الذَّخائر المَضْنُون بها. ثم أخرجَ سُرادقه العَظيم القَدْر، فنصَبَهُ في الوسط، وهو سُورٌ كبير محيطٌ على عدة كثيرةٍ من الخيام والقِبَاب وله بابٌ واسعٌ يُدْخلُ منه إلى دِهْليز طويل ينتهي إلى ما ضُرب هناك مما ذُكر. ولهذا الباب قَرْنان جليلان، فلذلك كان تَيمور يقال له: ذو القَرْنين، فكان مما في داخل هذا الخباب قُبةٌ عظيمة جَمِيعها مَزْركش بالذَّهَب المُرَيَّش بقَلْب الرِّيش الفاخر من أعلاها إلى أسفلها، وقبةٌ أخرى مَحْبُوكة بالحرير المَنْقُوش بأنواع النُّقوش المُلوَّنة، وقُبةٌ جميعها مُكَلَّلَةٌ من أعلاها إلى أسفَلها باللآلىء الكِبَار التي لا تُعرف قيمتُها لعظمها، وقبةٌ جميعها مُرصَّعة بأنواعِ القِطَع الكِبار من اليواقيت وغيرها من الجَوَاهر الرَّائعة على صَفَائح الذَّهَبِ التي تُدْهش رؤيتها وتَعْجز الملوكُ أن يأتوا بِمثْلها لعِظَم قيمتها وعِزَّة اجتماع ما فيها من الجَوَاهر عند أحد من مُلُوك الدُّنيا. وضَرَبَ فيما بين هذه القِبَاب سَقْفًا ودُرجًا من الفِضَّة الخالصة التي نُقشَت بأنواع النُّقوش البَدِيعة، وفيما بين ذلك رواقات الأخْبية المُزَرْكشة والفَسَاطيط والأبنيةِ الكَثيرة التي تُذْهل رُؤيتُها وتَحارُ العقولُ من حُسن صَنْعتها، وفيها مراوح الخِيش الجالِبَات للهواء بحركاتٍ مُتْقَنةٍ. وما من

قُبَّةٍ من هذه القِبَاب والمَضَارب إلا وله المَرَافق من المَرَاحيض والحَمَّامات وغيرها. وأُخْرِجَ مع ذلك من الذَّخَائر المأخوذة من أقطار الأرض ما يَعْجز الواصف عن وَصْفها، وأُرخيت الستائر البَدِيعةُ فكان منها ستارة من الجُوخ أُخذت من خَزَائن أبي يزيد بن عثمان، وهي قِطْعة واحدة عرضها عشرة أذرع بالذِّراع الحَديد، وفيها من النُّقوش بسائر الألوان صُور جميع نبات الأرض وأشجارها وهيئة سائر الحيوانات من الطُّيور والهَوَام والوُحوش وبَني آدم شَبَابهم وشُيوخهم وصِبْيانهم ونِسَائهم وصفة القُصُور العالية والدُّور الجليلة ومَدَائن الدُّنيا وعجائبها، وبيان أسماء جميع ذلك بالكِتَابة البديعة والعُروق اللاَّعبة، وهذه الستارة إحدى عجائب الدُّنيا، ونُصِبَ تجاه هذه السُّرادق على بُعْدٍ منه بمقدارِ شَوْطِ فَرَس صيوان[١] يَجْتمع فيه مُبَاشرو الدَّولة وأهل الديوان، وهو جِتْر[٢] عال في غاية الارتفاع يزيد طوله في السَّمَاء على أربعين ذراعًا، وله أربعون قطعة ما بين عواميد وأُسطوانات وسواري تُشَدُّ عليها أركانه، وله فَرَّاشون كأنهم الجن يَتَسَلَّقون إلى أعلاه إذا رَفَعُوه بعد بَطْحه.

وأخرج أهلُ المدينة ما عَبَّؤوه من الزِّينة فَنَصبُوه تجاه تلك السُّرادقات على بُعْدٍ بَقَدر مَدِّ البَصَر، وتأنَّقَ كلٌّ فيما وَصَلت قُدْرَتُه إليه، واجتهدَ كلُّ صاحب حِرْفةٍ فيما يَتعَلَّق بحرفته، وبالغ كلٌّ من أرباب الصَّنائع في عَمَل ما هو من صِناعته، فأتوا من أعمالهم بكلِّ عجيبةٍ، وأبدوا من فُنونهم بكلِّ نادرةٍ غَريبة، حتى أنَّ الذي يَنْسجُ القَصَب أخرج فارسًا كامل العُدة والأُهبة في أَحْسن زي وأبْهَى هَيْئةٍ، حتى أتقن أظافير يديه ورجليه، وهَدَّب عَيْنيه، وأتى بجميع آلاته من القَوْس والسَّيف والرُّمح وما يَحْتاج إليه الفارس، وكل ذلك من القَصَب، فجاءَ شيئًا عَجَبًا، وعَمِلَ القَطّانون مئذنةً عالية من القُطْن في غايةِ الحُسن والإتقان

---

(١) الصيوان: سرادق الملك.

(٢) الجتر: كلمة فارسية معربة، وتعني المظلة أو الشمسية.

فنُصِبَت، وكذلك الصُّوَّاغ والحَدَّادون والأخْفافيون والقَوَّاسُون وسائر أرباب الحِرَف والصَّنائع، ما منهم إلا من أبْدَى من صناعته ما يكاد يَعْجز نظراؤه عن عَملٍ مِثْله.

وخرجَ أربابُ المَلْعوب واللَّطَافة والمُضْحِكُون بأسرهم، فأبدوا من أفانينهم بعَجَائب، وتَهَتَّكُوا من مُضْحكاتهم بغرائب، وذلك أنَّ سَمَرْقند إذ ذَاك كانت مَجْمع فُضلاء العالم، وعُش رجالات الدُّنيا شَرْقًا وغَرْبًا، فَرَتَّبَت كلُّ طائفة ما أخرجته على حِدة، وجُعل ذلك كلُّه تجاه السُّرادق العَظيم وصِيْوان الدواوين. ونُصبت وراء ذلك الأسواق التي جَمَعَت ما تشتهيه الأنفُسُ وتلذُّ الأعينُ من جَميع المأكولات الحارة والباردة، فعمل أهلُ كُلِّ مدينة من مَدَائن الدُّنيا ما هو عادة بَلَده، وتَفَنَّنُوا في تَحْسينها، وتأنَّقُوا في اختلاف طُعُومها، وعَملُوا من المَشْروبات المُبَاحة وغير المُبَاحة أنواعًا لا تكاد تَنْحَصر إلى غير ذلك من الحَلاَوات والفواكه الرَّطبة واليابسةِ، وسائر الخَضروات والأخْباز ونحو ذلك.

وضُربت بين تلك الخيام والمَضَارب والقِباب البُوقـات وزُيِّنَت الفِيَلة وعِتَاق الخُيول التي لا تُعَدُّ من كَثْرتها بأفخرِ الزِّينة وأعظم الحُلي الذي تَعْجز ملوك الأرض بأسْرها أن تحكيه، وأُبيحَ للناس جميعهم أن يأتوا بما شاؤوا من الرَّقْص والغِناء والضَّرْب بالدُّفوف واللَّعِب بآلات الملاهي، ومواصلة أحْبابهم ومُعاقرتهم الخُمُور، فأقبلوا من ذلك على ما لا يُمكن وَصْفه، كلُّ ذلك من غير هَرَج ولا صَخَب ولا صِيَاح، ولا يَقْدر أحدٌ على أن يَتَعَدَّى على أحدٍ، ولو كان هناك قاتل أبيه لما هاجه، ولا يستطيعُ أجلُّ مَلكٍ فيهم أن يظلمَ أحقرَ النَّاس منهم في عُود يُخَلِّلُ به أسنانَهُ فما فوقه.

فلما استتَّم الأمْر على ما رتَّبه تيمور خرَج بوقارٍ وَسكينةٍ على عادته في ذلك ومعه عساكرُه وجنودُه التي هي كأمواج البِحار وأمثال الجَراد في أحسن زي وأفخر هيئة، حتى نزَل سرادقه المَذْكور، وأمَر أن تُسَبَّل الخُمور ويُمَكَّن منها الخاصُّ والعام، فكانوا بأسرهم كما قيل:

باتُوا يديرونها حَمْراء صافيةً حتى الصَّباح وأضْحَوا مثل ما باتُوا
ماتُوا بحُمى الحُميا عن أواخرِهم مَوْتًا يَودُّ به الأحياءُ لو ماتُوا

فكنتَ لا تَرَى ذلك العَالمَ العَظِيم إلا ضاربَ عُودٍ، أو زامرًا، أو شاربَ خَمْر، أو راقصًا أو معانقَ مَحْبوبٍ له، أو مترنمًا أو مُغَنِّيًا، أو ساقي خَمْر إلى غير ذلك من أنواع اللَّهو التي لا يمكن أن يُعَبَّرَ عنها بعبارةٍ، بحيث لم يتركوا مُحرَّمًا حتى أتوه ولا قَبِيحًا إلا فَعَلُوه ولا مُنْكرًا إلا جاهروا به مع الأمن والدَّعَة، ورُخص الأسعار، وعَدْل السُّلطان في رعيته، فحصل لتَيمور في هذا المُهم من الأُبَّهة المُلُوكية ومن العَظَمة والمَهَابة والسَّطْوة ما لم يُسْمَع بمثله فكانت بنات المُلُوك في هذا العُرْس وصائفَ قائمات في الخِدْمة وأبناء الملوك عَبيدًا قائمين على أقْدامهم لِقَضاء ما يُؤمرون به. واجتمعَ بين يديه مع ذلك رُسُل مَلِك مِصْر النَّاصر فَرَج بن بَرْقُوق بتَقَادمه الجليلة، ومنها الزَّرافة والنعام ولا يوجد ذلك ببلاد سَمَرْقَند، ورُسُل ملك الخَطَا، وملك الهند، ورُسُل صاحب العِراق، وصاحب الدَّشت، وصاحب السِّند، ورُسُل الفِرَنج وغيرهم من جميع أقاليم الدُّنيا، فأحضرهُم جميعًا هذا المُهم. وصارَ يستدعي كلَّ واحدٍ من الأمراء والملوك وسلاطين الآفاق وأكابر النَّاس، وقُوَّاد التَّوامين، وزُعماء الجيوش ومُقَدَّميهم، ورُسُل المُلُوك، ويسقيه بيده ويخاطبه بالأخ أو الولد ويَخْلَع عليه ويهب له ما يليق به من المَوَاهب السَّنية.

هذا وقد أجْلَسهم عن يمينه على مَقَاديرهم وأجلسَ عن يساره الخواتين والنِّساء سافراتٍ عن وجوههن كما هي عَوَائدهنَّ، وضُربَت الجُنُوك والقَانُونات والعِيْدان والأرْغَنُونات والنَّاي، ونحو ذلك من آلات الطَّرَب، وقامت بنات الملوك تسقي القَوْم، فلما استخفَّ تَيمور الطَّرَب قامَ يَرْقُص، وقد نُثِرَت عليه الجَوَاهر الرَّائعة والدُّرَر الثَّمينة وآلاف الذَّهب والدَّراهم حتى جَلَس وتَمَادى الحال حتى انقضى العَرْض، فانفض الجَمْعُ بعد فَرَاغ العُرْس من غير أن يُشَوِّشَ أحدٌ على أحدٍ بقولٍ ولا فِعْلٍ، فكان

من أعجب ما فيه، وكلُّه عَجَبٌ، أن يجتمع هذا العالم الذي لو تَكَلَّف الحُسَّاب إحصاءهم لعجزوا، ثم لا يتخاصم فيه اثنان مع تباين أجناسهم[1] وتباعد أوطانهم[2]، كلُّ ذلك لعِظَم مهابة تَيمور وقوة حُرْمته ووقوف رَعيَّته بأسرها عند أمره ونَهْيه لتمكن طاعتهم خوف سطوته.

وكان قد رأى وهو ببلاد الهِنْد جامع مدينة دِلِه، وهو مبنيٌّ بالرُّخام الأبيض، فأعجبه وأحب أن يبني بسَمَرْقَند نَظَيره فعينَ له مَوْضعًا وقَطَعَ له أحجارَ المَرْمَر، ونَدَب لعمله محمد جَلد أحد المُباشرين بالدِّيوان، فاجتهدَ في بنائه حتى تمَّ، وعَمِلَ له أربع مآذن، وتأنَّق في تَحْسينه وفي ظَنِّه أنَّ أحدًا لا يقدر على عمله، وأنَّه يَحظَى بذلك عند تَيمور وتَرْتفع منزلته، وكان كلُّ أحد يُقَدِّر ذلك، فلما كَمُل وجاء تَيمور لمُشَاهدته، فما إلا أن وقعَ بصرُهُ عليه من خارجه أمَرَ بمحمد جلد، فأُلقي على وجهه ورُبطَت رجلاه وجُرَّ وسُحب على وجهه حتى تَقَطَّع قِطَعًا عديدة، وأخذَ جميع مالهِ وأولاده وأهله فقَتَلَهُم، وسبب ذلك أنَّ الملكة الكبرى امرأة تَيمور بنت مدرسةً تجاه هذا الجامع، فجاءت حيطانُها أعلى من الجامع، وكان تَيمور في طِباع النَّمر والأسد ما تكَبَّر عليه أحدٌ في حالةٍ من الحالات إلا وأتْلَفَهُ شِدَّة بَطْشه وعَسْفه، فعندما شاهد عُلو المدرسة على جامِعِه غَلَب عليه طِباعه من قُوة الغَضَب وسُرْعة الانتقام وشِدَّة البَطْش، حتى أوقعَ

---

(١) جاء في الحاشية تعليق نصه: «ويمكن أن يكون عدم مخاصمتهم لتباين أجناسهم، لأنَّ المخاصمة لا تكون إلا بسبب العداوة، والعداوة لا تكون إلا بعد المعرفة التامة، فإذا لم تكن المعرفة لم تكن العداوة؛ فتباين أجناسهم يكون سببًا لعدم تخاصمهم، وعلى كل حال هذا الأمر من أعجب العجائب» حرره الفقير مالكه الحقير.

(٢) جاء في الحاشية تعليق آخر نصه: «سيما إذا كانوا مُرَخَّصين بشرب أم الخبائث غاية الرخصة ليكون عدم تخاصمهم أعجب الأعاجيب. حرره الفقير مالكه: محمد أمين السابقي».

بذلك البائس ما سَبَقت به شِقْوته، ولم يَسَعْه هَدْم الجامع لموافقته غَرَضه، فأبقاهُ وأمَرَ خَوَاصَّه وذويه أن يُجَمِّعوا فيه، فكانوا يزدحمون في الصَّلاة فيه مع كبره، وكان من عُظماء الدولة الله دادْ، فَصَلَّى فيه يومًا وكان من دُهاة النَّاس وأذكيائهم النُّقَّاد العارفين بطُرق اللُّؤم والمَخَازي، فقال لبعض من يَثِق به سِرًّا وهو ينتظر الصَّلاة بجانبه: ينبغي أن يُلَقَّب هذا الجامع بجامع الحَرَام وتسَمَّى الصلاة فيه صلاة الخَوْف، وينبغي أن يُنشد فيه ويكتب في طِرَازه ويُنْقش في جُدُره قول الشاعر:

سمِعتُك تَبْني مَسْجدًا من خِيانةٍ   وأنـت بحمـدِ الله غيـرُ مُـوَفَّـق
كمُطْعِمةِ الأيتامِ من كَدِّ فَرْجِها   لكِ الوَيْلُ لا تَزْني ولا تَتَصَدَّقِ

وكان تَيمور وهو ببلاد الرُّوم يَجُول في فكرِه أخذ بلاد الصِّين فبَعَث كما تَقَدَّم إلى الله دادْ حتى كَتَبَ له صِفَات تلك البلاد، فلما عَرَف أحوالها وبانَ له أعمالُها، جَهَّز إلى تلك النَّواحي رؤوس دولته وعظمائها، وهم بيردي بيك، وتَنْكري بيردي، وسَعَادات، وإلياس خَوَاجه، ودولة تيمور على عِدة كبيرة من العَسكر، ورَسَمَ أن يَمْضوا إلى الله دادْ بمدينة إشباره وأن يَبْنوا قلعة يُسمونها باش خُمْرة بموضع على مسافةِ عَشرة أيام من إشباره، فساروا في أوائل سنة سبع وثماني مئة لذلك. وقَصَد بعمارة هذه القلعة أن تكون له مَعْقلاً يَلْجأ إليه إذا توجه إلى بلاد الخَطَا، فوصلوا إلى حيث رَسَم لهم وبَنَوا القَلْعة حتى قاربوا إكمالها وإذا بمَرْسومه قد وَرَد عليهم أن يؤخِّروا عَمَلها ويرجعوا عنها فيغلقوا البلاد بالزِّراعات من حدود سَمَرْقَند إلى مدينة إشباره التي هي آخر أعماله من حدود الصِّين، فتركوا عِمَارة القَلْعة وأخذوا في تَحْصيل الأبقار والبَذْر، فما فَرَغوا من ذلك حتى انقضى فَصْل الصَّيف ودَخَل الخَريف، فأخذَ عند ذلك تَيمور في الحركة إلى بلاد الصِّين والخَطَا، وكَتَب إلى عساكره أن يأخذوا الأُهبة لمدة أربع سنين، فاستعدُّوا لذلك وأتوه من كلِّ جهة، فلما تكاملت عنده العساكر أمرَ فصُنع له خمس مئة عَجَلة من خَشَبٍ مُضَبَّبٍ بالحديد تحمل

أثقالَهُ وجَرَّها، ثم خَرَج من سَمَرْقند في شَهْر رَجَب، وقد اشتدَّ البردُ حتى نزل على سَيْحون، وهو جامدٌ فعبَرَهُ ومَرَّ سائرًا، فأرسل الله تعالى عليه من عَذَابه جِبَالاً من الثَّلْج التي لم يُعْهَد مثلُها في تلك البلاد كثرةً مع زوابع شديدةٍ، فلم يَبْق أحدٌ من عساكره حتى امتلأت آذانُهم وعيونُهم وخَيَاشيمُهم وآذانُ دَوَابِّهم وأعْيُنها وخياشيمها بالثَّلْج إلى أن كادت أرواحُهُم تَذْهب، ثم اشتدَّت تلك الرِّياح وملأ الثَّلْج جميعَ الأراضي مع سَعَتها، فهلكت البهائمُ من الجمَال والخُيول وجَمَدَ كثيرٌ من النَّاس لشدَّةِ البَرد وتَسَاقطوا عن خيولهم هَلَكًا. وجاءَ بعَقب هذا الثَّلْج والرِّيح أمطارٌ كالبِحَار وتَيمور مع ذلك لا يَرِقُّ لأحدٍ ولا يُبالي ما نَزَلَ بالناس بل يجدُّ في السَّيْر وكتب عند سَفَره إلى الله دادْ وهو بإشباره: أني قاتله ولابد واقترحَ عليه مع هذا أيضًا (ما)[1] لا يقدر عليها، ليجعل عَجْزه عنها سَبَبًا لقتله، فمنها أن يُجَهِّزَ له خاصة سوى عَسكره، إقامةَ يوم واحد، فيكفيه ومن معه وما معه بالزَّاد والعَلَف، وأن يُهيىء له مئة حِمل من الدَّقيق، وأنَّ معه عساكر جَرارة، فيكفيهم بالأزْواد والعُلُوفات. وقد عَلم أن الطَّوَاحين في هذا الوقت مُعَطَّلة من جُمود الماء، فإنَّه إنما يُديرُها الماء، والماءُ لشِدَّة البَرْد جَمَد حتى في سَيْحون مع عِظَمه وشِدَّة جَرَيانه، فقام الله دادْ في ذلك وبَذَل فيه جُهْده، فحَشَرَ النَّاسُ من الأعمال إليه، ووَقَف بهم ليلَهُ ونهارَهُ لسَوْق الأنهار، وقَطْع الجَليد ورَمْيه، فكانوا إذا قطعوا الجليد من النَّهر حتى يَظْهر لهم الماء هَبَّ نَسيمٌ باردٌ فجَمَّد ما ظَهَرَ من الماءِ إلى أن أعياهم ذلك، وتَيَقَّنَ أنَّه هالك ولابُد، فأيس من حياته لأنَّه بَلَغه ما وُشِيَ به إلى تَيمور من أنَّه أخذَ أموالَ دمشق وعِلْمه بشدة بَطْش تَيمور إذا غَضِب. ووصلَ إليه خَبَرُ محمد جَلْد وكيف كانت عقوبته له مع صِغَر جُرْمه، فاشتدَّ هَمَّهُ وعَظُمَ قَلَقُه إلى أن بقي تَيمور منه نحو عشرة أيام وقد تقطعت الدُّروب من شِدَّة البَرْد الخارج عن الحدِّ وكثرة الثَّلْج الزَّائد على

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة لابد منها ليستقيم النص.

المَعْهود وعِظَم الأمطار وتواترها، فلما وصل تَيمور إلى مدينة أُتْرار وقد أهلك الخَلْقَ بقوة سَيْره وسُرْعة رَحيله أمرَ أن تُسْتَقْطَر له الخَمْر حتى يَسْتَعْملَ عَرَقها بأدوية حَارة وأفاويه لدَفع البرد وتَقْوية الحار الغَريزي، فعُملَ له ما أرادَ من ذلك وشَرع يتناوله ولا يَسْأل عن أخبار عَسَاكره وما هم فيه من البَلاَءِ والعَذَاب المُهين إلى أن أثَّرت حَرَارةُ ذلك العَرَقِ المُسْتَقْطر من الخَمْر فيه، وأخذت في إحراق كَبده وأمْعائه فألهبت مِزَاجَهُ حتى ضَعُفَ بَدَنُهُ وهو يَتَجَلَّد ويسيرُ السَّيْرَ السَّريع، وأطباؤه تُعالجه بتبريد مِزَاجه إلى أن احتاجُوا فيه إلى أن صارُوا يَضَعُون الثَّلْج على بَطْنه لعَظِيم ما به من التَّلَهُّب واشتعالِ الحَرَارة المُحْرقة، وهو مَطْروح مُدَّة ثلاثة أيام، فَتَفَتَّتَ كَبدُه وصارَ يَضْطربُ ويُعَطُّ[1] وشِدْقاه يُزَبِّدان ولونُه يَجْمد، ونساؤه وذووه[2] في صُراخ وصِياح حتى هَلَك في ليلة الأربعاء تاسع عشر شعبان سنة سبع وثماني مئة[3]، مَلُومًا مَدْحُورًا وهو نازلٌ بضواحي أُتْرار، فَلَبسُوا عليه المُسُوحَ ونَاحُوا وبكوا وأعدلوا بالصِّياح وجَهَروا بالصُّراخ، فبعثَ سعادات المَذْكور فيمن خَرَج من سَمَرْقَند، وكان نائب تَيمور على مدينة آنركان يُعْلم الله داذْ بموته، فوَصَل إليه الخَبَرُ بذلك في رابع عشر شهر رَمَضان فكادَ يَطيرُ فَرَحًا، وكان تَيمور لما ماتَ ليسَ معه من أولاده سِوَى حفيده سُلطان خلَيل بن أميران شاه وحُسين سُلطان ابن أُخته، فأرادوا كِتْمان موته، فلم يَخْف عن النَّاس، واضطربوا ورَحَلوا برِمَّة تَيمور، وقد تَسَلْطن خَليل وبَذَل الأموالَ وعادَ إلى سَمَرْقند، فَخَرج النَّاس

(١) أي يصرع.

(٢) في الأصل: «وذويه»، ولا يستقيم.

(٣) وقال السخاوي في الضوء اللامع ٣/ ٤٩: «مات وهو متوجه لأخذ بلاد الخطا على مدينة أُترار في ليلة الأربعاء سابع (كذا) عشر شعبان سنة سبع، وأرَّخَهُ المقريزي في التي تليها، وأظنه غلطًا» هكذا قال، والذي وقع في الأصل عندنا أن وفاته سنة سبع وثمان مئة على الصواب، فكأنه وقع غلط من الناسخ في النسخة التي نقل منها.

إلى لقائه لابسين لأسْرهم السَّواد، وهم يَبْكون ويَصيحون ورمَّة تيمور بين يديه في تابوت آبنوس والمُلُوك والأُمراءُ والأجنادُ، وكافةُ النَّاس مُشاةٌ، قد كَشَفُوا رؤوسَهُم ولَبِسُوا ثيابَ الحِداد إلى أن دَفَنُوه على حَفيده سُلطان محمد بمدرسته، وأُقيم عليه العَزَاء وقُرِئت عنده عِدَّة ختمات في أيام عِدَّة، وفُرِّقَت الصدقات في النَّاس ومُدَّت الأسمطةُ من الأطعمةً والحَلَاوات بتلك الهِمَّة العَظيمة، ونُشِرَت أقمشته على قَبْره وعُلِّقَ سلاحه وأمتعته على الحِيطان حواليه وكلُّها ما بين مُرَصَّع ومُكَلَّل ومُزَرْكَشٍ، ولها قيمٌ عَظيمةٌ جدًا، وعُلِّقت قَناديلُ الذَّهَبِ والفِضَّة بسَقف المدرسة ومن جُمْلتها قِنْديلٌ من ذَهبٍ زِنته أربعة آلاف مِثْقال، وهي رطل واحد بالسَّمرقندي وعشرة أرطال بالدِّمشقي وأربعون رطلاً بالمِصْري وفُرِشَت المدرسةُ بالبُسُطِ الحرير والدِّيباج ورُتِّبَت القُراء لقراءة القُرآن الكريم على قَبْره، وأقيمت الخَدَمَةُ والبوابون ونحوهم، ورُتِّبت لهم مَعَاليم يومية وشَهْرية وسَنوية، ثـم نُقلت رِمَّته بعد مدة إلى تابوت من فولاذ عُملَ بشيراز، فصار قبرهُ إلى الآن تُحمل إليه النذور من الأعمال البعيدة ويُقْصد للتبرك به والدُّعاء عنده وطَلَب الحاجات، وإذا مَرَّ على هذه المدرسة أميرٌ أو جليلٌ خَضَعَ ونَزَلَ عن فَرَسِهِ إجلالاً لقَبْر تَيمور وإكرامًا له لما له في صُدُورهم من العَظَمة.

ولقد بلغ أمرُه أنَّه لما جَهَّز العَسكر قبل موته لبناء قَلْعة باش خُمْرة، فَطَنت طوائفُ المُغْل بما يُريده من أخْذهم، فشتتوا في البلاد وتَعلَّقوا بالقِلَاع ورؤوس الجبَال وامتنعوا بالحُصُون والمغارات وتَوَزَّعُوا في تلك الرِّمال بحيث عمَّ الشتات جميعَ أهْلِ المَشْرق وبلاد الخَطَا إلى حدود الصِّين لشِدَّةِ خَوْفهم من بَطْشه، فإنَّه أهلكَ العالمَ شَرقًا وغَرْبًا وكأنَّه المعنيُّ بقول القائل:

تكـادُ قِسِيُّـهُ مـن غيـرِ رامٍ ... تمكـن فـي قلـوبهـم النِّبـالا

تكـادُ سُيُوفُـه مـن غَيـرِ سَلٍّ ... تَجِـدُّ إلـى رِقَـابهـم انسـلالا

تكـــادُ سَـــوابـــق[١] تغنـــي عـــن الأقـــذارِ صَـــوْنًـــا وابتـــذالا

وكان طويلَ القامةِ في غاية الطول كبير الجَبْهة، عظيمَ الهامةِ، شديدَ القوَّة، أبيضَ اللون مُشْربًا بحُمْرةٍ، فَخمَ الأطْرافِ، عَريضَ الأكتاف، غَليظَ الأصابع، مُسْتكملَ البُنْيَة، مُسْتَرسلَ اللِّحْية، أشَلَّ اليَدِ أعرجَ اليُمنى ومن تَتَوَقَّدُ عَيناه جَهيرَ الصَّوْتِ، لا يَهابُ الموتَ. قد بَلَغَ الثَّمانينَ وهو ثابتُ الجأشِ قويُّ البَدَنِ كأنه صَخْرةً صَمَّاءُ. وكان لا يحبُّ المُزَاحَ، ويَبْغَضُ الكذَّابَ، ولا يميلُ إلى اللَّهو، ويُعجبُهُ الصِّدْقُ ولو كان فيه ما يَسوؤُهُ. وكان لا يَأْسى على ما يَفُوتُهُ ولا يَفرحُ بما يَجيئهُ.

وكان نَقْشُ خَاتمه «راسْتى رستي» ومعناهُ: صَدَقْتَ نَجَوْتَ، وكان مَيْسمُ دَوابِّهِ وسِكَّتُهُ على الدِّينار والدِّرْهمِ ثلاثَ حِلَقٍ هكذا[٢] .

وكان لا يَجْري في مَجْلسه شيءٌ من الكلامِ الفاحِشِ، ولا يُذكَرُ فيه سَفْكُ دمٍ، ولا سَبْيٌ، ولاَ نَهْبٌ، ولا غارةٌ.

وكان شجاعًا مِقْدامًا مُهابًا مُطاعًا يُحبُّ الشُّجْعانَ ويُقَدِّمهم. وكانت أفكارهُ وتَدبيراتهُ لا تكادُ تُخطىء، وكانت لهُ فراساتٌ عَجيبةٌ، وله سعدٌ عَظيمٌ، وحظٌّ سعيدٌ، وجَدٌّ، وبَختٌ خارجٌ عن الحدِّ. وكان له عَزمٌ ثابتٌ وفَهمٌ دَقيقٌ. وكان مِحجاجًا، جَدلاً، سريعَ الإدراكِ، رَيِّضًا، مُتيَقِّضًا، يفهمُ الرَّمزَ ويُدركُ اللَّمْحةَ، ولا يَخفى عليه تَلبيسُ مُلبِّسٍ، ولا يمشي عليه تَدليسُ مُدلِّسٍ. وكان يُفرِّق بِفراستِهِ بين المُحِقِّ والمُبْطلِ ويدركُ النَّاصحَ له والغاشَّ بِدُربتهِ ودرايتهِ حتى إن كان ليَهْدي النَّجمَ الثَّاقبَ بأفكاره، ويستغني عن كُلِّ سَهمٍ صائبٍ بفِراستهِ.

وكان إذا أمرَ بشيءٍ أو أشارَ بشيءٍ لم يُردَّ عنه بوجهٍ من الوجوه، وإذا عَزمَ على أمرٍ لا ينثني برأيه عنه لئلا يُنسبَ إلى قِلَّةِ الثَّباتِ وركَّةِ الرأي، فلذلك كانَ إذا قال قَولاً أو أشارَ إشارةً نزلَ أصحابهُ بذلك مَنزلةَ النصِّ القاطع.

---

(١) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه.

(٢) رسم الناسخ ثلاث دوائر على شكل مثلث رأسه إلى الأعلى.

وكان يقال له: صاحبُ قِرانِ الأقاليمِ السبعةِ، وقَهرمانُ الماءِ والطينِ، وقاهرُ الملوكِ والسلاطين.

وكان مُغرمًا بسماع التَّواريخ وقصصِ الأنبياءِ عليهم السلام، فَتُقرأُ عليه باللُّغة الفارسيةِ سَفرًا وحَضرًا حتى صار لمعرفتها يَرُدُّ على القارىء إذا غَلطَ فيها.

وكان يُحبُّ العلمَ والعُلماءَ، ويقرِّبُ السادةَ الأشرافَ ويُدني منه أربابَ الفضائل في العلوم والصَّنائع، ويُقَدِّمُهم على كلِّ أحدٍ، وكان يُنْزلُ كلَّ أحدٍ منزلَتَهُ ولا يُعَدِّيه إلى غيرها. وكان انبساطهُ حينَ يَنْبسطُ بهيبةٍ ووقارٍ، وكان يباحثُ أهلَ العِلْمِ، فينصفُ في بحثه. وكان يحب أربابَ الصنائع، ويَبغضُ بِطَبعهِ الشُّعراءَ والمُضْحكينَ ويعتمدُ على أقوالِ الأطباءِ والمُنَجِّمينَ ويُقرِّبهم حتى أنه لا يتحركُ حركةً ولا يَعملُ عَملاً إلا باختيار فَلكي فلذلك زَعمَ أصحابُه أنه لم تُرَدَّ له رايةٌ ولا انهزمَ له عَسكرٌ مُدّةَ حياته.

وكان يلازمُ اللعب بالشّطَرنج، ثم عَلَت هِمَّته عن المُلاعبة بالشَّطَرنج الصغيرِ وهو المُتداولُ بين النَّاسِ، وصارَ يلعبُ بالشطرنج الكبير ورُقعتهُ عَشرةٌ في أحدَ عشر وتزيدُ قِطعُه على الصغيرِ بِحَملين وزُرَافتين وطَلِيْعَتين ودَبَّابَتين ووزير، وذلك أنَّ الشطرنجَ الصغيرَ الذي بأيدي الناسِ كلا شيء بالنسبةِ إلى الكبير.

وكان أُمِّيًا لا يقرأُ ولا يكتبُ ولا يعرفُ شيئًا من اللُّغةِ العربيةِ، وإنَّما يعرفُ اللغةَ الفارسيةَ والتُّركيةَ والموغوليَّةَ لا غير.

وكان يعتمدُ على قَواعدِ جنكز خان في جميع أُموره، كما هي عادةُ جقتاي وأهل الدَّشْت والخَطَا وتُركستان بأسرهم، فإنهم جميعهم إنَّما يعملونَ بقواعدِ جنكز خان ويُسمونها تَورا، والتَّوْرا بلغةِ المُوغول: المَذْهبُ.

وكان فَردًا في معناه، بعيدَ الغورِ، لا يُدركُ لبحرِ فِكرهِ قَعرٌ ولا

يُعرفُ له أمرٌ، قد قَرَّرَ في ممالكه نواميسَ لا تُغَيَّرُ بوجهٍ من الوجوه، ورَتَّبَ عدة جَواسيسَ من سَائرِ الطَّوائفِ أعلاها وأدناها بَثَّهُم في أقطارِ الأرض، فَداخَلوا ملوكَ المَشْرق والمغرب، وأُمراء الدَّولِ، وأعيانَ كلِّ مدينةٍ وعامَّتها، حتى عرفوا جميعَ أحوالها، وطالعوهُ به مُراسلةً ومُشافهةً، ومياهَها، وأحوالَ المُدنِ، وهيئة أسواقِها ومسالِكِها، وزيَّ أهلها، وأحوالَ مُلوكها وعساكرها ورعاياها، ثم يتصرفُ في ذلك بفكره حتى إذا دخَل مدينةً واجتمعَ به أحدٌ من أعيانها شَرَع يَسألُه عن فُلانٍ وفُلانٍ وما جَرَى في تلك المدينةِ من الوقائع والحوادثِ والحروب ونحو ذلك، بحيث يحسبُ ذلك السَّامعُ أنه كان حاضرًا ومشاهدًا لما يُحَدِّثُ به.

وكان يَطرحُ على العُلماءِ مُغالطاتٍ ويحكي صُورَ مباحثٍ، حتى يَظُنُّونَ أنه من أئمةِ العُلماءِ، وممن له قَدمٌ راسخةٌ في العِلْم، كلُّ ذلك بقوةِ فَهمهِ وجودةِ فِكرهِ واقتداره على إبراز ما يختارُ، وله في كلِّ ذلك أخبارٌ عجيبةٌ ونوادرُ بديعةٌ، منها ما أخبرني به شيخنا الأستاذُ العلامةُ أعجوبةُ الزمانِ قاضي القضاة وليُّ الدين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خَلْدون الحَضْرميُّ الإشْبيلي رحمه الله، قال: أخبرني زينُ الدين عبدالجبار بن نعمان الدين، قال: ركبَ الأميرُ تَيمور في يومِ الخميسِ وأمرني، فركبتُ وليس معه سوى رجلٍ واحدٍ في رِكابه، وسارَ من مُعسكَرِهِ وهو نازلٌ على مدينةِ دمشقَ، وقَصَدَ عسكر المِصْريين وهم قيامٌ على خُيولهم، حتى دنا منهم، ثم وقفَ طويلاً وأمرَ الرَّجلَ الذي في رِكابه أن يمضي نحوَ العَسكرِ المِصْريِّ حتى يَقْرُبَ منه، ثم يَرجعُ إليه فيخدمُه بانحنائه كأنَّه يُقبِّلُ له الأرضَ ففعلَ ذلك وتَمَهَّلَ قليلاً قليلاً ثم لَوَى عنانَ فَرَسهِ عائدًا إلى مُعسكره، وقال لي: يا عبدالجبار هؤلاء يهربون في هذه الليلة، ونَزَل بمُخَيَّمه وأقَمْنا يومنا، فلما كان في اللَّيل جاءَتنا الأخبارُ بفرارِ الملك الناصرِ فَرَج بن برقوقَ وأمرائه، فخرج من مَبْيتهِ وصِرنا إليه مع أمرائه لَيْلاً، فسألته من أين عرف الأميرُ أنهم يهربون؟ فقال: إني لما سِرتُ لرؤيتهم لم أرَ لهم كَشَّافةً، فدنوتُ منهم وتأمَّلْتُهم، فإذا هم

طوائف طوائف، فأردتُ أن أُعْلِمَهُم بمجيئي إليهم، فأمرتُ الرَّجُلَ حتى مضى نحوهم، ثم عاد إليَّ وخَدَمني كما تُخدم الملوك، فلم يفطنوا بي، هذا وأنا مُحاربهم ولا شيء عند المحارب أهمَّ مِمَّن يُحاربُه، فلما عَلمتُ أنَّهم غَيْرُ مهتَمِّين بي وأنهم مع ذلك كلُّ طائفةٍ مُنْضَمَّةٌ بعضُها إلى بعضٍ، علمتُ أنهم في أمر يَهُمُّهم ولا شيء إلا فِرارهُم، فهم مُهْتَمُّونَ كيفَ يَفرُّون. ومنها أنه لما نزلَ على مدينةِ سيواسَ وامتنعت عليه، قال لعسكره: إنا نَفتحُ هذه المدينةَ بعد ثمانيةَ عشر ليلةً، فكان كذلك.

وكان ذا مُغَالطاتٍ إذا دَهَمه أمرٌ يُريدُ دَفْعَهُ أظْهَرَ أنه راغبٌ فيه وكان كثيرًا ما يُظهرُ الزُّهدَ في شيءٍ وهو يريدُه، وكان إذا قَصَدَ موضعًا وَرَّى بغيره وعَمَّى عنه.

قال لي ابن خَلْدون: قال لي عبدالجبار: من حَدَّثَكَ أنَّ تَيمورَ إذا رَحَلَ يُعرِّفُ أحدًا أين يقصد، فلا تُصدِّق، ومن حَدَّثك أنه يَعْلمُ متى يَنزلُ إذا رَحَلَ فلا تُصدِّق، ومن حَدَّثَكَ أنَّه إذا نَزَلَ متى يرحل فلا تُصَدِّق. وكان يجمعُ أهلَ المَشُورةِ كلَّهُم ويَعرضُ عليهم ما نَزَلَ به، فيسمعُ آراءهم، فإذا اتَّفَقُوا على شيءٍ فَضَّهُم، ثم جَمَعَ أخِصَّاءَه فقط وهم سُليمان شاه وقُمارى وسيف الدين والله داذْ وشاه مَلِك وشيخ نور الدين، فَمَخَّضَ الرأي مَعَهم في ذلك الأمرِ حتى يَقعَ الاتفاقَ على شيءٍ، فيُمضيه حينئذٍ، فلذلك كانت أمورُه سديدةً واقعةً على وُفْقِ مُرادهِ، وكان إذا أرادَ المسيرَ إلى جهةٍ ووقعَ الرَّحيلُ وأخذَ الناسُ في المسيرِ إلى الجهةِ التي وقعَ الاتفاقُ عليها، أخذ هو وحاشيتُه في المَسيرِ إلى جهةٍ أخرى لم يُبْدِها لأحدٍ من أخصائه فلهذا كان لا يُعَرِّفُ أحدًا إذا سارَ متى يَنْزل ولا إذا نَزَلَ متى يَرحلُ ولا إلى أين يتوجَّه إذا سارَ، وكان لا يُفْشي له سِرًّا ولا يُعْلِمُ أحدًا له أمرًا بحيث إنَّه إذا رَحَلَ، فأخذَت عساكرُه شَرْقًا أخذ هو غَرْبًا، فتضطرب تلك العساكر التي هي كأمواج البَحْرِ كثرةً وتَخْتَبطُ وتَنْعطفُ من

مسيرها إلى حيث هو سائرٌ، وكان يَقْصد بهذا أنه إن كان لأحدٍ من أعدائهِ عينٌ عليه، فإنه إذا سارَت عساكرُه أخذت إلى جهةٍ من الجهاتِ طارَ حينئذٍ بخبر مَسِيرها إليه، فيتأهب إمَّا للقائه أو إلى الفرار منه، فإذا سار هو إلى غيرِ تلك الجهة لم يَشعر عدوُّه به إلا وقد طَرَقه بَغْتةً من جهةٍ لم تَخْطُر بباله قَطُّ. وله في هذا العملِ من المَكائدِ والمَكْرِ الذي لم يَفْطُن به أحدٌ وخَفيَ على كلِّ فطنٍ ما لا يُعدُّ كَثرةً. من ذلك أنه لما نزلَ على دمشقَ تجاه العَساكرِ أشاعَ أنه قَلَّ عنده الزَّادُ والعَلَفُ بحيث أعوزَهُ ذلك، ثم رحل عن مَوْضعه يُوهم أنَّه يقصدُ جِهةَ بغداد حتى يَطْمَئنوا، ثم يَطرقُهم بَغْتةً على حين غَفْلةٍ، فلم يحوجوه إلى ذلك وفَرُّوا. واتفقَ أنه لما دخلَ بلادَ الهندِ نازلَ قلعةً منيعةً لا تُرامُ لعُلُوِّها، وتَعذَّرَ النُّزول حولها، فناوشَ أهلها من بعيدٍ، وهم يرمونه من أعلاها حتى قَتَلوا كثيرًا من العَسْكر، وكان من جماعته محمد قَاوْجين، وكان عنده بمكانٍ مكينٍ وله به اختصاصٌ زائدٌ بحيثُ يُقَدِّمُه على جميع الأمراءِ والوُزراءِ. فجلسَ على عادته يُلاعبُه الشِّطْرَنْجَ، فقال: يا مولانا هَبْ أنَّا فَتَحنا هذه القَلْعة بعد أن أُصيبَ منا جماعةٌ، هل يفي هذا بذا. فلم يُجبْهُ تيمور بل طَلَبَ رَجُلًا من مَرْقَدَاريَّة المَطْبخ قَبيحَ المَنْظر زريَّ الحالِ وَسِخَ الثِّياب مُسْوَدَّ الوَجْهِ واليدين بالدُّخان يقال له: هراملك، فعندما وَقَعَ بصرُه عليه أمر بنزع ثياب قاوجين عنه، فنُزِعَت، ثم أمر بنزع خلقان هراملك، فنُزِعَت وألْبسَ كلًّا منهما ثيابَ الآخر، وطلب دَواوين محمد قاوجين وألزمهم بتعيين ماله من صامتٍ وناطقٍ وعَقارٍ وإقطاعٍ وغير ذلك، فكتبوا جميعَ ماله وما يتعلقُ به ويُنسَبُ إليه حتى زوجاته، فأنعم بالجميع على هراملك ثم أقسمَ لئن كَلَّم أحدٌ قاوجين أوماشاه أو أكلَ معه لُقْمةً فما فوقها أو راجعني في أمره أو شَفعَ فيه لأجْعَلَنَّه مِثْلَهُ. ثم أمر به فَسُحبَ على وجهه وطُردَ، فأقامَ في أسوأ حالٍ حتى مات تَيمور، فرَدَّ عليه السلطانُ خليل ما كان له، كل ذلك من أجل أنه اعترضَ عليه في شيءٍ فعلَهُ، فلهذا وأشباهه لم يكن أحدٌ

يراجعُه في شيءٍ ولا يَعْتَرِضُ عليه بقولٍ ولا رأيٍ، بل كانت حالةُ جميع خاصَّتِه وعامَّته مَعهُ مُنْقَادينَ له انقيادًا لا اختيارَ لهم فيه، حتى لقد أخبرني ابن خَلْدون: أنه شاهدَ وهو معه بظاهرِ دمشقَ إذا أمر بعقوبةِ أحدٍ لا يحتاجُ إلى القَبْضِ عليه بل يقف المُعَاقَبُ صابرًا لما يحلُّ به من العقوبةِ حتى يَهلكَ أو يُكَفَّ عنه.

وكانت لتَيمور من الهَيْبَة ووفورِ الحُرْمةِ وزيادةِ العَظَمةِ على حالةٍ لا بعدهَا بعدُ، بحيث إبراهيم شيخ ملك شِرْوان وخواجَة عليّ ابن المُؤَيَّد الطُّوسي سُلطان خراسان وإسفَنْدِيار الرُّومي وابن قَرَمان وابن كَرَمْيان وطَهَرْتن حاكم أرْزَنْكان ومُلُوك فارس وملوك أذَرْبَيجان ومُلوك الدَّشْت وتُركستان والخَطَا وبلخشان وملوك مازَنْدران، إذا قَدموا بهداياهم جَلَسوا في الخِدْمةِ نحوًا من مَدِّ البَصَرِ من خِيامه، فإذا أرادَ أحدًا منهم بَعَثَ إليه رجلاً من الفَرَّاشين ونحوهم من الخَدَم، فيخرج من بين يديه وهو يَعْدو أشد ما يُمكنه من العَدْو، ثم يُناديه من مكانٍ بعيدٍ باسمه، يا فلان فينهض في الحالِ قائمًا على قَدَميه: لَبَّيْك ويَمُرُّ يَجْري جَرْيًا شديدًا نَحوه وقد انخلع قَلْبُه من الخَوفِ، وصار يَتَعَثَّر في أذياله حتى يقفَ مُطْرقًا وجلاً لا يَدْري ما يحلُّ به، فإذا أمره بشيءٍ ورَجعَ إلى مَوْضعه صارَ له الفَخْرُ على أقرانه بأن دَعَاهُ تَيمور وأهَّلَه للوُقوف.

ولقد بلغ من تَعْظيمِ أصحابه له أن جلسَ جماعةٌ للَّعِبِ بالنَّردِ، فقال أحدُهم: ورأس الأمير تَيمور لقد كان كذا وكذا لشيءٍ اختلفوا فيه، فَضَربهُ خَصْمُه وسَبَّه وقال له: يا كذا، بلغ من قِلَّةِ أدبك وسُوءِ تَرْبيَتكَ أن تَذْكُرَ الأميرَ تَيمور؟ ومن أنتَ ومن أنا حتى تَجعل خَدَّك أو أجعل خدِّي مَوْطىء مَدَاسهِ فَضْلاً أن تَحْلفَ برأسه؟ إنَّهُ والله لأجلُّ[1] من أن يتفوه مثلي ومثلك باسمه، بل هو أعظم من كَيْخسرو وكيقاوس وكَيْقباد، وأفخمَ من بُخْت نُصَّر وشَدَّادَ بن مُعاذٍ. وضَرَبَ مَرَّةً حَلقة صَيْدٍ، فانضمَّ فيها من

(١) كتب تحت هذه اللفظة لفظة: «لأذل» دلالة على قراءة أخرى.

الوحوشِ المختلفةِ الأنواعِ ما لا يَعْلمها إلا الله تعالى لكثرتها، فلما انحصرت في الحَلْقَةِ ودُقَّت الطُّبولُ وزَعَقت البُوقاتُ ونُقرت الكُوسات بحيث امتلأت أقطارُ الأرضِ من دَوِيِّها، دُهِشَت تلك الوُحوش لِهَوْلِ ما سَمِعت وانضمَّ بعضُها إلى بعضٍ من كَثْرةِ الخَوْف وشِدَّة الذُّعْرِ والفَزَع، فنادى الأطفالَ من أولاده وأولاد الأُمراء أن يَرموا تلك الوحوش، فتبادروا لِرَميها وأتباعُهُم تَتَناولها وتَيمور يَنْظرهم ويُعْجبُ بهم، وإنما أراد بذلك أن يُشَجِّعهم ويُمرِّنَهم على سَفْكِ الدِّماءِ ويجرِّئَهم على الإقْدام.

وأخبرني ابن خَلدون: أنه جاءه قومٌ من عسكره وهو مَعهُ خارجَ دمشقَ، فحالما وقفوا بين يديه أمرَ بهم، فقُتلُوا عن آخرهم، وسَببُ ذلك أنه بَعثهُم في جماعةٍ لِنَقْبِ موضعٍ في قَلعةِ دمشقَ وهو يُحاصرها، فسقط علواء النَّقبِ عليهم، فهلكوا ونجَا منهم هؤلاء وأتوه لِيُعْلموه فقال لهم: ولم لا وَقَفْتُم حتى هلكتم أنتم أيضًا وقَتَلهم، ولهذا ومِثْله كان عَسْكرهُ لا يَنْهزمُ منهم أحدٌ، فإنَّ من انهزمَ قَتَله.

وكان يُحمل إليه البلخش من معدِّيةٍ ببلخشان والفَيْرزوج من نيسابور وكازرون وخُراسان، والياقوتَ من الهندِ، والألماسَ من السِّندِ، واللؤلؤَ من هرموز، واليشتم والمِسْك من الخَطَا، والذَّهبَ والفِضَّةَ من سائرِ الأقطارِ، فَحَوى من ذلك ما لا يَدْخلُ تحتَ حصرٍ ولا يَعْلمُ مِقدَاره إلا الله تعالى.

وأنشأ بسمرقند عدةَ بساتين وقُصُورًا جليلةً سَمَّى واحدًا: إرم، وآخر: زينة الدُّنيا، وآخرَ: جَنَّة الفِرْدوس، وآخرُ: بُسْتانُ الشمالِ، وآخر: الجَنَّة العُليا. وبَنَى في كل قَصْرٍ من هذه القُصُور موضعًا صَوَّرَ فيه هيئةَ مجالسه وأشكالَ صُورته تارةً ضاحكةً وأُخْرَى عابسةً، وهيئةَ محاضراته ومجالسَ صُحبته مع المُلُوكِ والأُمراءِ والسَّادات والعُلماءِ ومُثولِ المُلُوكِ بين يَديه وَوُفودها من الآفاقِ إليه، وحِلَقَ مصائده ووقائِعِه في الهِنْدِ والدَّشْتِ والعَجمِ وسائرَ البلادِ وهيئةَ انتصارهِ وكيف انهزمَ أعداؤُه،

وصُورَ أولاده وأحفادِه وأمرائِه وأجنادِه وأتباعه ومجالسَ عِشْرته، وكاساتِ خَمْره وسُقاتِه، ومُغَنِّيْهِ، وحَظاياهُ وخواتينه وما جرى في ممالك الدُّنيا من مبدأ عُمُره. قَصدَ بذلك أن يُعْلمَ بحاله ويَقفَ على سيرتِه من لم يَرَه فجاءت من حُسن التَّصْوير شيئًا عَجبًا في حُسْنها وبديع وَضْعها، وكانت ثمارُ هذه البساتينُ جميعها مُسبلةً لكلِّ أحدٍ قلَّ أو جلَّ من سائرِ الناس، لا يباع منها شيءٌ.

وأنشأ بضواحي سمرقند ومعاملتها عدة قَصَباتٍ سمَّاها، بأسماءِ المُدُنِ الكبار، كمصرَ، ودمشقَ وبغدادَ، وسُلطانيةَ، وشيرازَ. وأنشأ في ضواحي سمرقند على طريق كش بُستانًا وبَنَى فيه قَصْرًا سمَّاه تَخْت قراجا، وبالغَ في سَعَةِ هذا البُستان وتَناهى في غِراسِ أشجاره على قَدرِ هِمَّته بحيثُ ضاع فيه فرسٌ لبعض مُنشديه مُدَّة ستة أَشهرٍ وصاحبُه يطلبه في البُستان هو وأتباعُه طَلبًا حثيثًا، فلم يجده إلا بعدَ هذه المُدَّةِ، وقد سَمُن من رعْيَتِه وتَوَفره عن الرُّكوب.

وكان لتيمور من النِّساء الملكَةُ الكُبرى والملكةُ الصُغرى وهما من بَنات مُلوك الخَطَا. وتُومان بنت الأمير موسى حاكم نَخْشَب، وجلبان ورُميَت بشيءٍ، فقَتلها، فأمَّا الملكتان فسمَّتهما شاد مَلك خَوفًا منهما على زَوجها السُّلطان خليل. وأما تُومان فحملها السلطان خليل إلى شيخ نور الدين وهو بسغناق. وكان له من السَّراري عددٌ كبيرٌ لا يدخلُ تحت حَصْرٍ.

وتركَ من الأولاد أميران شاه وقتله قَرَا يوسف، والقان مُعين الدين شاه رُخ صاحبُ هراةَ، واستقلَّ بالسَّلطنة بعد خليل، وترك ابنةً تُدعى سلطان بخت تزوج بها سُليمان شاه، وكانت[1] تكره الرِّجال لميلها إلى النِّساء، فَذُكرَ عنها في ذلك عدةُ أخبارٍ. وكان له من الأحفادِ أولوغ بيك ابن شاه رُخ وولاه أبوه سَمَرْقند، وإبراهيم سُلطان بن شاه رُخ، وولاه أبوه

---

(١) في الأصل: «وكان» سبق قلم من الناسخ.

شِيراز، وباي سُنْقُر بن شاه رُخ وولاه كِرْمان، وأحمد جوكي بن شاه رُخ، وسلطان خليل بن أميران شاه بن تَيمور، ووَلِيَ السَّلْطنة بعد تَيمور، وبير محمد بن[1] . . . .

وكانت دواوين تيمور: خواجه محمود ابن الشِّهَاب الهروي، وَمسعود السِّمْناني، ومحمد السَّاغوجي، وتاج الدين السَّلْماني، وعلاء الدولة، ومحمد الطُّوسي، في آخرين. ومُنْشِئُهُ، أعني كاتبَ سِرِّه، مولانا شمس الدين، وكان يُنْشِىء بالفارسية والعَرَبية، ولم يَكْتُب بعد تَيمورَ لأحدٍ، وقال: ذَهَبَ من كان يعرفُ قيمتي. وكان يَؤُمُّ به في الصَّلواتِ الخَمسِ عبدالجبار بن النُّعمان. وكان صَدرُ مملكته مولانا قطبُ الدين وغَيْرُه، وقارىءُ التواريخ مولانا عبيدٌ وطبيبهُ فضلُ الله، ثم شَرَكه جمالُ الدين رئيسُ الأطباءِ بدمشقَ لمَّا أخذه منها.

وكان لا يزالُ يستعملُ المعاجين المُقَوِّية للباهِ يَستعينُ بها على اقتضاض الأبْكارِ في الشَّيْخوخةِ.

وكان له عدةٌ من المُنَجِّمينَ، فلا يتحركُ حركةً إلا باختيارِ نُجُومي. واجتمعَ في أيامه بسَمَرْقند ما لا يجتمعُ لغيره، فمن ذلك الفقيهُ عبدالملك من أولادِ صاحبِ كتاب «الهداية» في الفقه، فإنه كان يُلقي الدَّرْسَ وينظمُ الشِّعْرَ ويُعَلِّم النَّردَ والشِّطْرنج في حالةٍ واحدةٍ دائمًا مدى الأيام، والخواجةُ محمدٌ الزَّاهد البُخاريُّ المُحَدِّث المُفَسِّرُ كتب تفسيرَ القرآن الكريم من تصنيفهِ في مئةِ مُجلدٍ وماتَ بالمدينةِ النبوية سنة اثنتين وعشرين وثماني مئة، وأحمد الطَّيِّب النَّحاس المُنَجِّم حَلَّ تقاويمَ من الزِّيج إلى مئتي سنة مستقبلة ابتداؤها سنة ثمان وثماني مئة، والمُحَدِّث علاءُ الدين التَّبْريزي بَلَغَ الغاية في التقدم في لعب الشِّطْرنج، حتى لقد كان تَيمورُ مع أنه عاليَ الرُّتْبة فيه جدًا، يقول له: أنت في الشِّطْرنج فريدٌ. وله في لعب الشطرنج وعِلْم مناصيبه كتابٌ جليلٌ. وكان فقيهًا شافعيًّا مُحدِّثًا لم يَغْلبه

(١) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه.

أحدٌ قطُّ في لعب الشطرنج، وكان يَلْعب به على الغائب مع اثنين، وكان يُلاعبُ تيمور بالشِّطْرنج الكبيرِ، ووضع شِطْرنجًا مُدَوَّرًا وآخرُ مُطاولاً، والشَّيخ العُريان عُمِّرَ ثلاث مئة سنة وخمسين سنةً، ولم يَنْحَنِ ظهرُه، ولا ظَهَرَ في وجهه تَجْعيدٌ ولا تَغَيّرَ، وكان أطلسَ لا لِحْيَة له، وكان عُمُرُه هذا شائعًا بينَ النَّاسِ لا يُنكرهُ أحدٌ لإخبارِ الجُمهورِ عن آبائِهم وأجدادِهم أنهم رَأوه من دهرٍ وهم أطفالٌ، وهو رجلٌ كبيرٌ.

وكان بمَسْجدِ الرِّباطِ، وهو مسافةُ يوم عن مدينةِ سمرقند، أُسْطوانةٌ من خَشبٍ طُولها خمسةَ عشر ذِراعًا وثُخنها بحيث لا تلتقي يدُ الرجل إذا حَضَنَها وهي ساقُ شجرةِ قُطْنٍ، وبها خاصِّيَّةٌ عَجيبةٌ وهي إذا وُضع منها قَدْرُ حبةٍ على الضِّرسِ الذي قد اشتدَّ وَجَعُه زالَ، وقد جَرَّبُوه مرارًا عديدةً.

وأخبرني الأديب الفاضلُ شهابُ الدين أحمد بن محمد بن عبدالله ابن عَرَب شاه جامعُ سيرةِ تَيمور عن مولانا محمود الخُوارزمي المعروف بالمُحَرِّق أنه حَكَى له عن تَيمور أنه قال له في مجلسِ خَلوةٍ: يا مولانا محمود انظر إلى ضعفي وقِلَّة حيلتي، لا يد لي ولا رجل، ولو رَمَاني أحدٌ لهلكتُ ولو تركني النَّاسُ لارتبكتُ، ثم تأمَّل كَيْفَ سَخَّر الله تعالى لي العبادَ ويَسَّر لي فَتْح البلادِ وملأ برُعْبي الخافِقَين، وأطارَ هيبتي في المشارقِ والمغاربِ، وأذلَّ لي المُلُوكَ والجبابرةَ، فهل هذا إلا مَنُّهُ تعالى؟ ثم بَكى وأبكاني قال: وكان مع ذلك قد اشتدَّت به الحُمَّى وهو ينظر إلى أصحابه وهم يحاصِرون حِصْنًا ويقتلون من فيه قَتْلاً ذَريعًا. ومما قيل في تَيمور بالفارسية ما مُعَرَّبُهُ:

قد أظهرَ قُدْرَةً بخافي حُكْمِهِ من مَلَك شِقَّا الدُّنيا في قَسْمه
لا كَفَّ له والمُلْكُ في خاتمه لا رِجْلَ له والبَخْتُ موطىءَ قَدمهِ

وكانت عساكرُه وجنودُه قد سُخِّرت لهم الخَبَايا والدَّفَائن، فإذا عَبَرُوا مَوْضعًا وفيه شيءٌ من ذلك، فكأنما يشير إليهم مشيرٌ إليه حتى

يأخذوه بغيرِ مَشَقَّةٍ. وكانت عَساكرُه تركبُ الأبقارَ وتحمل عليها الأثْقالَ وتركب الحَمِيرَ بالسُّروج وتُسَابق عليها وعلى البَقر أربابَ الخُيول العَرَبياتِ، فتسبقُها. وكانت تُطْعِم الجِمَال التي معها لحومَ الكِلَاب والأغْنام وتَعْلفُ خيولها الأرزَ والدُّخنَ والبُرَّ والزَّبيب والعَدَس ولحاءَ الشَّجَرِ، فتسمن.

وبالجملة، فلقد كان تيمور فردًا من أفرادِ العالمِ بعَثهُ الله لتخريب البِلَاد وإهلاك العِبَاد جزاءً لهم بما كَسَبت أيديهم، وما ربُّك بظلامٍ للعَبيد، والله أعلم.

حرف الثاء

٣٧٨- ثابت بن نُعَيْر بن مَنْصور بن جَمَّاز بن شِيْحة بن سالم ابن قاسم بن جَمَّاز بن قاسم بن مُهَنَّا بن الحُسين بن مُهَنَّا بن داود بن القاسم بن أبي عليّ عبدالله بن أبي القاسم طاهر ابن الفقيه المحدث النَّسَّابة أبي الحُسين يحيى بن الحسن بن جعفر حُجةِ الله بن عُبيدالله ابن الحُسين الأصغر ابن زين العابدين أبي الحسن عليّ بن الحُسين السِّبْط ابن أمير المؤمنين أبي الحَسَن عليّ بن أبي طالب عليهم السَّلام، الأمير عزُّ الدينِ أبو قَيْس، الشَّريفُ الهاشميُّ الحُسَينيُّ الطَّاهريُّ، أميرُ المدينةِ النَّبوية على ساكنها محمد رسول الله صلواتُ الله وسلامُه[1].

اعلم أن المدينةَ النَّبويةَ طِيْبَةَ، المُسَمَّاةَ في الجاهليةِ يَثْرِبَ، كانت أوَّلاً بيد اليَهُود، ثم نَزَلَها الأوسُ والخزرجُ وهم الذين قيل لهم في الإسلام الأنصارُ، وغَلَبوا اليهودَ عَلَيها. وجاءَ الإسلامُ وهيَ بأيدهم واليهودُ نازلونَ معهم، كما ذَكَرْتُه في كتاب «إمتاعُ الأسماعِ بما للرسولِ من الأبناء والأخوالِ والحَفَدةِ والمَتَاع» ﷺ.

فلما هاجرَ رسولُ الله ﷺ من مكةَ إلى المدينة، وهاجَر الصَّحابةُ رضي الله عنهم إليها صارت دارَ الهجرة، فلما ماتَ رسولُ الله ﷺ لم يَجْعل الله تعالى للأنصار خلافةَ رَسوله، وإنما خَلَفَه في أُمَّته المهاجرونَ أبو بكرٍ، ثم عُمر، ثم عُثمانُ، ثم عليٌّ رضي الله عنهم، فتَفَرَّقَ الأنصارُ في أقطارِ الأرْضِ من أجلِ خُروجهم من المدينةِ إلى غَزْوِ الكُفَّار وانقرضوا، فلم يبقَ منهم إلا بقايا مُتَفرِّقين بنواحي الحجاز وغيرها.

وولي إمارةَ المدينةِ بعد الخلفاءِ الراشدين العُمَّالُ من قِبل بني أميةَ،

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ١١١، والنجوم الزاهرة ١٣/ ١٧٣، والمنهل الصافي ١/ ٤٤٤، والضوء اللامع ٣/ ٥٠، ووجيز الكلام ١/ ٤٠٠.

ثم من قبل بني العَبَّاس، وكان بها من أولاد الإمام أبي عبدالله الحُسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم جماعةٌ كثيرةٌ، تَنَاسَلُوا بها من ابنه زين العابدين بن أبي الحَسَن عليّ بن الحُسَين منذ استَقَّر بها في أيام يزيدِ بن معاويةَ، وقد قُتلَ أبوه السَّيد الحُسَين وإخوته بكَرْبَلاء، ولم يَبْقَ من وَلَده سوى علي زين العابدينَ، فكانت الرِّياسةُ بالمدينة بين بني الحُسَين وبين (بني)[1] جَعْفر بن أبي طالبٍ، ثم غَلَبَ بنو حُسَين بني جعفرٍ وأخرجوهم من المدينةِ فسَكَنوا بين مكَّة والمدينةِ إلى أن أجلاهم بنو حَرْبٍ من بُطون زَبيدٍ إلى القُرى، فنزل بصعيدِ مصرَ جماعةٌ من الجَعَافِرَة، وأقامَ الحُسَيْنيون بالمدينة إلى أن جاءَهم طاهرُ بن مُسلمٍ من مِصْر، فمَلَّكوه عليهم واستمرت الإمرةُ فيهم إلى يومنا هذا.

وبيانُ ذلك أن زينَ العابدين عليَّ بن الحُسين كان له من الوَلَدِ سبعةٌ هم: عبدالله الأرْقَط، وعليّ، وعُمر، وزَيْد الإمام الشهيد، ومحمد البَاقر، وعبدالله الأفْطَح، والحُسين الأصغر، وهو الأعَرج أبو جعفر المُلَقَّب حجةُ الله، أحدُ أمراءِ المدينةِ، وكان قد أقطعهُ السَّفَّاح البَنْدشير خراسان ومُغَلُّها في السنة ثمانون ألف دينار. ثم زاده محمدٌ المهديُّ إقطاعًا بالمدائن، وذلك لأنَّ أبا مُسلمٍ الخُراساني دعاهُ للخِلافةِ. فرمَى نَفْسَهُ من السَّطْح ليفرَّ منه، فانكسرت رِجْلُه وعَرَج، فرَعَى له ذلك السَّفَّاحُ وبَنُوه، وكانت له ضَيْعَةُ الجَوَّانِيَّة بالمدينة النبوية وتُسَمَّى البصرةَ الصُّغرى، وترك من الوَلَد جعفرًا حجةَ الله ومحمدًا الجَوَّاني في آخرين نَزَلوا الكوفةَ واستقرت الضَّيْعةُ لمحمدٍ الجَوَّانيِّ وبه سُمِّيت، اشتَرَاها من الورثةِ، وكان له من الولدِ الحَسَن والحُسين، فصارت للحَسَن وكانا يَصْحبان محمدَ بن عليّ الرِّضا بن موسى الكاظِم بوصيةِ عليٍّ الرِّضا لابنه بذلك، فكان لا يفارقهما ويَرْكبُ إليهما إلى الجَوَّانِيَّةِ، وجعفرُ حجةُ الله، هو أصلُ بيت بني مُهَنَّا أُمراء المدينة. ومن وَلَده الحَسَن بن جعفر بن

(١) ما بين الحاصرتين إضافةٌ منا لا يستقيم النص بدونها.

عُبيدالله بن الحُسَين الأصغر. ومن وَلَد الحَسن بن جعفر أبو الحُسَين يحيى ابن الحَسَن بن جعفر بن عُبيدالله، وكان فقيهًا يُحْمَد بأنسابه وله كتابٌ في نَسَبِ آل أبي طالب، وكتابٌ في أخبار المدينة النَّبَويَّة، وقفتُ عليه وانتقيتُه، وهو الذي أصْلَحَ بين بني جَعْفَر وبني الحَسَن والحُسين، ومَضَى في ذلك إلى والي المدينةِ يومئذٍ أحمد بن يعقوب الهاشمي، خال بني الجَوَّاني، فأذِنَ له فيه وسارَ إليهم إلى وادي القرى، فأصلحَ بينهم، وتوفي سنة سبع وسبعين ومئتين عن ثلاثٍ وستين سنةً.

كان ابنه أبو القاسم طاهر بن يحيى بن الحَسَن بن جَعفر بن عُبَيْدالله، قد سادَ في عَصْره وبَنى في العَقِيق دارًا ونَزَلَها حتى ماتَ سنة ثلاثَ عَشَرَة وثلاث مئة، وكان له من الوَلَد عُبيدالله ويُدعى زائدًا، والحَسَن، فرَحَلَ الحَسَنُ إلى الأمير أبي بكرٍ محمدِ بن طُغُج الإخشيد بمصرَ وأصلَحَ بينه وبين الأمير محمد بن رائق وسيف الدولة بن حَمْدان، فأقطَعه الإخشيدُ ما يَغِلُّ مئة ألفِ دينارٍ، وسكنَ مصرَ، وكان له من الولدِ طاهرُ بن الحَسَن بن طاهر بن يحيى، ومَدَحَهُ أحمد أبو الطيب المُتنبي بقوله: أعيدُ وإصباحي فهو عند الكواعب.

وتوفي عُبيدالله بن طاهر سنةَ تسع وعشرين وثلاث مئة، وخَلَّفَ ابنه أبا جعفر محمدًا ويُلَقَّبُ «مُسَلَّم»- بضمِّ الميم وفَتْح السين وتشديد اللام وفتحها- كان صديقًا للأستاذِ أبي المِسْك كافور الإخشيدي أمير مصرَ ولم يكن بها يومئذٍ أوجهُ إلا أن عبدالله بن أحمد بن عليّ بن الحَسَن بن إبراهيم طَباطَبا الحَسَني، كان يُضاهيه في رياسته.

فلما اختلَّ أمرُ الدَّولةِ الإخشيديَّة بعد موت كافور دَعَا الشريف مُسَلَّمٌ هذا للإمام المُعِزِّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ وهو يومئذٍ بالقَيْروان، فلما قَدِمَ المُعِز لقيه مُسَلَّم بالحَمَّام خارج الإسكندرية فيمن لقيه فأكرَمُه المُعِزُّ وأركَبهُ في مُعادلَتِه واختصَّ به وبولده وتوفي سنة ستٍ وستين وثلاث مئة، وصَلَّى عليه العزيز بالله ابن المُعِز. وذكر الشريفُ نقيبُ النقباءِ أبو عليٍّ محمد بن أسعد بن عليّ الجَوَّاني في كتاب «نُزْهة القَلْب المُهَنَّا في

نسب الأشراف بني مُهَنَّا» ومنه نَقَلْتُ ما تَقَدَّم، قال: وفي كتاب العُتْبي مؤرخ دولة محمود بن سُبُكْتِكين بأن المعزَّ خطَبَ كريمةَ مُسَلَّم هذا، فرَدَّه فسَخَطهُ المعز ونَكَبَهُ وهلكَ في اعتقاله: وليس هذا بصَحِيح.

وكان لمُسَلَّم من الوَلَد أبو الحُسَين طاهر وأبو عبدالله جعفر، فلحق طاهرٌ بالمدينة وقَدَّمَه بنو حُسَين على أنفسهم، فاستقلَّ بإمارتها سنين، وكان يُلَقَّب بالمَليح، وأثنى عليه الشريفُ أبو الغَنائم النَّسَّابة، وتُوفي سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة. ووَلِيَ بعدَهُ ابنُهُ الحَسَن بن طاهر أبو محمد، ثم غَلَبَهُ على إمارة المدينة بنو عَمٍّ أبيه أبي أحمد القاسم بن عُبَيْدالله، وهو أخو جدِّه مُسَلَّم، واستقلُّوا بها.

وكان لأبي أحمد القاسم من الولد داود ويُكْنَى أبا هاشم وعِنْد العُتْبيِّ: أنَّ الَّذي وَلِيَ بعد طاهر بن مُسَلَّم بالمدينة هو صِهْرُه وابنُ عَمِّه داود بن القاسم بن عُبَيدالله بن طاهر، وكَنَّاه أبا عليٍّ، ويظهر أنه غَلب الحَسَن عليها، لأن الجَوَّاني قال بعد أن ذكر الحَسَن بن طاهر ونَعَتَهُ بالأمير، وقال: وَفَدَ على بَكْجور بدمشقَ وأهدَى له من شَعْر النَّبي ﷺ أربع عشرةَ شعرةً، ثم رحل إلى محمود بن سُبُكْتِكِين، فأقطعَه واستقرَّ عنده إلى أن تُوفي ببُسْت، وكان سَنَةَ سبع وتسعين وثلاث مئة بعُمَان.

وكان لداود بن القاسم من الولد: هاني، ومُهَنا، والحُسين؛ في ما قال الجَوَّاني.

وقال العُتْبي: وَلِيَ هاني ثم مُهَنَّا، وكان الحُسين زاهدًا.

وذكر الجَوَّاني هنا أميرًا آخر منهم قال فيه: الأمير أبو عُمارة حَمْزَة أميرُ المَدِينة لَقِيَهُ أبو الغَنائم النَّسَّابة بالمدينة سنة ثمانٍ وأربع مئة وأثنَى عليه، قال: وخَلَّف الحَسَن بن داود الزَّاهد ابنَه هاشمًا، ووَلِيَ المدينة سنة ثمان وعِشرين وأربع مئة من قِبَل المُسْتَنْصر، قال: وخَلَّف مُهَنَّا بن داود عُبَيْدالله والحُسين وعُمَارة، فَولي بعده ابنه عُبيدالله، ولقِيَه أبو الغَنائم النَّسَّابة سنة ثمانٍ وأربع مئة وموالي الهاشميين بالبَصْرةِ. ثمَ وَليَ الحُسَين وبعده ابنه مُهَنَّا بن الحُسين.

وقال ابنُ سعيدٍ في سنةِ تسعين وثلاث مئة مَلكَ المدينةَ أبو الفتوح الحسن بن جعفر من بَني سُلَيْمان أمراء مكةَ بأمر الحاكم بأمر الله، وأزالَ إمارةَ بني مُهَنَّا مـن بَني الحُسينِ وحاولَ نَقْـل الجَسَد النبوي إلى مصرَ ليلاً، فأصابتهم رِيْحٌ عاصفةٌ أظْلَمَ لها الجَوُّ، وكادت تَقْتَلعُ المبانيَ من أصْلها، فرَدَّهم أبو الفُتوح عن ذلك ورجعَ إلى مكةَ وعادَ بنو مُهَنَّا إلى المدينةِ.

وذكر الجَوَّاني من أمرائهم: منصور بن عُمارة، ولم يَنسِبْهُ. وقال صاحبُ حماة[1]: مات سنة سبع وتسعين وأربع مئة، ووَلِيَ بعده ابنه، والظاهر أنه من عُمارة بن مُهَنَّا بن داود الذي مَرَّ ذكرُه، لأن أبا الغَنَائم لقيَ أباه عُمارةَ سنة ثمان وأربع مئة كما مَرَّ.

ثم وَلِيَ من بعد الحُسَين بن مُهَنَّا ابنه مُهَنَّا، قال فيه الجَوَّاني: أميرُ المدينةِ، وكان به من الوَلَد الحُسين وعبدالله وقاسم، قال: ووَلِيَ الحُسَين المدينةَ. وماتَ عبدالله قَتِيلاً في وقعةِ نَخْلَةٍ، وذَكَرَ منَ وَلَد الحُسين: منصور بن محمد بـن عبدالله بن عبدالواحد بن مالك بن الحُسين ونَعَتَهُ بالأمير، وذَكَرَ أنه وَفَد على العاضد. ونَعَت أباه محمدًا بالأمير. وذكر منهم داود ابن مُهَنَّا بن الحُسين، وذكر من ولد عبدالله بن مُهنا بهاءَ الدِّين كاسب وكَنَّاه بأبي حَرَام، ونَعَته وأباه بالأمير، وقال: وَفَدَ على العاضِد مع بني عَمِّه وزَاره صلاحُ الدِّين. وذكر قاسم بن مُهنا وكَنَّاه بأبي الحسن ونَعَته بالأكرم جمالُ الشَّرف فخرُ العرب صنيعة أمير المؤمنين. وذكر صاحب حماة[2]: أنَّ القاسم بن مُهَنَّا بن حُسين كُنيته أبو فُلَيْتة وأنَّه حَضَر مع السُّلطان يوسُف بن أيوب غَزاة أنطاكية وفَتْحها سنة أربع وثمانين وخَمْس مئة.

وقال الزَّنْجاني مؤرخ الحجاز، وقد ذكر أُمراء المدينة، فقال:

---

(١) في كتابه المختصر في أخبار البشر.
(٢) المختصر.

وأَحَقُّهم بالذِّكر لجلالة قَدْره: قاسم بن مُهنَّا، ولاَّه المُسْتضيء، فأقام خمسًا وعشرين سنة، ومات سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، ووَلَّى ابنه سالم بن قاسم.

وذكر الجَوَّاني من وَلَد قاسم بن مُهنَّا سالمًا هذا وجَمَّازًا وهاشمًا ومُهنَّا، ونَعَت كلاً منهم بالأمير. ونَعَت سالمًا بأمير المدينة. وذكر من ولد جَمَّاز قاسمًا وفُلَيْتَه ومُهنَّا، وذكر من قاسم: سالم بن قاسم وفيه قال ابنُ سعيد: إنَّه وَلِيَ بعد أبيه قاسم بن جَمَّاز، قال: وكان شاعِرًا وهو الذي كان بينه وبين أبي عزيز قَتَادة صاحب مكة من بني حَسَن وَقْعة المَصَارع ببدر سنة إحدى وست مئة زَحَفَ أبو عَزيز من مكة وحاصَرَهُ بالمدينة واشتدَّ في حصاره، ثم ارتحلَ وجاء المَدَدُ إلى سالم من بني لام إحدى بُطون طَي، فأدرك أبا عزيز ببَدْر واقتتلوا، فهَلَك من الفريقين خَلْقٌ، وانهزمَ أبو عزيز إلى مكةَ وسالم بن قاسم في اتّباعه وحاصَرَهُ مثل أيام حصاره بالمدينة. ثم رَجَع عنه.

وفي سنة ثنتي عشرة وست مئة حَجَّ المُعَظَّم عيسى ابن العادل أبي بكر ابن أيوب، فجَدَّدَ المَصَانع والبِرَك، وكان معه سالم بن قاسم أمير المدينة جاء يشكو من قَتَادة، فرَجَع معه ومات في الطَّريق قبل وصوله المدينة.

ووَلِيَ بعده ابنه شِيْحة، وكان يتعالم، قد استخدم عَسْكرًا من التُّركمان، فمَضَى بهم جَمَّاز بن شِيحة إلى قتادة وغَلَبَهُ. وفَرَّ إلى يَنْبُع وتَحَصَّنَ بها.

وفي تاريخ مكة: أنَّ شِيحة أمير المدينة بعثَهُ السُّلطان المَلك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب مع عَسْكرِهِ لإخراجِ رَاجح بن قَتَادة من مكة سنة تسع وعشرين وست مئة. ثم وَصَل إلى مكةَ في ألف فارس جَهَّزهم السُّلطان الملك الصَّالح نجم الدِّين أيوب ابن الكامل في سنة سبع وثلاثين، فأخَذَها من نُواب صاحب اليَمَن، قال: وكانت ولايته المدينةَ بعد قَتْل قاسم بن جَمَّاز بن قاسم بن مهنَّا جَدّ الجَمَامِزة، فثار عليه عُمَيْر بن قاسم بن جَمَّاز في سنة تسع وثلاثين، ففَرَّ من المدينة، ثم

عادَ وملكها حتى مات مَقْتُولاً بيد بني لام في سنة سبع وأربعين وست مئة.

فلما قُتل شِيْحةُ وَلِيَ ابنه عيسى بن شِيْحة، ثم قَبَض عليه أخوه جَمَّاز بن شِيْحة في سنة تسع وأربعين ووَلِي مكانه.

وقال ابن سعيد: وفي سنة إحدى وخمسين وست مئة، كان بالمدينة أبو الحُسين بن شِيْحة بن سالم.

وقال غيره: وكان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وست مئة أبو مالك مُنيف بن شيحة ومات سنة سبع وخمسين، ووَلِيَ أخوه جَمَّاز وطال عُمُره وعَمي ومات بعد السبع مئة.

وفي تاريخ مكة: جَمَّاز بن شِيحة بن هاشم بن قاسم بن مُهنَّا بن حُسين بـن مُهنَّا بن داود بن قاسم بن عُبيدالله بن طاهر الأمير عز الدِّين وَلِيَ بعد وفاة أخيه مُنيف بن شِيْحة سنة سبع وخمسين وست مئة، ثم انتزعها منه ابـنُ أخيه مالك بن مُنيف بن شِيْحة سنة ست وستين، فاستنجدَ عليه عَمُّه بأمير مَكَّة وغيره من العُرْبان، فلم يقدروا على نَزْعه ورَحَلوا عنه عَجْزًا، فأسْلَمَها إليه ابـنُ أخيه مالك بن مُنيف، فاستقلَّ جَمَّاز بإمارتها من غير مُنَازع حتى سَلَّمها هـو لابنه الأمير مَنْصور بن جَمَّاز في سنة سبع مئة لأنَّه كان أضرَّ وشاخَ وضَعُف، ثم مات في سنة أربع وسبع مئة. وكان حازمًا ذا رأي وهِمَّة عالية، وهو الذي حاصرَ مكةَ وأخذها من بني نُمَيّ.

فقام منصور بن جَمَّاز بإمْرةِ المدينة إلى أن قُبِض عليه في موسم سنة عشر وسَبْع مئة، وحُمل إلى القاهرة ولَحِق أخواه مُقبل وَوُدَى ابنا جَمَّاز بالشَّام، ثم قَدِم مُقْبِل إلى القاهرة والقائم بأمر الدولة الأمير بَيْبَرس الجاشَنْكير، فاشتركَ بينهما في الإمرة والإقطاع وسارَ إلى المدينة، فأقامَ مُقْبل بين أحياء العرب ونَزَل منصور المدينة، ثم غاب عنها وأقامَ عليها ابنه كُبَيْشًا، فهجم عليه مُقْبِل وملكها، وفَرَّ كُبَيْش، فاستجاشَ العربَ وزَحَف إلى عَمِّه مُقْبل، فقتلَهُ في سنة تسع ورَجَعَ منصور إلى المدينة

ولحق ماجد بن مقبل بأحياء العَرَب، فأقام بينهم يجلب على المدينة ويُغير على عَمِّه منصور متى خَرَج من المدينة واستنجد أيضًا بقَتَادة بن إدريس بن حَسَن صاحب يَنْبُع، فكانت بين منصور وبين قتادة حروب شديدة في سنة إحدى عشرة آلت إلى مسير ماجد إلى المَدِينة وأخْذها من مَنْصور في سنة سبع عشرة.

فكتب منصور إلى السُّلطان الملك النَّاصر محمد بن قَلاوون ملك مصر والشَّام والحجاز، فبَعَث إليه عَسْكرًا حاصر ماجدًا حتى فَرَّ من المدينة ومَلَكها منصور في رَبيع الأول منها. ثم تَنَكَّر عليه السُّلطان وعَزَله بأخيه وُدَى قَليلاً، ثم أعادَه، فأقام على ولايته إلى أن ماتَ قتيلاً في شَهر رَمَضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة، قتله قريبٌ له على غِرَّة وله من العُمر سبعون سنة ووَلِيَ عِوَضه ابنه كُبَيْش بن منصور بن جَمَّاز وإلى مَنْصور هذا يرجع بنو حُسين بالمدينة وذلك أنَّه كان له من الوَلَد: طُفيل، وجَمَّاز، وعطية، ونُعَيْر، وزيَّان، وكُوَيْر، وكَبِيش، وكُبَيْش، فمن ولد طُفَيْل بن منصور آل طفيل وذكر منهم يحيى بن طُفيل بن منصور، ومن ولد جَمَّاز بن منصور آل جَمَّاز وهم آل هبة بن جَمَّاز وآل ميلب بن جَمَّاز وآل شقيع بن جَمَّاز، فمن بني هبة بن جَماز بن منصور الأمراء بالمدينة وهم جَمَّاز، وسُليمان ابنا هبة بن جَمَّاز، وعزيز بن هَبَازع بن هبة بن جَمَّاز، وخَشْرَم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جَمَّاز بن مَنْصور. ومن ولد عطية بن منصور بن جَمَّاز بن شيحة الأمراء أيضًا، وهم: آل عطية بن منصور وهم عطية بن منصور، ومحمد بن عطية بن منصور، ومانع بن عليّ بن عطية بن منصور. ومن نُعَيْر بن منصور بن جَمَّاز بن شيحة آل نُعَيْر. وهم: ثابت بن نُعَيْر صاحب الترجمة وعَجْلان بن نُعَيْر. ومن وَلَد زيَّان بن منصور بن جَمَّاز بن شيحة آل زيَّان، منهم: زُهير بن سُليمان بن زيَّان بن مَنْصور ونُفَيْش بن عَمِيرة بن زيَّان ومحمد بن زيَّان بن منصور بن جمَّاز. ومن وَلَد كُوَيْر بن منصور بن جَمَّاز آل كُوَيْر، وهم: مَخْزُوم بن

كُوَيْر. ومن ولد كَبِيش بن منصور آل هدف بن كَبِيش ويُعْرفون بالهدفان، ومن ولد كُبَيْش بن مَنْصور الآخر آل جريس.

فإذا عرفتَ ذلك فاعلم أن كُبيش بن منصور بن جَمَّاز لما وَلي بعد أبيه حاربَهُ عَسْكر بن وُدَى في صَفَر سنة سبع وعشرين، ففرَّ إلى القاهرة ومَلَك المدينة وُدَى بن جَمَّاز بن شِيْحة، فقُبِض بمصر على كُبَيْش وسُجِنَ، ووَلِيَ عوضه بالمدينة طُفَيْل بن منصور بعدما قُتل كُبيْش في يوم الخميس سَلْخ رَجَب منها. فقَدِم طُفيل المدينة في حادي عِشْري شَوَّال، فأقام ثماني سنين وثلاثة عشر يومًا، ووَلِيَ عوضه وُدَى بن جَمَّاز في سنة ست وثلاثين واستمر إلى سنة ثلاث وأربعين، فمَلك طُفيل المدينة عَنْوَةً واستمر وُدَى مَعْزُولاً حتى مات في سنة خمس وأربعين، ثم عُزل طُفيل عن المدينة في سنة خمسين، فنَهَبها أصحابُه وفَرَّ هو، ثم قَدِمَ القاهرة، فسُجن حتى مات في شَوَّال سنة اثنتين وخمسين.

وكان الذي وَلِيَ بعد عَزْله الأمير سَعْد بن ثابت بن جَمَّاز، وقَدِم المدينة يوم الثلاثاء ثاني عِشْري ذي الحجة سنة خمسين، . فشَرَع في عمل الخَنْدق حَوْل المَدِينة من وراء السُّور، فمات ولم يُكمله في ثامن عِشْري رَبيع الآخر سنة اثنتين وخمسين.

فوَلِيَ بعده فَضْل بن قاسم بن جَمَّاز بن شِيْحة حتى مات في سادس عِشْري ذي القَعْدة سنة أربع وخمسين، وقد أكمل عَمَل الخَنْدق.

فوَلِيَ بعده مانع بن عليّ بن مسعود بن جَمَّاز بن شيحة، ثم عُزل بجَمَّاز بن منصور بن جَمَّاز بن شِيحة، فاستمر جَمَّاز حتى قُتل بيد الفداوية أيام السُّلطان الحسن بن محمد بن قَلاوون في حادي عشري ذي القَعْدة سنة تسع وخمسين، قتله فداويان لما حضرَ لخدمة المَحْمَل، فاتفق أُمراء الرَّكب بعد قَتْله على تَوْلية ابنه هبة بن جَمَّاز حتى يَرِد مرسومُ السُّلطان وكتبوا بالخَبَر إلى السُّلطان، فوَلَّى عِوَض جَمَّاز مانع بن عليّ بن مسعود، وهو يومئذ بالقاهرة، ثم عُزل وهو بها، ووَلِيَ عطية بن منصور

ابن جَمَّاز بن شيحة وحُمل إليه التَّشريف والتقليد من مصر، فقدما في ثامن رَبيع الآخر سنة ستين إلى المدينة، فاستقرَّ حتى عُزل بابن أخيه هبة ابن جَمَّاز بن منصور في سنة ثلاث وسبعين، وقُبْضَ عليه وأُعيد عَمُّه عَطِيَّة بن مَنْصور حتى مات سنة ثلاث وثمانين بالمدينة. وفيها مات أيضًا هبة بن جَمَّاز بعد ما أُفرج عنه ولَحِقَ بأهله.

فوَلِيَ بعد عطية جَمَّازُ بن هبة بن جَمَّاز بن منصور، ثم شركه في الإمرة ابنُ عَمِّه محمد بن عَطِيَّة بن منصور في سنة خمس وثمانين بعد تَغلُّب جَمَّاز عليها، وانفرد بالإمـرة، ثم عُزل في سنة سبع وثمانين بمحمد بن عَطية حتى مات في جُمادى سنة ثمانٍ وثمانين، فأُعيد جَمَّاز وقَدِمها بعد أن كُسرت رجلُهُ وعَرَج وبعد محاربته محمد بن عَطِيَّة، ثم انتزعت المدينة منه ليلاً في غيبته عنها لأيام من شهر ربيعٍ[1] سنة تسع وثمانين.

ووَلِيَ ثابت بن نُعَير بن منصور صاحب الترجمة وأقام جَمَّاز الأعرج خارج المدينة، ثم أُعيدَ في صَفَر سنة خمس وثماني مئة بعدما قُبض عليه وأقام في السِّجن بالإسكندرية من سنة تسع وتسعين وسبع مئة إلى أن أُفْرِجَ عنه وأُعيد. فقَدِم المدينة في جُمادى الآخرة من سنة خمس، ثم أُعيد ثابت في رَبيع الأول سنة إحدى عشرة وجَعَل السُّلطان الملك النَّاصر فَرَج بن بَرْقُوق النَّظر على ثابت وعلى أمير يَنْبُع وجميع بلاد الحجاز للشريف حسن بن عَجْلان بن رُمَيْثَة الحَسَني أمير مكة، فلم يَصْل الخبرُ بذلك إلا وقد مات ثابت في صَفَر من سنة إحدى عَشرة وثماني مئة، ففَوَّض ابن عَجْلان إمارة المدينة لعَجْلان بن نُعَيْر بن منصور في آخر رَبيع الآخر، وقد زَوَّجَهُ ابنته وبَعَثَ معه عَسْكرًا من مكة عليه ابنه أحمد بن حسن بن عَجْلان، فدخلوا المدينة من النِّصف من جُمادى الأولى بعد خُروج جَمَّاز منها بأيام وأخذ حاصل المَسْجد النَّبوي وقناديل الذَّهب والفِضَّة كما ذُكِرَ في ترجمته.

---

(١) هكذا في الأصل، لم يذكر المصنف أي الربيعين.

٣٧٩- ثابت بنُ محمد بن أحمد بن عليّ، أبو بكر بن حَبِيب العَزَازيُّ الجَرَائحيُّ[١].

ولد في شَعبان سنة ستٍّ وعشرين وسبع مئة. سمع «جزء» الحسن ابن عَرَفة على المشايخ الأربعة وعشرين. وحدَّث به.

توفي[٢]....

---

(١) ترجمته في: المجمع المؤسس، الترجمة ٧٢، والضوء اللامع ٣/ ٥٠.

(٢) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه، ولم يذكر ابن حجر ولا السخاوي وفاته.

حرف الجيم

٣٨٠- جار الله بنُ صالح بن محمد بن أحمد بن عبدالكريم الشَّيْباني المَكيُّ[١].

سمع من التَّاج عُثمان بن محمد ابن بنت أبي سَعْد، ومن الشِّهاب الهَكَّاري، والعِزِّ بن جماعة، وحَدَّث. ومات سنة خمس عشرة وثماني مئة.

٣٨١- جانِبَك الأشْرَفيُّ، الأمير سَيْف الدِّين الدَّوادار، أحد مماليك السُّلْطان الملك الأشرف بَرسْبَاي[٢].

رَبَّاه صغيرًا، فلما تَسَلْطَن أنعمَ عليه بإمرة عَشرة، ثم نَقَله إلى إمرة طَبْلخاناه في محرم سنة ستٍّ وعشرين، وهو يومئذ خازِنْدار، وتوجه في شَعْبان منها إلى بلاد الشَّام لتقليد الأمير تِنبَك البَجَاسِيُّ نائب حَلَب نيابة الشَّام، ونَقْل الأمير شار قُطْلُو من نيابة حَماة إلى نيابة حَلَب، وتقليد الأمير جُلُبَّان نِيَابة حَماة، فقَلَّدهم وعاد في ذي القَعْدة، وقد حَصَل له مالٌ كبير، فخَلَعَ عليه في سادس عِشْريِّه. واستقرَّ دوادارًا ثانيًا عِوَضًا عن الأمير قَرْقَماس المتوجه إلى الحجاز، فَنِيطَت به عامةُ أمور الدولة بأسرها وصارَ هو صاحب الحَلِّ والعَقْد لكثرة اختصاصِه بالسُّلطان، ومزيد قُربه منه، فلم تَكُن أمور الدَّولة متعلقة بأحد سِواه إلى أن ماتَ بعد مَرَضٍ طويلٍ في ليلة الخميس سابع عِشْري صَفَر سنة إحدى وثلاثين وثماني مئة. وكان

---

(١) ترجمته في: العقد الثمين ٣/ ٤٠٧، وذيل التقييد ١/ ٤٩٥، وإنباء الغمر ٧/ ٨٤، والمجمع المؤسس، الترجمة ٧٣، والضوء اللامع ٣/ ٥٢، وشذرات الذهب ٧/ ١١٠. واسمه في مصادر ترجمته: «جار الله بن صالح بن أحمد بن عبدالكريم» ليس فيه محمد بين صالح وأحمد، وقال السخاوي في الضوء اللامع: «ذكره المقريزي في عقوده بزيادة محمد في نسبه بعد صالح».

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ١٥٣، والضوء اللامع ٣/ ٥٤، ووجيز الكلام ٢/ ٥٠١، وبدائع الزهور ٢/ ١١٨.

لما مَرِض نقله السُّلطان من داره إلى عنده بالقَلْعة في مِحَفَّة. وأقام بها أيامًا حتى أبَلَّ من مَرَضه، ونزلَ إلى داره وهو ناقهٌ، فانتكس بعد أيام، ولما احتُضِرَ نزَلَ إليه السُّلطان ليلاً وأقامَ عنده حتى قَضَى، فبَكَى عليه وعادَ ليلاً إلى القَلْعة، ثـم عاد طلوع الفَجْر حتـى حَضَرَ غَسلَهُ وتكْفينَهُ، ثم رَكِب تجاه نَعْشه والنَّاس بين يديه إلى أن صُلِّي عليه ودُفن بمدرستِهِ التي أنشأها خارج باب زَويلَة قريبًا من جامع قُوصون، ولم يبلغ ثلاثين سنة.

وكان يَقظًا، شَهْمًا، ذكيّا، فَطِنًا، حادًّا، خَفِيفًا، كثيرَ الزَّهو والإعجاب، تُحدِّثُهُ نفسُهُ بأمور لم تُقَدَّر له.

صَحِبْتُهُ في حجتي سنة خمس وعشرين وثماني مئة، ووعَظْتُه مرارًا، فكان يُصْغي لوَعْظي ويريد الاجتماع بي، فلم تَمِل نَفْسي إلى صُحْبته، ورَغب في ذلك مِرارًا بعد عودنا من الحج، فحماني الله ووقاني. وهو الذي حارب الشَّريف مُقْبل أمير يَنْبُع في هذه السنة وتَعَدَّى فيه وفي من معه وجارَ، ويقال: إنَّه لما قَبَض الأمير جَقْمَق على السُّلطان وهو يومئذ بدمشق وسَجَنَهُ، أرغب جانِبَك هذا بكل ما يميل أمثاله ليأخذه، فإنِّي ربيت مع السُّلطان في خدمته أيام محنته فرعى له ذلك وتأكدت محبته فيه.

٣٨٢- جانِبَك بن حُسين بن محمد بن قَلاوون، الأمير سَيْفُ الدِّين ابن الملك[(١)] . . . ابن السُّلطان الملك النَّاصر ناصر الدِّين الملك المنصور سَيْف الدِّين[(٢)].

وُلِدَ بقَلْعة الجَبَل، وأنْعَم عليه أخوه السُّلطان الملك الأشرف شَعْبان ابن حُسين بإمرة طَبلخاناه أيام سَلْطَنته، فلما زَالَت دولة بني قَلَاوون أُخرجت عنه الإمرة، وأقامَ فيمن أقامَ من بني قَلاوون بقَلْعة الجَبَل، ولهم فَضُولُ أموالٍ ومُرَتَّباتٍ سُلْطانية وإقطاعات، وكان يقال لهم: الأسْياد.

---

(١) بيض المصنف بعد هذا ولم يعد إليه.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ١٥٤، والضوء اللامع ٣/ ٥٣.

وبلغت زيادتهم على ست مئة، فلم يَزَل عددهم يقلُّ ومالُهم يَنقُص وسعدُهم يُدْبر وجاههُم يَضْمَحِل حتى صاروا إلى ضيقٍ بعد جاه عَريض ودواليب كثيرة لاعتصار قَصَب السُّكر ببلاد الصَّعيد، ومطابخ للسُّكر بمدينة مصر، وخُدَّام طواشية، لهم عدد كثيرٌ وأموال جَمَّة، وتخدمهم عدة مباشرين يُعرفون بمُباشري الأسياد، لكل كبير من الأسياد ديوان مُفْرد، وهم في رَغَد عَيْش ونِعَم دارَّة وتوسّع زائد، ثم أنزلهم السُّلطان الملك الأشرف بَرْسْباي من القلعة إلى القاهرة، فسكنوا في الحارات والخِطَط، وتَبَذَّلوا بعد التَّحجب، وامتُهِنُوا بعد العِزِّ، وصار أكثرُهم إلى حالٍ سيئةٍ.

وكان جانِبك هذا هو قُعْدُدُهم لا أحد أقرب نَسَبًا منه إلى النَّاصر محمد بن قلاوون، فجعله السُّلطان من جُلَسائه ونُدمائه حتى مات يوم الخَميس سادس عِشْري شَعْبان سنة إحدى وثلاثين وثماني مئة، وقد أناف على سَبعين سنة، فانهدَّ لبني قلاوون بموته رُكنٌ كانوا يأوون إليه ويلجؤون إليه.

٣٨٣- جُرْجي الإدريسيُّ النَّاصريُّ، الأمير سَيْف الدِّين[١].

تَنَقَّل في الخِدم إلى أن صار في الأيام الصَّالحية إسماعيل بن محمد ابن قَلَاوون دوادارًا صغيرًا، فلما قامَ المُظَفَّر حاجِّي بالسَّلطنة استقرَّ به دَوادارًا كبيرًا في جُمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة، فلما قُتل المُظفَّر في شَهْر رَمضان أُخرج جُرْجي من القاهرة على إمرة عَشرة بدمشق واستقرَّ الأمير طَشْبُغا عِوَضه دوادارًا ثم أُعيد إلى القاهرة وأُنْعِم عليه بإمرة طبلخاناه واستقرَّ حاجبًا ثانيًا عِوَضًا عن الأمير طَشْتَمُر القاسمي، فلما كانت الأيام النّاصرية حَسن بن محمد بن قلاوون، استقرَّ خازِنْدارًا وذلك في سَلْطَنته الثانية إلى أن كانت الأيام الأشرفية شَعْبان بن حسين بن محمد

---

(١) ترجمته في: السلوك ٣/ ١٩٢. والذيل على العبر للعراقي ٢/ ٣١١، والدرر الكامنة ٢/ ٧١، ولحظ الألحاظ ١٥٥ والنجوم الزاهرة ١١/ ١٠٤، وبدائع الزهور ١/ ١٠٣.

ابن قَلاوون استقرَّ أميرآخور، ونُقِل منها في شهر رَجَب سنة ست وستين إلى نيابة حَلَب عِوَضًا عن الأمير سَيْف الدِّين إشقْتَمُر المارِديني، واستقرَّ عِوَضه أمير آخور الأمير يعقوب شاه ، فباشرَ نيابة حَلَب مُبَاشرةً مشكورةً وغزا في سنة سبع وستين قَلْعة خَرْبَرت من ديار بكر وبها الأمير خليل ابن الأمير قراجا بن دلغاد التُّركماني، فلما أشرفَ على واديها، إذا هو عَجَبٌ من كثرة الخِصْب واتِّساع الجوانب وبه غَوْطة عظيمة في الطّول والعَرْض ذات مياه غَزِيرة ولها قَلْعة مُحْكمة في غاية الامتناع، فحاصرها وزَحَفَ عليها مرارًا ورَماها بالمَجانيق والسِّهام مدةَ أربعة أشهر، فلم يَنَل منها غَرَضًا، وآل الأمر إلى نُزول الأمير خليل من القَلْعة بالأمان من السُّلطان وسار إلى القاهرة، فأُكرِمَ وخُلِعَ عليه، وقد عادَ الأمير جُرْجي بالعسَاكر إلى حَلَب، فلم يَزْل بها إلى أن خُلِعَ على الأمير سَيْف الدِّين مَنْكلي بُغا الشّمسي في ثالث عشري صَفَر سنة ثمان وستين بنيابة حَلَب عِوَضًا عن جُرْجي وأُنعِمَ على جُرْجي بإمرة مئة وتَقْدمة ألف بدمشق واستقرَّ بها أميرًا كبيرًا حتى مات بها في صَفَر سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة، ولم يبلغ ستين سنة.

٣٨٤- جَكَم الملك العادل أبو الفُتُوح عبدالله، أحد المماليك الظَّاهرية[(١)].

تَرَقَّى في خدمة الظَّاهر بَرْقُوق حتى أنعم عليه بإمرة طبلخاناه في العِشرين من رَبيع الآخر سنة إحدى وثماني مئة، فمات الظَّاهر في شَوَّال وثارَ الخاصكية بالأمراء، ومن جُمْلتهم جَكَم هذا ، فعَمِل أحد رُؤوس النُّوب في خامس ذي القَعْدة وخرَج مع السُّلطان والأمراء إلى حَرْب الأمير تَنَم نائب الشام، فلما انهزمَ الأمير تَنَم على الجيتين سارَ جَكَم على البَريد إلى دمشق، فقَدِمها أول شَعْبان سنة اثنتين وثماني مئة، وقَيَّد الأمير أيْتَمُش

---

(١) ترجمته في: إنباء الغمر ٦/ ٢٤، والنجوم الزاهرة ١٣/ ٥٨، ووجيز الكلام ١/ ٣٨٨، والضوء اللامع ٣/ ٧٦.

ومن معه من الأمراء الذين انهزموا وسجَنَهُم بالقَلْعة، ونادى في النَّاس بالأمان وكَفَّ عادية المماليك السُّلطانية ومَنَعَهُم من التَّعرض إلى أحدٍ، ونادى فيهم ألاّ يَدْخل أحد منهم إلى مدينة دمشق، فلما عاد السُّلطان والأمراء إلى القاهرة من دمشق بعد وَقْعة تَنَم أنعم على جَكَم بإمرة مئة وتَقْدمة ألف على إقطاع الأمير دُقْماق بحُكم انتقاله إلى نيابة حَماة، فلم يَزَل إلى أن خَرَج السُّلطان الملك النَّاصر والأُمراء إلى حَرْب تَمرلنك في رَبيع الآخر سنة ثلاث وثماني مئة أقامَ جَكَم فيمن أقامَ من الأُمراء بديار مصر إلى أن عادَ النَّاصر والأُمراء مهزومين، فلما كانَ يوم السبت سابع شَوّال منها استدعى النَّاصر الأمراء إلى القَلْعة، فلما صاروا بالقَصْر عَيَّن جماعة من الخاصكية للسَّفَر إلى الشَّام على أخبار وأمريات هناك، فراجعه الأمير نَورُوز وغيرُه في إعفائهم من السَّفر، فأَبَى إلاَّ سَفَرهم وبَعَثَ إليهم بمناشيرهم، فلم يقبلوا ذلك، فغَضِبَ النَّاصر، وأصبح الخاصكية الذين عُيِّنُوا للسَّفَر في يوم الأحد وقد صاروا في نحو الألف من إخوتهم ودَخَلوا على الأمير نَوْرُوز، ثم على الأمير سُودون المارِديني رأس نَوْبة وحَدَّثوهما في الإقامة، فركب سُودون المارِديني معهم إلى الأمير يَشْبُك الدَّوادار وحدثه في إعفائهم من السَّفر، فامتنعَ وقال: لا بُدَّ من سَفَرهم وأغلظ في الرَّدِّ وهَدَّد من تأخر عن السَّفر بالقَتْل وأمره بمراجعة السُّلطان، فصَعِدَ من عنده إلى القَلْعة وسأل السُّلطان في ذلك فأبى إلا سَفَرهم وبَعَث إليهم بذلك، فثاروا بأجْمعهم على قاصد السُّلطان وتَناوبوا ضَربَهُ وأدموه حتى كاد يَهْلك. ومن لُطف الله به أنَّ المماليك رأوا الأمير قُطْلوبُغا الكَرَكي والأمير آقْباي قد نزلا من القَلْعة فَعَدَلا إليهما وضَرَبُوهما، فانهزمَ آقْباي والتجأ ببيتِ الأمير يَشْبُك وسقطَ قُطُلوبُغا من شدة الضَّرب عن فرسه، فحُمِلَ إلى داره واستعدَّ النَّاس لوقوع الحَرْب، فنادى في الأمراء وسائر المماليك السُّلطان بصعودهم كُلِّهم إلى القلْعة من الغَد وهدد مَن تأخر بالقتل، فصَعِد يَشْبُك وقُطْبوبُغا آقْباي ونَـوْرُوز إلى القَلْعة عشاءً وباتوا بها إلا نَوْرُوز فإنَّه عادَ إلى منزله. وأصبح النَّاس يوم الاثنين

تاسعه وقد طلعَ الأمراء وغالب المماليك إلا الأمير جَكَم وسُودون الطَّيار وقانِباي العلائي وقَرْقَماس الإينالي، وتَمربُغا المَشْطوب وجُمُق، وعِدَّة من أعيان المماليك، منهم يَشْبُك العُثماني، وقُمُج وبَرسْبُغا وطَرَاباي في نحو الخمس مئة، فإنَّهم لبسوا آلة الحَرْب، ووقفوا تحت القَلْعة ثم توجهوا إلى بِرْكةِ الحَبَش وأقاموا عليها يومهم ومن الغد، ولحق بهم الأمير سُودون طاز وأميرآخور ليلة الأربعاء بمماليكه وأتباعه، وأخذ ماكان بالإسطبل من الخيول السُّلطانية معه، فنَزَل السُّلطان في يوم الأربعاء إلى الإسطبل من الخيول السُّلطانية معه، فنزلَ السُّلطان في يوم الأربعاء إلى الإسطبل وبَعَثَ إلى جَكَم بنيابة صَفَد، فقال: نحن مماليك السُّلطان وهو أستاذنا وابن أستاذنا وليسَ فينا أحد يخالفه ولكن لنا غُرماء يخلي بيننا وبينهم، يريدُ يَشْبُك الدَّوَادار ومن معه، فلما سمع يَشْبُك هذا بَكَى وبَكَت أتباعه، فبعَث السُّلطان إلى جَكَم بالأمير نَوْرُوز ومعه قاضي القُضاة ناصر الدِّين محمد بن الصَّالحي الشَّافعي في الصُّلح، فامتنعَ وثَبَتَ على طلب غُرَمَائه، ومنع نَوْرُوز من العَود، فلمّا رَجَع القاضي بذلك تخَلَّى السُّلطان عن يَشْبُك، وقال له: دُونك وغرماءَك، فنزل إلى داره ثم رَكِب إلى السُّلطان، فلم يمكنه من الطُّلوع إليه ومَنَع المماليك من الوقوف معه، فَتَخَبَّروا عنه وتركوه، فأقبل جَكَم ونَوْرُوز في جُمُوعهم وحملوا على يَشْبُك، فانهزمَ ونُهِبَت دارُه ودُورُ أتباعه وقبَضَ عليهم الأمير جَكَم، ثم قَبَض عليه وبعثهم جميعًا إلى الإسكندرية، فسُجنوا بها.

واستقر في يوم الاثنين تاسع عشره دوادارَ السُّلطان عِوَضا عن يَشْبُك وقَرَّرَ أتباعَهُ من الأمراء في وظائف أصحاب يَشْبُك وصارَ إليه أمور الدَّولة وأخذ إقطاع يَشْبُك في سادس عشر منه وتتبع حواشي يَشْبُك وأتباعه من الأمراء وغيرهم وأخرجهم من مِصْر وأقام نامُوسًا زائدًا وصار هو والأمير نَوْرُوز والأمير سُودون طاز كُبراء الدَّولة، وأخذ في مجافاة السُّلطان ومخاشنة القَوْل له ونادَى بالقاهرة ومصر في يوم الخميس ثامن عشر ربيع الأول سنة أربع وثماني مئة من ظُلِم أو قُهِر عليه بباب الأمير

جَكَم الدَّوادار، فمال النَّاس إليه وتَحكم في عامة الأمور، وزاد على ما كان عليه يَشْبُك من الأمر والنَّهي واستبدَّ بأحوال المملكة وخَشُن جانبُهُ، فنافَرَهُ سُودون طاز، وتَوَحَّش ما بينهما إلى أن كان يوم الجُمُعة ثاني شَوَّال منها لَبِسَ الجميع آلة الحَرْب ونَزَل السُّلطان إلى الإسطبل مع سُودون طاز ووَقعَ القتال بين الفريقين، ثم دخل بينهما الخليفة المتوكِّل على الله وشيخ الإسلام سراج الدِّين عُمر البُلْقيني وقُضاة القُضاة، فكَفُّوا عن القتال وحَلفوا في يوم السبت وصَعِد الأمير نَوْرُوز في يوم الاثنين خامسه إلى القَلْعة وقَبَّلَ الأرضَ بين يدي السُّلطان واصطلح مع سُودون طاز، فخَلع عليه السُّلطان ونَزَل إلى بيته ومعه الأُمراء وصَعِد الأمير جَكَم إلى القَلْعة في يوم الخميس ثامنه وقَبَّل الأرض، فأمَرَه السُّلطان أن يُخرج الأمير قاني باي[1] من القاهرة لنيابة حَماة وأُحْضرَ إليه قَباءُ حَرِير بوجهين، مُطرَّز بطراز ذَهَب عَريض ليلبسه، فامتنع من لُبْسه، وقال: إذا أخرجتم صاحبي ما أعمل بالقَباء، ونَزَل من غير لُبْسه، وهو غَضْبان، فَخُلِع على الأمير الكبير بَيْبَرس ابن أخت الظَّاهر بَرْقوق وجعل إليه الحُكْم بين النَّاس والتَّحدُّث في الدَّولة وحمل إلى الأمير جَكَم تشريف قاني باي بنيابة حَماة، فلم يأخذه وطُلب قاني باي بمنزله، فلم يُوجد وفي الحال أخرج جَكَم خيامَهُ إلى بِرْكة الحَبش وخرجَ بعد العشاء وتبعه الأمير قاني باي المَذْكور وغيره من أتباع جَكَم ونحو الخمس مئة من المماليك السُّلطانية، ولحقَ بهم الأمير نَوْرُوز الحافِظِي والأمير تَمُرْبُغا المَشْطوب والأمير سُودون من زَادة في إخوتهم ومماليكم ليلة السبت فدُقت الكُوسات الحَرْبية بالقلْعة لاجتماع الأُمراء والمماليك، فأصبحوا يوم السبت لابسين تحت القلعة، ثم انفضوا بغير شيء، وعادوا من الغد ووواقعوا جَكَم بالقَرَافة، فقُتِلَ بينهم ثلاثة من المماليك في عِدَّةٍ من الغِلْمان وجُرح زيادة على ستين مملوكًا وأخذ منهم اثني عشر، فمنَّ عليهم جَكَم ورَجَع كلٌّ منهما عن الآخر، فتلاحق بجَكَم كثيرٌ من الأُمراء والمماليك، ونادى

---

(١) هكذا يكتب أيضًا.

الملك النَّاصر في المماليك بالعَرْض يوم الأربعاء، فلما أتوا للعَرْض ركب ومعه الخليفة وسُودون طاز إلى القَرَافة، وقَدَّمَ أمامَهُ ابن عَمَّته الأمير الكبير بَيْبَرس في نحو الألف، فلقى تَمُرْبُغا المَشْطوب وسُودون من زادة وعليّ بن إينال ويَشْبُك بن أزْدَمُر في عدة من المماليك السُّلطانية، فقاتلهم وقَبَض عليهم، وفرَّ نَوْرُوز وجَكَم وقاني باي، وعادَ السُّلطان إلى القَلْعة وله الغَلَبُ وسارَ جَكَم ونَوْرُوز في عِدَّة من الأمراء والمماليك إلى الصَّعيد ومعهم من العَرَب نحو الثلاث مئة. ثم عاد وأمراء لميون إلى الجيزة بعدَ يَوْمين، فأخذوا الخُيول السُّلطانية من الجشَارات في عِدَّةٍ من الهُجُن وأقاموا ثلاثة أيام، والسُّلطان يكاتبُهُم، فسار نَوْرُوز من الجيزة ودخل في الطَّاعة ليلة الثلاثاء العشرين منه، فقُرِّر في نيابة الشام، وكان قد استُدْعِيَ الأمير يَشْبك ومن معه من الإسكندرية، فبعثَ جَكَم في يوم الثلاثاء المَذْكور يطلب الإقامة بدِمْياط، فتوجه إليه الأمير إينال حَطَب وأحضَرَهُ من شبرامَنْت في ليلة الأربعاء وسُلِّم إلى سُودون طاز، فقيَّدهُ وحُمِلَ إلى الإسكندرية ليلة الخميس ثاني عشرينه، فأقـامَ بها مَسْجونًا إلى أن نُقِلَ إلى قَلْعة المَرْقَب قَريبًا من طرابُلس الشام، فسُجِنَ هناك مع سُودون طاز، ثم إن الأمير دمِرْداش نائب حَلَب استدعاه مـن المَرْقَب وجعَلَه من جُملة أمراء حَلَب، فتخوَّفَ من دمِرْداش وفَرَّ إلى دمشق، فأكرمَهُ الأمير شَيْخ نائبها وأقامَ عنده إلى أن قَدِمَ الأمير يَشْبُك بجماعته فارًا من الملك الناصر وجَمَعُوا لحربه، وساروا إلى مِصْرَ في جَمْعٍ كبير وفيهم الأمير جَكَم، فكان يتَعاظم على الجميع ويريدهم أن يُمَلِّكوه، فيسخرون منه في الباطن ويدارونه فـي الظَّاهر، وكُلٌّ قَليل يهمُّ بإظهار أنه سُلْطان، فيأخذون في كَفِّه عن ذلك وقد نافَرُوه وتواصوا على تَرْكه، فلما كانت ليلة السَّعِيدية وانهزام الملك الناصر في ذي الحجة سنة سبع وثمان مئة ومُحاربتهم له بالقَلْعة، انعزَلَ يَشْبُك بمن تابعه من الأُمراء واختفوا بالقاهرة وظواهرها.

ورجعَ الأمير شَيْخ نائب الشام بمن معه إلى دمشق وفيهم جَكَم

وكل ذلك كراهةً منهم في تَحَكُّم جَكَم عليهم من عَجَلَتِه بإظهار ما في نَفْسه من طَلَب السَّلْطنة، فطلب جَكَم أنطاكية وقاتَلَ صاحبها[1] . . . بن صدر الباز التُّركماني، فانهزم إلى الأمير شَيْخ فأكرَمه وصارا معًا على الأمير نَوْرُوز وقد استقرَّ في نيابة دمشق عِوَضًا عن الأمير شَيْخ، فحارباه وهَرَّباه إلى طرابُلُس واستولى شَيْخ على دمشق، فكتب النَّاصر إلى جَكَم بنيابة حَلَب وقد أخذها نَوْرُوز، فسارَ إليها هو والأمير شَيْخ وأخذ حَمَاة بعد قَتْل نائبها الأمير دُقماق، ثم مَلك حَلَب وقَتَلَ بها عِدَّةً، وفَرَّ منه نَوْروز، ثم صارَ إليه فأكرَمه، فشق ذلك على الأمير شَيْخ وانحرفَ عنه.

فلمَّا تَمَكَّن جَكَم من حَلَب سار وأخذ أنطاكية وغَنِمَ منها مالاً جزيلاً.

وأتاه العِجْل بن نُعيْر بن حيار بن مُهَنَّا مُسْتعينًا به على مُحاربة أبيه الأمير نُعَيْر، فسار معه وهزم نُعَيرًا وغَنِم منه شيئًا كثيرًا، وعادَ إلى حَلَب، فأخذ نُعيرًا وحُمِلَ إليه، فقَتَلَهُ وخافَهُ العِجْل فتركه ولَحِقَ بالأمير شيخ بدمشق. فَوَلَّى الناصر الأمير دمرداش نيابةَ حَلَب وسارَ إلى قتال جَكَم ومعه الأمير شَيْخ والعِجْل بن نُعَيْر، فبرز إليهم جَكَم وقاتَلَهُم بالرَّستن وهَزمهم، فصارَ الأمير شَيْخ إلى مصر وقَدِمَ نَوْرُوز إلى دمشق، فملكها.

فخرج النَّاصر من قَلْعة الجَبَل لقتال جَكَم في سنةِ تِسْعٍ وثماني مئة، فلما قارب حَلَب خرج جَكَم إلى البيرة وعادَ السُّلطان إلى دمشق، وقد أقامَ الأمير جَرْكَس المُصَارع في نيابة حَلَب، فأقبل إليه جَكَم في أوائل جُمادى الأُولى منها، فَفَرَّ منه إلى دمشق وملكَ جَكَم حَلَب، فخرجَ النَّاصرُ من دمشق يريد حَلَب، فلم يوافقه العَسْكر، وسارَ بعضُهم إلى مِصْر وأقامَ بعضُهم في دمشق، فرجعَ النَّاصر وعادَ إلى مصر فقوي جَكَم وأظهرَ مافي نَفْسه. وتَلَقَّب بالملك العادل، وتَسَمَّى عبدالله جَكَم وكَنَّى نفسَهُ بأبي الفُتُوح وضربَ السِّكَّة باسمه، وخُطِبَ له على منابر حَلَب، ووافقه الأمير

---

(١) بياض في الأصل قدر كلمتين.

نَوْرُوز بدمشق ولبس خِلْعَتَهُ وقَبَّل له الأرض، وقَطَعَ اسم الملك النَّاصر فَرَج من الخُطْبة، وخطبَ باسم الملك العادل أبي الفُتوح عبدالله جَكَم جُمُعتين في شهر رَمَضان سنة تسعٍ وثماني مئة، ثم أعادَ اسم الملك النَّاصر وقَطَعَ الخُطْبةَ لَجكَمَ.

وأظهرَ العادلُ جَكَم من إقامة الحُرْمة ونَشْر العَدْل وعظم المَهَابة شيئًا زائدًا على الحَدِّ المَعْهود بحيثُ إنه كان الخمر مع كثرتها بتلك البلاد لا يُقْدَرُ عليه بوجه من الوجوه، وعَزَم على أن يَجْعَل الكَلَفْتَة خَضْراء اللَّون وأن يَخْتَرِعَ أمورًا عَجِيبة تُرْضي الله والمؤمنين إلا أنه استعجلَ وتَوَانى معًا، فعُوقب على ذلك بالحِرْمان وهو أنه لم يُفَكِّر في أمر مِصْرَ ولا عَرَّجَ نحوها ظَنًّا منه أنها في قَبضَته واستخفافًا بشأن الملك النَّاصر، وظَاهِرُ الحال لو قَصَدَ مِصْرَ لما وَجَدَ من ينازعُه وبتَملُّكهِ قَلْعَة الجبل كان يَتمُّ أمرَهُ، إلا أنَّه تَوَانى عن هذا واستعجلَ بخروجه من حَلَب لمحاربة التُّركمان، فقَصَدَ قرايُلُك بآمد واصطَلى الحربَ بنفسه، فقُتِلَ وقُتِلَ كثيرٌ ممن مَعَه وذلك في أوائل ذي الحجة سنة تسع وثماني مئة، وحُمِلَت رأسه ورأس محمد بن شَهْوي إلى الملك النَّاصر فَعُلِّقت أعلى القَلْعة في أول المحرم سنة عشر وثماني مئة.

وكان سبب خُروجه من حَلَب أنَّ الملك الظاهر عيسى صاحب ماردين بعثَ إليه أن يسير إلـى ماردين، فخرجَ من حَلَب إلى البيرة وملَكَها بعد حِصَارٍ، وقَتَلَ كُزُل نائبها وسارَ إلى ماردين، فنزلَ إليه الملك الظَّاهر وسارَ معه بعساكر ماردين إلى قتال عُثمان بن طُور عَلي كبير التُّركمان بآمد، وهما في جيوشٍ عظيمة، فكانَ بينهما حروب قُتِلَ فيها إبراهيم بن عثمان بن طور عليّ، فاشتد حنق أبيه، وقاتَلَ حتى قَتَلَ جَكَم وصاحب ماردين ومُعظم مَن كان معهما ولم يَبْقَ من أصحاب جَكَم سوى بَلَبان دواداره وكَمَشْبُغا العيساوي أبقاهـما ابن طور علي ليدلاه على أموال جَكَم التي بالبيرة وبقَلْعة الرُّوم، وكان يُقال إنها أموالٌ كثيرةٌ جدًا فلم يَظْفر بها.

٣٨٥- جُوَيْرية بنت أحمد بن أحمد بن الحُسين بن موسك الهَكَّاري أمُّ أبيها(١).

ولدت بالقاهرة في رابع شهر رمضان سنة أربع وسبع مئة وحَضَرت على أبي الحسن عليّ بن عيسى بن سُليمان ابن القَيِّم ما عنده من «صحيح الإسماعيلي»، ومن أبي الحسن ابن الصَّوَّاف مسموعه من «النَّسائي» و«مُسْنَد الحُميدي»، وعلي بن هارون، والشريف موسى بن عليّ الحُسَيْني، وأحمد بن نِعْمة الحَجَّار، ووزيرة والحسن بن عُمر الكُرْدي، والجلال محمد بن محمد بن عيسى ابن الطَّبَّاخ.

وحَدَّثت بالكثير؛ سمع منها الفُضلاء. وكانت وفاتها بالقاهرة في ليلة السبت ثاني عِشري صَفَر سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة. وهي أخت أبي سعيد أحمد بن أحمد الهَكَّاري.

٣٨٦- جَنْتَمُر، أخو الأمير سيف الدين طاز، الأمير سَيْفُ الدين أحد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون(٢).

حَظِيَ عند الملك الصالح صالح لحُسْنِه، بحيث كانَ لا يَصْبر عنه، وأنعمَ عليه لما أعرسَ بابنة الأمير آقْسُنْقر بسبعة آلاف دينار ومئتي قِطعة قماش وعُمِلَت له زَفَّة عَظِيمة. وتَنَقَّلَ في الإقطاعات والآمريات في الدِّيار المِصْرية والبلاد الشامية، ومَرَّت به مِحَنٌ مُتَعَدِّدةٌ من الحَبْس غير مَرَّة، ووَلِي نيابةَ صَفَد ونيابة الشَّام.

وكان جميلاً، طويلاً، مُهَابًا، وقورًا له حُرْمة، وفيه حَيَاءٌ وحِشْمةٌ، وجميلُ مَعَاشرة مع النَّاس ومحبةٌ لأهل الخَيْر والصَّلاح، يحبُّ السَّمَاع ومجالس الذِّكر. وكان فارسًا شُجاعًا له معرفةٌ تامةٌ باللعب بالرُّمْح والرَّمي

---

(١) ترجمتها في: السلوك ٣/ ٤٦٤، وذيل العبر للعراقي ٢/ ٥١٢، والدرر الكامنة ٢/ ٨١، وإنباء الغمر ٢/ ٦٨، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢٢١، وبدائع الزهور ١/ ٣٠١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٨٠.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٧٥.

بالنُّشَّاب والضَّرْب بالسَّيف واللعب بالأكرة والصيد بالجوارح، وقُتِلَ هو ووَلدُه في[1]. . .

٣٨٧- جَيْنُوس بن جاك بن بيرو بن أنطون بن جَيْنُوس، ملكُ الفِرَنج بقُبْرُس[2].

ملَكَ بعد أبيه في حدود سنة ثمان مئة إلى أن بَعَثَ السُّلطان الملك الأشرف بَرسْباي العَسَاكر لغزوه، فنازلوا قَلْعة اللَّمْسون إلى أن أخذوها عَنْوَةً في يوم الأربعاء سابع عشري شعبان سنة تسع وعشرين وثماني مئة وهَدَموها، وقتَلوا وسَبَوا من بها من الفِرَنج، ثم سارُوا منها بعد ستة أيام في أول شهر رَمَضان في البرِّ والبَحْر، فلقيهم جَيْنوس هذا وحاربَهُم، فهزمَ الله عَسْكَرَهُ وأوقَعهُ في الأسْر يوم الاثنين ثاني شهر رمضان، وامتدت أيدي المُسلمين تَقْتل وتأسر وتَغْنَم. ثم ساروا في خامسه يريدون الأفقُسِية مدينة جزيرة قُبْرس ودار مَمْلكتها، فملوكها بلا دافع ولا مانِع وحَوَوا ما في قصْر المَلِك، ثم عادوا منها بعد يومين، فأراحوا ورَكِبوا البَحْر في ثاني عَشَرِهِ بالأسْرَى والغَنَائم يريدون القاهرة فقَدِمُوا في سابع شَوَّال وأحضروا جَيْنُوس من الغدِ بقَلْعة الجَبَل بعدما شُهِرَ، وقد تجمَّعَ لرؤيته عالَمٌ لا يُحصِي عددُهم إلا خالقهم، وأعلامُهُ مُنَكَّسَة قُدَّامه وتاجه محمولٌ في جُمْلة ثِيابه وغَنَائم بلاده وأسراهم وهو مقيدٌ على بغلٍ إلى أن وصَلَ باب قَلْعة الجَبَل، فأُنزل عن البغْل وكُشِفَت رأسُه وأُمِرَ به فجُرَّ على وَجْهه يُقَبِّل الأرضِ عند الباب، ثم قامَ يرسُفُ في قُيُوده إلى أن مَثُلَ بين يدي السُّلطان، فعُرِضَت الأسرى والغنائم. ثم قُدِّمَ فخَرَّ إلى الأرض يُعَفِّرُ وجهَهُ بالتُّراب. ثم قامَ وقد خارت قواه لهولِ ما شاهَدَ ورأى، ثم سَقَطَ مَغْشيًا عليه، فتُرِكَ حتى أفاقَ وقادُوه إلى مَنْزلٍ أُعِدَّ له بالقَلْعة قريبًا من

---

(١) بعده بياض في الأصل.

(٢) ترجمته في: إنباء الغمر ٨/ ٢٦٤، والنجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٢، ووجيز الكلام ٢/ ٥٢٣، والضوء اللامع ٣/ ٨٦.

السُّلْطان وطُلِبَ منه مالٌ كبيرٌ، فلم يسمح بشيء، فأُخرج من الغد وأُوقف بين يدي السُّلطان، وقد أُحْضِرَ معه قَناصلة الفِرَنْج، فالتزموا عنه بمالٍ غير مُعَيَّن، ثم أُعِيدَ إلى مَنْزِلِهِ وحُمِلَ إليه مَلاَبس من الثِّياب السُّلْطانية ورُتِّبَ له ما يَلِيقُ به، فتَقَرَّر عليه مئتا ألف دينار وأن يَحْمِلَ إذا عادَ إلى مملكته بقُبْرُس عشرين ألف دينار في كُلِّ سنة، ثم أُفْرِجَ عنه في سادس عِشْري شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثماني مئة وخُلِعَ عليه، وأُركب فَرَسًا بقماش ذَهَب، ونَزَلَ من سِجْنه بالقَلْعة إلى القاهرة في مَوْكِبٍ جليلٍ إلى دار أُعِدَّت له، وصارَ يَرْكب إلى حيثُ شاءَ من كَنَائس النَّصارى ودياراتهم. وله جارٍ يَقُومُ به وبمن معه، ثم خُلِعَ عليه في خامس جُمادى الآخرة خِلْعَةَ السَّفر، فتَجَهَّزَ وسار في سادس عشرهِ من القاهرة ورَكِبَ النِّيلَ إلى الإسكندرية ومَضَى منها في بَحْر المِلْح إلى قُبْرُس واستولَى على مملكته إلى أن بَلَغنا أنه هَلَكَ في سنة خمس وثلاثين وثماني مئة بعدما حَملَ مُعظم ما وَعَدَ به.

وأهل قُبْرس من بقايا الرُّوم وإنما نُسبُوا إلى الفِرَنج لظهورهم على سائِرِ أُمم النَّصرانية، وكان عَليهم فريضةٌ يؤدُّونها لصاحب مِصْرَ منذ فُتِحَت قُبْرُس على يد مُعاوية بن أبي سُفيان، ثم غَلَب على رودس أهل جَنَوةَ وحاربوا أهل قُبْرُس، ثم صالَحُوهم.

وجَبْينُوس هذا من أولاد مُتَمَلِّك القُدْس وبلاد الأرمن بسيس ومامعها، فلما استردَّ المُسْلمون بيتَ المَقْدس من الفِرَنج بَقِيت سيس بيد صاحب قُبْرُس ويَنُوب عنه بها تَكْفُور ويَحْمل إليه الخَرَاج إلى نحو سنة سبع مئة من سني الهِجْرة.

ضَرَبَ الدِّرهم باسمه، وجَعَلَ عليه صورة بَغْلَة، فإنه وسَلَفُهُ ملوك الأرمن إنما يَرْكبون البِغَال وصارَ مع هذا يَحْمل إلى صاحب قُبْرُس بعضَ ما كان يُحْمَل إليه، وكذلك البلاد التي تَحْتَ جبل بغُراص بالقرب من أنطاكية إلى قريب من بلاد قَرَمان مثل إسكندرونه، وعَيْن التِّبْنة، وإياس ومِصِّيصَة، وأدنه، والكَرَك إلى أن مَلَكها المُسْلمون في أيام الأشْرفية

شَعْبان بن حُسين على يد الأمير أشق تَمُر نائب حَلَب سنة ستٍ وسبعين وسبع مئة. وأُسِرَ تكْفور، فلم يَبْقَ لصاحب قُبْرُس في هذا البَرِّ شيء من البِلاد سوى قَلْعة الكَرَك، وهي بين حُدود طَرَسُوس وبلاد قَرَمان بجوار حُصون الوَرْسق، وهي بيده إلى الآن.

وأصل هذه الأمة التي يقال لهم الإفرنج من مدينة فِرَنجة وهي إفرانسة، ويقال لهم: الإفرانسي، وهم من وَلَد يافث بن نوح، وقيل: بل جِنْس الفِرَنْج مُوَلَّد من الرُّوم كالمُولَّدة في العرَب، وأنهم يَرْجعون إلى بَني الأصفَر، وقيل: إن الفِرَنْج والصَّقالبة ويأجوج ومأجوج من وَلَد غامور ابن يافِث ابن نُوح، وزيهم كزي الروم، ويَجْمَعُهم دينهُم، فإذا كانوا من غير الرُّوم فهم بنو عَمِّهم، لأنَّ الرُّومَ الأولى وهم اليُونان من وَلَد رومي بن أنطا بن يُونان بن يافث بن نوح، وفِرَنجة من وَلَد عامور بن يافِث، فهم بنو عَمِّهم وسُكْناهم في العُدْوة الشَّمالية من عُدْوة البَحْر الرُّومي الغَرْبي ما بين جزيرة الأنْدلس وخَليج القُسْطنطينة يجاورون الرُّوم من جانب الشَّرْق، والجَلاَلقة من جانب الغَرْب. ودَخَلُوا في دين النَّصْرانية مع الروم ومنهم تَعَلَّموه، وفي مُلْكهم تسعون مدينة، ولهم اتساع مملكةٍ وعبارة، وهم يُحاربون الرُّوم، وفيهم سِحْرٌ، ومنهم نَصَارى ومَجُوس وزَنَادقة، ومنهم من يَحْرِقُ نفسَه كالهنود، ولكن غَلَب عليهم دينُ النَّصرانية، وهم يَزْعمون أنهم من بَقَايا اليونان وأنَّ مُلُوكَ الرُّوم كانوا قاهرينَ لهم، فلما ضَعُفَت مملكة الرُّوم تَجَمَّع منهم طائفةٌ ومَلَّكُوا عليهم واحدًا من أعيانهم ومَلَكوا مدينة إفْرانسه، وهي مدينةٌ جليلةٌ مجاورة لجزيرة الأندلُس، وجَعَلُوها قاعدةَ مُلْكهم، ويقال لملكهم الفِرَنْسيس، فقوي أمرُهم وركبوا البَحْر إلى إفريقية ومَلَكُوها ونَزَلوا أمْصَارَها مثل سُبَيْطِلَة، وجَلُولاء، وقرطاجنة، ومرناق، وبَاغَاية، ولَمِيس، وغَلَبُوا على مَن كان بها من البَرْبَر حتى اتَّبَعُوهم في دينهم وانقادوا لهم إلى أن جاء الله بالإسلام وكان الفَتْح، فأخذَ المُسْلمونَ جميعَ أمصار إفريقية والعُدْوة الشَّرقية والجزائر البَحْرية مثل أقريطش ومالطة وصِقِلِّية ومَيُورقة وألْجَأُو الفِرَنج إلى العُدْوة الشَّمالية

حيث كانوا أولاً وركبوا البَحْر بخليج طَنْجة وغلبوا القُوط والجَلالقة والبَشْكَنْس ومَلَكوا جزيرة الأنْدلس وخَرَجوا من ثناياها ودُرُوبها إلى بَسَائط هؤلاء الفِرَنْج، فدوخوها وعاثوا فيها، ولم تَزَل الصَّوائف تَتَرَدَّدُ فيها صَدْر أيام بني أُمية بالأندلس. وكانت الأغالبة ولاةُ إفريقية يُوالون غَزْوَهم أيضًا حتى غَلَبوهم على الجزائر البَحْرية ونازَلُوهم في بسائط عُدْوتهم، فلم تَزَل نُفوسهم مُمْتَلِئةٌ حنقًا على المُسلمين حتى ضَعُفَت مملكة الرُّوم بالقُسْطنطينة وروما واستَفْحَلَ مُلْكُ الفِرَنْج هؤلاء، فملكوا من الجَزائر مثل دانية وسردانية ومَيُورقة وصِقِلِّية ومَلأت أساطيلُهم فضاء البَحْر، وخَرَجُوا على المُسْلمين في سنة ثمان وسبعين وأربع مئة، فمَلَكُوا مدينة طُلَيْطُلة وغيرَها من بلاد الأنْدَلُس، ثم مَلَكوا جزيرة صِقِلِّية في سنة أربع وثمانين وأربع مئة.

هذا وقد وَهَت الخلافة العَبَّاسية ببغدادَ، فزحفوا إلى البلاد الشَّامية في سنة تسعين وأربع مئة، ومَلَكُوا أنطاكيةَ وكان ملكهم إذ ذاك بَرْدويل وصَنْجيل وكُنْدُفري والقُمص صاحب الرُّها وبيمُنْد، وامتدَّ مُلْكُهم إلى بِلْبيس إلا قليلاً مما بينَ ذلكَ، وأخذوا القُدس في سنة اثنين وتسعين وأربع مئة، وبَنَوا به كَنيسةً عظيمةً بَدَل المَسْجد، وزَحَفُوا إلى القاهرة وحَصَرُوها إلى أن أدالَ الله منهم وأعادَ بيتَ المَقْدس وجميعَ بلاد السَّواحل إلى المُسلمين.

وكانوا عندما أُخِذَت منهم القُدس قد جَمَعوا ونَازلوا دِمياط في أيام الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب، ثم في أيام ابنه الصَّالح نجم الدين أيوب، ومَضوا إلى إفريقية بَعْدَ نَوْبة دمياط، فهلك طاغيتهم الفرنسيس ريدافرنس[١] على قَرْطاجنة، فضَعُفَ أمرهم واختلَّ مركز دَوْلَتِهم بإفرنسة، وافترقوا طوائف، وصارَ مُلْكهم عَمَالات واستبدَّ

(١) تحريف دوا دي فرانس أي: ملك فرنسا.

صاحبُ صِقِلِّية وصاحب نابُل[1] وصاحب جَنَوة وصاحب سردانية، وبقي بَيْت مَلِكهم الأقدم على غاية الوَهْن، وهم الآن أربع عشرة قَبيلة، ويَمْلكهم عدة مُلُوك ويَمتَدُّ مُلْكهم في الجانب الشَّمالي من الأرض خَلْفَ البَحْر الشَّامي الذي يخرج من بَحْر أقيانس وهو المحيط ما بين طَنجة والخَضْراء، وأول مَمْلكتم من ناحية الشَّرْق في البَرِّ المُتَّصل ببلاد الرُّوس واللان وبرجان، وآخر مملكتهم من ناحية الغرب البر المُتَّصل بالمُحيط، ومملكة الصَّقَالبة، فأول ممالكهم من ناحية الشَّرْق مملكة البَنَادقة ويُنْسَبُون إلى مدينة المُنْدقية[2] وهي على طَمَح يَخْرج في بحر الرُّوم نحو سبع مئة ميل، وهي قريبةٌ من جَنَوَة في البَرِّ علَى ثمان مراحل وفي البحر نحو شَهْرين، لأنَّهم يَخرجون إلى بَحْر الرُّوم شَرْقًا، ثم يَمْضون منه غَرْبًا إلى جَنَوة ومدينة قد استُجِدَّت بعد مدينة لَنْبرديه. والقائم بأمر البَنَادقة تسعة حُكَّام منهم يتعاقبون الحُكْم عليها سنةً بعد سنة، يقومُ بالأمر أحدُ التِّسعة مُدَّة سنة فإذا وَلِيَ أمرَهُم قامَ الثَّمانية الأُخر مقَام الوُزراء مُدَّة سَنَته، فإذا مَضَت السَّنَة انعزلَ عن الأمر وقامَ غيرُه منهم مَقَامهُ، وصارَ مع القائم بعده كالوزير هو وبقيتهم، ويقال لهؤلاء التِّسعة الكُمُول، أي الحُكَّام. والذي يَلِي منهم مُدَّة السَّنَة هو الدَّوْج.

ويلي مملكة البنادقة مملكة أُنْكونة ويَحْكُم عليهم رَجُلٌ واحدٌ، وأُنْكُونة مدينة فيها تَخت المَلِك، وربما غَلَب صاحب المُنْدقية عليهم ومَلَكَهُم، وربما استبدَّ مَلِكُهم.

ويلي مملكة أُنكونة مملكة نابل، وهي مملكة ضَخْمة ومدينة مَلِكها نابل وفيها طائفة الكَلَابزية ولامها مُعْجَمة، وكان بها مَلِكٌ يقال له: أنْصَلاو غَلَب على مدينة رومية الكُبْرى وهي غَربي جَنَوة والمُنْدقية وبها

---

(١) هي: نابولي.

(٢) هكذا في الأصل بالميم بدل الباء، وكذلك في المواضع الأخرى.

الباب[1]، وهي عن الأندلس شمال شرق، وكان عليها الأصْفَر واستمرت بيده واتخذَها دار مُلْكه وسَريرَ سَلْطنته، وأحَدَثَ بها قاضٍ على مَذْهبه مع قاضي رُومية وذلك أنَّه إنَّما يعتقدُ هو وأهلُ مَمْلكته فذهب النسطورية، وأهل رومية على مَذْهب المَلْكانية، فلذلك صار بها قاضيان أحدُهما نُسْطوري يَقْضي بين العَسْكر والآخر مَلْكاني يَقْضي بين العامة أهل رُومية، وهو الأصل فيها والنَّسْطوري حَدَّدَهُ الملك أنْصلاو، ثم هَلَكَ أنصلاو وقامت أخته بالمملكة بعدَهُ، فإنَّه لم يبق من بيت المُلْك غيرها، وما برحت تُحارب ملك الكَيْتلان، فإنه قَصَدَ انتزاعها من المملكة فقامَت الرَّعِيَّة مَعَها لعَدْلها فيهم، وهذه المَمْلكة الآن أعظم ممالك الفِرَنْج وأعمرُها وأوسَعُها ومَلِكُها له تاجٌ.

ويلي مملكة نابُل مملكة شَرَنْتي، ويقال لها أيضًا مملكة الفُرُنْت، ويتولى أمر هذه المملكة سبعة كُمُول، كما تَقَدَّم في البنادقة، يقوم الواحد منهم بالأمْرِ سنة واحدة وتَبَقى السِّتة معه كالوُزراء، ويقال لهذه المملكة الآن مملكة الفرنتين.

ويلي مملكة الفرنتين مملكة بيزة، ويقال له أيضًا: مَلِك بَيْسانة ويَليهم الكُمُول أيضًا، وفي بلادها ولا مَعْدن فضة.

ويليهم مملكة جَنَوَة، وهي مدينة غَرْبي القُسْطنطينة ولم يكن لهم مَلِك، وإنما كان يليهم الكُمُول وهم أحد عَشر يتعاقبون الحُكْم سنة بعد سنة كما تَقَدَّم، ويقوم العَشرة معه كالوُزراء، ويقال لأهل جَنَوة الآن الجَنَويين[2]. فلمَّا كان في سنة اثنتي عشرة وثمان مئة غَلَب على مدينة جَنَوة ملك إفرانصَة[3]صاحب مدينة إبريش[4]، وأزالَ الكُمُول الأحد

---

(١) يعني: البابا، كبير النصارى الكاثوليك.

(٢) في الأصل: «الجنوتين»، لكنه سيعيده بعد قليل، كما كتبناه هنا.

(٣) هكذا بالصاد.

(٤) يعني: باريس.

عشر عنها وأخرَجَهُم منها وأقامَ عليها رَجُلاً من أهل بيته، فاستمرت في يده، فانتقل حُكْم الجَنَويين بعد الكُمُول إلى حكم دوكا[1] الألَمان، وقامَ دوكا بمحاربة البنادقة يروم الغلبة عليهم وليس له تاج.

وبلي مملكة الجنويين مملكة إفرانْصَه وبمدينتهم إبريش مَعْدن فِضَّة، وهم من جِنْس الألمان وهم طوال يبلغ طول الرجل منهم ثمانية أشبار وسبعة أشبار. وصارَ صاحب إفرانسة[2] هذا أعظم ملوك الفِرَنْج، قَدْرًا ويَتَّصلُ حُكْمه ببلاد إفْلَنْدَرة على ساحل المحيط وبمدينة رُومية مسكن البابا وماحَوْل ذلك.

ويلي مملكة إفرانصه مملكة رغُون بغين مُعْجمة مضمومة. وهم القَطلان، وتقول العامَّة: الكتيلان، ويقولون أيضًا: القَطْرانية وربما قيل: مملكة أرَكون، ويَحكم على مدينة بَرْجَلونة، وهي تخت مُلْكه ومعنى برجَلُونه مدينة القَمَرَ، ويَزْعُمُ مَلِكها أنَّه من نَسْل جَبَلَة بن الأيهم الغَسَّاني، وليسَ بصحيح، وهو ابن عَمِّ ملك قِشْتِلَّة.

ويلي مملكة القَطلان مملكة البُرطُقال[3]، وهي مملكةٌ صغيرةٌ ويَجْمَعُهم ملك واحدٌ.

ويلي مملكة البُرطُقال مملكة قِشْتِلَّة ويحكمها ملكٌ واحد.

ويليه مملكة الجَلاَلقة وقاعدة مُلكهم مدينة سَمورة، وهم أشرسُ النَّاس أخلاقًا ويقال لملكهم أُذْفُنْش.

ويليهم مملكة لشبونة، وهو مَلك ناحية المُحيط، وله جزائر منها جزيرة إفلنده وجُزر بريطانية.

ويلي مملكة لشبونة مملكة الجَلاَلقة[4]، وهم بمدينة طُلَيْطلة وإشبيلية وقُرْطبة وسائر الأندلس.

---

(١) هو «الدوق»، وقد سماه قبل قليل «الدوج».

(٢) هكذا كتبها الناسخ هنا بالسين المهملة.

(٣) يعني: البرتغال.

(٤) هكذا أعاد ذكر مملكة الجلالقة هنا أيضًا.

وبعد هؤلاء مملكة شَرْق الأندلس، وهو ملك نَباره وتحت أيديهم بَلَنْسية وطَرْطُوشة ودَانية وبَطَلْيوس ومُرْسِية وشَاطِبَةَ. ويزعم مَلِك نباره هذا أنه من نَسْل هِرَقْل الذي كَتَبَ إليه رسولُ الله ﷺ، وأنَّ عندَهُ الكتاب النبوي إلى يومنا هذا. وهَلَكَ مَرْتين بن دنيوة مَلِك نباره في سنة سبع عشرة وثماني مئة، فملك بعده لغُنت بن جُوان، وهو ألفُنش ملك قِشْتِلّة وانقرضَ مُلْك الهِرْقَلِيَّة من نباره.

وبعد مَلِك نَباره مملكة سَرْدانيه وصِقِلِّية، ويُعرف أهلُ هاتين الجَزِيرتين بالسرد. وكان قد غَلَب على صِقِلِّية قبل الإسلام الرُّوم وطَرَدُوا عنها السرد وصَيَّرُوهم تحت أيديهم، فلما جاء الله بالإسلام ومَلَكها المُسلمون من الرُّوم انتقلَ السردُ إلى سَرْدانية، ثم غَلَب الرُّوم على صِقِلِّية وأخذوها من أيدي المُسلمين، فنزا عليهم بعد قليل رُجّار بن رِجِّير النَّابُلي واستبدَّ بمُلْكها، واستولى على السَّرْد بسَرْدانية وتداول صقلية بعد رُجّار ودولته الفِرَنج، فاستمرت السرد بسردانية إلى وقتنا هذا، والقائم بأمْرهم ملكٌ واحد وهو من أضعف قَبَائل الفِرَنج، وربما غلب عليه صاحب ملك رغُون، وهو الآن يَحْكم عليهم.

وسردانية جزيرة عَرْضها خمسة عَشر يومًا مثل جزيرة صِقِلِّية وتَخْت المَلِك بها ورسطان، وبها مَعْدن فِضَّة ليس بذاك، ولُغةُ السَّرْد تخالف لُغَة الفِرَنج. وجميعُ جزائر البَحْر الشَّامي تحت حُكم مَلِك بَرْجَلُونة ما عدا جزيرة قُبْرُس ورَوْدِس وماثلين وجزيرة المَصْطَكي، فإنها بيد الجَنَوية.

وللفِرَنج أيضًا مملكة الأنكر تُجاور مملكة قَرَمان وبني عُثمان وهو عظيم عندَهم ومملكتهُ واسعةٌ عامِرَةٌ وليسَ فيهم أضعف من صاحب قُبْرُس إلا أنه عندَهم صاحب تَاج، لأنَّه من بيت إفرانسة ولا يَلْبس التَّاج عندهم إلا مَن كان من بيت إفرانسة، وهم: صاحب إفرانسة، ومَلِك قِشْتِلَّة، وملك رغُون، ومَلِك نابُل، وملك الأنكر، وملك قُسْطنطينية، ومن عَدَاهم لا يَلْبَسُون التَّاج. ومن أرادَ منهم أن يَلْبس تاجًا اجتمعَ الفِرَنج

عليه وحارَبُوه لأنه لا يَلْبَسه عندهم إلا من هو من بيت مَلِك إفرانسة المُقَدَّم ذِكره. وأما ملك قُسْطَنطينة، فإنه روميٌّ لا فِرَنْجي إلا أنه ضَعُفت مملكته وخَرَجَت الأفلاق والأرمَويط والبُرعال واللان عن طاعته، وهم الرُّوم وأقاموا لهم حُكَّامًا غير مُتَوَّجين، ولم يَبْقَ له إلا جُزُر قليلة وما حول مدينته.